

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية

الدكتور محمد بن زروق الله أحمد
الأستاذ المساعد - بكلية التربية
جامعة الملك سعود

الطبعة الأولى ١٤١٢-١٩٩٢م

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣



مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى أساتذة التاريخ الإسلامي بصفة خاصة، وإلى طلاب العلم الباحثين عن الحقيقة، الذين يرغبون في معرفة سيرة الرسول ﷺ في ضوء الروايات الموثقة، وفق مناهج المحدثين، بصفة عامة.

شكر وتقدير

أحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإكمال هذا البحث، ثم أشكر القائمين على أمر جامعة الملك سعود، وكل من كان سببا في منحي إجازة تفرغ علمي لمدة عام دراسي كامل، أتاحت لي فرصة إكمال جمع مادة هذا البحث، ثم إخراجه إلى النور.

وأشكر كل من أعانني بنصيحة أو بمشورة أو بتشجيع معنوي، أو بتخريج بعض الأخبار أو بإعارته إياي بعض المصادر والمراجع. وذلك عملا بقوله عليه الصلاة والسلام «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»^(١).
وأسأل الله أن يوفق الجميع إلى ما فيه الخير.

(١) رواه الترمذي: السنن (٢٢٨/٣)، من حديث أبي هريرة وصححه.

تقديم

شغل المسلمون منذ الأيام الأولى للإسلام بسيرة الرسول محمد ﷺ فاعتنوا بتسجيل وقائعها، وحرصوا على نقلها دقيقة موثقة سواء في كتب الحديث النبوي أو في كتب السيرة أو كتب التاريخ العامة. وقد اختلفت مناهج العلماء باختلاف عصورهم وتخصصهم؛ فللمحدثين منهج يتسم بالضبط الشديد والتحري الدقيق لكل مانسب إلى الرسول ﷺ من قول أو عمل. وللمؤرخين وكتاب السيرة النبوية مناهج مستقاة من مناهج المحدثين؛ ولا غرابة في هذا فإن دراسة التاريخ قد نشأت في بيئة أهل العلم التي كان قوام اهتمامها الحرص على جمع الحديث النبوي والسيرة العطرة. ولذا احتكم الأخباريون والمؤرخون إلى مناهج المحدثين وأساليبهم في نقل الوقائع والأحداث التاريخية معتمدين على الأسانيد والروايات، ولكن على نحو يختلف في تفاصيله وظروف تطبيقه ودوافعه عن مناهج أهل الحديث.

ولا شك أن السيرة النبوية من أهم مجالات الدراسة التي عني بها المسلمون قديماً وحديثاً، وستظل موضع عناية المسلمين بإذن الله لأن سيرته عليه الصلاة والسلام تنفيذ عملي للتشريع الرباني وبيان لأحكامه. ومن هنا تعددت المصادر التي نقلت السيرة النبوية وتنوعت مناهجها. وظهرت في كل عصر دراسات في السيرة النبوية تتخذ طوابع مختلفة فمنها ما يحرص على اختصار السيرة، ومنها ما يعنى بالدروس الدينية والتربية المستقاة منها، ومنها ما يطمح إلى التحقق من بعض الوقائع والأقوال... إلى غير ذلك.

إن غنى السيرة التي تسجل حياة خير البشرية عليه الصلاة والسلام ذو أثر واضح في تنوع النظرات والمناهج والاستنباطات؛ فكل قارئ للسيرة يجد فيها من جوانب الإعجاز النبوي ما يروقه. ولذا فسوف تظل السيرة معيناً لا ينضب منها كثر عليه الواردون، ونهل من نبعه الناهلون.

وهذا الكتاب الذي يقدمه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وهو السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله أحمد، يرتبط بسلسلة المؤلفات التي تتخذ من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام مجالاً للدراسة والاستنباط. وهدف المؤلف في هذا العمل أن يكتب السيرة النبوية معتمداً على مصادرها الأصلية المتنوعة، مختاراً ما كان من الروايات قوياً، ومناقشاً ما كان محل نقاش وإن كان مشهوراً بين الناس. وقد حوى الكتاب مادة علمية غزيرة استطاع المؤلف من خلال منهجه المتميز أن يجمع شتاتها ويدققها، خصوصاً ما تناثر منها في المصادر المتعددة ككتب التفسير والحديث والسير والمغازي والتاريخ والطبقات والتراجم والفقه. وربما لا يجد القارئ ذكراً لبعض كتب السيرة القديمة شيئاً ما أو الحديثة، وهذا الأمر مرده إلى منهج المؤلف الذي التزم فيه بالاعتماد على الكتب الأصلية التي عنت بنقل السيرة عن الرواة الأولين.

ولم يخلُ هذا الكتاب من إشارات تربوية مفيدة، أو لمسات إيمانية معبرة، كما لم يقف عند حدود سرد النصوص بلا تمعن أو إشارة إلى فقهها ودروسها خصوصاً وهي محل الأسوة والاقتداء.

وقد قام مركز الملك فيصل بإعداد فهرس للكتاب كفهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية القولية، والأعلام، والأماكن، والغزوات والسرايا والحروب، والأشعار، والحكم والأمثال من أجل تيسير الوصول إلى موضوعاته وتحقيق مزيداً من النفع به. وقد بات ذلك ضرورياً في النشر العلمي اليوم خصوصاً في مصادر العلوم النقلية ذات الصبغة المرجعية.

نرجو أن يتفح الله بهذا الكتاب، وأن يسد به ثغرة في المكتبة الإسلامية، وأن يثيب مؤلفه. والله الحمد أولاً وأخيراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمين العام

د. زيد بن عبدالمحسن آل حسين

مقدمة

منذ عام ١٣٩٧ هـ أوكل إليّ تدريس مادة «السيرة النبوية» بقسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية. وخلال هذه الفترة واجهتني مشكلة المراجع التي يمكن أن يعتمد عليها المدرس والطالب. فلم أعثّر على كتاب تُحَقِّقُ فيه معظم المواصفات المطلوبة حسبما تبلورت في ذهني، وبناءً على تجربتي المحدودة وقلة بضاعتي؛ فقد كنت أتوق دائماً إلى العثور على كتاب تتحقق فيه مواصفات معينة، أبرزها:

- ١ - غزارة مادته العلمية وشموله أبرز أحداث السيرة النبوية.
 - ٢ - أن يكون مختصراً بحيث لا يتجاوز حجمه المجلد الواحد أو في نحو ستينائة صفحة.
 - ٣ - أن يكون وفق المنهج الذي سوف أصف أهم ملامحه.
- عندما لم أجد كتاباً تحقق في هذه المواصفات، أقدمت على القيام بهذه المحاولة التي أرى أنه قد تحقق فيها جزء كبير من تلك المواصفات. وإذا كان هناك قصور في بعض الجوانب فهو مني وذلك لأن بضاعتي في الحديث مزجاة، وكان ينبغي أن يقوم بهذا البحث علم من أعلام الحديث في زماننا هذا، ولما لم يفعلوا حتى الآن، فقد اضطررت للتطفل على موائدهم؛ وما أغراني بذلك أنني وجدتها عامرة بما لذ وطاب من التحقيقات العلمية والأحكام على مرويات السيرة العطرة، مما وفر علي كثيراً من الجهد والوقت.
- وأرجو من أساتذتنا العلماء أن يسدوا لنا كل ما يستطيعون من نصح وتقويم وتصحيح حتى يخرج هذا البحث في صورة مرضية في طبعته الثانية - إن شاء الله - ليستفيد منه مؤلفه ومطالعوه، ويستعين به مؤلفه - بعد الله

تعالى - على أداء مهمته الأكاديمية والتربوية، وينفع الله به أبناء المسلمين وطلاب العلم.

والله أسأل أن يمنحني أجرِي المصيب أو أجر المخطيء.

منهج البحث

إن مرويّات سيرة الرسول ﷺ كثيرة جداً، ولذا فقد يلحظ القارئ أن الباحث قد أهمل طائفة من الروايات الضعيفة التي يكثر من روايتها بعض أهل المغازي والسير والتاريخ، لأن هدف البحث ليس استقصاء جميع مرويّات السيرة النبوية، بل الهدف رسم هيكل للسيرة يستوعب معظم الصحيح من مرويّات السيرة، وإذا لم أجد الصحيح ذكرت مرويّات ضعيفة، فيما لا يتعلق بالعقيدة والأحكام، ونهت على ذلك، لأن بعض العلماء يجوز رواية الحديث الضعيف فيما دون المسائل العقيدية والأحكام الفقهية.

إن من الأهداف الرئيسة لهذا البحث الاعتداد على المرويّات الصحيحة، وإذا أخفق الباحث في شيء من هذا فمرده إلى نقص فيه، ويرجو من أهل الصنعة الحديثية أن يصحّحوه ويقوموه.

لقد حاولت التقليل من حجم الحواشي حتى لا يتضخم الكتاب. وعلى الرغم من هذا كادت الحواشي أن تصل إلى نحو ثلث الكتاب، وذلك لأن الضرورة العلمية اقتضت ذلك، خاصة إن كثيراً من الأحاديث الضعيفة تتقوى بالشواهد والمتابعات التي لا بد من ذكر بعضها. إضافة إلى هذا فإنني رأيت ضرورة وأهمية إثبات كثير من مرويّات أهل السير والمغازي إلى جانب الروايات الصحيحة، وذلك على الرغم من ضعف مرويّات أهل المغازي ليتبين للقارئ أن كثيراً من مرويّات أهل المغازي والسير لها أصل في الصحيح، وإن روايات أهل الحديث الصحيحة تؤكدها وتجعل لها قيمة علمية معتبرة.

من المتعارف عليه بين غالبية الباحثين الأكاديميين أن المصدر أو المرجع إذا ذكر لأول مرة، ذكرت جميع البيانات المتعلقة به، ولكثرة المصادر والمراجع

وخشية الإطالة، رأيت أن أذكر البيانات الكاملة عن المصادر والمراجع في قائمة ثبت المصادر والمراجع.

ورأيت أن أستخدم بعض الرموز والمصطلحات على سبيل الاختصار أيضاً، وهي:

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري لابن حجر = البخاري / الفتح.

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي له = مسلم / النووي.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل: المسند بترتيب البنا الساعاتي، المسمى الفتح الرباني مع شرحه له والمسمى بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني = أحمد: الفتح الرباني...

(٤) ك. = كتاب (٥) ب = باب (٦) ح. = حديث رقم كذا

(٧) ط. = طبعة (٨) ص = صفحة (٩) ص ص = من صفحة كذا إلى صفحة كذا.

(١٠) ج = جزء (١١) م = مجلد.

لقد أهملت تعريف بعض الأعلام الذين أذكرهم، مكتفياً بالإحالة إلى بعض المصادر التي تتناول تعريفهم. وذلك للاختصار.

إذا ورد الخبر في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهذا في الغالب، ولم أذكر روايات أهل الحديث الآخرين إذا لم يكن بها زيادات مفيدة، ولكني كثيراً مما أذكر روايات ضعيفة أو ضعيفة جداً لأهل المغازي والسير، إما لأن كثيراً ما يوجد بها زيادات تتقوى بالشواهد والمتابعات، أو على أقل تقدير يعرف أن للكثير منها أصلاً.

وإذا قلت عن الرواية إنها معلقة أو بدون إسناد أو منقطعة أو معضلة، أو مرسله لا تنجر أو من رواية الواقدي وغيره من المتروكين والضعفاء، فهذا يعني أن هذه الرواية ضعيفة أو ضعيفة جداً. وذلك لتقليل التكرار.

لقد حرصت أن تكون كل معلوماتي موثقة ليسهل على القارئ التأكد من صحة النقل أو الاستزادة من المعلومات التي وردت مختصرة.

رأيت أن يعتمد هذا الكتاب في معلوماته على أوثق المصادر وعلى رأسها

كتاب الله تعالى ثم كتب التفسير والحديث والمغازي والسير، وأن أذكر درجة الخبر ليعرف إن كان مما يحتاج به أم لا، وذلك في ضوء آراء أهل الحديث. لقد أعطيت الأولوية في الاستشهاد للآيات القرآنية، ثم روايات الصحيحين، ثم الصحيح من الروايات الموثقة في كتب التفسير والحديث والدلائل والمغازي والسير والتاريخ العام والآداب، وغيرها من كتب أهل العلم المختلفة. ورأيت أن استنبط من كثير من أحداث السيرة بعض رؤوس المسائل الفقهية والحكم والعبر.

أهداف دراسة السيرة النبوية

- ١ - إن الدارس لسيرة الرسول ﷺ يقف على التطبيق العملي لأحكام الإسلام التي تضمنتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في مجالات الحياة المختلفة.
- ٢ - إن الاقتداء برسول الله ﷺ يقتضي معرفة شئله وأحواله ﷺ في المجالات المختلفة ومن عرف شئله وأحواله وأحبه واقتدى به، فسينال ما يدخره الله له على ذلك. قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (١).
- ٣ - إن الاقتداء برسول الله ﷺ واتباعه دليل على محبة العبد ربه، وسينال العبد محبة الله له، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (٢).
- ٤ - يقف الدارس لسيرته ﷺ على دلائل معجزاته - دلائل نبوته - مما يقوي ويزيد الإيمان.
- ٥ - إن معرفة ما حفلت به السيرة من مواقف إيمانية عقدية، وقضها الرسول ﷺ وأصحابه لإعلاء كلمة الله، تقوي من عزائم المؤمنين

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) آل عمران: ٣١.

السائرین علی درب الرسول ﷺ، وثبتتھم للدفاع عن الدین والحق، وتقذف فی قلوبھم الطمأنینة.

٦- فی السیرة کثیر من العظات والعبر والحکم الی یتعظ ویعتبر بها کل ذی لب من الحکام والمحکومین، فیعرف من تحدّثه نفسه بالجبروت والکبرياء مال من اتصف بهذه الصفات.

٧- فی سیرته ﷺ دروس کثیرة لجمیع فئات الناس، ومواساة لهم فی کافة أنواع الابتلاءات الی یعرضون لها، لا سیما الدعاة.

٨- إن سیرة الرسول ﷺ هی المثل الأعلى للإنسان الكامل فی جمیع الجوانب.

٩- یجد المرء فی سیرته ما یعینه علی فهم کتاب الله تعالی وسنة رسوله ﷺ.

١٠- یحصل دارس السیرة علی قدر کبیر من المعارف الصحیحة فی علوم الإسلام المختلفة، من عقيدة وشریعة وأخلاق وتفسیر وحديث وسياسة وتربية واجتماع... الخ.

١١- یتعرف الدارس لسیرته ﷺ تطور الدعوة الإسلامية، وما کابده الرسول ﷺ وأصحابه لإعلاء كلمة الله، وما واجهه هو وأصحابه من مشکلات، وكيفية التصرف فی تذلیل تلك العقبات، وحل تلك المشکلات.

١٢- إن معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية ومناسبات أقوال کثیرة للنبي ﷺ وأصحابه لا تعرف إلا بمعرفة السیرة النبوية.

١٣- إن علم الناسخ والمنسوخ فی القرآن الکریم والسنة، لا یتأتی فهمه ومعرفته إلا فی ضوء وقائع السیرة.

١٤- إن المعجزات الی أجزاها الله تعالی علی یدی نبيه محمد ﷺ لا تفهم جیدا إلا فی ضوء معرفة وقائع السیرة الی حدثت خلالها تلك المعجزات.

مصادر السیرة النبوية

١- القرآن الکریم:

لقد تناولت کثیر من الآيات القرآنية الکریمة حياة الرسول ﷺ فی أطوارها

المختلفة، قبل البعثة وبعدها، وهو ما ستلاحظه عند قراءتك هذا الكتاب، أو عند القاء نظرة سريعة على حواشيه في الصفحات المختلفة. وقد ألف الأستاذ محمد عزة دروزة كتاباً في مجلدين تحت عنوان: (سيرة الرسول ﷺ) صورة مقتبسة من القرآن الكريم)، وإن هذا وذاك يدل على أن المصدر الرئيس لسيرة الرسول ﷺ ينبغي أن يكون القرآن الكريم، لأنه نص قطعي الثبوت، بل هو أصح نص عرفته البشرية في تاريخها، وليس من الإيمان أو من أبجديات المنهج العلمي التغاضي عن هذه الحقيقة التي لا تحتاج مني إلى كثير كلام لإثبات ذلك.

وتناول القرآن في حديثه أموراً كثيرة عن العرب قبل الإسلام، وذلك في جميع مجالات حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. كما حدثنا القرآن عن الحضارات القديمة التي كانت في الجزيرة العربية وما جاورها، مما يلقي الضوء على أحوال المجتمعات الإنسانية، قبل وحين ظهور الإسلام.

وحتى تكتمل الاستفادة من القرآن الكريم لمعرفة سيرة الرسول ﷺ، لابد من الرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور، التي ساقَت الأحاديث المسندة لتفسير الآيات المختلفة، وبينت الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، مع مراعاة أن الأحاديث التي يستشهد بها المفسرون ليست كلها على درجة واحدة من حيث القبول؛ فمنها الصحيح والحسن والضعيف والواهي والموضوع. فلإذن لابد أن تقومَ مروياتها ويختار منها ما تثبت صحته، أو يكون صالحاً للاحتجاج به، وفقاً لمعايير أئمة أهل الجرح والتعديل ورجال الحديث.

ومن أشهر وأوثق كتب التفسير بالمأثور تفسير الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ)، والإمام ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ). وقد لخص الإمام السيوطي (ت ٩١١هـ) هذه التفاسير في كتابه: «الدر المشور في التفسير بالمأثور»، وحفظ لنا نصوص ما فقد أو أهمل من هذه التفاسير^(٤).

(٤) انظر: د. فاروق حمادة: مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ص ٣٤ - ٣٥.

٢ - الحديث النبوي الشريف:

عنيت كتب الحديث بجمع أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية. وتناول بعضها طرفا من سيرته ومغازيه وسراياه وبعوثه، سواء كانت أبوابا ضمن كتبهم أو روايات مبثوثة في ثنايا كل أبواب كتبهم. وتتفاوت درجة الاهتمام بأبحاث السيرة بين كتاب وآخر. فنجد البخاري - مثلا - يهتم بسيرة الرسول ﷺ فيفرد كتابا وأبوابا من جامعه الصحيح لسيرته ﷺ قبل مبعثه وبعده، ومغازيه وسراياه وبعوثه، ومكاتباته، وفضائل أصحابه، وزوجاته، إضافة إلى ما هو مبثوث من أحداث السيرة ضمن مرويات كتب وأبواب جامعه الصحيح.

والتأمل في حواشي هذا الكتاب يقف على حقيقة هامة حول هذا الكتاب، وهي أن البخاري كاد أن يغطي أبرز أحداث سيرة الرسول ﷺ. وكذلك الإمام مسلم، فقد أفرد كتابا وأبوابا من صحيحه للحديث عن سيرته ﷺ، ومثال ذلك كتب: الجهاد والسير، فضائل النبي ﷺ، فضائل الصحابة (رضي الله عنهم)، الإمارة. إضافة إلى المرويات الكثيرة المبثوثة في ثنايا الأبواب الأخرى من صحيحه. وهو ما ستلاحظه عند قراءة هذا الكتاب، أو إذا ألقيت نظرة عاجلة على حواشيه. وقد استدرك الإمام الحاكم النيسابوري أحاديث لم يذكرها البخاري ومسلم، وهي حسب معياره على شرطهما أو على شرط أحدهما. وقد تتبعه الإمام الذهبي فوافقه في كثير منها ولم يوافقه في بعضها وسكت عن بعضها، وجاء من بعدهما من تتبعهما ولم يوافقهما في بعض الأحاديث. وفي هذا المستدرك قسم خاص بالمغازي والسير، إضافة إلى الأحاديث الأخرى المبثوثة في ثناياه ذات العلاقة المباشرة بأحداث كثيرة من السيرة.

أما كتب السنن الأربعة فأكثرها ذكرا للسيرة جامع الإمام الترمذي، خاصة في أبواب المناقب. يليه كتاب سنن أبي داود، ثم كتاب سنن ابن ماجه، خاصة كتاب الجهاد، ثم سنن النسائي.

ويضاف إلى ما سبق، فقد حفل كتاب السنن الكبرى للبيهقي بمادة معتبرة

في السيرة.

أما كتب المسانيد، فيترع على قمتها مسند الإمام أحمد، ويبدو لك جليا غزارة مادة السيرة فيه - إذا نظرت في كتاب الجهاد منه بالمجلد رقم ١٣، وكتاب السيرة النبوية بالمجلدات: ٢٠، ٢١، ٢٢ وكتاب المناقب بالمجلد رقم ٢٢، بترتيب البنبا الساعاتي، المعروف بـ «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني» وحسب علمي، فلإنها أغزر مادة في السيرة وجدت في كتاب حديث. والمتأمل في المجلدات المذكورة وفي كتابنا هذا، سوف يقف على هذه الحقيقة، وليس هذا بغريب في كتاب ضخم قيل إنه ضم بين دفتيه نحو ثلاثين أو أربعين ألف حديث، قيل مع المكرر وقيل من دون المكرر^(٥).

ليست كل كتب الحديث على درجة واحدة من الالتزام برواية الصحيح. فكما هو معروف كان على رأس من التزم الصحة في مروياته الإمامان الشيخان البخاري ومسلم. ولذا يتعين على المرء أن ينظر في أسانيد كتب السنن والمسانيد والمستدركات وغيرها من كتب الحديث التي التزمت الإسناد، فيقبل ما هو صحيح أو حسن، فيحتج به، وإذا استأنس بالضعيف فيما دون ذلك، فعليه أن يكون عالما بذلك منها عليه.

ومن نعم الله على عباده أن قيض لهذه الكتب من يقوم بخدمتها - قديما وحديثا - ولذا ترى ان معظم الأحاديث في السيرة وغيرها قد حكم عليه الانمة وبينوا مرتبته، وهو ما ستلمسه عند مطالعتك في هذا الكتاب.

وقد ألقت كتب خاصة تخدم كتب الحديث، وهي كتب التراجم والطبقات والمعاجم. والمتتبع لكتب الطبقات التي تناولت تراجم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ورواة الأحاديث، سيجد فيها كثيرا من الأحاديث التي تتعلق بالسيرة، والتي يمكن تقويمها للاحتجاج بالصحيح والحسن منها، مثل: طبقات ابن سعد والاصابة لابن حجر والاستيعاب لابن عبد البر وأسد

(٥) انظر: المسند (٣٢/١ - ٣٣) شرح لأحمد محمد شاكر، تحت عنوان «طالع الكتاب» - المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد للحافظ شمس الدين بن الجزري.

الغاية لابن الأثير ومعاجم الطبراني، وهو ما ستره واضحا عند قراءتك في هذا الكتاب.

٣ - كتب الشئال:

على الرغم من أن معظم الأحاديث المتعلقة بشئال الرسول ﷺ مشونة في ثنايا كتب الحديث فقد أفرد ها بعض أهل الحديث كتباً وأبواباً في مصنفاتهم. ومثال ذلك انك تجد في صحيح البخاري ما يسمى بـ« كتاب الأدب »، وكتاب الاستئذان وكتاب اللباس، وتجد في صحيح مسلم كتاب: البر والصلة والآداب، وكتاب فضائل النبي ﷺ وكتاب اللباس والزينة وكتاب الزهد والرفائق، وتجد في سنن الترمذي أبواب البر والصلة وأبواب الاستئذان، وتجد في سنن ابن ماجة كتاب الادب وكتاب الزهد.

ومن أهل الحديث من أفرد شئال الرسول ﷺ بالتصنيف مثل ما فعل الإمام الترمذي، حيث ألف كتاب الشئال، الذي اختصره وحققه الشيخ ناصر الدين الألباني، وحققه من قبله الأستاذ الدعاس، ومثل كتاب أخلاق النبي ﷺ وآدابه لأبي الشيخ، والأنوار في شئال النبي المختار للبغوي، وغيرهم.

وجمعت هذه الكتب الصحيح والسقيم، فعلينا ان نأخذ منها ما تثبت صحته.

٤ - كتب دلائل النبوة - المعجزات:

لقد تناثرت أحاديث الدلائل والمعجزات في بطون وثنايا كتب الحديث، ولكن أراد بعض العلماء أن يفردها بالتأليف، وضاع معظمها، ولم يسلم من ذلك سوى النذر اليسير، وأشهرها: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي. وعلى الرغم من أن عنوان كتاب البيهقي يشير إلى أن مضمون الكتاب في الدلائل، إلا أن الحقيقة غير ذلك، إذ إن الكتاب فيه كل شيء استطاع أن يجمعه مؤلفه عن سيرة

الرسول ﷺ وقد طبع في سبع مجلدات، بتحقيق الدكتور عبد المعطي قلعة جي. وهو من أنفس الكتب في السيرة عامة والدلائل خاصة. فقد استفاد مؤلفه من مؤلفات سابقه في الحديث، فجاء مصدرا ومرجعا لا يستغني عنه أي باحث في السيرة.

وقد جمع السيوطي في كتابه «الخصائص الكبرى» طائفة كبيرة من الدلائل التي ذكرت في كتب سابقه من رجال الحديث بصفة خاصة. وتحتاج هذه الكتب إلى مزيد عناية ودراسة وتحصيل لتمييز الصحيح من السقيم، فيستفيد منها من يريد أن يكتب شيئا في ضوء صحيح السيرة أكثر.

٥ - كتب المغازي والسير:

مما لا شك فيه أن معظم أصل مادة كتب المغازي والسير، هي مرويات مبثوثة في كتب السنة، حتى إن المحدثين عندما عرّفوا السنة، جعلوا السيرة جزءاً منها. فقالوا: (إنها كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة).

وكما ذكرنا عند الكلام عن كتب الحديث باعتبارها من مصادر السيرة، لمسنا ما تكونه مادة السيرة من أجزاء في كتب الحديث. وكشأن العلوم الإسلامية المختلفة التي أخذت تنفرد بالتخصص في جوانب معينة، فقد أخذ بعض العلماء - وهم أصلاً محدثون - في إفراد السيرة باهتمام خاص وكتب خاصة.

ولعل أوائل أبرز من اهتموا بالكتابة في السيرة عموماً في القرن الأول الهجري: عبدالله بن عباس (المتوفى سنة ٧٨هـ)، سعيد بن سعد بن عباد الخزرجي، المولود في حياة الرسول ﷺ، وهو والد شرحبيل بن سعيد، وسهل ابن أبي حنمة المدني الأنصاري، المولود سنة ثلاث من الهجرة، والمتوفى في عهد معاوية (رضي الله عنه)، وعروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٢هـ أو ٩٤هـ)، وسعيد بن المسيب المخزومي (ت ٩٤هـ)، وأبان بن عثمان بن عفان (ت ما بين ٨٦ و ١٠٥هـ)، وأبو فضالة عبدالله بن كعب بن مالك

الأنصاري (ت ٩٧هـ).

وفي القرن الثاني الهجري، برز: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت ١٠٧هـ)، وهوب بن منبه (ت ١١٤هـ)، وشرحبيل بن سعيد (ت ١٢٣هـ)، وأبوروح يزيد بن رومان الأسدي (ت ١٣٠هـ)، وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي، يتيم عروة (ت ١٣١هـ)، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٠-١٣٥هـ)، وموسى بن عقبة (ت ١٤١هـ)، ومحمد بن اسحاق بن يسار المظلي المدني (ت ١٥١هـ) ويونس بن يزيد الأيلي (ت ١٥٢هـ)، ومعمرين راشد البصري (ت ١٥٤هـ)، وأبو معشر السندي (ت بعد سنة ١٧٠هـ)، وأبو اسحاق الفزاري (ت ١٨٦هـ)، والوليد بن مسلم الدمشقي (ت ١٩٥هـ).

وبرز في القرن الثالث الهجري: محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) وعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، وسعيد بن المغيرة بن الصياد المصيصي (ت ٢٢٠هـ)، وأحمد بن محمد الوراق (ت ٢٢٨هـ)، ومحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، ومحمد بن عائذ القرشي (ت ٢٢٤هـ)، وسليمان بن طرخان التيمي (ت ٢٤٥هـ)، وهشام بن عمار (ت ٢٤٥هـ)، وسعيد بن يحيى الأموي (ت ٢٤٩هـ)، وعمر بن شبة بن عبيد (ت ٢٦٢هـ).
لقد قسم بعض المؤرخين هؤلاء المؤلفين في السيرة إلى طبقات: أولى وثانية وثالثة ورابعة. فأشهر رجال الطبقة الأولى أبان وعروة وشرحبيل وابن منبه. ولم تصلنا كتبهم، بل وصلنا كثير من مروياتهم في السيرة مبثوثة في بطون كتب اللاحقين من أهل المصنفات الكبيرة في الحديث والتفسير والسيرة. وعثر المستشرق بيكر على قطعة من كتاب المغازي لهوب، بين أوراق بردي شتارينهات المحفوظة الآن بمدينة هيدلبرج الألمانية، برواية عبد المنعم ابن بنت وهب، وهو عند المحدثين من الكذابين. وقام الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، بجمع مرويات عروة في السيرة، برواية أبي الأسود، ونشرها في كتاب بعنوان: (مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير - برواية أبي الأسود يتيم عروة).

ومن أشهر رجال الطبقة الثانية: عبدالله بن أبي بكر وعاصم والزهرى . وكذلك لم تصلنا كتبهم ، بل وصلتنا كثير من مروياتهم في كتب اللاحقين . وقد قام الدكتور سهيل زكار بجمع مرويات الزهرى من بطون الكتب ، ونشرها في كتاب تحت عنوان : (المغازي النبوية ...).

ومن أشهر رجال الطبقة الثالثة: ابن عقبة وابن راشد وابن إسحاق ، وثلاثتهم من تلاميذ الزهرى ، والفزاري والوليد والواقدي وعبدالرزاق والمبصبي وابن سعد والوراق وابن عائذ وابن أبي شيبه وابن طرخان وابن عمار والأموي . وقد وصلتنا أجزاء من كتب معظم رجال هذه الطبقة ، فقد وصلتنا أجزاء من مغازي ابن عقبة ، وهو القطعة التي وجدها ادوارد سخاو ونشرها مع ترجمه ألمانية له سنة ١٩٠٤م ، وأجزاء من سيرة ابن إسحاق ، أهمها الجزء المشهور بسيرة ابن هشام ، ثم الجزء المسمى (السير والمغازي) ، وقد صدرت طبعة منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحيدرابادي ، وأخرى بتحقيق الدكتور سهيل زكار ، وسيرة الرسول ﷺ للفزاري ، حيث وجد منها جزءان بمكتبة جامعة القرويين بالمغرب ، وسينشرها - إن شاء الله - الدكتور فاروق حمادة ، ومغازي الواقدي ، وهو كتاب مطبوع في ثلاث مجلدات ، بتحقيق المستشرق مارسدن جونز . ووصلنا كتاب السيرة لعبد الرزاق ضمن مؤلفه المشهور (المصنف) ، وهو مطبوع متداول . ووصلنا كتاب ابن سعد المعروف بـ (الطبقات الكبرى) ، وطبع في سبعة مجلدات ، المجلد الأول والثاني في السيرة النبوية ، ومعظم مروياته في السيرة من طريق شيخه الواقدي ، فقد نقل عنه في ثلاثة وأربعين ومائة موضع^(٦) .

ووصلنا كتاب ابن عائذ ، ولكنه مازال مخطوطا بالمتحف البريطاني بلندن . ووصلنا كتاب ابن أبي شيبه ، المعروف بـ (تاريخ ابن أبي شيبه) وهو مخطوط ، ومنه نسخة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٦) انظر: زباد محمد منصور، مقدمة تحقيقه لكتاب الطبقات لابن سعد - القسم المتم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، ص ٥١ . فقد أحصى الأستاذ زياد عدد الرويات التي نقلها ابن سعد عن كل شيخ من شيوخه .

ويلاحظ ان من قسم مؤرخي السيرة إلى هذه الطبقات، أهمل ذكر أسماء كثيرة ممن ذكرنا، ولم يضعها في مكانها المناسب من الطبقات. يتفاوت حجم المادة في السيرة بين مؤلف وآخر كما ستراه واضحا من خلال المستشهد به في هذا الكتاب، ومن خلال نظرتك للمطبوع والمخطوط والمتناثر في بطون الكتب. فنجد - مثلا - مادة غزيرة في السيرة عند ابن اسحاق والواقدي وابن سعد والفزاري وعروة بن الزبير والزهري وابن أبي شيبه وابن عتبة، والاموي، بينما نجد مادة أقل نسبيا عند الوليد وابن طرخان وابن عائد وابن عمار... ولم يكن كل هؤلاء المصنفين في السيرة على درجة واحدة من حيث توثيق علماء الجرح والتعديل. فبينما نجدهم يعدلون بعضهم ويضعونهم في طبقات الثقات، نجدهم يجرعون بعضهم ويضعونهم في طبقات المدلسين أو الضعفاء أو المتروكين.

والقائمة الآتية توضح لنا مكانة مشاهير هؤلاء المؤرخين في السيرة عند كبار أهل الجرح والتعديل وكيفية وصول مروياتهم في السيرة النبوية إلينا. سنذكر العلم وتاريخ وفاته بالتقويم الهجري، ثم كيفية وصول مروياته إلينا، ثم تقويمه من كتاب «تقريب التهذيب» لابن حجر، وإذ ذكرنا غيره أشرنا إلى ذلك.

- ١ - سهل بن أبي حثمة. ولد سنة ٣ هـ وتوفي في عهد معاوية (٤١ - ٦٠ هـ). بقيت من كتابه في المغازي نصوص عديدة لدى البلاذري في «أنساب الأشراف» وابن سعد في الطبقات والطبري في تاريخه والواقدي. صحابي صغير. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر.
- ٢ - سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي (ت ٩). بقيت من كتابه في المغازي نصوص محدودة في مسند الإمام أحمد ابن حنبل وتاريخ الطبري ومسند أبي عوانة. صحابي صغير. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر.
- ٣ - عبدالله بن عباس (ت ٧٨ هـ).

مروياته ماثورة في كتب الحديث والتفسير والسير المطبوعة والمخطوطة.

صحابي، والصحابة كلهم عدول بتعديل الله ورسوله.

٤ - عروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ).

رَوَتْ عنه الكتب الستة وغيرها، مثل كتب ابن إسحاق وابن سيد

الناس وابن كثير وابن حجر وابن عبد البر... إلخ.

ثقة، فقيه مشهور، ص ٣٨٩، من التقريب.

٥ - سعيد بن المسيب المخزومي (ت ٩٤ هـ).

من شيوخ الزهري. كتب شيئاً عن حياة الرسول ﷺ والفتوح، رواه

عنه الطبري في تاريخه.

أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، تابعي، ص ٢٤١: التقريب.

٦ - أبو فضالة عبد الله بن كعب بن مالك (ت ٩٧ هـ).

روى عنه ابن إسحاق في كتبه والطبري في تاريخه.

ثقة، ص ٣١٩. التقريب.

٧ - أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠١ - ١٠٥ هـ).

روى عنه الإمام مالك بن أنس في «الموطأ» وابن سعد في «الطبقات»

والطبري في تاريخه واليعقوبي في تاريخه.

ثقة، ص ٨٧. التقريب.

٨ - عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٣ هـ).

روى عنه: أبو إسحاق السبيعي وسعيد بن مسروق الثوري

والأعمش وقتادة ومجالد بن سعيد وخلق كثير.

محدث ثقة مشهور فقيه فاضل، ص ٢٨٧. التقريب

٩ - القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت ١٠٧ هـ).

حفظ لنا الطبري في تاريخه العديد من مروياته، ونجد بعضها عند

البلاذري في أنسابه والواقدي في مغازيه.

ثقة، ص ٣١٩. التقريب.

١٠ - وهب بن منبه (ت ١١٤ هـ).

وجدت قطعة مخطوطة من مغازيه بمدينة هيدلبرج الألمانية، وأخذ عنه ابن إسحاق وابن قتيبة والمسعودي والمقدسي والطبري والكسائي وثعلب. ثقة، ص ٥٨٥. التقريب.

١١ - عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠ هـ). نقل لنا عنه ابن إسحاق والواقدي والطبري، ونقل عنه ابن سعد خبراً واحداً عن سقوط عين قتادة على وجنتيه في معركة أحد. ثقة، ص ٢٨٦.

١٢ - شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة (ت ١٢٣ هـ). روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وابن إسحاق ومالك وغيرهم من أهل الحديث والمغازي.

مقبول، ص ٢٦٥، ووثقه آخرون كابن حبان وابن خزيمة.

١٣ - محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤ هـ). مروياته في الكتب الستة وغيرها، ومن اقتطف من سيرته: الطبري في تاريخه. متفق على إمامته وإتقانه وتوثيقه، ص ٥٠٦.

١٤ - أبو إسحاق السبيعي (ت ١٢٧ هـ). روى عنه الجماعة وغيرهم، أمثال: الأعمش وشعبة والثوري وابن عيينة وإسرائيل بن أبي إسحاق - حفيده - وعبد الغفار بن القاسم وعبد الكريم بن دينار ونوح بن أبي مريم ويونس بن أبي إسحاق. وهذه المرويات مثورة في كتب الحديث والسير. لم يذكر له مؤلف.

ثقة مكثراً عابداً، اختلط بأخراً. ص ٤٢٣.

١٥ - يعقوب بن عتبة بن المغيرة المدني (ت ١٢٨ هـ). روى عنه ابنه محمد ومحمد بن إسحاق وإبراهيم بن سعد وغيرهم.

ثقة، ص ٦٠٨.

١٦ - أبوروح يزيد بن رومان الأسدي المدني (ت ١٣٠ هـ). إقتبس من كتابه في المغازي: الواقدي وابن سعد والطبري في كتبهم المعروفة.

ثقة، ص ٦٠١.

١٧ - أبو الأسود المدني محمد بن عبدالرحمن بن نوفل (ت ١٣١ أو ١٣٧ هـ).
روت عنه الكتب الستة وغيرها. نقل عنه ابن سعد والطبري
والبلاذري وابن حجر وابن كثير وابن القيم وابن سيد الناس
وغيرهم. ولابن حجر في الإصابة ٤٨ قطعة من كتابه في المغازي والسير.
ثقة، ص ٦٠١.

١٨ - عبدالله بن حزم (ت بين سنتي ١٣٠ و ١٣٥ هـ).
توجد مروياته في أغلب كتب الحديث، مثل مسند الإمام أحمد،
ونقل عنه ابن إسحاق والواقدي والطبري وابن كثير.
ثقة، ص ٢٩٧.

١٩ - داود بن الحصين الأموي (ت ١٣٥ هـ).
روى عنه مالك وابن إسحاق وغيرهما.
ثقة إلا في عكرمة، ص ١٩٨.

٢٠ - موسى بن عقبة (ت ١٤٠ - ١٤١ هـ).
مروياته في الكتب الستة وغيرها، ونقل عنه: ابن سعد والطبري وابن حجر
وابن كثير والعصفري والزرقاني. ونشر قطعة منه «ادوارد سخاو» سنة
١٩٠٤م بعنوان: «المنتقى من مغازي موسى بن عقبة» عن مخطوطة
وجدها ببرلين. وتوجد قطعة منه ضمن أمالي ابن الصاعد كما ذكر
الدكتور الأعظمي في «دراسات». وجمع الدكتور العمري كثيراً من
مروياته، ونشرها في بحث بمجلة كلية الدراسات الإسلامية،
بغداد، العدد الأول، عام ١٣٨٧ هـ.
ثقة، ص ٥٥٢.

٢١ - سليمان بن طرخان التيمي (ت ١٤٣ هـ).
كتب كتاب: «السيرة الصحيحة»، وفقدت إلا سبعة وسبعين صفحة
منها، نشرها المستشرق «فون كريمر» في ختام كتاب المغازي
للواقدي، الذي طبع بكلكتا عام ١٨٥٦م. وتوجد مروياته في
الكتب الستة وغيرها، برواية ابنه معتمر، وعند الأشبيلي

(ت ٥٧٥ هـ)، والسهيلي في الروض الأنف، وابن حجر في مؤلفاته المختلفة.

ثقة عابد، ص ٢٥٢.

٢٢ - محمد بن إسحاق (ت ١٥٠ أو ١٥١ هـ).

نشرت قطعة من مروياته بتهذيب ابن هشام، وهي المشهورة بسيرة ابن هشام برواية البكائي. ونشر الدكتور سهيل زكار ومحمد حميد الله قطعة منها برواية يونس بن بكير وأخرى برواية محمد بن سلمة وسينشر - إن شاء الله - محمد حميد الله قطعة أخرى. ومنها مقتصات مثورة في كتب الحديث والتاريخ والأدب. صدوق يدلّس، فإذا صرح بالتحديث وإسناده متصل ورواته ثقات، فحديثه حسن لذاته.

٢٣ - يونس بن يزيد الأيلي (ت ١٥٢ هـ).

من رواة علم الزهري. روى له الجماعة وغيرهم. ثقة، إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلاً، وفي غيره خطأ، ص ٦١٤.

٢٤ - معمر بن راشد (ت ١٥٠ - ١٥٣ هـ).

اقتبس منها أهل الحديث والمغازي والتاريخ، أمثال: الواقدي والبلاذري وابن سعد والطبري. توجد نسخة من مغازيه بالمعهد الشرقي بشيكاغو، نشرته نبيهة عبود، وما تزال قطعة منه مخطوطة، في إسلامبول والرباط ودمشق. ثقة ثبت فاضل، ص ٥٤١.

٢٥ - أبو محمد عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحنفي (ت ١٦٢ هـ).

روى عنه فليح بن سليمان وسعيد بن أبي مريم والقعنبي والواقدي. صدوق بخطي، ص ٣٤٥ ووثقه آخرون.

٢٦ - محمد بن صالح بن دينار (ت ١٦٨).

روى عنه في السيرة: الواقدي والدروردي وغيرهما. صدوق بخطي، ص ٤٨٤. ووثقه أحمد وابن حبان.

- ٢٧ - عبدالله بن جعفر المخرمي المدني (ت ١٧٠).
وردت له مرويات في السيرة عن كثير من أهل الحديث والمغازي.
ليس به بأس، ووثقه أحمد والعجلي، ص ٢٩٨.
- ٢٨ - أبو معشر السدي (ت ١٧٠).
اقتبس منه الواقدي وابن سعد والطبري وابن حجر. احتج بتاريخه
الأئمة، ولكنهم ضعفوه في الحديث.
ضعفه ابن معين والنسائي ووثقه أحمد. التقريب ص ٥٥٩ تذكرة
الحفاظ (١/٢٣٥).
- ٢٩ - عبد الملك أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم المدني (ت ١٧٦ - ١٧٧).
روى عنه ابن إسحاق وابن وهب وشريح بن النعمان والجوهري
وعبد الله بن صالح العجلي.
ثقة - كما في التهذيب ٦/٣٨٧ - ٣٨٨.
- ٣٠ - علي بن مجاهد بن مسلم القاضي الكاظمي (ت بعد سنة ١٨٢).
له مرويات في بعض كتب الحديث، فهو من شيوخ الإمام أحمد،
ومن رجال الترمذي.
متروك، ليس في شيوخ أحمد أضعف منه، ثقة عند الترمذي عندما
يروى عن ثعلبة عن الزهري - انظر، تهذيب ٧/٣٨٧.
- ٣١ - زياد البكائي (ت ١٨٣).
من رواية سيرة ابن إسحاق، وروى عنه جماعة، منهم: الإمام أحمد
وأحمد بن عبده الضبي وأبو غسان النهدي وإسماعيل بن توبة وسهل
ابن عثمان ويوسف بن حماد وعمرو بن زرارة وابن هشام صاحب السيرة.
صدوق، ثبت في المغازي - تهذيب ٣/٣٧٥.
- ٣٢ - أبو إسحاق الفزاري إبراهيم بن محمد بن الحارث (ت ١٨٦).
اقتبس من سيرته الأشبيلي في الفهرست، ومنها جزءان مخطوطان
بالقرويين، سخرجهما إلى النور أحد الباحثين قريبا - إن شاء الله.
ثقة، ص ٩٢.

- ٣٣- سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري (ت ١٩١ هـ).
من رواة سيرة ابن إسحاق. روى عنه الطبري كثيراً. له كتاب في
السيرة لم يصلنا بعد.
صدوق كثير الخطأ، ضعيف عند المحدثين، وثقه ابن معين في
المغازي وابن حبان - التهذيب (٤/١٥٣ - ١٥٤).
- ٣٤- يحيى بن سعيد الأموي (ت ١٩٤).
ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون أنه ممن صنفوا في المغازي.
روى عنه ابنه سعيد وأحمد وإسحاق وابن معين.
صدوق يُعرب، وثقه ابن سعد وابن معين - التقريب ص ٥٩٠
التهذيب ٢١٣/١١ - ١٤.
- ٣٥- الوليد بن مسلم الدمشقي (ت ١٩٥ أو ١٩٦ هـ).
روى مغازيه ابن خير الأشبيلي في الفهرست.
ثقة، ولكنه كثير التدليس، ص ٥٨٤
- ٣٦- يونس بن بكير (ت ١٩٩ هـ).
من رواة سيرة ابن إسحاق، وله ذيل عليها. روى عنه ابنه عبد الله
وابن معين وأبو بكر بن أبي شيبة وبوغرهم.
صدوق يخطئ انظر: التهذيب (١١/٤٣٥).
- ٣٧- أبو حذيفة إسحاق بن بشر بن محمد البخاري (ت ٢٠٦ هـ).
ذكر ابن النديم أن له كتاب المبتدأ. وصل منه إلينا قسماً: الرابع
والخامس عن السيرة، بالكتابة الظاهرية، مجموع ٧١ (الأوراق من
١٥٠ - ١٦٣)، انظر: تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، المجلد
الأول، الجزء الثاني، ص ٩٩. وهناك مقبسات منه في الإصابة لابن حجر...
ضعيف في الحديث. كذبه ابن المديني وابن حبان والدارقطني وابن
حجر - انظر: لسان الميزان (١/٣٥٤).
- ٣٨- أبو العباس وهب بن جرير بن حازم الأزدي (ت ٢٠٦ هـ).
روى سيرة ابن إسحاق، ورويت عنه بعض الأخبار في السيرة.

وأشهر من روى عنه: ابن حنبل وعلى بن المديني ويحيى بن معين
وابن راهويه... إلخ.

ثقة حافظ، ص ٥٨٥

٣٩- محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ).

طبع كتابه بتحقيق مارسدن جونز، ونقل إلينا الطبري وابن سيد
الناس وغيرهما طرفاً من مروياته الأخرى في السيرة.

متروك مع سعة علمه، ص ٤٩٨

٤٠- الهيثم بن عدي بن عبدالرحمن الثعلبي (ت ٢٠٧ هـ).

له كتاب التاريخ وغيره. لم يصل من مروياته في السيرة سوى ما
نقله عنه الطبري والبلاذري وابن قتيبة والمسعودي.

قال ابن حجر في اللسان (٢٠٩/٦) كذبه البخاري ويحيى وأبوداود
والنسائي... وقال: كان إخبارياً علامة.

٤١- عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ).

توجد مروياته في الكتب الستة وغيرها، وقد طبع مصنفه وفيه السيرة.

ثقة حافظ، ص ٣٥٤.

٤٢- ابن هشام: عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣ - ٢١٨ هـ).

لخص سيرة ابن إسحاق وله عليها زيادات قليلة وقد اشتهرت باسم:
«سيرة ابن هشام».

قال السيوطي: وثقه القفطي - انباه الرواة ٢/ ٢١١ - ووثقه أبوسعبد

ابن يونس - بغية الوعاة ص ٣١٥ وغيرها.

٤٣- سعيد بن المغيرة المصبغي (ت ٢٢٠).

وجدت له مرويات في سنن النسائي.

ثقة، ص ٢٤١

٤٤- الأزرقي: أبوالوليد محمد بن عبدالله (ت ٢٢٣ هـ).

تناول سيرة الرسول ﷺ في كتابه المطبوع: «أخبار مكة».

.....

٤٥ - علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥).
له مؤلف في السيرة - انظر: ترجمته في لسان الميزان للعسقلاني. تناول موضوعات من السيرة أفردتها في مصنف، تناولت جوانب اقتصادية واجتماعية.
ضعفه ابن عدي والعسقلاني في الحديث. ورد في ترجمته ما يدل على صدقه في الأخبار.

٤٦ - صالح بن إسحاق الجرمي النحوي (ت ٢٢٥ هـ).
له كتاب في السيرة والأخبار عجيب كما ذكر الخطيب في تاريخ بغداد (٣١٤/٩). روى عنه أحمد بن ملاعب المخرمي وأبوخليفة الجمحي، وغيرهما. الخطيب (٣١٤/٩).
ذكر الخطيب أنه كان جليلاً في الحديث والأخبار (٣١٤/٩).
٤٧ - أحمد بن محمد الوراق (ت ٢٢٨).
في سنن أبي داود ومسند أبي يعلى ومصنف يعقوب بن أبي شيبة. صدوق، ص ٨٣.

٤٨ - محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ).
نشر كتابه الطبقات في ثمان مجلدات. الأول والثاني منها في السيرة. وتأتي معلومات كثيرة في السيرة في ثانيا تراجم من ترجم لهم.
٤٨٦ ص صدوق،

٤٩ - محمد بن عائذ القرشي (ت ٢٣٤ هـ).
يوجد منها في سنن أبي داود والنسائي
٤٨٦ ص صدوق،

٥٠ - عبدالله بن محمد بن علي بن نفيل الحراني (ت ٢٣٤).
له كتاب المغازي. روى عنه أبوداود فأكثر والباقون سوى مسلم بواسطة الذهلي..

ثقة حافظ - التقريب، ص ٣٢١. التهذيب (١٦/٦، ١٨)

٥١ - ابن أبي شيبة: أبوبكر عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥)

جاءت مروياته في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي وينسب له كتاب: «أوائل الاسلام» الذي نقحه مؤلف آخر سنة ٣٠٠هـ، ومنه نسخة محفوظة في مكتبة برلين برقم ٩٠٤٩ كما قال الدكتور شاکر (ص ٢٠٨).

ثقة حافظ ثبت، ص ٣٢٠

٥٢ - هشام بن عمار (ت ٢٤٥ هـ).

توجد في صحيح البخاري وسنن أبي داود وسنن النسائي.

صدوق، ص ٥٧٣

٥٣ - سعيد بن يحيى الأموي (ت ٢٤٩ هـ).

توجد في الكتب الستة، ماعدا ابن ماجه

ثقة، ربما أخطأ، ص ٢٤٢

٥٤ - الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ).

من كتبه ذات الصلة بالسيرة: أزواج النبي ﷺ. وهو مطبوع.

وصغير الحجم.

ثقة، ص ٢١٤

٥٥ - أحمد بن الحارث الخراز (ت ٢٥٨ هـ).

له كتاب في مغازي النبي ﷺ وسراياه وأزواجه الطاهرات.

.....

٥٦ - عمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ).

روى السيرة - العهد المدني - في كتابه: تاريخ المدينة المنورة. وقد طبع بعناية الشيخ حبيب محمود أحمد. وأخيراً بتحقيق الشيخ عبدالله الدويش.

صدوق، ص ٤١٣

٥٧ - عبد الملك بن محمد الرقاشي البصري (ت ٢٧٦ هـ).

له كتاب في المغازي. روى عنه ابن ماجه والصنعاني - وهو من أقرانه - وابن خزيمة وابن جرير وآخرون.

صدوق يخطئ، ص ٣٦٥.

٥٨ - إسماعيل بن جميع (ت ٢٧٧ هـ).
ذكر ابن النديم (ص ١١٢) أن له كتاباً في أخبار النبي ﷺ ومغازيه وسراياه.
لم أقف على تقويمه.

٥٩ - ابن أبي خيثمة: أبوبكر أحمد بن زهير بن حرب (ت ٢٧٩).
من أهم كتبه: التاريخ الكبير، وهو من مصادر الطبري والذهبي والخطيب. أورد السيرة بإيجاز وعلى ترتيب السنين. بقيت منه قطعة مخطوطة بالقرويين كما ذكر الدكتور شاکر مصطفى (ص ٢٢٣).
قال ابن أبي حاتم: «كان صدوقاً» الجرح والتعديل (١/١/٥٢).
ووثقه الخطيب كما ذكر ابن حجر في اللسان (١/١٧٤).

٦٠ - أبوزرعة: عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان النصرى الدمشقي (ت ٢٨١ هـ) أو (ت ٢٨٢ هـ).
له كتاب في التاريخ ويتضمن سيرة النبي الكريم وتاريخ الخلفاء الراشدين.
ثقة حافظ مصنف.

٦١ - الثقيفي: إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال (ت ٢٨٣)،
له كتاب في السيرة كما ذكر الصفدي في الوافي (٦/١٢٠) والطوسي في الفهرست (ص ٢٨). لم يذكر من ترجم له أساء من أوصلوا علمه في السيرة إلينا.
لم نقف على توثيق له. كان اخبارياً من مشهوري الإمامية وله تصانيف كثيرة.

٦٢ - الحربي: أبوإسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير (ت ٢٨٥ هـ).

له كتاب في السيرة - كما جاء في ترجمته عند الخطيب (٦/٢٨ - ٤٠) روى عنه موسى بن هارون الحافظ، ويحيى بن صاعد، كما ذكر الخطيب. وثقه الدارقطني كما ذكر الخطيب (٦/٤٠). كان إماماً في

العلم ويقاس بابن حنبل في زهده وعلمه وورعه.

(١) ملاحظة: ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن المحدثين أمثال البخاري ومسلم وبقية الجماعة والإمام أحمد والحاكم وغيرهم قد أسهموا بجهد وافر في التاريخ في السيرة.

من المراجع التي أفادتنا في وضع هذه القائمة:

أ - الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ومغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير.
ب - الأستاذ الدكتور فاروق حمادة: مصادر السيرة النبوية وتقويمها.

ج - الأستاذ الدكتور شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون.
د - المستشرق هورفتش: المغازي الأولى ومؤلفوها.
هـ - أحمد أمين: ضحى الإسلام، الجزء الثاني، الفصل السابع «التاريخ والمؤرخون».

و - مارسدن جونز: مقدمة تحقيقه لمغازي الواقدي.
ز - كتب الحديث والتفسير والمغازي والتاريخ العام التي طالعناها.

ح - الأستاذ الدكتور/ أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه...

ط - الأستاذ الدكتور/ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي - (المجلد الأول - الجزء الثاني - التدوين التاريخي).

على الرغم من شهرة هؤلاء الذين ذكرناهم عند المحدثين، وتوثيقهم لمعظمهم كما ترى، إلا أنه لم يشتهر منهم عند بعض المؤرخين سوى العدد

القليل، وهم: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، وخاصة ابن إسحاق الذي تميز على غيره بأن اشتهرت سيرته بين عامة الناس وخاصتهم. وقد علمت حكم علماء الرجال فيهم من حيث الحديث، أما من حيث معرفتهم بالمغازي والسير، فلم تنكر إمامتهم في هذا الميدان. وحتى ما لحق بعضهم من تجريح في ميدان الحديث لم يكن مجمعا عليه بين علماء الرجال، كما سترى بعد قليل. ويرجع السبب في شهرة سيرة ابن إسحاق بين العامة إلى عدة أمور منها:-

(١) اتباعه أسلوب التسلسل الزمني في إيراد الأحداث. وقد استفاد في هذا من شيخه الزهري الذي صنف سيرته على الحوليات والأبواب. وكان هذا التسلسل المنهجي مبتكرا في عصره.

(٢) كان يجمع كل ما يصله من مرويات عن الواقعة الواحدة ويسوقها مساقا واحدا دون الالتزام الصارم بتميز رواية كل شخص على حدة، وهو ما عابه عليه أهل الحديث، وبذلك جعل السيرة قصة متكاملة شاملة، فأضحت قريبة إلى قلب المستمع، وأيسر للفهم والتلقين والحفظ، لا سيما لدى طلاب العلم المبتدئين.

(٣) سعة علم ابن إسحاق ومكانته العلمية في عصره، وفصاحته في الإيراد.

(٤) أعطاه تهايب ابن هشام بهاء وجلاء، وفتح للعلماء باب الاهتمام بها، فتناولوها بالدراسة والشرح والتعليق، ووصل رواياتها المنقطعة.... وغير ذلك^(٧).

أما شهرة الواقدي وتلميذه ابن سعد^(٨) عند المؤرخين المحدثين فيرجع إلى ذات الأسباب: ١، ٢، ٣، التي أدت إلى شهرة سيرة ابن إسحاق، مع مراعاة تفوق ابن إسحاق في الفصاحة، وقبوله لدى بعض المحدثين. ولأهمية هؤلاء الأعلام الثلاثة في ميدان السيرة، سوف نلقي بعض الضوء على مكانتهم العلمية، ليقف بعض زملائنا المؤرخين والقراء على ذلك.

(٧) انظر في هذه النقاط، الدكتور فاروق حمادة: مصادر السيرة، ص ٧١ - ٧٢.

(٨) مع ملاحظة أن معظم علم ابن سعد في السيرة هو علم الواقدي.

ابن إسحاق:

هو أبوبكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي. كان ولاؤه لقيس ابن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف القرشي، سبى خالد بن الوليد جده يسار من بلده عين التمر، قرب الأنبار العراقية، سنة اثنتي عشرة هجرية.^(٩) نشأ في المدينة المنورة، واهتم بالجلوس إلى العلماء لحفظ الحديث. فقد تتلمذ على القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبان بن عثمان، وأبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف، ونافع مولى عبدالله بن عمر، وابن شهاب الزهري. ورأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب. وتنقل بين كثير من الأمصار الإسلامية الشرقية، ولذا تفرد بأحاديث عن شيوخ من تلك الأمصار. واختلف أهل الحديث في عدالته، فقد وصفه الإمام مالك بن أنس بأنه دجال من الداجلة، واتبه هشام بن عروة بن الزبير بالكذب لأنه كان يروي عن زوجته فاطمة بنت المنذر بن الزبير، وكان هشام ينكر سماع ابن إسحاق عنها، ويقول: «هو كان يدخل على أمراء؟». وروى بالقدر^(١٠) والتشيع ولم يرو له الإمام مسلم في صحيحه إلا مقرونا بآخر، أي روى له في المتابعات. وكذلك لم يرو له الإمام البخاري في صحيحه إلا في المعلقات^(١١). ووثقه جماعة، منهم شعبة بن الحجاج - إمام علم الرجال في عصره - حيث قال عنه: «محمد بن إسحاق أمير المؤمنين - يعني في الحديث»، وقال: «لو كان لي سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين». وكان أصحاب الزهري يلبجؤون إليه فيما شكوا فيه من حديث الزهري، ثقة منهم بحفظه، ووثقه يحيى بن معين، إذ قال عنه: «ابن إسحاق ثبت في الحديث». وسئل

(٩) ابن سعد: الطبقات (٣٢١/٧)، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٢١٤/١)، الذهبي: سير أعلام النبلاء (٣٣/٧).

(١٠) القدرة هم الذين يقولون إن العباد يفعلون مالا يريد الله عز وجل، ولم يقدره من أفعال الشر، مثل القتل والزنا وغير ذلك.

انظر: عبدالله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص ٢٧٢. والمراد بالمعلق: ما حذف من متناً إسناده واحد فأكثر ولو إلى آخر الإسناد، وتارة يجزم به كما في التصدير بكلمة «قال» وتارة لا يجزم به كما في التصدير بكلمة «يذكر».

انظر: ابن حجر: هدي الساري، الفصل الرابع، ص ١٥ وما بعدها. ومثالا للمعلق انظر: البخاري/ الفتح (١٤١/١٥) ك. المغازي/ ب. غزوة العشرة.

عنه فقال: «قال عاصم بن عمر بن قتادة: لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق». ووثقه يحيى بن سعيد القطان وابن حنبل واحتج هؤلاء الأئمة بحديثه، وروى له أصحاب السنن والمسانيد والمستدركات وغيرهم. وروى عنه الأئمة الكبار، أمثال: يحيى بن سعيد الأنصاري - شيخ الإمام مالك - والسفيانان. وما قاله عنه سفيان بن عيينة: «ما أدركت أحدا يتهم ابن إسحاق في حديثه». وروى عنه الحمادان (حماد بن سلمة بن دينار، وحماد بن زيد بن درهم) والثوري، وشعبة وابن جريج. وقال أبو زرعة: «قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ منه». وقال عنه الذهبي: «حسن الحديث، صالح صدوق، وما انفرد به ففيه نكارة، وقد احتج به أئمة...». وذكره البخاري في تاريخه ووثقه ولم يذكره في كتاب الضعفاء. وقال ابن عدي: «فشت أحاديثه الكثيرة، فلم أجد ما تبيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ واتهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره». وقال من وثقه من العلماء إن جرح من جرحه لم تتوافر فيه شروط الجرح المقبول، ولذا ردوا ذلك التجريح، واعترفوا بمنزلة ابن إسحاق. وساق ابن سيد الناس^(١٢) والخطيب البغدادي^(١٣) جميع الأقوال فيه - تقريبا - جرحا وتعديلا، ثم فنداها، وجنحا إلى توثيقه. أما إمامته في المغازي والسير فقد اتفق عليها الجميع^(١٤). وخلاصة رأي المحدثين في حديثه، أنه في مرتبة الحسن لذاته، إذا صرح بالتحديث، وروى بإسناد متصل رجاله ثقات، وذلك لأنه من المدلسين.

(١٢) عيون الأثر في فنون المغازي والسير، ص ص ٨ - ١٧.

(١٣) تاريخ بغداد (١/ ٢١٤ - ٢١٥).

(١٤) انظر ترجمته في كتب تراجم الرجال، وفي الأبحاث التي تناولته، مثل: بحث ابن سيد الناس المشار إليه، ودراسة الدكتور سلهيان بن حمود العودة، في مقدمة رسالته للدكتوراه تحت عنوان: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق - دراسة مقارنة في المعهد المكي، جامعة الإمام، ١٤٠٧هـ، وكتاب الدكتور حمادة: مصادر السيرة النبوية وتقييمها وترجمة محمد بن إسحاق للدكتورين: همام سعيد وأبي صعليك، في مقدمة تحقيقها لسيرة ابن هشام (١/ ١٢ - ٢١). ودراسة الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني عنه في خطبة ومقدمة كتابه: «صحيح السيرة النبوية المسماة بالسيرة الذهبية»، ص ص ٢٠ - ٢٤.

أثر ابن هشام في سيرة ابن إسحاق:

جمع ابن هشام سيرة ابن إسحاق برواية البكائي^(١٥)، ثم تعقب ابن إسحاق في بعض ما أورده بالتحريير والاختصار والنقد، أو بذكر رواية أخرى فات ابن إسحاق ذكرها. ويبدو لنا أثر ابن هشام جليا في سيرة ابن إسحاق عندما نقف على منهجه في نقلها إلينا، إذ يقول: «وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل، على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن من شيء وليس سببا من هذا الكتاب، ولا تفسيرا له، ولا شاهدا عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعرا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء يشنع الحديث بها، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك بمبلغ الرواية له، والعلم به»^(١٦).

وهذا العمل الذي قام به ابن هشام كاد الناس ينسون مؤلفها الأول: ابن إسحاق.

الواقدي:

هو محمد بن عمر بن واقد أبو عبدالله الواقدي المدني، نزيل بغداد، مولى عبدالله بن بريدة الأسلمي.

ضعفه في الحديث أكثر النقاد من المحدثين الأوائل. فقد قال عنه

(١٥) هو زياد بن عبدالله بن الطفيل البكائي العامري (ت ١٨٣هـ) قال عنه ابن حجر في التقریب، ص ٢٣٠:

«صدوق ثبت في المغازي، وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين... وله في البخاري موضع واحد متابعه». قلت: قال السهيلي (٦/١): والبكائي هذا ثقة خرج عنه البخاري في كتاب الجهاد، وخرج عنه مسلم في مواضع من كتابه، وحسبك بهذا تركية وقد روى زياد عن هبذ الطويل، وذكر البخاري في التاريخ عن وكيع قال: زياد أشرف من أن يكذب في الحديث.

(١٦) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية (٣٦/١).

البحاري والرازي والنسائي والدارقطني: إنه متروك الحديث. ووثقه الدراوردي، ويزيد بن هارون، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو بكر الصنعاني، ومصعب الزبيري، ومجاهد بن موسى، والمسيب، وإبراهيم الحربي^(١٧). وأصبح المعول على رأي البخاري وجماعته، ولذا قال ابن حجر في التقریب: «متروك مع سعة علمه». ولم يخرج له من الجماعة سوى ابن ماجه. وقد ساق ابن سيد الناس^(١٨) جميع الأقوال فيه - تقريبا - جرحا وتعديلا، ودافع عنه، وقوى من أمره.

ومع أن أغلب العلماء يضعفونه في الحديث، إلا أن إمامته في المغازي والسير لا تنكر^(١٩).

إن من أهم السمات التي تجعل الواقدي في منزلة خاصة بين أصحاب السير والمغازي، تطبيقه المنهج العلمي الفني، فقد كان يرتب التفاصيل المختلفة للحوادث بأسلوب منطقي لا يتبدل. فهو مثلا يبدأ مغازيه بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم تلك الأخبار، ثم يذكر المغازي واجدة واحدة، مع تحديد لتاريخ الغزوة، وغالبا ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة أو السرية، ثم يذكر المغازي التي غزاها النبي ﷺ وأسماء الذين استخلفهم على المدينة أثناء غزواته، وأخيرا يذكر شعار^(٢٠) المسلمين في القتال.

وإذا كان قد نزل كثير من الآيات القرآنية بمناسبة الغزوة أو السرية المعينة فإنه يفردها بمبحث خاص في نهاية الحادثة، ويفسرها.

(١٧) انظر: ابن حجر: معذيب التهذيب (٣٦٤/٩، ٣٦٥).

(١٨) عيون الأثر، ص ص ١٧ - ٢١.

(١٩) انظر: ابن طرهوني، مرجع سبق ذكره، (٢٤/١ - ٢٩).

(٢٠) مثلا كان شعار النبي ﷺ في إحدى غزواته: أمت - أخرجه أبو داود في الجهاد، باب ٧١، ٩٣. والدارمي في سننه، ك. السير، ب: ١٤. وأحمد في المسند (٤٦/٤)، وأبو الشيخ في: أخلاق النبي، ص ١٥٥. وقال الرسول ﷺ: «إن لقيم العدو فإن شعاركم: حم لا يصرون» أخرجه أبو داود في سننه، ك. الجهاد، ب: ٧١، والإمام أحمد (٦٥/٤، ٢٨٩)، (٣٧٧٥) انظر في هذا كله: الوفا لابن الجوزي - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطاء، ط ١٩٨٨، ص ٧٢٦، حاشية المحقق ٢٨، ٢٩ في تعليقه على الأثر رقم ١٣٩٤ والحديث رقم: ١٣٩٥.

ابن سعد:

هو محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، مولاهم، أبو عبدالله البصري، المعروف بابن سعد، وبكاتب الواقدي، لكونه لازم شيخه الواقدي زماناً طويلاً، وكتب له.

وكاد ابن سعد يسلم من جرح النقاد لولا أن ابن معين كذبه^(٢١). وقد ذكر زياد منصور^(٢٢) أقوال النقاد فيه، وناقشها، ومما قاله في مناقشته: «يتضح انفراد يحيى بن معين في تكذيب ابن سعد، ودفاع الخطيب البغدادي والسمعاني وابن تغري بردي، يبعد عنه ذلك، بالإضافة إلى أن الحفاظ عدوا ابن معين في طبقة المتشددين من بين طبقات النقاد. فلا يقبل قوله إذا انفرد بالجرح وخالفه بقية النقاد...».

وقال: «ويظهر من أقوال النقاد أنهم لم يلمزوه في عدالته، بل عاب بعضهم عليه روايته عن الضعفاء. ويتضح ذلك في قول ابن الصلاح (ت ٢١٣ هـ): «هو ثقة غير أنه كثير الرواية في الطبقات عن الضعفاء ومنهم الواقدي محمد بن عمر»^(٢٣). ومن وثقه أبو حاتم الرازي، وهو من المتشددين أيضاً، والذهبي، وابن حجر، اللذان عليهما التعويل في الموازنة والترجيح بين أقوال قدامى النقاد، والوصول إلى الأحكام المتزنة والأقوال المعتدلة».

«كما لا تعتبر رواية ابن سعد عن الواقدي وغيره من الضعفاء سبباً في الطعن عليه، فقد شاركه في هذا كبار الحفاظ، ومن أسند فقد أحال، وابن سعد يسوق الروايات عن الضعفاء والثقات بالأسانيد، ويراً من العهدة، ولم يقل إن شرطه ذكر الروايات الصحيحة، فلا حجة عليه في ذلك»^(٢٤).

٦ - المؤلفات في تاريخ الحرمين الشريفين:

أفرد بعض العلماء كتباً خاصة في تاريخ مكة والمدينة وما يتعلق بهما من

(٢١) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (٣٢١/٥).

(٢٢) مقدمة تحقيقه الطبقات الكبرى...، ص ٤٢ - ٤٦، والنص المذكور في ص ٤٥.

(٢٣) المرجع نفسه، ص ٤٣، وانظر كلام ابن الصلاح في مقدمة ابن الصلاح، ص ٥٩٩.

(٢٤) المرجع نفسه، ص ٤٦.

أخبار وآثار قبل الإسلام وبعده. ومن أهم الكتب المطبوعة في هذا: تاريخ مكة لأبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقى (ت ٢٥٠ هـ). وقد قام بتحقيقه الشيخ رشدي الصالح ملحقاً. أما الكتب غير المطبوعة في تاريخ الحرمين، فمثل كتاب ابن النجار أبي عبدالله البغدادي محمد بن محمود بن الحسن ابن هبة الله: تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار، أما كتابه: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، فقد نشره محققاً صالح محمد جمال بمكة عام ١٩٦٦م بعنوان: أخبار مدينة الرسول وتاريخ مكة للفاكهى (ت ٢٨٠ هـ)، وقد طبع واستفيلد زياداته على الأزرقى. وله مخطوطات في بعض الخزائن. طبع مصوراً في بيروت سنة ١٩٦٤. وقد حققه عبدالملك بن دهيش عام ١٤٠٧ هـ. وتاريخ المدينة لابن زباله (ت قبل سنة ٢٠٠ هـ) وتاريخ المدينة لابن بكار (ت ٢٥٦ هـ). و«تاريخ المدينة» لعمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ). وقد طبعه الشيخ السيد حبيب محمود أحمد - ناظر أوقاف المدينة المنورة. بتحقيق فهيم شلتوت سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م وفيه مادة غزيرة في السيرة النبوية. و«شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام لمحمد بن أحمد الفاسي (ت ٨٣٢ هـ)، نزيل مكة وقد حققه في مجلدين الدكتور عمر عبدالسلام تدمري سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م. وله أيضاً العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين^(٢٥). ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسهمودي (ت ٩٢٢ هـ). وقد طبع أخيراً في ثلاث مجلدات، بتحقيق محمد محيي الدين عبدالمجيد.

وتتم الاستفادة من هذه المؤلفات بعد النظر في أسانيدها، وتعيين صحيحها من سقيمها، فيعتمد الصحيح ويحتج به في مسائل العقيدة والأحكام، وما سوى ذلك، مثل الخطط والأوصاف والآثار، فلا ضير من الاستئناس به على ضعفه.

٧ - كتب التاريخ العام:

إن هذا الصنف من المؤلفات يتناول تاريخ الأمم والدول والأفراد بشكل عام قبل الإسلام وبعده إلى زمان المؤلف. وكثيراً ما تبدأ من بدء الخلق.

(٢٥) انظر الدكتور: فاروق حمادة، مصادر السيرة، ص ٧٨ - ٧٩.

وهي كثيرة، وأهمها:

(أ) تاريخ الأمم والرسل والملوك:

لابن جرير الطبري، المشهور بتاريخ الطبري. والطبري محدث واسع الرواية، وقد ضمن تاريخه قسماً كبيراً من السيرة، ولكنه يروي الصحيح والضعيف والواهي، ولذا كان مرتعاً خصباً لكثير من أهل الأهواء لتشويه الإسلام وتاريخه، إذ يأخذون الواهي فيحتجون به، ويحيلون القارئ إلى الطبري. ولذا لا بد من النظر في أسانيده في ضوء منهج النقد الحديثي، لأن جل الحفاظ الأقدمين، ومنهم الطبري، يروون في مصنفاتهم الروايات الضعيفة والواهيّة مع سكوتهم عليها في الغالب، لأنهم يرون أنه متى أبرزوا الإسناد فقد برئوا من العهدة، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده. والطبري نفسه يقول في مقدمة تاريخه: «... فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستكره قارئه أو يستشنع سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وإنّا إننا أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا»^(٢٦).

والطبري إمام ثقة.

(ب) تاريخ خليفة بن خياط المعصفر (ت ٢٤٠ هـ):

رتب ابن خياط كتابه على الحوليات سنة فسته، وبدأه بالكلام على كيفية بدء التاريخ الهجري، ثم كتب عن السيرة فصلاً قصيراً في نحو الخمسين صفحة، اعتمد فيه بالدرجة الأولى على محمد ابن إسحاق من رواية بكر بن سليمان^(٢٧) ووهب بن جرير بن

(٢٦) تاريخ الطبري (٨/١).

(٢٧) سكت عنه البخاري، وقال أبو حاتم: هو مجهول. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، (١٠٩٠/٢/١٠٩٠). وابن أبي حاتم: المرح والتمثيل (م/١/٣٨٧).

حازم^(٢٨). وشملت مادة ابن إسحاق عنده سائر الأحداث الهامة المتعلقة بالسيرة بإيجاز، إذ اختصر روايات ابن إسحاق، فأعطى هيكل السيرة دون تفصيل.

وبما أن العصفري كان من المحدثين الثقات الذين أخرج لهم البخاري في الصحيح وغيره، فقد ظهر أثر ذلك في تاريخه، وفي قسم السيرة منه كان يروي بأسانيد عن شيوخه، وفيهم طائفة كبيرة من ثقات المحدثين وأئمتهم، كابن عيينة، ويزيد بن زريع وغندر وإسماعيل بن علي، وفيه أسانيد في غاية الصحة والثقة^(٢٩). قال عنه ابن حجر في التهذيب: «... صدوق ربما أخطأ. إخباري».

ج) كتب أخرى:

ومن كتب التاريخ العام الأخرى الهامة: كتاب «البدء والتاريخ» لابن طاهر المقدسي (ت ٣٥٥ هـ)، وكتاب «فتوح البلدان» لأحمد ابن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، وله كثير من الأسانيد الصحيحة، وتميز بنقل عدد من نصوص العهود والمعاهدات التي كان النبي ﷺ يكتبها للمعاهدين، وكتاب «تاريخ اليعقوبي»، لأحمد ابن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢ هـ)، وقد أهمل الإسناد واهتم بإيراد نماذج من خطب الرسول ﷺ، وكتب أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، مثل: «مروج المذهب» والتنبيه والإشراف، «وفيها يسوق الأحداث مختصرة، وبدون إسناد، وربما يعزو إلى من نقل عنهم أمثال الواقدي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي عبيد القاسم بن سلام» وكتاب «تاريخ دمشق الكبير» لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، حافظ عصره.

(٢٨) وهب: من ثقات المحدثين (ت ٢٠٦ هـ). انظر: تهذيب، ص ٥٨٥ وجريئة، في حديثه عن قتادة ضعف، له أوهام إذا حدث من حفظه. التهذيب، ص ١٣٨.
(٢٩) الدكتور حمادة: مصادر السيرة، ص ٨١، د. العمري: مقدمة تحقيقه لتاريخ ابن خياط، ص ٥ - ١٨.

وفي قسم السيرة منه، ينقل رواياته بالأسانيد، وفي أحيان كثيرة يُقَوِّمُ أسانيدَه، وكتاب «المحبر» لابن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ)، ولكنه لم يهتم بالإسناد، والمعرفة والتاريخ للفوسى، أبي يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٢٧ هـ)، والتاريخ الكبير لابن أبي خيثمة، أبي بكر أحمد بن زهير بن حرب (ت ٢٧٩ هـ)، وعيون الأخبار والمعارف لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٠ هـ)، والأخبار الطوال للدينوري: أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ)، وتاريخ الاسلام للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ).

وهذه الكتب تروي الصحيح والحسن والضعيف بأنواعه، فلا تعتمد رواياتها إلا بعد النظر في أسانيدها^(٣٠).

٨ - كتب الأدب:

إهتم المؤلفون الأقدمون بالشعر المتعلق بالأحداث، على رأسهم ابن إسحاق وابن هشام، وتابعهم في هذا الأئمة بمن فيهم أمثال البخاري ومسلم. إلا أنهم ساقوا الشعر للاستشهاد، وينبغي الاستيثاق من نسبته إلى قائله. ومن بين أهم كتب النثر التي تضمنت نصوصاً نبوية، كتب الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، مثل: البيان والتبيين والحيوان. وبعض هذه النصوص صحيح وبعضها مكذوب. وكتب عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، مثل: المعارف والشعر والشعراء، وقد كان محدثاً كبيراً، ومن علماء القرآن والتفسير، وأديباً عظيماً، وقد عاصر أصحاب الكتب الستة، واشترك معهم في عديد من الشيوخ. وكتاب الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المعروف بالمبرد، وكتب أبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري (ت ٣١٧ هـ)، مثل كتابه: الوقف والابتداء، والأضداد.

وأهم كتب الأدب: «الأغاني» لأبي الفرج على بن الحسين بن محمد

(٣٠) الدكتور حمادة: المرجع نفسه، ص ٨٢ - ٨٨.

القرشي الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)، والعقد الفريد لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي (ت ٣٢٧ هـ).

وفي كتاب الأغاني، يسوق أبو الفرج الأخبار بالإسناد في غالب الأحوال، فاطمان كثير من الباحثين إلى رواياته دون النظر في تقويمها، ولذا كان مرتعا خصبا لأهل الأهواء من المستشرقين ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين، أو من جهل المنهج العلمي لتقويم المصادر.

لقد أعدت دراسات معتبرة حول كتاب الأغاني ومؤلفه، نبهت إلى خطورة الثقة بهما. ومن أبرز هذه الدراسات:

(١) جولة في آفاق الأغاني، بقلم الأستاذ نذير محمد مكتبي - البصائر / ١٠، ص ص ٧ - ١٠٩.

(٢) دراسة الدكتور داود سلوم في شخصية أبي الفرج الأدبية والفكرية من خلال كتابه. وفيه دراسة لمصادره وأسانيده ونصوص رواياته وأخباره...

(٣) دراسة شوقي أبي خلیل في كتابه: «هارون الرشيد...» الفصل الذي عنوانه: «من شوه سيرة الرشيد؟»، ص ص ١٢٣ - ١٣٣.

(٤) الدكتور زكي مبارك: النشر الفني في القرن الرابع الهجري، ص ص ٢٨٨ - ٢٩٠.

فقد تناول جانبا من شخصية أبي الفرج وأبدى رأيه في خلقه الشخصي وفي كتابه من حيث هدف مؤلفه. ونبه إلى فكرة خاطئة، وهي اقتران العبقرية بالنزق والطيش والخروج على ما ألفت الجماهير من رعاية العرف والدين. ونبه إلى أن الخطر كل الخطر، أن يطمئن الباحثون إلى أن لرواية الأغاني قيمة تاريخية، وأن يبنوا على أساسها ما يشاؤون من حقائق التاريخ.

لقد نقل ابن كثير^(٣١) رأى ابن الجوزي فيه، وهو: «ومثله لا يوثق به، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب العشق ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتابه رأى فيه كل قبيح ومنكر، وقد روى الحديث

(٣١) البداية والنهاية (١١/٢٩٤).

عن محمد بن عبدالله بن بطيت وخلق، وروى عنه الدارقطني وغيره
أما العقد الفريد، ففيه فوائد عن السيرة، ينبغي أن تمحص كسائر كتب
الأدب التي تجري على منواله.

كلمة أخيرة عن المصادر:

إن من ألف في السيرة النبوية بعد هؤلاء الذين ذكرنا، قد اعتمد عليهم
اعتمادا كبيرا في تأليفه، وعلى الباحث والمؤلف الحديث أن ينظر في أسانيدهم
ويمحصها، فيحتج بالصحيح منها ويستأنس بالضعيف فيما لا يتعلق بالعقيدة
والأحكام، ويدع الواهي، وينبه إلى كل ذلك ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة.

وتقوينا لكل ما ألف في عصرنا هذا والعصور التي سبقت، يعتمد على
النظر في أسانيدهم، ومن ثم تقويمها. فالمؤلفات التي تبين درجة مروياتها،
وتعتمد الصحيح وتحتج به، فهي الجديرة عندنا بالاهتمام.

ومادامت مادة السيرة النبوية الموجودة في المصادر المحترمة التي أشرنا إليها
غزيرة جدا وصحيحة، فينبغي الاعتماد عليها، إذ لا توجد ضرورة للاعتماد
على الروايات الضعيفة، مع وجود الروايات الصحيحة.

وفي الصفحات التالية سوف نتناول باختصار جوانب من تاريخ الجزيرة
العربية قبل الإسلام لمعرفة البيئة التي ظهر فيها الإسلام ونشأ فيها الرسول
محمد ﷺ.

الجزيرة العربية قبل الاسلام

نشأة مكة:

هاجر إبراهيم (عليه السلام) من العراق إلى الشام، ثم من الشام إلى مصر. وكان يحمل معه في ترحاله هذا رسالة التوحيد^(٣٢). وكانت ترافقه زوجته سارة. وكانت امرأة جميلة. وكان من عادة ملك مصر أن يستأثر لنفسه بكل امرأة جميلة. وشاء الله أن يصرفه عن سارة. وتقلب منه بجمارية لتخدمها، وهي هاجر أم إسماعيل (عليه السلام)^(٣٣).

ولما كانت سارة عقيماً، وطعن إبراهيم (عليه السلام) في السن، وابتض شعره، رأت أن تهب له الجارية هاجر ليتزوجها، لعل الله يرزقه منها ذرية صالحة. وشاء الله أن تلد له هاجر ابنها الأول، فسماه إسماعيل^(٣٤).

واشتدت الغيرة بسارة عندما ولدت هاجر إسماعيل، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء^(٣٥). فالتحذت هاجر منطقاً له ذيل، فشدت به وسطها، وهربت مع زوجها، وهي تجر ذيلها لتخفي أثرها عن سارة. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند مكان البيت الحرام، عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد^(٣٦)، وليس بها ماء. ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفل راجعاً، فتبعتة

(٣٢) انظر الآية ١٢٠ من النحل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. وقصته مع الأصنام ومشركي زمانه مشهورة، حكّاها القرآن في عدة سور، مثل: الأنعام (٧٤ - ٨٣)، والأنبياء (٥١ - ٧٠)، ومريم (٤٦ - ٤٨) والبقرة (٢٥٨ - ٢٦٠) والتوبة (٢٦). أما قصته مع التوحيد في مكة فانظرها في سورة إبراهيم، مثل الآيات: ٣٧، ٩٩-١١١، وفي الصفات: ١٠٢.

(٣٣) انظر: البخاري / الفتح (١٣٤/١٣ - ١٣٥ / ح ٣٣٥٨). وانظر تفاصيل قصتها بهذا الصدد عند ابن حجر في شرحه لهذا الحديث، صص ١٣٤ - ١٣٧.

(٣٤) انظر الخبر من رواية ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص ١٢، بإسناد ضعيف، والأزرقي: أخبار مكة، (٥٤/١). وإسناد الأزرقي ضعيف.

(٣٥) ابن حجر: الفتح (١٣/١٤١) شرح الحديث (٣٣٦٤).

(٣٦) روى الأزرقي (أخبار مكة ٥٤/١)، بإسناد ضعيف، أن العماليق كانت تسكن خارجها.

هاجر، فقالت: «يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟» فقالت له ذلك مرارا، وهو لا يلتفت إليها، فقالت له: «آله الذي أمرك بهذا؟»، «قال: نعم»، قالت: «إذن لا يضيعنا». ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يري، استقبل بوجهه مكان البيت، ثم دعا قائلا: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع﴾، حتى بلغ ﴿يشكرون﴾ (٣٧).

لم يلبث أن نفذ ما عند هاجر من ماء، فعطشت هي وابنها، فكرهت أن تنظر إلى ابنها وهو يتلوى من العطش، فانطلقت حتى قامت على أقرب جبل منها، وهو الصفا، ثم استقبلت الوادي لتنظر، هل ترى أحدا. فلما لم تر أحدا هبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا، فلم تر أحدا. ففعلت ذلك سبع مرات - وذلك سعي الناس بينها كما قال الرسول ﷺ. وفي نهاية المرة السابعة جاءها الملك جبريل وأخذ يبحث بعقبه أو بجناحه عند موضع زمزم، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه، ثم تغرف منه في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف منه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم»، أو قال: «لو لم تغرف من زمزم لكانت زمزم عينا معينا» (٣٨). فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: «لا تخافوا الضيعة، فإن هذا بيت الله، يبينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله».

وبينما هي على هذا الحال، مر بهم أهل بيت من قبيلة جرهم البهائية القحطانية. وعندما وجدوا الماء، استأذنوها في النزول عندها، فأذنت لهم بشرط أن لا يكون لهم حق في الماء، فوافقوا، وأرسلوا إلى بقية أهليهم فنزلوا معهم. وشب الغلام بينهم، تعلم اللغة العربية منهم وأعجبهم حين شب،

(٣٧) انظر الآية ٣٧ من سورة إبراهيم.

(٣٨) وفي رواية للبخاري أنه قال: «يرحم الله أم إسماعيل، لولا أنها عجلت لكان زمزم عينا معينا». انظر: الفتح ١٣/١٤٠ ح ٣٣٦٢.

فلما كبر زوجته امرأة منهم^(٣٩).

وعندما ماتت هاجر جاء إبراهيم، ولم يجد حينها ولده إسماعيل بالبيت، فأخبرته زوجته انه خرج في حاجتهم. وعندما سألتها عن عيشهم، شكت إليه مر الشكوى مما يلاقيناه من شدة، فأوصاها أن تقرئه السلام وتقول له بأن يغير عتبة بيته. فعندما عاد إسماعيل أخبرته زوجته بالذي حدث، فعرف من وصفها أنه أبوه، وفهم الوصية، وفهم أن العتبة تعني زوجته، فطلقها، وتزوج امرأة أخرى. وبعد فترة من الزمان عاد إبراهيم مرة أخرى فلم يجد إسماعيل بالمنزل، وسأل زوجته عن عيشهم، فحمدت الله وأثنت عليه بما وسع عليهم في الرزق، فأوصاها بأن تقرئه السلام وتقول له أن يثبت عتبة بيته. فعندما عاد إسماعيل وأخبر بها حدث، عرف أباه وفهم وصيته، فأمسك عليه زوجته.

ثم غاب إبراهيم ما شاء الله، ثم عاد، ووجد ابنه من وراء زمزم يصلح نبلا له تحت دوحة عظيمة قريبة من زمزم. فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد مع الولد. فطلب إبراهيم من ابنه أن يعينه بها أمره الله به، وهو بناء الكعبة على مكان مرتفع قرب زمزم. فكان إبراهيم يبني ويأتيه إسماعيل بالحجارة، حتى ارتفع البناء، فجاءه بحجر المقام فوضعه له فقام عليه. وكانا يقولان وهما يبنيان: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾^(٤٠)،^(٤١). ليست هذه هي المرة الأولى التي يعين فيها إسماعيل أباه على طاعة الله وتنفيذ أمره. فقد ثبت أن إبراهيم عاد إلى مكة عندما شب إسماعيل، وقد أوحى الله إليه مناما أن يذبحه قربانا لله تعالى. فاستشار إبراهيم ابنه إسماعيل في ذلك قائلا: «يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى» فأجاب إسماعيل قائلا: «... يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين»^(٤٢).

(٣٩) وقيل إن زوجته الأولى كانت من العالقي. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٢٠٩/١).

(٤٠) البقرة: ١٢٧.

(٤١) روى هذه القصة البخاري / الفتح (١٤١/١٣) - ١٥٢ / ح ٣٣٦٤ وح ٣٣٦٥.

(٤٢) انظر هذه الآيات في قصة الذبح والفداء في سورة: الصافات: ١٠٢ - ١٠٧.

وخرج به إلى منى لتنفيذ أمر ربه. ولما تله للجبين والسكين بيده، ناداه ربه: ﴿... ان يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا...﴾ وفداء الله بذبح عظيم ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾^(٤٣)، أي بكبش أملح كبير، فترك الولد وذبح الكبش. وفاز الوالد والولد برضا الله تعالى^(٤٤).

وعندما فرغ إسماعيل وإبراهيم من بناء البيت، أمر الله نبيه إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾^(٤٥)، فقبل صعد (عليه السلام) جبل أبي قبيس أو الحجر أو الصفا، ونادى باسم الله تعالى قائلاً: «أيها الناس! إن ربكم بنى لكم بيتاً فحجوه». فسمع الله نداءه كل مخلوق، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة، فلبى قائلاً: «لبيك اللهم لبيك»^(٤٦).

ودعا إبراهيم وإسماعيل ربهما بما حكاه عنها القرآن الكريم: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم﴾^(٤٧). قال الطبري^(٤٨): «وهذه دعوة إبراهيم وإسماعيل لنبينا محمد ﷺ خاصة، وهي الدعوة التي كان نبينا محمد ﷺ يقول عنها: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى...»».

وعاش إسماعيل بجوار البيت الحرام مع أصهاره جرهم إلى أن بعثه الله رسولا إليهم وإلى كافة من بالحجاز من قبيلة العماليق وأهل اليمن^(٤٩). قال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا

(٤٣) انظر هذه الآيات في قصة الذبح والفداء في سورة: الصافات: ١٠٢ - ١٠٧.

(٤٤) وانظر تفسير الآيات في كتب التفسير، مثل زاد المسير لابن الجوزي (٧١/٧ - ٧٨)، ابن كثير: (٢٢/٧ - ٣٠).

(٤٥) الحج: ٢٧.

(٤٦) انظر تفسير ابن كثير (٤١٠/٥) وهو مضمون ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن جبير وغير واحد من السلف، وأوردها ابن جرير (١٠٦/١٧ - ١٠٧) وابن أبي حاتم مطولة كما قال ابن كثير.

(٤٧) البقرة: ١٢٩. وانظر تفسيرها عند الطبري (٨٢/٣ - ٨٨ / شاك).

(٤٨) التفسير (٨٢/٣ / شاك) وقد رواه أحمد في المسند (١٢٧/٤ - ١٢٨)، والحاكم في المستدرک (٦١٦/٢ - ١٧) بمثل إسناد أحمد، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي. قلت:

«إسناده حسن لأنه من طريق ابن إسحاق، وهو مدلس وقد صرح بالتحديث».

(٤٩) ابن كثير: البداية (٢٠٩/١)، بلون إسناد، فهو ضعيف.

نبياً^(٥٠) وأنجب اثني عشر ولدا ذكرا. وقد سماهم محمد بن إسحاق، ونقل ذلك عنه ابن كثير^(٥١)، وأولها نابت وقيدار. ونابت هو الذي اختير لأن يكون من آباء دعوة إبراهيم وإسماعيل. واختفت حلقات السلسلة الذهبية فيما بين نابت وعدنان لظروف غامضة غير معروفة. وكان عدد الآباء ما بين نابت وعدنان يقدر بستة آباء، وقد عاشوا جميعا بالحرم المكي. ومع هذا لم تضبط أسماء هؤلاء الآباء الستة. وقد جزم الرسول ﷺ بنسبه إلى عدنان، أما أجداده ما بين عدنان وإسماعيل فمختلف فيهم^(٥٢).

وعندما مات إسماعيل دفن مع أمه في الحجر، وكان عمره مائة وسبعاً وثلاثين سنة. ويتسبب كل عرب الحجاز إلى ولديه نابت وقيدار^(٥٣). هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن عهد إبراهيم (عليه السلام) كان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد^(٥٤).

تعدد بناء الكعبة

المرة الأولى: عمارة الملائكة، كما روى الأزرقى^(٥٥).
 المرة الثانية: عمارة آدم (عليه السلام)، كما روى البيهقي^(٥٦) وغيره^(٥٧).
 المرة الثالثة: عمارة أولاد آدم (عليه السلام)، كما روى الأزرقى^(٥٨) وغيره^(٥٩).

-
- (٥٠) مريم: ٥٤. وانظر كذلك في أمر نيوته - مثلاً -: البقرة: ١٣٦. النساء: ١٦٣.
 (٥١) البداية (٢٠٨/١) - بدون إسناد. فهو إذن خبر ضعيف.
 (٥٢) انظر الأقوال في هذا عند ابن عساکر: تاريخ دمشق، قسم السيرة، ص ٣٦ - ٥٣، الذهبي: السيرة النبوية، ص ١٨ - ٢٢، وغيرها.
 (٥٣) ابن كثير: البداية (٢١٠/١). وعن أخبار العرب العاربة والمستعربة، وتاريخ مكة إلى زمان الرسول ﷺ، انظر: البداية (١٧١/٢ - ٢٧١)، ولولا خشية الإطالة للخصنا ذلك.
 (٥٤) انظر: أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ط ٢، العربي للإعلان والنشر، دمشق، ١٩٧٣م، ص ٢٣٣، ومحمد محمد حسن شراب: المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ص ٦١.
 (٥٥) أخبار مكة (٢/١)، وانظر: السهلي: الروض (٢٢٢/١ - ٢٣)، ابن حجر: الفتح (١٤٤/١٣)، البيهقي: الدلائل (٤٤/٢).
 (٥٦) دلائل النبوة (٤٥/٢)، وانظر: ابن حجر: الفتح (١٤٤/١٣).
 (٥٧) انظر في هذا: السيرة الشامية (١٧١/١)، وقال الشامي: «رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والطبراني موقفاً، والأزرقى وأبو الشيخ في العظمة وابن عساکر عن ابن عباس. وفي مكان آخر (٢٤٢/١) - ٤٣ - أورد عدة أخبار وأحاديث في حج آدم. وانظر ابن كثير: التفسير (٢٥٩/١).
 (٥٨) أخبار مكة (٨/١).
 (٥٩) انظر: السيرة الشامية (١٧٢/١) حيث ذكر أن من رواه ابن المنذر.

عن وهب بن منبه . وذكر السهيلي^(٦١) أن الذي بناها شيث بن آدم (عليه السلام).

المرة الرابعة: عمارة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) التي ذكرناها، وجزم ابن كثير^(٦٢) بأن هذا كان أول بناء. قال: «ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان منبياً قبل الخليل (عليه السلام)، ومن تمسك في هذا بقوله: ﴿.. مكان البيت..﴾ فليس بناهض ولا ظاهر، لأن المراد مكانه المقدر في علم الله، المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه، من لدن آدم إلى زمان إبراهيم». وقال الشامي^(٦٣) معلقاً على كلام ابن كثير هذا: .. وفيه نظر لما ذكر من الآثار السابقة واللاحقة.

المرة الخامسة والسادسة: عمارة العليق ثم جرهم، كما نقل الشامي^(٦٤) من رواية ابن أبي شيبه وإسحاق بن راهويه في مسنده، وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن علي (رضي الله عنه). قال السهيلي^(٦٥): «وقد قيل إنه بني في أيام جرهم مرة أو مرتين؛ لأن السيل كان قد صدع حائطه، ولم يكن ذلك بنياناً على نحو ما قدمنا، إنما كان إصلاحاً لما وهى منه، وجداراً بني بينه وبين السيل، بناء عامر الجارود، وقد تقدم هذا الخبر».

المرة السابعة: عمارة قصي بن كلاب - جد النبي (عليه السلام) - قال الشامي^(٦٥): «نقله الزبير بن بكار في كتاب النسب، وجزم به الإمام أبو إسحاق الماوردي في الأحكام السلطانية^(٦٦)».

المرة الثامنة: عمارة قريش، حين كان للرسول (عليه السلام) خمسة وثلاثون عاماً، كما سيأتي ذكره هنا في البحث الخاص بمشاركة الرسول (عليه السلام) في بناء الكعبة.

(٦٠) الروض الأنف (٢٢١/١) وعنده أنها المرة الأولى.

(٦١) البداية والنهاية (١٧٨/١).

(٦٢) سبل الهدى والرشاد (١٧٢/١).

(٦٣) المرجع نفسه (١٩٢/١).

(٦٤) الروض الأنف (٢٢٢/١).

(٦٥) سبل الهدى والرشاد (١٩٢/١).

(٦٦) ص ١٤٣، طبعة دار السعادة، ١٣٢٧ هـ.

المرّة التاسعة: عبارة عبدالله بن الزبير، كما روى الشيخان^(٦٧) وغيرهما. وسيأتي ذكره في الفصل الأول، المبحث رقم (٢٣) - الأسلوب الثامن من أساليب المشركين في الصد عن سبيل الله - آخر فقرة منه، ص ١٧٧. المرة العاشرة: عبارة الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان الأموي، كما روى الإمام مسلم^(٦٨). وعندما شكك عبد الملك في سماع ابن الزبير من خالته عائشة (رضي الله عنها) حديث الرسول ﷺ: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية - أو قال: بكفر - لهدمتها وجعلت لها غلقاً وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر»، أكد له الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة - المعروف بالقبايع وأخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر المشهور - أنه سمعه منها، فندم على نقضه وإعادته^(٦٩).

وروي أن الرشيد العباسي عزم على نقضها وإعادتها كما بناها ابن الزبير، فقال له مالك بن أنس: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك، لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره، فتذهب هيئته من قلوب الناس. فصرفه عن رأيه فيه^(٧٠).

دلت الآيات القرآنية التي نزلت في شأن بناء الكعبة والأحاديث الصحيحة التي رواها البخاري وغيره على أن أول من بنى الكعبة هو إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام). وقد كان مكان البيت ربوة عالية مشرفة على ما حولها، معروفة للملائكة، ولبن سبق من الأنبياء وبقعة مشرفة معظمة من قديم الزمان حتى جاء الخليل فأسس قواعده وبناءه.

أما الروايات التي تقول ببناء الكعبة قبل هذا فأغلبها موقوفة على بعض الصحابة أو التابعين، ورواها أهل التاريخ والسير كالأزرقي والفاكهي وبعض

(٦٧) انظر الشامي: سبل الهدى والرشاد (١٩٢/١ - ١٩٦).

(٦٨) صحيحه (٩٧١/٢ ح ٩٧٢/١٣٣٣).

(٦٩) مسلم (٩٧٢/٢ ح ٩٧٣/١٣٣٣)، السهيلي (٢٢٢/١)، الشامي (١٩٦/١).

(٧٠) قال ابن كثير إن الذي أراد نقضها هو المهدي بن المنصور. انظر: البداية والنهاية (١٨٠/١) وقال السهيلي (٢٢٤/١) إن أباجعفر المنصور وابنه محمد المهدي زادا في إنقان المسجد وتحسين هيئته. وقال الدكتور البوطي: «هذا وفي شرح النووي على مسلم والفتح على البخاري، أن الذي هم بنقض الكعبة هو الرشيد، وذكر في عيون الأثر [٥٣/١] وإعلام الساجد أنه أبوجعفر المنصور، ومعلوم أن مالكا - يرحمه الله - عاصر كلا من المنصور وهارون الرشيد، فلاحتيال قائم».

المفسرين والمحدثين الذين لا يلتزمون بإخراج الروايات الصحيحة أو الخسنة. وقد مر بك قول ابن كثير: «ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل (عليه السلام)».

ويقول أبوشهية^(٧١) بعد ترجيحه كلام ابن كثير -: «ولا ينافي ما رجحناه وذهبنا إليه ما روي: أنه ما من نبي إلا وقد حج البيت» مارواه أبويعلى في مسنده بسنده عن ابن عباس، قال: حج رسول الله ﷺ، فلما أتى وادي عسفان قال: «ياأبا بكر، أي وادٍ هذا؟» قال: هذا وادي عسفان، قال: «لقد مر بهذا نوح وهود وإبراهيم على بكرات^(٧٢) لهم حر، خطمهم^(٧٣) الليف، وأزرهم العباء^(٧٤)، وأرديتهم النهار^(٧٥) يحجون البيت العتيق»، وما رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن ابن عباس، قال: لما مر النبي ﷺ بوادي عسفان حين حج قال: «ياأبا بكر، أي وادٍ هذا؟» قال: وادي عسفان، قال: لقد مر به هود وصالح (عليهما السلام) على بكرات حر، خطمها الليف، وأزرهم العباء، وأرديتهم النهار، يلون يحجون البيت العتيق». إسناده حسن. لأن المقصود الحج إلى محله، وبقسته المعروفة، وإن لم يكن ثم بناء^(٧٦).

عمل ابن الزبير وغيره في عمارة الكعبة:

عندما قرر ابن الزبير تجديد الكعبة، باشر المسلمون نقضها حتى بلغوا بها الأرض، فأقاموا أعمدة من حولها وأرخوا عليها الستور، ثم باشروا في رفع بنائها، وزادوا فيها الأذرع الستة التي أنقصتها منه قريش، وزادوا في طولها إلى الساء عشرة أذرع، وجعلوا لها بابين من الشرق والغرب، أحدهما

(٧١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/١٢٦).

(٧٢) بكرات. جمع بكرة، وهي الناقة الفتية القوية.

(٧٣) خطم: جمع خطوم، وهو الزمام الذي تشد به الناقة.

(٧٤) أزر: جمع إزار، وهو ما يستر به أسفل الجسم من الوسط.

(٧٥) أردية: جمع رداء، وهو ما يوضع على الكتفين ويستر به النصف الأعلى. والنهار جمع نمرة، وهو الكساء المخطط.

(٧٦) ابن كثير: البداية والنهاية (١/١).

يدخل منه والآخر يخرج منه. وذلك استناداً إلى قول الرسول ﷺ: الذي رواه الشيخان: «يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم»، أوفي معنى هذا.

وذكر الأزرقى^(٧٧) أن إبراهيم (عليه السلام) جعل طول بناء الكعبة في السماء تسعة أذرع وطولها في الأرض اثنين وثلاثين ذراعاً وعرضها في الأرض اثنين وعشرين ذراعاً، وكانت بغير سقف. وحكى السهيلي^(٧٨) أن طولها في السماء كان تسع أذرع من عهد إسماعيل، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع، فكانت ثمانية عشر ذراعاً، ورفعوا بابها عن الأرض، فكان لا يصعد إليها إلا في درج أو سلم، وقد ذكرنا أن أول من عمل لها غلقاً هو تبع، ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع، فكانت سبعاً وعشرين ذراعاً، وعلى ذلك هي الآن.

لم يكن للمسجد الحرام سور. وكانت تحيط به الدور من كل الجهات، وعندما رأى ابن الخطاب أن المسجد قد ضاق بالحجاج والزوار، اشترى الدور التي حوله من أهلها فوسعه وجعل له سوراً على قامة الرجل، وأناره^(٧٩). وعندما رأى عثمان (رضي الله عنه) أن المسجد أيضاً قد ضاق بالحجاج والمعتمرين، اشترى دوراً أخرى فوسع بها الحرم^(٨٠). وكذلك فعل ابن الزبير^(٨١).

ولم يزل الخلفاء والأمراء من ذلك الزمان يتعهدون الحرم بالتوسعة^(٨٢) إلى زماننا هذا الذي يشهد فيه أضخم توسعة على يد الحكومة السعودية.

(٧٧) تاريخ مكة (٦٤/١) وانظر: الزركشي: اعلام الساجد (ص ٤٦)، وابن حجر: الفتح (١٤٩/١٣).

(٧٨) الروض الأنف (٢٢١/١).

(٧٩) الأزرقى (٦٨/٢ - ٦٩)؛ السهيلي: الروض (٢٢٤/١).

(٨٠) الأزرقى (٦٩/٢) السهيلي: الروض (٢٢٤/١).

(٨١) الأزرقى (٦٩/٢ - ٧٠).

(٨٢) انظر: الأزرقى (٧١/٢) وما بعدها، فقد ذكر أولئك الذين وسعوا الحرم إلى زمانه.

مقام إبراهيم (عليه السلام)

المقام: هو الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم (عليه السلام) لما ارتفع البناء عن قامته كما ذكرنا، وقد تركت قدماء أثراً فيه، وظل هذا الأثر إلى أول الإسلام، غير أنه أذهبته مسح الناس بأيديهم. وفي هذا يقول أبوطالب: وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل^(٨٣).

وقد روي أن المقام كان ملصقاً بحائط الكعبة، على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فأخره عن البيت قليلاً توسعة على الطائفين والمصلين عند المقام، ووافق الصحابة على عمل الفاروق^(٨٤).

وقد سبق وأن وافق الله تعالى على قوله لرسول الله ﷺ: «لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى»، فأنزل الله تعالى «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى»^{(٨٥)(٨٦)}.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إبراهيم (عليه السلام) بنى أيضاً المسجد الأقصى، وقيل إن يعقوب (عليه السلام) هو الذي أسسه. وقد كان بين البناءين أربعون عاماً، كما قال الرسول ﷺ^(٨٧).

(٨٣) ابن كثير: البداية والنهاية (١/١٧٨ - ١٧٩) والتفسير (١/٢٤٦).
(٨٤) أحمد: فضائل الصحابة (١/٣٢٤) من طريق عبد الرزاق، بإسناد صحيح إلى عطاء؛ انظر المصنف (٤٨/٥) مثله، وله شاهد صحيح عن مجاهد، أخرجه عبد الرزاق؛ الأزرقى أخبار مكة (٢/٣٣). قال الحافظ في الفتح (٨/١٦٩) ط. السلفية بالقاهرة: «... وأخرج البيهقي عن عائشة مثله. بسند قوي ولفظه أن المقام كان في زمن النبي ﷺ وفي زمن أبي بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر... وقد أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عينة قال: «كان المقام في سقم البيت في عهد رسول الله ﷺ فحولوه عمر فجاء سيل فذهب به فردّه عمر إليه. قال سفيان لا أدري أكان لاصقاً بالبيت أم لا». وانظر أحمد: الفضائل (١/٣٢٥) حاشية المحقق. وقال ابن كثير في التفسير (١/٢٤٦) بعد إيراد أثر عطاء ومجاهد عند عبد الرزاق وأثر عائشة عند البيهقي: «وهذه إسناد صحيح مع ما تقدم» وقال بعد إيراد أثر سفيان عند ابن أبي حاتم: «فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه».

(٨٥) البقرة: ١٢٥.

(٨٦) رواء البخاري (١/٥٠٤)، وأحمد: المسند (١/٢٣) وفي فضائل الصحابة (١/٣١٥ - ١٦) ح (٤٣٥) و(١/٣٤٢) ح (٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥) بإسناد صحيح.

(٨٧) البخاري/الفتح (١٣/٢١٨ - ٢١٩) ح (٣٤٢٥)؛ مسلم (١/٣٧٠) ح (٥٢٠).

أما الحديث الذي رواه النسائي^(٨٨)، وفيه أن سليمان بن داود (عليهما السلام) هو الذي بنى المسجد الأقصى، فالمقصود بالبناء هنا هو التجديد كما ذكر السيوطي^(٨٩) وابن القيم^(٩٠) وابن حجر^(٩١) واستعمال البناء بمعنى التجديد وارد في اللغة العربية، كما قال الدكتور أبوشهبة^(٩٢).

حالة العالم حين بعث محمد ﷺ :

لقد عاشت البشرية في ظلام من الجاهلية في القرنين السادس والسابع الميلاديين، إذ سادت الوثنيات والخرافات والعصبية والقبلية والطبقيات والمفاسد الاجتماعية والسياسية. وحرفت معظم الأفكار الإصلاحية السليمة، سواء التي جاء بها أنبياء الله المرسلون أو الحكماء الذين استقامت فطرهم على الحق. وقد عبر الرسول ﷺ عن هذه الحقيقة في قوله: «إن الله نظر إلى سكان العالم فمقتهم، عربهم وعجمهم جميعاً إلا بقايا من أهل الكتاب»^(٩٣).

وفي الصفحات القليلة التالية، نذكر باختصار، ما كانت عليه البشرية في تلك الفترة، لبيان ضرورة رسالة النبي ﷺ وما تضمنته من أسس ومعايير، كانت ومازالت وستظل، عوامل رئيسة في بناء الحضارة الإنسانية.

(٨٨) السنن (٣٤/٢) بإسناد صحيح كما ذكر الشارح - السيوطي (٣٣/٢).

(٨٩) المصدر والمكان تفسيهما.

(٩٠) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٩/١ - ٥٠).

(٩١) الفتح (١٥٢/١٣) وصحح إسناده النسائي.

(٩٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١٣٤/١).

(٩٣) أخرجه مسلم ضمن حديث طويل. والمراد بأهل الكتاب هنا: الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تحريف.

١ - في الجزيرة العربية :

أ- الحالة السياسية

الملك باليمن :

إن من أقدم الشعوب التي عرفت باليمن من العرب العاربة قوم سبأ، الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم . ويبدأ ازدهار حضارتهم ونفوذ سلطانهم بأحد عشر قرناً . وفي سنة ثلاثمائة الميلادية غلبت على ملكهم قبيلة حمير، ثم بدأت اليمن في دور الانحطاط، وأخذت القبائل القحطانية في الهجرة إلى البلاد المختلفة.

وتوالت عليهم الاضطرابات والحروب الأهلية في المائتين والسبعين سنة التي سبقت دخول الإسلام اليمن، مما أتاح للأجانب القضاء على استقلالهم . فدخلت الرومان عدن، وبمعونتهم احتلت الأحباش اليمن لأول مرة، سنة ٣٤٠ م، مستغلين التنافس بين قبيلتي همدان وحمير، واستمر احتلالهم إلى سنة ٣٧٨ م . ثم نالت اليمن استقلالها، ولكن سلط الله عليهم سيل العرم سنة ٤٥٠ م أو ٤٥١ م فهدم سد مأرب الذي جعله الله مصدر نعمة ورخاء لهم^(٩٤) . وكل ذلك بسبب عتوهم وفسادهم وانحرافهم . وهذه سنة الله في ذلك .

وفي سنة ٥٢٣ م قام ملكهم ذو نواس بحملة ضد المسيحيين لصفهم عن دينهم، فلما أبوا، حفر لهم أخدوداً، وأوقد فيه ناراً، فقتلهم فيها، وهم الذين حكى الله تعالى خبرهم في الآيات : ﴿ قتل أصحاب الأخدود . النار

(٩٤) انظر: البعقوبي: التاريخ (٢٠٥/١).

ذات الوقود... ﴿٩٥﴾ وكان ذلك سببا في تحريض الروم الأحباش لاحتلوا اليمن للمرة الثانية بقيادة أرياط سنة ٥٢٥م، وظل حاكما على اليمن إلى أن اغتاله أبرهة - أحد قواد جيشه. وحكم مكانه بعد أن نال رضى ملك الحبشة. وقام أبرهة بمحاولة هدم الكعبة بمكة، ولكن الله رده بقوته، كما حكى ذلك القرآن الكريم في سورة الفيل.

واستعجد اليمانيون بالفرس فأعانوهم على إجلاء الأحباش سنة ٥٧٥م، بقيادة معديكرب بن سيف بن ذي يزن الحميري، وملكوهم عليهم. وكان قد أبقى جمعا من الحبشة لخدمته، فأغثالوه، ويموته انقطع الملك عن بيته، وولى كسرى عاملا فارسيا على صنعاء، وجعل اليمن ولاية فارسية. وكان آخر ولايتهم باذان، الذي اعتنق الإسلام، وبإسلامه انتهى نفوذ الفرس في بلاد اليمن^(٩٦)، وكان إسلام باذان في جهادي الأولى سنة سبع من الهجرة/ ٦٢٨م^(٩٧).

الملك بالحيرة:

حكمت الفرس العراق وما جاورها منذ أن جمع شملهم قوروش الكبير (٥٥٧ - ٥٢٩ ق.م) ثم فرق شملهم الاسكندر المقدوني سنة ٣٢٦ ق.م. عندما هزم ملكهم دارا الأول، ودخلت البلاد في حكم الطوائف إلى سنة ٣٣٠م. وفي عهد هؤلاء الملوك هاجر القحطانيون وسكنوا جزءا من ريف

(٩٥) البروج: ٤ - ٨.

وقد روى طرفا من قصتهم اليعقوبي في تاريخه (١/ ١١٩)، دار صادر ودار بيروت، بيروت.

١٩٦٠/١٣٧٩.

(٩٦) انظر: اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٠٠)، والدكتور محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية في حياة محمد ﷺ، ص ٢٥ - ٣١، والرحيق المختوم، ص ٢٨ - ٣٠، ونقله مؤلفه الماركفوري عن: تفهيم القرآن (٤/ ١٩٥ - ١٩٨) وتاريخ أرض القرآن الكريم (١/ ١٣٣) وما بعدها. وقال: وفي تعيين السنين اختلاف كبير بين المصادر التاريخية، وقد قال بعض الكتاب عن هذه التفاصيل: «إن هذا إلا أساطير الأولين». وانظر، ابن كثير: البداية (١/ ١٧٤ - ١٩٨) وكلها من طريق ابن إسحاق، إلا النزر اليسير جدا فهو من غير طريقه. وهي إما معلقة أو منقطعة أو مرسلة، أما ما ثبت بالقرآن فلا جدال فيه.

(٩٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى (١/ ٢٦٠) من طريق شيخه الواقدي، وهو متروك في الحديث، الطبري: التاريخ (٢/ ٦٥٦) من رواية الواقدي أيضا.

العراق. ثم لحقهم من هاجر إلى العدنانيين فزاحموهم حتى سكنوا جزءاً من الجزيرة الفراتية.

وجع أردشير الفارسي - مؤسس الدولة الساسانية منذ سنة ٢٢٦م - شمل الفرس وسيطر على العرب المقيمين على تخوم مملكته، وكان ذلك سبباً في رحيل قضاة إلى الشام، ودان له أهل الحيرة والأنبار، ولصعوبة حكم المناطق البعيدة رأى أن ينصب عليهم ملكاً منهم اسمه جذيمة الوضاح، ويعينه بكنية من الفرس، ليقفوا جميعاً في وجه مطامع الروم وعرب الشام، الذين اصطنعهم الروم. واشتهر من ملوك الحيرة النعمان بن المنذر. وهو الذي خاض حرباً ضد ملك الفرس، وهزم جيش الفرس في موقعة ذي قار، بعد ميلاد الرسول ﷺ. وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم^(٩٨)، وقيل إن الرسول ﷺ قال عنه: «هذا أول يوم انتصف فيه من العرب، وفي نصره»^(٩٩).

الملك بالشام:

في العهد الذي ماجت فيه العرب بهجرات القبائل صارت بطون من قضاة إلى مشارف الشام وسكنت بها، وكانوا من بني سليج بن حلوان، الذين منهم بنو ضجعم بن سليج، المعروفون باسم الضجاعمة، فاصطنعهم الرومان ليمنعوا عرب البرية من العبث، وليكونوا عدة ضد الفرس، وولوا منهم ملكاً، ثم تعاقب الملك فيهم زماناً إلى أن غلبهم عليه الغساسنة. وظل الغساسنة في الملك من قبل الروم إلى أن كانت وقعة اليرموك سنة ١٣ هـ (٦٣٤م). ودخل في الإسلام آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم، في عهد عمر (رضي الله عنه)^(١٠٠).

(٩٨) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١٧١/١ - ١٧٤)، واليعقوبي: التاريخ (٢١٤/١ - ٢١٥) والأسانيد ضعيفة.

(٩٩) الطبري: التاريخ (١٩٣/٢) بدون إسناد، وانظر القصة بكاملها فيه، واليعقوبي: التاريخ (٢١٥/١) بدون إسناد. فالأسانيد ضعيفة.

(١٠٠) انظر: اليعقوبي: التاريخ (٢٠٦/١ - ٢٠٧)، وابن الوردي: التاريخ: (٦٣/١)، وأبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت د.ت، (٧٢/١ - ٧٣) والدكتور سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية، ص ٣٥ - ٤٠، والمباركفوري: الرحيق المختوم، ص ٣٢ وجميعهم بطرق ضعيفة.

الحجاز:

لم يقم بالحجاز كيان سياسي موحد يمكن أن يسمى بالدولة، وإنما قامت بها مدن، لكل منها نظامها السياسي الذي هو أقرب إلى المشيخة منه إلى نظام الملك. ومن أشهر المدن: مكة ويثرب والطائف.

أ - مكة:

تناولت فيما سبق طرفاً من تاريخ نشأة مكة. وذكرنا أصل سكانها، وهم جرهم، وقيل كان قبلهم العماليق، الذين كانوا يسكنون خارجها، أي من حولها^(١٠١).

لم تحافظ جرهم على حرمة الحرم بعد إسماعيل، فكثر في أيامهم البغي والفساد. واغتصب كثير منهم مال الكعبة الذي كان يهدى إليها. ويقال إن ماء زمزم نضب في عهدهم، كما أن البئر نفسها زالت معالمها. وعندما تفرق بعض عرب اليمن بعد سيل العرم، هاجر ثعلبة بن عمرو بن عامر مع قومه إلى مكة، ولم تقبلهم جرهم، ودارت بينهم حرب انتهت بهزيمة جرهم. وعندما مرض ثعلبة، رحل إلى الشام، وولى أمر مكة وحجابه الكعبة ابن أخيه ربيعة بن حارثة بن عمرو وهو لحي، وعرف قومه بخزاعة. وقد انحاز إليهم بنو إسماعيل بن إبراهيم. وكانوا قد اعتزلوا الحرب التي دارت بين جرهم وثلعة^(١٠٢).

ظلت خزاعة تلي أمر البيت الحرام نحواً من ثلثائة سنة وقيل خمسمائة سنة. وكانت قريش إذ ذاك متفرقة في بني كنانة حتى تزعمها قصي بن كلاب ووحيد بطونها، وخاض حرباً ضد خزاعة حول ولاية البيت. وأعانته قضاة في حربه. وتدخلت قبائل العرب، وانتهت الحرب بالتحكيم الذي نتج عنه أحقية قصي بولاية الكعبة. ومنذ ذلك اليوم ارتفعت مكانة قريش بين

(١٠١) الأزرقي: أخبار مكة، مرجع سبق ذكره، (٥٤/١). إسناده ضعيف.
(١٠٢) انظر: الأزرقي: أخبار مكة (٩٠/١-٩٦)، وابن إسحاق - بدون إسناده (ابن هشام ١٦٠/١ - ١٦١) فالأسانيد ضعيفة.

العرب^(١٠٣).

قام قصي بتقطيع مكة رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة، وكانت له جميع الرئاسة من حجابة وسقاية وسدانة ولواء. وبني دارا لإزاحة الظلمات وفصل الخصومات، سماها دار الندوة، وكان يرأس اجتماعاتها ويدير شؤونها. وفرض على قريش خرجا سنويا يؤدونه إليه لينفق منه على إطعام فقراء الحجاج.

وعندما كبر قصي فوَّض أمر هذه الوظائف والرئاسات إلى أكبر أبنائه -عبدالدار. ولما مات عبدالدار وإخوته: عبد مناف وعبد شمس وعبد، اختلف أبنائهم في هذه الرئاسة، وافترقوا إلى فرقتين، ففرقة بايعت بني عبدالدار وفرقة بايعت بني عبد مناف، ووضع حلف بني عبد مناف أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسموا حلف المطيبين. أما بنو عبدالدار ومن حالفهم، فقد أخرجوا جفنة مملوءة دما، وفعلوا ما فعله بنو عبد مناف عند الكعبة، وسموا الأحلاف. ثم أخيرا اصطالح الفريقان على أن تكون الرقادة والسقاية لبني عبد مناف، وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبدالدار^(١٠٤) وقسمت الرئاسة التي نالها بنو عبد مناف بين هاشم وأخيه عبد شمس، فكانت السقاية والرقادة لهاشم، والقيادة لعبد شمس^(١٠٥).

وعندما علت مكانة هاشم بين قومه حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس، وحاول أن ينافسه في إطعام الحجاج فعجز، فشمت به بعض قومه فزاد حسده وحقده على عمه. وولي السقاية والرقادة المطلب بعد وفاة أخيه هاشم، ثم عندما مات

(١٠٣) الأزرقي: المصدر نفسه (١٠٣/١ - ١٠٧)، وابن إسحاق - بلون إسناد (ابن هشام ١٦٤/١ - ١٦٥ و ١٧١ - ١٧٢)، ابن كثير: البداية (٢٢٤/٢ - ٢٢٥) من رواية ابن إسحاق - بلون إسناد. فالأسانيد ضعيفة.
(١٠٤) انظر: ابن إسحاق - بلون إسناد (ابن هشام ١٧٢/١ - ١٨١)، وابن كثير: البداية (٢٢٦/٢ - ٢٢٨)، ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١٦٠/١)، الأزرقي: أخبار مكة (١٠٧/١ - ١١٠) وكلها أسانيد ضعيفة.
(١٠٥) الأزرقي: المصدر نفسه (١١٠/١ - ١١١، ١١٥) بأسانيد ضعيفة.

المطلب خلفه ابن أخيه عبدالمطلب بن هاشم، ثم عندما مات خلفه ابنه العباس بن عبدالمطلب. وقد أبقاها الرسول ﷺ في يده بعد فتح مكة. أما بنو عبدالدار فقد توارثوا الحجابة واللواء ورئاسة دار الندوة. وقد أبقى الرسول ﷺ الحجابة بأيديهم عندما فتح مكة ودفع بمفتاح الكعبة إلى عثمان ابن طلحة، وهي فيهم إلى اليوم. وقيل إن الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١٠٦) قد نزلت بهذا الخصوص^(١٠٧). ولم يستبعد الطبري^(١٠٨) ذلك، وساق أقوالا أخرى في ذلك.

يثرب:

كان أول من سكنها العمالقة، ثم تغلبت عليهم بعض القبائل اليهودية، فأقاموا بها، خاصة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، إثر الحروب التي شنها الرومان ضد اليهود بسورية، ففرقوا في البلاد، فلجأت قبائلهم وعلى رأسهم بنو النضير وبنو قريظة إلى يثرب. وأقاموا بها حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج عندما تهدم سد مأرب^(١٠٩).

عاش اليهود والأوس والخزرج في وئام فترة من الزمان، وتحالفوا ليأمن بعضهم بعضا. وعندما قويت شوكة الأوس والخزرج تنمر اليهود عليهم ونقضوا الحلف الذي بينهم، فاستنجد العرب ببني عمومتهم الغساسنة، فأنجدوهم أنفة من تسلط اليهود عليهم^(١١٠).

وكذلك عاش الأوس والخزرج في وئام في بداية أمرهم، ثم وقعت بينهما حروب طويلة، كان النصر في أغلب الأحيان للخزرج. ولهذا حاولت الأوس محالفة قريش ضد الخزرج، فلم تفلح، فلجؤوا إلى الحلف مع بني قريظة

(١٠٦) النساء: ٥٧.

(١٠٧) روى ذلك الطبري في التفسير (٤٩١/٨ - ٩٣/٩) تحقيق أحمد شاكر، موقوفا على ابن جريج وفي إسناده ضعف.

(١٠٨) التفسير (٤٩٣/٨) تحقيق أحمد شاكر، ومياني الكلام على إسناده ذلك في فتح مكة. وانظر: الأزرق (٦٤/١ - ٦٥). بإسناده ضعيف.

(١٠٩) انظر: المقرئ: إمتاع الأسعاع (١/١٠٥)، الأصمعي: الأغاني (١٩/٩٤).

(١١٠) القلقشندي: صبح الأعشى (٤/٢٩٤).

والنضير. وسمعت الخزرج بهذا فأرسلت تستوضح الموقف، فأفادتهم يهود بأنها لا ترغب في الحرب، فأرادت الخزرج أن تتأكد من هذا، فطلبت منهم أربعين غلاما، ليتخذوهم رهائن لديهم، وعندما استجابوا لهم، خيروهم بين الجلاء عن يثرب أو قتل الغلمان، فأثروا الخروج من ديارهم، غير أن كعب بن أسد القرظي أقنعهم بالبقاء والتضحية بالرهائن، فقتل الخزرج الغلمان، فغضب يهود وجاهروا بحلفهم مع الأوس، ووقفوا معهم في موقعة بعاث، فانتصر الأوس، بعد أن أوقعوا في الخزرج مقتلة عظيمة. ثم تصالح الفريقان، واتفقا على إقامة حكومة تعمل على استقرار الأمور بيثرب، برئاسة عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي^(١١١) وبينما كانوا يستعدون لذلك قدم الرسول ﷺ المدينة مهاجرا، فدان الجميع لسلطان الإسلام. ولم يجد ابن أبي سلول بدا من الدخول في الإسلام ظاهرا بعد موقعة بدر، ودلت موافقه بعد ذلك على نفاقه كما سيأتي بيانه. وهو ممن اتفق على نفاقه بين أهل الحديث والتفسير والمغازي والسير. أما زعيم الأوس: أبوعمار بن صيفي بن النعمان، والد أبي حنظلة الغسيل، فقد أبى إلا الكفر فخرج إلى مكة، ثم إلى الطائف، ثم إلى الروم بالشام، محاولا في كل أطوار حياته القضاء على الإسلام. وكان قد ترهب في الجاهلية، فسموه الراهب، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا الفاسق»^(١١٢).

الطائف:

كانت الطائف تعرف باسم «وج»، نسبة إلى وج بن عبدالحى، أحد العمالقة الذين سكنوها. رحلت إليها قبيلة هوازن من وادي القرى، وتزوج زعيمها قسب بن منبه بن بكر بن هوازن بابتة زعيم وج عامر العدواني، واشتهر قسب باسم ثقيف فيما بعد...، وعندما تكاثروا بنوا سورا يكون

(١١١) السهمودي: وفاة الوفا بأخبار دار المصطفى، ص ٢١٥ - ٢١٩.
(١١٢) انظر: ابن إسحاق - بإسناد مرسل (ابن هشام ٩٧/٣ - ٩٨)، الواقدي (٢٢٣/١)، ابن سعد (٤٠/٢) - معلقا، السهمودي: وفاة الوفا، ص ٢١٨ - ٢١٩، بنون إسناد. وهذا يعني أنها كلها من طرق ضعيفة.

حصناً، وأطلقوا عليه الطائف، لإطافته بهم، ومن ثم عرفت هذه المدينة بالطائف بدلا من وج^(١١٣).

وعندما ظهر الإسلام كانت ثقيف تنقسم إلى فرقتين: الفرقة الأولى هم بنو مالك والثانية الأحلاف. وكانت بينهم شحنة أدت إلى حرب بينهم، انتصر فيها الأحلاف وأخرجوا بني مالك إلى واد وراء الطائف. ثم رأى بنو مالك أن يعززوا موقفهم العسكري بالتحالف مع بعض القبائل، فحالفوا دوسا وخثعما وغيرهما على الأحلاف. ولكن لم تقع بينهم بعد ذلك حروب ذات بال^(١١٤).

ب - الحالة الدينية عند العرب في الجزيرة العربية:

استمرت خزاعة على ولاية الكعبة نحو من ثلثائة، وقيل خمسمائة سنة. وكانوا قوم سوء في ولايتهم، وذلك لأنه كان في زمانهم أول عبادة الأوثان بالحجاز، بسبب رئيسهم عمرو بن لحي^(١١٥)، الذي زار الشام ووجد العماليق بمؤاب من أرض البلقاء يعبدون الأصنام، وقالوا له إنهم يعبدونها لأنهم يستمطرونها فتمطرهم ويستنصرونها فتنصرهم. فطلب صنما فأعطوه صنم هبل، فجاء به مكة ونصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، لأنه كان سيدا مطاعا فيهم. وعندما بدأ بنو إسماعيل يفرقون في البلاد أخذوا يحملون معهم من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالبيت، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة وأعجبهم، وخلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين إبراهيم^(١١٦). وكثرت فيهم الأصنام، فكان «ود» لبني كلب بن مرة بدومة الجندل، و«سواع» لبني هذيل بمكان يسمى رهاط، على ثلاث ليال من مكة، و«يعقوث» لبني أنعم

(١١٣) البكري: معجم ما استعجم (١/ ٧٦ - ٧٧)، ياقوت الحموي: معجم البلدان (٦/ ١٢ - ١٣). والأسانيد ضعيفة.

(١١٤) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١/ ٢٥٣ - ٢٥٤). بإسناد ضعيف.
(١١٥) روى مسلم (٤/ ٢١٩١ ح ٢٨٥٦) أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت عمرو بن لحي يمر قصبة في النار» وذلك لهذا الفعل الشنيع.

(١١٦) ابن كثير: البداية (٢/ ٢٠٥)، اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٥٤)، ابن الوردي: التاريخ (١/ ٦٥). وأسانيدهم ضعيفة.

من طيء ولأهل جرش من مذبح اليمنية، وكان منصوبا بجرش، و«يعوق» لبني خيوان الحمدانيين، و«نسر» لقبيلة ذي الكلاع الحميرية^(١١٧).

وهذه الأصنام هي التي عبدها قوم نوح، وحكى خبرها القرآن الكريم، قائلا «وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا، وقد أضلوا كثيرا...»^(١١٨)، فعندما فارق ولد إسماعيل وغيرهم دين إبراهيم عبدوا هذه الأصنام^(١١٩).

وكان لخلولان صنم يدعى «عم أنس» وقيل «عميا نوس»، يقسمون له من أنعامهم وحرثهم قسما بينه وبين الله - فيها يزعمون - وفيهم أنزل الله تعالى: «وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا»^(١٢٠). وكان لبني ملكان بن كنانة صنم يقال له «سعد». وكان لدوس صنم لعمر بن حممة الدوسي. وكان لقريش مع هبل صنما: «إساف» و«نائلة»، على موضع زمزم، ينحرون عندهما. قالت عائشة (رضي الله عنها): «مازلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحلدا في الكعبة فمسحهما الله (عز وجل) حجرين»^(١٢١)...

واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه، وكان آخر ما يفعلونه عند الشروع في السفر وأول ما يفعلونه حين العودة منه، التمسح بالصنم. فلما بعث الله محمدا ﷺ بالتوحيد، عابوا عليه ذلك وقالوا: «أجعل الآلهة إلها

(١١٧) ابن إسحاق - بدون استناد - ابن هشام (١٢٣/١ - ١٣٢). ولهذا فهو ضعيف.
(١١٨) نوح: ٢٣ - ٢٤. وانظر قصة تاريخ هذه الأصنام عند اليعقوبي: التاريخ (٢٥٥/١)، وعند أبي الشيخ في كتابه «العلامة»، وابن حجر: الفتح (٣١٢/١٨ - ٣١٤/٣) شرح الحديث (٤٩٢٠)، البخاري/ الفتح (٣١٢/١٨ - ٣١٤/٣ ح ٤٩٢٠). وعنده أن «يغوث» كانت لمراد، ثم لبني غطفان عند سبأ، وهو الأصح عندنا لأن قول ابن إسحاق إن يغوث كانت لبني أنعم من طيء.
... فيستبعد الجمع بين مناطق طيء وهي في الشمال ومذبح باليمن.

(١١٩) وخلاصة القول - كما روى البخاري/ الفتح (٣١٣/١٨ ح ٤٩٢٠) وغيره - في أصنام قوم نوح أنها كانت أساء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجلسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابا وسموها بأسانهم. ففعلوا، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبثت، فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى أخرجهما الشيطان إلى مشركي العرب.
انظر: ابن حجر: الفتح (٣١٢/١٨).

(١٢٠) الأنعام: ١٣٦.

(١٢١) رواه ابن إسحاق - بإسناد حسن - (ابن هشام ١٢٧/١).

واحداً، إن هذا لشيء عجاب» (١٢٢).

وفي الصحيح عن أبي الرجاء العطاردي، قال: «كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا جثثه من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا بها» (١٢٣).

وروى ابن كثير^(١٢٤) عدة أحاديث صحيحة تدل على ما ابتدعه عمرو ابن لحي في الدين واتبعه العرب في ذلك، فضلوا ضلالاً بعيداً، من ذلك رواية الشيخين^(١٢٥): «قال رسول الله ﷺ: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي [أي عمرو بن لحي] يجر قصبة في النار، كان أول من سيب السوائب...» ورواية ابن إسحاق^(١٢٦) الأكثر تفصيلاً وبإسناد صحيح، ولفظها: «... إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحى الحامي». وقد أنكر الله تعالى عليهم ذلك في أكثر من آية، فقد قال (عز وجل): - «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب...» (١٢٧).

قال ابن عباس^(١٢٨): إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام... «ففيها خلاصة عبادة العرب وما نتج عن ذلك من ممارسات اجتماعية ضارة.

ولم يبق من دين إبراهيم إلا القليل، مثل تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة، والوقوف بعرفات والمزدلفة وإهداء البدن مع إدخالهم في هذا ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا بالحج أو العمرة قالوا: «ليبك اللهم ليبك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك»، فيوحدونه

(١٢٢) سورة ص: آية ٥.

(١٢٣) البخاري (٩٠/٨)، ابن كثير: البداية (٢٠٥/٢).

(١٢٤) البداية (٢٠٦/٢ - ٢٠٧).

(١٢٥) البخاري/ الفتح ١٥٦/١٧ - ٥٨/ح ٤٦٢٣، ٤٦٢٤، مسلم (٢/١٩٢/٤) ٢٨٥٦.

(١٢٦) ابن إسحاق بإسناد حسن - (ابن هشام ١/١٢١).

(١٢٧) النحل: ١١٦، وانظر المائدة: ١٠٣، والنحل: ٥٦، والأنعام: ١٣٦ - ١٤٠ وذكرها ابن كثير في البداية (٢٠٧/٢ - ٢٠٨).

(١٢٨) الطبري: التفسير (١٢/١٥٥) / شاکر/ ح (١٣٩٥٣) والآية هي الأنعام: ١٤٠.

بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده^(١٢٩). وكانوا يطوفون بالبيت عراة وهم يصرخون.

واتخذت العرب طواغيت مع الكعبة. وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدة وحجاب، ويهدى لها، ويطاف بها، ونحر عندها. فكانت لقريش وبني كنانة «العزى» بنخلة، وكان سدنتها وحجابها من بني شيبان، من سليم، حلفاء بني هاشم. وكانت «اللات» لثقيف بالطائف. وكان سدنتها وحجابها من بني معتب، من ثقيف. وكان «مناة» للأوس والخزرج ومن دان بدينهم، بناحية المشلل بقديد. وهذه الأصنام هي التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى...﴾^(١٣٠). وكان «ذو الخلصة» لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتيالة، وكان يقال له «الكعبة الليانية»، ويقال لبيت مكة «الكعبة الشامية». وكان «فلس» لطيء ومن يليها بجيلي طيء بين أجا وسلمى. وكان «رثام» بيتا لحمير وأهل اليمن وكانت «رضاء» بيتا لبني ربيعة ابن كعب. وكان «ذو الكعبات» لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد^(١٣١) وكان للعرب أصنام أخرى غير التي ذكرنا، حفلت بذكرها المصادر المختلفة^(١٣٢).

وهناك روايات طريفة عن موقف بعض العرب من أصنامهم. من ذلك ما روي من أن السائب بن عبد الله كان له حجر نحته بيده ليعبده، فيجيء

(١٢٩) ابن اسحاق، بدون إسناده. انظر: ابن هشام (١٢٢/١). وخبر ادخال الشرك في التلبية رواه البراء بإسناد حسن. ولفظه: وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء، يريد أن يردمهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية: ليك اللهم ليك... ليك لا شريك لك: إلا شريك هو لك: تملكه وما ملك. فما زال حتى أخرجهم من الإسلام إلى الشرك. انظر: كشف الأستار (١٥/٢).
(١٣٠) وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٣/٣) رجاله رجال الصحيح. ويقول الشيخ طرهموني (١٣١٥/٣) حاشية (١٩٤): وإسناده رباعي وفيه عننة قتادة ولكن يشاهد فيها وخصوصا لوجود ما يشهد له. وانظر تلبية القبائل المختلفة عند اليعقوبي: التاريخ (٢٥٥/١ - ٢٥٦).

(١٣٠) التجم: ١٩.
(١٣١) سيأتي ذكر معظم هذه البيوت عند الكلام عن تكسيراها بعد فتح مكة. وانظر المصادر المذكورة في هذا الباب من الكتاب.
(١٣٢) انظر في ذلك مثلا: اليعقوبي في تاريخه (٢٥٥/١) والكلمي في كتابه الأصنام، والأسانيد ضعيفة.

باللبن الخائر الذي ينفسه على نفسه فيصبه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه، ثم يشفر فيبول.. الحديث (١٣٣). وما يروى من أن بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية لها من حيس، فعبدوه دهرا طويلا، ثم أصابتهم مجاعة، فأكلوه، فقال رجل من بني تميم يعيرهم بذلك:

أكلت رها حنيفة من جو * ع قديم بها ومن إعواز
وقال فيهم آخر:

أكلت حنيفة رها * زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من رهم * سوء العواقب والتباعة (١٣٤)

وهناك قصة الرجل الذي قال شعرا في صنمهم عندما رأى ثعلبين يبولان عليه (١٣٥). وقصة عمر بن الخطاب الذي أكل صنمه من العجوة عندما جاع... إلخ. وهي قصص وإن لم يثبت بعضها حديثا إلا أنها تصور الحالة التي كان عليها العرب في جاهليتهم.

ظهرت في بلاد العرب إلى جانب عبادة الأصنام، عبادة النجوم والكواكب، خاصة في حران والبحرين والبادية. ويقال إنه كان بمكة رجل يدعى «أبو كبشة» عبد نجما اسمه «الشعري»، ودعا قريشا إلى عبادته. وانتشرت هذه العبادة بين بعض قبائل لحم وخزاعة وقريش. وعندما دعا الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده سموه ابن أبي كبشة لمخالفته إياهم في العبادة كما خالفهم في عبادته من قبله ابن أبي كبشة (١٣٦).

وعبدت الشمس في بلاد اليمن، وفي ذلك قال تعالى في قصة ملكة سبأ: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم،

(١٣٣) أخرجه أحمد: الفتح الرباني (٢٠٠/٢٠) وعزاه إلى الحاكم في المستدرک وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(١٣٤) انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٢١ وإسناده ضعيف.

(١٣٥) ابن سعد (٣٠٧/١ - ٣٠٩) وقد ذكرنا القصة عند الكلام عن الوفود - وفد بني أسلم.

(١٣٦) الألويسي: بلوغ الأرب في أحوال العرب (٢/٢٣٩).

فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴿١٣٧﴾.

وتسربت بعض فرق المجوسية الفارسية إلى بلاد العرب. وفي ذلك يقول ابن قتيبة^(١٣٨): «وكانت المجوسية في تميم منهم زرارة وحاجب بن زرارة... وكانت الزندقة في قريش، أخذوها من الحيرة»، وكان الأقرع بن حابس وأبو سود - جد وكيع بن حسان - ممن دان بالمجوسية^(١٣٩). وتسربت إلى هجر^(١٤٠) من البحرين. وكانوا يقولون: إن قتل عدوهم على أرضهم ينجسها عليهم^(١٤١).

ودخلت اليهودية بلاد العرب بصفة عامة والمدينة وخيبر ووادي القرى وفدك وتيها^(١٤٢) بصفة خاصة عندما نزح إليها اليهود. ووصلت إلى اليمن، ودان بها ذونواس الملك الحميري، وحاول حمل النصراني على اعتناقها كما ذكرنا سابقا. وانتشرت في بني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، وربما وصلتهم من يهود يثرب وخيبر^(١٤٣).

وتسربت المسيحية إلى الغساسنة والمناذرة، ومن أشهر الأديرة في الحيرة: «دير هند الأقدم» و«دير اللج» و«دير حارة مريم»^(١٤٤)، وتسربت إلى جنوبي الجزيرة العربية، وأنشئت كنيسة بظفار وأخرى بعدن^(١٤٥). ولنصارى نجران قصة مع الرسول ﷺ في مكة وأخرى بالمدينة. سيأتي ذكرها.

ودانت بعض قبائل قريش بالمسيحية، منها: بنو أسد بن عبدالعزى، كما اعتنقها بنو امرئ القيس من تميم وبنو تغلب من ربيعة وبعض قبائل

(١٣٧) النمل: ٢٣ و ٢٤.

(١٣٨) المعارف: ص ٦٢١.

(١٣٩) المصدر والمكان نفسهما.

(١٤٠) انظر: البخاري (٢٥٧/٦) / طبعة الشعب.

(١٤١) الحاكم: المستدرک (٤٥١/٣) بإسناد صحيح.

(١٤٢) تأتي أدلة ذلك بالتفصيل في غزوات الرسول ﷺ ومواقفه المختلفة من اليهود في هذه المناطق. وفيها أدلة صحيحة كثيرة.

(١٤٣) انظر: الألوسي: بلوغ الأرب (٢/٢٤١).

(١٤٤) انظر، البكري: معجم ما أستمع (٢/٦٠٦، ٢/٥٩٥، ٢/٦٠٤) وسمى الحموي «دير هند الأقدم»، «دير هند الكبرى» - معجم البلدان (٢/٧٠٩).

(١٤٥) د. سرور: قيام الدولة العربية، ص ٦١، الألوسي: بلوغ الأرب، ص ٢٤١ - ٢٤٤.

قضاة، وكأنهم تلقوا ذلك عن الروم^(١٤٦). ومن تنصر بنصرانية محرفة من العرب: عدي بن حاتم الطائي^(١٤٧).

لم تنتشر اليهودية والنصرانية انتشارا واسعا في بلاد العرب كما هو واضح من تاريخهما وسيرتهما وسط القبائل والأفراد. ولم تندثر تماما ديانة إبراهيم (عليه السلام)، بل تمسك بها نفر قليل جدا وسط دياجير ظلام الجاهلية وعبادة الأوثان. وعرف هؤلاء النفر بالحنفيين أو الحنفاء. فقد كانوا يؤمنون بالله ويوحّدونه، توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية، وينتظرون النبوة^(١٤٨).

وكان من هؤلاء الحنفاء: قس بن ساعدة الإيادي، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وأمّية بن أبي الصلت، وأبو قيس بن أبي أنس، وخالد بن سنان، والناطقة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وكعب بن لؤي بن غالب - أحد أجداد النبي ﷺ^(١٤٩).

وقد سموا بالحنفاء نسبة إلى ما وصف به دين إبراهيم في القرآن الكريم ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾^(١٥٠)، ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين﴾^(١٥١). ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾^(١٥٢).

ولنقف وقفة قصيرة مع أشهر هؤلاء الحنفاء، لإلقاء بعض الضوء على سيرهم ومعتقداتهم:

(١٤٦) اليعقوبي، تاريخه (٢١٤/١)، وهي رواية ضعيفة. الألوسي: بلوغ الأرب (٢/٢٤١). د. سرور ص ٦٢، ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٢١.

(١٤٧) انظر البخاري (٥٣٣/٦)، أحمد (٣٧٧/٤، ٣٧٨) واستاده حسن.

(١٤٨) انظر في هذا - مثلا -: الألوسي: بلوغ الأرب، ص ٢٨٧ - ٣٤٩. وتأتي الأدلة الصحيحة على هذا من خلال ما سنذكر من مرويات صحيحة عن أحوالهم.

(١٤٩) انظر أخبارهم عند ابن كثير: البداية (٢/٢٣٠ - ٢٦٦). وانظر ما جاء من أخبارهم بأسانيد صحيحة في الفقرات التالية.

(١٥٠) الأنعام: ٧٩.

(١٥١) آل عمران: ٦٧.

(١٥٢) آل عمران: ٩٥.

١ - زيد بن عمرو بن نفيل:

روى ابن إسحاق^(١٥٣) بإسناده إلى أسماء بنت أبي بكر، قالت: «لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره إلى الكعبة، يقول: «يامعشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري». ثم يقول: «اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به، ولكني لا أعلم». ثم يسجد على راحلته، وكان يصلي إلى الكعبة ويقول: «إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم». وكان يحجي الموزودة، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: «لا تقتلها، ادفعتها إلى أكفلها، فإذا ترعرت فخذها، وإن شئت فادفعها».

وروى البخاري^(١٥٤) عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن دين صحيح يتبعه. فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم، لعله يتبعه، فقال له اليهودي: «إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله». قال زيد: «وما أفر إلا من غضب الله تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئا ولا أستطيع، فهل تدلني على غيره؟» قال: «ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً». قال زيد: «وما الحنيف؟» قال: «دين إبراهيم (عليه السلام) لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله». فخرج زيد، فلقي عالما نصرانيا، فدار بينهما مثل ما دار بينه وبين اليهودي. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم، خرج، فلما برز رفع يديه فقال: «اللهم إني أشهدك اني على دين إبراهيم».

وكان زيد يرفض الأكل من ذبائح قريش، ويقول: «إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه»، ويعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم

(١٥٣) نقله ابن كثير في البداية (٢٥٨/٢)، وإسناده حسن. والشطر الأول من الرواية عند ابن هشام (٢٨٧/١) إلى قوله: «ثم يسجد على راحلته» وإسناده حسن.
(١٥٤) الفتح (٢٩٩/١٤ - ٣٠١ ح ٣٨٢٧).

الله؟» إنكاراً لذلك وإعظاماً له (١٥٥).

ورويت أحاديث أخرى من طرق ضعيفة، لكنها تعترض وتتقوى بعضها ببعض وبأحاديث البخاري فترفع إلى درجة الحسن لغيره، دلت على أن زيدا كان يبحث عن الدين الصحيح، وأخيراً استقر على دين إبراهيم (عليه السلام) (١٥٦).

ولهذا قال عنه الرسول ﷺ: «يحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى ابن مريم» (١٥٧). وقال: «دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو دوحتين» (١٥٨).

لقد لقي زيد بن نقييل الرسول ﷺ ومات قبل أن يبعث الرسول ﷺ (١٥٩).

٢ - ورقة بن نوفل:

روي أنه خرج مع زيد بن نقييل يبحث عن دين صحيح يتبعه، وبعد البحث تنصر ورقة، ولم يرتض زيد سوى دين إبراهيم (عليه السلام) (١٦٠).

قال النبي ﷺ يوماً لخديجة (رضى الله عنها) إنه يرى ضوءاً ونخساً أن يكون به جنن، فطمأنته، ثم أتت به ورقة، وذكرت له ما يقع له، فقال ورقة: «إن يك صادقاً فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى،

(١٥٥) البخاري / الفتح (٢٩٨/١٤ - ٩٩ / ح ٣٨٢٦).

(١٥٦) انظرها عند: ابن كثير: البداية (٢٦٠/٢ - ٢٦٥)، وابن سعد (١٦١/١ - ١٦٢)، والطبراني بترتيب الساعاتي (١٦١/٢).

(١٥٧) نقله ابن كثير في البداية (٢٦٢/٢) من رواية عثمان بن أبي شيبة، وقال ابن كثير: «إسناده جيد حسن». وقال ابن حجر في الفتح (٣٠١/١٤) بعد أن ذكر الحديث بلفظ «يبعث يوم القيامة أمة وحده»: «روى البغوي في الصحابة من حديث جابر نحو هذه الزيادة».

(١٥٨) نقله ابن كثير في البداية (٢٦٣/١٢) من رواية الباغندي، وقال ابن كثير: «وهذا إسناده جيد».

(١٥٩) البخاري / الفتح (٢٩٨/١٤) ح ٣٨٢٦.

(١٦٠) من رواية الطبراني - ترتيب التبري (١٦١/٢)، بإسناد ضعيف، لأن فيه نقييل بن هاشم، وهو مجهول، ولم يوثقه سوى ابن حبان، وله شواهد تقويه، فيرتفع إلى درجة الحسن لغيره، وهي الأحاديث الخاصة برحلة زيد إلى الشام بحثاً عن الدين الصحيح. فانظرها فيها القوي والضعيف.

فإن بعث وأنا حي فسأعززه وأنصره وأومن به..»^(١٦١).
وسياتي خبره والآثار الواردة في إسلامه عند الكلام على بداية نزول
الوحي على الرسول ﷺ، والمسلمين الأوائل. وله أبيات شعرية رائعة
في التوحيد والبعث^(١٦٢).

٣- قس بن ساعدة الإيادي:

روي عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) وغيره انه عندما قدم
وفد إياد على الرسول ﷺ سأهم عن قس بن ساعدة، فذكروا له انه
هلك. فقال النبي ﷺ: «لقد شهدته يوما بعكاظ على جبل أحمر يتكلم
بكلام معجب مؤنق لا أجدي أحفظه. فذكر أحد أفراد الوفد انه
يحفظه، فهو: «يا معشر الناس اجتمعوا، فكل من مات فات، وكل
شيء آت آت، ليل داج وساء ذات أبراج، وبحر عجاج، نجوم تهر،
وجبال مرساة، وأنهار مجرة، إن في السماء لعبرا، مالي أرى الناس
يزهبون فلا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا، أقسم
قس بالله قسما لا ريب فيه، ان لله دينا هو أرضى من دينكم هذا»،
وأنشد في ذلك شعرا.^(١٦٣)

وروى ابن عباس انه عندما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ
سأهم عن قس، فقالوا: «هلك». قال: «...» فذكر كلاما بنحو ما
جاء في رواية ابن الصامت^(١٦٤).

(١٦١) أحد: الفتح الرباني (٢٠٧/٢٠) بإسناد حسن، مرة مرسلا ومرة متصلا.
(١٦٢) انظر: ابن هشام (٢٩٤/١ - ٢٩٥) من رواية ابن إسحاق، بدون إسناد. فهي ضعيفة.
(١٦٣) نقله ابن كثير في البداية (٢٥٠/٢ - ٥١) من رواية الخرائطي، بإسناد ضعيف، لأن نصر بن
حماد الوراق المعروف بابي الحارث الوراق ضعيف واه - انظر: المغني للذهبي (٧٧٩/٢) وقال
ابن كثير في البداية «وهذا إسناد غريب من هذا الوجه».
(١٦٤) نقله ابن كثير في البداية (٢٥١/٢) من رواية الطبراني، ورواه البيهقي في الدلائل (١٠٤/١)،
وإسنادهما ضعيف جدا، لأن فيه محمد بن الحجاج، كذبه أبوحاتم وجماعة كما في المغني للذهبي
(٥٦٥/٢).

وروى ابن كثير^(١٦٥) والبيهقي^(١٦٦) أحاديث أخرى بهذا المعنى في قصة قس وتعبده بالحنيفية وأقواله، وأشعاره في ذلك، دلت على أن لقصته أصلا تاريخيا، كما ذكر ابن كثير والبيهقي.

٤ - أمية بن أبي الصلت:

هو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»^(١٦٧). وفي رواية: «فلقد كاد أن يسلم في شعره»^(١٦٨). ويقال إنه ممن دخل في النصرانية وأكثر في شعره من ذكر التوحيد والبعث يوم القيامة^(١٦٩)، فقد كان من فحول الشعراء^(١٧٠)، عاش إلى زمان البعثة ولم يؤمن تكبرا عن أن يكون تابعا للرسول ﷺ^(١٧١)، وفيه نزل قول الله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾^(١٧٢) (١٧٣). قيل إنه مات سنة تسع، وقيل سنة اثنتين^(١٧٤)، وله شعر في رثاء قتلى قریش يوم بدر الكبرى^(١٧٥).

٥ - ليبد بن ربيعة العامري ثم الكلابي ثم الجعفري:

كان من فحول شعراء الجاهلية، ومن شعراء المعلقات. قال (١٦٥) البداية (٢/٢٥١ - ٢٥٨) وقال (ص ٢٥٧): «... وهذه الطرق على ضعفها كالتعاضد على إثبات أصل القصة...» وذكر كلام البيهقي عن هذه الطرق (ص ٢٥٨). (١٦٦) دلائل النبوة (٢/١٠٢ - ١١٣) وقال بعد سياقه هذه الطرق: «... وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن للحديث أصلا، والله أعلم». (١٦٧) البخاري/ الفتح (١٤/٣١٠ ح ٣٨٤١)، مسلم (٤/١٧٦٨ ح ٢٢٥٦). (١٦٨) مسلم (٤/١٧٦٨ ح ٢٢٥٥). (١٦٩) ابن حجر: الفتح (١٤/٣١٠ ح ٣٨٤١) وانظر مثاله عند ابن إسحاق (ابن هشام ١/٢٨٩ - ٩٠). (١٧٠) انظر شعره عند ابن إسحاق، مثلا: ابن هشام (١/٨٦، ١٠٠، ١٠٨، ٢٨٩، ٢٩٥، ٣٠٧)، (٢/٢١٠)، (٣/٤٢٢)، وقد أثنى الشريد بن سويد الرسول ﷺ مائة بيت من شعره، كما روى مسلم في صحيحه (٤/١٧٦٧ ح ٢٢٥٥). (١٧١) من رواية الطبري كما نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٤/٣١٠)، ولم يتكلم على إسناده. (١٧٢) الأعراف: ١٧٥. (١٧٣) من رواية ابن مردويه بإسناد قوي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، كما نقله ابن حجر في الفتح (١٤/٣١٠) ثم قال: «وروى من أوجه أخرى أنها نزلت في بلعام الإسرائيلي، وهو المشهور». (١٧٤) ذكره ابن سبط الجوزي كما نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٤/٣١٠). (١٧٥) ابن إسحاق (ابن هشام ٣/٤٢ - ٤٨).

الرسول ﷺ عنه: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل» (١٧٦). وله قصة مع عثمان بن مظعون، سنذكرها في الكلام عن أساليب حرب المشركين للدعوة - الأسلوب العاشر. وقد أسلم لبيد، ومات في خلافة عثمان، بعد أن عاش مائة وخمسين عاما، وقيل أكثر (١٧٧).

ومن ذكر من الحنفاء غير هؤلاء: أرباب بن رثاب، والشاعر سويد ابن عامر المصطلق، وأسعد أبوكرب الحميري، وكيع بن سلمة بن زهير الإيادي، وعمر بن حنظل الجهمي، وعدي بن زيد العبادي - تنصر -، وأبوقيس صرة بن أبي أنس البخاري، وسيف بن ذي يزن الحميري وعامر بن الظرب العدواني، والشاعر عبدالطانجة بن ثعلب ابن وبرة بن قضاة، وعلاف بن شهاب التميمي، والمتمس بن أمية الكناني، والشاعر زهير بن أبي سلمى، وخالد بن سنان بن غيث العبيسي. وعبدالله القضاعي، وعبيد بن الأبرص الأسدي، وكعب بن لؤي بن غالب القرشي - أحد أجداد النبي ﷺ (١٧٨)، وعثمان بن الحويرث، الذي رحل في طلب الدين، فاستقر به المقام عند قيصر، فتنصر وأقام عنده بأحسن مقام (١٧٩)، وعمرو بن عبسة السلمى، الذي أكرمه الله بالإسلام (١٨٠)، وأكثم بن صيفي بن رباح (١٨١)، وعبدالمطلب - جد النبي ﷺ (١٨٢).

-
- (١٧٦) البخاري/ الفتح (١٤/ ٣٠٩ ح ٣٨٤١)، مسلم (٤/ ١٧٦٨ - ٦٩ ح ٢٢٥٦).
 (١٧٧) انظر: ابن حجر: الفتح (١٤/ ٣١٠).
 (١٧٨) انظر سيرهم وأقوالهم وأشعارهم عند: الألويسي: بلوغ الأرب، ص ص ٢٥٨ - ٢٨٢، وابن قتيبة: المعارف، ص ص ٥٨ - ٦٢.
 (١٧٩) ابن إسحاق - بدون إسناد (ابن هشام ١/ ٢٨٦) فهو ضعيف.
 (١٨٠) انظر أخباره في ترجمته في الإصابة (٣/ ٥ - ٦) وعند الطبري: التاريخ (٢/ ٣١٥) بإسناد صحيح.
 (١٨١) انظر خبره عند الألويسي: بلوغ الأرب (١/ ٣٠٨ - ٣٠٩).
 (١٨٢) انظر: المسعودي: مروج الذهب (١/ ٢٣٩ - ٢٤٨)، الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٢٤٨).
 وكون عبدالمطلب جد النبي ﷺ أمر لا خلاف فيه بين أهل التفسير والحديث والمغازي والسير والتاريخ وسيأتي قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب...» بمناسبة غزوة حنين.

ج - الحياة الاجتماعية عند العرب في الجزيرة العربية:

إن الحياة الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات لا تكاد تنفصل عن الحياة الدينية والاقتصادية. ولأن الوثنية التي سادت بين العرب كانت ضد الفطرة والمنطق فقد نتج عن ذلك مظاهر اجتماعية ضد الفطرة والمنطق. ومن بين تلك المظاهر: الانحطاط الأخلاقي الذي تمثل في ممارسة كثير من الرذائل مثل شرب الخمر ولعب الميسر، والزواج بغير عدد، وقتل بعضهم الأولاد خشية الفقر أو بسبب الفقر، وقتل بعضهم الإناث بالذات خوف العار، وإثارة الحروب لأتفه الأسباب، وأخذ الثأر. وقد حكى عنهم الله كل هذه الرذائل في القرآن الكريم وعلى لسان رسوله، وعابها عليهم، وظل الرسول ﷺ يحاربها طوال حياته كما هو معروف، ومثال ذلك: ما قاله ابن عباس: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام» وقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (١٨٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَشَرٌ أَحَدَهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (١٨٤)، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا بَشَرٌ أَحَدَهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، أَيَسْكُهُ عَلَىٰ هُونٍ؟ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ؟ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١٨٥)، وقوله ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٨٦)، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ...﴾ (١٨٧)، وقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ (١٨٨).

وسادت في بعض أوساط غير الأشراف أنواع من الأنكحة التي لا تختلف

(١٨٣) التكوين: ٨ - ٩.

(١٨٤) الزخرف: ١٧.

(١٨٥) النحل: ٥٨ - ٥٩.

(١٨٦) المائدة: ٩٠.

(١٨٧) الأنعام: ١٥١.

(١٨٨) الإسراء: ٣١.

عن الدعارة. فقد روى البخاري^(١٨٩) وأبو داود^(١٩٠) عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فكان منها نكاح الناس اليوم... ونكاح الاستبضاع، وهو أن يصيب الرجل الأجنبية امرأة غيره في طهر لم يجامعها فيه زوجها ولا يقربها زوجها حتى يتبين حملها، ونكاح الرهط، وهو أن يجتمع الرهط دون العشرة، فيصيب كل منهم امرأة غيره، فعندما تضع حملها ترسل إليهم فيجتمعون عندها، فتلحق المولود بمن تريد منهم، ونكاح رابع، وهو أن يجتمع الرجال الكثير على المرأة التي تنصب راية على بيتها، فإذا حلت فوضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يروونه أكثر شبيهاً به. وقد أبطل الإسلام كل هذه الأنكحة ما عدا نكاح الناس اليوم. ولم يكن يحس بعضهم بعار هذه الممارسات، فقد روى الشيخان^(١٩١) أن رجلاً قام فقال: «يا رسول الله: إن فلانا ابني، عاهرت بأمه في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «لا دعوة في الإسلام. ذهب أمر الجاهلية. الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وسياقي ذكر قصة اختصام سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في ابن أمة زمعة - وهو عبد الرحمن بن زمعة - في فقه عمرة القضاء.

وكانوا يجتمعون بين الأختين، ويتزوجون بزوجات آبائهم إذا طلقت أو ماتوا عنهن. وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(١٩٢)، ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ...﴾^(١٩٣).

ولم يكن للطلاق عدد معين^(١٩٤)، فحدده الإسلام بأثنتين، كما في قوله تعالى: (الطلاق مرتان)^(١٩٥).

(١٨٩) الفتح: ٢٢٠/١٩ - ٢٢٢/٢٢٧ ح (٥١٢٧).
(١٩٠) السنن (٧٠٢/٢ - ٧٠٣/٣). الطلاق/ ب. في وجوه النكاح التي كان يتناكح بها أهل الجاهلية/ ح (٢٢٧٢) وإسناده حسن إلى عائشة (رضي الله عنها).

(١٩١) البخاري/ الفتح (١٣٨/٩ ح ٢٠٥٣). ومسلم (١٠٨٠/٢ ح ١٤٥٧)، وبقية أصحاب الكتب السنة وغيرهم.

(١٩٢) النساء: ٢٣.

(١٩٣) النساء: ٢٢.

(١٩٤) أبو داود: السنن (٦٤٤/٢ - ٦٤٥/٣). الطلاق/ ب. نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاثة/ ح (٢١٩٥) وإسناده صحيح.

(١٩٥) البقرة: ٢٢٩، وانظر كتب التفسير.

وعلى الرغم من وجود هذه الأمراض الخلقية عند عرب الجاهلية إلا أن هناك جوانب مضيئة في حياتهم السياسية والاجتماعية لا يمكن إنكارها، ولعلها كانت سببا في اختيار الله لهم لحمل رسالته إلى العالمين. ومثال ذلك أن جاهليتهم لم تكن مركبة تقوم على فلسفة معقدة يصعب إزالتها، كما كان الحال في المجتمعات الأخرى المجاورة. وكانوا أصحاب عزيمة قوية يصدقون عندما يؤمنون، وقد وصفهم القرآن بهذا في قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ (١٩٦). وكان كثير منهم يتمسك بالفضائل ويقدر من يتصف بمكارم الأخلاق، كما كان موقفهم من الرسول ﷺ في هذا الجانب بالذات، وهو موقف عبر عنه أبوسفیان في حديثه المشهور لهرقل، كما سيأتي.

وكانوا من أصفى الناس ذمنا، وتحكى في ذلك الحقائق والغرائب، فقد ذكر ابن عبد البر (١٩٧)، أن ابن شهاب الزهري كان يقول: «إني لأمر بالبيع فاسد أذاني مخافة أن يدخل فيها شيء من الخنا، فوالله ما دخل أذني شيء قط فنسيته»، وقال ابن عبد البر (١٩٨) أيضا: «كان أحدهم يحفظ أشعار بعض في سمعة واحدة. وقد جاء أن ابن عباس (رضي الله عنه) حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجبر
في سمعة واحدة على ما ذكروا، وليس أحد اليوم على هذا، ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم...».

وليس بعد هذا يستغرب عدد الأحاديث التي رواها ابن عباس وأبو هريرة، وابن مسعود، وعائشة (رضي الله عنهم). فقد روى أبو هريرة خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثا، وروى عبد الله بن عمر ألفي حديث

(١٩٦) الأحزاب: ٢٣.

(١٩٧) جامع بيان العلم وفضله (٦٩/١) وإسناده صحيح.

(١٩٨) المرجع نفسه، ص ٦٩ - ٧٠.

وستمائة وثلاثين حديثاً. . . إلخ^(١٩٩).

وكانوا يعشقون الحرية، ولم يعرفوا الخضوع إلا لذوي الأسنان منهم، ممن تتوافر فيهم شروط النجدة والبسالة، والرجولة والصبر والحلم والأناة، وكل خصال الخير.

وعلى الرغم من عبادتهم الأوثان، إلا أنهم كانوا لا ينكرون وجود الله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَ اللَّهُ . . .﴾^(٢٠٠)، ﴿وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ نَّزْلِ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَ اللَّهُ . . .﴾^(٢٠١).

وكانوا أصحاب لغة واحدة، ذات سحر وبيان، عبرت عن الإسلام أحسن تعبير.

(١٩٩) انظر: ابن حزم: جوامع السيرة، ص ص ٢٧٥ - ٧٦.

(٢٠٠) العنكبوت: ٦١.

(٢٠١) العنكبوت: ٦٣.

٢ - في خارج الجزيرة العربية :

أ - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل اليهودية :
أولاً: جوانب من الحياة الدينية :

لقد تعرضت الديانتان السماويتان اليهودية والنصرانية إلى تحريف وتبديل^(٢٠٢) ومن ثم فقدتا الروح ولم تعودا تمثلان دورهما الأساسي في إصلاح الناس الذين جاءتا من أجلهم .

فاليهودية ، بالإضافة إلى التحريف الذي حدث في أصولها ، كانت ديانة أراد الله أن تكون لبني إسرائيل خاصة . غير أنها أصيبت في عقيدة التوحيد التي فضل الله بها بني إسرائيل على أهل زمانهم ، إذ اقتبس اليهود كثيراً من العقائد والتقاليد الوثنية الجاهلية للأمم التي جاوروها أو سيطروا عليها أو عاشوا وسطها . وقد اعترف بهذه الحقيقة مؤرخو اليهود المنصفون . ومثال ذلك ما جاء في دائرة المعارف اليهودية^(٢٠٣) مامعناه :

(٢٠٢) لقد ذكر القرآن الكريم في عدة آيات مجالات تحريفهم واقتنائهم واقرأ عن هذا التحريف والتبديل في مثل الكتب أو الأبحاث الآتية :

- أ) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة للدكتور موريس بوكاي .
 - ب) الصراع بين الدين والعلم للكاتب الأوروبي الشهير ديرير .
 - ج) التوراة للدكتور مصطفى محمود - دار العودة - بيروت ١٩٧٢م .
 - د) أسطورة نوح في المسيحية - تحرير سبعة من أساتذة اللاهوت البريطانيين على رأسهم الأستاذ الدكتور جون هك ، أستاذ اللاهوت بجامعة برمنجهام . والكتاب من مائتي صفحة من القطع المتوسط ، مقسمة على عشرة فصول . صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٧ بلندن .
 - هـ) مجلة كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - العدد الأول ١٣٩٨/١٣٩٧هـ ، صص ٢٧ - ٦٦ - بحث بعنوان تحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين ومدى صحة انتسابها إلى أصحابها بقلم الدكتور / محمد أبو القيط الفرت .
 - و) الرد الصحيح على من بدل دين المسيح لابن تيمية .
 - ز) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، خاصة الجزء الأول والثاني .
 - ح) إظهار الحق لرحمة الله الهندي .
 - ط) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد التنير .
- (٢٠٣) نقلاً عن الدكتور الفرت في بحثه المشار إليه في الفقره (هـ) من الحاشية (٢٠٢) .

«إن سحق الأنبياء وغضبهم على عبادة الأوثان تدل على أن عبادة الأوثان والآلهة كانت قد تسربت إلى نفوس الإسرائيليين، ولم تستأصل شأفتها إلى أيام رجوعهم من الجلاء والنفي في بابل، وقد قبلوا معتقدات خرافية ومشركة، وإن التلمود^(٢٠٤) أيضا يشهد بأن الوثنية كانت فيها جاذبية خاصة لليهود...».

هذا بالإضافة إلى أن توراتهم وتلمودهم قد طغحا بأوصاف ونعوت لا تليق بذات الله ووحيه وأنبيائه ورسالاتهم.

فتراهم في توراتهم المحرفة وعهدهم القديم^(٢٠٥) - مثلا - يذكرون أن الله قد تعب في اليوم السادس وهو يخلق الكون، واستراح في اليوم السابع، وبارك اليوم السابع وقُدسه لأنه استراح فيه من جميع أعماله^(٢٠٦). ولذلك كان تحريم اليهود للعمل يوم السبت.

وجاء في عهدهم القديم في قصة آدم وزوجه حواء (عليهما السلام): «وسمعنا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة، عند هبوب رياح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟...»

وهكذا يصورون الله وكأنه بشر لا يعرف ما يحدث في حديقة منزله^(٢٠٧). وقد أعقب هذا قولهم إن آدم عندما أكل من شجرة المعرفة ارتفع بهذا العصيان إلى مراتب الآلهة، وأدرك الخير والشر، على الرغم من أن الرب

(٢٠٤) هو كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم، وهو مجموع حواشي وشروح كتاب المشنا (الشرعة) لعلماء اليهود في عصور مختلفة، انظر في ذلك: التلمود - تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان.

(٢٠٥) فيما سبرد من معلومات توراتية، انظر: التوراة السامرية - ترجمة الكاهن السامري: أبوالحسين إسحق الصوري - نشر وتعريف الدكتور حجازي السقا - نشر دار الأنصار المصرية.

(٢٠٦) انظر: سفر التكوين: الإصحاح الثاني.

(٢٠٧) سفر التكوين: الإصحاح الثالث. وفارن هذا بتصور الإسلام لله تعالى في قوله: «وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه» - (يونس: آية ٦١) - وقوله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» - (قاف: آية ١٦).

عندما خلقه كان حريصا على بقاءه جاهلا بهما. وعندما خشي الرب على ازدياد تمرد آدم واستفحال أمره، أخرجه وزوجه من الجنة حتى لا تمتد أيديهما إلى شجرة الحياة فيكتب لهما الخلود^(٢٠٨). ولم ترضه أيضا سيرة آدم وأبنائه في الأرض، لأنه فوجئ بهم يملؤونها بالشرور والآثام، فحزن وتأسف على خلقهم^(٢٠٩).

والله في كتابهم المقدس يندم على إغراق الأرض بالطوفان^(٢١٠). ويقبل ضيافة نبيه إبراهيم، ويأتي إلى منزله بصحبة اثنين من ملائكته ويأكلون من مائدة إبراهيم الدسمة^(٢١١).

والله في توراتهم المحرفة يدخل في عراك ومصارعة مع عبده ونبيه يعقوب، دامت ليلة كاملة. وعندما أوشك يعقوب أن ينتصر عليه، لجأ إلى خدعة مكنته من كسب الجولة والغلبة، وهي أنه ضرب حق فخذ يعقوب حتى انخلع. وعلى الرغم من ذلك لم يتركه يعقوب إلا بعد أن باركه ونال منه لقب إسرائيل^(٢١٢).

والله في توراتهم إله خاص بهم: لا يحب غيرهم، لأنهم شعبه المختار. وأن الأمم الأخرى فهي كالأنعام لا يأبه بها الإله^(٢١٣). وبينون كراهيتهم للأجناس الأخرى، وعلى رأسهم العرب، على أساس من دينهم المحرف. فتراهم يذكرون في توراتهم قصة يزعمون فيها أن نوحا - نبي الله - سكر حتى استلقى وانكشفت سواته، ولما رآه ابنه حام - أبوكنعان - ضحك منه وفضحه عند أخويه سام ويافث، اللذين ستراه دون النظر إلى عورته. وعندما أفاق نوح من سكرته، وعلم بما حدث من ابنه الأصغر حام، استنزل عليه لعنة الله قائلا:

«ملعون كنعان العبيد يكون لإخوته. مبارك الرب إله سام، وليكن

(٢٠٨) سفر التكوين: الإصحاح الثالث.

(٢٠٩) سفر التكوين: الإصحاح السادس.

(٢١٠) سفر التكوين: الإصحاح التاسع.

(٢١١) سفر التكوين: الإصحاح الثامن.

(٢١٢) سفر التكوين: الإصحاح الثاني والثلاثين.

(٢١٣) الإصحاح السابع والإصحاح السادس.

كنعان عبدا لهم، ليفتح الله لياث، فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبدا لهم...» (٢١٤).

وظاهر في هذه القصة إرادة اليهود استعباد الكنعانيين أبناء حام - وهم لا ذنب لهم - وتزكية الإسرائيليين أبناء سام. وكما صور اليهود نوحا سكيراً ليصلوا إلى أهداف معينة، تراهم أيضاً يصورون لوطاً سكيراً وعاهراً يزني بابتنتيه في حالة سكر، وتجبلان منه وتلدان. وزعموا أن ابن البنت البكر عرف بـ (مؤاب)، أبو المؤابيين إلى اليوم (٢١٥)، ليصلوا بذلك إلى هدف واضح أيضاً وهو تجريح أعدائهم المؤابيين، وكل ذلك باسم الوحي.

وصدق الله العظيم الذي قال في القرآن الكريم:

﴿... وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (٢١٦). ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (٢١٧).

وتدعي توراتهم أن كل النساء غير اليهوديات مومسات. ويستحق القتل كل الجويم (٢١٨) - غير اليهود - حتى ذوو الفضل منهم. وأن من يقتل غير اليهودي يقدم قربانا للرب (٢١٩).

هل يمكن أن يكون هذا كتاباً إلهياً مقدساً لتعريف البشر بالله وهدايتهم إلى طريقه؟!.

إن هذا الاعتقاد الباطل هو الذي جعلهم لا يبالون بكل القيم في سبيل

(٢١٤) سفر التكوين: الإصحاح التاسع - وانظر: الملل والنحل لابن حزم، ج ١، ص ١٢٣.

(٢١٥) سفر التكوين: الإصحاح التاسع عشر.

(٢١٦) آل عمران: آية ٧٨.

(٢١٧) البقرة: ٧٩.

(٢١٨) ومعناها عندهم: العبيد أو الحمير.

(٢١٩) انظر: ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة الدكتور/ عبدالحليم عويس. طبعة النادي الأدبي بالرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص ١٢١ - ١٢٢.

الوصول إلى أهدافهم كما هو واضح من بروتوكولات حكماء صهيون. ولا يبالون في وصف أنبياء الله بأوصاف لا تليق بهم كما قلنا. فهاهم مثلاً -يصورون إبراهيم (عليه السلام) ديوثاً في سبيل حرصه على الحياة والمنافع الدنيوية. فيذكرون في توراتهم أنه أغرى زوجته سارة بالذهاب إلى بيت فرعون بصفتها أخت إبراهيم من أجل الحصول على حظيرة من الغنم والحمير، قال لها «قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك...» (٢٢٠).

ويعصرون يعقوب (عليه السلام) بأنه محتال، سرق النبوة من أخيه البكر بأسلوب قذر (٢٢١).

ويعصرون ابنة يعقوب المسماة «دينه» بأنها زانية، زنا بها ابن رئيس المدينة المجاورة (٢٢٢).

ويقولون في تلمودهم بأن عيسى بن مريم (عليه السلام) ابن غير شرعي، حملته أمه سفاحاً وهي حائض، من العسكري «باندارا»، وأنه كذاب ومجنون ومضلل وساحر ومشعوذ ووثنى. ووصف تلمودهم المسيحيين بأنهم ليسوا أكثر من خرق حيض المرأة التي ترمى في القاذورات، وأنهم وثنيون وقتلة وفسقة وحيوانات قذرة وحير وخنازير وكلاب (٢٢٣).

ويعصرون نبيهم داود يزني بامرأة أحد ضباطه، وتحبب منه، وذلك عندما رآها على السطوح فأعجبه جمالها، وأرسل الضابط إلى ميادين القتال ليهلك، ومن ثم يتزوج هو زوجته (٢٢٤).

أي بشاعة هذه؟ إن هذا الكلام لا يمكن أو يعقل أن يكون من عند الله، وبالتالي لا يمكن أن يكون صالحاً لهداية البشرية.

لقد حكى القرآن الكريم عن جوانب كثيرة من تفكير اليهود الديني

(٢٢٠) سفر التكوين: الإصحاح الحادي والعشرون.

(٢٢١) انظر سفر التكوين: الإصحاح السابع والعشرون.

(٢٢٢) انظر الفصّة كاملة في سفر التكوين: الإصحاح الرابع والثلاثين.

(٢٢٣) انظر: النوراة للدكتور مصطفى محمود، مرجع سبق ذكره، ص ٦٧ - ٧٠.

(٢٢٤) انظر: ثقافة المسلم في وجه التحديات المعاصرة للدكتور/ عبدالحليم عويس، مرجع سابق.

وموقفهم من كتابهم ورسولهم . ومن ذلك ما حكاه عن :
 ميلهم إلى الوثنية على الرغم من وجود نبيهم موسى (عليه السلام) بينهم ،
 فقد قالوا له : ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ (٢٢٥) وعندما عاد إليهم موسى
 بعد ملاقاته ربه ، وجدهم عاكفين على عبادة عجل ، فاثلين : ﴿ لن نرجع عليه
 عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ (٢٢٦) .

وعدم تخليهم عن شغفهم بالوثنية بعد موسى ، كما قال تعالى ﴿ ولقد
 جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . . . وأشربوا
 في قلوبهم العجل بكفرهم . . . ﴾ (٢٢٧) .

وذكر القرآن نوعا من تعنتهم مع موسى ، ويتمثل ذلك في قولهم له ﴿ أرنا
 الله جهرة ﴾ (٢٢٨) ، وذكر نوعا من سوء أدبهم مع الله ، فقال : ﴿ وقالت اليهود
 يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ﴾ [المائدة : الآية ٦٤] .

ونسبهم بنوة البشر لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزيز ابن
 الله ﴾ (٢٢٩) .

وأهلوا أحبارهم ، كما قال تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون
 الله ﴾ (٢٣٠) .

وعدم تورعهم في تحريف كلام الله كما حكى عنهم القرآن في الآية
 ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
 به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون ﴾ (٢٣١) ،
 وفي الآية ﴿ أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام
 الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ (٢٣٢) .

(٢٢٥) الأعراف : ١٣٨ .

(٢٢٦) طه : ٩١ وانظر القصة في سورة طه الآيات ٨٣ - ٩٧ .

(٢٢٧) البقرة : ٩٢ ، ٩٣ .

(٢٢٨) النساء : ١٥٣ .

(٢٢٩) التوبة : ٣٠ .

(٢٣٠) التوبة : ٣١ .

(٢٣١) البقرة : ٧٩ .

(٢٣٢) البقرة : ٧٥ .

ومما حكاها القرآن عن موقفهم من رسلهم قوله تعالى: ﴿أفكلمها جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾ (٢٣٣) وقوله تعالى: ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق﴾ (٢٣٤) وقوله: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ (٢٣٥). ويتضح لك مما سقناه من أدلة من كتب اليهود ومن كتاب الله إلى أي درك وصلت هذه الديانة على أيدي هؤلاء البشر.

ثانيا: جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات اليهودية:

إن الله تعالى لا يرضى لديه أن يكون عنصريا بعيدا عن الإنسانية، ولكن اليهود بدلوا دين الله وجعلوه عنصريا لا يحمل للإنسانية رحمة، وافتروا على أنبياء الله تعالى ووصفهم بكل النقائص والردائل البشرية كما رأينا. ولهذا فلا غرابة أن يعيشوا في صراع وفتن مع الشعوب غير اليهودية إلى يومنا هذا.

ففي القرن السابع الميلادي بالذات، أوقعوا بين المسيحيين في أنطاكية والقائد الفارسي فوكاس، مما ترتب عليه وقوع مذابح فظيعة في نصارى أنطاكية. وساعدوا جيوش الفرس في محاربة نصارى الشام وقتلوا بأنفسهم النصارى في الشام مثلما حدث في صور. وكان جزاؤهم أن عاقبهم هرقل ملك الروم عقوبة قاسية عندما علم بما ارتكبه من مأس في حق النصارى بالشام (٢٣٦).

لقد وصفهم القرآن الكريم وصفا دقيقا يصور ماكانوا عليه في القرنين السادس والسابع الميلاديين من تدهور خلقي وانحطاط نفسي وفساد اجتماعي جعلهم غير أهل لإمامة الأمم وقيادتها. ومن ذلك قول الله تعالى فيهم: ﴿... ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله

(٢٣٣) البقرة: ٨٧.

(٢٣٤) البقرة: ٦١.

(٢٣٥) البقرة: ٩١.

(٢٣٦) القرطبي: الخطط القرطبية (٤/ ٣٩٢ وما بعدها).

الكذب وهم يعلمون ﴿٢٣٧﴾.

وقد ذاق العرب في يثرب الويلات نتيجة لحرص اليهود على إثارة الفرقة والحروب بين الأوس والخزرج واحتكارهم التجارة وتسخير العرب في مصالحهم الاقتصادية. وعادوا الرسول ﷺ وكادوا له كيدا عظيما، ومكروا به كثيرا، ولكن الله مكر بهم وكانت مشيئة الله أن أحلّاهم الرسول ﷺ عن المدينة وأجلّاهم عمر (رضي الله عنه) عن الجزيرة العربية لتنظيف للمجتمع الإسلامي من شرورهم وأثامهم (٢٣٨).

ب - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المسيحية:
أولا : الحياة الدينية:

وكذلك المسيحية، بالإضافة إلى ما لحق بها من تحريف (٢٣٩)، فقد شابتها

(٢٣٧) آل عمران: ٧٥.

(٢٣٨) انظر تفاصيل مواقفهم من الدعوة الإسلامية في القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث وكتب السيرة القديمة والحديثة، مثل: سيرة ابن إسحق. وعيون الأثر في فتون المغازي والسير لابن سيد الناس، وفقه السيرة النبوية للشيخ محمد الغزالي، وفقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي... الخ.

وسياي بيان ذلك في مكانه من الكتاب وقرأ الآيات ٤٠ - ٤٤ وما بعدها من سورة البقرة.
* إضافة إلى ما ذكره القرآن الكريم وما جاء في كتب السنة والمغازي والتاريخ القديمة من إشارة إلى هذا التحريف

(٢٣٩) قام الدكتور محمد أبو الغيط في بحثه الذي سبق الإشارة إليه بتحقيق تاريخ الأنجيل المعتمدة عند المسيحيين (وهي: إنجيل متى، مرقس، لوقا، يوحنا) ومدى صحة انتسابها إلى أصحابها، وخرج بنتيجة هامة يقول فيها:

«عرضنا فيما تقدم حديثا عن تاريخ الأنجيل المعتمدة عند النصارى ومقدار صلتها بأصحابها وتبين أن (متى) الحواري تكاد الصلة أن تنقطع بينه وبين الإنجيل الحالي، حيث دخلته شخصية مترجمة من العربية إلى اليونانية ولم يتحقق بالضبط كما لم يتحقق الناقدون المدققون هل المترجم أضاف جديدا إلى ترجمته وأدخل فيها من الحواشي والتفسيرات ما أدخل أم أنه كان أمينا بصيرا في قيامه بالترجمة.

ثم إن فقدان الأصل العربي قبل ظهور الترجمة وإخفاء اسم ذلك المترجم ينقص كثيرا من وزن ذلك الإنجيل مع الترجيح بأنه من عمل أحد أتباع (متى) المشار كما سبق تحقيق ذلك. كما تقرر أيضا أن (برقس) لم يكن من الحواريين، وأنه كتب إنجيله عن معلمه (بطرس). وأن إنجيل (لوقا) لم يتعد أن يكون رسالة أخذ يسرد فيها وقائع الأحداث التي علمها من سبقه مستخلصة من حقائق مغلوطة بالتزييف مشوبة بالهوى تحتاج في استخلاصها إلى ضابط يقود زمام الفكر ودقة البحث مع فقدان الضابط فضلا عن كون (لوقا) ليس من الحواريين والتلاميذ مع كونه في الوقت نفسه تلميذا لبولس المتهم بتحريف الديانة النصرانية.

كما تبين لنا أيضا حال (يوحنا) والشك في كون الإنجيل من وضعه مؤكدا ذلك بالشواهد المذكورة عند الكلام عنه مع ميلنا إلى أنه من وضعه في أخريات حياته المشبعة بالفلسفة والفكر الهليني.

==

ألوان شتى من الوثنية والخرافات اليونانية والرومانية، اضمحلت في جانبها تعاليم المسيح الميسرة، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية تحول بين الإنسان والعلم والفكر والمنطق. ومن الأدلة الواضحة على ذلك ما ذكره باكستر الأوروبي^(٢٤٠)، والذي ترجمته:

«لقد انتهت الوثنية، ولكنها لم تلق إبادة كاملة، بل إنها تغلغلت في النفوس واستمر كل شيء فيها باسم المسيحية وفي ستارها، فالذين تجردوا عن آلهتهم وأبطالهم وتحلوا عنهم أخذوا شهيدا من شهادتهم ولقبوه بأوصاف الآلهة، ثم صنعوا له تماثلا. وهكذا انتقل هذا الشرك وعبادة الأوثان إلى هؤلاء الشهداء المحلين، ولم ينته هذا القرن حتى عمت فيهم عبادة الشهداء والأولياء، وتكونت عقيدة جديدة وهي أن الأولياء يحملون صفات الألوهية، وصار هؤلاء الأولياء والقديسون خلقا وسطا بين الله والإنسان، ويحمل صفة الألوهية على أساس عقائد الأريسيين، وأصبحوا رمزا لقداسة القرون الوسطى ووعيتها وطهرها. وغيّرت أسماء الأعياد الوثنية بأسماء جديدة، حتى تحول في عام ٤٠٠ ميلادي عيد الشمس القديم إلى عيد ميلاد المسيح». وما ذكره الدكتور أبو الغيط^(٢٤١) في كلامه عن الوثنية في المسيحية ختمه بقوله:

وأضيف إلى ذلك أن حوارى المسيح كانوا لا يفهمون في كثير من الأحيان إلا بالأمثال، لما كان يصطغ به في كلامه بالرمزية في كثير من مخاطباته. فإذا أخذنا كل ذلك وغيره في اعتبارنا علمنا وعي لنا بعد ذلك أن نقول: إن هذه الأناجيل لا تتصل بإنجيل المسيح إلا بخيط أرمي من خيط العنكبوت، وإنها لذلك ليست على شيء باستثناء فقرات مقتبسة من تعاليم المسيح أودعت هذه الأناجيل من ذكريات مؤلفيها لتكون شاهد حق ومعالم صدق للنبي الخاتم محمد ﷺ ولكتابه الكامل كتاب الله العزيز. وعقد ابن حزم الظاهري في كتابه (الملل والنحل، ج ١، ص ١١٦) فصلا عن المتناقضات الظاهرة والأكاذيب الواضحة في التوراة والأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى. فانظره.

وعن التجاذب بين الوثنية والمسيحية انظر مثلا: تاريخ ابن بطريق، وأنوار الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسرائيل لرفاعة الطهطاوي، وإظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، وقصة الحضارة لديورات... إلخ.

Rev. James Houstorn Baxter: History of Christianity in the Light of Modern Knowledge, Glasgo, 1926, p.407.

وعن التجاذب بين الوثنية والمسيحية انظر مثلا: تاريخ ابن بطريق، وأنوار الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسرائيل لرفاعة الطهطاوي، وإظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي وقصة الحضارة لديورات.

(٢٤١) مرجع سبق ذكره، ص ٦٠

«.. وهكذا كانت عبادة الأوثان في عصور الاضطهاد هذه يرتفع سوقها وينخفض تبعاً لتأييد النصارى للحكام الرومانيين وإقبالهم على تلبية رغباتهم في الولاء لتمثال القيصر، ومن يتباطأ عن ذلك كان مصيره الحرق والهدم والتدمير كما يقول بذلك التاريخ المسيحي كله، حتى طأطأت المسيحية رأسها أخيراً للوثنية وغطرستها بعد طول التجاذب والصراع بينهما. فحيثما دخلت المسيحية بلداً ووجدت أهلها مقيمين على الوثنية أقروهم على عبادتهم بالإضافة إلى المعتقدات المسيحية».

وابتدع النصارى الرهبانية، وأدخلوا في أناجيلهم ما لا تستسيغه الأفهام. فابن حزم - أحد رواد علم مقارنة الأديان - انتهى إلى نتائج خطيرة عندما درس المصادر الأصلية للمسيحية. ومن مناقشاته للنصارى في عقيدتهم قوله:

«.. وقالت (اليعقوبية) إن المسيح هو الله تعالى نفسه وإن الله - تعالى عن كفرهم - مات وصلب وقتل، وإن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان. وإن الله تعالى عاد محدثاً وإن المحدث عاد قديماً وإنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولاً به...».

«ولولا أن الله تعالى وصف قوطم في كتابه العزيز إذ يقول: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم...﴾ (المائدة/ ٧٢) وإذ يقول الله تعالى حاكياً عنهم: ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ (المائدة/ ٧٣) وإذ يقول تعالى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ (المائدة/ ١١٦)، لولا ذلك لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف. وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلاً يسع هذا الجنون. ونعوذ بالله من الخذلان...».

ويقول في دحض هذا القول:

«.. ويلزم هؤلاء القوم أن يعرفونا من دبر السماوات والأرض، وأدار الفلك هذه الثلاثة الأيام التي كان فيها ميتاً.. ثم يقال للقائلين بأن الباري تعالى ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس. أخبرونا إذ هذه الأشياء لم تزل كلها وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم فبأي معنى استحق

أن يكون أحدهما يسمى أباً والثاني ابناً وأنتم تقولون إن الثلاثة واحد وإن كان منها هو الآخر فالأب هو الابن والابن هو الأب وهذا هو عين التخليط. وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه: «سأقعد عن يمين أبي»، ويقولهم إن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده وإن الابن لا يعلمها، فهذا يوجب أن الابن ليس هو الأب. . وإن كانت الثلاثة متغايرة - وهم لا يقولون بهذا - فيلزمهم أن يكون في الابن معنى من الضعف أو من الحدوث أو من النقص، به وجب أن ينحط عن درجة الأب. والنقص ليس من صفة الذي لم ينزل. .» (٢٤٢).

وخلاصة قول ابن حزم (٢٤٣) في عقيدتهم التي جاءت في أنجيلهم: «فهذه سبعون فصلاً من أنجيلهم من كذب بحت ومناقضة لا حيلة فيها، ومنها فصول يجمع الفصل من ثلاث كذبات فأقل على قلة مقدار أنجيلهم. وجملة أمرهم في المسيح (عليه السلام) أنه مرة بنص أنجيلهم ابن الله ومرة هو ابن يوسف وابن داوود وابن الإنسان، ومرة هو إله يخلق ويرزق، ومرة هو خروف الله، ومرة هو في الله والله فيه، ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه، ومرة هو علم الله وقدرته، ومرة لا يحتكم على أحد ولا ينفذ إرادته، ومرة هو نبي وغلّام الله، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه، ومرة قد انعزل الله له عن الملك وتولاه هو وصار يولي أصحابه خطة التحريم والتحليل في السموات والأرض، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ويعطش ويشرب ويعرق من الخوف ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تيناً يأكله، ويفشل فيركب حماره ويأخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصبة، ويزق في وجهه ويضرب ظهره بالسياط ويميته الشرط، ويتحكمون به ويسقى الخل في الحنظل ويصلب بين سارقين ويسمر يده ومات الساعة ودفن ثم يحيا بعد الموت ولم يكن له هم إذا حيي بعد الموت واجتمع بأصحابه إلا طلب ما يأكل فأطعموه الخبز والحوت المشوي، وسقوه العسل، ثم انطلق إلى شغله. .»

(٢٤٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ٤٩ وما بعدها.

(٢٤٣) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٦٩.

ثم أخذ ابن حزم في بيان الكذب والكفر والهوس الذي جاء في كتبهم غير الأنجيل^(٢٤٤) إن هذا المآل الذي آلت إليه المسيحية واليهودية، اقتضى أن يرسل الله رسولا آخر، هو محمد بن عبدالله (عليه الصلاة والسلام)، لإنقاذ البشرية من هذا الضلال، ويكون الدين الخاتم لكل البشرية بعد أن أعدت لتلقيه.

ثانيا: الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات النصرانية:

حل القرن السادس الميلادي والحرب قائمة بين نصارى الشام والدولة الرومانية وبين نصارى مصر، أو بين الملكانية - التي يمثلها حزب الدولة - والمنوفيسية - التي يمثلها حزب القبط - بعبارة أخرى، وذلك لاختلافهم حول حقيقة وطبيعة المسيح (عليه السلام) إذ يعتقد الملكانية في ازدواج طبيعة المسيح بينما يعتقد المنوفيسيون أن للسيد المسيح طبيعة واحدة. وأصبح العالم المسيحي في شغل بنفسه عن محاربة الفساد والإصلاح ودعوة الأمم إلى الخير. وابتلي القبط بمصر لاعتقادهم المخالف لاعتقاد الدولة^(٢٤٥).

وفي الدولة الرومانية الشرقية - بالذات - ساءت أحوال الناس حتى فضلوا الحكومات الأجنبية على حكوماتهم. وقامت فتن وثورات. وقد هلك في عام ٥٣٢م - مثلا - في اضطراب واحد ثلاثون ألف شخص في القسطنطينية^(٢٤٦) وأمعنوا في أساليب التسلية التي وصلت إلى حد الوحشية^(٢٤٧).

وفي مصر البيزنطية ساد الاضطهاد الديني والاستبداد السياسي واليأس والفقر إذ كانت شاتهم الحلوب التي يحسنون حلها ويسئون علفها. ولم ينقذ المصريين من هذا الحال إلا المسلمون، كما يعترف بذلك من يتسبون إلى النصرانية، أمثال غوستاف لوبون^(٢٤٨)

(٢٤٤) انظر ذلك في: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢ / ٦٩ وما بعدها.

(٢٤٥) انظر: بئتر: فتح العرب لمصر: تعريب محمد فريد أبو حديد، صص ٣٧-٣٨، ٤٧.

(٢٤٦) انظر: دائرة المعارف البريطانية، مادة: جستيان.

(٢٤٧) انظر: إدوارد جيون: إنحطاط الدولة الرومانية ومقوفاها - ترجمة محمد علي أبودة ص ص ٣ - ٥.

(٢٤٨) حضارة العرب، تعريب عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٣٩٩هـ/

١٩٧٩م، ص ٢٥٨.

وفي سورية البيزنطية سادت المظالم إلى الحد الذي اضطّر كثيراً من السوريين لبيع أبنائهم ليوفوا ديونهم^(٢٤٩).

أما الأمم الأوروبية في الغرب والشمال فكانت تعيش حروباً دامية وجهلاً مطبقاً وغلوا في الدين. وكانوا يبحثون في قضايا مثل: هل المرأة حيوان أم إنسان، وهل لها روح خالدة أم لا؟ وهل لها حق الملكية والبيع والشراء... إلخ^(٢٥٠).

ج - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المجوسية:

أولاً: الحياة الدينية:

لقد شاع في إيران قبل ظهور زرادشت^(٢٥١)، الاعتقاد بالوهية «ميثرا» و«بيما» و«آشاه»، وظل ذلك حتى بعد ظهور الزرادشتية، التي تأثرت بهذه الديانة الوثنية القديمة، التي تقدر بعض العناصر الطبيعية، مثل: النار والكواكب، ويعبد فيها آلهة متعددة.

أما الزرادشتية في أصلها فقد كانت حرباً على عقيدة ميثرا وبيما وآشاه، تلك العقيدة الوثنية^(٢٥٢)، إذ كان من أبرز مبادئ الزرادشتية دعوة الناس إلى عبادة إله واحد وهجر الوثنية والصابئية التي كانت تتمثل في عبادة بعض الكواكب وغيرها من القوى الطبيعية^(٢٥٣)، والدعوة إلى تقديس عنصرَي الشمس والنار على أنها رمزان لتلك القوة الواحدة التي لا تفتأ تفيض رحمة ونورا وعطفاً وطيهوراً وتعمل على إنقاذ الإنسان من البلاء^(٢٥٤)، وتقديس التراب والماء والهواء لأهميتهما

(٢٤٩) انظر: محمد كرد علي: خطط الشام، (١/١٠١).

(٢٥٠) السيرة النبوية، ص ١٨ - ١٩، ماذا خسر العالم بالاحتفاظ بالمسلمين، ص ٤٤.

(٢٥١) هو نبي قدماء الآبرانيين. انظر سيرته في كتاب: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٧٧ - ٨٠)، وكتاب: زرادشت الحكيم نبي قدامي الإيرانيين، حياته وفلسفته لحامد عبدالقادر، الكتاب رقم (١) من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب، نشر مكتبة نهضة مصر ومطبعاتها، القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م. وخلاصة القول فيها عنده أن الزرادشتية لم تكن في الأصل وثنية، بل كانت توحيدية تؤمن بإله واحد وتكفر بالشيطان وتؤمن بالثواب والعقاب وتدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (انظر بالذات الفصل الثالث عشر، ص ٧٩ - ١١٠) الديانة الزرادشتية) وانظر كذلك: الطبري: التاريخ (١/٥٤٠ - ٦١).

(٢٥٢) انظر الشهرستاني (٢/٧٧) وانظر: زرادشت الحكيم: المرجع نفسه، ص ٨٠.

(٢٥٣) المرجع والمكان نفسهما.

(٢٥٤) المرجع نفسه، ص ٨٦.

في حياة الإنسان.

وبعد موت زرادشت، ظهرت فرقة المجوس^(٢٥٥) الذين يعبدون النار ويرونها إلهاً ويستعملونها في شعائهم الدينية متناسين أنها كانت فقط رمزاً للضعفاء، حتى أصبحوا يعرفون بأنهم عبدة النار، وأحياناً كهنة المجوسية. ومن الطقوس التي كانت موجودة من قبل زرادشت: عبادة الأصنام وتقديم القرابين، وبخاصة للإله (ميثرا) الذي أصبح أبرز الآلهة^(٢٥٦).

ولما غزا الإسكندر المقدوني بلاد إيران في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، اختفت الزرادشتية ولم تظهر إلا بعد خمسة قرون عندما قامت الدولة الساسانية التي حاولت العودة إلى الزرادشتية باعتبارها جزءاً من تراث إيران، ولكن الزرادشتية الساسانية كانت بعيدة كل البعد عن اتجاهات زرادشت، وكانت تحقق أهداف الملوك وطغيان الكهنة^(٢٥٧).

وفي القرن الثالث قبل الميلاد ظهر «ماني» بمذهبه الذي كان مزيجاً من الزرادشتية والمسيحية والديسانية^(٢٥٨) وعده الزرادشتيون ملحدًا خارجاً عن الزرادشتية الدين الحق - أي عدوه زنديقاً - لأن دياناته ثنوية صريحة، إذ تقول بوجود كائن ثنائي الطبيعة، وبوجود مبدأ أو كائنين يسيطران على العالم، هما: مبدأ النور ومبدأ الظلام. الأول مصدر الخير والثاني مصدر الشر، ولكل منهما قدرة على الإدراك^(٢٥٩). وعند امتزاج هذين الكائنين نشأ الكون بما فيه من ظواهر وحوادث وأجسام كثيفة وكائنات حية. ^(٢٦٠) ويرون أن كل من يساعد على إطالة أمد امتزاج النور بالظلام هو شر كله، وفي مقدمة ذلك: الزواج والتناسل، ولذلك رأوا أن من والواجب أن يسلك الإنسان مسلك العزلة

(٢٥٥) يفرق حامد عبدالقادر بين الزرادشتية والمجوسية تفريقاً واضحاً يميز به عن كثير غيره ممن كتب عن الديانات الإيرانية القديمة (انظره في ص ص ١١٥ - ١١٨).

(٢٥٦) انظر: آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين - ترجمة يحيى الخشاب، ص ص ١٩ - ٢٩، والدكتور أحمد شلبي: الإسلام - سلسلة مقارنة الأديان رقم (٣)، ص ٤١.

(٢٥٧) المرجع نفسه، ص ص ٤١ - ٤٢.

(٢٥٨) نسبة إلى واضع أسسها ابن ديسان - سيأتي ذكرها -.

(٢٥٩) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٨١/٢) وما بعدها، وانظر: زرادشت، المرجع السابق، ص ١٢٥، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية للدكتور/ عبدالله سلوم السامرائي. رسالة ماجستير مطبوعة - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٢٤.

(٢٦٠) الشهرستاني: الملل والنحل (٨٤/٢)؛ زرادشت، المرجع السابق، ص ص ١٢٥ - ١٢٦.

والرهينة وأن يقطع دابر التناسل حتى يفنى العالم المادي ويتخلص النور من الظلام.

وفي سنة ٢٧٦م، قتله الملك الإيراني (بهرام بن هرمز بن شاپور)، وقال عنه: «إن هذا الرجل قد جاء يدعو الناس إلى تدمير الكون، فالواجب أن يبدأ بتدمير نفسه»^(٢٦١).

وعلى الرغم من هذا الاضطهاد استمرت المانوية وتحولت إلى حركة سرية، وبقيت كذلك في الفترة الإسلامية^(٢٦٢).

وظهر مزدك في أواخر القرن الخامس الميلادي (٤٧٨ م) وسار على تعاليم ماني، معلنا شيوعية المال والنساء^(٢٦٣).

وأخذ الملك الإيراني قباد بآراء مزدك وطبقها في المجتمع في السنوات العشر الأولى من حكمه، وعندما وقف على بطلانها وحقيقتها تحول عنها وقتل مزدكاً وأوقع بأنصارها سنة ٥٢٩م، فتحولوا إلى العمل السري أيام الدولة الساسانية. ثم عادت إلى الظهور من جديد في العصور الإسلامية^(٢٦٤).

وظهرت في إيران كذلك الديانة المرقونية - نسبة إلى واضع أسسها «مرقون»^(٢٦٥) وعقيدتها ثنوية، لزعمهم أن النور خالق الخيز والظلمة خالقة الشر^(٢٦٦). وتأثرت بالزرادشتية والمسيحية.

وكذلك ظهرت في إيران الديانة الديصانية. وهي من الديانات الثنوية. وذهبت إلى ما ذهبت إليه المرقونية من وجود عالم ثالث إضافة إلى النور والظلمة، مهمته أن يفصل بين عالم النور وعالم الظلمة، ولم توضح كيفية وجود

(٢٦١) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٨١/٢)، زرادشت: المرجع نفسه، ص ص ١٣٠ - ١٣٢، الإسلام لأحمد شلبي، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢، آرثر كريستن: إيران في عهد الساسانيين، ص ص ١٦٩ - ١٩٥ الفصل الذي بعنوان: النبي ماني ومذهبه، وهو الفصل الرابع.

(٢٦٢) انظر طرغا من سيرتها في هذه الفترة في كتاب: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص ص ٢٤ - ٢٥ وانظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٨٦/٢).

(٢٦٣) انظر الشهرستاني: الملل والنحل (٨٦/٢)، والغلو والفرق الغالية، ص ٢٥، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٤٨ - ٤٩. الدكتور شلبي: الإسلام، ص ص ٤٢ - ٤٣.

(٢٦٤) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٨٦/٢) والغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص ٢٦.

(٢٦٥) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٨٦/٢) والغلو والفرق الغالية المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٢٦٦) الشهرستاني: المرجع والمكان نفسيهما، الغلو والفرق الغالية، المرجع والمكان نفسيهما.

هذا العالم الثالث^(٢٦٧). وابن ديسان الذي تنسب إليه هذه النحلة أول من مهد لفكرة الحلول، حيث زعم أن نور الله قد حل قلبه^(٢٦٨).

ثانياً: الحياة السياسية والاجتماعية في ظل المجوسية:
لقد شاع الفساد في إيران في ظل دياناتها الوثنية القديمة التي سبقت الزرادشتية، خاصة سكان البادية، فقد كان بعضهم يعتدي على بعض بالسلب والنهب وإزهاق الأرواح^(٢٦٩).

وعندما جاءت الزرادشتية حاولت القضاء على هذه المفاسد، ولكن إلى حين، وذلك لظهور عقائد أخرى مثل المانوية، والمزدكية.

وفي ظل المجوسية المنبثقة عن الزرادشتية، وفي ظل بقايا المانوية والمزدكية والديانات الإيرانية القديمة عاشت إيران في فوضى أخلاقية وتشتت عقدي وحروب دامية داخلية، وخارجية. فكثيراً ما كان مقدسو النار يهزمون عبدة المسيح وينهبون أموالهم ويأسرون منهم. وأحياناً كانت الدائرة تدور على الفرس الإيرانيين - فيغلبهم الروم^(٢٧٠).

وكان المجوس من الفرس لا يعبدون الإله الحق، ولم تتمكن الأخلاق الفاضلة في نفوسهم. وكان الأكاسرة يضطهدون الفرق الدينية المخالفة لهم في العقيدة.

ومن الممارسات الاجتماعية البارزة استئصال الزرادشتيين زواج المحارم، وقالوا «الابن أحمر بنسكين شهوة أمه، وإذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة»^(٢٧١) ولذلك تزوج ملكهم يزدجرد الثاني - حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي - ابنته، ثم قتلها. وإن بهرام جويين - الذي ملك في القرن السادس الميلادي - كان متزوجاً بأخته^(٢٧٢).

(٢٦٧) انظر الشهرستاني: المرجع نفسه، (٨٨/٢)، والفلو والفرق الغالية، ص ٢٢ - ٢٣.
(٢٦٨) انظر الشهرستاني: المرجع نفسه (٨٨/٢ - ٨٩)، والفلو والفرق الغالية، ص ٢٣.
(٢٦٩) انظر حامد عبدالقادر: زرادشت الحكيم ص ٢٣.
(٢٧٠) انظر ابن كثير: التفسير (٣٠٥/٦) وما بعدها في تفسير الآيات ١ - ٧ من سورة الروم. زرادشت الحكيم المرجع نفسه، ص ١٣٨.
(٢٧١) الفلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص ٢١.
(٢٧٢) انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك (١٧٨/٢)، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٤٧.
أرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص ٣٠٩ - ٣١١.

وحظيت الدعوة المزدكية بتأييد الشباب والأغنياء والمترفين والطبقة العامة لما صادفته من هوى في نفوسهم، وحظيت بتأثير الحاكم كما قلنا لفترة، مما كان له أكبر الأثر في نشاطها. وانغمست إيران بتأثيرها في القوضى الخلقية^(٢٧٣).

وكان للإيرانيين اعتقاد في البويات الروحية والأشراف من قومهم، إذ يرونهم فوق العامة في طبيعتهم، وفوق مستوى الناس في عقولهم ونفوسهم، ويمنحونهم سلطة روحية لا حد لها، ويخضعون لها خضوعاً كاملاً.

وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تمييزاً واضحاً. وكان لكل طبقة مركز محدد في المجتمع^(٢٧٤).

وكانوا يبالغون في تمجيد القومية الفارسية، ويرون أن لها فضلاً على سائر الأجناس والأمم، وأن الله قد خصها بمواهب ومنح لم يشرك فيها أحداً. وكانوا ينظرون إلى الأمم من حولهم نظرة ازدراء وامتهان، ويلقبونها باللقاب تدل على هذه النظرة^(٢٧٥).

ولما كانت النار لا توجي إلى عبادها بشريعة، ولا ترسل رسلاً، ولا تتدخل في شؤون حياتهم، ولا تعاقب العصاة المجرمين، فقد أصبحت الديانة عند المجوس - الذين حرفوا الزرادشتية الأصلية - عبارة عن طقوس وتقاليد تؤدي في أمكنة خاصة وفي ساعات خاصة. أما خارج المعابد، وفي دورهم وأماكن أعمالهم وفي الشارع وفي السياسة والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك، فقد كانوا أحراراً، يسرون على هواهم شأن المشركين في كل عصر^(٢٧٦).

وهكذا حرمت الأمة الفارسية في حياتها - في ظل المجوسية - ديناً عميقاً جامعاً

(٢٧٣) انظر الشهرستاني: الملل والنحل (٨٦/٢) ماذا خسر العالم بالتحطاط المسلمين، ص ٤٩، وانظر: الدكتور شليبي الإسلام، ص ٤٢، آرثر كريستن: إيران في عهد الساسانيين، ص ٣٤٨ - ٣٥٠.

(٢٧٤) ماذا خسر العالم بالتحطاط المسلمين، ص ٥٠ - ٥١، آرثر: المرجع السابق، ص ٣٠٢ - ٣٠٧.

(٢٧٥) انظر الطبري: التاريخ (٥٢٠/٣)، (٥٢٢، ٥٢٣)، الندوي: ماذا خسر العالم ص ٥٢. (٢٧٦) انظر الشهرستاني: الملل والنحل (٩٢/٢ - ٩٣)، وماذا خسر العالم، المرجع نفسه، ص ٥٢ - ٥٣.

يكون مربيا ومهذبا على عمل الخيرات، ويكون نظاما لكل أنشطة الإنسان والمجتمع والدولة، وجائلا بين الناس وطغيان الحكام^(٢٧٧). وهو ما وجدوه في ظل الإسلام.

وحُرمت حكما رشيدا لقمع الفساد، بل كان ملوكها عنصرا أساسيا من عناصر الإفساد، لأنهم تأهوا عندما لم يعبد الناس الإله الحق. وتنافسوا على العرش حتى إن ستة منهم تولوا العرش في أشهر قليلة، وبذلك تدهورت حتى قيمة العرش وأصبح كل موارد البلاد ملكا لملوكها الذين وصل بهم الترف والبذخ إلى حد خرافي، ومثال ذلك أن يزدجرد، آخر ملوكهم، عندما فر أمام الفتح الإسلامي، كان معه ألف طاه وألف معن وألف قيم على النمرور وألف قيم على البزاة، وحاشية أخرى، ومع ذلك كان يعتبر نفسه لاجئا حقيرا في حالة يرثى لها من قلة الحاشية وفقدان أسباب التسلية^(٢٧٨). وعاش الشعب في بؤس وشقاء تنقل كاهله الضرائب والحروب^(٢٧٩).

د - جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الصينية:
أولا: الحياة الدينية:

كانت تسود الصين في القرن السادس الميلادي ثلاث ديانات. ديانة لاتسو^(٢٨٠) وديانة كونفوشيوس والبوذية. أما الأولى فقد كانت وثنية، تعني بالنظريات أكثر منها بالعمليات. وعاش أتباعها زاهدين رهبانا، فانفض عنها إلى غيرها الذين جاءوا بعد مؤسسها^(٢٨١).

وأما كونفوشيوس فقد كان يعنى بالأمور العملية أكثر من النظريات، ولكن انحصرت تعاليمه في شؤون الدنيا. وكان أتباعه لا يعتقدون - في بعض

(٢٧٧) انظر: ماذا خسر العالم، المرجع نفسه، ص ٥٣.

(٢٧٨) الندوي: السيرة النبوية ص ١٤، آرثر كريستن: إيران في عهد الساسانيين.

(٢٧٩) انظر الطبري: التاريخ (١٥٠/٢)، وآرثر المرجع نفسه، ص ١٩٦ وما بعدها - الفصل الخامس.

(٢٨٠) ويرسمها بعضهم (لاوتسي) وهوتس - انظر في هذا الإسلام للدكتور شلي مرجع سبق ذكره، ص ٤٣.

ولاوتسو أسن من كونفوشيوس بنحو خمسين سنة. وقد تقابلا وتدارسا بضع مشكلات (انظر المرجع والمكان نفسهما).

(٢٨١) انظر الندوي: ماذا خسر العالم بالخطاط المسلمين، ص ٥٣.

الأزمئة - عبادة إله معين، ويعبدون ما يشاؤون من الأشجار والأنهار^(٢٨٢). واتجهوا إلى كونفوشيوس ينون له الهياكل ويعبدونه، ويقدمون أمام تماثيله الذبائح والقربان ويركعون لها. وشاعت في الصين قبيل الإسلام عبادة الأرواح وبخاصة عبادة أرواح الآباء والأجداد، إذ كانوا يعتقدون أن هذه الأرواح تعيش معهم بعد وفاة أصحابها^(٢٨٣).

وأما البوذية الصينية فقد فقدت حتى القدر القليل جدا من بساطتها، وابتلعتها البرهمية النائرة المتوردة فتحوّلت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سادت، وتبني الهياكل وتنصب تماثيل بوذا حيث حلت. وغمرت هذه التماثيل الحياة الدينية والمدنية التي ظهرت في عهد ازدهار البوذية^(٢٨٤). وتسربت إلى مناهج الحياة والعبادة السحر والأوهام، وبدأت تتقهقر وتنحط بعد أن سادت ألف سنة^(٢٨٥).

ثانيا: الحياة الاجتماعية:

ليس في الديانات الصينية، الكونفوشيوسية أو التي سبقتها نور من يقين ولا باعث من إيمان ولا شرع ساهوي يحلون به مشاكل العالم، وإنما هي حكم حكماء وتجارب خبراء، يستفيد بها الإنسان إذا شاء، ويرفضها إذا شاء^(٢٨٦). ونتج عن ذلك - مثلا - تمجيد الذكور كما كان يفعل العرب في جاهليتهم، فعندما يبشر الصيني بالذكر يعلق القوس والنشاب على الباب، دليل مولد الذكر الذي يحمي العشيرة، أما إذا بشر بالأنثى علق على بابه مغزلا، دليل الخنوع والضعف^(٢٨٧).

(٢٨٢) المرجع والمكان نفسهما.

(٢٨٣) الدكتور شليبي: الإسلام، ص ٤١.

(٢٨٤) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٣ - ٥٤، الدكتور شليبي: الإسلام، ص ٤١.

(٢٨٥) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢٨٦) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٣ - ٥٥، الدكتور شليبي: الإسلام، ص ٤٤.

(٢٨٧) الدكتور شليبي، الإسلام، ص ٤٤ - ٤٥.

وفي ظل البوذية الصينية قامت دول تعنى بمظاهر الآلهة وعبادة التماثيل .
وتغير محيط الروابط الأخوية البوذية وظهرت البدع والخزعات ولم تمنع
الفلسفة الكونفوشيوسية وجود نظام طبقي اجتماعي، وإن كان أقل حدة من
النظام الطبقي البوذي الذي ساد في الهند كما سنرى في الصفحة التالية (٢٨٨).

هـ - جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الهندية:
أولا: الحياة الدينية:

سادت في الهند الديانة البرهمية التي عبد أتباعها القوى المؤثرة في الكون،
والتي جسدها ثم اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام، فعبدوا الأصنام لحلولاها
فيها. وتعددت آلهتهم. ثم حل بعقائدهم التغير والتبدل حتى انحصرت
الآلهة في ثلاثة أقانيم. براهما وسيفا أو سيو ويشنو (٢٨٩).

ومن بعد البرهمية سادت البوذية في الهند. والبوذية لم تعن بالبحث عما
وراء الطبيعة، بل كانت عنايتها تتجه إلى الإصلاح الاجتماعي عن طريق
رياضة الإرادة على الحرمان، وتعويدها السيطرة والرغبة في الملاذ لكيلا تشقى
بطلبها ويحز فيها الحرمان (٢٩٠).

وعلى الرغم من ذلك، وبمرور الزمن، أظلت الأفكار العلييلة تعاليم بوذا
الخلقية، حتى توارت وراء التخيلات السقيمة بسبب التزيينات الكلامية
والتنطعات. وانحطت البوذية كما انحطت البرهمية ودخلت فيها العادات
الساقطة، وأصبح من العسير التمييز بينهما. لقد اندمجت البوذية في البرهمية
وذابت فيها (٢٩١).

وسادت الوثنية المجتمع الهندي بأسره حتى وصل عدد الآلهة حدا خرافيا،

(٢٨٨) المرجع نفسه، ص ٤٥، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٤. ومرجع الندوي
هنا هو كتاب الهند القديمة - بالأردو - للأستاذ إيشو أتويا. وعن النظام الطبقي في الفلسفة
الكونفوشيوسية، انظر كتاب: كونفوشيوس للدكتور حسن شحاتة صفحان - سلسلة قادة الفكر
في الشرق والغرب، رقم (٢)، ص ص ٧٦ - ٨٣.

(٢٨٩) انظر محمد أبوزهرة: الديانات القديمة، ص ص ٢٧ - ٢٨.

(٢٩٠) انظر: المرجع نفسه، ص ص ٧٧ - ٧٨. وعن البوذية راجع المرجع نفسه ص ٥٣ وما بعدها،
الندوي: السيرة النبوية، ص ٦، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٥٤ - ٥٥.

(٢٩١) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ص ص ٥٤ - ٥٥.

ووجدت في كل مرفق ومن كل نوع. فمنها أشخاص تاريخية وأبطال تمثل فيهم الله - حسب زعمهم - وجبال تجلس عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله، ومنها نهر الكنج وآلات الحرب والكتابة وآلات التناسل وحيوانات أعظمها البقرة، والأجرام الفلكية^(٢٩٢).

ثانيا: الحياة الاجتماعية:

اتفقت كلمة المؤرخين على أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا ذلك العهد الذي يتبدى من مستهل القرن السادس الميلادي. إذ انتشرت فيه المفاسد حتى في المعابد الدينية. وعبد بعض رجال الفرق الدينية النساء العاريات، وعبدت النساء الرجال العراة^(٢٩٣). ولم تعد للمرأة قيمة أو كرامة، حتى أن الرجل ليخسر امرأته في القمار، ولا تتزوج بعد وفاة زوجها. وانتشرت عادة إحراق الأيامي نفوسهن على وفاة أزواجهن، خاصة في الطبقات العليا^(٢٩٤)، وأنزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء^(٢٩٥). وقامت فلسفتهم الدينية على تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات، وهي:

- ١) البراهمة - الكهنة ورجال الدين.
 - ٢) شترى - رجال الحرب.
 - ٣) ويش - رجال الزراعة والتجارة.
 - ٤) شودر - رجال الخدمة - خدمة الطبقات الثلاث.
- وهذه الطبقة الأخيرة تعد نجسة، لا تتخالط ولا تتعلم حتى الكتب المقدسة^(٢٩٦). وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والغراب والبومة ورجل

(٢٩٢) المرجع نفسه، ص ٥٦ - ٥٧.

(٢٩٣) الندوي: ماذا خسر العالم بالتحطاط المسلمين، ص ٥٨ - ٥٩.

(٢٩٤) المرجع نفسه، ص ٥٩ - ٦٠، السيرة النبوية، ص ١٥، الديانات القديمة، ص ٤٥ - ٤٦.

(٢٩٥) الندوي: ماذا خسر العالم بالتحطاط المسلمين، ص ٦٠ - ٦١.

(٢٩٦) المرجع نفسه، ص ٦٠ ومصدره في هذا «نوشا ستر» أي قانون ستر - مؤلف هذا القانون.

الطبقة المنبوذة سواء^(٢٩٧). أما البراهمة فهم فوق القانون ويحل لهم إبادة الآخرين^(٢٩٨). هذا الفساد والضياع الذي عاشه العالم في الجزيرة العربية وخارجها كان يقتضي إرسال رسول، فأرسل الله سبحانه محمداً ﷺ للناس كافة عربهم وعجمهم لينقذهم من هذا الضياع والانحراف، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

(٢٩٧) انظر: تفاصيل أكثر عن الشقاء الذي كان يرسف في أغلاله هؤلاء الناس، في كتاب الندوي: ماذا خسر العالم بالاحتطاط المسلمين. وعن امتيازات طبقة البراهمة انظر المرجع نفسه، ص ٥٩ ومصدره: منوشاستر.
(٢٩٨) المرجع نفسه، ص ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٠.

الفصل الأول

من المولد إلى المبعث

المبحث الأول: نسب الرسول ﷺ:

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان.

أخرج هذا القدر من نسبه البخاري في صحيحه^(١)، وهو المجمع عليه بين العلماء، أما ما بعده إلى آدم (عليه السلام) فمختلف فيه كثيرا^(٢)، وليس فيه ما يعتمد عليه^(٣). ولكن مما لا خلاف فيه أن عدنان من نسل إسماعيل ابن إبراهيم (عليهما السلام)^(٤).

وأخواله من بني زهرة^(٥)، لأن أمه آمنة بنت وهب كانت منهم^(٦). ويلتقي نسبه بنسبها في كلاب بن مرة^(٧).

وشاء الله أن يكون من أعلى وأطهر أهل الأرض نسبا وأشرفهم قوما وقبيلة وفخذنا. وفي هذا بقول الرسول ﷺ: إن الله اصطفى كنانة من ولد

-
- (١) الفتح (٣/١٥) ك. (المبعث).
(٢) انظر هذا الاختلاف في مصادر مثل: تاريخ دمشق، السيرة النبوية، القسم الأول، ص ص ٣٦ - ٥٣، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان ص ص ٤٠ - ٤٣، تاريخ الإسلام للذهبي - السيرة النبوية، ص ص ١٧ - ٢٢.
(٣) انظر: البيهقي: دلائل النبوة (١/١٨٠).
(٤) يفهم ذلك من قول الرسول ﷺ: «إن الله عز وجل اصطفى بني كنانة من بني إسماعيل... الحديث» - مسلم (٤/١٧٨٢ ح ٢٢٧٦)، وغيره.
(٥) انظر: البخاري / الفتح (١٤/٢٢٣٠ ك. المناقب).
(٦) ابن حجر. الفتح (١٤/٢٣٠).
(٧) انظر: السيرة النبوية لابن حبان، ص ٤٤.

إسماعيل، واصطفي قريشا من كنانة، واصطفي من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم^(٨). ويقول: «إن الله (عز وجل) يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم، ثم حين فرقهم جعلني في خير الفريقين، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير قبيلة، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نسبا، وخيرهم بيتا»^(٩).

ولم يستطع أبوسفیان أن ينكر علو وسمو نسب الرسول ﷺ على الرغم مما كان له من عدااء للرسول ﷺ قبل إسلامه، فقال: «هو فينا ذو نسب»^(١٠).

ذلكم هو نسب محمد ﷺ الذي سماه جده عبدالمطلب بهذا الاسم رغبة منه عن أسباء أهل بيته، وأراد أن يحمد الله في الساء وخلقه في الأرض^(١١).

حكم وفوائد من هذا الاصطفاء:

١ - مادامت العرب لا تسمع إلا لذوي الأنساب العالية فيهم، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون نبيه محمد ﷺ من أعلاهم نسبا حتى لا يكون لأعداء الإسلام سلاح في أيديهم للصد عن سبيل الله، وحتى لا يتوهم متوهم أن رسالته ماهي إلا وسيلة لغاية وهي تغيير وضعه الاجتماعي.

٢ - إن اختيار الله تعالى لنبيه محمد ﷺ من العرب من دلائل حب الله تعالى لهم، وهذا يقتضي من المسلم أن يحبهم من حيث الجنس، لا من حيث الأفراد، لأن الأفراد قد ينحرفون عن الإسلام، فينبغي هنا كره أفعالهم المنحرفة لا كره جنسهم العربي.

(٨) مسلم (٤/١٧٨٢ ح/٢٢٧٦).

(٩) انظره في: البيهقي، دلائل النبوة (١/١٦٨)، سنن الترمذي (٥/٦٥٣ ح/٣٧٥٨) وقال: وهذا حديث حسن صحيح. وفي الزوائد «رجال إسناده ثقات». وروى بمعناه الإمام أحمد. المسند (٤/١٦٦ - ١٦٧)، وبنحوه أبو نعيم في الدلائل (١/٥٨).

(١٠) البخاري / الفتح (١٢/٧٠ ح/٢٩٤١).

(١١) ابن حجر: الفتح (١٥/٣) من رواية البيهقي بإسناد مرسل كما قال ابن حجر. وانظر: البيهقي: دلائل النبوة (١/١٦١).

المبحث الثاني: الختان والتسمية:

اختلف العلماء في أمر ختانه، فمنهم من قال إنه ولد مختونا. ومنهم من قال:

«ختنه جده عبدالمطلب يوم سابعه، وصنع له مأدبة، وسماه محمداً»^(١٢) والذي رجحه بعض كبار العلماء القدماء أنه ولد مختونا^(١٣). وعندما سأله قومه عن سبب رغبته عن أساء أهل بيته، أجابهم بأنه يريد أن يحمد الله في الساء ويحمده خلقه في الأرض^(١٤).

وعرف الرسول ﷺ باسماء أخرى. فقد قال: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». وقال الراوي - الزهري: «والعاقب الذي ليس بعده نبي»^(١٥). وزاد ابن سعد^(١٦): «... والخاتم...»، وزاد مسلم^(١٧) أسماء أخرى، وهي المقفى ونبي الرحمة، وزاد الترمذي^(١٨) «...».

(١٢) قاله الوليد بن مسلم بسنده إلى ابن عباس كما نقله عنه الذهبي في تاريخ الإسلام - السيرة، ص ٢٧، وقال الذهبي إن هذا أصح مما رواه ابن سعد (١٠٣/١) بإسناده إلى العباس (رضي الله عنه) من أنه ولد مختونا مسرورا،... قال محققا زاد المعاد (٨٢/١) حاشية (١) عن إسناده الوليد بن مسلم: «لا يصح، لأن محمد بن أبي السرى قال أبو حاتم: «لن الحديث، وقال ابن عدي: كثير الغلط، والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن». وذكر ابن القيم في الزاد (٨٢/١) رأي ابن عبد البر فيه بأنه حديث مسند غريب، ورأي يحيى بن أيوب - أحد رواة الحديث - أنه طلب هذا الحديث فلم يجد عند أحد من أهل الحديث عن لقيه إلا عند ابن أبي السرى. ثم قال ابن القيم: «وقد وقعت هذه المسألة بين رجلين فاضلين، صنف أحدهما مصنفًا في أنه ولد مختونا وأجلب فيه من الأحاديث التي لا عظام لها ولا زمام، وهو كمال الدين بن طلحة، فنقضه عليه كمال الدين بن المديم، وبين فيه أنه ختن على عادة العرب، وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها، والله أعلم».

(١٣) روى أبو نعيم في دلائله (١٥٤/١) مرفوعا إلى النبي ﷺ قوله: «من كرامتي على ربّي أني ولدت مختونا، ولم ير أحد سوتي»، وقال المحققان: «وأخرجه أيضا الطبراني في الأوسط والخطيب وابن عساکر من طرق عن أنس وصححه الضياء في المختارة... قال الحاكم في المستدرک (٦٠٢/٢): «وتواترت الأحاديث أنه (عليه السلام) ولد مختونا، وانظر السيرة النبوية لابن حبان، ص ٥٨، والسيرة الشامية (١/٢٠٤ - ٤٢١). وقد قوى الشيخ طبرهوني: صحيح السيرة النبوية - حاشية رقم ١٤١ أحاديث ختان جده له».

(١٤) ابن حجر: الفتح (٣/١٥) من رواية البيهقي بإسناده مرسل كما قال ابن حجر.

(١٥) البخاري / الفتح (١٨/٢٨٠ ج ٤٨٩٦)، مسلم (٤/١٨٢٨ ج ٢٣٥٤)، وغيرها.

(١٦) الطبقات (١٠٤/١) بإسناده قوي حسن كما قال الذهبي في سيرته، ص ٣٠.

(١٧) الصحيح (٤/١٨٢٨ ج ٢٣٥٥).

(١٨) الشئائل (٣٦٠) بإسناده حسن كما قال محقق تاريخ الإسلام للذهبي - السيرة ص ٣١ - حاشية (٥).

نبي الملاحم...» (١٩) وقد وردت أخبار بأن أمه سمته أحمد. فقد روى ابن سعد (٢٠) بإسناد حسن عن علي (رضى الله عنه) قال: «قال رسول الله ﷺ: سميت أحمد.»

ولما كان والده قد توفي وهو في بطن أمه، فينصرف القائم بالتسمية إلى الأم. ويشهد لذلك ما رواه ابن سعد (٢١) من طريق الواقدي بسنده إلى أبي جعفر محمد بن علي، قال: «أمرت أمّته وهي حامل برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد. ويشهد له أيضاً ما رواه أبو نعيم (٢٢) عن بريدة وابن عباس قالا: «رأت أمّته في منامها فقيل لها: إنك قد حملت بخير البرية وسيد العالمين، فإذا ولدته فسميه أحمد ومحمداً... إلخ». ويشهد له ما رواه ابن اسحاق (٢٣) ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٢٤)، وقال: «وكانت أمّته تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد ﷺ فقيل لها: فإذا وقع فسميه محمداً، فإن اسمه في التوراة والإنجيل أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في القرآن محمد. فسمته بذلك. وفي آخره أنها أخبرت عبدالمطلب بها أمّرت أن تسميه. فقال شعراً وفي آخره: أحمد مكتوب على اللسان». وقد رواه ابن عساکر (٢٥) أيضاً. وكني بأبي القاسم (٢٦)، وأمر أن نسمي باسمه ولا نكني بكنيته (٢٧). وكناه جبريل (عليه السلام) بأبي إبراهيم، ولكنه كره أن يحول كنيته التي عرف بها (٢٨). واختلف العلماء في أمر التكني بكنيته، وفي أمر الجمع بين اسمه

(١٩) وعن الرويات عن أساء النبي ﷺ - مما ذكرنا أو لم نذكر - انظر دلائل البيهقي: (١٥١/١) - (١٦١) والسيرة الشامية (١٢٠/١ - ١٦٣) فقد عدها الشامي مرتبة على الحروف الأبجدية.

(٢٠) الطبقات (١٠٤/١).

(٢١) المصدر والمكان نفساها.

(٢٢) دلائل النبوة (٣٦/١ - ٣٧).

(٢٣) ابن هشام (٢١٠/١) يلفظ قريب من لفظ أبي نعم، وبدون إسناد، فهو ضعيف.

(٢٤) دلائل النبوة (١١١/١ - ١١٢).

(٢٥) تاريخ دمشق - السيرة (٤٠٤/١).

(٢٦) انظر: مسلم (١٦٨٢/٣) ح (٢١٣٣)، أحمد: المسند (٤٣٣/٢ و ٣٠١/٣)، ابن سعد (١٠٧/١).

(٢٧) البخاري / الفتح (٣٨٢/٢٢) ح (٦١٨٧ - ٦١٩٠)، مسلم (١٦٨٤/٣) ح (٢١٣٤). وعن المرويات الأخرى عن كنيته، انظر دلائل البيهقي (١٦٢/١ - ١٦٤).

(٢٨) ابن عساکر: تاريخ دمشق - قسم السيرة، ص ٢٧ - ٣٦، بإسناد حسن. وانظر الحديث في الإصابة (٣/٣٣٥ - ٣٦) في ترجمة «مأبوره» من رواية ابن عبدالحكم في كتابه فتوح مصر.

وكنيته، فقليل إنما نهي عن التكني بكنيته في حال حياته، وقيل إنما نهي أن يجمع بين اسمه وكنيته فقط^(٢٩).

ولم يعرف اسم: أحمد قبله، وسمت بعض العرب باسم محمد لما شاع قبيل وجوده أن نبياً سيبعث اسمه محمد^(٣٠).

المبحث الثالث: اليتيم ورعاية الجدد ثم العم:

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ وفاة والده. والذي قاله ابن إسحاق^(٣١)، ورجحه ابن سعد^(٣٢)، أن ذلك كان وهو في بطن أمه، وهو المشهور، الذي رجحه كثير من العلماء^(٣٣)، أمثال: الذهبي^(٣٤)، وابن كثير^(٣٥)، وهو الذي قطعت به الآية القرآنية الكريمة: ﴿ألم يجدك يتيماً﴾ فأوى^(٣٦).

وبذلك يكون الرسول ﷺ قد ولد يتيماً.

والمشهور أنه ولد بمكة ببيتهم الأب، في يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول^(٣٧)، في العام المشهور بعام الفيل^(٣٨). وهو ما يراه المستشرقون مقابلاً لعام ٥٧٠م. ولكن الباحث محمود باشا الفلكي توصل إلى أنه كان

(٢٩) تفاصيل ذلك عند: ابن عساکر: تاريخ دمشق - السيرة - ص ص ٢٦ - ٣٤، وابن الجوزي الوفا بأحوال المصطفى (تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١٩٨٨م) ص ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٣٠) انظر السيرة الشامية (٥٠٣/١) وما بعدها. ومن سمي محمداً: محمد بن أخيتة، محمد بن أسامة محمد بن البر، محمد بن الحارث بن خديج، محمد بن جرهم، محمد بن حمران، محمد بن خزامي، محمد بن خولي، محمد بن مسلمة، محمد بن مفيان بن نجاشع جد جد الفرزدق، محمد بن عدي... إلخ وهم دون العشرين.

(٣١) ابن هشام (٢١٠/١) - بدون إسناد، فهو يكون بذلك ضعيفاً.

(٣٢) الطبقات الكبرى (٩٩/١ - ١٠٠) بإسناد ضعيف.

(٣٣) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٢٨٥/٢ - ٢٨٦) حيث ذكر الروايات المختلفة في ذلك؛ البيهقي:

دلائل النبوة (١٨٧/١ - ١٨٨).

(٣٤) تاريخ الإسلام - السيرة النبوية، ص ٥٠.

(٣٥) البداية والنهاية (٢٨٥/٢ - ٢٨٦).

(٣٦) سورة الضحى: الآية رقم ٦.

(٣٧) ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢١١/١)، فهو إذن ضعيف.

(٣٨) انظر النووي: السيرة، ص ١٥. وقد روى الذهبي بسنده إلى ابن عباس أن النبي ﷺ ولد يوم

الفيل، وقال عن إسناده: «صحيح» - انظر: تاريخ الإسلام - السيرة، ص ٢٢. وروى ابن إسحاق

بإسناد حسن أن الرسول ﷺ ولد عام الفيل. انظر: ابن هشام (٢١١/١).

التاسع من ربيع الأول، الموافق العشرين من (نيسان) عام ٥٧١م^(٣٩). وعندما مات والده كفله جده عبدالمطلب، وهو تحت رعاية أمه آمنة بنت وهب^(٤٠).

وكانت وفاة والده بالمدينة، عند أخواله بني عدي بن النجار، عندما أرسله والده عبدالمطلب إليها ليشتري منها غمرا^(٤١). ودفن في دار النابغة، تحت عتبة البيت الثاني على يسار من يدخل دار النابغة. وكانت وفاته عن خمس وعشرين سنة^(٤٢).

ظل الرسول ﷺ في رعاية أمه آمنة وكفالة جده عبدالمطلب بعد أوبته من بادية بني سعد.

وعندما بلغ من العمر ست سنين توفيت والدته آمنة بالأبواء^(٤٣)، وهي راجعة به إلى مكة من زيارة قامت بها معه إلى أخوال أبيه بني عدي ابن النجار^(٤٤) بالمدينة المنورة^(٤٥).

وحملته مولاته وحاضنته أم أيمن إلى جده عبدالمطلب بمكة، فأخذ بحوطه

- (٣٩) الحصري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (١/٦٢).
- (٤٠) وقد ثبت كفالة جده له من طرق عدة تنقوى إلى درجة الحسن لغیره. انظر في ذلك الحاشية رقم: ١٤١، ١٣٢، ١٦٧، ١٦٦. من كتاب صحيح السيرة للطهوني. وانظر: ابن إسحاق - بدون إسناد، ابن هشام (١/٢١٢).
- (٤١) قاله ابن عبد البر في الاستيعاب (١/١٤). مرسل عن الزهري. وقيل بل أرسله إلى الشام في تجارة فعاد من غزة مريضا فتوفى بالمدينة. انظر: ابن سعد (١/٩٩) من رواية شيخه الواقدي.
- (٤٢) انظر: ابن سعد (١/٩٩) وعمر بن شبة: تاريخ المدينة (١/١١٦ - ١١٧)، وعمدة الأخبار، ص ١٦٧. وقال صاحب وفاة الوفا (٣/٨٦٧) أن دار النابغة كانت شامي (أي شمالي) المسجد النبوي، عند بني جديلة. وانظر: ابن سعد: الطبقات (١/١١٦) بإسناد ضعيف لأن فيه عبدالعزيز ابن عمران وهو متروك في الحديث.
- (٤٣) قرية بينها وبين الحنفية ثمانية وعشرون ميلا - معجم البلدان (١/٧٩). وقالوا: واد من أودية الحجاز الهامة يلتقي فيه وادي الفرع والقاحة، فيتكون منها وينحدر إلى البحر مارا ببلدة مستورة، ثم يبحر - عائق البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة.
- (٤٤) لأن هاشم بن عبد مناف تزوج بالمدينة سلمى بنت عمرو التجارية، فولدت له عبدالمطلب (شبة). انظر ابن إسحاق: (ابن هشام ١/٢٢٣)، ودلائل البهية (١/١٨٨).
- (٤٥) ابن سعد (١/١١٦) من طريق الواقدي، ابن إسحاق بإسناد مرسل: (ابن هشام ١/٢٢٢ - ٢٢٣)، عبدالرزاق. المصنف (٥/٣١٨) بإسناد مرسل ومرسل ابن إسحاق ومرسل عبدالرزاق صحيحان، ويشهد لها مارواه ابن سعد. وخبر وفاة أمه وهو غلام صغير ووفاتها بالأبواء ورد بطرق تنقوى وترتفع إلى درجة الحسن لغیره. انظر تفاصيل ذلك عند الشيخ طهوني: صحيح السيرة. حاشية رقم ١٦٥ ورقم: ١٦٦.

بعنائه إلى أن توفي وللنبي ﷺ ثمان سنوات من العمر^(٤٦)، فأوصى به إلى عمه أبي طالب^(٤٧)، أخي أبيه عبدالله لأمه وأبيه، أمهما فاطمة بنت عمرو ابن عائذ^(٤٨).

وقد رويت أخبار في مدى عناية جده عبدالمطلب به. من ذلك ما رواه أبويعلى^(٤٩) أن عبدالمطلب أرسل محمدا ذات مرة في إثر إبل له ضلت، فاحتبس عليه حتى حزن حزنا شديدا. وعندما عاد محمد بالإبل أقسم ألا يبعثه في حاجة له أبدا. ولا يفارقه بعد هذا أبدا.

وكان يقربه ويدنيه منه ولا يدع أحدا يدخل عليه وهو نائم. وكان له مجلس لا يجلس عليه غيره. وكان له فراش في ظل الكعبة، يجلس حوله بنوه ويجلس النبي ﷺ عليه مع جده^(٥٠).

وتروي كتب السير أن أبا طالب كان شديد الاعتناء أيضا بابن أخيه محمد ﷺ. فكان لا ينام إلا ومحمد إلى جنبه، ولا يخرج إلا معه، ويخصه بالطعام، ولا يأكل إلا عندما يحضر محمد^(٥١). وظل يحوطه بعنائه إلى أن توفي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين.

حكمة يتم الرسول ﷺ :

(١) لقد شاء الله (عز وجل) أن ينشأ الرسول ﷺ يتيما، بعيدا عن تربية

(٤٦) انظر ابن إسحاق، بإسناد مرسل (ابن هشام ٢٢٣/١)، الأزرقى تاريخ مكة (٣١٤/١، ٣١٥) بإسناد حسن، الذهبي: السير، ص ٢٥، بإسناد معلق وللقصّة شواهد، منها ما رواه البيهقي في الدلائل بإسناد صحيح (٢٢/٢)، وعبدالرزاق بإسناد مرسل صحيح (٣١٨/٥) وابن سعد (١١٧/١ - ١١٨) من رواية الواقدي.

(٤٧) ابن هشام، بدون إسناد (٢٣٥/١)، ابن سعد (١١٨/١) من طريق الواقدي، الذهبي: السير، ص ٥٠. وما يدل على أن هذا أصلا ماجاء في قصة الراهب بحيرا مع الرسول ﷺ في رحلته إلى الشام وهو صغير وسيأتي ذكرها، وهي صحيحة كما ستعلم.

(٤٨) ابن إسحاق، بدون إسناد (ابن هشام ٢٣٥/١) فهو ضعيف.

(٤٩) الهيثمي: مجمع الزوائد (٢٤٤/٨) وحسن الهيثمي إسناده، الحاكم المستدرک (٦٠٣/٢ - ٤) وصححه ووافقه الذهبي. البيهقي: الدلائل (٢٠/٢ - ٢١) من طريقين، أحدهما طريق الحاكم...

(٥٠) الأزرقى: تاريخ مكة (٣١٤/١ - ٣١٥)، وإسناده حسن ولروايته هذه القصّة شواهد ذكرناها في الحاشية رقم (٤٦) هنا. وابن إسحاق، بدون إسناد (ابن هشام ٢٢٣/١).

(٥١) الطبقات (١١٩/١ - ١٢٠) من طريق الواقدي. والواقدي متروك، ولذا فالإسناد ضعيف جداً، وما يشهد بأن لرواية الواقدي أصلا في المرويات الصحيحة قصة النبي ﷺ مع الراهب بحيرا في خبر سمره إلى الشام وهو صغير. كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه من هذا الكتاب.

أبيه وأمه وجده، إذ إن والده قد توفي وهو في بطن أمه، وقضى معظم فترة طفولته الأولى ببادية بني سعد، بعيدا عن أسرته كلها، ثم ما لبث أن توفيت أمه، ولم يمكث معها سوى مدة يسيرة، وبعدها بمدة يسيرة توفي جده عبدالمطلب. كل ذلك لحكم، لعل من أبرزها أن لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة في القلوب أو إيهام الناس بأن محمدا إنما رضع لبان دعوته ورسالته منذ صباه بإرشاد وتوجيه من أبيه وجده ليصل إلى جاه الدنيا باصطناع النبوة. فقد كان لجده مكانة مرموقة في قومه، فلقد كانت إليه الرفادة والسقاية، أي إطعام الحجاج وسقايتهم^(٥٢).

٢) ولعل في يتمه أسوة للأيتام في كل زمان ومكان، ليعرفوا أن اليتيم ليس نعمة، وإنه لا يجب أن يقعد بصاحبه عن بلوغ أسمى المراتب.

المبحث الرابع: من إرهابات النبوة عند ميلاده:

وصاحبت ولادته بغض الإرهابات الدالة على نبوته. وما ثبت منها بطرق صحيحة، قوله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، رأيت أمي حين حملت بي كأن نورا خرج منها أضواء له قصور بصرى من أرض الشام»^(٥٣). ومالم يثبت بطرق صحيحة، ولكنه اشتهر، مثل قولهم: إنه حين ولد سقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخذت النار التي كان يعبدها

(٥٢) انظر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. فقه السيرة، ص ص ٥٠ - ٥١.
(٥٣) أخرجه أحمد في المستدرك (١٢٧/٤ و ٢٦٢/٥) عن الرباض بن سارية، وعن أبي أمامة وعن أبي النضر وعن فرج. وقال الهيثمي في المجمع (٢١٢/٨): «إسناده أحمد حسن» وفيه رأيت خرج مني نور أضواء منه قصور الشام. ورواه الحاكم في المستدرك (٦٦٦/٢ - ١٧) بسند أحمد. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن كما في سيرة ابن هشام (٢١٩/١ - ٢٢٠) إذ إن جهالة الصحابي فيه لا تضر، ولذا قال عنه ابن كثير في البداية (٢٩٩/٢): «وهذا إسناده جيد قوي».

المجوس، وغاصت بحيرة «ساوة» وانهدمت المعابد التي كانت حولها^(٥٤).

المبحث الخامس: رضاعة الرسول ﷺ:

اشتهر عند أهل المغازي والسير ان ممن أرضعنه حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية، حين أخذته معها إلى بادية قومها، فأقام معها نحو أربع سنين، ثم زدته إلى أمه.

لقد تفرد ابن إسحاق^(٥٥) برواية خبر إرضاع حليلة الرسول ﷺ وإقامته معها ببادية بني سعد. وقد رواه بإسناد منقطع، إذ لم يصرح فيه عبدالله ابن جعفر بالسماع عن حليلة، وفي إسنادهم جهم بن أبي جهم، الذي عده الذهبي^(٥٦) من المجاهيل. ورواه أبو يعلى^(٥٧) في مسنده، وابن حبان^(٥٨) في صحيحه، وليس فيهما تصريح بالتحديث بين عبدالله وحليمة، كما قال الشيخ الألباني^(٥٩)، وخَطَأَ ابن حجر^(٦٠)، لأنه قال بأن عبدالله قد صرح بالتحديث. ورواه الطبراني^(٦١) كذلك، ووثق الهيثمي^(٦٢) رجال أبي يعلى والطبراني. وحكم محققا سيرة ابن هشام^(٦٣)، والشيخ الألباني^(٦٤) بضعف هذا الخبر.

(٥٤) جاء ذلك في الخبر الطويل عن سطيح وابن أخته عبدالمسيح. انظره في دلائل النبوة للبيهقي (١٢٦/١ - ١٢٩)، قال المحقق، الدكتور عبدالمعطي قلعجي عنه: «وهذا حديث ليس بصحيح...». وانظر الخبر في البداية والنهاية (٢٩١/٢ - ٢٩٢) وقال عنه ابن كثير: «أما هذا الحديث فلا أصل له من كتب الإسلام المعهودة، ولم أره بإسناد أصلا». وقال محققا دلائل النبوة لأبي نعيم (١٣٩/١ - ١٤١) بعد أن خرجا الخبر: «... قال ابن عساکر: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث غزوم عن أبيه، تفرد به أبوأيوب البجلي... وقال ابن حجر في الإصابة: مرسل... الخ».

(٥٥) ابن هشام (٢١٤/١) وانظر حاشية المحققين حيث خرجا هذا الخبر. وخرجه كذلك الدكتور سليمان العودة في رسالته للدكتوراه: السيرة في الصحيحين وابن إسحاق، ص ١١٨ - ١١٩.

(٥٦) ميزان الاعتدال (٤٢٦/١).

(٥٧) (١٢٨/١). وانظر الهيثمي: مجمع الزوائد (٢٢١/٨)، ومرويات غزوة حنين (٤٣٥/٢).

(٥٨) موارد الظمان، ص ٥١٢ - ٥١٣.

(٥٩) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة والرد على جهالات البوطي في فقه السيرة ص ٣٩.

(٦٠) الإصابة (٢٧٤/٤).

(٦١) المعجم الكبير (٢١٢/٤ - ٢١٥ ح ٥٤٥)، قال الهيثمي في المجمع (٣٠٥/٩): «ورجاله رجال الصحيح غير عبارة بن زاذان وهو ثقة».

(٦٢) المجمع (٢٢١/٨).

(٦٣) ابن هشام (٢١٤/١) حاشية (ج).

(٦٤) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، ص ٣٨ وما بعدها.

وعلى الرغم مما قيل في إسناد هذا الخبر إلا أن مما لا شك فيه ثبوت استرضاع الرسول ﷺ في بادية بني سعد، وذلك لأن رواية الصحيح^(٦٥) تتفق مع رواية ابن إسحاق في أن حادثة شق الصدر قد وقعت للرسول ﷺ وهو صغير مسترضع في بادية بني سعد، وكذلك رواية الحاكم^(٦٦)، وأحمد^(٦٧) وابن إسحاق^(٦٨) في حديث «أنا دعوة أبي إبراهيم... واسترضعت في بني سعد ابن بكر...»، وفي الحديث الذي رواه ابن إسحاق^(٦٩) بإسناد حسن، قال وفد هوازن للرسول ﷺ وهو بالجعرانة حين منصرفه من حنين: «إنما في الحظائر - أي الأسر - عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك...»، في هذا الحديث إشارة إلى رضاعة النبي ﷺ في أهل مناطق الطائف، أي في هوازن، التي منها بنو سعد، قوم حليلة بنت أبي ذؤيب^(٧٠).

وروى ابن سعد^(٧١) بسنده إلى ابن القبطية أن النبي ﷺ كان مسترضعا في بني سعد بن بكر. وفي رواية أخرى لابن سعد^(٧٢) أن أم النبي ﷺ دفعته إلى السعدية التي أرضعته....

وذكر ابن كثير^(٧٣) أن أبا نعيم روى بسنده إلى عتبة بن عبد الله أن رجلا

(٦٥) مسلم (١/١٤٧/ح ٢٦١).

(٦٦) المستدرک (٢/٦٠٠) ووضح إسناده وأقره الذهبي.

(٦٧) المسند (٤/١٢٧ - ٢٨) من غير طريق ابن إسحاق، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٢٢٢): «وإسناده حسن وله شواهد تقويه». ومن تلك الشواهد رواية الطيالسي في مسنده، كما في منحة المعبود (٢/٨٦) والطبراني في الكبير (٨/٢٠٥ - ٦)، وكلاهما من غير طريق ابن إسحاق وفي إسنادهما إبن فضالة، وهو ضعيف.

(٦٨) ابن هشام (١/٢١٩ - ٢٢٠) بإسناد مرسل وجهالة الصحابي لا تضر ولذا قال عنه ابن كثير في البداية (٢/٢٩٩): «وهذا إسناد جيد قوي».

(٦٩) سيرة ابن هشام (٤/١٨٣ - ١٨٥).

(٧٠) انظر نسبها في السيرة النبوية لابن حبان، ص ٥٣ - ٥٤، بدون إسناد وفي سيرة ابن هشام (١/٢١٣)، بدون إسناد.

(٧١) الطبقات (١/١١٣) بإسناد ضعيف لعله للإرسال، ورجاله ثقات.

(٧٢) الطبقات (١/١١٣) بإسناد ضعيف للإرسال ولأن فيه عمرو بن عاصم الكلبي وهو صدوق في حفظه شيء.

(٧٣) البداية (٢/٢٩٩). وعند الرجوع إلى دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/٢٢٠) لم نجد نص الحديث الذي ذكره ابن كثير، بل وجدناه يقول: «و رواه عبدالرحمن بن عمرو عن عتبة بن عبد انفا على أنه كان مسترضعا في بني سعد، وقد تقدم ذكره» وقال المحققان في الحاشية: «لم يتقدم ذكره وكأنه من الأحاديث التي حذفها صانع هذا المنتخب». وقالوا عن حديث عتبة بن عبد: «خرج به أحمد والطبراني ولم يسق المتن وإسناده أحمد حسن. راجع: مجمع الزوائد (٨/٢٢٢)، وأخرجه الدارمي في سننه رقم ١٣ وقال في الخصائص (١/٢٥٩): أخرجه أحمد والدارمي والحاكم وصححه (٢/٦١٦) والبيهقي والطبراني وأبو نعيم».

سأل النبي ﷺ، فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: «كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر... الحديث».

ويضاف إلى هذه الآثار التي تدل على مجيء أبوي الرسول ﷺ من الرضاعة إليه وتعرفه على الشياء - أخته من الرضاعة - التي جيء بها ضمن أسرى غزوة حنين^(٧٤).

وخلال حياته في رعاية حليلة السعدية وقعت للنبي ﷺ إرهاصات دلت على بركته وعناية الله به، وحفظه له. وأشهر ما روي في ذلك حديث حليلة السعدية الطويل المشهور، الذي فيه أنه بحلول محمد ﷺ عليها، در ثديها اللبن، فارتوى منه محمد وابنها الذي كانت تحمله بعد أن كان يبكي من الجوع لجفاف ثدي أمه، ولا بنام هو وأهله، وأمتلاً ضرع راحلتها باللبن بعد أن كان يابساً، فشبت منها مع زوجها وأصبحت الراحلة نشطة قوية، تسير في مقدمة الركب، بعد أن كانت عاجزة تسير في مؤخرة الركبان. وحيثما حلت أغنام حليلة، تجد مرعى خصبا، فتشبع ولا تجد أغنام غيرها شيئا، وكان ينمو نموا سريعا، لا يشبه نمو الغلمان^(٧٥).

حكمة الرضاعة في البداية:

كانت عادة الحضرم من العرب أن يسترضعوا أبناءهم في البدو، ابتعادا

(٧٤) سيأتي ذكره في مكانه من الكتاب - أحداث غزوة حنين - وانظر ابن كثير: البداية ٣٠١/٢ وما بعدها). وتجدد الإشارة هنا إلى أن أهل السير رويوا أن من أرضعته إضافة إلى حليلة، امرأة أخرى من بني سعد، أرضعته هو وعمه حمزة، حين كان هو أيضا مسترضعا في بني سعد. انظر في هذا: ابن سعد (١٠٩/١) من طريق الواقدي. وجملة من قيل إنهم أرضعته كما ذكر محقق دلائل البيهقي (١٣١/١) عشر نسوة، وذكر أسماهن ومصادره في ذلك. وأشهر من أرضعته مع أمه بمكة ثوبية مولاة عمه أبي فب، وأرضعت معه أباسلمة - انظر: البخاري/ الفتح ١٧١/١٩ ح/ ٧٣ و ٥١٠٠ و ٥١٠١، ومسلم ١٠٧٢/٢ ح/ ١٤٤٩ وغيرهما. وروي ابن سعد من طرق عن شيخه الواقدي أن ثوبية أرضعت حمزة قبل محمد ﷺ - الطبقات ١٠٨/١ - ١٠٩ وقال ابن حجر في الفتح (٤٤/١١). قال مصعب الزبيري كانت ثوبية أرضعت رسول الله ﷺ بعدما أرضعت حمزة ثم أرضعت أبا سلمة. كانت ثوبية مولاة لأبي فب، أعتقها، فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبوفب أربيه بعض أهله في أسوأ حال، فسألوه، فقال: «لم ألق بعدكم رخاء غير أني سقيت في هذه - وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه - بمغاتي ثوبية». - انظر: البخاري/ الفتح ١٧٣/١٩ ح/ ٥١٠١، وابن القيم: زاد المعاد (٨٢/١) حاشية (٢).

(٧٥) سبق الكلام على إسناد (ابن هشام ٢١٤/١ - ٢٢٠) وقلنا إنه ضعيف. انظر: الألباني دفاع، ص ٣٩، وتحقيق د. همام وأبي صميليك (ابن هشام ٢١٤/١).

بهم عن أمراض المدن، ورغبة في تقوية أجسادهم، وتعويدا وتربية لهم على الاعتماد على النفس منذ الصغر، بعيدا عن تدليل الأمهات والجذات وبقيّة الاقارب، وتقويا لألستهم من اللحن وغيره من مفسدات اللغة.

المبحث السادس: حادثة شق الصدر:

وقعت للرسول ﷺ وهو في بادية بني سعد حادثة شق الصدر، كما جاء ذلك صريحا في رواية أبي نعيم عند ابن كثير^(٧٦)، ونصها: «... كانت حاضني من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم^(٧٧) لنا، ولم نأخذ معنا زادا، فقلت يا أخي اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا، فانطلق أخي ومكثت عند البهم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ فقال نعم! فأقبلا يبتدراني، فأخذاني فبطحاني للفقأ، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقا، فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بهاء ثلج فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بهاء برد، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسكينة فذرهما في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه، فخطه، وختم على قلبي بخاتم النبوة، فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفا من أمته في كفة، فإذا أنا انظر إلى الألف فوقي أشفق أن يجر علي بعضهم، فقال لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا فتركانني وفرقت فرقا شديدا ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت، فأشفقت أن يكون قد لبس بي، فقالت أعيذك بالله، فرحلت بعيرا لها وحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي، فقالت أديت أمانتي وذمتي وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها، وقالت: إني رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام».

وروى قصة هذا الشق مسلم^(٧٨)، باختصار، ولم يصرح بمكان وقوعها،

(٧٦) البداية والنهاية ٢/ ٢٩٩. وقال عنه الذهبي في سيرته، ص ٤٨: «وهو صحيح».

(٧٧) البهم: صغار الغنم.

(٧٨) صحيحه ١/ ١٤٧/ ح ٢٦١. وانظر: البداية لابن كثير ٢/ ٣٠٠. ودلائل النبوة للبيهقي

(١٣٦/١) حاشية رقم (٣٢١).

ونصه عن أنس (رضي الله عنه)، «إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل (عليه السلام) وهو يلعب مع الغلمان. فأخذه فصرعه فشق عن قلبه. فاستخرج القلب. فاستخرج منه علقه. فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم. ثم لأمه. ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني طثره - مرضعته) فقالوا: إن محمدا قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره».

لقد سكنت بعض المصادر عن تحديد سنة ﷺ حين وقعت له هذه الحادثة لأول مرة^(٧٩). أما البعض الذين حددوا سنة، فلم يتفقوا على سن محددة. فيفهم من رواية ابن إسحاق^(٨٠) أن ذلك كان وعمره ﷺ فوق الثانية بشهور، إذ تقول حليلة: «فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا^(٨١)، فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا... فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا...» وفي رواية ابن سعد^(٨٢) أن القصة وقعت وللرسول ﷺ أربع سنين، وقال بهذا أبو نعيم^(٨٣) من طريق ضعيفة أيضا. ويذكر آخرون أنه كان في الخامسة^(٨٤) أو بعدها^(٨٥).

ونحن نميل مع الزرقاني^(٨٦) ونرجح رواية ابن سعد في أنه كان في الرابعة، لأنها السن التي يمكن أن يبارس فيها رعي البهم، ويفهم شيئا مما يدور حوله.

ولقد تكرر حادث شق صدر الرسول ﷺ مرات أخرى غير هذه التي

(٧٩) منهم مسلم في روايته عن أنس (١/١٤٧ ح ٢٦٦).

(٨٠) ابن هشام (١/٢١٤)، وهي ضعيفة.

(٨١) جفرا: أي غليظا شديدا.

(٨٢) الطبقات (١/١١٢) من طريق شيخه الواقدي. فالرواية ضعيفة جداً.

(٨٣) دلائل النبوة (١/١٥٩، ١٦١).

(٨٤) انظر: دلائل أبي نعيم (١/١٦٢)، ونسب ذلك لابن عباس ولم يسق لذلك سنداً وذكر أن غير ابن عباس كان يقول إن إرجاع حليلة النبي ﷺ إلى أمه بعد الحادثة كان وعمره أربع سنوات.

(٨٥) انظر: المواهب اللدنية بشرح الزرقاني (١/١٤٩ - ١٥٠) والبداية (٢/٣٠٠ - ٣٠١) حيث ذكر رواية للأموي مرسله موقوفة على ابن المسيب وضعيفة لأن فيها عنان الوقاصي، وهو ضعيف كما قال ابن كثير، ذكر الأموي أن عمره كان ست سنين.

(٨٦) شرحه على المواهب اللدنية (١/١٥٠).

في بادية بني سعد. فقد روى أحمد^(٨٧) وابن عساكر^(٨٨) وغيرهما أن شق الصدر قد وقع له وهو ابن عشر سنين وأشهر. وروى البخاري^(٨٩) ومسلم^(٩٠) وأحمد^(٩١) والحاكم^(٩٢) والترمذي^(٩٣) أن شقا لصدره قد وقع له وقد تجاوز الخمسين من العمر، حين أسري به إلى بيت المقدس. وذكر الذهبي^(٩٤) الروايات الدالة على أن شق صدره كان مرتين: في صغره ووقت الاسراء به. وهناك من ذكر وقوعها مرة رابعة^(٩٥).

لقد ذهب بعض أصحاب المدرسة العقلية من المستشرقين والمتأثرين بهم من المسلمين إلى تأويل حادث شق الصدر. فمنهم من قال إنها أسطورة ومنهم من قال إنها أمر معنوي و... و... إلخ^(٩٦).

ومن أوجز ما قيل في حادثة شق الصدر قول ابن حجر^(٩٧): «إن جميع ماورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصالحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك».

وينبغي على المسلم أن يعلم بأن ميزان قبول الخبر إنما هو صحة الرواية، فإذا صحت فلا يجدي البحث بعد هذا عن صرف الكلام إلى غير حقيقته أو تأويله تأويلا عقليا ممجوجا كما يفعل أصحاب المدرسة العقلية.

حكمة شق الصدر:

١ - يبدو أن هذه الحادثة كانت إعلانا لأمر الرسول ﷺ والتهية للعصمة

- (٨٧) الفتح الرباني (١٩٥/٢٠)، وقال الساعدي: «رجاله ثقات».
- (٨٨) تاريخ مدينة دمشق، ص ٣٧٥، وهو من طريق أحمد نفسه.
- (٨٩) الفتح (٢٤/١٣) ح (٣٢٠٧).
- (٩٠) الفتح (١٤٧/١) ح (٢٦١، ٢٦٢).
- (٩١) المسند (١٢١/٣)، ١٤٩، (٢٨٨).
- (٩٢) المسند (٦١٦/٢).
- (٩٣) انظر: صحيح الترمذي للألباني (٦٣١/٣ - ٦٣٢) ح (٣٥٨٤).
- (٩٤) السيرة النبوية، ص ٤٩.
- (٩٥) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٦/٢) - الحاشية، والفتح الرباني (١٩٥/٢٠ - ١٩٦).
- (٩٦) انظر محمد أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، (١/١٩٩ - ٢٠٣) وقد ناقش المنكرين لشق الصدر والمشككين فيه.
- (٩٧) الفتح (٥٢/١٥) ح (٣٨٨٧).

والوحي منذ صغره بوسائل مادية، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته. إنها إذًا عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الاعلان الإلهي بين أبصار الناس وأسماعهم^(٩٨).

- ٢ - فيها بيان إعداد الله تعالى عبده ورسوله محمدا ﷺ لتلقي الوحي عنه.
- ٣ - تشير الحادثة إلى تعهد الله (عز وجل) بنيه عن مزالق الطبع الإنساني، ووساوس الشيطان، وهي حصانة أضفاها الله (عز وجل) على نبيه محمدا ﷺ.

المبحث السابع: رحلته إلى الشام:

روى الترمذي^(٩٩) بسنده إلى أبي موسى الأشعري، انه قال: «خرج أبوطالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش. فلما أشرفوا على الراهب - يعني بحيرى - هبطوا، فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يَمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم، قال: فنزل وهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال: هذا سيد العالمين، بعته الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: وما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا، ولا يسجدون إلا لني، واني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه. ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهاهم به - وكان هو في رعية الإبل - قال: أرسلوا إليه، فأقبل وغمامة تظله، فلما دنا من القوم قال: انظروا إليه عليه غمامة، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء - ظل - شجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم،

(٩٨) انظر البوطي. فقه السيرة، ص ٥٢.

(٩٩) انظر: صحيح سنن الترمذي للشيخ الألباني (١٩١/٣)، وقال عنه: «صحيح» ثم ذكر المراجع التي ألفها وفيها تخريج هذا الحديث، ثم قال: «لكن ذكر بلال فيه منكر كما قبل» وسنن الترمذي (٥/٢٥٠ ح ٣٦٢٤) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، التفت فإذا هو بسبعة من الروم قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا لأن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس، وإنّا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: فهل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: لا، إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: أفأريتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ فقالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه عنده. قال: فقال الراهب: أنشدكم الله! أيكم وليه؟ قالوا: أبوطالب. فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبوبكر بلالا، وزوده الراهب من الكعك والزيت.».

اختلف العلماء في هذا الحديث. فقد حسنه الترمذي وصححه الحاكم^(١٠٠)، والألباني^(١٠١)، وعرجون^(١٠٢) وشعيب وعبدالقادر الأرناؤوط^(١٠٣) وابن حجر. وقال ابن حجر^(١٠٤): «رجاله ثقات وليس فيه سوى هذه النقطة - أي ذكر أبي بكر وبلال - فيحتمل أن تكون مدرجة فيه منقطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواه.». وقال ابن القيم^(١٠٥) إن هذه النقطة من الغلط الواضح.

وأنكره الذهبي^(١٠٦) وقال: «وهو حديث منكر جداً، وأين كان أبوبكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بستين ونصف، وأين

(١٠٠) المستدرك (٦١٦/٢) وقال إنه على شرط الشيخين.

(١٠١) حاشية فقه السيرة للفرابي، ص ٦٨، دفاع، ص ص ٦٢ - ٧٢، قال: «وإسناده صحيح كما قال الجزري». قال: «وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ» ثم قال: وقد رواه البزار، فقال: «أرسل معه عمه رجلاً».

(١٠٢) محمد رسول الله (١/١٦٩ - ٧١).

(١٠٣) حاشية الزراد (٧٦/١) وقال في تخريجه: «... وسنده صحيح، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: رجاله ثقات، وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ، وقد رواه البزار في مسنده، فقال: «وأرسل معه عمه رجلاً». وقال عبدالقادر الأرناؤوط - محقق جامع الأصول في حاشيته (٢٦١/١١)، بعد تخريج الحديث: «... وذكر بلال فيه غير محفوظ وعنده الأئمة وهما، فإن من النبي ﷺ إذ ذاك اثنتا عشرة سنة. وأبوبكر أصغر منه بستين، وبلال لعله لم يكن ولد في ذلك الوقت».

(١٠٤) نقلاً عن شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (١/١٩٦).

(١٠٥) زاد المعاد (٧٦/١).

(١٠٦) تاريخ الإسلام - السيرة، ص ٥٧.

كان بلال في هذا الوقت؟ فإن أبابكر لم يشتره إلا بعد المبعث، ولم يكن ولد بعد، وأيضاً، فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فيء الشجرة؟ لأن ظل الغمامة يعدم في فيء الشجرة التي نزل تحتها، ولم نر النبي ﷺ ذَكَرَ أباطالب قط بقول الراهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكنه أولئك الأشياخ مع توفر همهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار، ولبقي عنده حس من النبوة ولما أنكر مجيء الوحي إليه أولاً بغار حراء وأتى خديجة خائفاً على عقله... وأيضاً فلو أثر هذا الخوف في أبي طالب ورده، كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجراً لخديجة؟ وفي الحديث ألفاظ منكورة، تشبه ألفاظ الطريقة، مع أن ابن عائذ قد روى معناه في مغازيه دون قوله: «وبعث معه أبوبكر بلالاً».

وقال ابن كثير^(١٠٧): «فيه من الغرائب: أنه من مرسلات الصحابة، فإن أباموسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة... وعلى كل تقدير فهو مرسل... إن الغمامة لم تذكر في حديث أصح من هذا...» ثم اعترض على ذكر أبي بكر وبلال بما اعترض عليه الذهبي.

وقال ابن سيد الناس^(١٠٨) إن في متنه نكارة. وقال الذهبي^(١٠٩) في تلخيصه على المستدرک: «وأطنه موضوعاً، فبعضه باطل...».

وأنكر الشيخ عبدالرحمن الوكيل^(١١٠) في تعليقه على الروض الأنف، ذكر أبي بكر وبلال في هذا الحديث.

ونحن نميل مع الذين قبلوا هذا الحديث ولم يردوه، أمثال: الترمذي والحاكم وابن سيد الناس والجزري وابن كثير والعسقلاني والسيوطي وابن حجر والألباني، وغيرهم من القدماء والمُحدثين، إذ إنه يمكن الجمع بين أقوال النقاد. فهدامت المشكلة هي خطأ ورود ذكر أبي بكر وبلال في القصة،

(١٠٧) البداية والنهاية (٣٠٧/٢ - ٣٠٨).

(١٠٨) انظر. عيون الأثر في فنون المغازي والسير (٤٣/١).

(١٠٩) المستدرک للحاكم (٦١٥/٢).

(١١٠) الروض الأنف للسهلي بشرح الوكيل (٢٢٦/٢ - ٢٧).

فتحمل على أنها مدرجة فيه منقطعة من حديث آخر وهما من أحد رواته كما قال ابن حجر.

وذكر ابن إسحاق^(١١١) القصة بنحو سياق الترمذي، وليس فيه ذكر أبي بكر وبلال، ولكنها بدون إسناد، فيستأنس بروايته لإمامته في المغازي، ويكاد يكون لكل رواياته غير المسندة أصل^(١١٢).

أما إعلال ابن كثير^(١١٣) للقصة لأنها من رواية الأشعري الذي قدم على الرسول ﷺ بعد فتح خيبر، فمع محاولة ابن كثير الإجابة عن ذلك فهناك رواية أخرى رواها رزين^(١١٤) عن علي بن أبي طالب عن أبيه، وقال ابن الأثير^(١١٥) عنها: «وليس بينها وبين رواية الترمذي عن أبي موسى كبير اختلاف، ولعل بها يزول الإرسال المذكور^(١١٦). ثم إن مرسل الصحابي يحتاج به عند عامة العلماء.

وروى الأموي^(١١٧) أن الرسول ﷺ سافر مع عمه الزبير في تجارته إلى اليمن، عندما كان له من العمر بضع عشرة سنة. وذكروا أنهم رأوا منه آيات في تلك الرحلة، من ذلك: أن فحلا من الإبل كان يقطع الطريق في واد يمرّون عليه، فلما رأى الفحل رسول الله ﷺ برك حتى حك بكلكله الأرض، فركبه رسول الله . وأنه اعترضهم سيل عرم فأيسه الله تعالى حتى جاوزوا الوادي.

الحكمة من أقوال أهل الكتاب في صفة محمد ﷺ

إن في قصة الراهب بحيرى مع الرسول ﷺ دليل على معرفة أهل الكتاب

(١١١) سيرة ابن هشام (١/٢٢٦ - ٢٤٠).

(١١٢) انظر: الدراسات التي تناولت أقوال النقاد عن ابن إسحاق في هذا الكتاب: مبحث مصادر السيرة...

(١١٣) البداية والنهاية (٢/٣٠٩).

(١١٤) انظر مقدمة جامع الأصول (١/٤٨).

(١١٥) جامع الأصول (١١/٢٥٩ - ٢٦١).

(١١٦) د. سليمان العودة: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، ص ١٣٤.

(١١٧) المغازي، كما نقله عنه ابن كثير في البداية (٢/٣٠٠ - ٣٠١) وإسناده ضعيف لأن فيه عثمان الوقاصي، وهو ضعيف، ولأنه مرسل، موقوف على ابن المسيب.

صفة رسول الله ﷺ وزمانه كما هي عندهم في كتبهم، وهي تفسر لنا قوله تعالى في اليهود ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (١١٨).

روى البخاري (١١٩) من حديث عطاء بن يسار، أن عبد الله بن عمرو ابن العاص كان يقول إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ (١٢٠)، هي في التوراة: (يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك: المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا).

ولقد كان سبب إسلام سلمان الفارسي وغيره (رضي الله عنهم)، تتبع خبر النبي ﷺ وصفاته من أحبار اليهود ورهبان النصارى.

ومن المعلوم أن أهل الكتاب حاولوا طمس هذه الحقيقة فيما بعد، كما حكى ذلك القرآن ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾ (١٢١) (١٢٢). ولم يوفقوا في طمس كل الحقيقة كما هو واضح من عبارات وردت في بعض أناجيل النصارى خاصة ببيان اسم النبي ﷺ المنتظر وصفته وزمانه ومكانه (١٢٣)، وقد فصل في ذلك

(١١٨) البقرة: ٨٩. وانظر الآثار الواردة في تفسير هذه الآية عند الطبري (٣٣٢/٢ - ٣٦/٣٦) شاكراً وهي آثار يتقوى ضعفها ببعضه ليرتفع إلى مرتبة الحسن لغيره.

(١١٩) الفتح (٢١٣/١٨ - ١٤/١٤ ح ٤٨٣٨). وانظر الحديث من طريق عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وعائشة (رضي الله عنهم) في البخاري كما نقله عنه البيهقي في الدلائل (٣٧٦/١ - ٧٨). وانظر أحاديث أخرى في هذا الباب عند البيهقي في الدلائل (٣٧٨/١ - ٨٣).

(١٢٠) الأحراب: ٤٥.

(١٢١) البقرة: ٧٩.

(١٢٢) انظر الآثار الواردة في تفسير هذه الآية عند الطبري: التفسير (٣٣٢/٢ - ٣٦/٣٦) شاكراً.

(١٢٣) انظر: إنجيل برنابا، فصل ٣/٤٢ فما بعدها، وفصل ٢٥/٤٣ فما بعدها، وفصل ٢٧/٤١ فما بعدها. وانظر: إنجيل متى: ١٧/٤، ٦١/٢٠، ٤٢/٢١ - ٤٤. وانظر: العهد القديم - التوراة: سفر دانيال ٣١/٢ - ٤٥ فإنه يحدد الزمن الذي يظهر فيه النبي محمد ﷺ.

الدكتور محمد رواس قلججي^(١٢٤). وسيأتي مزيد كلام عن هذه المسألة في الفصل الخاص بإرهاصات النبوة عندما قارب زمان الرسول ﷺ.

المبحث الثامن: أ - رعيه الغنم في صباه، والحكم والعبر من ذلك:

روى البخاري^(١٢٥) بسنده إلى أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «مامن نبي إلا وقد رعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، كنت أرهاها على قراريط^(١٢٦) لأهل مكة..». وروى البخاري^(١٢٧) ومسلم^(١٢٨) من حديث جابر أن الرسول ﷺ رعى الغنم.

ومن أبرز الحكم والعبر في هذا الرعي:

١) قال ابن حجر^(١٢٩): «قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم ولأن مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها، وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة...» ثم قال:

«وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمرتبة عليه وعلى إخوانه

(١٢٤) في كتابه: من روح القرآن، ص ٣٥ وما بعدها من الطبعة الأولى، وكتابه محمد في الكتب المقدسة، وكتابه: العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة. وهذه الحاشية والتي قبلها أخذناها من كتابه: قراءة جديدة للسيرة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص ٣٩، وذلك تمهيداً لمن يرغب في الاستزادة.

(١٢٥) الفتح (٥/١٠) ح/٢٢٦٢.

(١٢٦) ذكر ابن حجر أن للعلماء قولين في معنى قراريط. أولها: القيراط جزء من الدينار أو الدرهم. وثانيها: أن قراريط اسم موضع بمكة - الفتح (٥/١٠).

(١٢٧) الفتح (٢٠/٢٧٨) ح/٥٤٥٣.

(١٢٨) صحيحه (٣/١٦٢١) ح/٢٠٥٠.

(١٢٩) الفتح (٥/١٠) ٦/ شرح الحديث رقم ٥٤٥٣.

من الأنبياء».

(٢) يتجلى لنا في رعيه الغنم الذوق الرفيع والإحساس الدقيق للذات جلل الله بهما نبيه محمدا ﷺ. إذ إن الرسول ﷺ ما أن آس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب لرفع بعض ما يمكن رفعه من مؤنة الإنفاق على عمه الذي وفر له وسائل العيش الكريم على الرغم من أنه كان ذو عيال كثيرين.

(٣) إن الله (عز وجل) لا يعجزه أن يهتئ لمحمد ﷺ كل وسائل الرفاهية ويغنيه عن الكدح سعيا وراء القوت، ولكن اقتضت حكمة الله أن تعلمنا أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بجهده، وأن قيمة الإنسان هي فيها يقدمه لمجتمعه من خدمات قدر طاقته.

(٤) لن تكون لأصحاب الدعوات قيمة معتبرة عند الناس إذا كان كسبهم من عطايا الناس وصدقاتهم، ولذا فإن صاحب الدعوة أخرى الناس بالاعتماد على نفسه وجهده الشخصي في معيشته، والابتعاد عن الاستجداء، حتى لا يكون لأحد عليه منة أو فضل في دنياه فيعيقه ذلك عن أن يصدع بكلمة الحق في وجهه^(١٣٠).

المبحث التاسع: عناية الله له وحفظه من بعض أمور الجاهلية والحكم والعبر من ذلك:

لقد شارك الرسول ﷺ في إعادة بناء الكعبة عندما تهدمت. فكان ينقل معهم الحجارة للبناء وعليه إزاره. فاقترح عليه عمه العباس أن يجعل إزاره على منكبيه ليقية الحجارة. وعندما فعل ذلك، سقط مغشيا عليه، فما رئي بعد ذلك عريانا^(١٣١).

وكان يوما ينقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، وذلك عندما كان صغيرا يلعب مع أترابه غلمان قريش، فأخذ إزاره فجعله على رقبته ليحمل

(١٣٠) انظر البوطي. فقه السيرة. ص ص ٥٤ - ٥٥.
(١٣١) البخاري/ الفتح (٢٤/٣ ح/٣٦٤)، مسلم (١/٢٦٨ ح/٣٤٠).

عليه الحجارة، فتعري، وحينها لكمه من لم يره لكمة موجعة، وقال له: «شد عليك إزارك»، فشده عليه، وذلك دون غيره من الغلمان الذين كانوا معه (١٣٢).

وروي أن الله عصمه مرتين عندما حاول أن يسمر كما يسمر الشباب. ولكن اختلف العلماء في تصحيح هذا الخبر. فبينما صححه الحاكم والذهبي (١٣٣) وغيرهما، ضعفه ابن كثير (١٣٤) والألباني (١٣٥) لعلل ذكروها، وحججها قوية.

وخالف الرسول ﷺ قومه من أهل الحرم الذين عرفوا بـ«الحِمْس» (١٣٦)، إذ كان يفيض مع الناس من عرفات حين كانت الحمس تفيض من مزدلفة (جمع). وقد تعجب جَبْرِينَ مُطْعِمٍ من الرسول ﷺ لهذا الفعل (١٣٧)، وكان ذلك توفيقاً من الله تعالى له، كما قال جبرين مطعم بعد إسلامه (١٣٨). وجاء الإسلام، فوضع الله تعالى أمر الحمس وما كانت قد ابتدعته

(١٣٢) ابن إسحاق - بدون إسناده، ابن هشام (٢٤١/١).

(١٣٣) المستدرك (٢٥٤/٤).

(١٣٤) البداية والنهاية (٣١٢/٢).

(١٣٥) حاشية فقه السيرة للفرزاني، ص ٧٢ - ٧٣، ودفاع...، ص ١٣ وما بعدها وانظر الخبر في دلائل النبوة لأبي نعيم (١٨٦/١) وقال المحققان في تحريجه: أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده وابن إسحاق والبخاري وأبو نعيم وابن عساکر، كلهم عن علي بن أبي طالب. وقال ابن حجر: إسناده حسن متصل ورجاله ثقات. وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٦/٩): رواه البخاري ورجاله ثقات. ومن العلل التي ذكرها الألباني:

١ - إنه ليس على شرط مسلم كما توهم الحاكم والذهبي لأن مسلماً إنما يروي لابن إسحاق مقروناً بغيره، والحاكم لم يروه عنه مقروناً بغيره.

٢ - محمد بن عبد الله بن قيس ليس مشهور العدالة فلم يوثقه غير ابن حبان وهو ممن يوثق المجهولين.

٣ - وعبد بن قيس ليس من رجال مسلم... وانظر بقية كلام الألباني في حاشية فقه السيرة للفرزاني، ص ٧٣.

(١٣٦) والحيص هم أهل الحرم ومن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم ومن دخل معهم من العرب مثل كنانة وجديلة، رأوا أن لهم منزلة فوق منزلة بقية العرب ولذلك ميزوا أنفسهم عنهم بأن تركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها. انظر: البخاري/ الفتح (٣٢٠/٧) ح (١٦٦٥) ومسلم (٨٩٣/٢) ح (٩٤) ١٢١٩ وابن هشام (٢٥٦/١) وابن كثير (٣١٣/٢).

(١٣٧) البخاري/ الفتح (٣٢٠/٧) ح (١٦٦٤)، ابن إسحاق، بإسناد حسن (ابن هشام (٢٦١/١)، الحميدي: المسند (٢٥٥/١)، مسلم (٨٩٤/٢) ح (١٢٢٠)، الإصابة (٦٥/٢) ترجمة جبر ابن مطعم.

(١٣٨) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢٦١/١ - ٢٦٢)، البداية والنهاية (٣١٣/٢).

قريش، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (١٣٩).
وروى البيهقي (١٤٠) من حديث زيد بن حارثة أن الرسول ﷺ ما استلم صنما قط، وكان ينهى عن ذلك في الجاهلية. ورفض أن يمس صنم إساف أو نائلة عند طوافه كما كانت عادة أهل الجاهلية.
وروى ابن إسحاق (١٤١) أن بحيرا الراهب عندما حلف بالللات والعزى، متابعة لقريش في طريقة حلفهم، قال له النبي ﷺ: «لا تسألني بالللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت بغضها شيئا قط». .
وحفظه الله (عز وجل) من كيد الشياطين (١٤٢)، في الجاهلية والإسلام (١٤٣).

ورفض الرسول ﷺ أن يعتكف عند صنم بوانة - حيث كان لقريش عيد عنده مرة كل عام - فغضب منه عمه أبوطالب وعماته غضبا شديدا، فعندما هم بمطاولعتهم عصمه الله من مس الأصنام، حيث تمثل له رجل أبيض طويل منعه من مسها، فلم يشارك في عيد لهم في حياته (١٤٤).

(١٣٩) البقرة: ١٩٩. وفي سبب نزولها انظر: مسلم (٨٩٤/٢ ح ١٢١٩) وابن اسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (٢٦١/١). وما يروي بدون إسناد فهو من باب الضعيف.
(١٤٠) دلائل النبوة (٣٤/٢)، البداية (٣١٢/٢)، سيرة الذهبي، ص ٨١، وحسنه الذهبي وقال علق: سيرته، الدكتور تدمري: «رواه أبو يعلى واليزار والطبراني - مجمع الزوائد (٤١٨/٩)، قلت: «إسناده حسن لغيره لأنه فيه محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص وهو صدوق له أوام، وللحديث شاهد صحيح من حديث أساءة كما في السنن الكبرى للسناني، ص ٤٩». .
(١٤١) ابن هشام (٢٣٨/١) بإسناد معلق، وانظر البداية والنهاية (٣١٢/٢ - ١٣) ودلائل البيهقي (٣٥/٢). وكلها أسانيد ضعيفة. أما عدم حلفه بالللات والعزى وبغضه لها فقد ثبت بأسانيد صحيحة، وفي ذلك انظر أحمد: المسند (٢٢٢/٤) بإسناد صحيح، ورواه الهيثمي في المجمع (٢٢٥/٨) وقال عنه: رجاله رجال الصحيح. والرواية تقول: «وكان جاره ﷺ هو وخديجة، يحدث أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: أي خديجة، والله لا أعبد اللات والعزى أبدا. فتقول خديجة خل اللات، خل العزى.». .
(١٤٢) دلائل أبي نعيم (١٩١/١)، الإصابة (٣٨٩/٢)، أحمد: المسند (٤١٩/٣)، وغيرها، ورجاله ثقات، كما ذكر محققا دلائل النبوة لأبي نعيم.
(١٤٣) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (١٩٢/١ - ٢١٢) وإسناده في الطريقتين ضعيف لضعف الحسين ابن عبد الله. ولكن تشهد له الأخبار الصحيحة والضعيفة التي جاءت عن بغضه الأصنام، فينتقى.
(١٤٤) ابن سعد: الطبقات (١٥٨/١) من طريق الواقدي. فالإسناد ضعيف.

وروى البيهقي^(١٤٥) ان ملكين منعاه أن يشهد مع المشركين مشاهدتهم، فانتهى عن ذلك.

ومن أبرز الحكم والعبر من أخبار عناية الله وحفظه من أمور الجاهلية:

- ١ - أن في هذه الأخبار دليلاً على أن الرسول ﷺ كان مصوناً عما يستقبح من أمور الجاهلية قبل البعثة وبعدها، وذلك من حماية الله تعالى له عما يسيء إلى شخصه ودعوته.
- ٢ - إن من الأمور المستقبحة عند الله تعالى التعري بحضرة الناس. وقد حرم الإسلام ذلك إلا للضرورة، مثل العلاج ونحوه^(١٤٦).
- ٣ - إن عصمة الله تعالى له من ممارسة أفعال الجاهلية لدليل على تهيئة الله تعالى له لأمر جليل.

المبحث العاشر: حرب الفجار:

سميت الحرب التي دارت بين كنانة وقريش من جهة، وقيس عيلان من جهة أخرى بحرب الفجار لأنهم استحلوا المحارم بينهم^(١٤٧). وكان سببها تافها، لم يعد قتل رجل من قريش، تداعى بعده الأحلاف للقتال^(١٤٨). ذكر ابن إسحاق^(١٤٩) ان هذه الحرب عندما هاجت كان لرسول الله ﷺ

(١٤٥) انظر الحديث كاملاً عنده في الدلائل (٣٥/٢) والبداية والنهاية (٣١٢/٢) من حديث عثمان بن أبي شيبة. قال ابن كثير عن الحديث: «أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة... وقد حكى البيهقي في الدلائل (٣٦/٢) عن بعضهم أن معناه أنه شهد مع من يستلم الأصنام، وذلك قبل أن يوحى إليه، والله أعلم».

وذكر الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٥/٣) أن عثمان بن أبي شيبة عن اعتمده الشيوخان في صحيحهما. ورد قول العقيلي والأردني اللذان صغفا الحديث وقال بحقق دلائل البيهقي - الدكتور عبدالمعطي قلعة جي، الذي يميل الى تصحيح الخبر - في تخريج الحديث: «رواه أبو يعلى وابن عدي وابن عساكر عن جابر بن عبد الله...».

لقد أورد الذهبي في السيرة (٧٩ وما بعدها) أحاديث كثيرة تدل على عصمة الله للرسول ﷺ في الجاهلية، ومنها ما ساقه بأسانيد ولم يحكم عليها هو أو المحقق - الدكتور تدمري - ومنها ما لا إسناده له أصلاً... وحسن الشيخ طرموني إسناده كما في صحيح السيرة النبوية، حاشية رقم (٢٠٩).

(١٤٦) انظر ابن حجر: الفتح (٢٤/٣).

(١٤٧) انظر ابن حجر: الفتح (٢٤/٣).

(١٤٨) ابن هشام (٢٤١/١ - ٢٤٣) بدون إسناده. فهو ضعيف.

(١٤٩) ابن هشام (٢٤٣/١) بدون إسناده. فهو ضعيف.

عشرون سنة. وقال ابن هشام^(١٥٠) إنها هاجت ولرسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، وإن رسول الله ﷺ شهد بعض أيامهم مع أعمامه، وقال: «كنت أنبل على أعمامي» - أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها. ولما كانت حرب الفجار قد استمرت زمنا طويلا فيمكن الجمع بين قولي ابن إسحاق وابن هشام بأن عمر الرسول ﷺ كان في مبتدئها نحو خمس عشرة سنة، ولذا كان ينبل على أعمامه. وعند انتهائها كان عمره عشرين سنة.

ومما يلفت النظر انه لم يرد ذكر لاشتراك الرسول ﷺ مباشرة في هذه الحرب وقد كان بلغ سن القتال، كما في رواية ابن إسحاق المذكورة. وعلل السهيلي^(١٥١) ذلك لأنها كانت حرب فجار بين كفار، ولم يأذن الله تعالى للمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله تعالى هي العليا.

قلت: لو صح حديث نبهه على أعمامه، فهو دليل على اشتراكه في الحرب اشتراكا رمزيا غير مباشر، ويمكن تفسيره بأن الرسول ﷺ اشترك بهذه الكيفية في الدفاع عن المقدسات والمحارم، وخاصة أن قيس عيلان هي المعتدية، وهذا من القيم العليا التي اهتم بها الرسل والمصلحون، أي نصره المظلوم.

المبحث الحادي عشر: شهوده حلف الفضول والحكم والعبر من ذلك:

روى أحمد^(١٥٢) أن الرسول ﷺ قال: «شهدت حلف المطيبين^(١٥٣) مع

(١٥٠) (٢٤١/١). وانظر تفاصيلها هنا، ص ص ٢٤١ - ٢٤٢، والحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ إسناده منقطع، فهو ضعيف.

(١٥١) الروض الأنف (٢٠٩/١).

(١٥٢) المسند (١٢١/٣/١). وصحح شاكر إسناده.

(١٥٣) المطيبون: هاشم وزهرة وغزوم. قاله بعض رواة حديث أبي هريرة عند البيهقي في الدلائل

(٣٨/٢). وقال البيهقي: «كذا روي هذا التفسير من رجال في الحديث ولا أدري قائله...».

وقد سبق القول إن ابن إسحاق (ابن هشام ١٧٩/١ - ١٨١) أشار إلى حلف المطيبين، وهو

اختلاف قريش بعد قصي: بني عبد مناف ومن حالفهم، وبني عبد الدار ومن حالفهم... فأخرج

هم وحلفائهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم تأكيداً على أنفسهم فمسحوا بالمطيبين. وتعاقد بنو

عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفائهم عند الكعبة على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً لعدو،

فمسحوا الأحلاف...

عمومي وأنا غلام، وما أحب أن لي حر النعم وأني أنكته». وقال في رواية البيهقي^(١٥٤): «ما شهدت حلفا لقريش إلا حلف المطيين، وما أحب أن لي حر النعم وأني كنت نقضته».

قال البيهقي^(١٥٥) معلقا على هذا الحديث: «زعم بعض أهل السير^(١٥٦) انه أراد حلف الفضول، فإن النبي ﷺ لم يدرك حلف المطيين». والراجح عندي قول أهل السير.

والبيهقي نفسه يقول في السنن الكبرى^(١٥٧) إن الرسول ﷺ لم يدرك حلف المطيين.

ويمكن الجمع بين رواية أحمد والبيهقي ورواية أهل السير إن حلف المطيين قد تجدد في حياة الرسول ﷺ وعرف باسم آخر هو «حلف الفضول»^(١٥٨)، والله أعلم.

وروى الحميدي^(١٥٩) أن رسول الله ﷺ قال: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان^(١٦٠) حلفا لو دعيت به في الإسلام لأجبت، نحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز ظالم مظلوما». وروى ابن إسحاق^(١٦١)

(١٥٤) دلائل النبوة (٣٧/٢ - ٣٨). ابن كثير: البداية (٣١٥/٢) من رواية البيهقي، ومن عدة طرق وإسناده قوي.

(١٥٥) الدلائل (٣٨/٢).

(١٥٦) يشير هنا إلى ابن قتيبة - صاحب المعارف - الذي قال إن حلف المطيين هو حلف الفضول، وغلطه البيهقي في السنن الكبرى (٣٦٧/٦) لأن النبي ﷺ لم يدرك حلف المطيين الذي كان قبل أن يولد النبي ﷺ بمدة. ووافقه ابن كثير (البداية ٣١٥/٢) وجزم بأن الحلف المراد والذي شهده الرسول ﷺ هو حلف الفضول. وقال الدكتور قلعة جي في تحقيقه لدلائل البيهقي إنه من خلال سياق قصة تكوّن حلف المطيين يتبين أنه في زمان هشام أبي عبدالمطلب جد الرسول ﷺ. وقد فرّق ابن هشام بين حلف المطيين وحلف الفضول. وذكر ابن إسحاق عناصر كل حلف منها وسببه كما يبدو معه أن هناك فرقا بينهما. انظر مناقشة هذه القضية عند ابن كثير في البداية (٣١٥/٢ - ٣١٧) والبيهقي في الدلائل (٣٧/٢ - ٤٢) خاصة حاشية المحقق.

(١٥٧) (٣٦٧/٦).

(١٥٨) انظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤٥٦/٣) مادة الفاء مع الضاد، وأحمد شاکر: حاشيته على مسند أحمد (١٢٢/٣)، والشامي: سبل الهدى والرشاد (٢٠٩/٢).

(١٥٩) نقله عنه ابن كثير في البداية (٣١٥/٢) وإسناده صحيح. قال الشامي في سيرته والدكتور قلعة جي - محقق دلائل البيهقي (٤٠/١) إن قوله: «نحالفوا... إلى آخره، مدرج من بعض رواياته وليس بمرفوع. فلا دلالة حينئذ فيه.

(١٦٠) تلمي من قرابة عائشة (رضي الله عنها)، يكتى بأبي زهير.

(١٦١) ابن هشام (١٨٢/١ - ١٨٣) وإسناده صحيح مرسل، ويشهد له حديث الحميدي، فينقو.

أن الرسول ﷺ قال: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت». لقد عقد هذا الحلف بنو هاشم وبنو عبدالمطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم، على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم^(١٦٢). وكان ذلك في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة، منصرف قريش من حرب الفجار، ولرسول الله ﷺ يومئذ عشرون سنة. وكان أول من دعا إليه الزبير بن عبدالمطلب، عم رسول الله ﷺ.

وكان سببه، أن رجلا من زبيد، قدم مكة ببضاعة له، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وكان ذو شرف، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف: عبدالدار ومخزوما وجهما وسهما، فأبوا أن يعينوه على العاص، وزجره. فلما رأى الزبيدي الشر، رقى على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فقال بأعلى صوته:

«يا آل فهر لمظلوم بضاعته يبطن مكة نائي الدار والنفر وعرم أشعث لم يقض عمرته ياللرجال وبين الحجر والحجر إن الحرام لمن تمت مكارمه ولا حرام لشوب الفاجر الغدر»

فقام في ذلك الزبير بن عبدالمطلب، وقال: «ألهذا مترك؟» فاجتمعت قريش وزهرة وتيم، في دار عبدالله بن جدعان، فتحالفوا وتعاهدوا في ذي القعدة الحرام ليكون يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة^(١٦٣) ومارسا ثبير وحرأ مكاثها، وعلى التأسي في المعاش. فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضول من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانزعوا منه سلعة الزبيدي، فدفعوها إليه^(١٦٤).

(١٦٢) ابن إسحاق، بدون إسناد (ابن هشام ١/١٨٢).
(١٦٣) ما بل بحر صوفة يعني إلى الأبد، أي ما قام في البحر ماء ولو قطرة. انظر: الشامي سبل الهدى والرشاد، (٢/٢١٠).

(١٦٤) ابن كثير: البداية (٢/٣١٥ - ٣١٦) ولم يستد، ولم يميز لأحد من أهل السير، ورواه ابن سعد (١/١٢٨ - ٢٩) مختصرا، من طريق الواقدي. ولزيادة المعلومات عن سبب هذه التسمية انظر: السهيلي: الروض (١/١٥٥).

ومن أبرز الحكم والعبر من خبر شهوده حلف الفضول:

(١) إذا كان أهل الجاهلية يرفضون الظلم بدوافع فطرية فأولى بأهل الإسلام رفضه بدوافع عقدية، لأن الإسلام، جاء حاثا على عدم الظلم وامتشيا مع الفطرة ومقوما لها من أي انحراف. ولا غرابة أن يؤكد الرسول ﷺ على أهمية ذلك الحلف لأن مضمونه هو مضمون مادعا إليه الإسلام في أمر إحقاق الحق وإبطال الظلم.

(٢) إن الدور الذي قام به الزبير في هذا الحلف لدليل على مروءة رجال البيت الهاشمي، وبيان فضلهم على غيرهم في مثل هذه المواطن، وحسبهم فضلا وشرفا أن الرسول ﷺ كان منهم.

المبحث الثاني عشر: أ - زواجه من خديجة

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب امرأة حازمة شريفة لبيبة، من أوسط قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالا، وكان رجال قومها يحرصون على الزواج منها. وكانت تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم. فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجرا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فوافق، وخرج مع غلام لها يدعى ميسرة. ومن خلال معاشرة ميسرة للرسول ﷺ رأى من الآيات والمعجزات ما حكاها لسيدته خديجة، فرغبت في الزواج منه (١٦٥).

ومن تلك الآيات إن الرسول ﷺ عندما قدم بصرى من أرض الشام، نزل في ظل شجرة، فقال نسطورا الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، ثم قال لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم، لانتفاره، قال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء.

(١٦٥) ابن إسحاق، دون إسناده - ابن هشام (١/ ٢٤٤ - ٤٥).

وكان ميسرة يرى ملكين يظلاله إذا اشتدت الهاجرة. وتقول الرواية إن خديجة رأت ذلك عندما دخل محمد ﷺ مكة في ساعة الظهيرة. وفي القصة انه وقع بين الرسول ﷺ ورجل تلاح في البيع، فقال الرجل للنبي ﷺ: أحلف باللات والعزى، فقال النبي ﷺ: «ما حلفت بهما قط، واني لأمر فأعرض عنها».

وقال لميسرة: هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم. وفي القصة أيضا أن تجارة الرسول ﷺ ربحت ضعف ماكانوا يربحون، وأضعفت خديجة للنبي ﷺ ضعف ما سمت له من قبل، وهو أصلا ضعف ماكانت تعطي لغيره من قريش.

وذكرت خديجة لابن عمها ورقة بن نوفل قول الراهب نسطورا الذي سمعه منه ميسرة، وهو: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي»، وما كان يرى ميسرة من إظلال الملكين له، فقال ورقة: «لئن كان هذا حقا ياخديجة، إن محمدا لنبي هذه الأمة، وقد عرفت انه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر، هذا زمانه» (١٦٦).

كان هذا الذي سمعته خديجة من ميسرة وورقة تأكيدا لما كانت تعرفه من أخلاقه وعلو شأنه، لذا رغبت في الزواج منه، فأرسلت صديقتها نفيسة بنت منية تعرض عليه ذلك، فوافق ﷺ على ذلك، فتم الزواج (١٦٧). وقد أخرج البزار (١٦٨) والطبراني (١٦٩) عن جابر ان أختا لخديجة استكرت رسول الله ﷺ وشريكاً له. فلما قضيا السفر بقي لهما عليها شيء، فجعل

(١٦٦) رواه الطبراني في الأوسط، وقال الميثمي في المجمع (٢٥٦/٨): «إسناده حسن». ورواه ابن إسحاق دون إسناده - ابن هشام (٢٤٧/١). وحديث الطبراني شاهد على أن لحديث المحاملي وابن سعد وابن إسحاق أصلا - سيأتي ذكر ذلك قريبا.

(١٦٧) رواه المحاملي كما ذكر الذهبي في السيرة، ص ٦٤، من حديث نفيسة بنت منية. وأنكر الذهبي ما جاء في قصة خروجه ﷺ إلى الشام تاجرا من حديث نفيسة بنت منية، الذي فيه خبر إرسال خديجة نفيسة لتعرض على الرسول ﷺ رغبتها الزواج منه. وهو عنده خبر ضعيف لأن فيه عبد الله ابن شبيب، وهو واه، وموسى بن شيبة، وهو ضعيف، وعمر بن أبي بكر العدوي وهو ضعيف. ورواه ابن إسحاق بدون إسناده (ابن هشام ٢٤٤/١ - ٢٤٥)، وابن سعد (١٢٩/١ - ١٣٣) بإسناد ضعيف.

(١٦٨) انظر: كشف الاستار (٢٣٧/٣).

(١٦٩) مجمع الزوائد للهيتمي (٢٢٢/٩) والخبر إسناده حسن على الأقل.

شريكة يأتيهم ويتقاضاهم، وعندما يطلب من محمد ﷺ أن يفعل مثله يعنذر بحجة انه يستحي من ذلك . فذكرت ذلك لخديجة فأعجبت به وطلبت منه أن يخاطبها إلى أبيها، فقال: أبوك رجل كثير المال وهو لا يفعل . قالت: انطلق فالفقه وكلمه، ثم أنا أكفيك، واثت عند سكره.

وتزوجت خديجة، قبل الرسول ﷺ عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له امرأة، ومن بعده تزوجت أبا هالة بن النباش التميمي، وولدت منه ابناً هنداً وامراً، ومات أبو هالة في الجاهلية (١٧٠).

وذكر ابن سعد (١٧١) أن أول من تزوجها هو أبو هالة واسمه هند ابن النباش بن زوراة، فولدت له رجلاً يقال له هند ثم خلف عليها بعده عتيق ابن عابد بن عبدالله المخزومي، فولدت له جارية يقال لها هند، فتزوجها صيفي بن أمية بن عابد بن عبدالله. قلت: ولمحمد بن صيفي ترجمة في الإصابة والاستيعاب. أما الرسول ﷺ فكان أول من تزوجها هي خديجة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت (١٧٢). وكان ذلك سنة خمس وعشرين من مولده ﷺ في قول الجمهور (١٧٣).

واختلف العلماء في الذي تولى أمر زواجها. فقد ذكر البيهقي (١٧٤) أن

(١٧٠) قاله ابن حجر في الفتح (٢٨٧/١٤)، انظر: ابن عساکر، ص ص ١٤٠، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩. وهو من رواية ابن إسحاق في السير والمغازي، ص ٢٤٥. وعند ابن سعد (١٥/٨) ابن عابد وفي الإكمال (١/٦) ابن عائذ.

(١٧١) الطبقات (١٤/٨ - ١٥). (١٧٢) مسلم (٤/١٨٨٩ ح/٢٤٣٦)، ابن هشام (٢٤٦/١) معلقاً. وقال ابن حجر في الفتح (٢٩١/١٤): «وهذا بما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار».

(١٧٣) ابن حجر: الفتح (٢٨٦/١٤ - ٢٩٥). وقد أفرد البخاري باباً بعنوان: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها (رضي الله عنها)، فانظر: البخاري/ الفتح (٢٨٦/١٤ - ٢٩٥ ح/٣٨١٨ - ٣٨٢٤). وانظر ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق - السيرة النبوية، القسم الأول، ص ١٥٦، ١٥٧، ابن سعد (١٦/٨، ١٧) من طريق الواقدي، وقيل كان عمره يومئذ ثلاثين عاماً - انظر ابن عساکر: تاريخ دمشق - السيرة النبوية، القسم الأول - ص ١٥٨، وإسناده ضعيف، وهو شاذ لمخالفته قول الجمهور.

(١٧٤) دلائل النبوة (٧١/٢ - ٧٢). وإسناده ضعيف جداً. وقاله ابن إسحاق - انظر: ابن هشام (٢٤٦/١). وله شواهد تقويه منها: أ - حديث ابن عباس الذي رواه البيهقي في الدلائل (٧٣/٢) بإسناد ضعيف. ب - حديث أبي مجلز عند ابن سعد (١٣٢/١) بإسناد ضعيف. ج - حديث ابن عباس عند أحمد: الفتح الرباني (١٩٧/٢٠) بإسناد قوي. د - حديث الزهري الذي رواه البيهقي في الدلائل (٦٩/٢) بإسناد مرسل.

الذي زوجه إياها هو أبوها خويلد، وهو سكران، وفي نهاية الخبر يقول الراوي - المؤملي - عمر بن أبي بكر: «والمجتمع ان عمها عمرو بن أسد الذي زوجها». وقد ضعف الهيثمي^(١٧٥) هذا الخبر لأن فيه عمر بن أبي بكر - المؤملي - وهو متروك. وذكر ابن إسحاق^(١٧٦) أن الذي زوجها هو أبوها خويلد، وقال السهيلي^(١٧٧) وابن كثير^(١٧٨) والشامي^(١٧٩) ان ابن إسحاق ذكر في السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها، ولكن لم نجد ذلك في المطبوع من سيرة ابن إسحاق. وذكر الواقدي^(١٨٠) أن عمها عمرو بن أسد هو الذي ولي نكاحها، وخطأ من قال بغير هذا، لأن والدها - كما ذكر - مات قبل حرب الفجار، ووافقه على هذا السهيلي^(١٨١)، وابن سيد الناس^(١٨٢) وابن عبد البر^(١٨٣)، والشامي^(١٨٤).

وإذا ثبت هلاك والدها قبل الفجار فيلزم أن يكون الذي تولى نكاحها هو عمها. والظاهر ان أحاديث ولاية أبيها لنكاحها أقوى، لأنها جاءت من عدة طرق تعتضد لثبتي إلى درجة الحسن لغيره، وعلى أقل تقدير تدل على أن للقصة أصلاً، والله أعلم^(١٨٥).

وكان الذي ذهب مع الرسول ﷺ لخطبة خديجة، عمه حمزة بن عبدالمطلب.

(١٧٥) مجمع الزوائد (٢٢٠/٩ - ٢٢١). وروى البيهقي من غير طريق المؤملي أن أباه زوجها وهو سكران. وقال المحقق: أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣١٢/١) مطولاً بإسناد ضعيف، وأخرجه الحنيني في مجمع الزوائد (٢٢٠/٩) عنه وعن الطبراني، وقال: «رجال أحمد رجال الصحيح».

(١٧٦) ابن هشام (٢٤٦/١).

(١٧٧) الروض الأنف (٢١٤/١).

(١٧٨) البداية والنهاية (٣٢٠/٢).

(١٧٩) سبل الهدى والرشاد (٢٢٥/٢).

(١٨٠) ابن سعد (١٣٢/١ - ١٣٣)، الطبري (٢٨٢/٢).

(١٨١) الروض الأنف (٢١٣/١).

(١٨٢) عيون الأثر (٥٠/١).

(١٨٣) الاستيعاب (٢٨٠/٤).

(١٨٤) سبل الهدى والرشاد (٢٢٤/٢) ويقول الشامي هنا: «... ما تقدم من أن عمها هو الذي زوجها رسول الله ﷺ ذكره أكثر علماء أهل السير. قال السهيلي: وهو الصحيح، لما رواه الطبري عن جبير بن مطعم وابن عباس وعائشة كلهم قال: إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله ﷺ وإن خويلداً كان قد هلك قبل الفجار ورجعه الواقدي وغلط من قال بخلافه».

(١٨٥) وقد حسن الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني إسناد قصة ولاية أبيها لنكاحها وهو سكران وفليطز ماصيل تخفيفه لطرق هذه الرواية في كتابه: صحيح السيرة النبوية (٢١٥/١ - ٢١٦).

لقد كان لخديجة (رضي الله عنها) مكانة عظيمة عند الرسول ﷺ .
ورويت في الصحيحين^(١٨٦) وغيرها عدة أحاديث في مناقبها الكثيرة . ولا
غربة في ذلك ، فهي ذات الخصال الحميدة التي ذكرنا طرفا منها ، وفوق
ذلك فهي التي عرفت بين قومها بـ «الطاهرة العفيفة»^(١٨٧) . وهي التي رزق
منها الرسول ﷺ جميع أبنائه^(١٨٨) ما عدا إبراهيم ، فهو من مارية القبطية^(١٨٩) ،
والتفق عليه من أولاده منها : القاسم - وبه كان يكنى - ومات صغيرا قبل
المبعث أو بعده ، وبناته الأربع : زينب ، ثم رقية ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة
- وقيل كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة - ثم ولده عبدالله ، الذي ولد بعد
المبعث ، وكان يقال له الطاهر والطيب^(١٩٠) ، ويقال هما أخوان له^(١٩١) . ومات
الأبناء الذكور صغارا باتفاق^(١٩٢) . أما البنات فأدركن البعثة ودخلن في
الإسلام ، وهاجرن معه ﷺ^(١٩٣) .

(١٨٦) انظر : البخاري / الفتح (٢٨٦/١٤) - ٢٩٥/ح ٣٨١٨ - ٣٨٢٤ ، مسلم (١٨٨٦/٤) - ١٨٨٩/ح ٢٤٣٠ . وزيادة على ذلك انظر : جامع الأصول (١٢٠/٩) - ١٢٥ . وانظر تعليق ابن
حجر على معنى ألا يتزوج عليها - الفتح (٢٩١/١٤) وتعليق النووي على أحاديث فضلها - مسلم
بشرح النووي (٢٠٢/١٥) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٣١٨/٢) - ٣٢٠ . ومن أمثلة ذلك قول
الرسول ﷺ : «خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة» - البخاري / الفتح (٢٨٨/١٤) ح ٣٨١٨ ،
ومسلم (١٨٨٦/٤) ح ٢٤٣٠ عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : «أتى جبريل النبي ﷺ
فقال : يا رسول الله ، هذه خديجة ، قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي
أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها وبني ، وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا
نصب» - البخاري / الفتح (٢٩٣/١٤) ح ٣٨٢٣ ، ومسلم (١٨٨٧/٤) ح ٢٤٣٢ .

(١٨٧) انظر ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ص ١٠٩ ، ١٠٩ .
(١٨٨) انظر : الفتح (٢٩١/١٤) ح ٣٨٢١ ، سيرة الذهبي ، ص ٦٥ - ٦٦ ، ابن هشام (٢٤٦/١) .
وذكر ابن إسحاق - بدون إسناد - أن أولاده الذكور هم : القاسم والطيب والطاهر . تسمية أزواج
النبي ﷺ وأولاده لأبي عبيد ص ٤٨ - ٥٣ ، ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ص ١٠٢ -
١٣٦ . وقد استقصى - تقريبا - جميع الأقوال في أبناء الرسول ﷺ وتواريخ ميلادهم ووفاتهم
ومعددهم وأسماؤهم ، وما جاء في أحوالهم أحياء وأمواتا .
(١٨٩) انظر ابن حجر : الفتح (٢٩١/١٤) ، ابن إسحاق - بدون إسناد (ابن هشام (٢٤٧/١) ، ابن
سعد (١٣٤/١) - ٣٥ . بأسانيد مختلفة في بعضها الواقدي - وصومنا فالخير مشهور ، لاختلاف
فيه يذكر .

(١٩٠) انظر ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق - السيرة النبوية ، القسم الأول ، ص ١٠٨ و ١١٧ .
(١٩١) المصدر نفسه ، ص : ١٠٨ ، ١١٧ ، ١١٨ .
(١٩٢) ابن حجر : الفتح (٢٩١/١٤) ، البداية والنهاية (٣١٨/٢) - ١٩ . البيهقي : الدلائل (٧٠/٢)
من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف جدا لأن فيه إبراهيم بن عثمان - متروك ؛ ابن إسحاق - بدون
إسناد (ابن هشام (٢٤٧/١) - ٢٤٧) .
(١٩٣) البداية والنهاية (٣١٩/٢) ، دلائل النبوة للبيهقي (٦٩/٢) .

وماتت خديجة عن خمس وستين سنة^(١٩٤) كما هو المشهور، وقيل غير ذلك^(١٩٥) وكان عمرها عندما تزوجها الرسول ﷺ أربعين سنة، كما هو المشهور^(١٩٦)، وقيل غير ذلك^(١٩٧).

ب - حكم وفوائد من هذا المقطع

- (١) إن في إظلال الملكين له وشهادة الراهب له بالنبوة دليلا على النبوة.
- (٢) إن في رغبة خديجة الزواج منه دليلا على ما كان يتميز به الرسول ﷺ من أخلاق عالية.
- (٣) إن الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل خديجة دليل على شرفها وعلو مكانتها عند الله ورسوله والناس.
- (٤) لا غضاضة في أن تبدي المرأة الصالحة رغبة الزواج من الرجل الصالح كما فعلت خديجة عندما خطبت محمدا إلى نفسها، رغبة فيه لصالحه.
- (٥) إن أول ما يدركه الإنسان من هذا الزواج هو عدم اهتمام الرسول ﷺ بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتماً بذلك بكيفية أقرانه من الشباب لطمع بمن هي أقل منه سنا أو بمن ليست أكبر منه على أقل تقدير، أو بمن ليست ثيبا. ويتجلى لنا أنه ﷺ إنما رغب فيها لشرفها ونبيلها حتى أنها كانت تلقب بالعفيفة الطاهرة. ولقد ظل هذا الزواج قائما حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاما. وقد ناهز هو الخمسين من العمر، وفي تلك الفترة - من فترة الشباب إلى الخمسين - تكون رغبة الرجال في النساء والميل إلى التعدد لدوافع الشهوة. ولكن الرسول ﷺ لم يفكر في ذلك، ولو شاء لوجد الكثير من النساء الراغبات أو الإماء،

(١٩٤) ابن سعد (١/٦/٨)، ١٨ من طريق الواقدي وهو متروك.
 (١٩٥) قال مصعب الزبيري: «وبلغت خديجة خسا وستين سنة، ويقال خمسين، وهو أصح».. نقلا عن دلائل النبوة للبيهقي (٢/٧٠ - ٧١) وابن كثير في البداية (٢/٣١٨) ولم يعلق عليه.
 (١٩٦) انظر ابن سعد: الطبقات (٨/١٧) من طريق الواقدي والواقدي متروك.
 (١٩٧) روى هشام الكلبي أن عمرها كان ثمانيا وعشرين سنة - انظر ابن سعد: الطبقات (٨/١٦) - (١٧). والكلبي متروك، وهذا القول شاذ. وفي رواية للواقدي أنها كانت يومئذ بنت خمس وأربعين سنة - انظر ابن عساکر: تاريخ دمشق - السيرة النبوية، القسم الأول - ص ١٥٧ والرواية ضعيفة لأن الواقدي متروك في الحديث مع سعة علمه، ولا تنكر إمامته في الغازي والسير.

دون أن يخرج عن مألوف.

٦) إن في التقاء العفيفة الطاهرة بالصادق الأمين وإنجاب الذرية الصالحة من هذا الزواج المكرمة أكرم الله نبيه ﷺ بها ليظل في مكانة اجتماعية مرموقة لا مطعن فيها.

المبحث الثالث عشر: أ - مشاركته في بناء الكعبة ووضعه الحجر الأسود في مكانه:

روى البيهقي^(١٩٨) أن الله أوحى إلى إبراهيم (عليه السلام) أن ابن لي بيتا في الأرض، فضاق به ذرعا، فأرسل الله (عز وجل) إليه السكينة، وهي ريح خجوج^(١٩٩) لها رأس، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت، ثم تطوقت إلى موضع البيت تطوق الحية، فبنى إبراهيم، فكان بيني ساقا كل يوم، حتى إذا بلغ مكان الحجر، قال لابنه: ابغني حجرا، فالتمس حجرا حتى أتاه به، فوجد الحجر الأسود قد ركب، فقال له ابنه: من أين لك هذا؟ قال جاء به من لم يتكل على بنائك، جاء به جبريل (عليه السلام) من السماء فآتمه.

وروى البيهقي^(٢٠٠) من طريق آخر بمعناه، وزاد فيه، أنه عندما انهدم بنته العملاقة، وعندما انهدم للمرة الثانية بنته جرههم وعندما انهدم للمرة الثالثة بنته قريش ورسول الله ﷺ يومئذ رجل شاب. وعندما أرادوا هدمه إذ هم بحية على سور البيت فروعتهم فلم يقدرُوا على هدمه. فاجتمعت قريش عند البيت وتضرعوا إلى الله ليزيل عنهم هذا البلاء، فأرسل الله طائرا فغرز مخالبه في قفا الحية، ثم انطلق بها يحرقها حتى انتهت بها نحو أجياد، فتمكنت

(١٩٨) دلائل النبوة (٥٥/٢) وأخرجه الطبري في تفسيره (٦٩/٣ - ٧١)، والحاكم في المستدرک (٢/٢٩٢ - ٩٣) وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. ورواه الأزرقي تاريخ مكة (٢٤/١ - ٢٥).

(١٩٩) خجوج: أي شديدة.
(٢٠٠) دلائل النبوة (٥٦/٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (١/٤٥٨) وصححه وأقره الذهبي.

قريش من هدم الكعبة لإعادة البناء^(٢٠١). فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود إلى مكانه اختصموا فيه. فقالوا نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة، فكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم. ففضى بينهم أن يجعلوه في مِرْط، ثم ترفعه جميع القبائل^(٢٠٢).

وروى الإمام أحمد^(٢٠٣) وأهل السير^(٢٠٤) أن قريشا عندما اختلفت في وضع الحجر الأسود في مكانه، قالوا: اجعلوا بينكم حكما، فقالوا أول رجل يطلع من الفج، فجاء رسول الله ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم، فرفعوا نواحيه، فوضعه النبي ﷺ في مكانه المطلوب.

ولولا حكمة الله وهداية رسوله ﷺ إلى هذا الحل، لسفكت الدماء^(٢٠٥). فقد روي أن الخلاف في وضع الحجر الأسود قد وصل إلى أن قريت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاهدوا هم وبنو عدي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، دون أن يردّها إلى الوفاق أي رأي أو تدبير، حتى كان خود نار الفتنة على يد رسول الله ﷺ^(٢٠٦).

(٢٠١) طرف من حديث رواه عبدالرزاق في مصنفه (١٠٢/٥ ح ٩١٠٦) وقال الذهبي في السيرة ص ٧٧: «هذا حديث صحيح»، ورواه الذهبي بنحوه في السيرة، ص ٧٧، من حديث محمد ابن كثير المصيصي، بإسناد صحيح.

(٢٠٢) هو تكملة حديث البيهقي في الدلائل (٥٦/٢، ٥٧) وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤٥٨/١) وصححه وأقره الذهبي.

(٢٠٣) المسند (٤٢٥/٣) من حديث السائب بن عبدالله، ومن غير طريق ابن إسحاق وحسن الألباني إسناده - حاشية فقه السيرة للزحلي، ص ٨٤. وقد صحح السند نفسه الحاكم (٤٥٨/١) وسكت عنه الذهبي - انظر: الفتح الرباني (٢٠٠/٢٠٠ - ٢٠١) حيث رواية في إسناده هلال بن خباب، وقد اختلف في آخره. ولكن له شاهد من حديث علي. ورواه الذهبي في سيرته، ص ٦٨، والبيهقي في دلائله (٥٧/٢) من حديث الزهري بإسناد مرسل، وفيه أن ذلك كان عندما بلغ رسول الله ﷺ الحلم!! وبذلك يكون خبر حكم الرسول ﷺ بين قريش عندما اختلفوا في وضع الحجر الأسود صحيحا بمجموع هذه الطرق.

(٢٠٤) ابن إسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (٢٥٤/١ - ٢٥٥). وانظر حاشية المحققين في تخريج هذا الخبر. وانظر حاشية عتقي الدلائل للأصبهاني (١٧٦، ١٧٥/١) وسيرة الذهبي، ص ٦٦ - ٦٨، ابن سعد (١٤٥/١) من طريق الواقدي. ويشهد لحديث ابن إسحاق حديث أحمد والحاكم والذهبي وغيرهم.

(٢٠٥) انظر أعداد الفريقين المتنازعين للحرب عند ابن إسحاق - ابن هشام (٢٥٤/١).

(٢٠٦) ابن إسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (٢٥٤/١).

وعندما أكملوا البناء ساق الله إليهم سفينة من أرض الروم، فانكسرت قريبا من جدة، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا روميا نجارا عندها، فأخذوا الخشب بإذنه، وقدموا بالخشب والنجار الرومي لبني لهم به عرش الكعبة (٢٠٧).

وقد جزم عبدالرزاق (٢٠٨) وابن إسحاق (٢٠٩) أن عمر النبي ﷺ إذ ذاك كان خمسة وثلاثين عاما، وهو المشهور (٢١٠). وقيل كان ابن خمس وعشرين سنة (٢١١)، وقيل كان غلاما (٢١٢).

ب - حكم وعبر من هذا المقطع:

- ١) إن قبول قريش تحكيم الرسول ﷺ في أمر وضع الحجر الأسود في مكانه من البيت الحرام، ووصفهم له بالأمين، دليل على تربية الله سبحانه لنبيه على مكارم الأخلاق التي كان من بينها الصدق والأمانة.
- ٢) إن الاقتراح الذي توصل إليه الرسول ﷺ لحل هذه الأزمة كان بتوفيق من الله تعالى ليلفت أنظار الناس إلى ما سيختاره له الله من القيام بأمر أكبر من هذا لتوحيد الناس... وهو الإسلام.
- ٣) جاء إسهام الرسول ﷺ في القضايا الكبرى التي عاشتها مكة آنذاك، متنوعا شاملا مغطيا شتى مساحات العمل البشري الجماعي، وكأنه أريد له أن يجرب كل شيء، أن يسهم عاملا في كل اتجاه، وأن يبني عبر نشاطاته المتنوعة جميعا شخصية قادرة على التصدي لكل مشكلة،

(٢٠٧) طرف من حديث رواه عبدالرزاق في المصنف (١٠٢/٥ ح ٩١٠٦) وقد سبق تصحيحه وذكره في هذا البحث نفسه. حاشية رقم (٢٠١).

(٢٠٨) المصنف (١٠٢/٥) بإسناد صحيح، ولفظه: «وكان بين بنيان الكعبة وبين ما أنزل الله خمس سبعمائة».

(٢٠٩) سيرة ابن هشام (٢٤٩/١) بدون إسناد. فهو ضعيف.

(٢١٠) انظر: البداية والنهاية (٣٢٤/٢) والسيرة النبوية للذهبي، ص ٧٧ من حديث عبدالرزاق الذي صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو في المصنف (١٠٢/٥ - ١٠٣) برقم ٩١٠٦.

(٢١١) البيهقي: دلائل النبوة (٦٢/٢) وممن قاله: موسى بن عقبة وبجاءه وعروة بن الزبير وعبد بن جابر، بطرق موقوفة عليهم. وانظر البداية (٣٢٤/٢).

(٢١٢) البيهقي: دلائل النبوة (٥٧/٢)، وهو موقوف على الزهري. وانظر مناقشة هذه الأنوال عند الدكتور قلعة جي في حاشية الدلائل (٦٢/٢)....

والإسهام الإيجابي الفعال في كل ما من شأنه أن يعيد حقا أو يقيم عدلا... وكان إسهامه في بناء الكعبة، وحل مشكلة وضع الحجر الأسود التي كادت تؤدي إلى فتنة، اثنين من بين عدة أنشطة متنوعة قام بها الرسول ﷺ فأكسبته خبرة في مجال التعامل مع الأحداث^(٢١٣).

المبحث الرابع عشر: أ - من إرهاصات النبوة عند اهل الكتاب وكهان العرب عندما قارب زمن بعثة الرسول ﷺ:

عقد ابن إسحاق^(٢١٤) فصلا عن أخبار الكهان من العرب والأخبار من اليهود والرهبان من النصارى بقرب مبعث النبي ﷺ.

وما روي في أمر كهان العرب بطرق صحيحة حديث ابن عباس في رمي الجن بالنجوم قطعا لمصدر كهانة العرب في الجاهلية^(٢١٥). وخبر سواد بن قارب الكاهن مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، حيث كان سواد يقول: «إن الشياطين قد سكنت ذليلة مغلوبة قبيل مبعث النبي ﷺ»^(٢١٦)، وكان سبب إسلامه هو ما رآه من إرهاصات عن طريق ممارسته الكهانة والاستعانة بالجن في ذلك، كما جاء ذلك في خبره^(٢١٧).

روى ابن إسحاق^(٢١٨) في إخبار يهود برسول الله ﷺ ان يهوديا كان من جيران بني عبد الأشهل، حدثهم عن البعث والجزاء فاستنكروا ذلك وطالبوه

(٢١٣) انظر الدكتور عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص ص ٤٨ - ٤٩.

(٢١٤) سيرة ابن هشام (١/٢٦٢).

(٢١٥) مسلم (٤/١٧٥١ ح/٢٢٢٩).

(٢١٦) انظره كاملا في سيرة ابن هشام (١/٢٦٨) بسند منقطع من رواية ابن إسحاق، وروى قصته مع عمر: البخاري/ الفتح (١٥/٢١ - ٢٥ ح/٢٨٦٦)، ولم يصرح البخاري أن الكاهن هو سواد، ولكن ابن حجر هو الذي صرح بذلك من طرق يقوي بعضها بعضها - الفتح (١٥/٢٢)، وكذلك العيني في عمدة القاري (١٧/٦ - ٧)، وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٤٨ - ٢٥٤) بإسناد متصل إلى البراء بن عازب، وحاشية محقق سيرة ابن هشام (١/٢٦٨).

(٢١٧) ابن حجر. الفتح (١٥/٢٥). دلائل البيهقي (٢/٢٤٩ - ٢٥١).

(٢١٨) ابن هشام (١/٢٧٠) وسنده متصل ورجاله ثقات، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، فهو حسن. ورواه من طريقه غير واحد، مثل: أحمد (٣/٤٦٧). الهيثمي: المجمع (٨/٢٣٠)، وأبو نعيم: الدلائل (١/٧٤ - ٧٥)، والبيهقي: الدلائل (٢/٧٨ - ٧٩)، والحاكم: المستدرک (٣/٤١٧ - ٤١٨). وانظر سيرة الذهبي، ص ٧٤ والخبر صحيح عند كل هؤلاء.

بآية ذلك، فقال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده جهة مكة واليمن.

وروى ابن إسحاق^(٢١٩) أن من أسباب إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد من يهود بني هذل، إخوة بني قريظة، ما أخبرهم به يهودي يقال له ابن الهبيان، قدم من الشام إلى المدينة قبيل البعثة بسنين. قال لهم إن سبب قدومه المدينة توقع خروج نبي فينبع، ودعا اليهود إلى اتباعه وألا يسبقهم إليه أحد، وذكر لهم بعض صفاته. فعندما تأكدوا منها يوم حصار قريظة أسلموا.

وفي قصة سلمان الفارسي وخروجه من بلاده بحثا عن الدين الحق وتقلبه في الرق إلى أن جاء إلى المدينة^(٢٢٠)، وقصة ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو ابن نفيل وخروجهما من مكة بحثا عن الدين الحق حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، قال الراهب لزيد إن الذي تلتمس يوشك أن يظهر في أرضهما^(٢٢١). في هذه القصص وغيرها دليل على ما كان سائدا عند اليهود والنصارى في ذلك الوقت، من اعتقاد بقرب ظهور النبي محمد ﷺ وللصفات التي عرفت من الأحبار والرهبان عن الرسول ﷺ أسلم سلمان الفارسي.

(٢١٩) القصة عند ابن إسحاق بسند منقطع (ابن هشام ٢٧٢/١)، وكذلك في دلائل أبي نعيم (٨١/١) ودلائل البيهقي (٨٠/٢ - ٨١) كلاهما عن طريق ابن إسحاق، وعند ابن سعد (١٦٠/١) من طريق الواقدي. ويتقوى هذا الأثر بالتأنيق وقابل للاحتجاج به لأن البخاري ومسلم قد أشارا في صحيحهما إلى أن بعض بني قريظة قد لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم وأسلموا. انظر: البخاري/ الفتح (١٥/٢٠٣ ح ٤٠٢٨)، ومسلم (٣/١٣٨٨ ح ١٧٦٦)، وأبا داود في سننه (٢/١٤٠ - ٤١) وأبا عوانة في مسنده (٤/١٦٣). انظر تخريج الخبر عند السندي في رسالته: مروييات تاريخ يهود المدينة، ص ٢٧٣، ٢٨٠ - ٨١.

(٢٢٠) انظر قصته بطولها عند ابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام ٢٧٣/١ - ١٨٢) أما البخاري فقد ذكر توجيه الرسول ﷺ لسلمان بأن يعقب نفسه بالكتابة - البخاري/ الفتح (٩/٢٨٠ ك. البيوع/ ب، شراء المملوك من الحربي) وهو معلق. ورواه غير واحد من طريق ابن إسحاق. انظر حاشية ابن هشام (١/٢٨٢)، وابن حجر: الفتح (٩/٢٨٠)، وقال ابن حجر هنا: ... وأخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحهما من وجه آخر عن زيد بن صوحان عن سلمان نحوه. وأخرجه أبو أحمد وأبو يعلى والحاكم من حديث بريدة بمعناه.

(٢٢١) الخبر بتأنيقه أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/٤٣٩) وصححه، وأبو داود الطيالسي - ترتيب البنا (٢/١٦١) بإسناد حسن لغیره، إذ تقويه رواية ابن سعد (١/١٦٢) وانظره في دلائل البيهقي (٢/١٢٤ - ١٢٦). وفي خروج زيد إلى الشام انظر البخاري/ الفتح (١٤/٣٠٠ ح ٣٨٢٧).

وجاء في صحيح الأخبار ان الله تعالى لما أراد هدي زيد بن سعة - الحبر اليهودي - قال: «إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً»، فخالط الرسول ﷺ حتى تأكد من هاتين الخصلتين (٢٢٢).

وجاء في الأخبار أن سبب إسلام عامر بن ربيعة العدوي هو ما كان يقوله زيد بن عمرو بن نفيل من أنه ينتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبدالمطلب اسمه أحد، ولا يرى أن يدركه، وكان ينعته للناس، لما عرفه عنه من أهل الكتاب (٢٢٣).

وكان قس بن ساعدة الإيادي يقول: «أقسم قس قسماً برا لا إثم فيه، ما لله على الأرض دين هو أحب إليه من دين أظلمكم إبانته وأدرككم أوانه، طوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن أدركه ففارقه...» (٢٢٤).

وقال المفسرون وأهل السير إن الآية ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون﴾ (٢٢٥) على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴿٢٢٦﴾ نزلت في اليهود

(٢٢٢) انظر الخبر بتمامه في سيرة الذهبي، ص ص ٩١ - ٩٣. وقال المحققان في تحريجه. «أخرجه ابن حبان في صحيحه - زوائد ابن حبان، ص ٥١٦، والطبراني والحاكم (٦٠٤/٣) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهو من غرر الحديث. وقال الهيثمي في المجمع (٢٤٠/٨) رجال الطبراني ثقات. وقال ابن حجر في الإصابة (٥٤٨/١): ورجال الإسناد موثقون. وقد صرح الوليد بن مسلم فيه بالتحديث. ومداره على محمد بن أبي السري، وهو محمد بن التوكل، وثقه ابن معين ووثقه أبو حاتم».

(٢٢٣) انظر القصة في الفتح (٢٩٧/١٤ ح/ ٢٨٢٦) وابن سعد (١/١٦١)، وقال محققا دلائل أبي نعيم (١/١٠٠) عن إسناد ابن حجر: ويظهر أن إسناده عنده مقبول لأنه اشترط في مقدمة الفتح أن لا يذكر من الحديث إلا ما توفر فيه شرط الصحة أو الحسن (هدى الساري ١/١٦١)، والسيوطي. الخصائص (١/٦١).

(٢٢٤) انظر قصته في دلائل أبي نعيم (١، ١٠٤ - ١٠٥) ومما قاله المحققان في تحريجه الخبر: «... وقال السيوطي في الخصائص ثم وقفت عليه من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه الإمام محمد ابن داود الظاهري في كتاب الزهراء له فقال. حدثنا... فذكره، وهو أمثل طرق الحديث... ويضم من تحريجهما للخبر أنه حسن... وانظره في دلائل البيهقي (١/١٠١ - ١٠٤) وفي إسناده مقال. وانظر كلامنا عن الحنفاء في تمهيدنا لهذا الكتاب - مبحث قس بن ساعدة.

(٢٢٥) يستصرون الله به على مشركي العرب.

(٢٢٦) البقرة: ٨٩.

الذين كانوا في صراع مع الأوس والخزرج. وإذا نال الأوس والخزرج منهم قالوا لهم إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما ظهر اتبعه الأوس والخزرج وكفرت به اليهود^(٢٢٧).

وقصة هرقل مع أبي سفيان تدل على ذلك، خاصة قول هرقل لأبي سفيان: «فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قديمي هاتين»^(٢٢٨). وجاءت الأحاديث مصرحة بأن محمدا ﷺ قد كتب نبيا منذ القدم. فقد روى الإمام أحمد^(٢٢٩) والترمذي^(٢٣٠) قول الرسول ﷺ: «إنه كان نبيا و«آدم بين الروح والجسد». وعند أحمد^(٢٣١) من حديث العرباض بن سارية: «وإن آدم لمنجدل في طينته». وعند أبي نعيم^(٢٣٢)، قال، قال الرسول ﷺ: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث».

ب - حكم وعبر من هذا البحث:

١) وخلاصة القول إن علماء اليهود والنصارى كانوا يعرفون الرسول ﷺ قبل مبعته مما يجردونه من أوصافه وزمان خروجه في التوراة والإنجيل. وقد أشار القرآن إلى ذلك في عدة آيات^(٢٣٣). ولذلك أسلم بعض اليهود وفي مقدمتهم عبدالله بن سلام وبعض النصارى وفي مقدمتهم النجاشي

(٢٢٧) ابن إسحاق، بإسناد فيه جهالة (ابن هشام ١/ ٧٠) ولكنه يتقوى مع التابغة. ومن متابعاته رواية سلمة بن سلامة في قصة يهودي بني عبد الأشهل بإسناد حسن لذاته - انظر: مرويات يهود المدينة، ص ٤٩. وتفسير الطبري بتحقيق أحمد شاکر (٢/ ٣٣٣).

(٢٢٨) البخاري/ الفتح (١٢/ ٧١) ح/ ٢٩٤١، مسلم (٣/ ١٣٩٥) ح/ ١٧٧٣.

(٢٢٩) المسند (٤/ ٥٩، ٦٦، ٥/ ٣٧٩) وانظر طرقه المختلفة.

(٢٣٠) السنن (٩/ ٢٣٧) ح/ ٣٦١٣ ط. الدعاس) وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي الباب عن مسيرة الفجر». وصححه الألباني - صحيح الترمذي (٣/ ١٨٩) ح/ ٢٨٧٠.

(٢٣١) المسند (٤/ ١٢٨)، سبق تحريجه عند الكلام عن إرصاصات النبوة التي صاحبت ميلاده.

(٢٣٢) دلائل النبوة (١/ ٤٢). وقد رمز السيوطي في الجامع الصغير إلى صحته ولم يوافقه المناوي.

(٢٣٣) مثل الآية: ١٤٦ من سورة البقرة «الذين أتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» والآية: ٢٠ من سورة الأنعام: «الذين أتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم... والآية: ٦ من سورة الصف: «وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»، والآية: ١٥٧ من الأعراف: «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجئونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل... والآية: ٨٩ من البقرة: «ولو جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم».

ملك الحبشة. وإن ممن امتنع عن الدخول في الإسلام لأسباب مادية أو سياسية كما هو الحال في قصة حيي بن أخطب وهرقل ومقوقس مصر. (٢) ويضاف إلى هذا ما سبق أن قلناه عند الكلام عن رحلته ﷺ إلى الشام والحكم المستفادة من ذلك.

المبحث الخامس عشر: التنحّث في غار حراء

كان رسول الله ﷺ ينفرد إلى نفسه متقرباً إلى الله (عز وجل) في غار معروف بغار حراء. وقد حجب الله إليه ذلك، لم يأمره بذلك أحد. فكان يبقى في هذا الغار الأيام والليالي إلى أن أتاه الوحي فيه (٢٣٤)، وكانت سنة آنذاك أربعين سنة (٢٣٥).

وكان يمكث في حراء شهراً من كل سنة، وكان ذلك مما تنحّث به قريش في الجاهلية، كما ذكر ابن إسحاق (٢٣٦)، ويطعم من جاءه من المساكين. وإذا قضى جواره من شهره هذا، كان أول ما يبدأ به الطواف بالكعبة (٢٣٧). وقد اختلف العلماء في تعبدّه (عليه السلام) قبل البعثة، هل كان على شرع أم لا؟ وما ذلك الشرع؟ فقيل شرع نوح، وقيل شرع إبراهيم، وهو الأشبه الأقوى، وقيل موسى، وقيل عيسى، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده أتبعه وعمل به. ولبسط هذه الأقوال ومناسبتها مواضع أخرى (٢٣٨).

المبحث السادس عشر: أ - من إرهاصات النبوة قبيل البعثة:

قالت عائشة (رضي الله عنها): «إن أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنّث - يتعبد - فيه

(٢٣٤) انظر هذا المعنى في حديث عائشة عند البخاري في كتاب بدء الوحي وكتاب الأنبياء، والتعبير وغيرها - مثلاً: البخاري/ الفتح (٢٦/٢٠٤/ح ٦٩٨٢).

(٢٣٥) من حديث أخرجه البخاري/ الفتح (١٥/٨٣/ح ٣٩٠٢).

(٢٣٦) انظر الخبر عند ابن هشام (١/٢٩٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن وفيه دليل على أن التنحّث كان معروفاً في مكة.

(٢٣٧) جاء ذلك في حديث ابن إسحاق المذكور آنفاً بإسناد حسن.

(٢٣٨) ابن كثير. البداية والنهاية (٣/٧).

الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله. ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء...» (٢٣٩).

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعرف حجرا بمكة، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن» (٢٤٠).

وروي أن ملكين أتياه وهو ببعض بطحاء مكة، فقال أحدهما للآخر: زنه برجل، فوزنه، فرجع به محمد ﷺ إلى أن وزنه بألف من أمته فرجحهم، ثم قال له: لو وزنته بأمته لرجحها. ثم قال أحدهما للآخر: شق بطنه، فشق، ثم أخرج منه فعم - حظ - الشيطان، وعلق الدم، فطرحها، فقال أحدهما للآخر: اغسل بطنه غسل الإناء، ففعل، ثم دعا بالسكينة فأدخلت قلبه، ثم قال أحدهما للآخر: خط بطنه، ففعل، وجعلا الخاتم بين كتفيه، ثم وليا عنه، وكانها يعاين الأمر معاينة (٢٤١).

وروي أنه خرج من عند خديجة، ثم عاد فأخبرها أنه رأى بطنه قد شق، ثم طهر وغسل، ثم أعيد كما كان، فقالت: «هذا والله خير فأبشر» (٢٤٢).

وقال النبي ﷺ لخديجة: «إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً وإني أخشى أن يكون بي جن». قالت: «لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله»، ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت ذلك له فقال: «إن يك صادقا فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بعث وأنا حي فسأعززه، وأنصره، وأومن به» (٢٤٣).

(٢٣٩) البحاري/ الفتح (٢٦/ ١٩٧ - ٢٠٠/ ٢٩٨٢)، مسلم (١/ ١٣٩ - ١٤٠/ ١٦٠)، وغيرهما. واللفظ لمسلم.

(٢٤٠) مسلم (٤/ ١٧٨٢/ ٢٢٧٧)، الترمذي: صحيح الترمذي للألباني (٣/ ١٩٢/ ٢٨٦٥). (٢٤١) من رواية ابن عساکر، نقلها عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٩٩) - من حديث أبي در (رضي الله عنه). رواه البزار كما في مجمع الزوائد للهيتمي (٨/ ٢٥٥) وإسناده ضعيف، ويتقوى بحديث الزهري الآتي.

(٢٤٢) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٤٢، ١٤٥ - ١٤٦) من طريقين، الأول من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب، ومرسلاً. والثاني من طريق ابن شعبة عن أبي الأسود عن عروة مرسلًا، والطريقان ضعيفان. ولكنها شاهدان يتقوى بهما حديث ابن عساکر والبزار. انظر: محمد الصوياني القصصية: دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية، صص ١٨٧ - ١٨٩.

(٢٤٣) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٠٧٢٠) بإسناد حسن، من حديث عمار بن أبي عمار موصولا ومرسلاً.

ب - العبر والعظات :

(١) إن الآيات والمعجزات التي وقعت للرسول ﷺ من قبيل الإرهاصات الدالة على تميزه عن غيره من الخفيفين الذين عاصروه، وأن الله (عز وجل) سيختاره هو بالذات لأمر عظيم.

(٢) تقرير أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، إذ إن فترة الوحي كانت ثلاثاً وعشرين سنة منها ستة أشهر كانت مناما.

(٣) استحباب العزلة لفترات تعين المسلم على التفكير في أحوال المجتمع إذا سادت فيه الجاهلية والفساد. أما الاعتزال الدائم للمجتمع والذي ابتدئته جماعة من الجماعات الدينية في زماننا هذا فهو مخالف لسنة ﷺ العملية والقولية. فلم يعرف عن الرسول ﷺ أنه اعتزل المجتمع، وقال في نبذ مثل هذه الاتجاهات:

«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم» (٢٤٤).

«المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف. وخير الناس أنفعهم للناس» (٢٤٥).

المبحث السابع عشر: أ - نزول الوحي:

فجأ أمين الوحي الرسول ﷺ لأول مرة في يوم الاثنين، الحادي والعشرين

(٢٤٤) أحمد: المسند (٧/٩٤/ط. شاكز) وقال شاكز: «إسناده صحيح».
الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٧٣/ك. الفتى/ ب. الصبر على البلاء/ ح ٤٠٣٢)، وقال الألباني: «صحيح». وأشار إلى تحريجه في مشكاة المصابيح رقم ٥٠٨٧ وسلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٣٩.
الألباني: صحيح سنن الزمذني (٢/٣٠٧/ أبواب صفة القيامة/ ج ٢٦٣٨) وقال الألباني: «صحيح». ورواه البخاري في الأدب المفرد برقم ٥٨.
(٢٤٥) السيوطي: الجامع الصغير (٢/١٨٤) وقال: رواه الدارقطني، وهو صحيح.

من شهر رمضان^(٢٤٦)، من العام الأربعين لميلاده ﷺ، بينما كان يتحنت بغار حراء. وقال له: اقرأ، قال في الحديث: «فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني الثانية فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ حتى بلغ إلى قوله ﴿ما لم يعلم﴾ قالت عائشة (رضي الله عنها) - راوية الحديث -: فرجع بها ترجف بواديه^(٢٤٧) حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة، مالي! وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا فوالله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت: اسمع من ابن أخيك فقال: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ياليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك، قال: أومرحتي هم؟ قال: نعم، لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأوذني، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم يلبث ورقة أن توفي^(٢٤٨).

أما الخبر الذي أورده ابن إسحاق^(٢٤٩) عن كيفية بدء الوحي، والذي قال

(٢٤٦) جاء التصريح به في الآية الكريمة ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ البقرة: ١٨٥. وفي حديث عند مسلم (٢/٨١٩/ح ١١٦٢) وفيه التصريح بيوم الاثنين. وانظر: ابن هشام (٣٠٤/١) حيث قال ابن إسحاق إنه في رمضان واستشهد بآيات قرآنية غير هذه، ومسلم أحد (٢٩٧/٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٢٩٣/٤). واختلف العلماء في تحديد تاريخ ذلك اليوم، ورجح المباركفوري في الرحيق، حاشية ص ٧٥ - ٧٦، أنه اليوم الحادي والعشرون وهو ما لم يقل به غيره، حسب علمي المحدود.

(٢٤٧) البوادر: جمع بادرة وهي اللحمة التي ما بين المنكب والعتق، وقد جرت العادة أنها تضطرب عند الفزع. انظر: الشامي: سبل الهدى والرشاد (٢/٣٣٣).

(٢٤٨) البخاري/ الفتح (٢٦/٢٠٤/ح ٦٩٨٢)، مسلم (١/١٣٩ - ١٤٠/ح ١٦٠)، أحد: الفتح الرباني (١٨/٤٧). والكل: الذي لا يستقل بأمره.

(٢٤٩) سيرة ابن هشام (١/٢٩٩ - ٣٠٢) بإسناد حسن.

فيه «فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ...» فهو يخالف في الظاهر حديث عائشة (رضي الله عنها) عند البخاري ومسلم الذي فيه التصريح بأن مجيء الوحي كان في حالة اليقظة وأن الرؤيا الصادقة كانت قبل نزول الوحي، ولذا قال السهيلي^(٢٥١): «وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة، توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به، لأن أمر النبوة عظيم، وعيها ثقیل، والبشر ضعيف». وقال ابن كثير^(٢٥١) بما قاله السهيلي، ثم زاد: «... وقد جاء مصرحا بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري، انه رأى ذلك في المنام، ثم جاءه الملك في اليقظة»، وقال في مكان آخر^(٢٥٢): «ومحتمل ان هذا المنام كان بعدما رآه في اليقظة صبيحة ليلته، ومحتمل انه كان بعده بمدة، والله أعلم».

ب - العبر والعظات والدلائل:

- (١) دل تصرف خديجة إزاء ما وقع للرسول ﷺ في الغار على رجاحة عقلها، وحسن تصرفها، وفضلها، وسلامة فطرتها.
- (٢) دل تحليل ورقة لظاهرة ما حدث للرسول ﷺ بالغار على صحة علمه وفضله.
- (٣) يتبين من رؤية الرسول ﷺ جبريل بعينه، يقظة، أن ظاهرة الوحي ليست أمرا ذاتيا داخليا مرده إلى حديث النفس المجرد أو ما شابه ذلك من التمحللات، وإنما هي استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات. وضم الملك إياه ثم إرساله ثلاث مرات، قائلا في كل مرة: «اقرأ...» يعتبر تأكيدا لهذا التلقي الخارجي ومبالغة في نفى ما قد يتصور من أن الأمر لا يعدو كونه خيالا داخليا فقط.
- (٤) أ - يدل خوفه مما حدث له مع جبريل على أنه ﷺ لم يكن متوقعا الرسالة

(٢٥٠) الروض الأنف (١/٢٦٩).

(٢٥١) البداية والنهاية (٣/٥٠٤)، ورواية ابن عقبة أوردها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/١٤ - ١٥).

(٢٥٢) البداية والنهاية (٣/١٤).

التي سيدعى إلى حملها وبثها في العالم. وبذلك يتضح لكل عاقل مفكر ان ظاهرة الوحي هذه لم تأت منسجمة أو متممة لشيء مما قد يتصوره أو يخطر في باله، وإنما طرأت طروءاً على حياته وفوجيء بها دون أي توقع سابق. ولا شك ان هذا ليس شأن من يتدرج في التأمل والتفكير إلى ان تتكون في نفسه - بطريقة الكشف التدريجي المستمر - عقيدة يؤمن بالدعوة إليها!، كما يدعي بعض المستشرقين(*) .

ب - الله (عز وجل) قادر على أن يربط على قلب رسول الله ﷺ ويضمن نفسه بأن هذا الذي كلمه ليس إلا جبريل - ملك من ملائكة الله جاء ليخبره أنه رسول الله إلى الناس - ولكن الحكمة الإلهية الباهرة تريد إظهار الانفصال التام بين شخصية محمد ﷺ قبل البعثة وشخصيته بعدها، وبيان أن شيئاً من أركان العقيدة الإسلامية أو التشريع الإسلامي لم يكن في ذهن الرسول ﷺ مسبقاً ولم يتصور الدعوة إليه سلفاً.

ج - إن فيما ألهم الله به خديجة من الذهاب به (عليه السلام) إلى ورقة، تأكيداً من جانب آخر بأن هذا الذي فوجيء به (عليه السلام) إنما هو الوحي الإلهي الذي كان قد أنزل على الأنبياء من قبله، وإزالة لغاشية اللبس التي كانت تحوم حول نفسه بالخوف والتصورات المختلفة عن تفسير ما رآه وسمعه (٢٥٣).

د - لو كان الوحي أمراً ذاتياً لما جاءت آيات في القرآن تعتب عليه أو تلومه لبعض التصرفات.

هـ - لو كان الوحي أمراً ذاتياً لما خاطب الله تعالى نبيه بقوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ (٢٥٤).

و - لو كان الوحي أمراً ذاتياً لما كان الرسول ﷺ يسكت عن إجابات

(٢٥٣) انظر البوطي: فقه الشيرة، ص ٦٨ - ٧٠ .
(٢٥٤) يونس: ٩٤ . * أمثال كارادوفو الفرنسي . انظر: حاضر العالم الإسلامي (١/٣٩) .

السائلين لفترة زمنية قد تطول وقد تقصر، ولما عانى من نتائج بعض الأحداث، مثل حادث الإفك الذي استمرت محنته لشهر... إلخ.

٥) افتضت حكمة الله تعالى أن يكون الرسول ﷺ أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وفي ذلك إبعاد لشبهة الشك في مصدر القرآن، وفي ذلك يقول المولى (عز وجل): ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون﴾ (٢٥٥).

المبحث الثامن عشر: فترة انقطاع الوحي ثم تتابعه:

انقطع جبريل (عليه السلام) عن النبي ﷺ بعد هذا فترة من الزمان، اختلف العلماء في مدتها. قال البوطي (٢٥٦): «والراجح ما رواه البيهقي من أنها كانت ستة أشهر». وقيل إن الأقرب إلى الصواب هو ما روي عن ابن عباس أن فترة انقطاع الوحي كانت أربعين يوماً (٢٥٧)، وقيل إنها كانت أياماً (٢٥٨).

لقد جزع رسول الله ﷺ من هذا الانقطاع، حتى قيل إنه كان يحاول أن يتردى من شواقي الجبال (٢٥٩). وقد ضعف الشيخ الألباني (٢٦٠) هذه الجزئية من الحديث لكونها من بلاغات الزهري، وأنها تتنافى مع عصمة الأنبياء.

بعد فترة الفتور أو الانقطاع المذكورة، نزل عليه الوحي مرة أخرى. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله (عز وجل): ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ إلى قوله: ﴿والرجز فاهجر﴾ (المدثر/ ١

(٢٥٥) العنكبوت: ٤٨.

(٢٥٦) فقه السيرة، ص ٦٧، ولم يذكر مكانه من مؤلفي البيهقي: الدلائل والسنن الكبرى، أو غيرها.

والذي وقفنا عليه في السنن الكبرى (٦/٩) أن الوحي انقطع، ولم يذكر أنها ستة أشهر.

(٢٥٧) انظر شرح المواهب اللدنية للزرقاني (٢٣٦/١) وذكر فيه الأقوال الواردة بهذا الصدد، ولم يستند أصحاب هذه الأقوال إلى دليل صالح للاحتجاج به، وانظر الشامي: من معين السيرة، ص ٢٩.

(٢٥٨) ابن حجر: فتح الباري (٢٦/٢٠٥) ح/٦٩٨٢.

(٢٥٩) البخاري/ الفتح (٢٦/٢٠٤ - ٢٠٥) ح/٦٩٨٢.

(٢٦٠) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، ص ٤٠.

٥-، فحمي الوحي وتواتر» (٢٦١).

ب - الحكمة من هذا الانقطاع:

(١) ليحصل للرسول ﷺ التشوق إلى العود بعد أن تثبت لديه الحقيقة أنه أضحي نبيا» (٢٦٢).

(٢) إن في انقطاع الوحي ثم استمراره تأكيدا للحقيقة التي ذكرناها، وهي أن الوحي ظاهرة منفصلة عن ذات الرسول ﷺ.

المبحث التاسع عشر مراتب الوحي:

قال ابن القيم (٢٦٣) إن الله تعالى قد كمل لنبهه من مراتب الوحي مراتب عديدة: أحدها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحي الله إليه، كما في حديث عائشة (رضي الله عنها): «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...» (٢٦٤).

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال النبي ﷺ «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب،... الحديث» (٢٦٥).

(٢٦١) البخاري/ الفتح (١٨/٣٢٥). ك. التفسير/ ب. وثابك فظهر/ ح (٤٩٢٥)، مسلم (١/١٤٣) ح ١٦١/ك. الإبان/ ب. بدء الوحي)، أحمد: المسند (٣/٣٠٦)، و(٣/٣٩٢) أو انظر: الفتح الرباني (١٨/٤٨ - ٤٩).

(٢٦٢) انظر ابن حجر: الفتح (٢٦/٢٠٥ - ٢٠٦/٢٠٦). ح (٦٩٨٢). (٢٦٣) زاد المعاد (١/٧٨ - ٨٠)، وانظر: شرح السنة للبغوي (١٣/٣٢١) ومحمد رسول الله ﷺ لمرجون (١/٢٧٨).

(٢٦٤) البخاري/ الفتح (٢٦/٢٠٤) ح (٦٩٨٢)، مسلم (١/١٣٩) ح (١٦٠)، أحمد: الفتح الرباني (١٨/٤٧).

(٢٦٥) حديث يتقوى مع المتابعة والشواهد. وقد خرج الألباني في حاشية فقه السيرة للفرزاني، ص ٩٦، وقال عنه: «حديث صحيح جاء من طرق: الأول عن ابن مسعود، أخرجه الحاكم (٤/٢) والثاني: عن ابن أبي أمية أخرجه الطبراني في (الكبير) وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (١٠/٢٦)، والثالث: عن خديفة. أخرجه البزار كما في الترغيب (٣/٧) - والهيتمي في جمع الزوائد (٤/٧١). فبهذه طرق يقوي بعضها بعضا. وهذا والله أعلم - جزم ابن القيم في (زاد المعاد) بنسبة الحديث إلى الرسول. وخرجه محققا الزاد: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط (١/٧٩). ويتفقان مع الألباني على تصحيح الحديث بالشواهد. وذكرنا الشواهد التي ذكرها الألباني وأصافا شواهد أخرى، وهي حديث جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤) وابن حبان (١٠٨٤) و(١٠٨٥).

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلا، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا^(٢٦٦).

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتترك به إلى الأرض...^(٢٦٧).

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحى، وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم^(٢٦٨).

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٢٦٩) وثبوتها لنبينا ﷺ وهو في حديث الإسراء والمعراج، الذي فيه قول الرسول ﷺ: «... ثم عرج به حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»^(٢٧٠).

المبحث العشرون: مراتب الدعوة ومراحلها:

أ - مراتب الدعوة..

ذكر لها ابن القيم^(٢٧١) خمس مراتب: -

الأولى: النبوة، الثانية: إنذار عشيرته الأقربين، الثالثة: إنذار قومه، الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله، وهم العرب قاطبة، والخامسة: إنذار

(٢٦٦) كما في الحديث الذي قال فيه الرسول الكريم لعمر: «يا عمر أتدري من السائل؟ قلت - أي عمر - الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم». انظر: مسلم (٣٦/١) - ٣٧/٨. قال محقق الراد (٧٩/١). وروى النسائي بإسناد صحيح عن ابن عمر. «كان جبريل يأتي النبي في صورة دحية الكلبي».

(٢٦٧) ممن أخرجه: البخاري/ الفتح (٣١/١٣ ح/٣٢١٥)، ومسلم (١٨١٦/٤ ح/٢٣٣٣)، وغيرها.

(٢٦٨) الأنبياء. ٧ و١٣. وانظر مسلم (١٥٩/١ ح/١٧٧).

(٢٦٩) النساء: ١٦٤.

(٢٧٠) مسلم (١٤٩/١ ح/١٦٣).

(٢٧١) زاد المعاد (٨٦/١).

جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر.

ب - مراحل الدعوة خلال حياة الرسول ﷺ: (٢٧٢)

المرحلة الأولى: الدعوة سرا، واستمرت ثلاث سنين.

المرحلة الثانية: الدعوة جهرا والكف عن القتال. واستمرت إلى الهجرة.

المرحلة الثالثة: الدعوة جهرا مع قتال المبتدئين بالقتال، واستمرت إلى صلح الحديبية.

المرحلة الرابعة: الدعوة جهرا، مع قتال كل من يقف في سبيل سير الدعوة.

وقفة عند فقه هذه المراحل:

ربما يتبادر سؤال إلى الذهن، وهو: هل يجب على دعاة قيام الدولة الإسلامية - خاصة في العصر الحديث - التقيد بهذه المراحل بمداها الزماني كما وقعت للرسول ﷺ؟ والجواب عن هذا السؤال، هو أنه ليس عليهم التقيد بهذه المراحل (٢٧٣)، ولا بالمدى الزمني الذي مرت به في حياة الرسول ﷺ. وذلك لأن المدى الزمني لتلك المراحل تقدير رباني وليس جهدا بشريا فقط (٢٧٤). فالتقيد بهذه المراحل لا يتمشى مع مرونة الإسلام في معالجة الأمور ومواجهة الأحداث. والسيرة النبوية التي تمثل حركة الإسلام تفتح أمام الدعاة نماذج للخيارات المتعددة التي يقدمها المنهج الإسلامي بحركته الفذة الفريدة... وما السرية، أو طلب النصرة، أو الهجرة إلا وسائل اتخذها رسول الله ﷺ لنشر دعوته، ضمن ظروف ومواصفات معينة... فمثلا نجد في زماننا هذا ان الدول الغربية الديمقراطية لا تحجر أي نشاط لرجال الأديان المختلفة، فلا ضرورة

(٢٧٢) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ٥٧، المباركوري: الرحيق المختوم، ص ٨٤.

(٢٧٣) انظر زهير سالم: عثرات وسقطات في كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية ص ٢٩ وما بعدها والكتاب دراسة واعية للفقه الحركي الإسلامي من خلال السيرة، وتقويم موفق لدراسة الشيخ العضبان في كتابه الرائد. المنهج الحركي للسيرة النبوية.

(٢٧٤) انظر منير الفضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص ٩. والكتاب يفتح بابا هاما للمناقشة بين رجال الدعوة الإسلامية لوضع أسس سليمة للمنهج الحركي للسيرة.

هنا للتقيد بمرحلة السرية في الدعوة، بينما نجد الدول الشيوعية لا تسمح للمسلم بممارسة أي نشاط سياسي، فيضطر أن يستخفي بدينه حتى يتمكن، وهنا تصبح السرية ضرورة اقتضتها ظروف معينة. وإذا اقتضت حكمة الدعوة أن يكون هناك عمل سرّي وآخر علنيّ فلا بأس، وذلك في مثل البلاد التي تسمح بنشاط المسلمين في حدود ضيقة جداً.

وخلاصة القول إن السرية تقدر بقدرها، حسب ظروف البيئة التي يعيشها المسلم^(٢٧٥).

المبحث الحادي والعشرون:

أ - المرحلة الأولى: الدعوة السرية:

استجاب الرسول ﷺ للأوامر الإلهية التي صدرت له بالتبليغ، وقد جاءت هذه الأوامر واضحة في الآيات التي نزلت بعد آيات سورة العلق: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبِّكَ فَكْبِرْ، وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾^(٢٧٦).

لقد لخصت هذه الآيات الكرييات مضمون الدعوة التي أنيط به تبليغها إلى الناس. ولا تكاد الآيات القرآنية التي نزلت في مكة تخرج عن إطارها العام.

ففي قوله تعالى له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إشارة إلى أن زمان التدثر والخلود إلى الراحة في المصجع بين الزوجة والأبناء قد ولى، وجاء زمان المجاهدة بكل أبعادها، المادية والمعنوية.

وفي قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إشارة إلى تكليفه بأمر دعوة كل الناس إلى الإسلام. وفي قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ فَكْبِرْ﴾ إشارة إلى أن ليس في الوجود أكبر من الله تعالى خالق الوجود. ولذا عليه أن يعلم الناس بهذه الحقيقة ليتواضع

(٢٧٥) انظر زهير سالم. المرجع السابق. ص ٢٨ - ٣٥، وهو هنا يناقش الشيخ الغضبان في قوله بالزامية المرحلة السرية، ويبدو أن الغضبان قد انصب كلامه على بعض الأنظمة الاستبدادية وفاته ما هو واقع في كثير من البلاد الغربية، ولذا لم يوفق عندما عمم القاعدة. وانظر الدكتور البوطي، فقه السيرة، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢٧٦) سورة المدثر: الآيات ١ - ٧.

الناس كلهم لله الكبير المتعال. وهذا هو التوحيد المطلق.
وفي قوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ فَطْرُهُ﴾ إشارة إلى أن الداعية إلى الله لا بد أن يبدأ بتطهير نفسه ظاهرا وباطنا حتى يكون المثل الأعلى لمن يدعوهم إلى الطهارة بكل معانيها.

وفي قوله تعالى ﴿وَالرَّحْمَنُ فَاهْجُرْ﴾ إشارة إلى أن التوحيد الخالص يقتضي عدم تعظيم أو تقديس أي شيء ليتبارك الخالق في ربوبيته.
وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾، إشارة إلى أن ماخص به من منع إعطاء الشيء ابتغاء شيء أكثر منه هو أنه مأمور بأجل الأخلاق وأشرف الآداب ليكون مثلاً أعلى للبشرية وهو يدعوها إلى مكارم الأخلاق.

وللقيام بهذه الأمور كان لا بد من ختمها بحقيقة هامة للوصول إلى الأهداف المرجوة من هذه الأوامر، هذه الحقيقة هي أن تُحْمَلَ أمانة الدعوة في عناصرها المذكورة لا بد له من الصبر على كل أصناف أذى المعارضين، والصبر على تربية الأتباع والصبر على الابتلاء. فقال تعالى ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

نهض الرسول ﷺ من فراشه وأخذ يدعو إلى ما أمر به سرا لمدة ثلاث سنين كما ذكر ابن إسحاق^(٢٧٧)، ولفظه: وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه. وما يدل على السرية في الدعوة ما جاء في خبر إسلام عمرو بن عبسة (رضي الله عنه) حيث قال: «أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذ مُسْتَخْفٍ...»^(٢٧٨). بدأ بالدعوة إلى التوحيد ونبذ كل مظاهر الشرك.

وكان تحركه في هذه الفترة وسط الذين تربطهم به صلات، مثل زوجته وأبنائه ومولاه وربيبه وأصدقائه وكل من يطمئن إلى أنه يكتم السر^(٢٧٩). ولهذا يلحظ أن من أوائل الذين دخلوا في الإسلام:

(٢٧٧) ابن هشام (١/٣٢٥) - بدون إسناد.

(٢٧٨) مسلم (١/٥٦٩) ح ٨٣٢.

(٢٧٩) انظر ابن هشام (١/٣٠٩) - خبر إسلام علي.

(١) زوجه خديجة (رضي الله عنها) التي كانت أول من آمن بالله وبرسوله - كما هو مشهور - وهونت عليه أمر الناس، وكانت بذلك أول مَنْ أَمَرَ الرسول ﷺ بتبشيره بالجنة، قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أبشر خديجة بيت من قصب، لاصخب فيه ولا نصب» (٢٨١) وقد جاءت الأحاديث الصحيحة كثيرة في فضائلها وأخبارها (٢٨١).

(٢) ابن عمه علي بن أبي طالب الذي كان في حجره، وهو يومئذ ابن عشر سنين على أصح الأقوال (٢٨٢).

(٣) مولاه زيد بن حارثة، الذي قال له الرسول ﷺ عندما جاء أبوه يطلبه: «إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك، فقال: بل أقيم عندك». (٢٨٣)، فأقام عنده وعرف به «زيد بن محمد» حتى نزلت آية:

(٢٨٠) البخاري/ الفتح (٢٨٦/١٤) وما بعدها/ ح (٣٨٢٢)، مسلم (١/١٨٨٦/٤) ح (٢٤٣٣ - ٢٤٣٥، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (١/٣٠٥ - ٣٠٦) واللفظ له، ابن كثير: البداية (٣/٢٦ - ٢٧).

(٢٨١) انظرها في أماكنها عند البخاري ومسلم وغيرهما في أبواب الفضائل والمناقب وانظر أخبارها في مصادر السيرة الأخرى، مثل: الذهبي في سيرته، ص ص ١٢٧ - ١٢٩، حيث أشار إلى المصادر التي ذكرت سبق إسلامها.

(٢٨٢) روى ابن إسحاق في السيرة، ص ١٣٧ من رواية يونس بن بكير بإسناد حسن ما يفيد أن علياً أول من آمن من الفتيان. انظر الخبر الذي فيه حوار عفيف مع العباس عندما جاءه بائعاً وبتابعاً، فشاهد الرسول ﷺ يخرج إلى الكعبة ويصلي ومعه امرأته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب، فقال عنهم عفيف: «فلتني أمنت يومئذ وكنت أكون ثانياً»، يعني الشخص الثاني من الذكور. ورواية يونس بن بكير هذه في دلائل البيهقي (٢/١٦٢ - ٦٣)، قال الدكتور قلعة جي في تحريجه لها: «حديث صحيح، أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير»، وابن كثير في «التاريخ والحاكم في المستدرك» وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي ورواه الطبري في «التاريخ» وابن عبد البر في الاستيعاب. وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٠٣). رواه أحمد، وأبو يعلى بنحوه، والطبراني بإسنادين، ورجال أحمد ثقات». وروى خبر إسلامه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (١/٣١٢ - ٣١٤)، وابن سيد الناس: عيون الأثر (١/٩٢ - ٩٣) بإسناد ضعيف. وعن الاختلاف في سنة يوم أسلم، انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٦/٢٠٦ - ٢٠٧).

(٢٨٣) رواه ابن هشام معلقاً (١/٣١٥ - ٣١٦)، والترمذي - مع اختلاف يسير في اللفظ - انظر: صحيح الترمذي للألباني (٣/٢٣١/٣) ح (٤٠٨٥) وفيه أن جيلة أخا زيد هو الذي قدم على رسول ﷺ في طلب أخيه زيد. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وحسنه الألباني، ورواه الحاكم في المستدرك (٣/٢١٤) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «صحيح» ورواه الطبراني في الكبير (٢/٣٢١ - ٢٢) وقال الهيثمي في المجمع (٩/٢٧٤). «وإسناده حسن» وانظر تحريجه في حاشية محقق سيرة ابن هشام (١/٣١٦). وخبره مشهور، فانظر في كتب السير، مثل: عيون الأثر (١/٩٤) وابن إسحاق: ابن هشام (١/٣١٤) وسيرة الذهبي. ص ص ١٣٧ - ١٣٨.

﴿ادعوهم لأبائهم هو أفسط عند الله﴾ (٢٨٤).

٤) أبوبكر الصديق (رضي الله عنه). وهو أول من صدق من الرجال، وفيه قال الرسول ﷺ لعمر: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبوبكر صدق...» (٢٨٥). وقال: «مادعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كيوه وتردد ونظر إلا أبابكر، ما عمت منه حين ذكرته وما تردد فيه» (٢٨٦). وقال هو عن نفسه عندما اختير خليفة للمسلمين: «ألست أحق الناس بها؟ ألست أول من أسلم؟...» (٢٨٧).

وفي إطار هذه السرية تحرك أبوبكر وسط أقاربه ومواليه وأصدقائه ومن يثق به من قومه. فاستجاب له نفر كريم، منهم: عثان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف (٢٨٨)، وعثمان بن مظعون وأبو عبيدة بن الجراح وأبوسلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم (٢٨٩).

ومن خلال علاقات هؤلاء وغيرهم أخذ الإسلام ينتشر في مكة وخارجها (٢٩٠)، ودخل فيه أناس من بطون قريش ومواليها كافة. ومن

(٢٨٤) الأحراب. ٥. والخير في صحيح سنن الترمذي للألباني (٢٣١/٣) من حديث ابن عمر وقد صححه الترمذي والألباني.

(٢٨٥) من حديث رواه البخاري/ الفتح (١٥٧/١٤) ح (٣٦٦) وقال ابن كثير في البداية (٣٠/٣): «وهذا كالنص على أنه أول من أسلم (رضي الله عنه)».

(٢٨٦) رواه ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ١٣٩، بإسناد منقطع والمنقطع ضعيف كما علمت. من حديث رواه الترمذي - انظر: صحيح الترمذي (٢٠١/٣) وصححه الترمذي والألباني.

(٢٨٧) الأحاديث الصحيحة في كون أبي بكر أول من أسلم من الرجال كثيرة، انظرها في البداية (٣٠/٣) - وقد ناقش ابن كثير هنا الأحاديث المخالفة لهذه الحقيقة - ويعون الأثر (٩٤/١) - (٩٥) - ابن هشام (٣١٦/١) - سيرة ابن إسحاق، ص ١٣٩ - ١٤٠، سيرة الذهبي

ص ١٣٨، فضائل الصحابة لابن حنبل (٢٢٣/١ - ٣١) تحت عنوان: ماروي أن أول من أسلم أبوبكر.

وقال ابن مسعود: «أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبوبكر... وإسناده صحيح وسباني ذكره في مبحث تعذيب الموالى (٢٣)».

(٢٨٨) إلى هنا ذكرهم ابن إسحاق في السيرة، ص ١٤٠، وفي سيرة ابن هشام (٣١٧/١ - ١٨) دون إسناد.

(٢٨٩) ومن ابن مظعون إلى الأرقم صرح ابن كثير في البداية (٣٣/٣) بأنهم أسلموا من طريق أبي بكر، زيادة على الآخرين.

(٢٩٠) في خير إسلام عمرو بن عبسة عند مسلم - كما سبق الإشارة إليه - دليل على وصول خير الإسلام إلى خارج مكة، حيث قال له الرسول ﷺ: «... ولكن الحق بقومك فإذا أخبرت أبي قد خرجت قاتليني».

اشتهروا بين السابقين إلى الإسلام من الموالي: بلال بن رباح وصهيب ابن سنان وعمار بن ياسر ووالده وأمه سمية بنت خباب^(٢٩١).

وفي فترة وجيزة وصل عدد الذين سبقوا إلى الإسلام من بطون قريش إلى أكثر من أربعين نفرا، كما عدهم ابن هشام^(٢٩٢)، وأكثر من خمسين كما عدهم اليعمري^(٢٩٣).

٥) وثبت أن ورقة بن نوفل كان من المسلمين الأوائل، وذلك بدليل قول الرسول ﷺ: «قد رأيته ف رأيته عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض»^(٢٩٤). وقال ﷺ في رواية أخرى: «قد رأيته ف رأيته عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة، وعليه السندس»^(٢٩٥). وقال ﷺ: «لا تسبوا ورقة فإني رأيته له جنة أو جنتين»^(٢٩٦)، وقال: «يبعث يوم القيامة أمة وحده»^(٢٩٧).

ويتضح من سجل أسماء السابقين الأولين إلى الإسلام أنهم كانوا من خيرة أقوامهم ولم يكونوا كما يذكر بعض الكتاب المسلمين وغيرهم أنهم كانوا في معظمهم خليطا من الفقراء والضعفاء والأرقاء الذين أرادوا استعادة حريتهم أو كرامتهم.

والقول الشديد في هذا هو أن الذين تحملوا القسط الأكبر من التعذيب

(٢٩١) ورد ذكرهم في خبر موقوف على مجاهد وإسناده صحيح - انظره في فضائل الصحابة لابن حنبل (٢٣١/١). وأخرجه ابن سعد عن مجاهد مثله (٢٣٣/٣)، وابن حنبل في فضائل الصحابة (١٨٢/١) عن ابن مسعود بإسناد متصل حسن، كما أخرجه المحقق، وهو في المسند (٤٠٤/١)، والبيهقي في الدلائل (١٧٠/٢)، والحاكم في المستدرک (٨٤/٣) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وابن هشام (٣٢٤/١) معلقا، ابن سعد (٢٢٦/٣) مرسلًا عن الحسن، والطبراني في الكبير (٣٤/٨) عن أنس و(١٣١/٨) عن أبي أمامة وقال الميثمي في المجمع (٣٠٥/٩). «ورجاله رجال الصحيح غير عبارة بن زاذان وهو ثقة، وفيه خلاف، وإسناده حسن».

(٢٩٢) سيرة ابن هشام (٣١٨/١ - ٣٢٤).

(٢٩٣) عيون الأثر (٩٣/١ - ٩٨)، وانظر. جوامع السيرة لابن حزم، ص ص ٤٤ - ٥١.

(٢٩٤) رواه أحمد: الفتح الرباني (١٧٤/٢٠)، وحسن الساعدي إسناده.

(٢٩٥) رواه ابن كثير في البداية (١٠/٣) عن أبي يعلى، وحسنه.

(٢٩٦) رواه البزار من طريق عائشة (رضي الله عنها) كما ذكر ابن كثير في البداية (١٠/٣)، وقال ابن كثير عن إسناده: «وهذا إسناد جيد». وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤٠٩/٢) من حديث عائشة (رضي الله عنها) وصححه ووافقه الذهبي. والحديث بجميع هذه الطرق حسن. وانظر ترجمته عند الألباني في حاشية فقه السيرة للفرغلي، ص ١٠٠.

(٢٩٧) أخرجه الطبراني كما في المجمع (٤١٦/٩)، وقال الميثمي: «ورجاله رجال الصحيح».

هم الأرقاء والموالي، وكانت فتنتهم على ملأ من الناس، ولذا انتشر أمرهم، بينما امتنع الآخرون بأقوامهم، ومن عذب منهم عذب ضمن قبيلته. ولذا لم ينتشر أمرهم، ولم يذكروا كثيرا^(٢٩٨).

وفي هذه المعاني رويت عدة أحاديث، منها ما رواه أحمد^(٢٩٩) عن ابن مسعود، قال: «أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد^(٣٠٠)، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه. وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروههم في الشمس...».

وذكر ابن إسحاق^(٣٠١) أن قريشا عدت على من أسلم ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم. وذكر^(٣٠٢) أن رجالا من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد يستأذنوناه في اتخاذ ما يروونه من وسائل لصدده عن الدين هو ومن أسلم معه من فتيه بني مخزوم، الذين كان منهم سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة. فسمح لهم بما يريدون وحذرهم من قتله.

وروى ابن إسحاق^(٣٠٣) في قصة هجرة عمر وقصة عياش معه أن قريشا منعت هشام بن العاصي بن وائل السهمي من الهجرة مع عمر وعياش وفتنته فافتتن، واحتالوا على عياش فردوه من المدينة إلى مكة مقيدا.

وكان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم يوثق سعيد بن زيد، ابن عمه، ويكرهه ليرجع عن الإسلام^(٣٠٤). ولم يستطع الرسول ﷺ أن يفعل لهم

(٢٩٨) انظر الشامي: من معين السيرة، ص ص ٣٥ - ٣٦.

(٢٩٩) سبق الإشارة إليه، وقلنا إن وصي الله قد حسن إسناده - فضائل الصحابة (١/١٨٢).

(٣٠٠) ابن سعد (٢٣٣/٣) عن مجاهد مرسلا، وذكر «خياب» بدلا من «المقداد» الذي في حديث أحمد.

(٣٠١) السيرة، ص ١٤٨، وابن هشام من رواية ابن إسحاق بدون إسناده (١/٣٩٢) وغير المسند ضعيف جدا كما تعلم.

(٣٠٢) ابن هشام (٣٩٦/١) من رواية ابن إسحاق بإسناد منقطع.

(٣٠٣) سيرة ابن هشام (١/١٢٩) عن ابن إسحاق بإسناد حسن. ورواه البزار، ورجاله ثقات كما قال

الهيثمي في المجمع (٦/٦٢)، البيهقي في الدلائل (٢/٤٦١ - ٤٦٢) والسنن الكبرى (٩/١٣ - ١٤) من طريق ابن إسحاق.

(٣٠٤) البخاري/ الفتح (١٥/١٩ ح ٣٨٦٢).

شيئا. وحتى عندما استقر بالمدينة لم يملك هؤلاء غير الدعاء، حيث كان يقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة، اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» (٣٠٥).

وقد أوضح ابن حجر (٣٠٦) معنى كلمتي «الضعفاء» و«الشرفاء» اللتين وردتا في حديث هرقل مع أبي سفيان. فمعنى الأولى عنده أن أتباع الرسل في الغالب أهل الاستكانة لا أهل الاستكبار الذين أصروا على الشقاق بغيا وحسدا، كأبي جهل وأتباعه. وفي معنى الثانية أن الشرف يقصد به ما يرادف التكبر. وهذا هو التفسير الذي ينبغي أن نفهم في ضوءه ما يرد من عبارات تتعلق بالشرفاء أو المستضعفين.

هذا ويلاحظ أن من مجموع السبعة والستين الذين سبقوا إلى الإسلام ثلاثة عشر فقط ممن هم من الفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء والأخلاق من مختلف الأعاجم. فهم إذن نحو الخمس من المجموع. وما كان كذلك لا يقال عنه «أكثرهم» ولا «معظمهم» ولا «عامتهم» (٣٠٧).

ب - العبر والعظات في هذا المقطع:

(١) إن في إلهام الله تعالى لرسول الله ﷺ بأن يبدأ الدعوة سرا، تعليما للدعاة في كل زمان ومكان، وإرشادا لهم إلى مشروعية الأخذ بالحيلة والأسباب الظاهرة، وما يقرره التفكير والعقل السليم من الوسائل التي ينبغي أن تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها. على أن لا يتغلب ذلك كله على الاعتماد والاتكال على الله وحده، وعلى أن لا يذهب الإنسان في التمسك بهذه الأسباب مذهبا يعطيها معنى التأثير والفعالية في تصويره وتفكيره. فهذا يتخذه أصل الإيمان بالله

(٣٠٥) أحمد: المسند (١٢/٢٥٠ ح ٧٢٥٩)، وقال شاکر: «إسناده صحيح»، وعند ابن سعد (٩٦/١/٤) بهذا الإسناد، ورواه مسلم (١/٤٦٧ ح ٦٧٥) والبخاري عن أوجه كثيرة منها (٢٤٢/٢) و (١٧٠/٨).

(٣٠٦) فتح الباري (١/٣٥ - ٣٦ ح ٦)، ط دار القلم، ترقم محمد فؤاد عبدالباقى.
(٣٠٧) انظر الشامي: من معين السيرة، ص ٣٧ - ٣٩ فكلامه في هذه الناحية من أروع ما كتب.

تعالى، فضلا عن أنه يتنافى مع طبيعة الدعوة إلى الإسلام.
ومن هنا تدرك، ان أسلوب دعوته ﷺ في هذه الفترة كان من قبيل
السياسة الشرعية بوصف كونه إماما، وليس من أعماله التبليغية عن الله
تعالى بوصف كونه نبيا^(٣٠٨).

(٢) أجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف
العدة بحيث يغلب على الظن انهم سيقتلون من غير أي نكاية في
أعدائهم إذا ما أجمعوا على حربهم، فينبغي أن تقدم هنا مصلحة حفظ
النفس، لأن المصلحة المقابلة، وهي مصلحة حفظ الدين، موهومة أو
منفية الوقوع، وهذا ما يقرره العزبن عبدالسلام^(٣٠٩). ويقول الدكتور
البوطي^(٣١٠) في تعليقه على هذا القول إنه من حيث حقيقة الأمر ومرماه
البعيد، فإنها في الواقع مصلحة دين، إذ المصلحة الدينية تقتضي - في
مثل هذه الحال - أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكي يتقدموا ويجهدوا
في الميادين المفتوحة الأخرى. وإلا فإن هلاكهم يعتبر إضرارا بالدين
ذاته، وفسحا للمجال أمام الكافرين ليقترحوا ما كان مسدودا أمامهم
من السبل.

وهو بهذا يعني أن عدم القتال تقديم لمصلحة الدين المتينة على مصلحة
الدين المرجوحة.

المبحث الثاني والعشرون:

أ - الجهر بالدعوة:

روى أحمد^(٣١١) عن علي (رضي الله عنه) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ

(٣٠٨) انظر الدكتور البوطي: فقه السيرة، ص ٧٦.
(٣٠٩) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/١ - ١١٢) ط. مصر، سنة ١٩٦٨م وضوابط
المصلحة في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. ص ٢٦١. فقه السيرة
للوطي، ص ٧٧.
(٣١٠) فقه السيرة، ص ٧٧.
(٣١١) المسند (٢/١٦٥ - ١٦٦) تحقيق أحمد شاكرو وقال أحمد شاكرو: «إسناده حسن»، وهو الطريق
الأول، والطريق الثاني: المسند (٢/٣٥٢ - ٣٥٣) وصحح شاكرو إسناده.

عشيرتك الأقربين» قال: جمع النبي ﷺ أهل بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، فقال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ فقال رجل: يا رسول الله، أنت كنت بحراً، من يقوم بهذا؟... فعرض ذلك على أهل بيته، فقال علي: أنا.

وفي رواية ابن إسحاق^(٣١٢) أن الرسول ﷺ قال لهم في ذلك اللقاء: «يا بني عبدالمطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، إني قد جئكم بأمر الدنيا والآخرة».

ثم خطا الرسول ﷺ خطوة أخرى لتنفيذ أمر الله تعالى. فقد روى البخاري^(٣١٣) ومسلم^(٣١٤) عن ابن عباس، قال: «لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣١٥)، ورهطك منهم المخلصين»^(٣١٦)، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفاء، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم. قال أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام. فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾^(٣١٧).

(٣١٢) السير والمغازي، ص ١٤٥ - ١٤٦ ووصله الطبري في التفسير (٧٥/١٩)، وإسناده في المكاتين ضعيف، ولكنه يتقوى بالشواهد. ومن شواهد: حديث أحمد المذكور بطريقه، وحديث من رواية ابن أبي حاتم بسنده إلى علي، كما نقله عنه ابن كثير في التفسير (١٨٠/٦ - ١٨١).

(٣١٣) الفتح (٣٩٧/١٨) ج ٤٩٧١ - ٤٩٧٢، واللفظ له.

(٣١٤) الفتح (١٩٤/١) ج ٢٠٨.

(٣١٥) الشعراء: ٢١٤.

(٣١٦) قال النووي: «الظاهر إن هذا كان قرأنا أنزل ثم نسخت ثلاثه، ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري - انظر شرحه على صحيح مسلم (٨٢/٣ - ٨٣) وذكر ذلك محمد فؤاد عبدالباق في شرحه على صحيح مسلم (١٩٤/١) ... ولم يعلق عليها، والدكتور قلعة جي في شرحه على دلائل البيهقي (١٨١/٢) ولم يعلق عليها. وقد نبه ابن حجر (الفتح ١١٣/١٨) على وجودها في رواية البخاري عن ابن عباس كما هو مبين في الحديث الذي أثبتته هنا، ولا توجد هذه الزيادة في حديث البخاري الذي في كتاب التفسير - سورة الشعراء - باب وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ - الفتح (١١٣/١٨) ج ٤٧٧٠. ... وانظر شرح ابن حجر لمعنى هذه الزيادة. هذا وقد جاء هذا الحديث بعدة طرق وألفاظ تدور في نفس المعنى. فانظرها في المصادر المشار إليها، وفي غيرها، مثل: سيرة الذهبي، ص ١٤٣ - ١٤٤، دلائل البيهقي (١٨١/٢ - ١٨٢)، والبداية والنهاية (٤٤/٣ - ٤٤).

(٣١٧) المسد: ١.

وروى الشيخان^(٣١٨) عن أبي هريرة، قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشا. فاجتمعوا فعم وخص، فقال: «يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبدشمس! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم!... يا بني عبدمناف! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني... يا بني عبدالمطلب!... يا فاطمة!... فإني لا أملك لكم من الله شيئا. غير أن لكم رَحِمًا سَأَبْلُهَا بِيَلَاهِمَا.»

كانت هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ. فقد فاصل الرسول ﷺ قومه على دعوته، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله^(٣١٩).

ب - دروس وعبر من هذا المقطع:

(١) إن الموقف السلبي لعشيرة الرسول ﷺ بصفة خاصة والعرب القرشيين بصفة عامة من الدعوة في هذه الفترة، فيه الرد القاطع على من يحاولون تصوير هذا الدين بأنه ثمرة من ثمار القومية، ويدعون أن محمدا ﷺ إنما كان يمثل بدعوته التي دعا إليها، آمال العرب ومطامعهم في ذلك الحين.

(٢) إن في تباطؤ الناس عن الدخول في الإسلام، لدليلاً على مدى قوة وتغلغل العادات والتقاليد في المجتمعات التي تعيش ردها من الزمان في الجاهلية وفساد الفطرة. وهو وضع يواجهه الدعاة في كثير من المجتمعات قديماً وحديثاً، حتى المجتمعات الإسلامية، عندما نجح فيها صوت الدعوة المهتدية بسنة الرسول ﷺ تجد أثراً كبيراً للعادات والتقاليد في تسير حركة المجتمع في المجالات المختلفة، وتجد استنكاراً ممن وقعوا في

(٣١٨) الفتح (١٨/١١٥ ح/ ٤٧٧١)، مسلم (١٩٢/١ ح/ ٢٠٤) واللفظ لمسلم - وانظر سيرة ابن إسحاق، ص ١٤٧.

(٣١٩) انظر فقه السيرة للقرطبي، ص ١٠١.

أسر هذه العادات والتقاليد، لصوت العقل المهتدي بسنة الرسول ﷺ والسلف الصالح، في فهم الإسلام.

٣) إن في خصوصية الأمر بإنذار العشيرة، إشارة إلى درجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم عموماً والدعاة منهم خصوصاً. فقد كان الرسول ﷺ يتحمل المسؤولية تجاه نفسه، بوصف كونه مكلفاً. ويتحملها تجاه أسرته وأهله، بوصف كونه رب أسرة وذا أسرة قري، ثم كان يتحمل المسؤولية تجاه الناس كلهم بوصف كونه نبياً ورسولاً من الله عز وجل. ويشترك مع النبي ﷺ في الأولى، كل مكلف، وفي الثانية كل صاحب أسرة، أو كل فرد له عشيرة، وفي الثالثة العلماء والحكام^(٣٢٠).

المبحث الثالث والعشرون:

أ - أساليب المشركين في محاربة الدعوة الإسلامية:

لم تزل أصداء تلك الصيحة - وأنذر عشيرتك الأقربين - مدوية في جنبات أم القرى، حتى نزل قوله تعالى: ﴿فاصدع بها تؤمر وأعرض عن المشركين﴾^(٣٢١) فقام الرسول ﷺ مشمراً عن ساعد الجد، صادعاً بالحق، داعياً إلى هجر الأوثان، مسفها عقول المؤمنين بها، مبينا حقائق الإسلام، داحضاً الأباطيل العقدية التي تعشش في عقول أهل الجاهلية.

عندما رأت قريش أن أثر هذه الدعوة لم يكن محدوداً كما كان الحال مع من دعا إلى نبذ الأصنام قبل محمد ﷺ، أمثال زيد بن نفيل وورقة وابن صيفي، قامت في وجهه محمد ﷺ ومن تبعه، وأخذت تمارس شتى أساليب ووسائل الترغيب والترهيب، لصددهم عن هذا الطريق الذي هدد مصالحهم، التي يجنونها من وجود الحرم في أرضهم، وحط من تكبرهم على غيرهم، ووقف أمام شهواتهم في السيطرة واقتراف السيئات والموبقات. وقد كان أكثر هؤلاء من أصحاب النفوذ والمصالح.

(٣٢٠) انظر الدكتور البوطي: فقه السيرة، ص ٨١ - ٨٢.

(٣٢١) الحجر: ٩٤.

ومن أبرز تلك الأساليب:

الأسلوب الاول: كان أول أسلوب لجؤوا اليه هو محاولة التأثير على عمه أبي طالب حتى يكفه عن الدعوة أو تحريده من جواره - أي حمايته - فقد ذهبت مجموعة من أشrafهم إلى عمه أبي طالب وقالوا له إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا، وإما أن نخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، فقال لهم أبوطالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه^(٣٢٢).

الأسلوب الثاني: التهديد بمنازلة الرسول ﷺ وعمه أبي طالب. ولما مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو اليه، غضبت منه قريش وعادوه وحقدوا عليه وأكثروا من ذكره وحض بعضهم بعضاً ومشوا إلى عمه مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فإنا وإننا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وأقسموا بأنهم لن يصبروا على أفعاله حتى يكفه عنهم أو ينازلوه وإياه في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. عند هذا عظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه^(٣٢٣). ولذا أبلغ الرسول ﷺ بالذي قالوه، وطلب منه أن يقي عليه وعلى نفسه ولا يحمل من الأمر مالا يطيق^(٣٢٤).

وفي رواية لابن إسحاق^(٣٢٥) أن الرسول ﷺ ظن أن عمه قد ضعف عن نصرته ولذا قال له: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته»

(٣٢٢) ابن هشام (٣٢٨/١) من رواية ابن إسحاق، بدون إسناد.
(٣٢٣) المصدر والمكان نفسيهما، وسيرة ابن إسحاق، ص ١٤٥. وإسناد ابن إسحاق في المصدرين معلق لذلك فهو ضعيف.

(٣٢٤) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٢٩/١) وسيرة ابن إسحاق، ص ١٥٤ بالإسناد نفسه، وهو منقطع كما قلنا فهو ضعيف.

(٣٢٥) ابن هشام (٣٢٩/١ - ٣٠) وسيرة ابن إسحاق، ص ١٥٤. وإسناد ابن إسحاق هنا معضل فهو ضعيف.

ثم بكى رسول الله ﷺ وقام من عند عمه، فلما ولى ناداه عمه، فقال: «أقبل يا ابن أخي». فلما أقبل قال له: «أذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا». وفي رواية أخرى لابن إسحاق^(٣٢٦) من حديث عقيل بن أبي طالب أن أباطالب أرسل عقيلاً إلى النبي ﷺ، فلما حضر قال له عمه: «إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم، فانت عنه أذاهم، فخلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: أترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم، قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة، فقال أبوطالب: والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا». وهذه الرواية هي الصحيحة.

ومن أبرز الحكم والعبر في هذين الأسلوبين، أن هذا الموقف القوي للرسول ﷺ من قومه ينسجم مع ما أمر به من البلاغ، أما موقف أبي طالب فعجيب حقاً، ولم يجد ابن كثير^(٣٢٧) تفسيراً له سوى قوله: «إن الله تعالى قد امتحن قلبه بحب محمد ﷺ حبا طبعيا لا شرعيا. وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، وما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبوطالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمون. ولتجرؤوا عليه، ولدوا أيديهم وألستهم بالسوء إليه، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وقد قسم خلقه أنواعا وأجناسا، فهذان العمان كافران: أبوطالب وأبو لهب. ولكن هذا يكون يوم القيامة في ضحضاح من نار^(٣٢٨)، وذلك في الدرك

(٣٢٦) سيرة ابن إسحاق، ص ١٥٥ بإسناد حسن. وقال الهيثمي في المجمع (١٥/٦): رواه أبو يعلى بإختصار يسير من أوله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح. وقال الألباني في حاشية فقه السيرة للقرطبي، ص ١١٤ - ١١٥، بعد ذكره قول الهيثمي، قال: إن هذه القصة قد أخرجها مختصرة الطبراني في الأوسط والكبير من حديث عقيل بن أبي طالب... ورواه الذهبي في السيرة ص ١٤٨ - ١٤٩، بنفس سند ابن إسحاق، ثم قال: رواه البخاري في التاريخ عن أبي كريب عن يونس. وعند البيهقي في الدلائل (١٨٦/٢) من حديث عقيل، وقال البيهقي: رواه البخاري في التاريخ عن محمد بن العلاء، عن يونس (٥١/١/٤).

(٣٢٧) البداية والنهاية (٤٥/٣ - ٤٦).

(٣٢٨) إشارة إلى الحديث المتفق عليه عن العباس أنه قال: «يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء»، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم هو في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار». انظر: البخاري/الفتح (٤٠/١٥) ح/٣٨٨٣، مسلم (١٩٤/١ - ١٩٥/١) ح/٢٠٩. والتخفيف عنه بسببه. والضحضاح: مارق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكمين.

الأسفل من النار، وأنزل فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر وتقرأ في المواعظ والخطب تتضمن أنه سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الخطب». (٣٢٩).

وظل أبوطالب طوال حياته ينهى الناس عن إيذاء الرسول ﷺ ومحبيه ويتأى عن الدخول في الإسلام. وقد روي أن الآية ﴿وهم يبهنون عنه ويبنون عنه﴾ (٣٣٠) قد نزلت فيه (٣٣١).

الأسلوب الثالث: الاتهامات الباطلة لصعد الناس عنه.

ومن تلك الاتهامات:

(أ) اتهموه بالجنون. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿وقالوا يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكرُ إِنَّكَ لمجنون﴾ (٣٣٢). وقد أجابهم الله في آية القلم ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ (القلم/ ٢). وحكى عنهم في قوله ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾ (٣٣٣).

(ب) اتهموه بالسحر. وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ (٣٣٤)، ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ (٣٣٥).

وقد تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن. فعندما أوشك دخول موسم الحج جمع فريقه من عتاة المعاندين، فقال لهم: «يامعشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد

(٣٢٩) سبق الإشارة إلى أن سورة «السد» قد نزلت في أبي لهب، وقد روى ذلك الشيخان وغيرهما.

(٣٣٠) الأنعام: ٢٦.

(٣٣١) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢٧/٣) إن في سبب نزولها قولان: أحدهما: إن أبا طالب كان يهين المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعد عما جاء به، وقال: «رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول عمرو بن دينار وعطاء بن دينار والقاسم بن مخيمرة».

والثاني: إن كفار مكة كانوا يبهنون الناس عن اتباع النبي ﷺ ويتباعدون بأنفسهم عنه وقال: «رواه الوالبي عن ابن عباس وبه قال ابن الحنفية والضحاك والسدي».

قلت: وقد روى ابن إسحاق في السيرة، ص ٢٣٨، بإسناده إلى ابن عباس ولكنه أجهل أحد رواته أنها نزلت في أبي طالب... وانظر تفسير الطبري بتحقيق شاکر (٣١١/١١ - ٣١٥) في تفسير هذه الآية.

(٣٣٢) الحجر: ٦. (٣٣٣) القلم: ٥٩. (٣٣٤) ص: ٤. (٣٣٥) الفرقان: ٨.

وتكرر مثل هذه التهم على السنة أولياء الشيطان تجاه موسى في أكثر من سورة. انظر في هذا: سورة القصص: آية ٣٦، والنمل: آية ١٣. وتكرر على السنة الطواغيت عموماً للرسل. انظر الذاريات: ٥٢.

سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضهم بعضا...» وعلى الرغم من استبعادهم انه كاهن أو شاعر أو ساحر إلا انهم اتفقوا على أن يقولوا للناس إنه ساحر، لأنه يفرق بين الأقارب، فأنزل الله في الوليد ﴿ذري ومن خلقت وحيدا...﴾ (٣٣٦) ثم أخذوا يتلقون الناس يحذرونهم من أمر محمد. وشاء الله أن تصدر العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها (٣٣٧).

- وكان مثل هذه المواقف سببا في إسلام الناس في المواسم. وما روي في قصة إسلام طفيل بن عمرو الدوسي دليل على ذلك (٣٣٨).
- ج) واتهموه بالكذب، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾، ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾ (٣٣٩).
- د) واتهموه بالإتيان بالأساطير. قال تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ (٣٤٠).
- هـ) وقالوا إن القرآن ليس من عند الله وإنما هو من عند البشر ﴿ولقد نعلم

(٣٣٦) المدثر: ١١. وانظر الآيات التي بعد هذه الآية في صفات الوليد.

(٣٣٧) ابن هشام (٣٣٤/٢ - ٣٣٧) من رواية ابن إسحاق، بدون إسناده. ورواه الطبري في تفسيره (١٥٧/١٤) من طريق ابن إسحاق، موقوفا عن ابن عباس، وقد صرح عنده بالسماع، ورواه أبو نعيم في الدلائل (٢٣٢/١) مرسلًا في أول الخبر وموصولا في نهايته، وهو من طريق ابن إسحاق عن ابن جبير عن ابن عباس. قال محقق سيرة ابن هشام (٣٣٦/١): «ورواه عبد ابن حيد وابن المنذر وابن أبي حاتم مختصرا. انظر: الدر المنثور (٢٨٢/٦) ورواه الواحدي في أسباب النزول من طريق ابن إسحاق، ص ٢٩٥، مختصرا. وفي سنده إسحاق بن إبراهيم الدبري وفي كلام، انظره في الميزان (١٨١/١)».

(٣٣٨) انظرها في دلائل أبي نعيم (٢٣٨/١ - ٢٤٠)، قال المحققان: «أخرجه البيهقي عن ابن إسحاق معلقا، وهو في السيرة (٣٨٢/١) - بدون إسناده أيضا. قال في الخصائص (٣٣٧/١): أخرجه أبو نعيم من طريق الواقدي... ووصله ابن إسحاق في بعض نسخ المغازي من طريق صالح ابن كيسان عن الطفيل بن عمرو وهو في سائر النسخ بغير إسناده...».

(٣٣٩) الفرقان: ٤. انظر تفسيرها في مثل: زاد المسير (٧٢/٦ - ٧٣). قال مجاهد في قوله وأعانه... آخرون: يعنون اليهود. وقال مقاتل: أشاروا إلى عداس مولى حبيب بن عيسى ويسان غلام عامر ابن الحضرمي وجبر مولى لعامر أيضا، وثلاثتهم من أهل الكتاب.

(٣٤٠) الفرقان: ٥. قال المقسرون إن الذي قال هذا هو النضر بن الحارث. انظر: زاد المسير (٦٣/٦).

أنهم يقولون إنها يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين» (٣٤١).

و) واتهموا المؤمنين بالضلالة... ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ (٣٤٢).

الأسلوب الرابع: السخرية والاستهزاء والضحك والغمز واللمز والتعالي على المؤمنين:

يقول الله تعالى عن سخريتهم من الذين آمنوا: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٣٤٣) وروى البخاري (٣٤٤) أن امرأة قالت للرسول ﷺ ساخرة مستهزئة: «إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاثاً!» فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضَّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَاودَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

وروى البخاري (٣٤٥) أن أبا جهل قال مستهزئاً: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم». فنزلت: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ، وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (٣٤٦).

وذكر ابن إسحاق (٣٤٧) حديث الإراشي الذي ابتاع منه أبو جهل الإبل ومطله بأثمانها ودلالة قريش إياه على رسول الله ﷺ لينصفه من أبي جهل

(٣٤١) النحل: ١٠٣. وفيمن أرادوا بهذا البشر تسعة أقوال... انظر: زاد المسير (٤/٤٩٢ - ٩٣).

(٣٤٢) المطففين: ٣٢.

(٣٤٣) الأنعام: ٥٣.

(٣٤٤) الفتح (١٨/٣٦٤ ح/٤٩٥٠). وقد وردت أقوال أخرى في سبب نزول هذه الآيات، منها المقبول ومنها المردود، انظر ابن حجر: الفتح (١٨/٣٣٦ - ٦٤).

(٣٤٥) الفتح (١٧/١٨٥ ح/٤٦٤٨).

(٣٤٦) الأنفال: ٣٢ - ٣٤.

(٣٤٧) السير والمغازي، ص ص ١٩٥ - ١٩٦، بإسناد منقطع، وابن هشام (٢/٣٣ - ٣٤) بسند ابن إسحاق في السيرة فهو ضعيف والهامة: الرأس، والقصة: أصل العنق.

استهزاء لما يعلمون من العداوة بينها. وعندما جاء الإراشي إلى رسول ﷺ شاكياً، مشى معه إلى أبي جهل وأخذ له بحقه. وعندما سألت قريش عن صنيعه هذا، قال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي وسمعت صوته ملئت رعباً ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قَصْرَتِهِ ولا أنيابه لِفَحْلٍ قَطُّ، والله لو أبيت لأكلني.

وقال الله تعالى عن ضحكهم وغمزهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٣٤٨).

وثبت من طرق صحيحة أن أشراف قريش اجتمعوا يوماً في الحجر يتذكرون أمر الرسول ﷺ وما جاء به. وبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ليطوف بالبيت. فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ثلاث مرات، فقال لهم: «يامعشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح...» وقد فزعوا من هذا الموقف (٣٤٩).

ومن منطلق الاستعلاء والسخرية، قال المشركون للنبي ﷺ: «لا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء - يعنون صهيياً وبلالاً وخباباً - فاطردهم عنك». فهم النبي ﷺ بذلك طمعاً في إسلامهم وإسلام قومهم، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٥٠).

ومر الرسول ﷺ يوماً بجعاة من زعماء قريش فهمزوه واستهزؤوا به، فغاضه ذلك، فأنزل الله (عز وجل) ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرَسُولِكَ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ

(٣٤٨) سورة المطففين: ٢٩ - ٣١.

(٣٤٩) رواه أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢٠/٢١٩ - ٢٢٠) وطبعة أحمد شاکر (١١/٢٢٧/ح ٧٠٣٦) وصحح شاکر إسناده، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٤/٢٩٧) وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١/٣٥٨).

(٣٥٠) الأنعام: ٥٢. وانظر سبب نزولها في تفسير الطبري (١١/٣٧٤ - ٣٨٨) وقد جمع الطبري الآثار الواردة في ذلك وخرجها وحققها الشيخ شاکر. وما أثبتنا معناه هنا في المتن هو مضمون الأثر رقم (١٣٢٥٨) بإسناد صحيح. وقد روى مسلم والنسائي بعضه من حديث سعد بن أبي وقاص. (وانظر تفسير الآية عند ابن كثير والقرطبي وغيرهما).

بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزئون» (٣٥١).

ومن كبار المستهزئين والساحرين: الأسود بن عبدالمطلب بن أسد (٣٥٢)، الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري، الوليد بن المغيرة المخزومي، العاص بن وائل السهمي (٣٥٣)، الحارث بن الطلائعة الخزاعي (٣٥٤). وروى أبو نعيم (٣٥٥) أن الله تعالى أنزل فيهم: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ (٣٥٦). فقد روي أن جبريل (عليه السلام) رمى في وجه الأسود بن عبدالمطلب ورقة خضراء فعمي. ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات من ذلك. ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين فانتفض به فقتله. ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به حماره على نبات خفيف فدخلت في أخمص رجله منها شوكة فقتلته. ومر به الحارث بن الطلائعة فأشار إلى رأسه فتحرك القيح فيه فقتله (٣٥٧). ومن كبار المستهزئين الساحرين - أيضا - : أبوجهل (٣٥٨) وأمّية بن خلف (٣٥٩).

(٣٥١) الأنعام: ١٠. وذكر ذلك ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (٤٢/٢). ولم يذكر المفرون سببا معينا لهذه الآية. ومن ذكره منهم رواء من طريق ابن إسحاق، مثل ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/٣).

(٣٥٢) قاله ابن حجر في الفتح (٣٥٩/١٨) وأبو نعيم في الدلائل (٢٦٨/١)، وانظر ابن هشام (٣٦٠/١) ورواية أبي نعيم من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل.

(٣٥٣) ابن هشام (٤٣٨/١).

(٣٥٤) هؤلاء الخمسة ذكرهم أبو نعيم في الدلائل (٢٦٨/١) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل ومن طريق آخر (٢٧٠/١ ح ٢٠٣) بسنده إلى ابن عباس وفيه الكلبي - مترك.

(٣٥٥) دلائل النبوة (٢٦٨/١) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل، وهي من مرويات إبراهيم بن سعد، أحد تلاميذ ابن إسحاق.

(٣٥٦) الحجر: ٩٥. السير والمغازي، ص ١٩٥، بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٣/٢) - ٣٤ بإسناد ابن إسحاق في السير والمغازي.

(٣٥٧) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢٦٨/١ - ٢٦٩) وقال المحققان: «أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٤١٠/١) ورجاله ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالسباع ولكنه مرسل. وقال السيوطي في

المختصائص (٣٦٥/١): أخرجه البيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس فذكر نحو حديث الباب، ثم قال، وله طرق عن ابن عباس وغيره أوردتها في التفسير المسند. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد

(٤٧/٧) بعد أن أخرجه من حديث ابن عباس في سبب نزول قوله تعالى ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ بمعنى قريب من حديث الباب: أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عبدالحكيم النيسابوري، ولم أعرفه وبقيته رجاله ثقات». وذكر ابن حجر في الفتح (٣/١٨) كيفية

هلاك العاص.

(٣٥٨) ابن هشام (٤٤٧/١).

(٣٥٩) ابن هشام (٤٣٧/١).

والنضر بن الحارث^(٣٦٠) والاحنس بن شريق^(٣٦١) وأبي بن خلف^(٣٦٢).

الأسلوب الخامس: التشويش:

كان المشركون يتواصون بينهم بافتعال ضجة عالية وصياح منكر عندما يقرأ القرآن، حتى لا يسمع فيهم فيترك أثرا في عقل نقي وقلب طيب. وفي ذلك قال المولى (عز وجل): ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾^(٣٦٣).

الأسلوب السادس: طلبهم أن تكون للرسول ﷺ معجزات أو مزايا ليست عند البشر العاديين:

من ذلك قولهم ﴿... ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا. أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾^(٣٦٤) وقولهم: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا: انت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ ورد عليه الله تعالى في الآية نفسها ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾^(٣٦٥).

وقولهم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبلا. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه﴾. ولذا قال لهم الرسول ﷺ كما جاء في الآية نفسها ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾^(٣٦٦).

(٣٦٠) ابن هشام (٤٣٩/١).

(٣٦١) ابن هشام (٤٤٣/١).

(٣٦٢) ابن هشام (٤٤٥/١).

(٣٦٣) فصلت: ٢٦، انظر زاد المسير (٢٥٢/٧).

(٣٦٤) الفرقان: ٧ - ٨ وقال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك، ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ الأنعام: ٨.

(٣٦٥) يونس: ١٥.

(٣٦٦) الإسراء: ٩٠ - ٩٤.

وسألوه أن يسير لهم جبال مكة ويقطع لهم الأرض ليزرعوها ويبعث لهم من مضى من الآباء الموتى أمثال قصي ليسألوه عن صدق محمد ورد الله عليهم في قوله: ﴿ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم به الموتى بل لله الأمر جميعاً﴾ (٣١٧)، أي لا أصنع من ذلك إلا ما شئت. لقد كان طلبهم على وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد. فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا. قال تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها، قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون... ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (٣١٨). وقال تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون...﴾ (٣١٩).

وروى أحمد (٣٧٠) من حديث ابن عباس، قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا - أي يزرعوا مكانها - فقيل له إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم. قال: «لا، بل استأني بهم»، فأنزل الله تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن

(٣١٧) الرعد: ٣١. وانظر سبب نزولها عند ابن كثير: التفسير (٣٨٢/٤)، والطبري (٤٤٦/١٦) - ٤٥٠/ شامى) متصلاً إلى ابن عباس ومرسلاً إلى مجاهد والضحاك، وابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٣٨١/١). وانظر الشامي: سبل الهدى (٤٥٦/٢ - ٥٧) من خير رواه أبو يعلى وأبو نعيم عن الزبير بن العوام، كما ذكر وانظره في (٤٥٢/٢) حول هذا الخبر من رواية ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي - كما قال.

(٣١٨) الأنعام: ١٠٩ - ١١١. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٥٥/٣). (٣١٩) الإسراء: ٥٩ - انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٥٥/٣). انظر: الفتح الرباني (٢٢٢/٢٠ - ٢٢٣) رواه من طريقين، نقلها عنه ابن كثير في البداية (٥٧/٣) وقال: وهذان إسنادان جيدان. وقد جاء مرسلان عن جماعة من التابعين، منهم: سعيد ابن جبير وقادة وابن جريح وغير واحد. وقال: «وهكذا رواه النسائي من حديث جرير». وقال الساعتي: الفتح الرباني (٢٢٣/٢٠): «أورده الهيثمي». وقال: «رجال الروايتين رجال الصحيح إلا أن في أحد طرقه عمران بن الحكم (يعني طريق حديث الباب) وهو وهم، وفي بعضها عمران أبو الحكم، وهو ابن الحارث وهو الصحيح، ورواه البزار بنحوه». ثم قال الساعتي: «وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره وعزاه للإمام أحمد وابن مردويه والحاكم في مستدركه.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. وذكر الشامي في سبله (٤٥٨/٢) أن من رواه أيضاً الضياء في صحيحه عن ابن عباس.

كذب بها الأولون. وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها» (٣٧١).
وروي أنهم طلبوا منه أن يجعل صخرة معينة ذهباً لينحتوا منها وتغنيهم
عن رحلتي الشتاء والصيف (٣٧٢).

الأسلوب السابع: المساومات:

لقد حاولت قريش من خلال هذا الأسلوب أن يلتقي الإسلام والجاهلية
في منتصف الطريق، وذلك بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك
النبي ﷺ بعض ما هو عليه. قال تعالى ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ (٣٧٣).
وعندما قالوا له أعبد آلهتنا يوماً ونعبد إلهك يوماً، أنزل الله تعالى سورة
الكاغرون: ﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما
أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي
دين﴾ وحسم هذه المساومة الهزلية.

لقد ساوموا عمه فيه، حين اقترحوا على عمه بأن يعطوه عمارة بن الوليد بن
المغيرة بدلاً عن محمد ﷺ فيأخذوه ويقتلوه (٣٧٤).

وعندما اشتكى أبوطالب وبلغ قريش ثقله قال بعضها لبعض: إن حمزة
وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها. فانطلقوا بنا إلى
أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا
أمرنا. وعندما جاء وفدهم إلى أبي طالب، قال لمحمد ﷺ: «يا ابن أخي هؤلاء
أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك. فقال رسول
الله ﷺ: نعم كلمة واحدة يعطونها يملكون بها العرب وتدين لهم بها
العجم. وفي رواية: تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية.
ففرزوا لكلمته ولقوله. فقال القوم: كلمة واحدة؟ قال: نعم. فقال

(٣٧١) الإسراء: ٥٩.
(٣٧٢) من رواية أبي يعلى وأبي نعيم عن الزبير بن العوام. كذا قال الشامي في السبل (٤٥٧/٢)،
وبقية الخبر هو في معنى الخبر السابق.

(٣٧٣) القلم: ٩.

(٣٧٤) ابن هشام (٣٣٠/١) من رواية ابن إسحاق بدون إسناد.

أبوجهل: نعم وأبيك عشر كلمات: قال: تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه. فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: يا محمد تريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا؟ إن أمرك لعجب.

ثم قال بعضهم لبعض: ماهذا الرجل بمعطيك شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دينكم حتى يحكم الله بينكم وبينه. ثم تفرقوا، فأنزل الله فيهم أول سورة «ص»... (٣٧٥).

الأسلوب الثامن: سب القرآن ومنزله ومن جاء به:

روى البخاري (٣٧٦) ومسلم (٣٧٧) والترمذي (٣٧٨) وغيرهم في قوله تعالى ﴿ولا تحجر بصلاتك ولا تحافت بها﴾ أن ابن عباس قال: «نزلت ورسول الله ﷺ مخفف بمكة. كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبى محمد ﷺ: ﴿ولا تحجر بصلاتك﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن: ﴿ولا تحافت بها﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾.»

وروى ابن إسحاق (٣٧٩) أن رسول الله ﷺ كان إذا جهر بالقرآن وهو بصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من

(٣٧٥) رواه أحمد: المسند (٣/٣١٤ - ٣١٥) تحقيق شاکر) وقال شاکر: «إسناده صحيح»، والترمذي: السنن (٨/٣٦٩ ح ٣٢٣١).

وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والحاكم: المستدرک (٢/٤٣٢) وصححه وواقفه الذهبي، والطبري: التفسير (٢٣/١٢٥)، والواحدي: أسباب النزول، ص ٢٠٩، والسيوطي: الدر المنثور (٥/٢٩٥) وزاد تسبیة لابن أبي شیبة وعبد بن حمید والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. ورواه غير هؤلاء من أهل الحديث. ومن رواه من أهل السير: ابن إسحاق بإسناد متقطع كما في سيرة ابن هشام (٢/٦٨٠٦٧) والسير والمغازي، ص ٢٣٦، معلقا، ويشهد له ما جاء بأسانيد صحيحة عند أهل الحديث كما ذكرت.

(٣٧٦) الفتح (١٧/٢٩٩ - ٣٠٠ ح ٤٧٢٢). والحديث الذي يليه (٤٧٢٣) فيه تفسير عائشة (رضي الله عنها) بأن الآية نزلت في الدعاء، قال ابن حجر: «ورجح النووي وغيره قول ابن عباس كما رجحه الطبري، لكن يحتمل الجمع بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة. وقد روى ابن مردويه من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء فنزلت. وجاء عند أهل التفسير في ذلك أقوال أخر...» - الفتح (١٧/٣٠٠).

(٣٧٧) مسلم (١/٣٢٩ ح ١٤٥).
(٣٧٨) صحيح سنن الترمذي (٣/٧٠ ح ٣٣٦٦ - ٣٣٦٧)، قال الألباني: «صحيح: متفق عليه».
(٣٧٩) السير والمغازي، ص ٢٠٦ بإسناد ضعيف لضعف داود بن الحصين في روايته عن عكرمة - انظر الكامل (٣/٩٥٩) والتهذيب (٣/١٨١)، التقريب، ص ١٩٩.

رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلي يسترق السمع دونهم فَرَقًا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم ولم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذي يستمع أنهم لم يسمعوا شيئاً من قراءته وسمع من دونهم التفت إليه يستمع، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ فيتفرقوا عنك، ﴿ولا تخافت بها﴾ فلا يسمع من أراد أن يستمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فيقتنع به ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ (٣٨٠).

وعندما كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، أخذ المشركون يسبون الله عدواً بغير علم، فأنزل الله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ (٣٨١) (٣٨٢).

وهذا النهي عن سب آفة المشركين وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين (٣٨٣). ومن هذا القبيل - وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها - ماجاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه». قالوا يارسول الله، وهل، يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم يسب أباً الرجل فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه» (٣٨٤). وقوله ﷺ لعائشة (رضي الله عنها): «لولا حدائة عهد قومك بالكفر، لنقضت الكعبة، ولجعلتها على

(٣٨٠) الإسراء: ١١٠.

(٣٨١) الأنعام: ١٠٨.

(٣٨٢) أورد الطبري في التفسير (٣٣/١٢ - ٣٥/٣٥ تحقيق شاكر) عدة آثار في سب نزول هذه الآية، منها أثر مرفوع إلى ابن عباس بإسناده ومنها أثران مرسلان من حديث قتادة من طريقين مختلفين، وأثر مرسل من حديث السدي، فالأثر المرفوع إلى ابن عباس منقطع لأنه من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فالرواية هنا إذن ضعيفة. أما مراسيل قتادة فهي ضعيفة، لأنه لم يسمع من أصحاب غير أنس. وأثر السدي ضعيف لأنه متكلم فيه مع أنه لا يروي إلا عن صفار الصحابة كإبن عباس وأنس، فهو من صفار التابعين. والخلاصة إن هذه الآثار كلها ضعيفة ولا تنجز.

(٣٨٣) ابن كثير: التفسير (٣/٣٠٦).

(٣٨٤) مسلم (٩٢/١ ح/٩٠)، أحمد: المسند (١٤٦/٢)، ١٩٥، ٢١٤، ٢١٦ من حديث عبد الله ابن عمرو. وانظر ابن كثير: التفسير (٣/٣٠٨).

أساس إبراهيم...» (٣٨٥). وكان هذا الحديث سنداً لابن الزبير في بناء الكعبة على قواعد إبراهيم.

الأسلوب التاسع: الاتصال باليهود للإتيان منهم بأسئلة تعجيزية للرسول ﷺ: أوفدت قريش نفراً منهم إلى المدينة، على رأسهم: النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ليأتوا من اليهود بأسئلة تعجيزية فيطرحونها على الرسول ﷺ. فقالت لهم يهود: سلوه عن أهل الكهف وعن ذي القرنين والروح. ولكن الله أبطل كيدهم عندما أنزل الله قرآناً في شأن الإجابة عن أسئلتهم (٣٨٦).

الأسلوب العاشر: الترغيب:

أرادت قريش أن تجرب أسلوب الترغيب، فأرسلت عتبة بن ربيعة، الذي قال للرسول ﷺ: «يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد آتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها: إن كنت تريد هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا. وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك! وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرا».

فلما فرغ من قوله تلا رسول الله ﷺ صدر صورة «فصلت» إلى قوله

(٣٨٥) رواه البخاري ومسلم وغيرهما. انظر: البخاري، كتاب العلم، ومسلم - واللفظ هنا له - (٩٦٨/٢ - ٩٧٣/ح ١٣٣٣).

(٣٨٦) روى هذه القصة ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٣٧١/١ - ٣٧٢)، والترمذي صحيح الترمذي (٦٩/٣ - ٣٣٦١) من حديث ابن عباس: وقال الألباني: «صحيح الإسناد» وفيها السؤال عن الروح فقط.

ورواه أحمد في مسنده. انظر: الفتح الرباني (١٩٦/١٨ - ١٩٧) بنفس سند ومثل الترمذي. ورواه البيهقي في الدلائل (٢٦٩/٢ - ٢٧٠) من حديث ابن إسحاق بتامه، بإسناد منقطع، لأن ابن إسحاق أبهم اسم من حدثه، وبقي رجاله ثقات. ورواه غير هؤلاء. وروى الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن ابن مسعود حديثاً يفيد أن اليهود سألو الرسول ﷺ عن الروح وهو بالمدينة، وفي ذلك نزلت الآية «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» - الإسراء: ٥٨. وجمع بين حديث ابن عباس وابن مسعود بتعدد النزول.

تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ﴾ (٣٨٧).
وعندها وضع عتبة يده على جنبه وقام كأن الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى
قريش مخبرا إياهم بأن ما سمع ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة، واقترح
على قريش أن تدع محمدا وشأنه (٣٨٨). وفي رواية البيهقي وابن أبي شيبة وابن
هيمد من حديث جابر، زادوا: «وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة نختار
من أي أبيات قريش شئت».

وفي رواية إن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن،
فكانه رقى له، فبلغ ذلك أباجهل، فأتاه، فقال: «ياعم إن قومك يرون
أن يجمعوا لك مالا.» قال: «لم؟» قال: «ليعطوك، فإنك أتيت محمدا
لتعرض لما قبله...» ثم قال عن القرآن الذي سمعه من محمد ﷺ: «ووالله
إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق
أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته...» (٣٨٩).

الأسلوب الحادي عشر: التهيب:

كان أبوجهل، إذا سمع عن رجل قد أسلم وله شرف ومنعة، أنبه وأخزاه،
وقال له: «تركت دين أبيك وهو خير منك! لنسفهن حلمك ولنضعفن رأيك
ولنضعن شرفك»، وإن كان تاجرا قال له: «لنكسدن تجارتك، ولنهلكن
مالك»، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به (٣٩٠).

(٣٨٧) فصلت: ١٣.

(٣٨٨) روى هذا الخبر ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٦٢/١ - ٦٣)، وعبد بن حميد -
انظر: المنتخب من مسند عبد بن حميد بتحقيق السامرائي والصعدي، ص ٣٢٧/ح ١١٢٣،
إسناد متصل من حديث جابر - رواية ابن أبي شيبة - وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين
وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات، ولذلك حسن الألباني إسناده - انظر: فقه السيرة
للقرظي، ص ١١٣ - الحاشية. وقال الألباني عن إسناد ابن إسحاق إنه حسن مرسل... ورواه
ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٥/١٤ - ٢٩٧) من غير طريق ابن إسحاق، وفيه الأجلح...
والبيهقي في الدلائل (٢٠٢/٢ - ٢٠٣) بمثل رواية ابن أبي شيبة، وأبو نعيم في الدلائل
(٢٣٤/١). وانظر مجمع الزوائد للهيتمي (٢٠/٦). * في الأماكن المذكورة هنا.
(٣٨٩) رواه الحاكم في المستدرک موصولا (٥٠٦/٢ - ٥٠٧) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، على
شرط البخاري ولم يخرجاه» والبيهقي في الدلائل (١٩٨/٢ - ١٩٩) من هذا الطريق، ومن طرق
أخرى مرسلًا، ثم قال بعد إيراد جميع الطرق: «وكل ذلك يؤكد بعضه بعضا».
(٣٩٠) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٣٩٥/١).

الأسلوب الثاني عشر أ - الاعتداء الجسدي :

عندما لم تثمر كل الأساليب السابقة في صد الرسول ﷺ وأصحابه عن دينهم، لجأت قریش إلى أسلوب الاعتداء الجسدي والتصفية الجسدية. لقد استفحل إيذاؤهم للرسول ﷺ في الفترة العلنية لغضبهم منه حين أضحى يظهر شعائر دينه مثل الصلاة عند الكعبة. فقد روى مسلم^(٣٩١) عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال، قال أبو جهل: «هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب. قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي - زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخنذاً من نار وهولاً وأجنحة». فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضواً». قال: فأنزل الله (عز وجل) ﴿... كلاً إن الإنسان ليطغى... أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى... أرأيت إن كذب وتولى... كلاً لئن لم ينته لنسفعا بالناصية... كلاً لا تطعه واسجد واقترب﴾^(٣٩٢). وروى البخاري^(٣٩٣) بسنده إلى عروة بن الزبير، قال: «سألت عبد الله ابن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة ابن أبي معيط، جاء إلى النبي ﷺ، وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ﷺ، فقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟».

(٣٩١) (٢١٤٥/٤ - ٢١٥٥ ح/٢٧٩٧)، وانظره مختصراً عند البخاري في الفتح (١٨/٣٨٠ ح/٤٩٥٨).

(٣٩٢) الملق: ٦ - ١٩.

(٣٩٣) الفتح (١٤/١٧٩ ح/٣٦٧٨) و (٩/١٥ - ١١ ح/٣٨٥٦).
والخبر عند ابن إسحاق بإسناد حسن، انظر ابن هشام (١/٣٥٨ - ٥٩)، وهو عنده في سيرته بنفس الإسناد، ص ٢٢٩ - ٣٠، من رواية يونس بن بكير.

وروى البخاري (٣٩٤) ومسلم (٣٩٥) من حديث ابن مسعود، قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبوجهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبوجهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد. فانبعث أشقى القوم (٣٩٦) فأخذه. فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر. لو كان لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جوهرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم. فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم.. فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر». قال ابن حجر (٣٩٧): «وقد أخرج أبويعلى والبخاري بإسناد صحيح عن أنس، قال: «لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه، فقام أبو بكر فجعل ينادي: ويلكم، أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فتركوه وأقبلوا على أبي بكر...».

وتسلط عليه عتية بن أبي هب بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه ﷺ إلا أن البزاق لم يقع عليه، وحيث دعا عليه النبي ﷺ، وقال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك». واستجيب دعاؤه، فذبحه السبع وهو بالزرقاء بالشام (٣٩٨) وحاولت أم جميل - زوجة أبي هب - أن تعتدي عليه بحجر فحماه الله منها - كما روى البيهقي في الدلائل (١٩٦/٢) بإسناد حسن لغيره لأنه تقوى بآخِر. وكانت تحمل الخطب لتضعه في طريقه - كما حكاه القرآن الكريم [المسد : ٤] .

(٣٩٤) الفتح ١٢/٦٦/ح ٢٩٣٤.
(٣٩٥) (٣/١٤١٨ - ١٤١٩/ح ١٧٩٤) ورواه غيره، مثل: أحمد: المسند (٥/٢٧٢/ح ٣٧٢٢) وضح شاعر إسناداً؛ وابن إسحاق، السيرة، ص ٢١١، وعند ابن هشام (٢/٦٥ - ٦٦) بدون إسناد، وبمعنى قريب من رواية الشيخين وأحمد.
(٣٩٦) هو عقبه بن أبي معيط كما صرح به في الرواية الثانية عند مسلم (٣/١٤١٩/ح ١٧٩٤).
(٣٩٧) الفتح ١١/١٥/ح ٣٨٥٦.
(٣٩٨) انظر البيهقي: الدلائل (٢/٣٣٨) وقال عن إسنادة: «كذا قال عباس بن الفضل، وليس بالقوي».

وروى أحمد^(٣٩٩) أن الملا من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف: لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله... وأخبرته ابنته فاطمة بالذي قالوا، فجاءهم وحصبهم بقبضة من تراب، من أصابته منهم قتل يوم بدر كافراً.

وروى الإمام أحمد^(٤٠٠) من حديث أنس، أن جبريل (عليه السلام) جاء ذات يوم إلى النبي ﷺ وهو جالس حزينا قد خضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة، فقال له مآلك؟ قال: «فعل بي هؤلاء وفعلوا، فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ قال: نعم، فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع بتلك الشجرة، فدعاها، فجاءت حتى قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع، فأمرها فرجعت إلى مكانها. فقال رسول الله ﷺ حسبي».

يرى ابن كثير^(٤٠١) أن غالب ما وقع للرسول ﷺ من اعتداء جسدي وما يشبه ذلك، كان بعد وفاة عمه أبي طالب.

ونال أبا بكر (رضي الله عنه) نصيبه من الأذى، حتى فكر في الهجرة إلى الحبشة فرارا بدينه^(٤٠٢).

وذات يوم قام أبو بكر خطيباً في المسجد الحرام، فضربه المشركون ضرباً شديداً، وممن ضربه عتبة بن ربيعة حيث جعل يضربه على وجهه بنعلين مخصوصتين حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاء بنو تميم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملوه في ثوب إلى منزله، ولا يشكون في موته،

(٣٩٩) المسند (٤/٢٦٩ ح/٢٧٢٢)، قال شاكر: «إسناده صحيح»، وهو في مجمع الزوائد (٨/٢٢٨)، وقال: «رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح»، وأقول: «بل كلاهما». والمسند (٥/١٦٣) بإسناد آخر إلى ابن عباس وقد صححه شاكر. وسندا هذه القصة في مرتبة الحسن، وقد يصلان إلى درجة الصحيح بالتعدد وكون رجالهما رجال الصحيح، كما قال أبو زر في كتابه: مرويات غزوة بدر، ص ٢٢٣.

(٤٠٠) الساعاتي: الفتح الرباني (٢٠/٢٢٠)، وقال الساعاتي: «لم أقف عليه لغير الإمام أحمد ورجاله من رجال الصحيحين».

(٤٠١) البداية والنهاية (٣/١٤٨).

(٤٠٢) انظر الحديث بتمامه من رواية البخاري/ الفتح (٤٣/١٠ - ٤٤ ح/٢٢٩٧)، ورواه بإسناد حسن - ابن هشام (٢/١٤ - ١٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/٣٨٤ - ٣٨٩) والبيهقي في الدلائل (٢/٤٧١ - ٤٧٣). وسيأتي الكلام عن هذه الهجرة في نهاية الكلام عن هجرة الرسول ﷺ إلى الطائف.

وأقسموا لئن مات أبو بكر ليقتلن عتبة بن ربيعة^(٤٠٣).

وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبدالله بن مسعود، على الرغم من تحذير المسلمين من عدوان المشركين وخشيتهم عليه. فعندما فعل ذلك، ضربوه على وجهه حتى أثروا فيه. وعندما قال له الصحابة: « هذا الذي خشينا عليك، قال: ما كان أعداء الله أهون منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا. قالوا: لا، حسبك قد أسمعتم ما يكرهون^(٤٠٤)».

وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من أوراق النخيل، ثم يدخنه من تحته^(٤٠٥). وروي انه عندما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وأقسم ألا يحمله إلا إذا ترك الإسلام. فأقسم عثمان على عدم تركه الإسلام. فلما رأى عمه صلابته في دينه تركه^(٤٠٦).

ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيته. وكان من أنعم الناس عيشاً، فتخشف جلده تخشف الحية، وحتى حمله أصحابه على قسيهم؛ لشدة ما به من الجهد^(٤٠٧).

واعتمدوا على عمر بن الخطاب عندما أسلم، وحاولوا قتله لولا أن أنقذه الله بالعاص بن وائل^(٤٠٨).

ومن أؤذي عثمان بن مظعون. فقد روي انه عندما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة، دخل في جوار الوليد بن المغيرة، فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن، رد جوار الوليد. وعندما قدم لبيد بن ربيعة إلى مكة، وكان في مجلس لقريش ينشد لهم شعره، قال لبيد: «ألا كل شيء ماخلا الله باطل» قال عثمان بن مظعون: «صدقت، وعندما قال: وكل نعيم لا محالة

(٤٠٣) انظر القصة في البداية (٣٣/٣ - ٣٤).

(٤٠٤) رواه ابن إسحاق بسند حسن مرسل موقوف على عروة ابن هشام (٣٨٨/١ - ٣٨٩) ورواه في السير والمغازي، ص ١٨٦.

(٤٠٥) المصورقوري: رحمة للعالمين (٥٢/١) ولم نلق على مصدر المصورقوري.

(٤٠٦) ابن سعد (٥٥/٣) من رواية الواقدي.

(٤٠٧) ابن إسحاق، السيرة، ص ١٩٣، بسند معضل فهو ضعيف.

(٤٠٨) يأتي ذكره في إسلام عمر (رضي الله عنه) بإسناد حسن من رواية ابن إسحاق.

زائل، قال له عثمان: «كذبت. نعيم الجنة لا يزول»، قال لبيد: «يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسيكم، فمتى حدث هذا فيكم؟» فقال رجل من القوم: «إن هذا أيضا في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا نتحدث في نفسك من قوله. فرد عليه عثمان حتى تفاقم أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل، فلطم عينه فحضرَّها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: «أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابت لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة»، قال عثمان: «بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس»، فقال له الوليد: «هلم يا ابن أخي، إن شئت فعد إلى جوارك» فقال: «لا» (١٠٩).

وكان عم الزبير بن العوام يعلقه في حصير، ويدخن عليه النار، ويقول: «ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير. لا أكفر أبدا» (١١٠).

ولم يقتصر التعذيب الجسدي على المسلمين بمكة، بل امتد إلى بعض الأفراد الذين أسلموا من القبائل البعيدة عن مكة. فقد روى ابن سعد (١١١)، أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم عندما أسلمت هي وزوجها، وهاجر زوجها مع أبي هريرة وجماعة من قومها، جاءها أهل زوجها أبي العكر فسألوها إن كانت على دينه، فأقرت بإسلامها، فأقسموا على تعذيبها. فعندما ارتحلوا من مكان إلى آخر، حملوها على شر ركايبهم وأغلظها، ثم أطعموها خبزا وعسلا ومنعوا عنها الماء، وتركوها في الشمس حتى ذهب عقلها وسمعها وبصرها، وكرروا ذلك لمدة ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث، طلبوا منها ترك دينها، فلم تفعل غير الإشارة بأصبعها إلى السماء بالتوحيد ولا تعي ما يقولون

(٤٠٩) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ابن هشام (١٠/٢ - ١٢) والبيهقي في الدلائل (٢٩٢/٢ - ٢٩٣) من طريق موسى بن عتبة، ولم يسم ابن عتبة من حدثه، والطبراني في الكبير (٢١/٩ - ٢٤) مرسل عن عروة، وفيه ابن لهيعة، ونقله عنه الهيثمي في المجمع (٣٢/٦ - ٣٤)، وكل هذه الطرق ضعيفة، ولكنها تدل على أن للقصة أصلا.

(٤١٠) الحاكم: المستدرک (٣/٣٦٠) وسكت عنه الحاكم والذهبي. فيه أبو الأسود وقد عنعن، وهو من مرسل عروة، وأبو نعیم في الحلیة (١/٨٩) بإسناد مرسل رجاله ثقات.

(٤١١) الطبقات (٧/١٥٥ - ١٥٧) من رواية الواقدي، وهو متروك فالإسناد ضعيف جداً.

من شدة الإعياء والإغماء، وأكرمها الله بدلو من ماء شربت منه، فكان ذلك سببا في إسلام أهل زوجها وهجرتهم إلى النبي ﷺ. وعندما سمع أبوذر الغفاري بخبر النبي ﷺ جاء ودخل مكة، وأخذ يسأل عن الرسول ﷺ فصر به أهل مكة حتى أغشي عليه^(٤١٢)، وكاد أن يموت، فخلصه العباس (رضي الله عنه) منهم^(٤١٣).

ب - تعذيب الموالي:

لقد نفس الكفار كل أحقادهم على الإسلام ومعتنقيه في أشخاص الموالي، لأنه لم تكن لهم منعة. فكان العذاب أقسى وأفظع. وقد عذر الله المعذنين فيما يقولون حينما يبلغ الجهد منهم مبلغه. قال سعيد بن جبير لابن عباس: «أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟» قال: «نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويحوجونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده^(٤١٤)». قال ابن كثير^(٤١٥): «وفي مثل هذا أنزل الله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾». قال ابن مسعود: «أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون

(٤١٢) و (٤١٣) طرف من حديث في قصة إسلام أبي ذر، متفق عليه: البخاري/ الفتح (١٤/٣٣) ح (٣٥٢٢)، مسلم (٤/١٩٢٠) ح (٢٤٧٣)، و (٤/١٩٢٣ - ٢٤/٢٤) ح (٢٤٧٤).
(٤١٤) رواه ابن إسحاق ابن هشام (٣٩٦/١) وقد صرح بالسباع وفي سنده حكيم بن جبير، وهو ضعيف كـ "ابن حجر في التقریب، ص ١٧٦. ونظله ابن كثير في البداية (٦٥/٣) عن ابن إسحاق بهذا الإسناد.
(٤١٥) البداية والنهاية (٦٥/٣).
والآية ١٠٦ من سورة النحل.

فألبسهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد (٤١٦).

ج - آل ياسر:

كانت هذه الأسرة ممن يضرب بها المثل فيما لاقاه المستضعفون من الابتلاءات في تاريخ الإسلام. فقد كان بنو مخزوم يخرجون بهم إذا حيت الظهيرة فيعذبونهم برمضاء مكة (٤١٧).

ومر بهم الرسول ﷺ ذات مرة وهم يعذبون، فقال لهم: «أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة» (٤١٨).

وكان أول من استشهد في سبيل الله من هذه الأسرة خاصة، وفي الإسلام عامة: أم عمار - سمية بنت خياط - فقد طعنها أبوجهل بحربة في قبلها فماتت من جراء هذا الاعتداء الآثم (٤١٩).

(٤١٦) رواه أحمد في المسند (٣/١٩٠ ج ٣٨٣٢/ شاكرو) وقال شاكرو: «إسناده صحيح»، وخرجه من مصادر أخرى فانظرها إن شئت. وذكره الذهبي في السيرة، ص ٢١٧ - ٢١٨، وقال عنه: «حديث صحيح». وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣/٢٨٤) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وأبو نعیم في الخلیفة (١/١٤٩)، وابن ماجه: صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٠/١) وقال الألبانی: «حسن»، والبيهقي في الدلائل (٢/٢٨١ - ٨٢) وابن كثير في البداية (٣/٦٤) وقال: ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلًا.

(٤١٧) ابن هشام (١/٣٩٥) من رواية ابن إسحاق بدون إسناد، وعن قصة إغراقه في الماء، انظر سيرة ابن إسحاق، ص ١٩٢ من حديث ابن سيرين.

(٤١٨) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/٣٨٨) من حديث جابر، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وقد وهم محققا سيرة ابن هشام عندما قالوا إن الذهبي سكت عنه - ابن هشام (١/٣٩٥). وذكره الهيثمي في المجمع (٩/٢٩٣) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات» وقال الألبانی: «حسن صحيح»، كما في حاشية فقه السيرة للفرغلي، ص ١٠٧ - ١٠٨، ورواه ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (١/٣٩٥) ولفظه: «صبرا آل ياسر موعدكم الجنة...». وذكره الذهبي السيرة، ص ٢١٨، عن هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر، وأبو الزبير مدلس وقد عمن ولكن ما ذكرناه من شواهد تقوي حديث أبي الزبير وترفعه إلى درجة الحسن لغیره. انظر الفتح الرباني (٢٠/٢٢٠).

(٤١٩) من رواية أحمد: المسند (١/٤٠٤)، من مرسل مجاهد، ورواه من الطريق نفسه: البيهقي: دلائل النبوة (٢/٢٨٢)، والذهبي: السيرة النبوية، ص ٢١٨، ورواه ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (١/٣٩٥) وفي قوله: «فأما أمه - أم عمار - فقتلوا»، وهي تأتي إلا الإسلام» والخبر في الإصابة (٣٥/٦٤٨) - ترجمة ياسر العبيسي (٤/٣٣٤) - ترجمة سمية، والبلاذري: أنساب الأشراف (١/١٩٠).

ومات ياسر في العذاب، ورمي ابنه عبدالله فسقط^(٤٢٠). وتفننوا في إيذاء عمار، حتى أجبروه على أن يتلفظ بكلمة الكفر بلسانه. وذكر جمهور المفسرين^(٤٢١) أن من أسباب نزول الآية الكريمة ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان...﴾^(٤٢٢) هو موقف عمار بن ياسر^(٤٢٣) هذا.

د - بلال:

كان بلال مولى لبعض بني جمح. وهو بلال بن رباح، وأمه حمامة. ذكر أنه كان حبشياً، وهو المشهور، وقيل كان نوبياً^(٤٢٤). كان طاهر القلب صادق الإسلام. وكان مولاه أمية بن خلف يخرج به إذا حيت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: «لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى»، فيقول وهو في ذلك البلاء: «أحد

(٤٢٠) قاله ابن حجر في الإصابة (٦٤٨/٣) وعزاء إلى ابن الكلبي في التفسير عن أبي صالح عن ابن عباس، وابن الكلبي متروك في الحديث.
(٤٢١) ذكر ابن الجوزي في الزاد (٤٩٥/٤) أربعة أقوال فيمن نزلت فيه هذه الآية، أحدها إنها نزلت في عمار بن ياسر. رواه مجاهد عن ابن عباس وبه قال قتادة. وقال ابن كثير في التفسير (٥٢٥/٤): «وهكذا قال الشعبي، وأبو مالك، وقاتدة»، ثم قال: «وقد روى العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في عمار».
أما رواية ابن جرير من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، وقوله: «أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان. قال النبي ﷺ: «إن عادوا فعد». لقد ضعف هذه الرواية الألباني لعله الإرسال، وصحح سبب نزول الآية في عمار لمجيء ذلك من طرق ساقها ابن جرير. انظر حاشية فقه السيرة للزحلي، ص ١٠٨، وفي تحريجه للحديث فوائد فانظرها، فقد تركناها مع غيرها في مواطن كثيرة للألباني وغيره وذلك خشية الإطالة.

(٤٢٢) التحل: ١٠٦.
(٤٢٣) قال ابن حجر في الفتح (٢٨١/٩): «كان عمار عربياً عسياً، ما وقع عليه سبي، وإنها سكن أبوه ياسر مكة وحالف بني مخزوم فزوجوه سمية وهي من مواليتهم، فولدت له عماراً، فيحتمل أن يكون المشركون عاملوا عماراً معاملة السبي لكون أمه من مواليتهم».
وقال ابن إسحاق في السيرة، ص ١٩٢: «إن ياسراً كان عبداً لبني بكر من بني الأشجع، فاشتروه منهم فزوجوه سمية أم عمار، فولدت عماراً. وكانت سمية أمة هم، فأعتقوا سمية وعماراً. وانظر ترجمته في كتب التراجم.
(٤٢٤) ابن حجر: الفتح (٢٤٨/١٤). فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب بلال.
وعن كونه من سبي الجاهلية، انظر رواية البخاري (٢٨٠/٩) - ٨١ ك. البيهقي/ب. شراء المملوك من الحربى وهبته وعقته/ ترجمة الباب/ معلقاً.

أحد» (٤٢٥)».

وروى البلاذري^(٤٢٦) عن عمرو بن العاص، قال: «مررت ببلاط وهو يعذب في الرمضاء ولو أن بضعة لحم وضعت عليه لنضجت، وهو يقول: أنا كافر باللات والعزى. وأمية مغتاض عليه فيزيده عذابا فيقبل عليه فيدغت في حلقه فيغشى عليه ثم يفيق».

وروي البلاذري^(٤٢٧) عن مجاهد، قال: «جعلوا في عنق بلال حبلا وأمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشبي مكة - يعني جبلها - ففعلوا ذلك وهو يقول أحد أحد».

وقال البلاذري^(٤٢٨): «وروي أن بلالا قال: أعطشوني يوما وليلة، ثم أخرجوني فعذبوني في الرمضاء في يوم حار».

وعندما رآه أبوبكر (رضي الله عنه) في هذه الحالة ساوم سادته على شرائه، فاشتراه وأعتقه. فقد روى ابن أبي شيبة^(٤٢٩) بإسناد صحيح، والبلاذري^(٤٣٠) بإسناد جيد، أن أبابكر اشترى بلالا بخمس أواق وهو مدفون بالحجارة. وفي الصحيح أن بلالا قال لأبي بكر: «إن كنت إنما اشتريتني

(٤٢٥) ابن إسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (٣٩٢/١)، ولهذا الحديث شاهد وهو حديث ابن مسعود الذي سبق ذكره، في آخر الفقرة (ب: تعذيب الموالى)، وهو حديث صحيح. أما ما روي من أن ورقة بن نوفل كان يمر ببلاط وهو بضرب، وقوله: «لئن قتلوه على هذا لأتخذنه حنانا»، فقد رواه ابن إسحاق موقوفا على عروة، فهو مرسل - ابن هشام (٣٩٢/١) - ٣٩٣، ويخالف لما في الصحيحين.

(٤٢٦) أنساب الأشراف (١٨٥/١).

(٤٢٧) المصدر والمكان نفسهما.

(٤٢٨) المصدر نفسه (١٨٦/١).

(٤٢٩) قاله ابن حجر في الفتح (٢٤٨/٤). ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب (٣٤/٢) بإسناد قوي كما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٥٣/١) - وانظر تحريجه في القصة، ص ٣٦٧. وقد ذكر ابن حجر أقوالا أخرى في قصة عتقه كما في الفتح (٢٨١/٩). وذكر ابن الجوزي في الزاد (١٤٦/٩) في سبب نزول الآية «إِنْ سَفَيْكُمْ لَشَيْءٌ» من قول ابن مسعود إنه اشتراه بردة وعشرة أواق، وقال: رواه الواحدى في أسباب النزول، ص ٣٣٥، وأورده السيوطي في الدرر (٣٥٨/٦) من رواية ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر عن أبي مسعود. وذكره البغوي والخازن بغير إسناد. وكذلك روى ابن عبد البر أحاديث في قصة شرائه فانظرها في الاستيعاب (٣٢/١ - ٣٤)، وهي مرسله تنقوى ببعضها، وتحريجها في القصة، ص ٣٦٨ - ٣٦٩، وهناك أحاديث أخرى خرجها صاحب القصة من كتب أخرى، فانظره، ص ٣٧٠ - ٣٧٢.

(٤٣٠) أنساب الأشراف (١٨٦/١).

لنفسك فأمسكني وإن كنت اشتريتي لله فدعني وعمل الله (٤٣١)».

هـ - خباب بن الأرت:

هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة... بن تميم التميمي، ويقال الخزاعي... (٤٣٢) سبي في الجاهلية، فبيع بمكة. وكان مولى لأُم أنهار الخزاعية، وقيل غير ذلك. ثم حالف بني زهرة. كان يعمل قينا - حدادا - في صناعة الأسنة، وبخاصة السيوف (٤٣٣). وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام.

وعندما أظهر إسلامه لاقى صنوفا شتى من العذاب في المال والنفس، ضمن سائر المستضعفين (٤٣٤). وما روي في ذلك أنهم كانوا يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذبا، ويلوون عنقه بعنف، واضجعوه مرات عديدة على صخور ملتجة، ثم وضعوا عليه حجرا حتى لا يستطيع أن يقوم (٤٣٥). وأوقدوا له نارا ووضعوه عليها، فما أطفأها إلا ودك ظهره، كما ذكر خباب نفسه، وقد كشف عن ظهره وأرى أثر ذلك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (٤٣٦) وذكر أيضا أنهم كانوا يضجعونه على الرصف، ومع ذلك لم ينالوا

(٤٣١) البخاري/ الفتح (١٤/٢٤٩ ح/٥٥٣٧). وروى ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل أنه استبدله من سيده بغلام أسود - ابن هشام (١/٣٩٣).

(٤٣٢) قاله ابن هشام بدون إسناد، (١/٣١٩). وانظر ترجمته في الإصابة (١/٤١٦).

(٤٣٣) جاء ذلك في قصته مع العاصي بن وائل عند البخاري ومسلم وغيرهما، كما سيأتي ذكره.

(٤٣٤) انظر أحمد: فضائل الصحابة (١/١٨٢) من حديث ابن مسعود الذي سبق ذكره. فقد جاء في الحديث أن خبابا كان ضمن سائر من أخذهم المشركون والبسوم الدروع والحديد وصهروهم في الشمس. وذكر ابن سعد (٣/١٦٥)، أنه كان ضمن المستضعفين المعدلين. وإسناده مرسل

ورجاله ثقات ماعدا الواقدي. وذكر ذلك أبو نعيم في الحلية (١/١٤٣) بإسناد صحيح كما خرجته صاحب القصة، ص ٣٧٥.

(٤٣٥) ابن الجوزي: تلقيح فهم الأثر، ص ٦٠.

(٤٣٦) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٤٤) بإسناد مرسل عن الشعبي، وإذا ثبت سماع الشعبي من خباب

فيكون الحديث متصلا صحيحا، ولكن الحديث حسن بالشواهد التي ذكرناها في أمر تعذيبه.

وذكر ابن سعد في الطبقات (٣/١٦٥) من حديث أبي ليلى الكندي، رؤية خباب عمرا أثارا

في ظهره مما عذبه به المشركون، وإسناده حسن، ورواه ابن ماجه: السنن/ المقدمة (١٥٣)

وإسناده صحيح كما قال البوصيري في الزوائد: (١٢)، وصححه الألباني: صحيح سنن ابن

ماجه (١/٣١ ح/١٥٣) وأشار إلى ذكره في مؤلفه الذي لم ير النور بعد: «صحيح السيرة

النبية». وانظر بقية أخباره في البلاذري: أنساب الأشراف (١/١٧٥ - ١٧٩). وروى البلاذري

في هذا المصدر (١/١٧٦) أنه سمي الأرت للكنة في لسانه إذا تكلم بالعربية.

منه ما أرادوا (٤٣٧).

وله قصة مشهورة مع العاصي بن وائل، رواها البخاري (٤٣٨) ومسلم (٤٣٩) وغيرهما، من حديث خباب نفسه، قال: «كنت قينا بمكة فعملت للعاصي ابن وائل السهمي سيفاً، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلت: لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميئك الله ثم يحيكك، قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد فسأقضيك، فأنزل الله: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالا وولداً، أطلّع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾» (٤٤٠).

وعندما اشتد البلاء بخاب وإخوانه المسلمين المستضعفين، شكوا إلى الرسول ﷺ حالهم. فقد روى البخاري (٤٤١) عن خباب قوله: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعونا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

عامة الموالي المستضعفين:

منهم حمامة، والدة بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عيسى، وزينة، والنهدية، وابتهاء، وجارية بني عدي، التي كان يعذبها عمر بن الخطاب قبل أن

(٤٣٧) رواه أبو نعيم في الحلية (١٤٤/١) بإسناد صحيح.

(٤٣٨) الفتح (٣١/١٨) ح/٤٧٣٣ وانظر أحاديث الباب - واللفظ للبخاري.

(٤٣٩) (٢١٥٣/٤) ح/٢٧٩٥. وللبخاري عدة روايات بهذا المعنى. وذكر القصة ابن إسحاق بكون

إسناد، وأحمد (١١٠/٥)، والترمذي (٣٠٨/٨ - ٩) - انظر: صحيح الترمذي (٧٦/٣) ح/٣٣٨٥ وقال الألباني: «متفق عليه»، وهو يشير إلى ما ذكرناه...

(٤٤٠) مريم: ٧٧ - ٧٨.

(٤٤١) الفتح (١١٣/١٤ - ١١٤) ح/٣٦١٢.

يسلم^(٤٤٢). وقد أعتقهم أبوبكر جميعا^(٤٤٣).

وعندما رأى أبوقحافة ابنه أبابكر يعتق هؤلاء المستضعفين، قال له: «يا بني، إني لمؤاك تعتق رقابا ضعافا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال أبوبكر: «يا أبت، إني إنما أريد ما أريد لله عز وجل». فأنزلت فيه الآية ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرَهُ لِلْغَنَى﴾ إلى قوله عز وجل ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾، ولسوف يرضى^(٤٤٤) ﴿٤٤٥﴾.

وقد أصيب بصر زنية حين أعتقها أبوبكر، فقالت قريش: «ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى» فقالت: «كذبوا وبيت الله، ما تضران اللات والعزى وما تنفعان». فرد الله بصرها^(٤٤٦).

وكان أفلح - أبو فكيهة - مولى لبني عبدالدار - كانوا يشدون به بالحبل من رجله ثم يجرونه على الأرض، ليفتنوه عن دينه^(٤٤٧).

ب - العبر والعظمت:

١ - ربما يتساءل المرء: فيم هذا العذاب الذي لقيه الرسول ﷺ وأصحابه وهم على الحق؟ ولماذا لم يعصمهم الله تعالى منه وهم جنوده وفيهم رسوله؟ والجواب: أن أول صفة للإنسان في الدنيا، أنه مكلف، وأمر

(٤٤٢) انظر ابن كثير: الفصول في إختصار سيرة الرسول، ص ٨٧، ابن هشام (٣٩٣/١ - ٩٤) من رواية ابن اسحاق بليون إسناد. وسبق الكلام عن أن أبا بكر قد أعتق بلالا.

(٤٤٣) انظر: ابن هشام (٣٩٤/١) من رواية ابن إسحاق بليون إسناد، وسيرة ابن إسحاق، ص ١٩١، بدون إسناد أيضا، والبلاذري: أنساب الأشراف (١٥٨/١، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦).

(٤٤٤) الآيات ٥ - ٢١ من سورة الليل.

(٤٤٥) المستدرک (٥٢٥/٢) من حديث زياد بن عبدالله البکائي عن محمد بن إسحاق. وقال الحاكم:

«هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وسكت عليه الذهبي، ورواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٣٩٤/١) وفي السير والمغازي، ص ١٩١ - ١٩٢ بإسناد منقطع، وهو الإسناد الذي وصله الحاكم. ورواه الواحدي في أسباب النزول، ص ٣٣٦ من حديث إبراهيم ابن سعد عن محمد بن إسحاق به، ورواه السيوطي في الدر (٣٠٨/٦) من رواية ابن جرير وزاد نسبه لابن عساکر، وانظر زاد المسیر (١٤٨/٩) حاشية المحققين.

(٤٤٦) روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل لأنه موقوف على عروة ورواه غيره عنه ولم يصلوه - انظر ابن هشام (٣٩٣ - ٣٩٢/١) وسيرة ابن إسحاق، ص ١٩١ والذهبي: السيرة، ص ٢١٨.

(٤٤٧) ابن حجر: الإصابة (١٥٦/٤) ترجمة أبي فكيهة رقم ٩٠٧ بدون إسناد.

الدعوة إلى الإسلام والجهاد لإعلاء كلمته من أهم متعلقات التكليف، والتكليف من أهم لوازم العبودية لله تعالى. وعبودية الإنسان لله (عز وجل) ضرورة من ضرورات ألوهيته (عز وجل)، ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(٤٤٨).

فقد استلزمت العبودية - إذاً - التكليف، واستلزم التكليف تحمل المشاق ومجاهدة النفس والأهواء، والصمود في وجه الفتن والابتلاءات.

والفتنة والابتلاء هما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب، وفي ذلك يقول المولى (عز وجل): ﴿الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾^(٤٤٩)، ويقول: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾^(٤٥٠).

وما دام الأمر كذلك فلا ينبغي للمسلم أن يتوهم اليأس إذا ما عانى شيئاً من المشقة والمحنة. بل العكس هو المنسجم مع طبيعة هذا الدين، أي إن على المسلمين أن يستبشروا بالنصر كلما رأوا أنهم يتحملون مزيداً من الضر والنكبات سعياً إلى تحقيق أمر ربهم (عز وجل)، ويتجلى برهان ذلك في قوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء، وزُكِّزُوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب﴾^(٤٥١)،^(٤٥٢).

٢ - المقرر عند علماء المسلمين أن الأخذ بالعزيمة في ميدان الإكراه أولى من الرخصة، وأن أخذ الأئمة والقادة بالعزيمة هو الأولى والأجمل. ويعتبر الفقهاء الإكراه بمدى قدرة المكره على إيقاع ما هدد به^(٤٥٣).

(٤٤٨) الذاريات: ٥٦.

(٤٤٩) العنكبوت: ١ - ٣.

(٤٥٠) آل عمران: ١٤٢.

(٤٥١) البقرة: ٢١٤.

(٤٥٢) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ٨٥ - ٨٧.

(٤٥٣) انظر الموصلي: الاختيار لتعليل المختار في الفقه الحنفي، طبعة دار المعرفة، بيروت، (١٠٤/٢).

نقلاً عن الشيخ زهير سالم: عثرات وسقطات، ص ٤٣٨.

وان أخذ عامة المسلمين بالرخصة ليس دليلاً على فساد في العقيدة،
 بدليل قول الرسول ﷺ لعمار بن ياسر: «إن عادوا فعد»، أي إذا عادوا
 وطلبوا منك ذكر آهتكم بخير، فاذكرها، مادام قلبك مطمئناً بالإيمان^(٤٥٤).
 يقول ابن كثير^(٤٥٥) في تعليقه على موقف عمار بن ياسر من التعذيب:
 «ولهذا اتفق العلماء على أنه يجوز أن يوالي المكره على الكفر، إبقاء لمهجته،
 ويجوز له أن يستقتل كما كان بلال (رضي الله عنه) يأبى عليهم ذلك، وهم
 يفعلون به الأفاعيل... وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري، لما قال له
 مسيلمة الكذاب: «أتشهد أن محمداً رسول؟» فيقول: «نعم» فيقول: «أتشهد
 أني رسول الله؟» فيقول: «لا أسمع». فلم يزل يقطعه إرباً إرباً وهو ثابت
 على ذلك... والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى
 قتله، كما قال الحافظ ابن عساكر، في ترجمة عبدالله بن حذافة
 السهمي...».

وفي تعليقه على الموقف ذاته قال ابن الجوزي^(٤٥٦): «الإكراه على كلمة
 الكفر يبيح النطق بها. وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان إحداهما:
 أنه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به.
 والثانية أن التخويف لا يكون إكراها حتى ينال بعباد. وإذا ثبت جواز
 «التقية»، فالأفضل ألا يفعل...».

إن في مواقف المؤمنين - بمختلف قبائلهم - وثباتهم على دينهم ورضاهم
 بجوار ربهم، مثلاً عالياً في التوكل على الله تعالى، ولن ينسى التاريخ تلك
 المواقف الإيانية البطولية لهؤلاء المسلمين الأوائل، الذين كانوا قدوة لأصحاب
 المبادئ في كل زمان ومكان.

إن أعداء الإسلام في كل زمان ومكان، لم يكفوا ولن يكفوا عن استخدام

(٤٥٤) انظر: الشيخ زهير سالم، ص ص ٣٩ - ٤٠.

(٤٥٥) تفسيره (٥٢٥/٤ - ٥٢٦).

(٤٥٦) راد المسير (٤٩٦/٤).

كافة الوسائل والأساليب لإطفاء نور الإسلام ومحاربة دعاته، وربما تتجدد الأساليب والوسائل، ولكنها لا تخرج في مضمونها عن تلك الأساليب التي مارسها كفار قريش ضد المسلمين المستضعفين بمكة. وسيطول بنا الشرح إذا وقفنا عند كل أسلوب، وذكرنا له أمثلة من واقع حركة الإسلام وسط المجتمعات والشراذم الرافضة لتحكيم شرع الله.

كان من جليل حكمة الله تعالى أن يقوم مشركو قريش بسلسلة من المساومات مع الرسول ﷺ بعد أن صوروا في أنفسهم كل ما يمكن أن يظنوه سببا أو هدفا وراء دعوته، ورفض الرسول ﷺ قبول كل العروض التي قدموها له مقابل أن يتخلى عن دعوته ليثبت للتاريخ أن هدفه شيء واحد، وهو الإسلام، وليقطع الطريق أمام المشككين في أهداف دعوته ﷺ، أو فهموا فيها مغاييرا لما كشفت عنه تلك اللقاءات بين الرسول ﷺ وبين مساوميه من الكفار، وكانت سيرته ﷺ فيما بعد تأكيدا ودليلا على أنه لم يكن يطلب شيئا غير الإسلام^(٤٥٧).

الأسلوب الثالث عشر: ملاحقة المسلمين خارج مكة والتحريض عليهم: عندما هاجر بعض المسلمين إلى النجاشي، أرسلوا خلفهم من حاول اللحاق بهم قبل العبور إلى الحبشة، وعندما استقروا بالحبشة وكثر عددهم، أرسلوا في طلبهم، واستخدموا في ذلك الرشوة والحيلة للوقعة بين المسلمين والنجاشي، ولكنهم فشلوا في ذلك.

وسياتي بيان ذلك في هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى الحبشة وهجرة المدينة.

الأسلوب الرابع عشر: المقاطعة العامة: سيأتي ذكرها في مكانها من هذا الكتاب (مبحث ٢٨).

الأسلوب الخامس عشر: محاولة قتل الرسول، ثم شن الحرب عليه: سيأتي ذكر ذلك من خلال أبحاث وفصول الكتاب.

(٤٥٧) انظر البوطي: فقه البيرة، ص ٩٠.

المبحث الرابع والعشرون: مكان التقاء الرسول ﷺ بالمسلمين:

كان الرسول ﷺ يلتقي سرا بالداخلين في الإسلام؛ ليعلمهم ما ينزل به الوحي من تعاليم الدين. وفي السنة الخامسة من ابتداء الدعوة اختار الرسول ﷺ منزل أحد المسلمين، وهو الأرقم بن أبي الأرقم^(٤٥٨)، ليلتقي بأكبر عدد منهم، وحافظوا على كتمان سرية هذا المكان^(٤٥٩)، لأن عامة الصحابة كانوا يخفون إسلامهم، ولذا فمن الحكمة اتباع السرية لما فيها من صالح للمسلمين وللإسلام. أما لماذا اختار الرسول ﷺ دار الأرقم بالذات؟ أجاب عن هذا السؤال - استنتاجا - المباركفوري^(٤٦٠)، فقال: «لأن الأرقم لم يكن معروفا بإسلامه، ولأنه من بني مخزوم التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم إذ يستبعد أن يخفي الرسول ﷺ في قلب العدو، ولأنه كان فتى صغيرا عندما أسلم. في حدود الست عشرة سنة^(٤٦١)، إذ إنه في هذه الحالة تنصرف الأذهان إلى منازل كبار الصحابة».

ويلحظ أن دار الأرقم كانت قرب الصفا، وهي منطقة تشتد فيها حركة الناس بصورة طبيعية، مما يصعب معه إدراك وجود حركة خاصة بأناس تجتمع وتنفض في هذه الدار.

وعندما شك الكفار في وجود مكان يلتقي فيه المسلمون، كان كل الذي توصلوا إليه أنه يلتقي بهم في دار عند الصفا^(٤٦٢).

إن مراعاة السرية والكتمان في حياته ﷺ واضحة في مواقف كثيرة منها هذا الموقف.

(٤٥٨) ودار الأرقم هذا هي الدار المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا، كما قال الشامي: السبل (٤٣٠/٢) وقال اللواتي إبراهيم رفعت باشا في: مرآة الحرمين، ط ١، (١/١٩٩٢) و... هذه الدار في زقاق على يسار الصاعد إلى الصفا وبابها يفتح إلى الشرق ويدخل منه إلى فحة مساوية طولها نحو ثمانية أمتار في عرض أربعة...
(٤٥٩) انظر قصة خطبة أبي بكر في الحرم وضرب الشركين له حيث جاء فيها أن أم جميل بنت الخطاب (رضي الله عنها) أنكرت معرفتها بأبي بكر وبمحمد ﷺ ومكان وجود أبي بكر - البداية (٣/٣٣) - (٣٤).

(٤٦٠) الرجح المختوم، ص ٤٩. * قلت: ما بين ١٧ وال ١٩ كما عند ابن سعد (٣/٢٤٤).
(٤٦١) انظر: ابن إسحاق - بدون إسناد، ابن هشام (١/٢٢٤) والأصبهاني: المعرفة (٢/٣٧٨).

المبحث الخامس والعشرون: أ - الهجرة الأولى إلى الحبشة:

كانت بداية الاضطهادات في أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة، بدأت ضعيفة، ثم لم تزل في ازدياد يوماً يوماً وشهراً شهراً، حتى اشتدت وتفاقمت في أواسط السنة الخامسة، حتى نبا بهم المقام في مكة، وأعوزتهم أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذا الوقت العصيب نزلت سورة الكهف ردوداً على أسئلة طرحها المشركون على النبي ﷺ، ولكنها اشتملت على ثلاث قصص، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين. فقصّة أهل الكهف ترشد المؤمن إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، متوكلاً على الله ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (٤٦٢).

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري ولا تنتج حسب الظاهر دائماً، بل ربما يكون الأمر على خلاف الظاهر، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستعكس تماماً، وسيصادر هؤلاء الطغاة المشركون - إن لم يؤمنوا - أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين.

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده - بين أونة وأخرى - من يقوم بإنجاء الضعفاء من يأجوج ومأجوج ذلك الزمان، وأن الأحق بإرث الأرض إنما هو عباد الله الصالحون (٤٦٣).

ثم نزلت سورة «الزمر» تشير إلى الهجرة وتعلن بأن أرض الله ليست بضيق، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤٦٤).

(٤٦٢) الكهف: ١٦.

(٤٦٣) انظر القصة في الآيات ٨٣ - ٩٧ من سورة الكهف، خاصة الآية ٩٤ ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُّصَدُّونَ فِي الْأَرْضِ نَجْعَلْ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَحْمِلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سِدًّا﴾.

(٤٦٤) الزمر: ١٠.

في هذه الظروف كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة، فرارا بدينهم من بلاد الفتنة إلى بلاد الأمان^(٤٦٥).

روى ابن إسحاق^(٤٦٦) من حديث أم سلمة، قالت: «لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم عنده، فالحقوا ببلادها حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه، فخرجنا إليها حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنا على ديننا، ولم نخش منه ظلما...».

روى ابن سعد^(٤٦٧) أنهم خرجوا متسللين سرا، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشعيبة، منهم الراكب والماشي، ووفق الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيها إلى أرض الحبشة بنصف دينار. وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من حين نبي رسول الله ﷺ^(٤٦٨)، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحر حيث ركبوا، فلم يدركوا منهم أحدا.

وذكر ابن سعد في رواية ثانية^(٤٦٩) أساء اثني عشر رجلا وأربع نسوة،

(٤٦٥) وعن إشارات سورة الكهف والزمر، انظر: الرحيق، ص ١٠٥ - ١٠٦ وهي إشارات جميلة. وعن الاشتلاء في الدين وكونه السبب الرئيس وراء هذه الهجرة الأولى إلى الحبشة، انظر: البخاري/ الفتح (٤٣/١٠ - ٤٤ ح/ ٢٢٩٧) وانظر رسالة المودة، ص ٢٩٩ وما بعدها، ففيها استيعاب جيد للموضوع، وابن كثير: البداية (٧٣/٣) وما بعدها.

(٤٦٦) السير والمغازي، ص ١٢٣، من رواية يونس بن بكير، ابن هشام (٤١٣/١)، من رواية البكائي، وإسناده حسن، وهو خبر طويل في قصة هجرة الحبشة الأولى، وستأتي الإشارة إلى أجزاء منه في هذا الباب. وذكره غير واحد من طريق ابن إسحاق.

(٤٦٧) الطبقات (٢٠٤/١) وفي سنده ثلاث علل: الواقدي وجهالة عبيد الله بن عباس الهذلي والإرسال. وهذا موافق لقول ابن إسحاق من إن وقوع الهجرة الأولى قبل المقاطعة وذلك خلافا لموسى بن عتبة. انظر: ابن هشام (٤٣٠/١)، وابن كثير في البداية (٧٤/٣) حيث قال: «وقد زعم موسى بن عتبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل ابوطالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشعب».

(٤٦٩) الطبقات (٢٠٤/١) من طريق الواقدي، وهذا هو الذي اختاره ابن القيم في الزاد (٢٣/٣).

ووافقه في ذلك ابن سيد الناس^(٤٧٠)، وزاد عليه امرأة خامسة، وهي أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، زوجة أبي سبرة. وروى ابن إسحاق^(٤٧١) أنهم كانوا عشرة من الرجال وأربع نسوة. إذ إنه لم يذكر فيهم ابن مسعود، وذكر حاطباً بالشك «ويقال...». ووافق الذهبي^(٤٧٢) ابن إسحاق في عدد الرجال والنساء ولكنه ذكر أبا سبرة ولم يذكر أبا حاطب أو حاطباً، ولم يذكر ابن مسعود. وذكر عروة^(٤٧٣) أنهم كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وذكر فيهم ابن مسعود ولم يذكر حاطباً.

وكان ضمن هؤلاء المهاجرين: أبوسلمة بن عبد الأسد، وزوجه أم سلمة بنت أبي أمية، أم المؤمنين فيها بعد، وراوية الحديث الطويل في قصة الهجرة، وعثمان بن مظعون، ومصعب بن عمير، وعثمان بن عفان، وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ.

وقد قال الرسول ﷺ في عثمان ورقية (رضي الله عنهما): «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام»^(٤٧٤). وعرفت هذه الهجرة بالهجرة الأولى إلى الحبشة، وذكر ابن هشام^(٤٧٥) أنه كان عليهم عثمان بن مظعون.

لم يمكث هؤلاء المهاجرون طويلاً حتى بلغتهم الأخبار بأن أهل مكة قد أسلموا، فلذا قرروا العودة إلى وطنهم مكة في شوال من نفس السنة^(٤٧٦). وعندما اقتربوا من مكة علموا بأن الذي بلغهم كان مجرد إشاعة، وعرفوا أن نار العداوة مازالت مشتعلة. فرجع منهم من رجع إلى الحبشة، ومن دخل منهم مكة دخلها مستخفياً أو في جوار رجل من قريش^(٤٧٧).

(٤٧٠) عيون الأثر (١/١٥٥).
(٤٧١) ابن هشام (١/٣٩٨ - ٩٩)، والسير والمغازي، ص ٢٢٣ - ٢٢٤، بدون إسناد. فهو ضعيف.

(٤٧٢) سيرته، ص ١٨٤ - ١٨٥.
(٤٧٣) مغازية، ص ١٠٥. وإسناده ضعيف.
(٤٧٤) البيهقي: الدلائل (٢/٢٩٧) من حديث أنس بإسناد ضعيف، لضعف بشر بن موسى الخفاف.
(٤٧٥) السيرة (١/٣٩٩).
(٤٧٦) الطبقات (١/٢٠٦) من طريق الواقدي، ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٥/٢). فالأسانيد ضعيفة.
(٤٧٧) ابن إسحاق بدون إسناد - ابن هشام (٥/٢). فهو ضعيف.

ويزعم بعض الناس أن سبب رجوعهم كان لوقوع هدنة حقيقية بين الإسلام والوثنية، أساسها أن محمدا ﷺ تقرب إلى المشركين بمدح أصنامهم والاعتراف بمنزلتها، إذ زعموا أنه قرأ على المشركين سورة النجم حتى وصل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان في آذان المشركين قوله (تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترتجى) فسجد وسجد كفار مكة. فلما بلغهم ذلك في الحبشة ظنوا أن القوم قد أسلموا لهذه القصة المزعومة.

ومن روى هذه القصة ابن سعد^(٤٧٨) والطبري^(٤٧٩) والبيهقي^(٤٨٠)، ولم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد ولا غيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة على التحرير.

وهي باطلّة من حيث السند والمتن. وإليك أقوال العلماء في هذا:

١ - بطلان القصة من جهة النقل (السند):

قال ابن كثير^(٤٨١): «قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائق، ولكنها من طرق كلها مرسلّة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم».

وللقاضي عياض^(٤٨٢) عدة مآخذ على هذه القصة، وفي ذلك يقول: «أما المآخذ الأول فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجّه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته، وإنما أولع به ويمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلففون من الصحف كل صحيح وسقيم. ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية... إلخ».

(٤٧٨) النجم: ١٩ و ٢٠، الطبقات (٢٠٥/١ - ٢٠٦)، من طريق الواقدي فهو ضعيف جداً.

(٤٧٩) التفسير (١٣١/١٧ - ١٣٢) وفي إسناده أبويعشر، فالإسناد ضعيف.

(٤٨٠) الدلائل (٢٨٥/٢ - ٨٧) وإسناده ضعيف.

(٤٨١) التفسير (٢٢٩/٣).

(٤٨٢) الشفا (٧٥٠/٢) وما بعدها.

وقال ابن حجر^(٤٨٣) بعد ذكر بعض مصادر القصة وأسانيدھا وطرقھا: «وكلھا سوى طريق سعيد بن جبیر: إما ضعيف وإما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا مع أن لها طريقتين آخرين مرسلين رجالھا على شرط الصحيحين، أحدهما ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب... والثاني ما أخرجه أيضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة...».

وساق الدكتور عبدالمعطي قلعجي^(٤٨٤) الحجج الحديثة والمنطقية لتفنيد أكذوبة الغرائق.

وللشيخ الألباني^(٤٨٥) رسالة بعنوان: (نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق)، خرج فيها أحاديث هذه القصة وحكم عليها بالضعف والبطلان، مشيرا إلى أن هناك عدة روايات مرسلة أسانيدھا صحيحة إلى مرسلیھا، وهو يتفق في هذا مع ابن حجر، ولكنه يختلف معه في النتيجة. فقد ذهب ابن حجر^(٤٨٦) إلى تقوية تلك الأحاديث المرسلة، حين قال: «فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجھا دل ذلك على أن لها أصلا، وقد ذكرت ان ثلاثه أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض». أما الألباني^(٤٨٧) فإنه يرى أن تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على إطلاقھا، وله منطقہ وحجته في هذا، وخلص إلى رد تلك الآثار المرسلة لكونھا لا تعتضد عنده.

وقد وقف الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي^(٤٨٨) عند هذه المسألة ليناقش فيها الشيخ الألباني، قائلا: «ونقل الألباني^(٤٨٩) عن ابن تيمية في مسألة الاحتجاج بالمرسل ما مفاده: ... وإن جاء المرسل من وجهين، كل

(٤٨٣) الفتح (٤١/١٨).

(٤٨٤) انظر: حاشية (١٣) من دلائل النبوة للبيهقي (٢٨٧/٢ - ٢٩١).

(٤٨٥) انظر: الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٢م. نشر المكتب الإسلامي.

(٤٨٦) الفتح (٤٢/١٨).

(٤٨٧) نصب المجانيق، ص ٢٠ وما بعدها.

(٤٨٨) حاشية مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، ص ١٠٧.

(٤٨٩) نصب المجانيق، ص ٢٣.

من الراويين أخذ العلم عن غير شيوخ الآخر فهذا يدل على صدقه، فإن مثل ذلك لا يتصور في العادة تماثل الخطأ فيه وتعمد الكذب...

وقد رد بعض المشايخ على الألباني في اتباعه هذه القاعدة، ولذلك أحببت أن أذكر أن هذه القاعدة ليست من بنات أفكار الشيخ الألباني، بل اعتمد فيها على ما قاله الشافعي، ومن جاء بعده من المحققين كابن تيمية والنووي وغيرهم. قال السيوطي^(٤٩٠): «فإن صح مخرج المرسل بمجيئه أو نحوه من وجه آخر مسندا أو مرسلأ أرسله من أخذ العلم عن غير رجال المرسل الأول كان صحيحا». هكذا نص عليه الشافعي^(٤٩١) في الرسالة، مقيدا له بمرسل كبار التابعين، ومن إذا سمى من أرسل عنه سمي ثقة، وإذا شاركه الحفاظ المأمونون لم يخالفوه، وزاد في الاعتضاد أن يوافق قول صحابي أو يفتي أكثر العلماء بمقتضاه، فإن فقد شرط مما ذكر لم يقبل مرسله... وما لا شك فيه أن وجود هذه الشروط مستحيلة في هذه الفرية. لذلك فإن تقوية ابن حجر (رحمه الله) هذه المراسيل ذهول منه».

ويجب الدكتور أبو شهبه^(٤٩٢) على ما ذكره ابن حجر في «الفتح» وتابعه عليه السيوطي وغيره، قائلا:

١ - «إن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابي، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة، وعلى الثاني فلا يؤمن أن يكون كذابا، وقد قرر الإمام مسلم^(٤٩٣) هذه الحقيقة فقال: « والمرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة». وقال ابن الصلاح^(٤٩٤): «وما ذكرنا من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث وتداولوه في تصانيفهم، والاحتجاج به مذهب مالك وأبي

(٤٩٠) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١٩٨/١ - ١٩٩).

(٤٩١) انظر الرسالة، ص ص ٤٦١ - ٤٦٢.

(٤٩٢) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة (٣٦٨/١ - ٣٦٩).

(٤٩٣) انظر: مقدمة صحيح مسلم (٣٠/١).

(٤٩٤) انظر. مقدمة ابن الصلاح، ص ٥٨، طبعة العلمية بحلب.

حنيفة وأصحابها في طائفة، أما الشافعي فيحتج به بشروط ذكرها في رسالته، وقد نقلها العراقي في شرح ألفيته وغيره.

٢ - الاحتجاج بالمرسل إنما هو في فروع الدين التي يكتفى فيها بالظن، أما الاحتجاج به على شيء يصادم العقيدة وينافي دليل العصمة فغير مسلم، وقد قال علماء التوحيد: إن خبر الواحد لو كان صحيحاً لا يؤخذ به في العقائد لأنه لا يكتفى فيها إلا بما يفيد اليقين، فما بالك بالضعيف أو المختلف فيه.

هذا إضافة إلى أن القصة لم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة أو الإمام أحمد، ولا غيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة على التحرير.

٢ - بطلان القصة من حيث المتن (أو العقل):

أ - مخالفة القصة للقرآن الكريم:

يقول الدكتور الأعظمي^(٤٩٥) في تفنيد هذه الفرية، «ولو فرضنا - جدلاً - أن أسانيدها صحيحة ثابتة، فهل تثبت بذلك صحة القصة، معاذ الله؟! والمعروف للجميع أن الحديث الشاذ - وهو الحديث الذي يخالف الراوي الثقة فيه من هو أوثق منه أو أكثر عدداً - من الأحاديث الضعيفة. وهذا في خبر الآحاد. فإذا كان خبر من خبر الآحاد يخالف القرآن الكريم وإجماع الأمة مثلاً كالإيمان بعصمة الأنبياء فلا يكون الحديث شاذاً، بل يكون موضوعاً في هذه الحالة.

وقد قال ابن الجوزي^(٤٩٦) قديماً: «كل حديث رأيت يخالف العقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع، فلا يتكلف اعتباره - أي لا تعتبر روايته».

وقد قال ابن أبي حاتم الرازي^(٤٩٧) «... ويقاس صحة الحديث بعدالة

(٤٩٥) حاشيته على مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير

(٤٩٦) فتح المغيب: ص ١١٤

(٤٩٧) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٣٥١

ناقليه، وأن يكون كلاما يصلح أن يكون من كلام النبوة...» وأي عقل - مهما بلغ من السخافة - يستطيع أن يقبل أن الرسول ﷺ الذي دعا إلى التوحيد الخالص يأتي عليه زمان فيصالح المشركين بتمجيد آلهتهم، ثم ينسب ذلك القول للعين إلى ربه جلّ وعلا؟.

«فإذا كانت الأسانيد مثل الشمس لا تثبت هذه القصة من قريب أو من بعيد، فكيف ثبتت بهذه الأسانيد الضعيفة حتى نبحت عن تأويلها...».

ومن الأدلة الصريحة على مخالفة هذه القصة للقرآن الكريم، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٤٩٨). وقد أبعد الله الغواية عن عباده المرسلين. وقد أقر رئيس الشياطين بأن لا سلطان له على عباد الله المخلصين، كما حكاها الله عنه في قوله تعالى:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غَوْيَنَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٩٩) ومن هو ذلك الأخلص من النبي محمد ﷺ.

بل ليس للشيطان سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٥٠٠). وأي الناس أصدق إيمانا بالله وأشد توكلا عليه من الأنبياء، بله رسول الله ﷺ.

ب - اضطراب روايات القصة:

ومما يضعف هذه القصة ويوهنها شدة اضطراب رواياتها، فرواية تقول: وقعت خارج الصلاة، ورواية: إنه كان في الصلاة، وثالثة تقول: بل حدث نفسه فسها، ورابعة تقول: إن الشيطان قالها على لسان النبي ﷺ قرأها، وسادسة تقول: إن النبي ﷺ قال ذلك وهو ناعس. وسابعة تقول: إن

(٤٩٨) الحجر: ٤٢.

(٤٩٩) ص: ٨٢ - ٨٣.

(٥٠٠) النحل: ٩٩.

الشیطان انتہز سکتة من سکنات النبی ﷺ فی القراءة، فقرأها حاکیا صوت النبی ﷺ. کما رويت عبارة: «تلك الغرائق العلاء» بألفاظ مختلفة.

ج - اللغة العربية تنکر القصة:

نقل الشيخ أبوشهبة^(٥٠١) رأي الشيخ محمد عبده في رد هذه الفرية من ناحية اللغة العربية. فقد قال الشيخ عبده إن وصف العرب لأهتهم بالغرنیق لم يرد لافي نظمهم ولا في خطبهم، ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جاريا على ألسنتهم إلا ماجاء في معجم ياقوت من غير سند، ولا معروف بطريق صحيح، والذي تعرفه اللغة أن الغرنوق، والغرنوق، والغرنیق، والغرنیق اسم لطائر مائي أسود أو أبيض. ومن معانيه الشاب الأبيض الجميل، ويطلق على غير ذلك، ولا شيء من معانيه اللغوية يلائم معنى الإلهية والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح الكلام الذي يعرض على أمراء الفصاحة والبيان...

ووجه آخر لبطلان هذه القصة من حيث الأسلوب اللغوي السليم هو قول المفتين إن آيات الغرائق جاءت بين الآيات «أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذا قسمة ضيزى»^(٥٠٢)، والآيات «إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى»^(٥٠٣).

ما هذا؟ ذم ثم مدح ثم ذم لذات الشيء. فلو أن القصة صحيحة لكان هناك تناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها، ولما كان النظم مفككا والكلام متناقضا، وهو مما لا يخفى على المتبتئين في تعلم اللغة العربية، دك عن عرب قريش، أهل الفصاحة والبيان^(٥٠٤).

(٥٠١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/٣٦٧).

(٥٠٢) النجم: ١٩ - ٢٢.

(٥٠٣) النجم: ٢٣.

(٥٠٤) انظر القرطبي: فقه السيرة، ص ١١٨، محمد بن شهبة: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة.

(١/٣٧١ - ٣٧٢).

أما الآية التي اقترن تفسيرها بقصة الغرائق: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم﴾^(٥٠٥) فخلاصة ما يقال عنها: إن تفسير البخاري «التمني» بما نقله عن ابن عباس غير ملزم لتعين تفسير «التمني» في الآية بالتلاوة والقراءة، وهو التفسير الذي كان مفتاحاً لباب اختراع أكذوبة الغرائق وما اشتملت عليه من طامات وبلايا، لأن التمني جاء في الآية مطلقاً عن قيد الإضافة إلى الكتاب، فلم يذكر له مفعول قيد به^(٥٠٦).

د - بطلان القصة من حيث الزمان:

ومما ساقه الدكتور الشامي^(٥٠٧) لدحض هذه الفرية هو أن آية سورة الحج، آية التمني هذه، إن لم تكن مدنية، فهي مما نزل بين مكة والمدينة. والحادثة حسب زعم رواتها - مكية، فهل يعقل أن يكون ذلك الزمن غير القصير بين الحادثة وبين نزول الآية التي جاءت تعقيباً عليها؟.

سبب سجود المشركين:

والذي ثبت في الصحيح^(٥٠٨) أن الرسول ﷺ قرأ سورة النجم، في جماعة من المسلمين والمشركين، وخواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب. فلما أخذ صوت الرسول ﷺ يهدر بها ويرعد بنذرها حتى وصل إلى قول الله تعالى ﴿والمؤتفة أهوى. فغشاها ماغشى. فبأي آلاء ربك تتبارى. هذا نذير من النذر الأولى. أزفت الآزفة. ليس لها من دون الله كاشفة. أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون. وأنتم سامدون﴾، كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فها عمالكوا أن

(٥٠٥) الحج. ٥٢.

(٥٠٦) انظر عرجون: محمد رسول الله ﷺ، (٧٥/٢).

(٥٠٧) من معين السيرة، ص ٧٦ - حاشية (٣).

(٥٠٨) البخاري/ الفتح (٢٤٧/١٨ - ٤٨/ح ٤٨٦٢، ٤٨٦٣).

يخرجوا لله ساجدين، مع غيرهم من المسلمين، حتى إن الوليد بن المغيرة - وكان كبير السن - أخذ كفا من البطحاء وسجد عليه.

فلما نكسوا على رؤوسهم وأحسوا أن جلال الإيمان لوى زمامهم، ندموا على ما كان منهم، وأحبوا أن يعتذروا عنه، بأنهم ما سجدوا مع محمد ﷺ إلا لأن محمداً ﷺ عطف على أصنامهم بكلمة تقدير... (٥٠٩).

ب - الهجرة الثانية إلى الحبشة:

عندما عاد بعض من هاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة، ووجدوا أن الابتلاء الواقع على المسلمين أصبح أشد مما كان، ولما رأى الرسول ﷺ حالهم، أذن لهم بالهجرة مرة ثانية. وكانوا هذه المرة نيفاً وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة^(٥١٠). وقيل غير ذلك.

فقد روى الإمام أحمد^(٥١١) أن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: «بعثنا

(٥٠٩) انظر الغزالي. فقه البيرة. ص ص ١١٧ - ١١٨.

(٥١٠) انظر: ابن إسحاق - بدون إسناده - سيرة ابن هشام (٤٠٨/١)، زاد المعاد (٢٦/٣).

(٥١١) المسند (١٨٥/٦) ج ٤٤٠٠/ شاكراً، قال شاكراً: «إسناده حسن» وقال ابن كثير في البداية (٧٧/٣) إن إسناده جيد قوي وسياقه حسن. وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة، إن لم يكن ذكره مدرجاً من بعض الرواة، وقال إنه روي عن أبي إسحاق السبيعي من وجه آخر، عن أبي بردة عن أبي موسى، عند ابن نعيم في دلائله (٢٥٢/١) وجاء في أوله: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننتقل مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة...» وفي أواخره وبعد ذكر إكرام النجاشي لهم قال: «وأمر لنا بطعام وكسوة...» ثم قال ابن كثير (٧٧/٣): «وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل (٢٩٩/٢ - ٣٠٠) من طريق أبي علي الحسن ابن سلام السواق عن عبد الله بن موسى، فذكر بإسناده مثله إلى قوله: «فأمر لنا بطعام وكسوة». قال ابن كثير: «وهذا إسناده صحيح. وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة. والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى. أنهم بلغهم مخرج رسول الله ﷺ وهم باليمن، فخرجوا مهاجرين في بضعة وخمسين رجلاً في سفينة فآلفتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم، فأمره جعفر بالإقامة، فأقاموا عنده، حتى قدموا على رسول الله ﷺ زمن خيبر. قال: وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه. قال: ولعل الراوي وهم في قوله: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننتقل، والله أعلم». قال شاكراً عن تحقيق ابن كثير هذا: «هذا تحقيق جيد...» انظر حاشية المسند (١٨٧/٦) وما قبلها. وعن فديم أبي موسى مع جعفر يوم فتح خيبر، انظر: البخاري/ الفتح (٣٦/١٥) ج ٣٨٧٦. - وسيأتي ذكره في الكلام عن غزوة خيبر إن شاء الله.

أما ابن حجر فقد حاول الجمع بين الروايات، وذلك بأن يكون هاجر أولاً إلى مكة فأسلم فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهي مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة، فهاجت البحر فآلفتهم السفينة إلى الحبشة - (الفتح ٣٢/١٥)...

رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا، فيهم جعفر، وعبدالله بن عرفة وعثمان بن مظعون، وأبوموسى، ... ولم يذكر عدد النساء. وذكر ابن سعد^(٥١٢) أن عدد الرجال ثلاثة وثمانين رجلا وعدد النساء إحدى عشرة امرأة. وذكر ابن إسحاق^(٥١٣) في السير والمغازي أنهم كانوا نيفا وثمانين رجلا، وذكر أسماء ست عشرة امرأة، وذكر في السيرة^(٥١٤) أنهم كانوا ثلاثة وثمانين رجلا، وإذا اعتبرنا من ولدت ربيعة بنت الحارث، فيكون عدد النساء عنده عشرين امرأة، وقد ذكر ابن القيم^(٥١٥) انهن تسع عشرة امرأة، والله أعلم.

ويشهد بقبول ما جاء عند أهل المغازي والسير في عدد المهاجرين هذه المرة، رواية أحمد المذكورة من حديث ابن مسعود.

ج - قریش تسعى لإعادة المهاجرين:

روى ابن إسحاق^(٥١٦) من حديث أم سلمة (رضي الله عنها) في هجرة الحبشة، أنها قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه. فلما بلغ ذلك قریشا اتسمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدلين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(٥١٧)، فجمعوا له أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقه بطريقا

==

وقد ارضى هذا الجمع بعض العلماء، منهم: الصالحى في سيرته. سبل الهدى والرشاد (٥٣٣/٢)، والسعود في رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان: أحاديث الهجرة (ص ٥٠)، والعمدة في رسالته المقدمة لنيل الدكتوراه، السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، ص ٣٠١. ويتفق البخاري ومسلم مع ابن إسحاق على أن عودته كانت مع جعفر والرسول ﷺ بخير، كما سيأتي ذكره في غزوة خيبر.

(٥١٢) الطبقات (٢٠٧/١). بإسناد ضعيف.

(٥١٣) ص. ٢٢٨.

(٥١٤) ابن هشام (٤٠٨/١) بدون إسناد. فهو ضعيف.

(٥١٥) زاد المعاد (٢٦/٣) نقلا عن ابن إسحاق في السيرة وهو ضعيف.

(٥١٦) السير والمغازي، ص ٢١٣ وما بعدها، وابن هشام (٤١٣/١) وما بعدها. وإسناده حسن. وقد

سبق ذكره، وهي من أجود ما روي في هذا الباب.

(٥١٧) الأدم: المجلود، واحدها: أديم.

إلا أهدوا له هدية. ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة^(٥١٨) وعمر بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. فخرجوا حتى قدما على النجاشي... فلم يبق من بطارفته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، وقالوا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم...».

وفي الحديث أن الوفد اتفق مع البطارقة أن يشيروا على النجاشي بأن يسلمهم إليهم ولا يكلمهم. ولكن النجاشي عندما أشبر إليه بذلك رأى أن يدعو المسلمين ويستمتع بنفسه إلى ما يقولونه.

وعندما حضروا أمامه تكلم نيابة عنهم جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فأوضح للنجاشي حقيقة الدين الذي جاء به محمد ﷺ، وموقف قومهم منه.

وعندما طلب النجاشي شيئا مما جاء به ﷺ قرأ عليه جعفر صدر سورة مريم. فبكى النجاشي حتى ابنت لحيته، وبكى أساقفته حتى ابتلت كتبهم التي يحملونها.

ثم قال النجاشي مخاطبا سفيرو قريش: «إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، والله لا أسلمهم إليكما أبدا»^(٥١٩).

(٥١٨) في حديث ابن مسعود عند أحد في المسند (١٨٥/٦) بإسناد حسن، وقد سبق الكلام عليه، وأن الذي بعثوه مع عمرو هو عمار بن الوليد. والذي رجحه عرجون في كتابه محمد رسول الله ﷺ (٢٤/٢) - جمعا بين الروايات - أن قريشا بعثت في أثر المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين بعثة واحدة، كانت في الهجرة الثانية، وكان فيها عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، مبعوثين أصليين، وكان معها رديفا وتايما عمار بن الوليد... انظر كامل المناقشة في كتابه المذكور ٢١/٢ - ٢٤).

(٥١٩) ربا يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو: هل كان النجاشي وأساقفته يعرفون العربية حتى يشعروا هذا الانفعال مع القرآن الكريم؟

يقول السهيلي في الروض الأنف (٩٣/٢) في تعليقه على حديث عائشة (رضي الله عنها) في قصة غلام النجاشي على الحبشة: «وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ملكه، وأن قومه كانوا باعوه إلى تاجر من العرب، فلما مرج أمر الحبشة، أخذوه من سيده، واستردوه. فظاهر الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتي به ببلاد وقد تبين في حديث آخر أن

وعندما خرجا، قال عمرو لعبدالله: «والله لأتيتنه غدا بها بييد خضراءهم».

فلما كان الغد جاء عمرو إلى النجاشي وقال له: «إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما». فأرسل النجاشي إليهم، وعندما جاؤوه سألهم عن قولهم في المسيح، فقال جعفر: «نقول فيه الذي جاءنا به نبينا، هو عبدالله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول».

فأخذ النجاشي عودا من الأرض، وقال لجعفر: «ما عدا عيسى ما قلت قدر هذا العود». ولم يأبه لامتناع بطارفته، فأعطى المسلمين الأمان في بلاده، ورد هدية قريش (٥٢٠).

أخفقت سفارة قريش في مهمتها، ولم تجد قريش أمامها غير التشفي من هم تحت أيديها.

==
سيده كان من العرب وأنه استعبد طويل، وهو الذي يقتضيه قوله: فلما مرج على الحبشة أمرهم وصاق عليهم ما هم فيه... وهذا يدل على طول مدة مغيبه عنهم... وقد روي أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي علم بها من عنده من المسلمين، فأرسل إليهم، فلما دخلوا عليه إذ هو قد لبس مسحا... إلى قوله: «بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر، كثير الأراك كنت أرى فيه الغنم على سيدي، وهو من بني ضمرة، وأن الله قد هزم أعداءه ونصر دينه»، فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب، فمن هنا -والله أعلم- تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم، حين تليت عليه.

قلت. وإذا سلمنا بوجوده فترة من الزمان بالحجاز وعلمنا بوجود علاقات تجارية بين الحبشة والحجاز وإمكان تعلم رجال البلاط الحبشي للغة العربية لأهميتها في هذه العلاقات، كما كان يحدث عند المسلمين حيث إن رسل الرسول ﷺ كانوا يتحدثون لسان من يرسلهم إليهم، وإذا علمنا أن أبانيرز، مولى علي بن أبي طالب، كان ابنا للنجاشي نفسه، وأن عليا وجده عند تاجر يملكه فاشتره منه وأعتقه مكافأة لما صنع والده مع المسلمين (انظر: السير والمغازي لابن إسحاق ص ٢٢٠)، بإسناد حسن. هذا في رواية، وفي أخرى أن ناسا من الحبشة قدموا مكة -ونزلوا على أبي نيرز مدة شهر، يعرضون عليه الرجوع إلى بلاده ليملكوه. فرفض (المصدر والمكان نفسيهما، بإسناد حسن). إذا علمنا ذلك كله فليس هناك ما يمنع معرفة النجاشي وجماعته العربية. إضافة إلى أن الواقع المشاهد في البلاد غير العربية، نجد بعض المسلمين يخطون القرآن عن ظهر قلب ويتفعلون معه دون فهمهم لمعناه جيدا. وهذا من إعجاز القرآن: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر». وقد شوهد أناس من غير المسلمين ولا يعرفون العربية يتفعلون مع القرآن الكريم. وفي رواية لابن إسحاق عن عروة أن الذي كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان، انظر السير والمغازي، ص ص ٢١٨ - ٢١٩، والمشهور أن جعفرا هو المتكلم -انظر ابن كثير. البداية (٨٤/٣) وهو ما جزم به ابن إسحاق في رده على عروة، قائلا: «وليس كذلك، إنما كان يكلمه جعفر بن أبي طالب» -انظر: ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ٢١٨، معقفا. والروايات في هذا الموضوع تحتاج إلى وقفة متأنية في فرصة أخرى إن شاء الله. (٥٢٠) انظر نص حديث أم سلمة كاملا في السير والمغازي لابن إسحاق، ص ص ٢١٣ - ٢١٦، وابن هشام (٤١٣/١ - ٤١٨).

أما الإسلام فقد كسب إلى جانبه النجاشي وعمرو بن العاص^(٥٢١). ومكث المسلمون ما شاء الله لهم، فعاد من عاد منهم بعد هجرة المسلمين إلى المدينة وقبل وقعة بدر، وهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثلاثي عشرة نسوة^(٥٢٢). وعاد الباقون مع جعفر عندما فرغ الرسول ﷺ من فتح خيبر في العام السابع الهجري^(٥٢٣).

د - حكم وعظات وعبر من هذا المقطع :

(١) إن في هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة دليلاً على مشروعية الهجرة، وهي الانتقال من بلد الكفر حيث يتعذر على العبد أن يعبد الله، إلى دار يتمكن فيها من عبادة الله بدون فتنة. وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.

(٢) إن من أسس ودعامات الدين التضحية بالمال والوطن والنفس في سبيله، لأن الدين إذا فقد لم يغن من ورائه المال والوطن والنفس، بل سرعان ما يذهب كل ذلك أيضاً من ورائه، أما إذا قوي شأنه وقامت في المجتمع دعائمه ورسخت في الأفتدة عقيدته، فإن كل ما كان قد ذهب في سبيله من مال وأرض ووطن يعود أقوى من ذي قبل، حيث يحرسه سياج من الكرامة والقوة والبصيرة. ولذا كانت الهجرة نفسها ضرباً من ضروب العذاب والألم في سبيل الدين وتضحية بالوطن والمال، وتبديل محنة أفسى بأخرى أقل قسوة ريثما يأتي الفرج والنصر.

(٣) يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء أكان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي النصراني، والذي أسلم بعد ذلك، أو كان مشركاً كأولئك الذين عاد المسلمون إلى مكة في حمايتهم، وكأبي طالب الذي حمى الرسول ﷺ، والمطعم ابن عدي الذي حمى النبي ﷺ عندما عاد من الطائف^(٥٢٤).

(٥٢١) يأتي الكلام عن إسلامه فيما بعد وعلاقة ذلك بسفارته إلى الحبشة.

(٥٢٢) البخاري/ الفتح (١٥/٨٧ - ٨٨/ح ٣٩٠٥) والفتح الرباني (٢٠/٢٨٠)، وابن سعد (١/٢٠٧).

(٥٢٣) البخاري/ الفتح (١٥/٣٦ - ٣٧/ح ٣٨٧٦)، وابن سعد (١/٢٠٨).

(٥٢٤) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ص ١٠٠ - ١٠٢.

المبحث السادس والعشرون: إسلام النجاشي:

ذكر ابن إسحاق^(٥٢٥) في رواية له أن النجاشي لما مات كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور. ويفهم من هذه الرواية الصحيحة أنه قد أسلم. وذكر في رواية أخرى أن قومه خرجوا عليه لأنه أسلم، وقبل أن يخوض حرباً ضدهم هياً للمسلمين سفناً ليركبوها إذا انهزم، وكتب كتاباً يشهد فيه بإسلامه.. وبلغ ذلك النبي ﷺ. فلما مات النجاشي استغفر له^(٥٢٦). وهذا الذي ذكره ابن إسحاق موافق في جوهره لما في الصحيحين فيما يتعلق بإسلام النجاشي. فقد روى البخاري^(٥٢٧) ومسلم^(٥٢٨) أن الرسول ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، في العام التاسع الهجري، وصلى بالمسلمين صلاة الغائب عليه. وروى البخاري^(٥٢٩) ومسلم^(٥٣٠) أيضاً أن الرسول ﷺ قال: «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلهم فصلوا عليه».

وفي رواية لمسلم^(٥٣١)، قال الرسول ﷺ: «إن أخاً لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه...». وهذا الحديث صريح في أنه مات على الإسلام. وهذا النجاشي الذي أسلم ليس بالنجاشي الذي كتب إليه الرسول ﷺ عندما كتب إلى عامة الملوك والرؤساء، بدليل رواية عند مسلم^(٥٣٢)، ولم يذكر ذلك في روايتين أخريين عنده، مما جعل الشيخ الأرنؤوط^(٥٣٣) يميل إلى أن

(٥٢٥) ابن هشام (٤٢٠/١)، وإسناده صحيح.
(٥٢٦) ابن هشام (٤٢١/١)، بإسناد مرسل حسن، ومخالف لحديث أم سلمة. وقد روى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وقال: «استغفروا لأخيكم» الفتح (٢٤٢/٦) ح/١٣٢٧ وفي هذا الحديث تصريح بأنه النجاشي، ومسلم (٦٥٧/٢) ح/٩٥١.
(٥٢٧) الفتح (١٤١/٦) ح/١٢٤٥ - انظر كلام ابن حجر في الفتح (٢٢٨/٦ - ٢٣٠) عن إسلامه.
(٥٢٨) الفتح (٦٥٦/٢) ح/٩٥١ وفي هذا الحديث تصريح بأنه النجاشي، وفي روايتين أخريين ذكر اسمه أصحمة (٢٢٨/٦) ح/٩٥٢.
(٥٢٩) الفتح (٦٥٧/٢) ح/١٣٢٠.
(٥٣٠) مسلم (٦٥٧/٢) ح/٩٥٢ واللفظ للبخاري، أما لفظ مسلم: «مات اليوم عبد صالح - أصحمة...».
(٥٣١) ٦٥٧/٦ - ٥٨ ح/٩٥٣.
(٥٣٢) الصحيح (١٣٩٧/٣) ح/١٧٧٤.
(٥٣٣) حاشيته على إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون، ص ٥٤.

النجاشي الذي صلى عليه الرسول ﷺ هو ذات النجاشي الذي أرسل إليه، لأن كتب التاريخ لا تذكر سوى خبر نجاشي واحد.

المبحث السابع والعشرون: إسلام حمزة وعمر بن الخطاب:

أ - إسلام حمزة:

لم يوقف اضطهاد المشركين للمسلمين دخول صناديد قريش في الإسلام. ففي هذا الجو المشحون بالأحقاد على المسلمين عامة والرسول ﷺ خاصة، شاء الله تعالى أن يكون حقد أبي جهل على الرسول ﷺ سببا في إسلام حمزة عم الرسول ﷺ واحد أشداء قريش. فقد روى ابن اسحاق^(٥٣٤) وابن سعد^(٥٣٥) أن أمة لعبدالله بن جدعان أخبرت حمزة أن أبا جهل قد أساء إلى ابن أخيه محمد ﷺ إساءات بذيئة. فلم يتردد في المجيء إلى أبي جهل وهو في مجلسه من قومه، فضربه بالقوس على رأسه فشجه شجرة منكرة، وقال له: «أنتشمة وأنا على دينه؟»... فكانت تلك بداية انشراح صدر حمزة للإسلام.

وعندما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنع عنه الأذى، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه^(٥٣٦).

وكان إسلام حمزة بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم في السنة السادسة من النبوة^(٥٣٧).

ب - إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

لقد كان عمر من ألد خصوم الإسلام، وكان معروفا بحدة الطبع وقوة

(٥٣٤) ابن هشام (١/٣٦٠ - ٣٦١)، وإسناده منقطع، والسير والمغازي، ص ص ١٧١ - ١٧٢، بإسناده منقطع، ورواه الحاكم في المستدرک (٣/١٩٣) من طريق ابن إسحاق، وسكت عليه هو والذهبي. وإسناده منقطع أيضا. ولذا فالأسانيد ضعيفة

(٥٣٥) الطبقات الكبرى (٣/٩) من طريق الواقدي - وهو متروك في الحديث، ولم يذكر من نقل إساءة أبي جهل إلى النبي ﷺ وزاد أن من أساء إلى النبي ﷺ أيضا: عدي بن الحمراء وابن الأصداء، وذكره الميمني في المجمع (٩/٢٦٧) من رواية الطبراني بإسنادين مرسلين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، ورجال الآخر ثقات.

(٥٣٦) ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ١٧٢. وإسناده منقطع فهو ضعيف.

(٥٣٧) ابن سعد: الطبقات (٣/٩) من رواية الواقدي. إذن فهو ضعيف جدا.

الشكيمة وكثيرا ما لقي بعض المسلمين منه صنوفا من الأذى والتنكيل.
قال سعيد بن زيد، قريبه وزوج أخته: «والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي وأخته على الإسلام قبل أن يسلم...» (٥٣٨). وفي رواية: «لو رأيتني موثقيا عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم...» (٥٣٩).
وروى ابن إسحاق (٥٤٠) أن ليل - أم عبدالله - زوجة عامر بن ربيعة، قالت: «والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته، إذ أقبل عمر - وهو على شركه - حتى وقف عليّ وكنا نلقى منه البلاء، فقال: أتنتلقون يا أم عبدالله؟ قالت: نعم وألله لنخرجن في أرض الله، فقد آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجا. قالت: لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا... قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت نعم. فقال: لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب»، وذلك لما كان يراه عامر من شدة عمر وغلظته على المسلمين.

وفي هذا الخبر دليل على نوازع الفطرة السليمة التي كانت تصطرع في نفسه مع غشاوات الجاهلية، إلى أن حانت ساعة جلاء هذه الغشاوة عن فطرته السليمة، فدخل في الإسلام، وتحولت شدته من شدة في الباطل إلى شدة في الحق.

وعندما شرح الله صدره للإسلام قال: «أي قريش أنقل للحديث؟» فقبل له: جميل بن معمر الجمحي، فجاءه عمر فأخبره بإسلامه. فأسرع جميل إلى الكعبة، وصرخ في القوم بأعلى صوته، قائلاً: «ألا إن عمر صبأ»، وعمر خلفه يقول: «كذب، ولكن قد أسلمت...» ودخلوا معه في عراك طويل

(٥٣٨) روى ذلك أحمد في فضائل الصحابة (٢٧٨/١) وصحح المحقق إسناده.

(٥٣٩) رواه البخاري/ الفتح (٢٥/١٥) ح (٣٨٦٧).

(٥٤٠) السير والمغازي، ص ١٨١، وابن هشام (٤٢٣/١) بإسناد حسن. ورواه أحمد في فضائل الصحابة (٢٧٩/١) من طريق ابن إسحاق، ولكنه لم يصرح باسم شيخ ابن إسحاق.

حتى أنقذه الله منهم بالعاص بن وائل السهمي^(٥٤١).

أما القصة المشهورة في سبب إسلامه والتي تقول إنه كان في طريقه إلى عمه عليه السلام لينال منه، فلقه رجل علم منه ما يريد فتعجب منه لأنه لا يعلم بإسلام أخته وزوجها. فغضب عمر وذهب إلى أخته وزوجها ووجد معها خباباً... فضربها حتى سال الدم منها، ثم وجد معهم آيات من سورة طه، فقرأها بعد أن أمرته أخته بالاعتسال إذا أراد مسها... ثم أسلم وذهب إلى الرسول ﷺ ليعلن إسلامه... ورد جوار خاله العاصي ليضرب ويضرب كما هو حال المستضعفين من المسلمين إلى أن أعز الله الإسلام... هذه القصة لم ترد بإسناد صحيح مقبول عند المحدثين، وإن كان بعض أجزائها قد ورد بأسانيد حسنة. فقد ضعفها وصي الله^(٥٤٢) وهمام وأبوصعيليك^(٥٤٣) وغيرهم. لقد كان إسلام عمر استجابة من الله تعالى لدعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به، وهو: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب»^(٥٤٤).

(٥٤١) أحمد: فضائل الصحابة (٢٨١/١ - ٢٨٢)، وحسن المحقق إسناده. وفي رواية مختصرة عند أحمد في الفضائل (٢٨٢/١ - ٢٨٣)، أن العاصي بن وائل أجار عمر عندما اجتمع الناس عليه يؤذونه. وقد حسن المحقق إسناده. وروى البخاري من حديث ابن عمر أن الناس اجتمعوا عليه عند داره عندما أسلم وأجاره العاصي بن وائل - انظر: الفتح (٢١/١٥) ح (٣٨٦٥). وفي رواية أنهم كانوا في طريقهم إليه ليؤذوه عندما علموا بإسلامه فأجاره العاصي، فرجعوا عنه - الفتح (٢٠/١٥).

ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤٢٨/١ - ٤٢٩)، والسير والمغازي، ص ١٨٤. (٥٤٢) انظر حاشيته على فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢٨٥/١ - ٢٨٦). (٥٤٣) انظر حاشيتها على سيرة ابن هشام (٤٢٥/١) - والقصة رواها هنا ابن إسحاق بدون اسناد، وانظر الذهبي: السيرة، ص ١٧٩، حيث ضعف إسناده. ورواها ابن سعد (٢٦٧/٣ - ٢٦٩) من غير طريق ابن إسحاق، بإسناد ضعيف كما ذكر الهيثمي في المجمع (٦٣/٩ - ٦٥)، وأبو نعيم في الدلائل (٢٤١/١) بإسناد ضعيف جداً لأن فيه إسحاق بن عبد الله أبي فروة، وهو متروك. واستفاض ذكر هذه القصة عند أهل المغازي والسير دليل على أن لها أصلاً تاريخياً فلا مانع من قبولها تاريخياً.

(٥٤٤) رواه أحمد في مسنده (٩٥/١) بإسناد حسن - انظر: الفتح الرباني (٢٣٠/٢٠)، وعبد بن حيد في منتخب مسنده، ص ٢٤٥، حديث رقم ٧٥٩، والترمذي بإسناد صحيح - انظر: صحيح سنن الترمذي (٢٠٤/٣) وقال الألباني: «صحيح»، والبيهقي في الدلائل (٢١٦/٢) رواية الترمذي والحاكم في المستدرک (٨٣/٣) من حديث عائشة، وسكت عنه هو والذهبي، ومن حديث ابن عباس بلفظ: «اللهم أعز الإسلام بعمره»، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والذهبي في سيرته، ص ١٧٢، ورواه يونس بن بكر من غير طريق ابن إسحاق، انظر السير والمغازي لابن إسحاق، ص ١٨٥، وإسناده ضعيف لضعف النظر أبي عمر، وهو ابن عبد الرحمن الخزار الكوفي... وخلاصة القول إن الحديث صحيح.

فقد أعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب. وفي هذا روى البخاري^(٥٤٥) عن ابن مسعود أنه قال: «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب». ورويت آثار كثيرة في إعزازه الإسلام، دلت على دوره الكبير في نصرته الإسلام، من ذلك:

روى ابن إسحاق^(٥٤٦) عن عمر (رضي الله عنه)، قال: «لما أسلمت تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة، قال: قلت: أبوجهل، فأثيت حتى ضربت عليه بابه، فخرج إليّ، وقال: أهلا وسهلا، ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك أنني قد آمنت بالله وبرسوله محمد ﷺ، وصدقت بما جاء به. قال: فضرب الباب في وجهي، وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به».

وروى ابن مسعود قال: «إن إسلام عمر كان فتحا وإن هجرته كانت نصرا وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه»^(٥٤٧). وروي عن صهيب الرومي أنه قال: «لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا، وطفنا بالبيت، واتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به»^(٥٤٨).

وروي عن ابن عباس أنه قال: «لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا»^(٥٤٩).

(٥٤٥) الفتح (١٤/١٨٦) ح (٣٦٨٤). لقد كان إسلامه في سنة ست أو سبع من المبعث كما ذكر ابن حجر في شرحه لهذا الحديث. وانظر: طبقات ابن سعد (٣/٢٦٩ - ٢٧٠) حيث ذكر هذا الحديث وتاريخ إسلام عمر.

(٥٤٦) ابن هشام (١/٤٣٠) وفي إسناده جهالة، إذ أنه لم يسم أحد رواه، وبقي رجاله ثقات فهو إذن ضعيف.

(٥٤٧) ابن هشام (١/٢٢٢) من رواية ابن إسحاق بإسناد ضعيف. وابن سعد (٣/٢٧٠) بإسناد ضعيف.

(٥٤٨) ابن سعد (٣/٢٦٩) من رواية الواقدي. فهو ضعيف جداً.

(٥٤٩) أحمد بن حنبل. فضائل الصحابة (١/٢٤٨) بإسناد ضعيف.

وروي أن رسول الله ﷺ سماه الفاروق^(٥٥٠)، أي الذي فرق بين الحق والباطل.

على الرغم من أن هذه الآثار لا تقبل بميزان المحدثين إلا أنه لا بأس من الاستئناس بها فيما لا يترتب عليه حكم شرعي أو لا يمس العقيدة. وما لا خلاف فيه أن إسلام عمر كان إعزازا للإسلام، لقول الرسول ﷺ: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب».

ج - عظات وعبر وحكم من هذا المقطع:

١ - إن الرجال ذوي القوة والشكيمة في المجتمع الجاهلي يمكن أن يكونوا سندا قويا للدعوة الإسلامية إذا أسلموا... ولذا كان الرسول ﷺ حريصا على إسلام رجال أمثال أبي جهل وعمر بن الخطاب، وقال إن خيار الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا^(٥٥١)... فليحرص الدعاة دائما على عدم إهمال دعوة الشخصيات القوية والمؤثرة في مجتمعاتها، لأن إسلام هذه الشخصيات سوف يزيل الكثير من التردد الذي يقع فيه من يأتمرون بأمرهم أو يقتدون بهم، كما هو واقع في كل زمان ومكان، وكما حكى عن ذلك القرآن، في مخاطبة الكفار الذين أضلهم الزعماء والسادة والكبراء: ﴿يَوْمَ تُقْلَبُ وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا. وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلُّوننا السبيلا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا^(٥٥٢)﴾. ولا تقتصر الدعوة على زعماء المشركين وآحادهم، بل لابد

(٥٥٠) قال الذهبي في سيرته: ص ١٧٩: (ويروي عن ابن عباس بإسناد ضعيف، قال: «سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق؟» فذكر قصته عند إسلامه وضربه اخته وخخته وذهابه إلى الرسول ﷺ في دار الأرقم، وفي نهاية الخبر قوله: فسأني رسول الله ﷺ) «الفاروق». وروى ابن سعد (٢٧٠/٣) بإسناد ضعيف أن الرسول ﷺ سماه الفاروق. انظر ابن الجوزي: تاريخ عمر ابن الخطاب، ص ٢٣، ٣٠ - ٣١.

(٥٥١) البخاري/ الفتح ١٣/١٦١ ح (٣٣٧٤).

(٥٥٢) الأحزاب: ٦٦ - ٦٨.

أن تتعدى إلى الزعامات المنحرفة عن الإسلام والتي تقود شعوبها أو أحزابها إلى غير طريق الإسلام في مجالات الحياة المختلفة.

٢ - إن في نهوض الرسول ﷺ للقاء عمر بن الخطاب عندما جاء إلى المسلمين في دار الأرقم، وأخذه بحجزته^(٥٥٣) أو يجمع رداءه ثم جبذه جبنة شديدة، ثم تهديده. إن في هذا مثلاً عالياً للشجاعة في موطن الشدة. وهو ما ستلمسه يتكرر في مواطن أخرى كثيرة، مثل موقفه يوم أحد ويوم حنين.

المبحث الثامن والعشرون:

أ - المقاطعة العامة:

لما رأت قريش أن عدد الداخلين في الإسلام ازداد، وأن وسائلها وأساليبها السابقة في محاربتهم وقمعهم لم تجد شيئاً، خاصة بعد إسلام حمزة وعمر، أعادت النظر في تلك الأساليب والوسائل، ثم اتخذت أسلوباً آخر، أقسى وأشمل من الأساليب السابقة، وهو أسلوب المقاطعة العامة^(٥٥٤).

قال ابن إسحاق^(٥٥٥) وموسى بن عقبة^(٥٥٦) وعروة بن الزبير^(٥٥٧) وابن سعد^(٥٥٨) وغيرهم من أصحاب المغازي إنه لما رأت قريش أن الصحابة قد نزلوا أرضاً أصابوا بها أمناً وأن عمر وحمزة أسلموا، وأن الإسلام فشا في

(٥٥٣) يعني مقعد السراويل والإزار. والإشارة هنا إلى الخبر المشهور في قصة إسلام عمر (رضي الله عنه) من رواية ابن إسحاق وابن سعد كما سبق الإشارة إلى هذا قبل قليل وقتلنا إنها ضعيفة الإسناد، وغير مقبولة حديثاً، وإن استغاضة ذكرها عن أهل المغازي والسير يدل على أن لها أصلاً.

(٥٥٤) سبق القول إن المقاطعة العامة كانت أسلوباً من أساليب محاربة الإسلام - الأسلوب الرابع عشر. (٥٥٥) ابن هشام (٤٣٠/١) بدون إسناد، السير والمغازي، ص ١٥٦ - ١٦٧ - بدون إسناد. فهو إذن ضعيف.

(٥٥٦) نقله عنه ابن حجر في الفتح (٣٨/١٥)، وهي عند البيهقي في الدلائل (٣١١/٢) موقوفة على الزهري.

(٥٥٧) مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، جمع وتحقيق الأستاذ الدكتور/ محمد مصطفى الأعظمي، ص ١١٤ - ١١٦، بإسناد فيه ابن شيمعة وموقوف على عروة، وعن عروة رواه أبو نعيم في الدلائل (٢٧٢/١ - ٢٧٥).

(٥٥٨) الطبقات (٢٠٨/١ - ٢١٠) من طريق الواقدي. وانظر تفاصيل المقاطعة في هذه المصادر المذكورة، فهي مطولة جداً، وما ذكرناه هنا مختصر جداً.

القبائل، أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم^(٥٥٩) ومنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية. فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واثتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ. ففعلوا ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وكان كاتبها منصور بن عكرمة، الذي دعا عليه الرسول ﷺ فشلت بعض أصابعه، ويقال النضر بن الحارث، وقيل طلحة بن أبي طلحة^(٥٦٠). فانحازت بنوهاشم وبنوالمطلب إلى أبي طالب. فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب، فكان مع قريش. وقيل كان ابتداء حصرهم في المحرم سنة سبع من المبعث. فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا. وجزم موسى بن عقبة^(٥٦١) بأنها كانت ثلاث سنين، حتى جهدوا، ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية، حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئا من الصلوات، إلى أن قام في نقض الصحيفة نفر من أشدهم في ذلك ضيقا، وهم: هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وزمعة بن الأسود وأبوالبختري بن هشام بن الحارث. وكانت تربطهم ببني هاشم والمطلب صلوات الأرحام. وذكر ابن هشام^(٥٦٢) أنهم وجدوا الأرضة قد أكلت جميع ما فيها إلا اسم

(٥٥٩) الشَّعْبُ: الطريق في الجبل، وسيل الماء في بطن الأرض.
(٥٦٠) قال السهيلي في الروض (١٢٧/٢): «ان النسب من قريش يقولون إنه بغض بن عامر ابن هاشم بن عبد الدار. والقول الثاني: إنه منصور بن عبد شحيل بن هشام من بني عبد الدار أيضا، وهو خلاف قول ابن إسحاق، ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير هذين القولين، والزبيرون أعلم بأنساب قومه». وقد اختار ابن القيم قول السهيلي بأنه بغض بن عامر - الزاد (٣٠/٣).
(٥٦١) ابن حجر: الفتح (٣٨/١٥)، الذهبي: السيرة، ص ٢٢١ وما بعدها، ابن سعد (٢٠٨/١) - (٢١٠) وأسانيدهم ضيقة.
(٥٦٢) السيرة (٢٠/٢) بإسناد ضعيف.

الله تعالى. وأما ابن إسحاق (٥٦٣) وموسى بن عقبة (٥٦٤) وعروة (٥٦٥) فذكروا عكس ذلك. قالوا إن الأرضة لم تدع اسمها لله إلا أكلته، وبقي ما بها من الظلم والقطيعة. والمعنى المقصود عندهم جميعا واحد، وهو أنهم أرادوا أن يقولوا أن اسم الله تعالى لا يجتمع مع عبارات الظلم والقطيعة.

قال السهيلي (٥٦٦): «وفي الصحيح (٥٦٧): أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط (٥٦٨) وورق السمرة، حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة، وكان فيهم سعد بن أبي وقاص. روي أنه قال: لقد جعت حتى أرى وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وما أدري ما هو إلى الآن».

وفي رواية يونس (٥٦٩) أن سعدا قال: «لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجت من الليل أبول، فإذا أنا أسمع قعقة شيء تحت بولي فنظرت فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها، فرفضتها بين حجرين، ثم استفتفتها، فشربت عليها الماء، فقويت عليها ثلاثا».

وكانوا إذا قدمت العبر مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام لعِياله، فيقوم أبولهب - عدو الله - فيقول: «يا معشر التجار: غالوا على أصحاب محمد، حتى لا يدركوا معكم شيئا، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم»، فيزيدون عليهم في السلعة أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله، وهم يتضاغون من الجوع، وليس في يديه شيء يطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب فيريحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس،

(٥٦٣) ابن هشام (١٩/٢). السير والمغازي، ص ١٦١ - بدون إسناد. فهو ضعيف.

(٥٦٤) ابن حجر: الفتح (٣٨/١٥) بإسناد ضعيف.

(٥٦٥) مغازي رسول الله ﷺ لعروة، ص ١١٦، وسنده موقوف على عروة، ولم يرد خبر أكل الأرضة للصحيفة بإسناد صحيح به - انظر تحقيق هام وأبي صعلك (١٩/٢) فلاسانيد ضعيفة.

(٥٦٦) الروض الأثرف (١٢٧/٢ - ١٢٨).

(٥٦٧) لم ننف على مكانه، والذي وقفنا عليه في غير هذه المناسبة: فقد روى البخاري من حديث سعد: «كنا نغزو مع النبي ﷺ ومائتا طعام إلا ورق الشجر حتى إن أحدا لم يضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط...» - البخاري/الفتح (١٤/٢٣١) ح (٣٧٢٨). وانظر تحرير الحديث في فضائل الصحابة لابن حنبل (٧٥٠/٢) حاشية المحقق.

(٥٦٨) الخبط. ورق المصاة من الطلع والسلام ونحوه، يخبط بالمصاة فيساقط. وكانت تعلمه الإبل.

(٥٦٩) المغازي والسير، ص ١٩٤، بسنده إلى سعد وقد أبهم أحد رواته. وقد أثبتنا هنا النص المطبوع، ويبدو أن السهيلي قد أخذ عن غير هذا النص، فليقارن.

حتى جهد المؤمنون، ومن معهم جوعا وعريا. . . . وهلك من المحاصرين من هلك كما قال ابن عباس (٥٧٠).

وعلى الرغم من هذه المقاطعة وما جرى للمسلمين وراءها من معاناة إلا أن الرسول ﷺ لم يتوقف عن الدعوة، فقد كان يخرج في المواسم، ويلتقي القادمين على مكة، ويعرض عليهم الإسلام، ويعرض ذلك على كل من يتصل به من قومه (٥٧١).

ولما أفسد الله الصحيفة، خرج رسول الله ﷺ ورهطه وصحابته وخالفوا الناس (٥٧٢).

لم يرد ذكر هذه المقاطعة بتفصيل في الصحاح، إذ وردت الإشارة إليها عند البخاري (٥٧٣) مختصرة جدا. فقد روى من حديث أبي هريرة من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري أن الرسول ﷺ قال حين أراد حيننا: «منزلنا غدا إن شاء الله بخيف» (٥٧٤) بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر.

ويروي البخاري (٥٧٥) رواية أخرى من حديث أبي هريرة من طريق شعيب عن الزهري أنه قال حين أردا قدوم مكة: «منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر».

وروى من طريق ثالثة، من طريق الأوزاعي عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال: «من الغد يوم النحر (وهو بمنى) نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر، - يعني بذلك المحصب، وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ - (٥٧٦) . . . »

(٥٧٠) ذكر ذلك أبو نعيم في دلائله (٢٧٩/١) بإسناد منقطع، والمنقطع ضعيف.

(٥٧١) ابن هشام (٤٣٤/١) - بدون إسناد. فهو ضعيف.

(٥٧٢) مغازي عروة، ص ١٦٧، سيرة الذهبي، ص ٢٢٤، وعزاه إلى موسى بن عقبة. والأسانيد ضعيفة.

(٥٧٣) الفتح (٣٨/١٥) ح (٣٨٨٢).

(٥٧٤) الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف في منى . . .

وفيه أقوال أخرى. وأشهر الأخياف: خيف منى ومسجده ومسجد الخيف. قالوا وهو خيف بني

كنانة . . . انظر: محمد بن محمد حسن شراب: المعالم الأثرية في السنة والسيرة، مادة خيف، ص ١١٠

(٥٧٥) الفتح (٢٤٢/٧) ح (١٥٨٩).

(٥٧٦) الفتح (٢٤٢/٧) ح (١٥٩٠). وما بين المعكوفين مدرج من الحديث من قول الزهري كما نيه

إلى ذلك الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث.

قال ابن حجر^(٥٧٧) إنه لا تعارض بين الروایتين الأولین، لأنه یحمل علی أنه قال ذلك حين أراد دخول مكة في غزوة الفتح، وفي ذلك القدوم غزا حنینا.

أما الرواية الثالثة، فقال عنها: «فظاهر أنه قال ذلك في حجة الوداع، فيحمل قوله في رواية الأوزاعي حين أراد قدوم مكة، أي صادرا من منى إليها لطواف الوداع، ويحتمل التعدد».

وروى مسلم^(٥٧٨) من حديث عبدالرزاق عن أسامة بن زيد أنه قال للرسول ﷺ في حجة الوداع عندما دنوا من مكة: «يا رسول الله أين تنزل غدًا؟»، فقال: «وهل ترك لنا عقيل منزلا؟»، وفي رواية أخرى: «وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟».

وهذه الرواية تدل على أنه لم ينزل في داره، ولا يتعارض مع روايات البخاري في أنه نزل بشعب أبي طالب.

ب - عظام وعبر من هذا المقطع:

إضافة إلى ما ذكرته عند الكلام عن العظام والعبر المستفادة من أساليب المشركين فإنني أضيف إلى ذلك هنا:

١ - لا يخلو زمان ولا مكان من أهل المروءة، وعلى الدعاة أن يسعوا دائما إلى الاهتمام بمن يتوسم فيهم هذه الخصلة للاستفادة منهم في أوقات الشدائد والمحن.

٢ - إن أعداء الله في كل زمان ومكان يلجؤون إلى استخدام سلاح محاربة الدعاة في أرزاقهم ليستكينوا ويرجعوا عما يدعون إليه. وهو أسلوب يتفق عليه المشركون والمنافقون. ولو كان المسلمون الأوائل موظفين أو مستخدمين في دولة تحالفهم فيها يدعون إليه، للجات تلك الدولة إلى فصلهم من أعمالهم كوسيلة من وسائل الحرب التي تتخذها ضدهم.

(٥٧٧) الفتح (٣٩/١٥).

(٥٧٨) الصحيح (٢/٩٨٤ ح ١٣٥١).

ولكن الوسيلة المتاحة في ذلك الوقت في هذا الميدان كانت المقاطعة بتلك الكيفية التي وقفنا عليها. وعلى الدعاة أن يعوا هذه الحقيقة بأبعادها المختلفة.

٣- إن ما أصاب الرسول ﷺ من ابتلاءات عزاء لكل مؤمن فيما يصيبه في هذه الحياة من بلاء ومصائب.

٤- لا تكاد تخلو جاهلية من الجاهليات القديمة أو الحديثة من قيم يمكن الاستفادة منها، فقد ضحى بنو هاشم تضحيات كبيرة في سبيل قيمهم الجاهلية الخاصة بحماية القريب، واستفاد الإسلام من هذه التضحيات. وإذا وجدت قيم في مجتمعاتنا المعاصرة، مثل قوانين حقوق الإنسان أو اللجوء السياسي أو الحرية الفكرية، فلا ضير في الاستفادة منها كما استفاد المسلمون الأوائل من مؤازرة بني هاشم لهم في حصار الشعب.

المبحث التاسع والعشرون:

أ - وفاة أبي طالب:

مات أبو طالب سنة عشر من المبعث، بعد الخروج من الشعب بزمان يسير^(٥٧٩). وقيل توفي في رمضان، قبل خديجة (رضي الله عنها) بثلاثة أيام^(٥٨٠)، وقبل الهجرة بثلاث سنين^(٥٨١). وقيل كان بين وفاته ووفاة خديجة شهر وخمسة أيام^(٥٨٢).

وقد ثبت في الصحيح أنه مات كافراً على الرغم من حمايته للرسول ﷺ طوال حياته. فقد روى البخاري^(٥٨٣) ومسلم^(٥٨٤) عن ابن المسيب أن الرسول ﷺ دخل على أبي طالب عندما حضرته الوفاة، فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال له النبي ﷺ: «يا عم قل لا إله إلا

(٥٧٩) ابن سعد (١٨/٨) من رواية الواقدي. فهي ضعيفة جداً.

(٥٨٠) انظر سيرة الذهبي، ص ٢٣٧، عن الحاكم وأنسب الأشراف (٤٠٦/١).

(٥٨١) ابن سعد (١٨/٨) من طريق الواقدي، سيرة ابن هشام (٦٦/٢) بدون إسناد، ولم يذكر الشهر، وقال قبل الهجرة بثلاث سنين. والأسانيد ضعيفة.

(٥٨٢) ابن سعد (٢١١/١) من طريق الواقدي. وهو متروك.

(٥٨٣) الفتح (٤١/١٥) ح (٣٨٨٤).

(٥٨٤) (٥٤/١) ح (٢٤).

الله كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبوجهل وعبدالله بن أبي أمية: «يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟» فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبوطالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله عز وجل ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ (٥٨٥) - الْآيَتَيْنِ، ونزلت: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ (٥٨٦).

وروى مسلم (٥٨٧) أيضا بسنده إلى أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال، قال رسول الله ﷺ لعمه: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: «لو لا أن تعيرني قریش، يقولون إنها حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك». فأنزل الله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

أما الروايات التي تدل على أن أبا طالب قد نطق بكلمة الإسلام عند موته فلم يصح منها شيء (٥٨٨). وما في الصحيح صريح على وفاته كافرا، فلا يعارض.

ب - الحكمة من وفاة أبي طالب قبل قيام الدولة الإسلامية:

١ - سبق القول إن موت أبي طالب كافرا كان لحكمة يعلمها الله تعالى (٥٨٩).

٢ - لقد شاء الله (عز وجل) أن لا يسلم أبوطالب، ويموت قبل الهجرة

(٥٨٥) التوبة: ١١٣. وانظر تفسير هذه الآية في زاد المسير لابن الجوزي (٢٣١/٦ - ٢٣٢) وتحرير

(٥٨٦) القصص: ٥٦. وانظر تفسير هذه الآية في زاد المسير لابن الجوزي (٢٣١/٦ - ٢٣٢) وتحرير المحقق للأحاديث الواردة في هذا الباب، في الحاشية.

(٥٨٧) الصحيح (١/٥٥/ح/٢٤) وقد ذكر ابن إسحاق معنى هذا الحديث في السير والمغازي ص ٢٣٧، ولم يستد.

(٥٨٨) من ذلك رواية ابن إسحاق في أن العباس رأى أبا طالب يحرك شفتيه فأصغى إليه وسمعه يقول ما أمره به الرسول ﷺ. ففي سند ابن إسحاق من لم يسم - انظر السير والمغازي، ص ٢٣٨.

وعن غير هذه الرواية انظر رد ابن حجر في الفتح (٤١/١٥) وفي الإصابة (١١٦/٤ - ١١٩) على من قال من الرافضة بإسلامه. ورد الذهبي في السيرة، ص ٢٣٢ - ٢٣٦.

(٥٨٩) انظر: عنوان «موقف المشركين من الدعوة» - الأسلوب الأول.

بنحو ثلاث سنوات، حتى لا يتوهم أحد أن له مدخلا في دعوة الرسول ﷺ، أو يظن أن المسألة قبيلة أو أسرة وزعامة ومنصب^(٥٩٠). وربما هناك حكم يعلمها الله ولم نتوصل إليها.

فائدة:

يروى أن أبا هب حمى الرسول ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب ونال من أبي الغيطلة عندما سب رسول الله ﷺ، واحتالت قريش عليه ليرفع حمايته عن الرسول ﷺ فأرسلت عقبة بن أبي معيط وأبا جهل إلى أبي هب ليسأل الرسول ﷺ عن عبدالمطلب، فقال له الرسول ﷺ: «مع قومه»، فخرج إليهما أبوهب وقال: «قد سألته، فقال: مع قومه، فقالا: يزعم أنه في النار فقال: يا محمد! أيدخل عبدالمطلب النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «ومن مات على ما مات عليه عبدالمطلب دخل النار، فقال أبوهب: والله لا برحت له إلا عدوا أبدا، وأنت تزعم أن عبدالمطلب في النار، واشتد عند ذلك أبوهب وسائر قريش عليه^(٥٩١).

انظر كيف كان عليه السلام صريحا، لا يجامل ولا يميع قضية الإسلام مهما كانت النتائج.

المبحث الثلاثون : وفاة خديجة:

تباينت الروايات حول تاريخ وفاتها، فقيل: بعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو شهر وخمسة أيام أو بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك. وقيل إن ذلك كان في رمضان من السنة العاشرة من المبعث وقبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وهو المشهور^(٥٩٢).

(٥٩٠) انظر البوطي: فقه النبوة، مرجع سبق ذكره، ص ٥١.
(٥٩١) ذكره ابن كثير في البداية (١٤٧/٣ - ١٤٨) وعزاه إلى ابن الجوزي، ولم يسقه بكامل الإسناد حتى يتم الحكم على إسناده، وكل ما يمكن قوله الآن هو أنه لو كان صحيحا لقطع طريق الخلاف الدائر بين الفقهاء حول حكم أهل الفترة.
(٥٩٢) انظر المبحث السابق (وفاة أبي طالب) وانظر الدكتور قلعة جي: حاشية دلائل النبوة للبيهقي (٣٥٣/٢) حيث ذكر معظم الأقوال في هذا الأمر.

وعندما مات أبوطالب وخديجة في عام واحد وبينهما مدة يسيرة، تابعت المصائب. فقد كان أبوطالب درعا حصينا للنبي ﷺ، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، يسكن إليها عند الشدائد^(٥٩٣). وقد وردت آثار كثيرة تدل على فضلها ومكانتها عند الله ورسوله^(٥٩٤).

وما يروى في ذلك أنه لما هلك أبوطالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياته، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فشر على رأسه ترابا^(٥٩٥)، ودخل على بيته وعلى رأسه التراب، فغسلته عنه إحدى بناته وهي تبكي، والرسول ﷺ يقول لها: «لا تبكي يابنية، فإن الله مانع أبائك»، ويقول بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبوطالب^(٥٩٦)». وقد سبق القول إلى أنهم تجرؤوا على وضع سلا الجزور بين كتفيه وهو ساجد^(٥٩٧).

ولتوالي مثل هذه الآلام في هذا العام، فقد ساء بعض المؤرخين عام الحزن^(٥٩٨)، ولم يرو أن النبي ﷺ ساء بهذا الاسم^(٥٩٩). ونميل إلى أن سبب حزنه هو لشدة ما كابد في هذا العام من الشدائد في سبيل الدعوة، وتضييق قريش الخناق عليه في محاولة منهم لإغلاق أبواب الدعوة في وجهه.

المبحث الحادي والثلاثون: زواجه من سودة (رضي الله عنها):

وعلى الرغم من ظروف المحن والشدائد التي كان يعيشها الرسول ﷺ في

(٥٩٣) السير والمغازي لابن إسحاق، ص ٢٤٣، بدون إسناد، ابن هشام (٦٦/٢) بدون إسناد ولذا فهو ضعيف.

(٥٩٤) سبق إيراد بعض هذه الآثار عند الكلام عن زواجه ﷺ من خديجة (رضي الله عنها). وللمزيد انظر: السير والمغازي ص ٢٤٣ - ٢٤٤، فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٠ - ٨٥٦) فقد استوعب الموضوع جيدا، وزاد ذلك قيمة تخریجات المحقق.

(٥٩٥) ذكر ذلك ابن إسحاق بدون إسناد - ابن هشام (٦٦/٢) فهو ضعيف.

(٥٩٦) ابن هشام (٦٧/٢)، بإسناد حسن ولكنه مرسل.

(٥٩٧) انظر الأسلوب الثاني عشر - الاعتداء الجسدي.

(٥٩٨) تابعهم في هذا الدكتور البوطي في وقفه السيرة، والشيخ المباركفوري في الرحيق، ص ١٣٣. وقد اعترض الشيخ الألباني في «دفاع»، ص ١٨ على هذه التسمية، التي جاءت في حديث رواه القسطلاني في المواهب، ومن رواه صاعد وهو غير ثقة.

(٥٩٩) انظر: الألباني: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص ٨.

هذه الفترة إلا أنه لم يألو جهداً في مواساة أصحابه في مصائبهم.
ففي شوال من السنة العاشرة لمبعثه تزوج سودة بنت زمعة. لقد كانت
سودة من أوائل المسلمين، وهاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة مع زوجها
السكران بن عمرو^(٦٠٠)، فتوفي عنها، وتقديراً لها تزوجها الرسول ﷺ^(٦٠١).
وسأيت ذكر حكمة هذا الزواج عند الكلام عن أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني والثلاثون: أ - هجرته إلى الطائف:

لما هلك أبوطالب ونالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن
تنال منه في حياة عمه أبي طالب، خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس
النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه الإسلام^(٦٠٢).
وروى ابن إسحاق^(٦٠٣) أن الرسول ﷺ عندما ذهب إلى الطائف التفتي
سادة ثقيف يومذاك، أبناء عمرو بن عمير الثلاثة: عبد ياليل ومسعود
وحبيب، وعرض عليهم الإسلام، فلم يقبلوه منه، وسخروا منه، وعندما
يش من خير في ثقيف طلب منهم أن يكتموا عنه ما دار بينهم حتى لا
يشيروا عليه الناس. ولكنهم لم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، فأخذوا
في سبه والصياح به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة
وشية ابني ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف،

(٦٠٠) انظر ترجمته في الإصابة (٥٩/٢) ترجمة رقم (٣٣٣٧).
(٦٠١) انظر ذلك في ترجمتها في الإصابة (٣٣٨/٤ - ٣٣٩) حيث ذكر ابن حجر الأحاديث والآثار
الواردة في ذلك والطبري في تاريخه (١٦١/٣ - ١٦٢)، والإستيعاب (٢٣٢/٤)، والسير والمغازي
لابن إسحاق، ص ٢٥٤، والبداء والنهاية (٣٣١/٥).
(٦٠٢) انظر: ابن هشام (٦٩/٢)، بدون إسناد، أحمد: الفتح الرباني (٢٤٣/٢٠) بإسناد جيد.
(٦٠٣) ابن هشام (٧٠/٢ - ٧٢)، وإسناده حسن مرسل، ولم يستد الدعاء وما بعده، ورواه ابن سعد
(٢١١/١ - ٢١٢) مختصراً، وفي إسناده الواقدي، وفيه بعض الاختلافات، مثل ذكره أنه كان
معه زيد بن حارثة، ولم يذكر الدعاء. ورواه البيهقي في دلائله (٤١٤/٢ - ٤١٧) من طريق
موسى بن عتبة عن الزهري، وهو مرسل عن الزهري، ولم يذكر الدعاء، ورواه الإمام أحمد
(٣٣٥/٤) وفيه الدعاء. وأورد السيوطي الدعاء في الجامع الصغير وعزاه للطبراني ورمز له
بالحسن. وقال الألباني في حاشية فقه السيرة للقرظي، ص ١٣٢، وفي «دفاع»، ص ١٩: «وروى
هذه القصة الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن جعفر مختصراً وفيه الدعاء المذكور بنحوه،
وقال الميمني في المجمع (٣٥/٦)، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة. وبقي رجاله ثقات،
فالحديث ضعيف» لعنينة ابن إسحاق.

وجلس في ظل شجرة عنب، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء الطائف.

فلما اطمأن في جلوسه، قال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت رب، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وعندما رآه ابنا ربيعة على هذه الحال، تحركت فيهما عاطفة الرحم، فأمرأ غلاما نصرانيا يدعى عداسا^(٦٠٤) أن يقدم له عنبا. وتعجب عداس من قول الرسول ﷺ: «بسم الله» قبل أن يأكل. وزال عجبه عندما أعلمه الرسول ﷺ بأنه نبي، فأخذ يقبل رأس النبي ﷺ ويديه وقدميه. وحاول ابنا ربيعة أن يصداه عن النبي ﷺ قائلين له: «لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه».

وفي رواية موسى بن عقبة^(٦٠٥) أن سفهاء الطائف قعدوا للرسول ﷺ صفين على طريقه، فلما مر بين صفيهما جعلوا لا يرفع رجله ولا يضعهما إلا رضخوها بالحجارة، وكانوا أعدوها، حتى أدموا رجله. وكان ذلك من أشد ما لقي الرسول ﷺ في جهاده.

وعندما لاقى الرسول ﷺ ما لاقى من الابتلاء والشدة في الطائف عاد إلى مكة مهموما. وعندما بلغ قرن الثعالب - قرن المنازل - بعث الله إليه جبريل، ومعه ملك الجبال، وجعله رهن إشارته، إذا أراد أن يطبق الأخشيين على أهل الطائف، وكان ذلك دعما معنويا كبيرا له.

(٦٠٤) انظر: ترجمته في الإصابة (٤٦٦/٢ - ٤٦٧/٢) برقم (٥٤٦٨).
(٦٠٥) نقلها عنه البيهقي في الدلائل (٤١٤/٢)، وهو مرسل لأنه موقوف على الزهري، وفي إسناده محمد بن فليح، وهو صدوق بهم كما ذكر ابن حجر: تقريب التهذيب، ص ٥٠٢.

وروى البخاري^(٦٠٦) ومسلم^(٦٠٧) في هذا أن عائشة (رضي الله عنها) سألت رسول الله ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟» قال: «لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبدالمطلب بن عبدكلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت - وأنا مهموم - على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني، فنظرت فإذا بجبريل، فناداني، فقال: «إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم». فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: «يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»^(٦٠٨)، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا».

وجاء دعم معنوي آخر قبل أن يصل مكة. ألا وهو إيمان بعض الجن برسالته. ففي وادي نخلة، قرب مكة، أقام الرسول ﷺ أياما. وخلال هذه الإقامة بعث الله إليه نفرا من الجن، استمعوا إلى القرآن، فأمنوا به. وقد ذكر الله ذلك في سورتي الأحقاف والجن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا: أَنْصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٦٠٩).
﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نَشْرَكَ بربِّنا أحدًا﴾^(٦١٠)... ﴿.

(٦٠٦) الفتح (٣٧/١٣) - ٣٨/ح (٣٢٣١).

(٦٠٧) مسلم (١٤٢٠/٣) ح (١٧٩٥). وهذا الخبر شاعده على أن رواية أهل المغازي والسيرة في شأن هجرته إلى الطائف لما أصل.

(٦٠٨) هما جبلان مكة: أبو نيسب والذي يقابله، وهو جبل قُعبقان، وقيل أبو نيسب والأحر، وجبلا متى - انظر حاشية البداية (١٥٠/٣).

(٦٠٩) الأحقاف: ٢٩ - ٣١.

(٦١٠) الجن: ١ - ١٥.

وقد ثبت خبر قدوم الجن على الرسول ﷺ في الصحيح^(٦١١) أيضا. وذكر ابن حجر^(٦١٢) أدلة تؤيد ما ذهب إليه ابن إسحاق^(٦١٣) وابن سعد^(٦١٤) في أن ذلك كان عندما رجع الرسول ﷺ من الطائف.

لقد شد الله أزر نبيه بهاتين الحادثتين، فقام نشطا في الدعوة إلى الله غير آبه بما يواجهه من أساليب الخصوم. فعندما عزم على دخول مكة في عودته من الطائف قال له زيد: «كيف تدخل عليهم بارسول الله وهم أخرجوك؟» فقال: «يازيد إن الله جاعل لما نرى فرجا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه».

وأرسل في طلب جوار الأخنس بن شريق، فجبن، وتعلل بأنه حليف، والحليف لا يجبر كما يقول. وطلب جوار سهيل بن عمرو فرفض بحجة أن بني عمرو لا تجبر على بني كعب. وأخيرا أرسل في طلب جوار المطعم ابن عدي، فاستجاب لذلك، وتنبأ هو وبنوه لحماية الرسول ﷺ^(٦١٥). وقال حسان بن ثابت في ثابته في رثائه له يشيد بهذا الموقف النبيل:

(٦١١) رواها البخاري/ الفتح (٣١٤/١٨ ح/٤٩٢١)، ومسلم (٣٣١/١ ح/٤٤٩) وقد جمع ابن كثير الروايات الواردة في أسباب نزول هذه الآيات، فانظر تفسيره (٢٧٢/٧ - ٢٨٤)، وانظر دلائل البيهقي (٢٢٥/٢ - ٢٢٣) في ذكر إسلام الجن وما ظهر في ذلك من آيات المصطفى ﷺ ودلائل أبي نعيم (٣٦٣/٢ - ٣٦٦).

(٦١٢) الفتح (٣١٥/١٨ وما بعدها) وله مناقشة طويلة للأخبار الواردة في قصة لقاء الجن بالرسول ﷺ. (٦١٣) ابن هشام (٧٣/٢) وإسناده مرسل حسن من حديث محمد بن كعب القرظي. (٦١٤) الطيقات (٢١١/١ - ٢١٢) من رواية الواقدي وعنده أن ذلك كان في ليل من شوال سنة عشر من حين نبيء رسول الله ﷺ.

(٦١٥) انظر: ابن هشام (٢٤/٢) من روايته، بدون إسناد، وقد أخرج القصة بطولها، وابن كثير في البداية والنهاية (١٥١/٣)، وابن سعد (٢١٢/١) من رواية الواقدي، ولم يتعرض لمحاولات الرسول ﷺ الدخول في جوار الأخنس وسهيل، وعنده أن الرجل الذي أرسله إلى سهيل كان من خزاعة، وعنده ابن كثير في البداية (١٥١/٣) أن الرجل الذي أرسله إلى هؤلاء الثلاثة هو أريقط، وعزا القصة إلى الأموي في مغازيه. قال الألباني في دفاع، ص ١٩: «وقد أخرج القصة باختصار - وفيها الدعاء - الطبراني بإسناده عن ابن إسحاق بسنده عن عبدالله بن جعفر، وابن إسحاق مدلس، وقد عنعنه، ولذلك ضعفت الحديث في (تخريج فقهاء السيرة للفرغلي) ص ١٣٢... أما ابن سعد، فلم يذكر من القصة كلها إلا أحرفا يسيرة. ومع ذلك فهو عنده من قول الواقدي بغير إسناد...».

«أجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك ما لبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها * وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الوفي بخفرة جاره * وذمته يوما إذا ما تذمّا»^(٦١٦)

وحفظ رسول الله ﷺ للمطعم بن عدي هذا الصنيع، ومن قبله صنيعة
في نقض صحيفة المقاطعة، فقال يوم أسرى بدر: «لو كان المطعم بن عدي
حيا ثم كلمني في هؤلاء السنتي لتركتهم له»^(٦١٧).

لم يقيد هذا الجوار حركة الرسول ﷺ وأصحابه في الدعوة إلى الإسلام.
فعندما هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة، خرج أبو بكر (رضي الله عنه)
فيمن خرج مهاجرا إليها، حتى إذا بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة - سيد
القارة - فردّه إلى مكة، وأدخله في جواره، قائلاً له: «مثلك يا أبا بكر لا يخرج
ولا يخرج...» واشترطت عليه قريش أن يأمر أبا بكر فيعبد الله في داخل
داره، ففعل أبو بكر ما طلب منه. وبنى مسجداً في فناء داره لبصلي فيه.
فكان إذا صلى وقرأ القرآن وقف عليه نساء المشركين وأبنائهم، يعجبون منه،
لأنه كان يبكي، وهو يقرأ القرآن. فأفزع ذلك قريشاً خشية إيمان الناس
بالقرآن، فطلبوا من ابن الدغنة أن يطلب من أبي بكر عبادة ربه في داخل

(٦١٦) انظر: ابن هشام (٢٣/٢ - ٢٤) من رواية ابن إسحاق معلقاً، والخفرة العهد. وتذم: أي
طلب الذمة والعهد والجوار. قاله ابن حجر في الفتح (١٥/١٩٤/١٠) وذكر الفاكهي بإسناد حسن
أن حسان بن ثابت رثى المطعم بن عدي لما مات مجازاة له على ما صنع للمني ﷺ.
(٦١٧) رواء البخاري/ الفتح (١٢/٢٢٦ - ٢٢٧/٢٢٧ ح/٣١٣٩). قال ابن حجر في شرح هذا الحديث
(١٥/١٩٤/١٠): «المراد من قوله: لتركتهم له» أي بغير فداء. وبين ابن شاهين من وجه
آخر السبب في ذلك، وأن المراد باليد المذكورة ما وقع منه حين رجع النبي ﷺ من الطائف
ودخل في جوار المطعم بن عدي وقد ذكر ابن إسحاق القصة في ذلك مبسطة. وكذلك أوردها
الفاكهي بإسناد حسن مرسل وفيه أن المطعم أسر أربعة من أولاده فلبسوا السلاح وقام كل منهم
عند ركن من أركان الكعبة، فبلغ ذلك قريشاً، فقالوا له: أنت الرجل الذي لا تحفر ذمتك.
وقيل باليد المذكورة إنه كان من أشد من قام في نقض الصحيفة التي كتبها قريش ضد بني
هاشم ومن معهم من المسلمين. ولم يفضح ابن حجر عن الرواية التي وردت فيها كلمة «اليد»
والغالب أنها عند الواقدي في المغازي (١/١١٠) فقد روى الواقدي هنا بإسناده إلى جبير بن
مطعم، وقال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: لو كان المطعم بن عدي حيا لوهبت له هؤلاء
السنتي، «وكانت لمطعم بن عدي عند النبي ﷺ يد إجارة حين رجع من الطائف» ورجاله ثقات
ما عدا الواقدي، فهو متروك. وأخرجه أبو داود (٣/٦١/٣ ح/٢٦٨٩) وفي لفظه: «لأطلقهم له»،
بدلاً من «لتركتهم له». والحديث بأسانيده الصحيحة يثبت رواية الجوار المشار إليها، فنصح من
هذا الوجه. ويدل الحديث على أن هجرة الطائف أصلاً.

داره من حيث لا يسمعه أحد، وليس في فناء الدار حيث يسمعه الناس. وجاءه ابن الدغنة وقال له: «فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد ذمتي...» فرد عليه أبو بكر قائلاً: «فإني أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله(٦١٨)».

وهذا الموقف يشبه موقف عمر بن الخطاب عندما رد جوار خاله العاصي، رغبة منه أن يكون في جوار الله ورسوله كسائر المستضعفين ممن يرفع الكفار عن إجارتهم(٦١٩).

ب - عظات وعبر:

١ - إن اختيار الرسول ﷺ الثلاثة الذين كانوا سادة ثقيف يومذاك لدليل على أهمية دعوة الزعماء الذين ينساق وراءهم الناس، وعندما رفضوا دعوته علم أن غيرهم سيرفضها، فلذا لم يستغرق مقامه بالطائف وقتاً طويلاً.

٢ - إن صبر الرسول ﷺ على معارضيهِ قد بلغ حداً عظيماً. فعلى الرغم مما واجهه به أهل الطائف من سوء في المعاملة إلا أنه لم يطلب من الله تعالى عقابهم، بل دعا الله (عز وجل) أن يهديهم، فاستجاب الله لدعائه، وذلك بدليل قدوم ثقيف عليه مسلمة بعد حصار الطائف ورجوعه إلى المدينة.

٣ - إن لقاء الجن بالرسول ﷺ بنخلة، دليل على وجود الجن، وأنهم مكلفون، وأن منهم من آمن بالله ورسوله محمد ﷺ ومنهم من كفر ولم يؤمن. وهذا مما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ لحكاية القرآن ذلك.

٤ - لقد كان إيمان الجن برسول الله ﷺ بعد أن ناله ما ناله على أيدي ثقيف تسليمة من الله له أنسته آلامه، وأكدت له أن الله تعالى لن

(٦١٨) انظر الخبر بتمامه من رواية: البخاري/ الفتح (١٥/٨٤/ح ٣٩٠٥)، وهيدالزاق في المصنف (٣٨٤/٥ - ٣٨٩)، والبيهقي في الدلائل (٢/٧١ - ٤٧٣) وابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (٢/٢٤ - ١٥)، وابن إسحاق السير والمغازي، ص ٢٣٥.
(٦١٩) انظر الكلام في المبحث الخاص بإسلام عمر (رضي الله عنه).

يتركه. فإن تخلّى عنه أهل الأرض إلى حين ففي العوالم الأخرى من الجن والملائكة من يشد أزره ويؤمن به، وأن الله الذي حول الجن - وهم في أصلهم من شرار خلق الله، ومن نسل إبليس اللعين - إلى مؤمنين ودعاة إلى هذا الدين الجديد، لقادر على تحويل عتاة كفار قريش وثقيف إلى مؤمنين ودعاة بعد حين. وقد كان ذلك كذلك^(٦٢٠)

٥ - إن من مآثر الجاهلية ذلك العرف الذي كانوا يحترمون، ألا وهو الجوار، وهو ما يعد من مآثر كثير من الدول الحديثة، ويعرف بـ «حق اللجوء السياسي»، بمصطلح «الدبلوماسية» الحديثة. وهو ما يمكن أن يستفيد منه الدعاة لتبليغ دعوتهم إلى الناس.

٦ - إن إسلام عداس دليل على أن الرسول ﷺ لم يرجع من الطائف من دون نتائج إيجابية، بل رجع بما هو خير من حمر النعم، فقد هدى الله عداسا على يديه^(٦٢١)، والرسول ﷺ يقول: «لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم»^(٦٢٢).

٧ - إن في قصة هجرته إلى الطائف وما لاقاه من أذى من سفهاء ثقيف لعظة وعبرة للدعاة الذين يتأسسون بسيرة الرسول ﷺ، فإذا كان الرسول ﷺ لقي ما لقي من المشاق في سبيل إقامة الدين، فمن باب أولى أن يلقي الدعاة أشد من ذلك، فعليهم أن يتهيؤوا لذلك، لأنه طريق الأنبياء والصالحين، ولأن حكمة الله اقتضت أن لا ينتصر هذا الدين بدون عمل وجهد البشر.

(٦٢٠) انظر الدكتور محمد زواس قلعة جي: قراءة جديدة للسيرة النبوية، ص ٩٩.
(٦٢١) انظر: الإصابة (٤٦٦/٢ - ٤٦٧) وقد ساق ابن حجر هنا أدلة على أنه آمن بالرسول ﷺ وهي: رواية ابن إسحاق المذكورة في أول هذا المبحث، وإسنادهما حسن مرسل كما قلنا، ورواية سليمان التيمي في السيرة، وهي بدون إسناد، وروايات أخرى فيها مقال: إما من ناحية السند أو المتن. وروى البيهقي في الدلائل (٤١٥/٢ - ٤١٧) قصة إيمان عداس بالنبي ﷺ من مرسل الزهري، وفيه محمد بن فليح وهو صدوق يمس. وهذه الروايات بمجموعها تنقو وتدلل على أن إسلام عداس أصلا.

(٦٢٢) حديث صحيح، يأتي ذكره في أبحاث أحداث غزوة خيبر.

المبحث الثالث والثلاثون:

أ - الإسراء (٦٢٣) والمعراج (٦٢٤)

تأتي هذه المعجزة تكريماً وثبوتاً للرسول ﷺ بعد وفاة عمه الذي كان يحميه وزوجته التي كانت تواسيه، وبعدما أصابه في الطائف ومكة ما أصابه من الأذى. فهي بعد العام العاشر من البعثة كما تدل على ذلك مجريات الأحداث، ولكن اختلف في تحديد زمانها بعد العام العاشر (٦٢٥).

فقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري (٦٢٦) وعروة بن الزبير (٦٢٧)، أن الإسراء إلى بيت المقدس كان قبل خروج النبي ﷺ إلى المدينة بسنة. وما لا جدال فيه أن الإسراء والمعراج ثابت بالقرآن والسنة.

فقد أشار القرآن الكريم إلى الإسراء والمعراج في سورتي الإسراء والنجم. ففي السورة الأولى ذكر قصة الإسراء وحكمته، في قوله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (٦٢٨).

وذكر في السورة الثانية قصة المعراج وثمرته، في قوله: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (٦٢٩).

(٦٢٣) يقصد به الرحلة المعجزة التي بدأت من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس.

(٦٢٤) يقصد به الرحلة المعجزة التي بدأت من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى.

(٦٢٥) انظر: الأقوال المختلفة في ذلك عند ابن كثير: البداية (١١٩/٣)، وابن حجر: الفتح (٤٩/١٥).

(٦٢٦) و (٦٢٧) مغازي عروة، ص ١٢٠، وأسانيده مرسله. وقد اخترنا رواية الزهري من طريق موسى بن عقبة، ورواية عروة لقول ابن معين: «كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب» ابن حجر: تهذيب (٣٦٢/١٠) ط ١، الهند ١٣٢٥ هـ / ١٣٢٧ هـ، وقول الإمام أحمد: «عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة الذهبي: تذكرة الحفاظ (١٤٨/١) ط ٣، الهند ١٩٥٥ م، وقول الإمام مالك: «عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة» وقوله: «عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي». النووي: تهذيب الأسماء واللغات (١١٨/١)، ويكفيه أنه من رجال البخاري ومسلم. وانظر حاشية الدكتور الأعظمي على مغازي عروة.

(٦٢٨) الإسراء: ١.

(٦٢٩) النجم: ١٣ - ١٨.

إن من أكثر أحداث السيرة بمكة مرويات هي هذه الحادثة، فمجموع رواياتها عند البخاري عشرون رواية، عن ستة من الصحابة (رضي الله عنهم) (٦٣٠). وعند مسلم نحواً من ثمان عشرة رواية، عن سبعة من الصحابة (رضي الله عنهم) (٦٣١).

ولا توجد رواية واحدة تجمع ما ورد من أحداث خلال هذه الرحلة، وإنما هناك روايات أشارت كل واحدة منها إلى بعض الأحداث. ومن خلال مجموع الروايات التي وردت عند البخاري ومسلم وغيرها يمكن تلخيص مضمون تلك الروايات.

١ - شق الصدر

بعد صلاة العشاء من تلك الليلة المباركة نزل جبريل (عليه السلام) وفرج عن سقف بيت الرسول ﷺ بمكة، وشق صدره ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدره، ثم أطبقه ثم أخذ بيده فخرج به (٦٣٢).

٢ - الإسراء:

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته، فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم

(٦٣٠) انظر عرجون: عماد رسول الله ﷺ (٣٥٧/٢).
(٦٣١) المرجع نفسه، (٣٥٩/٢). قال الشامي في السيل (١١٣/٣): «أعلم رحمي الله وإياك أن في حديث كل من الصحابة السابق ذكرهم في الباب السابع ما ليس في الآخر، فاستخرت الله تعالى وأدخلت حديث بعضهم في بعض ورتبت القصة على نسق واحد لتكون أحلى في الأذان والاعيان، وليعم النفع بها في جميع الحالات... فانظر سياقاً للقصة بهذه الكيفية التي ذكرها في الباب الثامن (١١٣/٣ - ١٣٥) والتنبيهات على بعض فوائد تتعلق بقصة المعراج وشرح مشكلها في الباب التاسع (١٣٦/٣ - ٢٤٢) وعددها (١١١) تنبيهاً. وتناول في الباب العاشر صلاة جبريل (عليه السلام) بالنبي ﷺ ليلة الإسراء وكيف فرضت الصلاة.
(٦٣٢) انظر: البخاري/ الفتح (٢٨٤/١٧) ح/٢٨٤، ٤٧٠٩، ٤٧١٠ و (١٥ - ٤٣ ح/٧٠، ٣٨٨٦، ٣٨٨٨) و (٢٤٢/١٨ ح/٢٤٢، ٤٨٥٦، ٤٨٥٨)، ومسلم (١٤٨/١ ح/١٦٣) و (١٥١/١ ح/١٦٤)، ابن عساکر: تهذيب تاريخ دمشق (٣٨٦/١ - ٣٨٧)، وقال الذهبي في السيرة «هذا حديث حسن غريب».

دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فأتاني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: أصبت الفطرة. قال: ثم عرج بي... (٦٣٣) وفي رواية أخرى انه صلى بالأنبياء قبل المعراج، ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء (عليهم السلام) فأمرهم رسول الله ﷺ تلك الليلة (٦٣٤).

٣ - المعراج:

ثم عرج به إلى السماوات، وفي كل سماء يستفتح جبريل، ثم يسأل، ومن معك؟ فيقول: «محمد» فيرحب به. فرأى في السماء الدنيا آدم، وفي الثانية عيسى ويحيى، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم، مستندا إلى البيت المعمور، ثم ذهب إلى سدره المنتهى وفرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم واللييلة، وفي طريق عودته من معراجه، انتهى إلى موسى، فسأله موسى: «ما فرض ربك على أمتك؟» فأخبره، فطلب منه موسى أن يرجع إلى ربه فيسأله التخفيف، ففعل وخفف الله عنه خمس صلوات. ثم ما زال صاعدا ونازلا بين ربه وموسى، وفي كل مرة يطلب منه موسى أن يرجع لربه ليخفف عنه، حتى خففها الله، فأصبحت خمس صلوات. وعندما طلب منه موسى الرجوع بعد هذا، قال: «قد سألت ربي حتى استحييت» فنادى مناد: «قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي» (٦٣٥).

وفي رواية أنس عن أبي ذر، قال بعد ذكر السماوات: «ثم عرج بي حتى

(٦٣٣) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٠/٢٥١ - ٢٥٢) وإسناده صحيح، والبخاري/ الفتح (٢١/١٧٦) ح (٥٥٧٦)، ومسلم (١/١٤٥/١ ح ١٦٢)، وانظر: البخاري/ الفتح (٢١/١٧٦) ح (٥٦١٠).
(٦٣٤) رواه البيهقي في الدلائل (٢/٣٨٨)، وقال الدكتور قلعة جي في الحاشية (٢/٣٨٧): «تضافرت الروايات على أنه ﷺ صلى بالأنبياء قبل العروج، قال ابن حجر: «وهو الأظهر»، وقال: «أثبت الصلاة في بيت المقدس الجمهور من الصحابة». وانظر أحاديث هذا الباب عند الإمام أحمد: الفتح الرباني (٢٠/٢٤٤ - ٢٦٤)، أبواب قصة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ.
(٦٣٥) البخاري/ الفتح (١٣/٢٤ ح ٣٢٠٧)، مسلم (١/١٤٩ ح ١٦٣)، أحمد: الفتح الرباني (٢٠/٢٤٧ - ٢٤٨) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة، وإسناده صحيح، والنسائي (١/٢١٧).

ظهرت في مستوى أسمع فيه صريف الأقلام، ثم ذكر فرض الصلاة، وقال: «ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ماهي؟ ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبات اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»^(٦٣٦). وتناول النووي^(٦٣٧) قضية رؤية محمد ﷺ الله (عز وجل) في المعراج واختلاف العلماء في ذلك، ثم رجح أن الرسول ﷺ رأى ربه، استنادا إلى حديث ابن عباس في هذا، الذي قال فيه: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين». قلت: وهذا الشاهد يؤيد من يقول بعدم الرؤية.

٣ - العودة:

يتبين من الروايات أن طريق العودة كان من السماوات العلا إلى بيت المقدس ثم إلى مكة. فقد روى الترمذي عن شداد بن أوس: «... ثم انصرف بي فمرنا بغير لقريش بمكان كذا وكذا، قد أضلوا بغيرا لهم، قد جمعه فلان، فسلمت عليهم فقال بعضهم: هذا صوت محمد، ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة»^(٦٣٨).

كانت وسيلة الإسراء البراق، بينما في المعراج استعملت الروايات الفعل المبني للمجهول «عرج»، فلم تبين الوسيلة، وفي بعضها: «نصب لي المعراج»، قال ابن كثير^(٦٣٩): «وهو السلم، فصعد فيه إلى السماء، ولم يكن الصعود على البراق كما توهمه البعض».

موقف قريش من الإسراء والمعراج:

خشي الرسول ﷺ أن يكذبه قومه، فأصبح في ذلك اليوم مهموما.

(٦٣٦) البخاري/ الفتح (٩/٣ ح ٣٤٩)، مسلم (١/١٤٩ ح ١٦٣).
(٦٣٧) شرحه على صحيح مسلم (٤/٣ - ١٥/١٥ ك. الإيمان/ب. معنى قول الله (عز وجل) «ولقد رآه نزلة أخرى». وانظر ابن كثير: التفسير (٤٢٢/٧ - ٤٣٠) قصة الرؤية وبمن تناول هذه القضية أيضا الشامي: السبل (٨٢/٣ - ٩٣) وناقش الأدلة المختلفة ولعله من الجماعة التي ذهبت إلى الوقف في هذه المسألة ولم يجزوا بنفي أو إثبات لتعارض الأدلة...
(٦٣٨) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣٥٥/٢ - ٣٥٧) من رواية الترمذي بإسناده إلى شداد بن أوس، وقال البيهقي: «هذا إسناده صحيح».
(٦٣٩) البداية والنهاية (١٢٢/٣).

فجلس إليه أبوجهل وهو في هذه الحال، وسأله مستهزئاً، «هل كان من شيء؟» فأخبره النبي ﷺ بالإسراء. فلم يشأ أن يكذبه ساعتئذ خشية أن يكتنم ذلك أمام الناس، واكتفى بقوله: «أرايت إن دعوت قومك إليك، أتحدثهم بما حدثتني؟»، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فأسرع إلى قومه، فدعاهم، فجاؤوا إليه، وطلب منه أبوجهل أن يحدثهم فحدثهم. فتعجبوا من حديثه، وطلب منه من رأى المسجد الأقصى أن يصفه لهم. فرفعه الله له، فأخذ يصفه لهم، وهو ينظر إليه، فقالوا: «أما النعت فقد والله أصاب» (٦٤٠).

وفي رواية أنهم استنكروا أن يذهب الرسول ﷺ إلى الشام ثم يعود في ليلة واحدة، وهم يذهبون ويعودون في مدة شهرين، ولذا ارتد ناس ممن كان قد أسلم (٦٤١).

أما أبوبكر فعندما أخبر بالخبر، صدقه دون تردد، قائلاً: «والله لئن كان قاله لقد صدق، وما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فهذا أبعد مما تعجبون منه»، ثم أقبل على النبي ﷺ يسأله عن وصفه، وكلما ذكر شيئاً قال: صدقت. أشهد إنك رسول الله... فقال النبي ﷺ: «وأنت يا أبا بكر الصديق»، فيومئذ سمى الصديق (٦٤٢).

الأدلة على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً:

قال القاضي عياض (٦٤٣): «اختلف العلماء في الإسراء والمعراج برسول

(٦٤٠) البحاري/ الفتح (١٧/٢٨٤ ح/٤٧١٠)، وسلم (١٥٦/١ ح/١٧٠) وأحمد. الفتح الرباني (٢٠٠/٢٦٢ - ٢٦٣) من حديث ابن عباس بإسناد صحيح، واللفظ لأحمد وانظر تخريج الساعدي للحديث، والبيهقي في الدلائل (٢/٣٦٣ - ٣٦٤) وغيرهم.

(٦٤١) انظر ابن هشام (٤٥/٢) من رواية ابن إسحاق، معلفاً. وخبر ارتداد بعض المسلمين جاء في أحاديث صحيحة، من ذلك ما رواه الحاكم في المستدرک (٣/٦٢ - ٦٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٦٤٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/٦٢ - ٦٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في تلخيصه على المستدرک.

(٦٤٣) انظر أحمد شهاب الدين الحفاجي: تسمي الرضا في شرح الشفا للقاضي عياض، دار الفكر، بيروت، د. ت (٢/٢٦٥) وانظر الفصة كاملة في هذا المصدر.

الله ﷺ، فقيل إنما كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أُسري بجسده ﷺ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل...»

وقال ابن حجر^(٦٤٤): «إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد البعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل...».

وقال عرجون^(٦٤٥): «والأمة مطبقة - إلا بعض روايات لم تثبت صحة أسانيدھا عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وعن معاوية (رضي الله عنه) قوله عن الحسن البصري - على أن الإسراء الذي أخبر به رب العزة مفتحا له بعلم التقديس الذي يرمز إلى عظمة الاقتدار الإلهي، وأن قدرة الله تعالى لا يتعاضمها شيء... والافتتاح بالتقديس لا يقال إلا في الأمور المستبعدة عادة لتعاضمها، والتي لا تألفها مدارك العقول في متعارف الحياة...» ثم يقول: «إن كلمة «عبد» التي في الآية لا تطلق في لغة العرب وفهومهم إلا على الروح والجسد معا، وإن جملة «ما زاغ البصر وما طغى» تفيد كذلك الجسد والروح... ورواية الحسن البصري لم تعرف في عهد الصحابة، فهي مستحدثة، وعائشة لم تكن حينها زوجا للرسول ﷺ، ولا في سن من يضبط، ولعلها لم تكن ولدت بعد^(٦٤٦)... ولم يرجح خبرها على خبر غيرها؟ فليس حديثها بالثابت عنها. قال الخفاجي: لما في منته من العلة القادحة وفي سنده محمد بن إسحاق وقد ضعفه مالك وغيره^(٦٤٧)، والأحاديث

(٦٤٤) الفتح (١٥/٤٤) ك. البعث/ ب. حديث الإسراء.

(٦٤٥) محمد رسول الله ﷺ (٢/٣٤٢ - ٣٥٠).

(٦٤٦) وهذا مما قاله عياض معلقا على حديث عائشة (رضي الله عنه). انظر الشفا: (١/٣٧٢) تحقيق الرفاعي وزملائه.

(٦٤٧) حديثه في درجة الحسن لذاته إذا صرح بالتحديث وكان سنده متصلا، وهذا الحديث إسناده منقطع - ابن هشام (٢/٤٦).

الأخرى أثبت منه...» ثم يقول الزرقاني^(٦٤٨): «بل الذي دل عليه صحيح قولها إن الإسراء كان بجسده الشريف، لإنكارها رؤيته لربه رؤية عين، ولو كانت عندها مناما لم تنكره. ورواية معاوية^(٦٤٩) جاءت بعد انعقاد الإجماع على كونه بالروح والجسد، على أن الرواية عنه لم تثبت بسند صحيح، وهي من رواية ابن إسحاق، وعلى فرض ثبوتها فهي اجتهد متأخر عن الإجماع، غير ملزم ولا ناقض للإجماع. وللحسن قولان، والمشهور عنه أنه كان يقظة...».

ولو كان الإسراء والمعراج مناما لما استنكرته قريش ولما ارتد بعض المسلمين، ولم يكن فيه شيء من الإعجاز. ثم كونه مناما يخالف صريح الآيات الكريمة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فابتداء الآية بالتسبيح لفت نظر لأمر هام، ولفظ «بعده» معناه الروح والجسد معاً، كما أشار إلى ذلك عرجون وغيره^(٦٥٠).

ب - دلالات وعظات وعبر:

١ - إن حديث الإسراء والمعراج متفق عليه بين أهل الحديث والسير، وثبت بآيات قرآنية وبأحاديث نبوية، فهو قطعي الثبوت. وهو بإجماع جماهير المسلمين من معجزاته ﷺ. وفي إنكاره إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

٢ - جاءت هذه المعجزة بعد المحن التي ابتلي بها الرسول ﷺ لتجدد عزيمة الرسول ﷺ ولتدلل على أن هذا الذي يلاقيه من قومه ليس سببه تخلي الله عنه، وإنما هي سنة الله مع أحبائه في كل عصر ومصر، وبيئت للرسول ﷺ أن المستقبل لدينه، وذلك بإقرار إمامته للأنبياء السابقين،

(٦٤٨) شرحه على المواهب اللدنية للقسطلاني (٤/٦) - ٥ / القصد الخامس).
(٦٤٩) رواه ابن إسحاق موقوفاً على يعقوب بن عتبة فهو وإن كان ثقة لم يدرك أحداً من الصحابة - ابن هشام (٤٦/٢).
(٦٥٠) سبق ذكره وانظر أيضاً الشامي: من معين السيرة، ص ١١٢.

وما تمثل له من رموز لهذا المعنى، وبيئت له أن الأرض إذا ضاقت في وقت، فإن السماء تفتح أبوابها لتستقبله، ولئن آذاه بعض أهل الأرض في وقت، فإن أهل السماء يقفون له مستقبلين ومرحبين.

٣- إن الاقتران الزمني والمكاني بين إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات السبع، لدلالة باهرة على مدى مالهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى. وفيه دلالة واضحة أيضا على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم ومحمد بن عبدالله (عليهما السلام)، وعلى ما بين الأنبياء من رابطة الدين الواحد الذي بعثوا به^(٦٥١) وفيه دلالة على واجب المسلمين في الحفاظ على هذه الأرض وحمايتها من مطامع أعداء الإسلام.

٤- ولعل الحكمة في مرور هذه الرحلة ببيت المقدس، ولم تكن من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة، هو أنه عندما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام الله، حلت بهم لعنة الله، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد، على الرغم من أنها ظلت فيهم زمانا طويلا، ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ انتقالا بالقيادة في العالم من أمة إلى أمة، ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل، وهو انتقال فيه احترام للإيمان الذي درج - قديما - في رحابه^(٦٥٢).

٥- إن في اختيار رسول الله ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمها له جبريل، دلالة على أن الإسلام هو دين الفطرة. لأن اللبن مادة لم تتغير طبيعتها، والخمر نتيجة تغيير كيمياوي في طبيعة العنب وغيره من مصادر الخمر، إضافة إلى أن الخمر يغير فطرة الإنسان؛ لأنه يذهب العقل.

٦- إن في جمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية في هذه الأرض وما حولها، ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة دليلاً على أن النبوات يصدق بعضها بعضاً، وأن محمداً هو خاتمهم الذي اكتمل به الدين، وبيان

(٦٥١) إشارتي هنا إلى الحديث الصحيح: ... والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، رواه البخاري ومسلم وغيرهما، فانظره في: البخاري/ الفتح (٢٤٨/١٣ - ٢٤٩ ح/ ٣٤٤٣، ٣٤٤٤).
(٦٥٢) الغزالي: فقه السيرة، ص ١٣٧، الدكتور قلعة جي: قراءة جديدة... ص ١٠٧.

لمكانة محمد ﷺ عند ربه .

٧ - إن رؤية طرف من آيات الله الكبرى في ملكوت السماوات والأرض له أثره الحاسم في توهين كيد الكافرين ومعرفة عقابهم ورفع لمعنويات نبيه ﷺ وأصحابه ليوажوها قوى الكفار المتألبة عليهم .

٨ - إن وقوع مثل معجزة الإسراء والمعراج للرسول ﷺ بعد مضي إثني عشر عاما من مبعثه دليلاً على أن الخوارق والمعجزات تأتي في طريق محمد ﷺ ضرباً من التكريم والإيناس لشخصه، غير معكزة ولا معطلة للمنهج العقلي العادي، وذلك على عكس ما وقع لبعض الأنبياء، مثلما وقع لموسى (عليه السلام)، حيث إن الخوارق في سير هذا البعض قصد بها قهر الأمم على الاقتناع بصدق النبوة .

وتأكيداً لهذا فعندما اقترح المشركون على النبي ﷺ أن يرقى في السماء، جاء الجواب من الله (عز وجل) ﴿قُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٦٥٣) .

فلما رقى في السماء بعد ذلك، لم يذكر قط أن ذلك رداً على التحدي أو إجابة على الاقتراح السابق .

٩ - إن فرض الصلوات الخمس في ليلة المعراج دليل على أهمية هذا الركن من أركان الإسلام، الذي يجب أن يكون معراجاً يرقى بالناس كلما تدلت بهم شهوات النفوس وأغراض الدنيا (٦٥٤) .

المبحث الرابع والثلاثون:

أ - عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل:

كان الرسول ﷺ في حركة دائبة للبحث عن مكان يعبد الله فيه آمناً، ولذا كان أمره للصحابة بالهجرة إلى الحبشة، وهجرته هو إلى الطائف، ثم عرض نفسه على القبائل . وكانت مواسم الحج وأسواق العرب مناسبات هامة

(٦٥٣) الإسراء: ٩٣ .
(٦٥٤) انظر: الغزالي، فقه السيرة، ص ص ١٣٧ - ١٤٣ .

للالتقاء بذوي الشأن من رؤساء القبائل وغيرهم من الأفراد العاديين. وكان يطلب من ذوي الشأن ان يجموه، دون أن يكرههم على دعوته^(٦٥٥).

وما كان يقوله في هذه المواسم: «هل من رجل يحملي إلى قومه، فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي^(٦٥٦)»، و: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به...»^(٦٥٧).

وكان عمه أبوهب يسير خلفه، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من حديثه، قال: «هذا يدعوكم إلى أن تفارقوا دين آبائكم وأن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلال...»^(٦٥٨).

ومن القبائل التي عرض رسول الله ﷺ نفسه عليها ودعاها إلى الإسلام فأبوا: كندة، وفيهم سيدهم مليح - أو فليح^(٦٥٩)، وبنو عبد الله من كلب^(٦٦٠)، وبنو حنيفة، وكان ردهم عليه قبيحا^(٦٦١)، وبنو عامر بن صعصعة، وقال رجل

(٦٥٥) انظر: مغازي رسول الله ﷺ لمروة، ص ١١٧، من حديث ابن لهيعة وموقوفة على عروة. فهي مرسلة. ورواه البيهقي في الدلائل (٤١٤/٢) من حديث موسى بن عقبة عن الزهري مرسلا «وغيره المرسلين أصل صحيح كما في الحاشية التالية مباشرة».

(٦٥٦) أخرجه أبو داود في سننه (٥/٥٠٠). السنة/ح ٤٧٣٤، وابن ماجه في المقدمة (ب ١٢/ص ٧٣/ح ٢٠١)، وأحد: الفتح (٢٠٠/٢٦٧) من حديث جابر (رضي الله عنه)، وذكره الذهبي في سيرته. ص ٢٨٢، وقال: «هو على شرط البخاري».

(٦٥٧) رواه ابن إسحاق بإسناد فيه حسين بن عبد الله، وهو ضعيف - ابن هشام (٧٤/٢) والسير والمغازي، ص ٢٣٢. ورواه أحمد: المسند (٤٩٢/٣) و (٣٤١/٤) من غير طريق ابن إسحاق. وقال الساعدي في الفتح (٢٠٠/٢١٦ - ٢١٧ و ٦٥): «وسنده جيد»، وقال محققا زاد المعاد (٣/٤٤): «وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان (١٦٨٣) من حديث طارق بن عبد الله المحاري. ورواه الطبراني في الكبير (٥/٥٦ - ٦٣/ح ٤٥٨٣ - ٥٦٩٠) منها طرق بمثل رواية أحمد وابن إسحاق، وأنظر معناه في المستدرک (١٦٤/٢) من حديث جابر، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦٥٨) جاء ذلك في رواية أحمد وابن إسحاق المذكورة آنفا، وفي رواية عند ابن إسحاق في السير والمغازي، ص ٢٣٢. بإسناد حسن من حديث طارق المحاري، أن عمه أباهب كان يتبعه ويرميه بالحجارة. وقد آدمي كمي.

(٦٥٩) رواه ابن إسحاق في الزهري مرسلا: ابن هشام (٧٥/٢)، السير والمغازي ص ٢٣٢.

(٦٦٠) ابن إسحاق إسناده منقطع: ابن هشام (٧٥/٢)، السير والمغازي ص ٢٣٢. فهو ضعيف.

(٦٦١) ابن إسحاق ابن هشام (٧٥/٢ - ٧٦) ولم يسم من حدثه.

منهم يدعى ببحرة بن فراس: «والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب... أرايت إن تابعتك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أ يكون لنا الأمر من بعدك؟» قال: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»، قال: «أفنهذف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك»^(٦٦٢)، ومحارب بن حصفة وفزارة وغسان ومرة وسليم وعبس وبنو النضر وبنو البكاء، وعذرة والحضارمة^(٦٦٣)، وربيعة وبنو شيان الذين كان فيهم وعلى رأسهم: مفروق ابن عمرو وهاني بن قبيصة والمثنى بن حارثة، وقد تعللوا بحجج منها الرغبة في التريث حين أخذ مشورة من وراءهم من قومهم، وفي هذا قال المثنى: «ولما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، لا نحدث حدثاً و نؤوي محدثاً، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤيدك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه، أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقديسونه؟» فقال النعمان بن شريك: «اللهم! نعم»، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾^(٦٦٤). وقد سر رسول الله ﷺ من أخلاقهم^(٦٦٥).

لقد كان أهل المدينة أكثر الناس تجاوباً مع دعوة الرسول ﷺ عندما عرض عليهم الإسلام. فعندما عرض الرسول ﷺ الإسلام على سويد بن الصامت، لم يعلن الإسلام ولم يبعد عنه، واستحسن ما سمع من القرآن. وعندما عاد إلى بلاده، وقتل في حرب بعاث، كان رجال من قومه يقولون إنه مات مسلماً^(٦٦٦).

(٦٦٢) ابن إسحاق عن الزهري مرسل - ابن هشام (٧٦/٢).

(٦٦٣) ذكر هؤلاء ابن سعد في طبقاته (٢١٦/١ - ٢١٧) من حديث الواقدي.

(٦٦٤) الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

(٦٦٥) روى قصة لقاء الرسول ﷺ لربيعة: ابن حبان في السيرة، ص ٩٣ - ١٠١.

(٦٦٦) روى قصته كاملة ابن إسحاق بإسناد منقطع، لجهالة الأشياخ المذكورين في الإسناد - ابن هشام

(٧٧/٢ - ٧٩).

وروى ابن إسحاق^(٦٦٧) أن وفدا من بني عبد الأشهل على رأسه أبوالحيسر، أنس بن رافع، وفيه إياس بن معاذ، قدموا مكة يلتمسون الحلف مع قريش ضد قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم خير مما جئتم له؟» فقالوا له: «وما ذاك؟» قال: «أنا رسول الله، بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأنزل علي الكتاب». ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ، وكان غلاما حدثا: «أي قوم، هذا والله خير مما جئتم له». فجزه أبوالحيسر، فصمت، وسمعه قومه عند موته يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما.

لقد استشعر إياس الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من الرسول ﷺ ما سمع.

وفي السنة الحادية عشرة من البعثة عرض نفسه على نفر^(٦٦٨) من الخزرج، عند العقبة، فجلسوا معه. فدعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن. وكان مما مهد أفئدتهم لقبول الإسلام أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، ومعلوم أنهم أهل كتاب وعلم، فكان إذا وقع بينهم وبين اليهود نفرة أو قتال قال لهم اليهود: «إن نبيا مبعوثا الآن قد أطل زمانه، ستنبهه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم!».

فلما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام نظر بعضهم لبعض وقالوا: «تعلمون والله أنه للنبي الذي تدعوكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه». فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الإسلام. وقالوا: «إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فستقدم عليهم

(٦٦٧) رواها بإسناد حسن: ابن هشام (٨٠/٢ - ٨١) ورواها غيره من طريقه.
(٦٦٨) عددهم ستة عند ابن إسحاق: سيرة ابن هشام (٨٢/٢) وقال ابن كثير في البداية (١٦٤/٣): «وذكر موسى بن عقبة فيها رواه عن الزهري، وعروة بن الزبير أنهم كانوا ثمانية» وذكر ابن سعد القولين، وعندما ذكر الرواية التي تقول بأنهم ستة، وهي رواية ابن إسحاق، قال: «قال محمد بن عمر - الواقدي - هذا عندنا أثبت ما سمعناه فيهم، وهو المجتمع عليه» - انظر الطبقات (٢١٩/١).

فندعوهم إلى أمرك. ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين. فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك».

ثم انصرفوا، ووعدوه المقاتلة في الموسم المقبل.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ (٦٦٩).

وهناك سبب آخر أدى إلى تمهيد أفئدة أهل المدينة لقبول الإسلام، وهو يوم بعث (٦٧٠). فقد روى البخاري (٦٧١) عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: «كان يوم بعث يومًا قدمه الله لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ، وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم وجرحوا فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام».

ب - عظات وعبر:

١ - إن أمثال أبي جهل لا ينعدم في مجتمعات الكفر والانحراف العقدي الصريح، وهي نماذج من الناس مثل سلوك وتفكير أبي لهب، تقف في وجه الدعاة في كل زمان ومكان، بمثل موقف أبي لهب من ابن أخيه محمد ﷺ، ويصدون عن سبيل الحق ويبغونها عوجًا، بما يتاح لهم

(٦٦٩) رواه ابن إسحاق من حديث عاصم بن عمر عن أشياخ من قومه، وقد صرح بالتحديث - ابن هشام (٨١/٢ - ٨٣). وقد ضمف محققا سيرة ابن هشام هذا الإسناد لجهالة هؤلاء الأشياخ، ولكن الدكتور العودة حسن إسناده لترجيحه أن هؤلاء الأشياخ من الصحابة الذين يروي عنهم عاصم أمثال: جابر ومحمود بن لبيد وجدته ربيعة - انظر العودة: السيرة النبوية... ص ٣٣١، ونحن نوافق في هذا.

ورواه ابن سعد ٢١٧/١ - ٢١٩ من طريق الواقدي وفيها زيادات مثل طلب الرسول ﷺ منهم أن يمتنعوا حتى يبلغ رسالة ربه، فاعتذروا حتى يصلحوا ذات بينهم أولاً في المدينة. وعند عرجون أن هذه هي بيعة العقبة الأولى والتي بعدها (١٢) هي الثانية، التي بعدها (٧٣ رجلا) وأمرأتان هي الكبرى - محمد رسول الله ﷺ) ومسلم (٣٧٩/٢ وما بعدها).

(٦٧٠) قال ابن حجر في شرح حديث عائشة الآتي ذكره في الفتح (١٤/٢٦٢ ح ٣٧٧٧): «وهو مكان، ويقال حصن، وقيل مزرعة عند بني قريظة على ميلين من المدينة، كانت به وقعة بين الأوس والخزرج، فقتل فيها كثير منهم... وذلك قبل الهجرة بخمس سنين، فقيل بأربع وقيل بأكثر، والأول أصح... فقتل فيها من أكابرهم من كان لا يؤمر أي يتكرر ويأنف أن يدخل في الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره، وقد كان منهم من هذا النحو عبدالله بن أبي بن سلول...».

(٦٧١) الفتح ١٤/٢٦٢ ح ٣٧٧٧.

من وسائل، فيصفون دعاة الدين الحق بأنهم دعاة بدعة وضلالة، ودعاة دين جديد أو مذهب خامس، أي ليس من بين المذاهب الأربعة المشهورة. ولم يتأثر الرسول ﷺ لموقف عمه أبي لهب، بل استمر في دعوته. فعلى الدعاة أن لا يتأثروا بمواقف المغرضين.

٢ - على الدعاة أن يطرقوا جميع الأبواب التي يمكن أن تقود إلى التمكين للدين في الأرض وعدم اليأس مهما تكررت محاولات الاتصالات الفردية والجماعية، ومهما كانت النتائج القريبة سلبية.

المبحث الخامس والثلاثون:

أ - بيعة العقبة الأولى:

في الموسم التالي من العام الثاني عشر للبعثة، جاء إلى أداء مناسك الحج اثنا عشر رجلاً من المسلمين من المدينة بعضهم ممن لقي النبي ﷺ في الموسم السابق وآمن به، فلقوا الرسول ﷺ مع جماعة من أصحابه حتى بايعوه. وقد روى البخاري^(٦٧٢) ومسلم^(٦٧٣) والنسائي^(٦٧٤) وأحمد^(٦٧٥) وابن إسحاق^(٦٧٦) وابن سعد^(٦٧٧) وغيرهم، من حديث عبادة بن الصامت الذي كان ضمن حجاج المسلمين من المدينة، روى صيغة هذه البيعة، وهو:

قال عبادة: إن الرسول ﷺ قال لهم: «تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً، فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه»، فبايعوه على ذلك.

(٦٧٢) الفتح (١٥/٧٤ ح/٣٨٩٢)، واللفظ له.

(٦٧٣) صحيحه (٢/٣٣٣١ ح/١٧٠٩).

(٦٧٤) (٧/١٤١ - ١٤٢/ك)، البيعة على الجهاد.

(٦٧٥) المسند (٥/٣١٣).

(٦٧٦) ابن هشام (٢/٨٥ - ٨٦)، وإسناده حسن.

(٦٧٧) الطبقات (١/٢١٩ - ٢٢٠)، من رواية الواقدي فالإستاد ضعيف جداً.

قال عبادة بن الصامت^(٦٧٨) في رواية ابن إسحاق: «فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء^(٦٧٩)، وذلك قبل أن تفرض الحرب».

وعندما أرادوا العودة إلى بلادهم، بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير ليقترهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى «مقرء المدينة». وكان منزله على أسعد بن زرارة^(٦٨٠).

روى أبو داود^(٦٨١) وابن إسحاق^(٦٨٢) وغيرهما من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن أول من أقام صلاة الجمعة بالمدينة هو أسعد بن زرارة. وعندما بلغوا الأربعين شخصا أمهم مصعب بن عمير. فقد كتب إليه الرسول ليجمع بهم^(٦٨٣).

أسلم خلق كثير من الأنصار على يد مصعب بمعاونة أسعد بن زرارة، ومن أسلم من أشرفهم: أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ، وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل الرجال والنساء^(٦٨٤)، إلا أصيرم عمرو بن

(٦٧٨) ابن هشام (٨٦/٢).
(٦٧٩) أي على قرارها. والإشارة هنا إلى بيعة الرسول ﷺ للنساء في اليوم الثاني من فتح مكة، كما سيأتي - إن شاء الله - وليس فيها البيعة على الجهاد.

(٦٨٠) انظر في هذا: ابن إسحاق - بدون إسناد: ابن هشام (٨٦/٢). وقد روى البيهقي في دلائله (٤٣١/٢) والذهبي في سيرته، ص ٢٩٤، كلاهما من حديث موسى بن عقتة عن الزهري أنه بعثه إليهم بعد أن التقى بالنفر الستة عند العقبة. وروى أيضا في دلائله (٤٣٨/٢) من رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر - مرسلًا - أن رسول الله ﷺ إنما بعثه بعدهم بعدما كتبوا إليه، وروى أيضا في دلائله (٤٣٨/٢) من طريق ابن إسحاق من حديث عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المغيرة بن معيقيب أن رسول الله ﷺ بعث مصعب مع نفر الأثني عشر الذين يابعوه في العقبة الأولى. وعند ابن سعد (٢٢٠/١) أن الرسول ﷺ بعثه إليهم عندما كتبوا إليه بعد ذهابهم إلى المدينة طالبين منه إرسال من يقرئهم القرآن - وفي إسناده الواقدي. وهكذا وجدت روايتان لابن إسحاق تقولان بأن الرسول ﷺ قد أرسل مصعبا مع الأنصار حين عودتهم، وتقول الرواية الثالثة إنه أرسله بعد ذهابهم ثم طلبهم ذلك وهي تتفق مع رواية ابن سعد. ويمكن الجمع بين القولين بأن يكون نفر الستة الذين أسلموا أولا بعثوا إليه ليرسل إليهم معلما، فأرسله في الموسم الثاني مع الأثني عشر المذكورين هنا.

(٦٨١) السنن (٦٤٥/١) - ٦٤٦/٢ ح (١٠٦٩).

(٦٨٢) بإسناد حسن لابن هشام (٨٧/٢)، ومن طريقه رواه غير أبي داود، مثل: ابن ماجه (٣٤٣/١) - ٣٤٤/١ ك. الصلاة/ ب. فرض الجمعة، والحاكم في المستدرک (١٨٧/٣).

(٦٨٣) سنن الدار قطني، كما قال ابن حجر في الفتح (٧٥/١٥) وقال ابن كثير في البداية (١٦٦/٣): «وفي إسناده غرابة، والله أعلم».

(٦٨٤) روى خبر إسلام أسيد ومعاذ وبني عبد الأشهل ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل لأنه موقوف على عبدالله بن أبي بكر وعبيد الله بن المغيرة بن معيقيب - ابن هشام (٨٨/٢) - (٩٠).

ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، وأسلم حينئذ، وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة واحدة، فأخبر عنه النبي ﷺ، فقال: «عمل قليلا، وأجر كثير» (٦٨٥).

ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخظمة ووائل وواقف «وتلك أوس الله» وهم الأوس ابن حارثة؛ وذلك أنه كان فيهم أبوقيس بن الأسلت الشاعر - وكانوا يطيعونه - فوقف بهم عن الإسلام حتى كان عام الخندق سنة خمس من الهجرة (٦٨٦).

وقبل حلول موسم الحج التالي - أي حج السنة الثالثة عشرة - عاد مصعب بن عمير إلى مكة ليبشر الرسول ﷺ بنجاح مهمته، بتوفيق الله تعالى (٦٨٧).

المبحث السادس والثلاثون:

أ - بيعة العقبة الثانية:

وفي موسم الحج التالي من العام الثالث عشر للبعثة، قدم مكة لأداء مناسك الحج مجموعة كبيرة من مسلمي المدينة، ضمن حجاج كثيرين من مشركي المدينة، وكان زعيمهم جميعا البراء بن معرور (٦٨٨).
وقد تساءل مسلمو الأنصار فيما بينهم حتى متى يتركون رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف (٦٨٩).

(٦٨٥) روى تأخر إسلامه وقضته يوم أحد وصرح بإسمه ابن إسحاق في كتاب السير والمغازي، بإسناد صحيح عن أبي هريرة (رضي الله عنه) كما ذكر ابن حجر في الفتح (٢٨٦/١١). وروى قصته يوم أحد ولم يصرح بإسمه البخاري/الفتح (٢٨٦/١١) ح (٢٨٠٨)، ومسلم (١٥٠٩/٣) ح (١٩٠٠)، وأبو داود (٤٣/٣) ح (٢٥٣٧) الدعاس) ولم يذكر قوله ﷺ «عمل قليلا وأجر كثير».
(٦٨٦) رواه ابن إسحاق مرسلًا: ابن هشام (٩١/٢) وانظر خبره مطولاً عند ابن كثير في البداية (١٦٨/٣) (١٧٣).

(٦٨٧) ذكر خبر رجوعه ابن إسحاق - ابن هشام (٩٢/٢) - بدون إسناد.
(٦٨٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٩٢/٢).
(٦٨٩) من حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) عند أحمد: الفتح الربيعي (٢٧٠/٢٠)، وإسناده صحيح. وقد رواه البيهقي في الدلائل (١٤٤٢/٢)، والذهبي في السيرة ص ٢٨٩.

وجرت بينهم وبين الرسول ﷺ اتصالات سرية أدت إلى الاتفاق على تحديد زمان ومكان اللقاء؛ لإبرام اتفاق من أعظم وأهم الاتفاقيات في تاريخ الإسلام.

وقد روى ابن إسحاق^(٦٩٠) قصة هذا اللقاء عن كعب بن مالك، قال (رضي الله عنه): «... ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق. فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها... فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا في رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ ننسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نساءنا: نسيبة بنت كعب - أم عمار - وأسهاء بنت عمرو بن عدي... وهي أم منيع.

فاجتمعنا في الشعب نتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس ابن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: «يامعشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن رأيهم مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم وللحقوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه، وممانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك. فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده». قال: فقلنا له: «قد سمعنا ما قلت، فتكلم يارسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت».

(٦٩٠) بإسناد حسن - ابن هشام (٩٤/٢ - ٩٧)، ومن طريقه رواء: أحمد الفتح الرباني (٢٧١/٢٠ - ٢٧٥)، وفضائل الصحابة (٩٢٣/٢) باختصار، وصحح المحقق إسناده، والهيثم في الجمع (٤٥/٦)، والطبراني كما في الجمع (٤٢/٦ - ٤٥)، والبيهقي في الدلائل (٤٤٤/٢ - ٤٤٧) والبيهقي في السنن (٩/٩): «وابن حبان في موارد، ص ٤٠٨ والحاكم في مستدركه (٢/٢٤٤ - ٦٢٥) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وقال الذهبي: «صحيح:» والذهبي في سيرته، ص ٣٠١ - ٣٠٣، وصححه الألباني في حاشيته على فقه السيرة للقرطبي ص ١٥٩.

فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمتنعوني عما تمتنعون منه نساءكم وأبناءكم»، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: «والذي بعثك بالحق نبيا لنمتنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرا عن كابر». فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ، أبوالهيثم بن التيهان، فقال: «يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلا، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟» فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «بل الدم الدم والهدم الهدم»^(٦٩١)، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم، وأسالم من سالمتم.

بعد الاتفاق على شروط هذه البيعة، وقبل الشروع في عقدها، أراد اثنان من الأنصار، ممن أسلم في موسم حج عام إحدى عشرة واثني عشرة من المبعث، وهما: العباس بن عباد بن نضلة وأسد بن زرار، أرادا أن يبينا لقومهما حقيقة وخطورة الالتزام بهذه البيعة، حتى يبايعوا على علم ويقين تام، وليعرفا ويتأكدا من مدى استعداد الأنصار للجهاد والاستشهاد.

قال العباس بن نضلة: «هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟» قالوا: «نعم»، قال: «إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس. فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا، أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة»، قالوا: «فإننا نأخذ على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف فمالنا بذلك يا رسول الله ونحن وفينا بذلك؟» قال: «الجنة». قالوا: «أبسط يدك»، فبسط يده فبايعوه^(٦٩٢).

(٦٩١) قال ابن هشام (٩٦/٢): ويقال الهدم الهدم - بالفتح: يعني الحرمة، أي ذمتي فتمتكم وحرمتي حرمتكم.

(٦٩٢) ابن إسحاق، مراسلا موقفا على عاصم بن عمر - ابن هشام (١٠/٢).

وقال أسعد بن زرارة عندما قام الناس للبيعة: «رويدا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجنا اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله». فقالوا له: «يا أسعد، أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقبلها» (٦٩٣).

وعندما تأكد لأسعد موقف قومه، ضرب على يد الرسول ﷺ - أي صافحه - مبايعا، ثم تتابع القوم رجلا رجلا لمبايعة الرسول ﷺ مبشرا بالجنة من وفي بها (٦٩٤).

وأما عن كيفية مبايعة المرتأتين فقد قال ابن إسحاق (٦٩٥): «يزعمون أنها قد بايعتا - يعني صافحتا - وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء، إنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال: اذهبن فقد بايعتن».

وعندما تمت البيعة قال لهم رسول الله ﷺ: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. وهم: عبادة بن الصامت، البراء بن معرور، عبدالله بن رواحة، سعد بن الربيع، أبو أمية أسعد بن زرارة، سعد بن عبادة، المنذر بن عمرو، أسيد بن حضير، سعد بن خيثمة، عبدالله بن حرام، رافع بن مالك، أبوالهيثم بن التيهان (٦٩٦). وذكر ابن إسحاق (٦٩٧) جميع من حضر البيعة.

(٦٩٣) سبق الكلام عن هذه الرواية - رواية أحمد عن جابر - وهي صحيحة - وفيها شروط البيعة. (٦٩٤) انظر حديث جابر المذكور. وذكر ابن إسحاق بإسناد حسن أن أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور. وروى بدون إسناد أن بني النجار يزعمون أن أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده، وأن بني عبد الأشهل يقولون: بل أبوالهيثم بن التيهان - ابن هشام (١٠١/٢). ولعلهم حسبوا ما دار بينهم وبين الرسول ﷺ بيعة، وإلا فأحرى الناس بالتقديم إذ ذاك هو أسعد بن زرارة لأنه كان زعيم الحجاج، وحسن الدعوة في المدينة - انظر الرحيق المختوم، ص ١٦٨ الحاشية.

(٦٩٥) ابن هشام (١٢٠/٢) بدون إسناد. ويشهد لكلام ابن إسحاق مارواه البخاري في هذا المعنى - انظر: الفتح (٩٩/٢٠ ح/٥٢٨٨)، ومسلم (١٤٨٩/٣ ح/١٨٦٦) وغيرهما.

(٦٩٦) ابن إسحاق دون إسناد - ابن هشام (٩٧/٢ - ٩٨) فهو ضعيف.

(٦٩٧) دون إسناد - ابن هشام (١٠٩/٢ - ١٢٠).

وروى ابن إسحاق^(٦٩٨) أن رسول الله ﷺ قال للنباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي - يعني المسلمين - قالوا: نعم»

لقد روى البخاري^(٦٩٩) ومسلم^(٧٠٠) وابن إسحاق^(٧٠١) بنود هذه البيعة. ولكن رواها أحمد^(٧٠٢) من حديث جابر، والبيهقي^(٧٠٣) من حديث جابر وعبيد بن رفاع بتفصيل أكثر مما جاء عند البخاري ومسلم وابن إسحاق. قال جابر: «قلنا يا رسول الله علام نبأبعك؟» قال:

- ١ - على السمع والطاعة في النشاط والكسل.
- ٢ - وعلى النفقة في العسر واليسر.
- ٣ - وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٤ - وعلى أن تقوموا في الله، ولا تأخذكم في الله لومة لائم.
- ٥ - وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة» وهو لفظ أحمد.

أما لفظ ابن إسحاق المشار إليه فهو، قال ابن الصامت: «بايعنا رسول

(٦٩٨) ابن هشام (١٠٠/٢) بإسناد حسن ولكنه مرسل لأنه موقوف على عبدالله بن أبي بكر فهو ضعيف.

(٦٩٩) الفتح (٨/٢٧) ح/٧٠٥٦، و (٢٧/٢٢٣) ح/٧٢٩٩، (٧١٢٠٠)، وألفاظ الحديث في المكانين إذا ضمت بعضها إلى البعض هي ألفاظ حديث ابن إسحاق نفسها. وإسناد الحديث (٧١٩٩) (٧١٢٠٠) من نفس طريق رجال ابن إسحاق، وقد نبه ابن حجر إلى أن ذلك كان في العتبة الثانية - انظر: الفتح (٨/٢٧).

(٧٠٠) صحيحه (١٧٠٩/٣) ح/١٤٧٠، من نفس طرق رجال ابن إسحاق، كما في رواية البخاري في كتاب الأحكام (الفتح ٢٧/٢٢٣) ح/٧١٩٩، (٧١٢٠٠) وبألفاظ ابن إسحاق نفسها. (٧٠١) ابن هشام (١٠٨/٢) ورجاله رجال الصحيح ما عدا ابن إسحاق، وقد صرح بالتحديث وإسناده حسن.

(٧٠٢) الفتح البرباني (٢٠/٢٧٠). وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٦٢٤-٦٢٥) وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في البداية (٣/١٧٥): «هذا إسناد جيد على شروط مسلم ولم يخرجوه»، وحسن ابن حجر إسناده كما في الفتح (١٥/٧٥)، وقال عنه الألباني في حاشية فقه السيرة للفراني، ص ١٥٧ «وفيه علة وهي عن عتبة أبي الزبير، وكان مدلسا، وليس من رواية الليث بن سعد عنه، فلعل تصحيحه أو تحسينه لشواهد، والله أعلم»، وانظر تخريج الساعاتي للحديث. (٧٠٣) انظر رواية جابر عند البيهقي في الدلائل (٢/٤٤٣). أما رواية عبيد بن رفاع فهي عنده في الدلائل (٢/٤٥٢). وقال ابن كثير في البداية (٣/١٨) عن رواية عبيد: «وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه». وقال الدكتور سليمان السعدي في رسالة الهجرة ص ٩٢: «وهو حديث ضعيف بهذا الإسناد، ولكن يتقوى بالشواهد المتقدمة الدالة على شروط البيعة كحديث جابر».

الله ﷺ على السمع والطاعة، في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم».

بعد أن تمت البيعة وتعين النقباء، كان القوم على وشك مغادرة مكان اللقاء، فإذا بالشیطان يكتشف هذا اللقاء. وليمكن زعماء المشركين من المجيء والقبض على المسلمين قبل أن ينفضوا، صرخ الشيطان على العقبة بأنفذ صوت سمع، قائلا: «يا أهل الجياجب»^(٧٠٤)، هل لكم من مذمم^(٧٠٥) والصباة^(٧٠٦) معه قد اجتمعوا على حربكم؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا أذب العقبة»^(٧٠٧)، هذا ابن أزيب، أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك^(٧٠٨).

وعند سماع صراخ وقول هذا الشيطان، قال العباس بن عباد بن نضلة: «والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيا فنا». فقال لهم رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم». فرجعوا وناموا حتى أصبحوا^(٧٠٩).

قال كعب بن مالك: «فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا يامعشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعون على حربنا، وإنه - والله - ما من حي من العرب أبغض إلينا إن نشبت الحرب بيننا وبينهم منكم. قال: فانبعث من هناك من مشركي قومتنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه. قال: وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض... قال: ونفر الناس من منى فتنطس^(٧١٠) القوم الخبير، فوجدوه قد كان».

(٧٠٤) الجياجب: منازل منى.

(٧٠٥) الذمم: المذمم.

(٧٠٦) الصباة: جمع صابئ، أطلق على الذي يدخل في الإسلام على عهد الرسول ﷺ.

(٧٠٧) أذب العقبة: أسم شيطان بسكن العقبة.

(٧٠٨) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن من حديث كعب بن مالك في قصة بيعة العقبة الثانية - ابن هشام (١٠١/٢ - ١٠٢).

(٧٠٩) المصدر نفسه.

(٧١٠) بالنوا في التحري عنه.

وتقول الرواية إنهم خرجوا في طلب القوم، ولم يدركوا غير سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو. فأفلت منهم المنذر وقبضوا على سعد، وعادوا به، مغلولة يده إلى عنقه، ويجذبونه من شعره، ويلكزونه، حتى أنقذه الله منهم بجير ابن مطعم والحارث بن حرب، إذ كان سعد يجير لها قوافلها المارة بالمدينة المنورة في طريقها من وإلى الشام^(٧١١).

ب - نتائج وعبر من بيعة العقبة الثانية:

- لقد كان لهذه البيعة نتائج قريبة وأخرى بعيدة. فمن النتائج القريبة:
- ١ - إن الأنصار قد فهموا أن حماية الرسول ﷺ سوف تعرضهم لعداوة واعتداء أعداء الرسول ﷺ من المشركين واليهود. وهذا يعني الجهاد، على الرغم من أن بنود البيعة لم تنص صراحة على أبعد من ذلك، أي التصدي لمن يقف في طريق الدعوة الإسلامية.
 - ٢ - إن سعي مشركي مكة للقبض على مسلمي المدينة عندما اتضح لهم أن هناك ثمة تديبرا منهم لحماية رسول الله ﷺ، يدل على أن عداة الشرك والكفر للإيمان في كل مكان.
 - ٣ - إن السرية التي أحيطت بهذه البيعة وغيرها دليل على مشروعية أخذ الحذر والحيلة عند تدبير الأمور، لاسيما الأمور التي تتعلق بمستقبل الدعوة.
 - ٤ - لقد كانت هذه البيعة الأساس الذي هاجر عليه المسلمون - بمن فيهم الرسول ﷺ - إلى المدينة المنورة.
 - ٥ - أضحى الإسلام عزيزا في المدينة، فاستعلن بإسلامه من كان قد استخفى به.
 - ٦ - ضيق كفار مكة الخناق على المسلمين عندما عرفوا خطورة اتصال

(٧١١) رواية كعب، المصدر نفسه (١٠١/٢ - ١٠٤)، ويبدو أن الدكتور العودة قد وهم عندما قال إن رواية قصة القبض على سعد والمنذر مرسلة، فلمله حكم عليها في ضوء سند القصة الخاصة بعبدالله بن أبي بن سلول كونه لم يعلم بأمر العقبة، وفي تقديرنا أنها رواية إعتراضية، جاءت أثناء رواية كعب المتصلة - انظر: السيرة في الصحيحين وعند ابن إسحاق... ص ٣٦٢، وابن هشام (١٠٣/٢).

الرسول ﷺ بمسلمي المدينة. وكان هذا التضييق سببا في تعجيل الرسول ﷺ بأمر هجرتهم إلى المدينة.

٧ - أما على المدى البعيد، فقد كانت هذه البيعة الأساس الذي قامت عليه الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وانطلاقها من هناك إلى أنحاء الدنيا^(٧١٢).

٨ - ولأهمية هذه البيعة، ولما ترتب عليها من نتائج قريبة وبعيدة، فقد كان للمبايعين فيها وفي التي قبلها فضل لا يكاد يقل عما لأهل بدر والهجرة - هجرة الحبشة وهجرة المدينة - وبيعة الرضوان، من شرف وفضل.

٩ - إن عداوة الشيطان للحق وتآله من علو نجمه ظاهرة ماضية، فهو دائما ما يغري أعداء الإسلام بالمؤمنين من أهل المدينة والرسول ﷺ.

١٠ - كانت بيعة العقبة الثانية شاملة للمبادئ التي سيتم مشروعيتها بعد الهجرة إلى المدينة، وفي مقدمتها الجهاد والدفاع عن الدعوة، وهو حكم وإن لم يكن قد أذن الله بشرعيته في مكة إلا إن الله (عز وجل) قد أهتم نبيه محمدا ﷺ أن ذلك سيشرع في المستقبل القريب، والدليل على ذلك رد الرسول ﷺ على العباس بن عباد الذي أبدى الاستعداد على حرب أهل منى، فقال له الرسول ﷺ: «لم تؤمر بذلك...».

ومن المتفق عليه أن أول آية نزلت في مشروعية الجهاد قوله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير^(٧١٣)﴾، حيث نزلت عندما قال أبو بكر (رضي الله عنه) مستنكرا إخراج قريش الرسول ﷺ من مكة: «أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن». وعندما نزلت الآية، قال أبو بكر: فعرفت أن سيكون قتال^(٧١٤)».

(٧١٢) انظر: من معين السيرة، ص ١٣٦، وفقه السيرة للبوطي، ص ١٣٢.

(٧١٣) الحج: ٣٩.

(٧١٤) رواه النسائي في سننه (٥٢/٢)، والترمذي (١٥١/٤) من حديث ابن عباس وقال: «حديث حسن»، وصححه الألباني في: صحيح سنن الترمذي (٣/٧٩ ح ٣٣٩٧) وأحمد في المسند (٣/٢٦٢/٣) (شاذل) من حديث ابن عباس وصحح شاذل إسناده، وابن كثير في التفسير (٥/٤٣٠) - (٤٣١)، والظري في التفسير (١٧/١٢٣).

١١ - اقتضت رحمة الله بعباده أن لا يحملهم واجب القتال، إلى أن توجد لهم دار إسلام، تكون لهم بمثابة معقل يأوون إليه، ولقد كانت المدينة أول دار في الإسلام^(٧١٥). هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى يتربوا التربية التي تؤهلهم للجهاد.

١٢ - ومن هنا تعلم إن مشروعية القتال في الإسلام لم تكن إلا بعد هجرته على الصحيح، وليس كما يفهم من كلام ابن إسحاق^(٧١٦) أنه إنما شرع قبل الهجرة عند بيعة العقبة الثانية^(٧١٧) من حديث كعب بن مالك (رضي الله عنه).

فائدة:

روى ابن إسحاق^(٧١٨) بإسناد حسن أن البراء بن معرور (رضي الله عنه) عندما جاء إلى مكة لمبايعة الرسول ﷺ في العقبة الثانية، كان يصلي - في تلك السفرة - إلى الكعبة، وعندما التقى بالرسول ﷺ قال يانبي الله إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها. فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلى (رض) إلى الشام...».

وبذلك يكون البراء أول من صلى إلى الكعبة في الإسلام.

(٧١٥) انظر: البوطي فقه السيرة، ص ١٣٣.

(٧١٦) ابن هشام (٩٤٠٩٢/٢) ورواه الحاكم في المستدرک (ب/ ٢٥٠٦٢٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٧١٧) ابن هشام (١٠٨/٢) بإسناد حسن لذاته.

(٧١٨) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص ١٣٢ وأبو شهبة: السيرة النبوية (١/ ٤٥٤) وقال إن هذا من أوام ابن إسحاق.

الفصل الثاني

الهجرة إلى المدينة

المبحث الأول: أسبابها:

أولاً: الابتلاء والاضطهاد:

منذ أن أعلن الرسول ﷺ الدعوة ظل يتعرض لشتى أنواع المضايقات، هو ومن أسلم. وقد ذكرنا ذلك في المباحث السابقة، ولذا كان رسول ﷺ يفكر دائماً في طلب الحماية خارج مكة، عندما استعصت عليه مكة. فكانت هجرة الحبشة وهجرة الطائف، وأخيراً هجرة المدينة.

وما يؤكد أن الابتلاء والاضطهاد كانا سببا من أسباب الهجرة إلى المدينة قول بلال (رضي الله عنه) عندما هاجر: «... اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء^(١)...»

وقول عائشة (رضي الله عنها) في سبب هجرة أبيها إلى المدينة: «استاذن النبي ﷺ أبوبكر في الخروج حين اشتد عليه الأذى^(٢)...»

وكان ذلك هو السبب نفسه في محاولته الهجرة إلى الحبشة من قبل هو وسائر المسلمين كما قالت عائشة (رضي الله عنها): «... فلما ابتلي المسلمون خرج أبوبكر مهاجرا نحو أرض الحبشة^(٣)...».

وذكر ابن إسحاق^(٤) أن من أسباب الهجرة تعذيب المسلمين.

(١) البخاري/ الفتح (١٨/٢٣٢) ح (١٨٨٩).

(٢) البخاري/ الفتح (١٥/٢٧١) ح (٤٠٩٣).

(٣) البخاري/ الفتح (١٥/٨٤) ح (٣٩٠٥).

(٤) ابن هشام (٢/١٢١) - بدون إسناده. فهو ضعيف.

ثانيا: وجود حماية للدعوة تمكنها من السير في طريقها:

يفهم ذلك من نصوص بيعة العقبة الثانية كما رواها الإمام أحمد عن جابر، وكما رواها غيره^(٥)، وفي حديث ابن إسحاق^(٦).

ثالثا:

تكذيب كبار زعماء قريش ومعظم عامتهم الرسول ﷺ فأجبروه أن يفكر في قوم آخرين يصدقونه، كما رأينا. وقد عبر سعد بن معاذ عن هذا المعنى في قوله: «اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه». وفي رواية: «... من قوم كذبوا نبيك وأخرجوه من قريش»^(٧).

وذكر ابن إسحاق^(٨) من بين ما ذكر من أسباب، أن تكذيب قريش الرسول ﷺ كان من أسباب الهجرة.

رابعا: مخافة الفتنة في الدين:

وذلك واضح من قول عائشة (رضي الله عنها) عندما سئلت عن الهجرة: «كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله مخافة أن يقتل عليه...»^(٩).

ومن قول ابن إسحاق^(١٠): «وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فرارا منهم...».

(٥) انظر ذلك في مكانه من «بيعة العقبة الثانية».

(٦) ابن هشام (١٢١/٢) - بدون إسناده. فهو ضعيف.

(٧) البخاري/ الفتح (٨٢/١٥) - ٨٣/ح (٣٩٠١) - الرواية الأولى من حديث ابن نمير والثانية من حديث أبان بن يزيد. وانظر تعليق ابن حجر على الحديث.

(٨) ابن هشام (١٢١/٢) - بدون إسناده. فهو ضعيف.

(٩) البخاري/ الفتح (٨١/١٥) - ٨٢/ح (٣٩٠٠).

(١٠) ابن هشام (١٢١/٢) - بدون إسناده. فهو ضعيف.

خامسا: الإذن للمسلمين بالقتال:

ذكر ذلك ابن إسحاق^(١١) وقال إن الآيات ﴿أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا...﴾^(١٢) هي أول آيات أنزلت في إذنه له بالحرب لمن بغى عليهم. وتابعه في هذا ابن عباس^(١٣) وآخرون. وفي كل ذلك كان المسلمون يبتغون وجه الله تعالى، ويتحملون في سبيله كل ما يقع عليهم من الإيذاء الحسي والمعنوي ومفارقة الأهل والعشيرة والموطن.

وفي هذا يقول خباب (رضي الله عنه): «هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله فوقع أجرتنا على الله...»^(١٤).

وقد أفاضت الأحاديث في فضل الهجرة والمهاجرين^(١٥) لأن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بدولة تحميه، ولا يتصور وجود دولة بدون أرض تقوم عليها ورعية تسمع وتطيع لحاكمها.

روى البخاري^(١٦) عن عائشة أنها قالت: «قال النبي ﷺ للمسلمين بمكة: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين - وهما الحرتان - فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة...».

(١١) ابن هشام (١٢١/٢) ذكره بلاغا عن عروة وغيره من العلماء.

(١٢) الحج: ٣٩ - ٤١.

(١٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٤٣٦/٥) أن ابن عباس قال: «كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون لهم: «اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال» حتى هاجر ﷺ فانزل الله هذه الآية، وهي أول آية أنزلت في القتال، وروى أحمد قول ابن عباس في أنها أول آية نزلت في القتال - انظر: المسند (٢٦٢/٢ ح ١٨٦٥). وصحح شاكر إسناده، وتفسير ابن كثير (٤٣٠/٥) - (٤٣١).

(١٤) البخاري/ الفتح (١٧٢/٦ ح ١٢٧٦).

(١٥) انظر في ذلك مثلا: مسلم (١٤٨٨/٣ ح ١٨٦٥) وهو الحديث الذي سأل فيه الأعرابي الرسول ﷺ عن الهجرة، فقال: «ويحك، إن شأن الهجرة شديدا»، والبخاري/ الفتح (١٤١/١٤) ك. فضائل أصحاب النبي ﷺ مناقب المهاجرين وفضائلهم.

(١٦) الفتح (٨٨/١٥ ح ٣٩٠٥) وأخرجه أحمد (١٩٨/٦) وابن سعد في الطبقات (٢٢٦/١) مع اختلاف في بعض الألفاظ وزيادة وتقصان... ويلحظ أن بعض الروايات تسمى ابن مكتوم «عبدالله» وبعضها يسميه «عمرو» - انظر الذهبي: السيرة، ص ٣١٥، لأن أهل المدينة يقولون اسمه عبدالله وأهل العراق يقولون اسمه عمرو - قاله ابن سعد وغيره كما حكاه عنهم ابن حجر في ترجمة عمرو بن أم مكتوم في الإصابة (٥٢٣/٢).

أول المهاجرين:

ذكر البخاري^(١٧) أن أول من هاجر إلى المدينة مصعب بن عمير وعبدالله بن أم مكتوم. وذكر ابن إسحاق^(١٨) وابن سعد^(١٩) أن أول من هاجر هو أبوسلمة بن عبد الأسد، وجزم بذلك موسى بن عقبة^(٢٠). وذكر ابن حجر^(٢١) أنه يمكن الجمع بين حديث أهل المغازي والسير وحديث البخاري بحمل الأولوية على صفة خاصة، هي أن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة، بخلاف مصعب، فكان عليه نية الإقامة بها، ليعلم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ، فلكل أولوية من جهة.

ما وقع للمسلمين في سبيل الهجرة:

ذكرت أم سلمة (رضي الله عنها) أن زوجها أبا سلمة عندما أراد الهجرة حملها مع ابنه سلمة، فرآه أهلها، فلحقوا به، وقالوا له: «هذه نفسك غلبتنا عليها، رأيت صاحبك هذه؟ علام نترك تسير بها في البلاد.»، وانتزعوها منه، وغضب عند ذلك رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابنتنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا الطفل بينهم حتى خلعوا يده، وذهبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة، فكانت أم سلمة بعد هجرة زوجها وانتزع ابنها منها - تخرج كل غداة بالأبطح، تبكي حتى تمسي، نحو سنة فرق لها أحد ذويها، فقال لرهطه: ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقم بينها وبين زوجها وولدها، فقالوا لها: إن شئت الحقي بزوجك، فاسترجعت ابنها من آل سلمة، وهاجرت إلى المدينة بصحبة عثان بن أبي طلحة^(٢٢). وعندما أراد صهيب الهجرة، قال له المشركون: «أتيتنا صعلوكا حقيرا،

(١٧) الفتح (١٥/١١٨) ج ٣٩٢٤، ٣٩٢٥.

(١٨) ابن هشام (٢/١٢٢) بدون إسناد، ولكنه ذكر قصة كيفية هجرته بإسناد حسن.

(١٩) الطبقات (١/٢٢٦) بإسناد متصل من رواية الواقدي.

(٢٠) رواء الزهري كما هو عند الذهبي في سيرته، ص ٣١٣. وهو مرسل.

(٢١) الفتح (١٥/١١٩) ج ٣٩٢٥.

(٢٢) رواها ابن إسحاق - ابن هشام (٢/١٢٣ - ١٢٤) وقال المحقق: «تخرج خبر هجرة أبي سلمة:

لم أجده عند غير ابن إسحاق... وإسناده حسن.

فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك»، فقال لهم صهيب: «أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أنخلون سبيلي؟» قالوا: «نعم»، قال: «فإني قد جعلت لكم مالي». فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ربح صهيب»^(٢٣). وفي رواية عنه أنه قال لهم عندما لحقوا به: «هل لكم أن أعطيكم أواقى من ذهب وتخلوا سبيلي؟ ففعلوا، فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواقى. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قباء، قبل أن يتحول منها، فلما رأي قال: يا أبا يحيى، ربح البيع، ثم تلا هذه الآية ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله...﴾ الآية^(٢٤).

ورويت عدة روايات مرسلة في أن آية ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله...﴾ قد نزلت فيه بمناسبة قصة هجرته. وعلق الطبري^(٢٥) على هذه الروايات بعد أن أوردتها، فقال في تعليقه: «وأما ما روي من نزول الآية في أمر صهيب، فإن ذلك غير مستنكر، إذ كان غير مدفوع بجواز نزول آية من عند الله على رسول الله ﷺ بسبب من الأسباب، والمعني بها كل من شمله ظاهرها. «وقال ابن كثير»^(٢٦) - بعد أن أورد الروايات في هذا الشأن - : «وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله...» ولا تعارض بين ما ذكر الطبري وهذا الذي ذكره ابن كثير لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٢٣) رواه ابن هشام معلقاً - السيرة (١٣٣/٢)، ووصله الحاكم في المستدرک (٣٨٩/٣) وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، ووافق الألباني الحاكم في تصحيحه كما في حاشيته على فقه السيرة للزحلي، ص ١٦٦، وقال: «وله شاهد من حديث صهيب نفسه، ورواه الطبراني كما في المجموع (٦٠/٦) والبيهقي كما في البداية (١٩١/٣). قلت: وقول الرسول ﷺ له هنا عندما رآه «يا أبا يحيى! ربح البيع».

- ورواه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٠٩ ح ٨٢٨/٢) مرسلًا ورجاله ثقات كما قال المحقق. ويفهم من مجموع الروايات أن صهيبا هاجر بعدما هاجر الرسول ﷺ، وبذلك جزم ابن حجر في الإصابة (١٩٥/٢) ترجمة رقم ٤١٠٤ وانظر تفسير ابن كثير (٣٦٠/١).

(٢٤) البقرة: ٢٠٧. والرواية مطولة في المستدرک وصححها الحاكم. انظر المستدرک (٤٠٠/٣).

(٢٥) تفسير الطبري (٢٥٠/٤) / شاكراً، وانظر: زاد السير (٢٢٣/١) وتفسير ابن كثير (٣٦٠/١).

(٢٦) التفسير (٣٦٠/١).

هجرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ومن معه من المسلمين:

روى ابن إسحاق^(٢٧) عن عمر (رضي الله عنه) أنه قال: «اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التناضب^(٢٨) من أضاة^(٢٩) بني غفار، فوق سرف وقلنا: أينما لم يصح عندها فقد حبس فليمض صاحبه. فأصبحت أنا وعياش عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفتن فافتن».

وعندما نزلت الآية ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم. وأنبئوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾^(٣٠)، كتبها عمر وأرسل بها إلى هشام بن العاصي بمكة، فوجد صعوبة في فهمها، فدعا الله أن يفهمه إياها، فألقى الله في قلبه أنها نزلت في أمثاله، فلحق برسول الله ﷺ بالمدينة^(٣١). وعند ابن عبد البر أنه هاجر بعد الخندق.

وقد ثبت أن الرسول ﷺ كان يقنت في ركوعه داعيا: «اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة.. الحديث^(٣٢)»، وفي

(٢٧) ابن هشام (١٢٩/٢ - ١٣١) بإسناد حسن. وصححه ابن حجر في الإصابة (٦٠٤/٣) وهو من رواية ابن السكن بإسناد ابن إسحاق. وهذا الأثر أو الخبر الصحيح في قصة هجرة عمر (رضي الله عنه) يخالف الحديث الضعيف المشهور عند كثير من الناس من أن عمر (رضي الله عنه) أعلن هجرته وقال للمشركين من أراد أن تشكل أمه وترمل زوجته فليقتل وراء هذا الوادي... الخبر وأصل الخبر عند ابن الأثير (أسد الغابة ٥٨/٤) وقد خرج الألباني في دفاع، ص ٤٣، وحكم عليه بالضعف.

(٢٨) و (٢٩) قال البلاذري: «التناضب وأضاة بني غفار، موضع واحد. الأضاة: أرض غسك الماء فيكون فيها الطين. والتناضب: شجرات في هذه الأضاة، وهي لا زالت مشاهدة على جانب وادي سرف الشامي إلى جوار قبر أم المؤمنين ميمونة. وقام بجانبها الغربي حي على بعد ثلاثة عشر كيلا من مكة. نحو الشام». وانظر محمد شراب: المعالم الأثرية مادة: التناضب.

(٣٠) الزمر: ٥٣ - ٥٥.

(٣١) هذه الرواية الصحيحة بخلافه لرواية ضعيفة رواها ابن هشام في السيرة (١٣١/٢ - ١٣٢) معلقة، نقول إن الوليد بن الوليد قدم مكة مستخفيا بناء على رغبة الرسول ﷺ وتمكن من معرفة مكان حبس عياش وهشام بن العاصي فأطلقها وحملها على بعيره إلى المدينة.

(٣٢) البخاري/ الفتح (٨٧/١٧ - ٨٨/٨٨ ح ٤٥٦٠).

رواية بزيادة: «... اللهم انج المستضعفين من المؤمنين»^(٣٣)...

وقد أنجا الله هؤلاء الثلاثة وغيرهم.

أما أبوبكر الصديق، فعندما أراد أن يهاجر، استبقاه الرسول ﷺ ليصحبه في هجرته عندما يؤذن له بذلك. وظل يستعد لذلك اليوم، فاشترى راحتين، وأخذ يعلفهما لمدة أربعة أشهر^(٣٤).

وقد روى الحاكم^(٣٥) أن الرسول ﷺ قال للجبريل: «من يهاجر معي؟ قال: أبوبكر الصديق».

وتتابعت مواكب المؤمنين إلى دار الهجرة، دار الإسلام، ولم يبق أحد في دار الكفر، دار الحرب، إلا مستضعف مغلوب على أمره، أو صاحب عذر.

وكان آخر من بقي ممن هاجر عبدالله بن جحش (رضي الله عنه). وكان قد كف بصره، فلما أجمع على الهجرة كرهت امرأته ذلك، وجعلت تشير عليه أن يهاجر إلى غير المدينة، فهاجر بأهله وماله سرا، حتى قدم المدينة، وسطا أبوسفیان على داره بمكة فباعها. ومر بها بعد ذلك أبوجهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والعباس بن عبدالمطلب وحويطب بن عبدالعزيز، وفيها اهب معطوبة، فذرفت عينا عتبة، وتمثل بيت من شعر، هو:

وكل دار وإن طالت سلامتها يوما سيدركها النكباء والحبوب

وأقبل أبوجهل على العباس قائلا: «هذا ما أدخلتم علينا»^(٣٦).

وروى هذه القصة ابن إسحاق^(٣٧) بنحو رواية الهيثمي، ولكن في روايته أن الكفيف هو عبد بن جحش وكنيته «أبوأحمد» وهو أخو عبدالله بن جحش، وأن زوجته هي الفرعة بنت سفيان بن حرب، وأن أخاه عبدالله حمله

(٣٣) البخاري/ الفتح (١٢/٦٥) ح ٢٩٣٢.

(٣٤) انظر: البخاري/ الفتح (١٥/٨٨) ح ٣٩٠٥.

(٣٥) روى الحاكم عن علي: المستدرک (٣/٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد والمتن ولم يخرجاه».

وقال الذهبي: «صحيح غريب».

(٣٦) ذكره الهيثمي في المجمع (٦٣/٦ - ٦٤) وعزاه إلى الطبراني، وقال: «فيه عبدالله بن شبيب وهو ضعيف».

(٣٧) ابن هشام (١٢٤/٢ - ١٢٥) - معلقا. فهو ضعيف.

معه عندما هاجر إلى المدينة مع أهله. ويبدو أن رواية ابن اسحاق هي الأقرب إلى الصواب، فقد ذكرها ابن حجر^(٣٨) ولم يذكر غيرها. وفي هذه القصة وغيرها دليل على أن كثيرا من الدور بمكة قد خلت من أصحابها.

المبحث الثاني: هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة:

أولا: تأمر قریش: عندما علم المشركون بما تم بين الرسول ﷺ والأنصار في العقبة الثانية، وعندما رأوا المسلمين يهاجرون إلى المدينة زرافات ووحدا، خشوا من تجمع المسلمين بالمدينة وخروج الرسول ﷺ إليهم ليقودهم نحو تحقيق ما يريد. ولذا قرروا التخلص من رأس هذا الكيان الجديد.

ففي يوم الخميس السادس والعشرين من صفر، سنة أربع عشرة من المبعث، الموافق الثاني عشر من أيلول (سبتمبر) عام ست مائة واثنين وعشرين لميلاد عيسى (عليه السلام)^(٣٩) أي بعد شهرين ونصف تقريبا من بيعة العقبة الثانية - الكبرى^(٤٠)، عقد زعماء قریش اجتماعا خطيرا في دار الندوة، ليشاوروا في أنجع الوسائل للتخلص من الرسول ﷺ.

وقد ذكر القرآن الكريم مضمون الآراء التي طرحت في ذلك الاجتماع. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ^(٤١) أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ^(٤٢)﴾.

(٣٨) الإصابة ٣/٤ في ترجمة أبي أحمد بن جحش.
(٣٩) ذكره المباركفوري، ص ١٧٩ وقال في الحاشية: «أخذنا هذا التاريخ بعد مراجعة التحقيقات التي سجلها المنصورفوري في كتابه: «رحمة للعالمين» (٩٥/١، ٩٧، ١٠٢، ٤٧١/٢).
(٤٠) لأن بيعة العقبة الكبرى كانت في حزيران (يونيو)، سنة ٦٢٢م كما ذكر المباركفوري، ص ١٦٤. أما مسألة الشهرين والنصف تقريبا فيفهم ذلك من ابن لهيعة، عن أبي الأسود عن عروة - انظر مغازي عروة، ص ١٢٨.

(٤١) ليثبتوك. ليسجنوك.
(٤٢) الأنفال: ٣٠.

روى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس أن هذه الآية نزلت بهذه المناسبة، وذكر القصة (المسند: ٨٧/٥) وقال شاعر: «في إسناده نظر، من أجل عثمان الجزري،... والحديث نقله ابن كثير في التفسير (٤٩/٤) عن هذا الموضع. وهو في مجمع الزوائد (٢٧/٧) ونسبه أيضا للطبراني، وقال: «وفيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقة ابن حبان، وضعفه غيره، وبقيته رجاله رجال الصحيح» ونسبه في الدر المنثور (١٧٩/٣) أيضا لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن

وجاءت الأحاديث والآثار مفصلة ما أجملته هذه الآية. فإضافة إلى ما جاء في رواية ابن عباس عند أحمد في سبب نزول الآية ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ هناك رواية أخرى عن ابن عباس عند ابن إسحاق^(٤٣) فيها تفصيل أكثر عن هذه المؤامرة.

ففي هذه الرواية انهم عندما اجتمعوا في دار الندوة للتشاور في أمر رسول الله ﷺ جاءهم إبليس في صورة رجل شيخ، مدعياً أنه من أهل نجد^(٤٤)، قال إنه سمع بالذي اجتمعوا له وأراد أن يشاركهم الرأي والنصيحة فأذنوا له...

وعندما دارت المناقشة واقترح أحد المؤثرين أن يحبسوا الرسول ﷺ، قال الشيخ النجدي: «لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلاؤشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم...».

ثم اقترح أحدهم أن ينفوه، فدحض النجدي الاقتراح مبيناً أن حسن

مردويه وأي نعيم في الدلائل والخطيب... قال ابن كثير في البداية (١٩٩/٣): «وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار...» وكذلك حسنه ابن حجر في الفتح (٩٠/١٥). وذكر كذلك عروة أن الآية نزلت بهذه المناسبة. انظر مغازي عروة، ص ١٢٨. وروى البيهقي في الدلائل (٤٦٥/٢ - ٤٦٦) من حديث ابن لهيعة ومحمد بن قليح عن أبي الأسود عن عروة أن الآية نزلت بهذه المناسبة.

(٤٣) ابن هشام (١٣٦/٢ - ١٣٩)، وصرح فيه بالساع وسنده منقطع، لأنه لم يسم من حدثه، ووصله الطبري في تاريخه (٣٧٠/٢ - ٣٧٢) وبذلك يكون إسناده حسناً. وروى قصة مادار في دار الندوة وإبليس - الشيخ النجدي:

الزهرى في مغازيه، ص ١٠٠، وسعيد بن يحيى الأموي، عن أبيه، كما ذكر الذهبي في سيرته، ص ٣١٧، وابن سعد (٢٢٧/١) من رواية الواقدي.

قال عرجون في كتابه «محمد رسول الله» (٤٩٨/٢): «إن قصة إبليس في صورة شيخ نجدي ضرب من الخيال والجنون لأنه لم يثبت في خبر صحيح عن رسول الله ﷺ وكان ما جاء فيه رواية مرسلة عن ابن عباس ولم يثبت لها سند يمكن التثبت به والاعتداد عليه». قلت: جاءت القصة بطريق صحيح عن ابن إسحاق والطبري إضافة إلى أن ابن إسحاق والزهرى والواقدي وابن سعد والأموي من أئمة المغازي والسير، واتفقوا على ذكر هذه القصة مما يدل أن ما أصلاً، خاصة حديثهم، إذا استثنينا قصة النجدي، ورد مضمونه في أحاديث صحيحة، مثل الأحاديث التي وردت في تفسير الآية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.

(٤٤) يذكر السهلي في الروض (٢٢٩/٢) أنه ادعى ذلك، لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تامة، لأن هواهم مع محمد.

حديث الرسول ﷺ ومنطقه وأسره القلوب سيجذب الناس إليه ويغلب بهم قريشا. وأخيرا اقترح أبوجهل أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا نسيبا وسيطا فيهم، ويعطى كل واحد، منهم سيفا صارما، فيضربون جميعا بأسيا فيهم محمدا ضربة رجل واحد، ليتفرق دمه بين القبائل، ولا يقدر بنوعبد مناف على حرب قومهم جميعا، فيرضوا بالدية.

أيد النجدي هذا الاقتراح، ووافق عليه الجميع، وتفرقوا على ذلك ولم يبق إلا التنفيذ^(٤٥).

ثانيا: الإذن بالهجرة، والتخطيط لها ثم الشروع فيها:

بعد اتخاذ هذا القرار، أتى جبريل (عليه السلام) رسول الله ﷺ وأخبره به، وأمره بعدم المبيت على فراشه هذه الليلة، والهجرة.

روى البخاري^(٤٦) والطبري^(٤٧) من حديث ابن اسحاق انه عندما أذن للرسول ﷺ وأمر بالهجرة جاء متقنعا إلى منزل أبي بكر (رضي الله عنه) في وقت لم يعتد أن يزوره فيه، في نحر الظهر - أول النهار - وهو أشد ما يكون في حرارة النهار. وعندما أخبر أبو بكر بقدومه، علم أن قدومه في تلك الساعة وبذلك الكيفية، إنها هو لأمر خطير.

وعندما أذن له أبو بكر بالدخول، طلب أن يخرج من عنده حتى لا يعرف

(٤٥) لم تحدد الرواية الساعة التي اجتمعوا فيها، هل كانت ليلا أم نهارا، ولم تنف على المدة الزمنية بين اتخاذ قرار القتل وبين الشروع في تنفيذه، وبالتالي لم تنف على رواية تشير إلى المدى الزمني بين مجيء الرسول ﷺ إلى منزل أبي بكر وبين زمن اجتماع فريش وفرار القتل. والذي نرجحه من قرائن الأحوال أن بين الحادثتين فترة زمنية معينة، هي الفترة التي تم فيها اختيار الفتيه المنوط بهم تنفيذ الخطة، وأن هناك فترة زمنية بين مجيء الرسول ﷺ إلى أبي بكر وبين زمان خروجها إلى الهجرة، إذ أن الخطة الفخية وضعتها الرسول ﷺ مع أبي بكر لإنجاح الهجرة، خاصة الانفاق مع الدليل، تقتضي زمنا يسيرا.

(٤٦) الفتح (١٥/٨٨) ح/٣٩٠٥. والقصة عند ابن اسحاق بدون إسناد - ابن هشام (٢/١٤٠) وزوى أحد في المسند (٥/٢٥٠) شاكرا بإسناد صحيح والحاكم في المستدرک (٣/٤) بإسناد صحيحه ووافقه الذهبي أن أبي بكر جاء إلى بيت الرسول ﷺ ووجد عليا ينام على فراشه، وظنه النبي ﷺ فأخبره علي أن النبي ﷺ قد انطلق إلى بئر ميمون. فأدركه وسار معه إلى الغار. وبسكن الجمع بين هذه الرواية ورواية البخاري بأن يكون مجيء النبي ﷺ إلى أبي بكر في نحر الظهرية من ذلك اليوم الذي حاصر فيه المشركون بيت النبي ﷺ ليلا فمر عليه أبو بكر فلم يجده، وبعدما أخبره علي لحق به في بئر ميمون، ومنها انطلقا إلى الغار - قاله د. العودة، ص ٤٠٣.

(٤٧) تاريخه (٢/٣٧٧ - ٣٧٩) بإسناد حسن.

ما يقول له، وطمأنه أبوبكر بأن من عنده هم أهل الرسول ﷺ، ثم أخبر أبابكر بأن الله قد أذن له بالهجرة. وطلب أبوبكر أن يصحبه، فأكد له ما سبق أن ألمح له به من قبل. وأراد أبوبكر من الرسول ﷺ أن يأخذ إحدى الراحلتين، فوافق الرسول ﷺ، ولكن على أن يدفع ثمنها.

إن قول أبي بكر للرسول ﷺ بأن من عنده هم أهل الرسول ﷺ يريد بذلك عائشة وأسماء (رضي الله عنهما). وهما مسلمتان، وعائشة (رضي الله عنها) قد عقد عليها الرسول ﷺ، فهي زوجته، فلا خوف منها. وقد صرح بهذا المعنى موسى بن عقبة في روايته، فقال: «أخرج من عندك، قال: لا عين عليك، إنما هما ابنتاي»، وفي روايته عن ابن شهاب، قال: «قالت عائشة: وليس عند أبي بكر إلا أنا وأسماء»^(٤٨). - وفي رواية ابن إسحاق^(٤٩): «إنما هما ابنتاي».

عند لقاء الرسول ﷺ بأبي بكر أخذوا في وضع خطة للهجرة وإبطال كيد الكافرين. وكانت الخطة كالآتي، كما ذكرها البخاري وابن إسحاق:-
١ - أن يخرجوا ليلاً إلى غار ثور^(٥٠) في الجهة الجنوبية الغربية من مكة، وفي هذا تنويه على الكفار، لأن أنظارهم ستعجه للبحث عن الرسول ﷺ في الجهة الشمالية - جهة المدينة.

٢ - أن يمكنا في الغار لمدة ثلاثة أيام^(٥١) حتى يخف الطلب عنهما.
٣ - واستأجرا دليلاً ماهراً عارفاً بمسالك طرق الصحراء، ليقودهما إلى المدينة، وهو عبدالله بن أرقط^(٥٢) الدَّبَلِي، وكان مشركاً. واستكنه الخبر. واتفقا معه على أن يلحق بهما في غار ثور بعد ثلاثة أيام. ودفعاً إليه

(٤٨) ذكره ابن حجر في الفتح (٨٨/١٥ - ٨٩).
(٤٩) ابن هشام (١٤٢/٢) بسند أهم فيه من حديثه، وبقيّة الإسناد رجاله ثقات، ووصله الطبري في تاريخه من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - تاريخ الطبري (٣٧٨/٢).
(٥٠) البخاري/ الفتح (٩٠/١٥) ح/٣٩٠٥.
(٥١) المصدر والمكان نفسيهما، والطبري في تاريخه (٣٧٨/٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن.
(٥٢) كذا في أصل سيرة ابن هشام المخطوط بالأسكوريال (ق ٤٦/ب) - بالذال، وفي المطبوع «أريقط» فلعلة تصحّف في المطبوع من سيرة ابن هشام - قاله الدكتور سليمان العودة، ص ٤٠٧ - حاشية. والمشهور عند أهل السير: «أريقط». قلت وفي المطبوع من تاريخ الطبري «أرقده»، فأنظره في (٣٨٠/٢) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن. وقال محقق السيرة الشامية (٣/٣٤٦) الحاشية إنه في المخطوط «أرقده».

- بالراحتين اللتين اشتراهما أبوبكر، وكان يعلفهما لهذا اليوم^(٥٣).
- ٤ - وضعت لهما أسماء زادا ووضعه في جراب، وقطعت من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق^(٥٤)، وفي رواية: ذات النطاقين^(٥٥).
- ٥ - وأمر أبوبكر ابنه عبدالله أن يتسمع لهما ما يقوله الناس عنها في النهار، فيأتيهما به بالليل في الغار، ثم يرجع إلى مكة في السحر ليصبح مع قريش^(٥٦).
- ٦ - وأمر مولاه عامر بن فُهَيْرَة أن يرعى غنمه نهاره ثم يربحها عليهما في الغار إذا أمسى ليطعما من ألبانها^(٥٧)، ويذبحا منها للأكل^(٥٨)، ويزيل بها آثار أقدام عبدالله بن أبي بكر^(٥٩).
- ٧ - وأمر أسماء أن تأتيهما من الطعام بما يصلحهما في كل مساء^(٦٠).
- ٨ - وانطلق رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب فأمره أن يتخلف بعده بمكة ريثما يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، إذ لم يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشى عليه إلا استودعه عند رسول الله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته^(٦١).
- ٩ - وأمره أن ينام على فراشه ويتسجي ببرده الحضرمي الأخضر، الذي ينام فيه، وطمأنه بأنه لن يصل إليه منهم شيء يكرهه^(٦٢)، وذلك للتمويه.

(٥٣) البخاري/ الفتح (٥١/ ٩٢ - ح/ ٩٣ - ٣٩٠٥).

(٥٤) رواه البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٠ - ح/ ٣٩٠٥) من حديث عائشة في قصة الهجرة.

(٥٥) المصدر نفسه (١٦/ ١٠٣ - ح/ ٣٩٠٧) من حديث أسماء. ذكر ابن سعد (١/ ٢٢٩) أنها شقت نطاقها فأروكأت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين. وهي رواية الواقدي. وذكر ابن إسحاق وابن هشام سبب هذه التسمية (ابن هشام ٢/ ١٤٤) وكلاهما بدون إسناد.

(٥٦) البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٢ - ح/ ٣٩٠٥)، وابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ١٤٣).

(٥٧) البخاري/ الفتح (١٥/ ٩١ - ح/ ٩٢ - ٣٩٠٥)، ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ١٤٣).

(٥٨) (٥٩) (٦٠) ابن إسحاق - المصدر والمكان نفسهما.

(٦١) ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ١٤٢)، ووصله الطبري في تاريخه (٢/ ٣٧٨) وإذا اعتبرنا الجملة «فينا بلقي» خاصة بمن أعلمهم الرسول ﷺ فيكون الخبر حسنا.

(٦٢) روى أحمد بإسناد حسن أنه بات على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ولم يزد على ذلك: المسند (٥/ ٨٧/ ٥) شاكراً. وذكر الحاكم في المستدرک (٣/ ٤) أنه بات على فراشه وذكر حوار المشركين معه عندما اكتشفوه وهو ينام على غير الصفة التي كان ينام عليها الرسول ﷺ. وما ذكرناه رواه ابن إسحاق بإسناد مقطوع وهو حسن بالشواهد.

١٠ - وأمر أبو بكر عامر بن فُهَيْرَة أن يصحبها في هجرتها ليخدمها ويعينها في الطريق^(٦٣).

لقد أمر الله الرسول ﷺ بهذه الهجرة بعد أن مكث في مكة ثلاث عشرة سنة بوحى إليه^(٦٤). وعندما أمره بالهجرة أنزل عليه قوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا^{(٦٥)(٦٦)}﴾. وكان ما أراده من الله له في هذا الدعاء الموجز المعبر، والذي اختاره له الله ليجعله مفتاحا للطمأنينة.

أما في الجانب الآخر فقد اختار زعماء قريش في ندوتهم أحد عشر زعيما يمثلون قبائل قريش المعادية للإسلام، ففقضوا نهار يومهم ذاك في الإعداد لتنفيذ القرار الذي اتخذوه في دار الندوة.

وعلى الرغم من علم الرسول ﷺ بهذا القرار، لم ينس أن يقوم بعمل إيماني بطولي، يعد بمفهومنا المادي اليوم «مغامرة»، بل قال عنه الذهبي «منكر»، أي غير منطقي. وهو أنه ذهب في تلك الليلة مع علي إلى الكعبة، وأمره أن يصعد على منكبها إلى فوق الكعبة، ليرمي صنم قريش الذي كان من نحاس وموتد بأوتاد من حديد. وعندما كان علي يعالج الصنم ليفكه كان الرسول ﷺ يقول: «جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا».

(٦٣) البخاري/ الفتح (١٥/٩٣/ح ٣٩٠٥).

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٥/٨٣/ح ٣٩٠٢)، وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: هذا أصح مما أخرجه أحمد عن يحيى بن سعيد عن هشام بن حسان بهذا الإسناد، قال: «أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشرة، وأصبح مما أخرجه مسلم من وجه آخر، عن ابن عباس أن إقامة النبي ﷺ بمكة كانت خمس عشرة سنة. وقال ابن كثير في البداية (٣/٢٨٨): «وقد كانت مدة إقامته (عليه السلام) بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة: في أصح الأقوال، وذلك بعد أن ساق الأقوال المختلفة في الموضوع، فانظره لتأم الفائدة.

(٦٥) الإسراء: ٨٠.

(٦٦) رواه أحمد: المسند (٣/٢٩١) وصححه شاكر إسناده، والترمذي: السنن (٨/٢٩١/ك التفسير/ح ٣١٤٨ ط الدعاس) وقال: حديث حسن صحيح، ونقله ابن كثير في التفسير (٥/٢٢٣) عن المسند وأقر تصحيح الترمذي له، والحاكم في المستدرک (٣/٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن (٩/٩) بالسند نفسه.

ومن أشهر روايات المفسرين وأصحها ما ورد في تفسير مدخل الصدق - بمدخل رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجرا، ومخرج الصدق مخرجه من مكة مهاجرا إلى المدينة. وهو قول الحسن البصري وقتادة، واختاره ابن جرير وتابعه في ذلك ابن كثير. انظر تفسير الطبري (١٥/١٤٨) وتفسير ابن كثير (٥/١٠٨).

وتكن علي من فكه ورميه وتكسيره، وانطلقا ولم يرها أحد، ولم يرفع الصنم بعد ذلك (٦٧).

وهذا التصرف عندنا من المعجزات الدالة على عناية الله برسوله ﷺ. فلما كانت عتمة من الليل اجتمع القوم المنوط بهم تنفيذ الخطة، على باب الرسول ﷺ يترقبون نومه، ليشوا عليه، وكان معهم أبوجهل، ليطمئن على سير الخطة، ويشجعهم على التنفيذ، ومما كان يفعله بهذا الصدد السخرية من محمد ﷺ والتشكيك في دعوته، فتراه يقول لهم: «إن محمداً يزعم أنكم إذا تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها» (٦٨).

وبينما هم على هذه الحالة خرج عليهم رسول الله ﷺ، وقد سمع كلام أبي جهل، فأخذ حفنة من تراب، ثم قال: أنا أقول ذلك، أنت أحدهم، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهم لا يرونه، لأن الله قد أخذ على أبصارهم، وهو يتلو الآيات من سورة «يس»: ﴿يس والقرآن الحكيم...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾. وتركهم على هذه الحالة، ثم خرج (٦٩).

وعندما خرج أبوبكر كان يحمل معه كل ماله، وقدره خمسة آلاف أو ستة

(٦٧) أخرجه الحاكم في المستدرك من عدة طرق (٣٦٦/٢ - ٣٦٧) و٥/٢، وصححه، وقال الذهبي: إسناده نظيف والمثل منكر. وأخرجه أحمد في مسنده وعبدالله في زوائده على المسند، كما في الفتح الرباني (٢٢٤/٢٠). ونقل الساعدي عن المجمع أنه رواه أحمد وابنه وأبويعلى والبزار. ورجال الجميع ثقات وضعف أبو إسحاق الجويني الأثري إسناده لأن فيه أبا مريم الثقفي، وهو عنده مجهول انظر النسائي: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بتحقيق أبي إسحاق الأثري، ص ١١٣ وله مناقشة مفيدة في ترجمته، فانظرهما.

(٦٨) ابن إسحاق بإسناده حسن مرسل، موقوف على محمد بن كعب القرظي (ابن هشام ١٣٩/٢).

(٦٩) من رواية ابن إسحاق - بدون إسناده - ابن هشام (١٤٣/٢) وفي هذا الخبر أنه خرج متوجهاً إلى منزل أبي بكر، فتسللا من خوخة - باب خلقي - في دار أبي بكر، وذهبا إلى غار ثور، بأسفل مكة. وهذا مخالف للكيفية التي سبق ذكرها في خروجها إلى غار ثور، وقد وفق الدكتور العودة بين الروايات في هذا الموضوع كما ذكرنا. فانظره في مكانه.

آلاف درهم^(٧٠).

وفي طريقهما إلى الغار، وقبل أن تختفي مكة عن الأنظار، نظر إليها الرسول ﷺ بعاطفة مشحونة بالذكريات، تدل على حبه لها لما بها من رموز في حياته. فكيف لا يحبها وقد أحبها الله (عز وجل) وجعل بها بيته المقدس، وفيها أرسله الله إلى العالمين. وقف ينظر إليها وهو يقول: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك لما خرجت^(٧١)».

وقال عنها في رواية أخرى: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

أما المتأمرون، فعندما رآهم أحد الناس أمام الباب، سألهم عن سبب وجودهم أمامه، فأخبروه الخبر، فأعلمهم أن النبي ﷺ قد خرج فلم يصدقوه، لأنهم يرون عليا نائما على فراش النبي ﷺ فظنوه محمدا ﷺ. ولم يكتشفوا الحقيقة إلا عندما قام علي من الفراش في الصباح^(٧٢).

(٧٠) ذكر قصة أخذ ماله وحوار أبيه مع ابنته أسماء في هذا الشأن: الإمام أحمد بإسناد صحيح، وهو إسناد ابن إسحاق نفسه - انظر: الفتح الرباني (٢٨٢/٢٠ - ٢٨٣)، وابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (١٥٢/٢)، والحاكم في المستدرک (٥/٣ - ٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٧١) رواه الترمذي، كما في تحفة الأحوف (٤٢٦/١٠) وقال: «حسن غريب صحيح». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٨٣ ح/٢٥٠/٣) ورواه ابن ماجه - انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني (١٩٦/٢) وصححه، وفيه أن الراوي - عبدالله بن عدي - قال: «رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته، واقف بالحزوة - موقع قرب مكة - أو سوق مكة - انظر ابن كثير البداية (٢٢٥/٣) - ٢٢٦) يقول: ... الحديث «وفيه إشكال لأن الرسول ﷺ لم يذهب إلى الغار راجيا ولم يره أحد، لأنه خرج مستخفيا، فكيف يسمعه ابن عدي؟ ولعل هذا القول في مناسبة أخرى، ورواه البيهقي في الدلائل (٥١٨/٢) من حديث عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وفيه الوقوف بالحزوة، قال البيهقي: «وهذا وهم من معمر»، وهم أيضا من رواه من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة؛ والحاكم في المستدرک (٧/٣)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٧٢) ابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (١٣٩/٢). وخلاصة القول إن قصة تأمر المشركين على الرسول ﷺ ومبيت علي في فراشه، تتقوى بها يأتي من الشواهد والمتابعات.

أ - إن للقصة أصلا في كتاب الله تعالى، في قوله: «وإذ يامر بك الذين كفروا...» وذكر المفسرين سبب نزولها هو هذه المناسبة.

ب - إنها وردت من عدة طرق يشد بعضها بعضا.

ج - شهرتها واستفاضتها عند أئمة السير والمغازي. انظر في ذلك: الدكتور السعود في رسالته: أحاديث الهجرة، غير منشورة، ص ١٣٤ [استدراك: نشرت أثناء طباعة هذا الكتاب].

وعند هذا أخذوا في وضع الخطط للعثور عليه ومن ذلك :

- ١ - إلقاء القبض فوراً على علي وضربه وسحبه إلى الكعبة ثم اعتقاله بعضاً من الوقت حين التحقيق معه للوصول إلى معلومات تفيدهم في العثور على الرسول ﷺ. ولكنهم فشلوا معه^(٧٣).
 - ٢ - جاء نفر منهم إلى منزل أبي بكر (رضي الله عنه) وفيهم أبوجهل، لعلهم يجدونه هناك ويفعلون به مثلاً فعلوا بعلي. فخرجت إليهم ابنته أسماء، فسألوها عن والدها، فقالت إنها لا تدري أين هو، فغضب أبوجهل لهذا الجواب، فلفظها لكمة طرح منها قرطها^(٧٤).
 - ٣ - وضعوا جميع الطرق النافذة من مكة تحت المراقبة الدقيقة.
 - ٤ - قرروا منح جائزة مقدارها دية كل من الرسول ﷺ وأبي بكر لمن يعثر عليها حين أو ميتين^(٧٥).
 - ٥ - استأجروا قصاص الآثار، ليتبعوا آثارهما حيثما حلا^(٧٦).
- الطريق إلى الغار:

روى البيهقي^(٧٧) وغيره^(٧٨) أنهما عندما انطلقا إلى الغار جعل أبو بكر يمشي

(٧٣) قاله الباركفوري في الرحيق المختوم وعزاه إلى المنصورفوري في رحمة العالمين (٩٦/١) ولم تقف على مصدر صاحب الرحمة.

(٧٤) ابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٢٤٥/٢).

(٧٥) البخاري/ الفتح (٣٩٠٦ ح/٩٣/١٥). وروى ابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام ١٥٢/٢) وذكر ابن الطبري: التاريخ (٣٧٩/٢) - أن قريناً جعلت مائة ناقة لمن يرد الرسول ﷺ عليهم. وذكر ابن حجر في الفتح (٩٣/١٥ - ٩٤) أن من صرح بأن الدية للواحد مائة ناقة: موسى بن عقة وصالح ابن كيسان في روايتهما عن الزهري والطبراني من حديث أسماء بنت أبي بكر. وقال عروة في مغازيه، من رواية ابن شيعة عن أبي الأسود عن عروة، ص ١٢٩: «وبعثوا إلى أهل المياه يأمرؤهم ويعملون لهم العمل العظيم».

(٧٦) قال ابن حجر في الفتح (٩١/١٥) شرح الحديث رقم ٣٩٠٥: «وذكر الواقدي أن قريناً بعثوا في أثرهما قافلتين: أحدهما كرز بن علقمة، فرأى على فم الغار نسج المنكبوت، فقال: ها هنا انقطع الأثر. ولم يسم الآخر، وسماه أبو نعيم في الدلائل (لم أجده في المطبوع): «سراقة ابن جهمش». وقال ابن حجر في الإصابة (٢٩٣/٣): «وذكر أبو سعيد في «شرف المصطفى» أن المشركين كانوا استأجروا كرز بن علقمة لما خرج النبي ﷺ مهاجراً فقفا أثره حتى انتهى إلى غار نور فرأى نسج المنكبوت على باب الغار فقال: «إلى هنا انتهى أثره ثم لا أدري أخذ يميناً أو شمالاً أو صعد الجبل». وذكر سراقة عند أبي نعيم من الغلط الواضح كما سيتضح.

(٧٧) الدلائل: (٤٧٦/٢).

(٧٨) وأخرجه الحاكم في المستدرک (٦/٣)، وقال: «صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه». وذكره ابن حجر في الفتح (٩١/١٥)، وذكر أن البغوي ذكره بنحوه من مرسل ابن أبي

==

ساعة بين يدي الرسول ﷺ وساعة خلفه، وعندما فطن له سألته عن السبب، قال يا رسول الله: «أذكر الطلب، فأمتي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمتي بين يديك»، فقال له الرسول ﷺ: «يا أبابكر لو كان شيء أحببت أن تكون لك دوني؟»، قال: «نعم»، والذي بعثك بالحق ما كان لتكون من ملة إلا أحببت أن تكون لي دونك».

أما الخبر الذي يروى عن عمر وفيه أن رسول الله ﷺ عندما خرج من مكة ليلاً ومعه أبوبكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه بحرسه، وعندما حفيت قدما الرسول ﷺ حمله على كاهله إلى فم الغار، وسده أحجار الغار بقدمه، والحيات تلسعه، ودموعه تسيل على الرسول ﷺ هذا الخبر قال عنه الذهبي^(٧٩): «وهو منكر، سكنت عنه البيهقي^(٨٠) وساقه من حديث يحيى بن أبي طالب، أخبرنا عبدالرحمن بن إبراهيم الراسبي وأفته من هذا الراسبي، فإنه ليس بثقة، مع كونه مجهولاً، ذكره الخطيب في تاريخه فغمز».

وقال ابن كثير^(٨١) عن هذا الحديث بعد أن ساقه من رواية البيهقي المشار إليها: «وفي هذا السياق غرابة ونكارة». وزاد الدكتور السعود^(٨٢) بعد قول ابن كثير هذا: «نعم، لأنه في سنده فرات بن السائب - ضعفه أبوحاتم وأبو زرعة - وقال أبوحاتم: «منكر الحديث» وقال البخاري: «تركوه، منكر الحديث»، فهذا الخبر ضعيف منكر».

في الغار:

وعندما انتهى إلى الغار قال أبوبكر للرسول ﷺ: «مكانك يا رسول الله

==

ملكية. وذكر ابن هشام نحوه بلافا، واختصار - ابن هشام (١٤٣/٢)، وذكره ابن كثير في البداية (١٩٧/٣) وعزاه للبخاري، وقال: «وهذا مرسل، وقد ذكرنا له شواهد أخرى من سيرة الصديق (رضي الله عنه)».

قلت: فالحديث يتقوى بالشواهد.

(٧٩) السيرة، ص ٣٢١.

(٨٠) الدلائل: (٤٧٧/٢).

(٨١) البداية والنهاية (١٩٨/٣).

(٨٢) رسالة الهجرة، ص ١٦٩.

حتى استبرىء^(٨٣) لك الغار»، فدخل فاستبرأه، ثم تذكر أنه لم يستبرىء الجحر الذي فيه، فقال: «مكانك يارسول الله حتى استبرىء»، فدخل فاستبرأ، ثم قال: «أنزل يارسول الله»، فنزل الرسول ﷺ إلى الغار^(٨٤). ركب قريش في كل وجه يطلبون النبي ﷺ. وبعثوا إلى أهل المياه يأمرؤهم، ويجعلون هم الجعل العظيم، وأتوا على جبل ثور الذي فيه الغار، الذي فيه النبي ﷺ، وطلعوا فوقه. وسمع الرسول ﷺ وأبوبكر أصواتهم، فأشفق أبوبكر وأقبل عليه الهم والخوف والحزن، وقال: «يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه». فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما^(٨٥)». وفي هذا نزل قول الله تعالى ﴿إلا تصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا، ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا^(٨٦)﴾.

وحى الله نبيه في الغار من كل سوء. ومن أدلة حماية الله له ولصاحبه: ما روى أحمد^(٨٧) أن قريشاً اقتفوا أثرهما، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت. فقالوا لو دخل ها هنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه. وروي مثله عن الحسن البصري، وزاد فيه أن النبي ﷺ كان يصلي في تلك اللحظات وأبوبكر

(٨٣) أي يتأكد من سلامته وخلوه من الآفات الضارة.

(٨٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤٧٦/٢) بإسناد مرسل، لأنه موقوف على ابن سيرين - سبق الكلام عنها. والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٦/٣) وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه على المستدرک.

(٨٥) أخرجه البخاري/ الفتح (١٧/٢٠٥ ح/٤٦٦٣)، الفتح (١٥/١١٧/٣٩٢٢) وفي الحديث: «لو أن بعضهم طأطأ بصره رأنا، وسلم (٤/١٨٤٣ ح/٢٣٨١)، وأحمد (١/١٥٩/١) (شاکر) وقال شاکر: «إسناده صحيح». ورواه ابن بیعة عن أبي الأسود عن عروة - مغازي عروة، ص ١٢٩.

(٨٦) التوبة: ٤٠. وانظر الآثار الواردة في سبب نزولها عند الطبري في تفسيره (٢٥٧/٤ - ٢٦٠)، بتحقيق شاکر، والقصة المذكورة هنا عند الشيخين وغيرهما قرئت بسبب نزولها.

(٨٧) المسند (٨٧/٥) (شاکر) وقال شاکر: «في إسناده نظر، من أجل عثمان الجري. وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقي رجاله رجال الصحيح، ونسب في الدر المنثور (٣/١٧٩) أيضاً لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل والخطيب... وذكر ابن كثير في تاريخه (٣/١٩٨ - ١٩٩) هذه الرواية. وقال عنها: «وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله لرسوله ﷺ». وكذلك حسنه ابن حجر في الفتح (٩٠/١٥).

يرتقب^(٨٨).

وروى الطبراني^(٨٩) أن رجلا من المشركين جاء إلى فم الغار، وجلس يتبول مستقبلا رسول الله ﷺ بعورته، فقال أبو بكر: «يارسول الله، إنه يرانا»، فقال: «كلا، إن ملائكة تسترنا بأجنحتها، لو كان يرانا ما فعل هذا». ومرت أيام الغار بسلام، إلا ما ذكر من أن حجرا أصاب يد رسول الله ﷺ فقال:

«هل أنت إلا أصبع دमित وفي سبيل الله ما لقيت^(٩٠)»
وقد رويت بعض الأخبار الواهية فيما يتعلق بفترة وجود النبي ﷺ وأبي بكر بغار ثور، من أشهرها:

١ - ما رواه ابن سعد^(٩١) والبخاري^(٩٢) من أن الله أمر شجرة فنبتت في وجه

==

قلت: ورواية عبدالرزاق في المصنف (٣٨٩/٥) منقطعا عن مقسم وقادة ومرة موصولا عن عائشة. وقال الألباني في حاشية فقه السيرة للجزالي (ص ١٧٣) عن تحسين ابن كثير وابن حجر لهذا الحديث: «وفي تحصيله نظر، فإن عثمان الجزري وهو ابن عمرو بن ساج، قال العقيلي: ولا يتابع في حديثه، ولهذا قال الحافظ في التقریب: فيه ضعف، ولا يقويه الشاهد الذي ذكره ابن كثير وابن حجر من رواية الحسن البصري فإنه مع كونه مرسلًا - فيه بشار الخفاف، وهو ابن موسى، وليس بثقة كما قال ابن معين، والنسائي، وضعفه غيرهما».

قلت: قال البخاري: (منكر الحديث).

ويبدو من تعليق الأرئوطين على الزاد (٥٢/٣) أنها يوافقان ابن كثير وابن حجر في تحسين الحديث، ويذكران أن رجال مرسل البصري ثقات، ولم يشيرا إلى ضعف بشار الخفاف وأقوال العلماء فيه.

(٨٨) وذكره ابن كثير في تاريخ (١٩٩/٣)، وعزاه إلى الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مستد أبي بكر، وقال عنه: «وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار».

(٨٩) رواه الهيثمي في المجمع (٥٣/٦ - ٥٤) وقال عنه: «وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب - وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره وبقي رجاله رجال الصحيح». وذكره الحافظ في الفتح (٩٤/١٥) وعزاه إلى الطبراني، ولم يتكلم فيه.

(٩٠) انظره في صحيح مسلم (١٤٢١/٣ ح ١٧٩٦)، وانظر تعليق عبدالباقى عليه وسيرة الذهبي، ص ٣٢٢.

(٩١) الطبقات (٢٢٩/١) من طريق عون بن عمرو القيسي وأبي مصعب المكي...

(٩٢) انظر كشف الاستار (٢٩٩/٢ - ٣٠٠) من طريق القيسي أيضا. والقيسي والمكي ضعيفان. قال ابن معين عن القيسي: «لا شيء»، وقال البخاري: «منكر الحديث»، وذكره العقيلي في الضعفاء - انظر: ميزان الإعتدال (٣٠٦/٣) ولسان الميزان (٣٨٨/٤). وقال العقيلي عن المكي: «مجهول» وقال عنه الذهبي: «لا يعرف» - انظر: الميزان (٣٠٦/٣) واللسان (١٠٥/٧). وقال ابن كثير في البداية (١٩٩/٣): «وقد ورد أن حماتين عشتا على بابة أيضا - الغار - وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول:

==

النبي ﷺ فسترته، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بضم الغار، وأن فتیان قريش عندما وصلوا إلى قدر أربعين ذراعاً من فم الغار، نظر أولهما فرأى الحمامتين، فرجع فقال له أصحابه: «مالك لم تنظر في الغار؟» قال: «رأيت حمامتين وحشيتين بضم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد»، فسمع النبي ﷺ قوله، فعرف أن الله قد درأ عنه بهما فسمت^(٩٣) عليهن وفرض جزاءهن وانحدرتا في حرم الله، فأفرخا، وأن نسل حمام الحرم منها.

٢- روى بعض أهل السير أن أبابكر لما قال للرسول ﷺ: «لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا تحت قدميه» - قال النبي ﷺ: «لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا» فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذ البحر اتصل به، وسقينة مشدودة إلى جانبه^(٩٤).

٣- ما روي من أن أبابكر قال لابنه: يابني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيته اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية^(٩٥).

== فعمى عليه العنكبوت بنسجه * وظل على الباب الحمام يبيض

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا عمرو بن علي، ثنا عون بن عمرو وأبو بكر عمرو القيسي - ولقبه عوين - حدثني أبو مصعب المكي، قال: «الحديث...»

يقول ابن كثير عن هذا الحديث: وهذا الحديث غريب جداً من هذا الوجه. وقال الألباني عن صاعد هذا في دفاع، ص ١٨: «وصاعد مجهول، لا يعرف، ولم يوثقه أحد، بل أشار الحافظ ابن حجر إلى أنه كين الحديث إذا لم يتابع». وانظر الحديث بهذه الأسانيد الضعيفة عند البيهقي في دلائله (٤٨١/٢ - ٤٨٢) وأبي نعيم في دلائله (٣٢٥/٢). وذكره الهيثمي في المجمع (٥١/٦ - ٥٣) وقال: «رواه البزار والطبراني، وفي جماعة لم أعرفهم، وتعمقه محقق كشف الأستار - الأعظمي - (٢٩٩/٢) حاشية» بقوله: «ليس فيه من يجهل إلا أبا مصعب المكي».

وفي هذا الحديث أن القائف كان سراقاً بن مالك بن جعشم المدلجي أي في غير كتابي البيهقي وأبي نعيم (أعني المطبوع).

(٩٣) بارك بالدعاء. (٩٤) قال ابن كثير في البداية (٢٠١/٣): «وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف...» قلت وإلى كلمة «قدميه» ورد بإسناد صحيح كما عند ابن حنبل في الفضائل (١٧٧١/ح ١٧٩).

(٩٥) أخرجه البزار بإسناد فيه موسى بن مطير كما في البداية (٢٠١/٣)، وقال عنه ابن كثير: «وموسى ابن مطير هذا ضعيف ومتروك، وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه». وزاد السمعوني (ص ١٦٩): «...» وقال أبو حاتم: متروك الحديث ذاهب الحديث - انظر: تاريخ ابن معين (٥٩٦/٢) والجرح والتعديل (١٦٢/٨).

٤ - ما روي من أن رجلا من المشركين جاء حتى استقبل رسول الله ﷺ بعورته بيول، فقال أبوبكر: «يا رسول الله: أليس الرجل يرانا؟» قال: «لو رأنا لم يستقبلنا بعورته»^(٩٦).

٥ - ما روي أن أبابكر عطش في الغار، فقال له رسول الله ﷺ: «اذهب إلى صدر الغار فاشرب»، فانطلق أبوبكر إلى صدر الغار فشرب منه ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك، ثم عاد، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهرا من جنة الفردوس إلى صدر الغار لتشرب»^(٩٧).

التوجه الى المدينة:

ولما انقطع الطلب عنهما، جاءهما الدليل - ابن أرقد - بعد ثلاث ليال من بقائهما في الغار ومعه الراحلتان. وكان معهما عامر بن فهيرة. انطلق الأربعة إلى المدينة، عن طريق الساحل^(٩٨).

بعد أن اتخذ الرسول ﷺ جميع الأسباب التي في مقدور البشر لينجو من الأعداء، كان مطمئنا، ولسانه رطب بذكر الله، بالدعاء، بينما كان أبوبكر يكثر الالتفات؛ حرصا منه على سلامة الرسول ﷺ^(٩٩).

وعندما حانت ساعة المقييل في يومهم ذاك، وخلا الطريق، رفع الله لهم صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليها الشمس، فنزلوا عندها، وسوى أبوبكر بيده مكانا تحتها، وبسط عليها فروة، وطلب من الرسول ﷺ أن ينام، وخرج هو ليراقب المكان، فإذا هو براح مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها مثل الذي أرادوا. وتكلم معه أبوبكر ليعرف أمره، فعرف أنه رجل من أهل

(٩٦) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٤/٦) وقال عنه: «وفيه موسى بن مطير، وهو متروك».
(٩٧) رواه السيوطي في الخصائص (٣٠٧/١ - ٣٠٨)، وقال عنه «أخرجه ابن عساكر بسند واه عن ابن عباس».
(٩٨) انظر: البخاري/ الفتح (٣٩٠٥ ح/٩٣/١٥) و(١٤٢: ١٤٣ ح/١٤٣) وقد ذكر ابن إسحاق الموضع التي مر بها رسول الله ﷺ في هذا الطريق - ابن هشام (١٥٠/٢ - ١٥٦). بدون إسناد.

مكة. ورضي أن يجلب لهم من شاة له. وطلب منه أبوبكر أن ينظف الضرع قبل الحليب، وكره أن يوقظ الرسول ﷺ للشرب، فانتظره حتى استيقظ، فشرب حتى رضي أبوبكر، ثم أمر بالرحيل^(٩٩).

وكان الرسول ﷺ يردف أبابكر معه على راحلته، وكان اذا سأل أحد أبابكر في الطريق عن الرسول ﷺ، يقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب السائل أنه يعني الطريق، وإنها كان يعني سبيل الخير^(١٠٠).

وروى البخاري^(١٠١) من حديث سُرَاقَة بن مالك أنهم مروا في طريقهم بحي بني مُذَلِّج^(١٠٢)، فرآهم رجل منهم، فجاء إلى مجلس من مجالس قومه وفيهم سُرَاقَة بن مالك، فقال: «ياسراقَة، إني قد رأيت أنفاً أسودّةً بالساحل، أراها محمداً وأصحابه». قال سُرَاقَة: «فعرفت أنهم هم: فقلت له إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلاناً، انطلقوا بأعيننا»، ثم لبث في المجلس ساعة، ثم قام فدخل داره، وأمر جاريته أن تخرج بفرسه إلى ما وراء الأكمة، ثم تجهز هو وتسلك إلى مكان فرسه، فركبها وانطلق بها. وعندما دنا من محمد ﷺ وأصحابه، عثرت به فرسه، فنزل عنها وأخرج الأزام، فاستقسم بها ليعرف: هل يضرهم أم لا؟ فخرج السهم الذي يكره، وهو ألا يضرهم،

(٩٩) انظر: البخاري/ الفتح (٩٥/١٥) ح/٣٩٠٦.

(١٠٠) انظره باللفظة في: البخاري/ الفتح (١١٣/١٥) ح/١١٤ - (٣٩١٧ - ٣٩١٨)، و (١٤٢/١٤) ح/١٤٤ - (٣٦٥٢). وزوى بنحوه ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٤٠/٣)، وعزاه إلى الطيالسي، وإسناده صحيح. كما ذكر السعدي، ص ٢٠٠. وقد رواه الذهبي في سيره، ص ٣٣٠ - ٣٣١. والحاكم في المستدرک (٨/٣) وصححه عن حديث البخاري وأحمد في المسند (١٥٤/١ - ١٥٥/١) شاكر، وقال: إسناده صحيح. وفيه زيادات.

(١٠١) البخاري/ الفتح (١٠٦/١٥ - ١٠٧/١٥) ح/٣٩١١. وابن سعد (٣٤/١) بإسناد مرسل وفيه أوبعشر، وهو ضعيف، ويخالف لما في الصحيح، حيث ذكر ركوب النبي ﷺ وراء أبي بكر على ناقته - بإسناد آخر (٢٣٥/١) صحيح وهو أيضاً فيه مخالفة لما في الصحيح في كيفية ركوب النبي ﷺ. وأحمد. الفتح الرباني (٢٩٠/٢٠) وإسناده صحيح، وقال الساعدي. ورواه البخاري وابن إسحاق بمعناه.

قلت: وما في الصحيح أصح، فيقدم على غيره.

(١٠٢) الفتح (٩٣/١٥ - ٩٦/٩٦) ح/٣٩٠٦، ورواه بأتم من هذا: ابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (١٥٢/٢ - ١٥٤)، ورواه مسلم (٣٠٩/٤)، وما بعدها ح/٢٠٠٩، وأحمد: الفتح الرباني (٢٨٤/٢٠ - ٢٨٥)، والحاكم في المستدرک (٦/٣ - ٧)، وصححه: وعبد الرزاق في المصنف (٣٩٢/٥ - ٣٩٣). إلخ.

(١٠٣) كان مقرهم بالقرب من رابغ، وتبعهم سُرَاقَة حينما كانوا مصعبين من قديد.

ولكنه عصى فركب فرسه، وانطلق إلى أن وصل مكانا يسمع منه دعاء الرسول ﷺ ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغت الركبتين^(١٠٤). فنزل عنها ثم زجرها، فنهضت. وعندما انتزع الفرس يديه من الأرض، تبعها دخان كالإعصار، فعرف حين رأى ذلك أن رسول الله ﷺ قد منع منه، وأن أمره سيظهر، فاستقسم بالأزلام، فخرج الذي يكره، فناداهم بالأمان، فوقفوا، فركب فرسه حتى جاءهم، ووقع في نفسه حين لقي ما لقي من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فأخبر الرسول ﷺ أن قومه قد جعلوا فيه الدية، وأخبرهم أخبار ما يريد الناس، وعرض عليهم الزاد والمتاع، ولكنهم لم يطلبوا منه شيئا سوى أن الرسول ﷺ طلب منه أن يخفي عنهم. وسأله سراقا أن يكتب له كتاب أمان، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب له ما أراد في رقعة من جلد، ثم مضوا.

روى البخاري^(١٠٥) بسنده إلى أبي بكر (رضي الله عنه): «ارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركتنا منهم أحد غير سراقا بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت هذا الطلب قد لحقنا يارسول الله، فقال: لا تحزن، إن الله معنا».

وعندما رجع سراقا إلى قومه، جعل يقول لهم: «قد استبرأت لكم الخبر. قد كفيتم ما ههنا^(١٠٦)». وهكذا كان أول النهار جاهدا عليها وآخره حارسا لها^(١٠٧).

وكان كتاب الأمان مع سراقا إلى أن جاء به الرسول ﷺ، عندما فرغ من حنين والطائف، فوفاه له رسول الله ﷺ وقال: «يوم وفاء وبر»، ويومها أسلم سراقا^(١٠٨).

(١٠٤) في حديث البراء عند البخاري - الفتح (١٥/١٠٤ ح ٣٩٠٨) وفي حديث أنس عنه - المصدر نفسه، ص ١٠٧ ح ٣٩١١، وفي حديث البراء عند مسلم (٣/١٩٢ ح ٢٠٠٩) أن ذلك كان بسبب دعاء النبي ﷺ عليه.

(١٠٥) الفتح (١٤/١٤٤ ح ٣٦٥٢).

(١٠٦) البخاري/ الفتح (١٤/١٢٠ ح ٣٦١٥).

(١٠٧) البخاري/ الفتح (١٥/١٠٧ - ١٠٨ ح ٣٩١١).

(١٠٨) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ورجاله رجال الصحيح - ابن هشام (٢/١٥٤).

روى ابن حجر^(١٠٩) وابن عبد البر^(١١٠) وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟» قال: فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وناجه، دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما، وكان سراقة رجلاً أرب كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يدك، فقال: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك بن جُعْشُم، أعرابي من بني مدلج، ورفع بها عمر صوته.

وذكر ابن إسحاق^(١١١) أبياناً من الشعر يخرص فيها أبو جهل قوم سراقة على سراقة، ورد عليه سراقة أيضاً بأبيات من الشعر^(١١٢).

ثم مر رسول الله ﷺ وصحبه في مسيره ذلك بخيمتي أم مَعْبَد الخَزَاعِيَّة، فسألوها إن كان عندها طعام، فاعتذرت بالجدب. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة قرب الخيمة، فسألها عنها، فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: «هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك». فاستأذنها في حلبها، فأذنت له قائلة: «إن رأيت بها حلباً فاحلبها». فمسح رسول الله ﷺ بيده ضرعها، وسمى الله ودعا، فدرت، فدعا بإناء لها، فحلب فيه، فسقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب وحلب فيه ثانياً، حتى ملأ الإناء وتركه لها، ثم ارتحلوا.

وعندما جاء زوجها أبو معبد ورأى اللبن عجب من ذلك، فأخبرته بالذي حدث من محمد ﷺ، فقال: «والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه»، وطلب منها أن تصفه له، فوصفته له، وعندما سمع وصفها، قال: «والله

(١٠٩) الإصابة (١٩/٢) بإسناد رجاله ثقات، لكنه منقطع من طريقه. فلا يصح.
(١١٠) الاستيعاب (١٢٠/٢) بإسناد رجاله ثقات، لكنه منقطع من طريقه فلا يصح. وانظر رسالة المهجرة، ص ١٨٠ - وهو إسناد ابن حجر نفسه.

(١١١) من رواية يونس بن بكير بدون إسناد - ذكره البيهقي في دلائله (٤٨٩/٢)، وذكر أبيات سراقة ولم يذكر أبيات أبي جهل. وانظر أبيات أبي جهل التي أوردها المحقق لأن البيهقي لم يوردها.
(١١٢) وانظر أبيات سراقة وأبيات أبي جهل في البداية لابن كثير (٢٠٤/٣)، وقال: «وذكر هذا الشعر الأموي في مغازيه بسنده عن أبي إسحاق، وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمن كفراً بليغاً - وانظر الدلائل لأبي نعيم (٣٣٦/٢) - (٣٣٧) وهو كما قال ابن كثير، وهي من رواية ابن إسحاق - بدون إسناد.

هذا صاحب قریش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا، لقد هممت أن أصحبه،
ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا»، وأصبح صوت بمكة عاليا - يسمعون
ولا يرون القائل.

سلوا اختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاء تشهد^(١١٣).

ومر الركب في طريقه بعدد يرعى غنما، فطلبوا منه طعاما، فاعتذر لهم
بأن لا لبن في شياهه، إلا شاة - أو عناقا - جف لبنها قريبا، فاستأذنه
الرسول ﷺ، فمس ضرعها فحلبت، ورووا منها جميعا، وعندما رأى الراعي
ذلك أسلم، وطلب أن يتابع الرسول ﷺ، ولكن الرسول ﷺ طلب منه أن
يأتي عندما يسمع بظهوره^(١١٤).

ولفوا في طريقهم ركبا من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام، فيهم

(١١٣) أخرج قصة الرسول ﷺ وأم معبد، الحاكم في مستدرکه (٩/٣ - ١٠) مطولة من حديث هشام
ابن حبيش، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وذكر أمورا يستدل بها على الصحة، ووافقه
الذهبي، وقال: «صحيح»، ولكنه نازعه في توافر شرط الصحيح، وفيه أنه عن هشام بن حبيش
ابن خويلد، وفيه خطأ من عدة نقاط، لفظ «عن جده حبيش»، وخويلد خطأ، والصلوات
خالده. ذكر هذه الملاحظة الدكتور عبدالمهدي في محاضراته المطبوعة على الآلة الكاتبة، تحت
عنوان: السيرة النبوية من الكتاب والسنة... ص ٥٤.

وقال الأرناؤوطيان في حاشية زاد المعاد (٥٧/٣): «حديث حسن ورواه البيهقي في دلائله
(٤٩١/٢ - ٤٩٢) من حديث يحيى بن زكريا، قال ابن كثير في البداية (٢١١/٣): «إسناد
حسن». وتبعه الدكتور السعود في رسالة الهجرة - ص ١٩٨، فقال: «لكنه منقطع لأن عبد الرحمن
ابن أبي ليلى لم يدرك أبا بكر... وأحال إلى جامع التحصيل، ص ٢٧٥ والتهذيب (٢٦٠/٦).

ومضمون رواية البيهقي قريب من مضمون رواية هشام بن حبيش ورواه بنحو رواية ابن حبيش
بسنده إلى أبي معبد كما ذكر ابن كثير (٢١١/٣ - ٢١٢) وعزاه إلى البيهقي ١١١ وقال ابن كثير
في البداية (٢٠٩/٣) عن قصة أم معبد: «وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا»
وساق الروايات المختلفة فيها (٢٠٩/٢ - ٢١٤). وذكر ابن حجر في الفتح (١٠٧/١٥) طرفا
من رواية قصتها، وذكرها الميثقي في المجمع (٥٨ - ٥٥/٦) عن حبيش بن خالد، وقال رواه
الطبراني وفي إسناده جماعة لم أعرفهم، وذكره في علامات النبوة، باب صفته ﷺ. ورواه ابن
سعد في طبقاته مطولة عن أم معبد (٢٣٠/١ - ٢٣٢)، ورواه البزار مختصرة بإسناد ضعيف:
(كشف الاستار (٣٠٠/٢ - ٣٠١). والخلاصة إن القصة تنقوى إلى درجة الحسن لغيرة لكثرة
طرقها وشهرتها - كما قال الدكتور السعود في رسالة الهجرة، ص ١٩٩. وسيأتي وصف أم معبد
للسرور.

(١١٤) أخرج هذه القصة الحاكم في المستدرک (٨/٣) من حديث قيس بن النعمان، وصححها ورواه
السيوطي في الخصائص (٣١٢/١) وعزاه إلى أبي نعيم وأبي ليلى والطبراني والحاكم والبيهقي ونقل
ابن كثير في البداية (٢١٣/٣) هذه القصة عن البيهقي، وقال: «رواه أبويعلى الموصلي». وقال
ابن كثير في البداية (٢١٣/٣) معلقا على هذه القصص الخاصة بمعجزات الشياه: «يحتمل أن
هذه القصص كلها واحدة». قلت: ويحتمل التعدد، وهو ما نميل إليه.

الزبير، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بيض^(١١٥).

وعندما وصلوا العرج، احتاجوا للاستفسار عن الطريق، فدلهم أحد القاطنين على الطريق وبين لهم أن الطريق القريب عليه لصان من قبيلة أسلم، يقال لها «المهانان»، ولم يبال الرسول ﷺ بهما، وعندما لقيهما عرض عليهما الإسلام، فأسلما، وسماهما «المكرمان»، وطلب منهما القدوم عليه في المدينة^(١١٦).

وروى البزار^(١١٧) وابن الأثير^(١١٨) بسنديهما إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، أن رسول الله ﷺ لما أقبل في مهاجرة لقي ركبا، فقال: «ياأبا بكر: سل القوم فمن هم؟» قالوا: من أسلم، قال: «سلمت يا أبا بكر، سلمهم من أي أسلم؟» قالوا: من بني سهم، قال: «ارم بسهمك ياأبا بكر».

وروي أنهم عندما وصلوا الجحفة وجدوا إبلا، فقال رسول الله ﷺ: «لن هذه الإبل؟» فقالوا: «لرجل من أسلم». فتفأله ﷺ: وقال لأبي بكر: «سلمت إن شاء الله»، وسأل الراعي عن اسمه، فقال: «مسعود»، فتفأله ﷺ وقال لأبي بكر: «سعدت إن شاء الله^(١١٩)».

وقيل إن إحدي راجلتيهما تخلفت عنهما، فعندما جاء صاحب الإبل، وهو أوس بن عبد الرحمن بن عبدالله بن حجر الأسلمي، فأعطاهما فحلا، وطلب

(١١٥) رواه البخاري/ الفتح (٩٧/١٥) ح (٣٩٠٦) ولا بن حجر مناقشة للجمع بين ما ذكره أهل السير والبخاري في هذه القصة، وخلاصته أن الخبر أخرجه موسى بن عقبة عن الزهري وزاد فيه قوله: «ويقال لنا من المدينة كان طلحة قدم من الشام فخرج عائدا إلى مكة إما متلقيا وإما معتمرا ومعه ثياب أهداها أبا بكر من ثياب الشام فلما لقيه أعطاه قلبس منها هو وأيوبكر - وهذا إن كان محفوظا احتمل أن يكون كل من طلحة، والزبير أهدى لهما من الثياب...» انظر بقية أقوال أهل السير عند ابن حجر: الفتح (٩٧/١٥).

(١١٦) أخرج القصة عبدالله بن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٧٤/٤) - وانظر: الفتح الرباني (٢٨٨/٢٠) وسكت الساعدي عن إسناده. وذكره الهيثمي في المجمع (٥٨/٦) وقال: «رواه عبدالله بن أحمد، وابن سعد اسمه عبدالله ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات».

(١١٧) كشف الاستار (٣٠١/٢ - ٣٠٢)، قال الهيثمي في المجمع (٥٥/٦): «رواه البزار وفيه عبدالعزيز ابن عمران الزهري وهو متروك».

(١١٨) أسد الغابة (٢٠٩/١)، طبعة دار الفكر، وإسناده منقطع.

(١١٩) إلى هنا رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٢٠٩/٣) من رواية أبي نعيم، ولم يتكلم عنه. قلت: انظر المعرفة لأبي نعيم (١/١٨٢) وفي إسناده محمد بن عباد بن موسى العجلي، وفيه ضعف، وموسى بن عباد وإياس بن مالك لم يترجم لهما أحد، فالخبر ضعيف.

من غلامه مسعود أن يصحبهم إلى المكان الذي يريدونه، فوصل معهم إلى قباء^(١٢٠).

وروي أن أوسا بن عبد الله بن حجر الأسلمي مر برسول الله ﷺ ومعه أبوبكر «بحدوات»، بين الجحفة وهرشى، وهما على جبل واحد متوجهين إلى المدينة، فحملهما على فحل إبله «ابن الرءاء»، وبعث معها غلامه مسعود، وطلب منه أن يسلك بهما حيث يعلم من الطريق، ولا يفارقهما حتى يقضيا حاجتهما منه،... فأوصلهما المدينة ثم عاد، و قد حمله وصية إلى سيده، وهي أن يسم إبله على أعناقها^(١٢١).

ولقي ركب الهجرة عند الغميم بريدة بن الحصيب الأسلمي - زعيم قومه حينذاك - وكان قد خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر، أملا في الفوز بالجائزة المعلنة من قبل قريش. وعندما التقى برسول الله ﷺ، وحدثه الرسول ﷺ في أمر الإسلام، أسلم وأسلم معه زهاء ثمانين بيتا من قومه، وقيل سبعين^(١٢٢). وبات بريدة مع الرسول ﷺ، وفي الصباح قال بريدة: «يارسول

(١٢٠) إن مضمون هذا الخبر في الاستيعاب (٨٢/١). وقد حسن ابن عبد البر إسناده. (١٢١) رواه ابن هشام في زياداته على سيرة ابن إسحاق، وبدون إسناده. انظر: سيرة ابن هشام (١٥٦/٢). ورواه ابن حجر في الإصابة (٨٦/١) ترجمة أوس بن عبد الله، وذكر أن الطبراني قد رواه، وكذلك قال: «رواه أبو العباس بن السراج في تاريخه، مرسلًا...» ثم قال: قال ابن عبد البر (الدرر، ص ٩١): «مخرج حديثه عن ولده، وهو حديث حسن». قلت: وتحسين ابن عبد البر له بناء على اختياره قبول الحديث المرسل، لكن جمهور المحدثين على رده، وهم شروط في قبوله مثل حالات الاعتضاد والتابعات والشواهد. والتفريق بين مرسل فلان ومرسل علان... إلخ الكلام الطويل في هذا الأمر. انظر في هذا: كتب أحكام المراسيل، وكتب مصطلح الحديث. والخبر في الاستيعاب (٨٢/١). وذكره الهيثمي في المجمع (٥٥/٦) وقال: رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم. وذكر ابن حجر (١٠٧/١٥) أنه أخرجه أبو سعيد في «شرف المصطفى» من طرق إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي، ووصله ابن السكن والطبراني عن إياس عن أبيه عن جده أوس بن عبد الله بن حجر فذكر نحوه مطولا... وقال ابن حجر في الإصابة (٣٨٨/٣) - ترجمة مالك بن أوس: «دوفي مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أن الرجل الذي مروا به هو مالك بن أوس. وأن اسم الفحل «ابن اللقاح» واسم الغلام «مغيث» وذكر أن مالك بن أوس وأباه أوسا من الصحابة وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٣٨٢/٣): «له صحبة فيها ذكر بعضهم، وفيه نظراء».

قلت: وفي إسناده ابن حجر فيفي بن وثيق، قال عنه ابن معين: «كذاب خبيث انظر: ديوان الضملاء للذهبي، ص ٢٥٠، وقد حسن بعضهم حال فيفي هذا.

(١٢٢) روى خبر لقاء رسول الله ﷺ بريدة وإسلامه مع جماعة من قومه:

أ - الإمام أحمد في مسنده (٣٤٦/٥):

ب - وابن سعد (٢٤٢/٤) من رواية الواقدي - وعنده أن الذين أسلموا معه زهاء ثمانين بيتا

==

الله: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء». فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة^(١٢٣).

الوصول إلى المدينة:

روى البخاري^(١٢٤) وابن إسحاق^(١٢٥) والحاكم^(١٢٦) وغيرهم أنه عندما بلغ الأنصار مخرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة، كانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه أول النهار، فإذا اشتد الحر رجعوا إلى منازلهم. فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة أربع عشرة من المبعث - وهي السنة الأولى من الهجرة - الموافق الثالث والعشرين من أيلول (سبتمبر) سنة اثنتين وعشرين وستمائة من الميلاد^(١٢٧) خرجوا على عاداتهم، فلما حيي الحر رجعوا. وصعد رجل من اليهود على أطم من أطام المدينة لبعض شأنه،

==

من قومه، وصلوا مع رسول الله ﷺ العشاء وأن مكان اللقاء هو الغيم، وعلمه الرسول ﷺ صدرا من سورة مريم في تلك الليلة.

ج - والذهبي: سير أعلام النبلاء (٤٦٩/٢)، وفي السيرة النبوية، ص ٣٣٠ بإسناد فيه أوس بن عبد الله بن بريدة وهو متروك، وثقة ابن حبان، وقال إن التاكير من طريق أخيه سهيل. وابن حبان متساهل في التعديل. وفيه أنه أسلم معه سبعون من قومه. وقد حكى ابن الأثير في أسد الغابة (٢٠٩/١) القولين، بإسنادين: الأول معلق والثاني منقطع. وفي الأول أنهم كانوا نحو ثمانين بيتا، وفي الثاني أنهم كانوا سبعين راكبا.

د - وابن حجر في الإصابة (١٤٦/١) بدون إسناد، من حديث ابن السكن، وفيه أنه أقام بموضع حتى مضت بدر وأحد، ثم قدم بعد ذلك، وقيل أسلم بعد منصرف النبي ﷺ من بدر...

ه - ابن عبد البر في الاستيعاب (١٧٣/١ - ١٧٤) بدون إسناد، بنحو رواية ابن سعد. (١٢٣) أورد هذه الجزئية من قصة بريدة في الهجرة الديار بكري: تاريخ الخميس (٢٣٥/١)، وهي عنده من رواية ابن الجوزي في كتابه شرف المصطفى، من طريق البيهقي موصولا إلى بريدة. وانظر الزرقاني: شرح المواهب اللدنية (٤٢١/١).

(١٢٤) الفتح (٩٧/١٥ - ٩٩ ح ٢٩٠٦ و ١١٩/١٥ ح ٣٩٢٥).

(١٢٥) بإسناد حسن - انظر: ابن هشام (١٥٦/٢ - ١٥٧).

(١٢٦) المستدرک (١١/٣) وصححه ووافقه الذهبي وأشار الذهبي إلى أنه في الصحيحين.

(١٢٧) انظر: الرحيق المختوم، ص ص ١٩٠ - ١٩١ نقله عن «رحمة للعالمين» (١٠٢/١)، وقال في الحاشية: «وفي هذا اليوم تم عمرة ﷺ ثلاثة وخمسين عاما كاملا... وتم على نبوته ثلاثة عشر عاما كاملا عند من يقول إنه أكرم بالنبوة في التاسع من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل، وأما من يقول إنه أكرم بها في رمضان سنة إحدى وأربعين من عام الفيل فعنده يتم على نبوته في ذلك اليوم - اثنا عشر عاما وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما أو اثنا عشر يوما وعشرون يوما». وانظر: مناقشة ابن حجر الفتح (٩٨/١٥) لجميع الآراء في تاريخ نزوله ﷺ قباء. والشهور من رواية ابن إسحاق أنه ١٢ ربيع الأول - ابن هشام (١٥٦/٢).

فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه، فصرخ بأعلى صوته: «يامعشر العرب»^(١٢٨)، هذا جدكم الذي تنتظرون»، فثار المسلمون إلى السلاح فقتلوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، وسمعت الرجة والتكبرة في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحا بقدومه وخرجوا للقائه، فقتلوه وحيوه بتحية النبوة. وكان مَنْ لم ير الرسول ﷺ من قبل يحيي أبابكر ظنا منهم أنه الرسول ﷺ. وعندما اشتد الحر، قام أبوبكر فأطل النبي بردائه، فعرفوا الرسول ﷺ^(١٢٩) فأخذوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه والوحي ينزل عليه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَا وَجِبْرِيلَ وَمِخَائِيلَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بعد ذلك ظهر^(١٣٠)، وصاح النساء والخدام والغلمان: جاء محمد، جاء رسول الله، الله أكبر، جاء محمد^(١٣١). وأنشد المستقبلون:

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع^(١٣٢)

(١٢٨) عند ابن إسحاق: «بابي قيلة» - يعني الأنصار، وهو اسم جلة هم - ابن هشام (١٥٧/٢).
(١٢٩) إلى هنا تنتهي رواية البخاري.
(١٣٠) التحريم: ٤.
(١٣١) انظر في هذه الجزئية: المستدرک (١٣/٣) وقال الحاكم: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأشار الذهبي إلى أنه في الصحيحين.
(١٣٢) لقد وقف بعض العلماء عند هذا التشيد، وناقشوه من حيث السند والمتن، لوجود إشكال في روايته، إذ وردت فيه كلمة «ثنيات الوداع» التي اشتهر أنها من جهة الشام وليس من جهة مكة. قال ابن حجر في الفتح (١٢٠/١٥) وأخرج أبو سعيد في شرف المصطفى، ورويناه في فوائد الخلمي... منقطعا: ولما دخل النبي ﷺ المدينة جعل الولائد يقلن:
طلع البدر علينا * * من ثنيات الوداع، وجب الشكر علينا * * ما دعا لله داع.
وهو سند معضل ولعل ذلك كان في قدومه من تبوك. ورواه البيهقي في الدلائل (٥٠٦/٢) - (٥٠٧) بإسناد ضعيف جدا لإعضاله، فإن بين ابن عائشة وبين النبي ﷺ مفاوز، إذ توفي سنة ٢٢٨هـ. وقد قبل المباركفوري ترجيح المنصورفوري (رحمة للعالمين ١٠٦/١) في ورود هذا التشيد عند مقدمه إلى المدينة من مكة، على أساس أن له أدلة لا يمكن ردها. ولا يوافق ابن القيم في الزاد (٥١١/٣) على قول من قال بأن ذلك كان حين مقدمه من مكة إلى المدينة.
أما عرجون في كتابه (محمد رسول الله) ﷺ (٦٠٢/٢) فقد ذكر أن التشيد المشهور في الموابب اللدنية وأن القسطلاني قال في الموابب - بعد سياقه حديث أنس: «وصعدت ذوات الخدود على الأجاجير - أي الأسطحة - عند قدومه ﷺ يقلن: طلع البدر...» وحديث أنس من رواية أبي داود. ويرى عرجون صحة نسبة التشيد إلى حادثة قدومه إلى داخل المدينة - دار أبي أيوب، ويوفق بين الروايات ويناقشها ولا يستبعد تكرار إنشاد التشيد في زمن عودته من تبوك. فليراجع عرجون (٦٠٢/٢ - ٦١١). ونحن نميل مع عرجون إلى تعمد إنشاد التشيد وإلى أن ثنيات الوداع ليست إلى جهة الشام فقط، انظر مناقشة أبي تراب الظاهري لهذه المسألة في: «الأثر المتفق لقصة هجرة المصطفى»، (صص ١٥٥ - ١٦٢).

ثم سار حتى نزل قباء في بني عمرو بن عوف - من الأوس - على كلثوم ابن الهدم، لمدة أربع عشرة ليلة، فيها أسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس بعد الهجرة.

وبعد ذلك ركب رسول الله ﷺ بأمر الله، وأبويكر ردفه، وأرسل إلى بني النجار - أخواله - فجاؤوا متقلدين سيوفهم، فسار نحو المدينة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، وكانوا مائة رجل (١٣٣). وكانت أول جمعة داخل المدينة (١٣٤).

دخل رسول الله ﷺ المدينة بعد الجمعة، في جو مشحون بالفرح والبهجة والسرور (١٣٥). وكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته قائلين: هلم إلى العدد والعدة والسلام والمنعة، فكان يقول لهم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فلم تزل تسير به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم، فبركت فلم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا، ثم التفتت ورجعت وبركت في موضعها الأول، فنزل عنها وذلك في بني النجار، أمام دار أبي أيوب الأنصاري. وبادر أبو أيوب إلى الرجل فأدخله بيته، فجعل

(١٣٣) رواه ابن سعد (٢/٢٣٦ - ٢٣٧) بإسناد متصل ورجاله ثقات، وابن إسحاق معلقا: ابن هشام (١٥٩/٢).

(١٣٤) إذا اعتبرنا رواية ابن إسحاق في قدومه ﷺ المدينة ونزوله بقباء والدخول إلى المدينة وبناء المسجد والإقامة في دار أبي أيوب، بسند واحد، كما فهم البيهقي في دلائله (٥١٢/٢)، فنقول: «رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١٥٩/٢)». ورواه عنه البيهقي في دلائله (٥١٢/٢)، ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع.

(١٣٥) ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/١٢٠) أن جواربي من بني النجار خرجن يضربن الدفوف - عندما حل بديارهم - وهن يقلن:

نحن جوار من بني النجار *** يا حيذا محمد من جار

وعزاه إلى الحاكم من طريق إسحاق بن أبي طلحة عن أنس. وذكره ابن كثير في البداية (٢١٩/٣) من رواية البيهقي بسنده إلى أنس (٥٠٨/٢) وزاد فيه بعد هذا الرجز: «فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: أحيوني؟ فقالوا: أي والله يا رسول الله، فقال - ثلاثا - وأنا والله أحبكم». وقال ابن كثير: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لم يروه أحد من أصحاب السنن وقد خرج الحاكم في مستدركه كما يروى». وقال الألباني في «دفاع»، ص ٢٤ عن إسناده: «... وعلمته ابن صرمة...» وأخرجه البيهقي في دلائله (٥٠٨/٢) من طريق آخر إلى أنس وفيه أنه قلن ذلك عندما مر الرسول ﷺ بحي بني النجار وأنه قال لهم: «الله يعلم أن قلبي يحبكم» ولم يذكر فيه أنه كان عند قدومه إلى المدينة، وصحح الألباني إسناده في «دفاع»، ص ٢٤، ثم قال: «بل في البخاري ومسلم وغيره من طريق ثالثة عن أنس أن ذلك كان في عرس ولكنه لم يذكر الرجز».

رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رحله»، وأخذ أسعد بن زرارة الراحلة (١٣٦).
 نزل رسول الله ﷺ في القسم الأسفل من دار أبي أيوب، وأبو أيوب
 في القسم العلوي. فأنابه أبو أيوب ذات ليلة، فقال: «نمشي فوق رأس
 رسول الله ﷺ!» ففتحوا إلى جانب. وفي الصباح طلب من الرسول ﷺ
 الانتقال إلى القسم العلوي، فقال النبي ﷺ: «السفل أرقق» ولكن أبا أيوب
 قال: «لا أعلو سقيفة أنت تحتها». فتحول الرسول ﷺ إلى القسم العلوي،
 ونزل أبو أيوب إلى القسم السفلي.

وكان أبو أيوب يصنع للنبي ﷺ طعاما. فإذا جاء به إليه سأل عن
 موضع أصابعه، فيتبع موضع أصابعه. فصنع له طعاما فيه ثوم. فلما رد
 إليه سأل موضع أصابع النبي ﷺ فقيل له: لم يأكل. ففرغ وصعد إليه،
 فقال: «أحرام هو؟» فقال النبي ﷺ: «لا، ولكني أكرهه» قال: «فإني أكره
 ما تكره...»؛ وذلك لأن الرسول ﷺ كانت تأتيه الملائكة (١٣٧).

وعندما انكسرت جرة ماء أبي أيوب ذات يوم، عندما كان بالعلوي،
 نشف هو وأم أيوب ماءها بقطيفتهما الوحيدة التي يلتحفان بها؛ تخوفا من
 أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه (١٣٨).

وروي أن أبا أيوب سأل الرسول ﷺ أن ينتقل إلى القسم العلوي من
 داره، بسبب هذه الحادثة، فاستجاب الرسول ﷺ لطلبه (١٣٩). وروي

(١٣٦) خبر قدوم الرسول ﷺ المدينة وقوله: «دعوهما فإنها مأمورة». رواه ابن سعد (٢٣٦/١ - ٢٣٧)
 بسند متصل رجاله ثقات - ماعدا الواقدي. ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام
 (١٥٩/٢). وقول الرسول ﷺ، «المرء مع رحله»، جاء في رواية البيهقي في الدلائل (٥٠٩/٢)
 بإسناد فيه عطف بن خالد وفيه ضعف، قال عنه ابن حجر «صلوق بهم» وصدّق بن موسى
 لم يذكروا أنه يروي عن عبدالله بن الزبير، فيخشى أن لا يكون أدركه، ومع ذلك قال عنه
 الذهبي في الميزان: «ليس بالخجعة».

قلت: ولكن يقوي هذا الحديث ورود القصة عموما بإسناد حسن عند ابن إسحاق.

(١٣٧) رواه مسلم (١٦٢٣/٣ - ١٦٢٤/٣ ح ٢٠٥٣ وغيره).

(١٣٨) روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١٦٤/٢) والحاكم (٤٦٠/٣) وقال: «صحيح
 على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي في تلخيصه.

(١٣٩) أخرج ذلك ابن حجر في الإصابة (٤١٥/١) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم من طريق
 أبي الخبر عن أبي رهم عن أبي أيوب.

مسلم^(١٤٠) وأحمد^(١٤١) أن سبب الانتقال هو كراهية أبي أيوب وأم أيوب أن يمشيا فوق رأس رسول الله ﷺ. وما في الصحيح أصح. وكانت مدة إقامته ﷺ في دار أبي أيوب شهرا واحدا^(١٤٢) على الأرجح. وما كانت تمر ليلة إلا على باب رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة من الصحابة الأنصار، يتناوبون في حمل طعامهم إلى رسول الله ﷺ، حتى تحول من منزل أبي أيوب إلى داره^(١٤٣).

ونزل أبوبكر (رضي الله عنه) على حبيب ويقال خبيب بن يساف، بالسنع، ويقال نزل على خارجه بن زيد^(١٤٤).

الأحكام والدروس المستفادة من أحداث الهجرة إلى المدينة:

١ - أوضح الرسول ﷺ في خطبة له أيام فتح مكة. أن لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية^(١٤٥)، فلم تعد الهجرة من مكة إلى المدينة واجبا، وإن بقي حكمها من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام واجبا إلى يوم القيامة^(١٤٦). فقد شرعت الهجرة إلى المدينة ليعبد المسلمون ربهم بأمان

(١٤٠) مسلم (١٦٢٣/٣) ح ٢٠٥٣.

(١٤١) أحمد: الفتح الرباني (٢٩٣/٢٠).

(١٤٢) جاء ذلك في حديث من رواية أبي أيوب عند الحاكم في المستدرک (٤٦١/٣) وسكت عنه الحاكم والذهبي. قلت: والخبر بهذا الإسناد موضوع لأن فيه عبدالله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم أباعبدالرحمن. قال ابن حبان في ترجمة عبدالله بن زحر: «يروى الموضوعات عن الأثبات، وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبدالله وعلي بن يزيد والقاسم وأبو عبدالرحمن لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم» وعلي الرغم من هذا فالخبر أقرب إلى المعقول من غيره، ويؤيد هذا ما رواه البيهقي في الدلائل (٥٠٩/٢) من أن الرسول ﷺ أقام في العريش الذي كان يصلي فيه ابن زرارة مع جماعة من المسلمين قبل مجيء الرسول ﷺ، اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد. وإسناد البيهقي ضعيف لأن فيه صديق - ليس بحجة، وعطاف - صدوق بهم، وشيخ البيهقي لم أقف على ترجمته. فإذا ضم إلى هذه الفترة فترة بناء حجر زوجات الرسول ﷺ فيكون الجميع نحو شهر. وذكر ابن حجر في التهذيب (٩١٣) أن الرسول ﷺ أقام في منزل أبي أيوب شهرا قبل بناء مسجده. ذكر ابن سعد (٢٣٧/١) بإسناد متصل رجاله ثقات ما عدا الواقدي، أن إقامته كانت سبعة شهور وذكره ابن حجر في الفتح (١٠٩/١٥) عن ابن سعد، ولم يعترض عليه، وذكره ابن كثير في البداية (٢٢١/٣) و (٢٣٥) وقال: «قال غيره أقل من شهر، والله أعلم».

(١٤٣) من رواية ابن سعد المذكورة (٢٣٣/١)، وقد ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٢٢٢/٣).

(١٤٤) قال الهيثمي في المجمع (٦٣/٦): «رواه الطبراني ورجاله ثقات» ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١٥٧/٢)، وهو جزء من حديث ابن إسحاق في انتظار أهل المدينة قدوم الرسول ﷺ إليهم مهاجرا.

(١٤٥) البخاري/ الفتح (٣٠٣/١١) ح ٢٨٢٥، مسلم (٤٨٧/٣) ح ١٣٥٣.

(١٤٦) ابن حجر: الفتح (٨٢/١٥) و (٣٠٤/١١)، وانظر أحكام القرآن لابن العربي (٨٧٦/٢).

ويقيموا كيان الدولة الإسلامية ومحموه، ثم يوسعوا رقعة هذه الدولة بالدعوة إلى الله؛ والهجرة بعد فتح مكة؛ لم تعد ضرورة؛ لأن كيان الإسلام قد قوي وصارت للمسلمين دولة، فأصبح وجود المسلمين في ديارهم أجدى لإقامة شعائر الإسلام ونشر تعاليمه في سائر الأرجاء، أما الجهاد فمأخوذ إلى يوم القيامة. ولذلك بايع النبي ﷺ المسلمين بعد الفتح على الإسلام والإيمان والجهاد، ولم يبايعهم على الهجرة^(١٤٧). وقد بين ابن عمر (رضي الله عنه) ذلك بقوله: «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قُتِلَ الكفار»، أي ما دام في الدنيا دار كفر، فالهجرة واجبة على من أسلم وخشي أن يفتن في دينه^(١٤٨).

ويستدل في ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ، قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ، لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾^(١٤٩).

وهكذا اقتضت ظروف قيام الدولة الإسلامية في المدينة، وحاجتها إلى جنود يحمونها أن تكون الهجرة إلى المدينة واجبة على كل مسلم قادر. قال الخطابي: كانت الهجرة إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين، وقد أكد الله تعالى هذا الأمر في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا﴾^(١٥٠) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا﴾^(١٥١) فلما

(١٤٧) البخاري/ الفتح (١٦/١٣٧) ح ٤٣٠٥ - ٤٣١٢.

(١٤٨) ابن حجر/ الفتح (١٥/٨٢) ك. المغازي.

(١٤٩) النساء: ٩٧ - ٩٨، انظر: الفتح: (١١/٣٠٣).

(١٥٠) الأنفال: ٧٢.

(١٥١) انظر: تفسير الآية عند الطبري (١٤/٧٨ - ٨٧/٨٧) وقال الطبري في تفسير «من ولايتهم» يعني من نصرتهم وميراثهم.

فتحت مكة، ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل، سقطت
الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب^(١٥٢).

وفي ضوء هذا يمكن القول بأنه إذا كان أي بلد من بلاد الكفر أعون
للمسلم على ممارسة دينه والدعوة إليه، فهو أجدر بالإقامة فيه إذا تيسر
سبيل ذلك للمسلم، ولا تجب عليه الهجرة، لأن هذه البلاد أصبحت
مثل دار الإسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من
دخول غيره في الإسلام^(١٥٣).

٢ - استخدم الرسول ﷺ كل الأسباب والوسائل المادية التي يهتدي إليها
العقل البشري في مثل هذا العمل. وليس ذلك بسبب خوف على
نفسه، أو شك في إمكان وقوعه في قبضة المشركين؛ وإنما هذا تشريع
للأمة ليتأسى الناس به، فيأخذوا بالأسباب في كل أعمالهم، وأن سنة
الله أن السبب إذا وجد معه المسبب ما لم يطل الله ذلك كما فعل
في جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم (عليه السلام) فعندها تكون
هذه معجزة للنبي وإن كانت لغيره فهي كرامة للصالحين واستدراج
للمطالحين من الناس، والدليل على ذلك أنه بعدما استفد الأسباب
المادية كلها كان مطمئنا، وصاحبه أبو بكر كان خائفا، وكان من مقتضى
اعتماده على تلك الاحتياطات أن يشعر بشيء من الخوف والجزع.
لقد كان كل ما فعله من الاحتياطات إذاً، وظيفة تشريعية قام بها،
فلما انتهى من أداؤها، عاد قلبه مرتبطا بالله (عز وجل)، معتمدا على
حميته وتوقيفه، ليعلم المسلمون أن الاعتماد في كل أمر لا ينبغي أن
يكون إلا على الله (عز وجل)، وأن ذلك لا ينافي اتخاذ الأسباب
والتدبير للوصول إلى الأهداف^(١٥٤).

٣ - إن قبول علي بن أبي طالب النوم على فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة

(١٥٢) انظر ابن حجر: الفتح (٨٢/١٥).

(١٥٣) انظر ابن حجر: الفتح (٨٢/١٥).

(١٥٤) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ١٤٥.

منقبة عظيمة لعلي، دلت على إيمانه وشجاعته. وهذا يدل على جواز خداع العدو والتمويه عليه عملا بأسباب النجاة.

٤ - إن الدور الذي قام به الشباب في تنفيذ خطة الرسول ﷺ للهجرة، مثل دور علي وأبناء أبي بكر، يعد دورا نموذجيا رائدا لشباب الإسلام.

٥ - إن المعجزات التي أجراها الله تعالى لحماية نبيه ﷺ في هذه الرحلة، جاءت كما جاء غيرها، كضرب من ضروب التكريم للرسول ﷺ وإشارة إلى أن الله ناصره ويمكن لدينه في أرضه، طال الزمن أم قصر.

٦ - إن الدور الذي قام به أبي بكر (رضي الله عنه) في الهجرة يعد منقبة كبرى له، ويكفيه تكريما أن يذكر في القرآن بمناسبة هذا الدور، ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا...﴾.

٧ - إذا تأملنا في قصة ترك أبي أيوب الأنصاري وزوجه بآثار الرسول ﷺ، وإقرار الرسول ﷺ لذلك، تبين لنا مشروعية التماس البركة من آثار النبي ﷺ، إن وجدت (١٥٥).

٨ - دل تصرف أبي أيوب وأم أيوب على مدى محبة الصحابة (رضي الله عنهم) للرسول ﷺ، وهي صورة متكررة في كل مقطع من مقاطع هذه السيرة.

٩ - إن في إعراض الرسول ﷺ عن أكل الثوم النيء دل على أن ذلك من خصوصياته (عليه السلام)، وقد أحله للمسلمين بشرط ألا يأكلوه ثم يرتادوا المساجد قبل أن تزول رائحته، وقد وجه الرسول ﷺ إلى أن من يريد أكل الثوم فليمته طبخا (١٥٦).

(١٥٥) انظر في هذا الألباني: التوسل - أنواعه وأحكامه، تنسيق محمد عيد العباسي ط ٢، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، صص ١٤٢ - ١٤٧.
(١٥٦) مسلم (٣٩٦/١) ح ٥٦٧، ورواه غير مسلم.

الفصل الثالث

أسس بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية بالمدينة

المبحث الأول: بناء المسجد:

كان رجال من المسلمين يصلون في ذلك المكان الذي بركت فيه ناقة الرسول ﷺ، وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل، غلامين يتيمين من بني النجار، في حجر أسعد بن زرارة. فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل». ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما^(١) بالمريد ليتخذ مسجدا، فقالا: «بل نهبه لك يا رسول الله». فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منها هبة حتى ابتاعه منها ثم بناء مسجدا^(٢). وفي رواية أخرى للبخاري^(٣) أنه عليه السلام عندما أمر ببناء المسجد، أرسل إلى ملا بني النجار، وعندما جاؤوه، قال لهم: «يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا»، فقالوا: «لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله».

قال ابن حجر^(٤): «واحتج من أجاز بيع غير المالك بهذه القصة لأن المساومة وقعت مع غير الغلامين، وأجيب باحتمال أنها كانا من بني النجار فساومهما وأشرك معهما في المساومة عمهما الذي كانا في حجره كما تقدم في الحديث...».

وفي الصحيح أن مكان المسجد كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب وكان فيه نخل. فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنشئت، وبالخراب

(١) قال ابن حجر في الفتح (١٠١/١٥): «في رواية ابن عينة: فكلم عمهما - أي الذي كانا في حجره - أن يبتاعه منها، فطلبه منها فقالا: ما تصنع به؟ فلم يجد بدا من أن يصدقهما».

(٢) البخاري: الفتح (١٠١/١٥) ح ٣٩٠٦.

(٣) الفتح (١٢٥/١٥) ح ٣٩٣٢.

(٤) الفتح (١٢٦/١٥).

فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبله المسجد، وجعلوا عصا دينه حجارة وجعلوا ينقلون ذلك الصخر^(٥). وطلق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللين لبنيناه، ويقول وهو ينقله:

هذا الحمال لاحمال خبير * هذا أبر ربنا وأطهر^(٦)
ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة * فارحم الأنصار والمهاجرة
وفي رواية أنهم كانوا ينقلون الصخر ويرتحزون ورسول الله ﷺ معهم،
يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة * فانصر الأنصار والمهاجرة^(٧)
وقال قائل من المسلمين في ذلك:

لئن قعدنا والرسول يعمل * لَدَاك منا العمل المضلل^(٨)
وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى من التراب حائدا^(٩)

وكان الرسول ﷺ يقدم في العمل من يجيد جانباً منه. ففي حديث طلق
ابن علي اليامي الحنفي أن الرسول ﷺ كان يقول للعاملين في بناء المسجد
من الصحابة، «قربوا اليامي من الطين، فإنه أحسنكم له مسا، وأشدكم
له سبكا». وفي رواية «فأخذت المسحاة فخلطت الطين فكانه أعجبه، فقال:

(٥) البخاري/ الفتح (١٥/١٢٥) ح/٣٩٣٢.

(٦) البخاري/ الفتح (١٥/١٠١ - ١٢٠) ح/٣٩٠٦ - والجمال: المحمول من اللين، وأبر: أبى ذخرا وأكثر ثواباً وأدوم منفعة وأشد طهارة من مال خير التي يحمل منها التمر والزبيب. ونحو ذلك

(٧) المصدر نفسه، ص ص ١٢٥ - ١٢٦

(٨) ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/١٠٣) ونسبه إلى الزبير بن طريق جمع بن يزيد

(٩) المصدر نفسه، من طريق أخرى، طريق أم سلمة (رضي الله عنها).

دعوا الحنفي والطين، فإنه أضيظكم للطين^(١١)»، وفي رواية البيهقي^(١٢):
«قربوا إليّ من الطين فإنه من أحسنكم له بناء».

وكان عمار بن ياسر من أنشط العاملين في البناء، فبينما كان كل واحد يحمل لبنة، كان عمار يحمل لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن الرسول ﷺ فمسح رسول الله ﷺ ظهره، وقال: «ابن سمية: للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن، وتقتلك الفئة الباغية^(١٣)».

وهذا الحديث من دلائل النبوة، لأن عماراً قتل في الفتنة التي نشبت بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما)، وكان في جيش علي، فقتله جنود معاوية (رضي الله عنه)، ومات بالكيفية التي ذكرها الرسول ﷺ. وقد اجاد ابن كثير^(١٤) وابن حجر^(١٥) في شرح هذا الحديث.

واستغرق البناء اثني عشر يوماً^(١٥). وبعد الفراغ منه، بنيت حجر لأزواج النبي ﷺ بنفس كيفية بناء المسجد. وبعد اكتمالها انتقل الرسول ﷺ إليها من بيت أبي أيوب. فكان لسودة بنت زمعة بيت وآخر لعائشة (رضي الله

(١٠) ذكر هاتين الروايتين ابن حجر في الفتح (١١٢/٣)، وقال: «رواه أحمد».
(١١) عن حديث طلق بالفاظه المختلفة، انظر رواية البيهقي في الدلائل (٥٤٥/٢) بإسناد صحيح، وأصلها في السنن، وابن حجر في الإصابة (٢٣٢/٢)، والفتح (١١٢/٣)، وابن حبان في زوائده، ص ٩٨/ رقم ٣٠٣، ولفظه: «وفقت يارسول الله، أُنقل كما يقولون؟ فقال: لا، ولكن اخلط لهم الطين فأنت أعلم به».

(١٢) رواه مسلم (٢٢٣٦/٤) وأحمد: المسند (٥/٣)، و(٣١٩/٤) والحاكم (٣٨٩/٣) وقال: «صحيح على شرطها ولم يخرجاه»، والبخاري الفتح (١١٠/٣) ح (٤٤٧) دون ذكر جملة، «وتقتلك الفئة الباغية، ولابن حجر تعليل لهذا فانظره. وفي حديث البخاري وأحمد والحاكم وعبد الرزاق أن مناسبة هذا القول كان أثناء بناء مسجد الرسول ﷺ. أما روايات مسلم من طريق أبي نضرة (٢٢٣٦/٤) ح (٢٩١٦) فهي تفيد بأن ذلك كان أثناء حفر الخندق ولذا قال البيهقي في الدلائل (٥٥٠/٢): «وفيه أن يكون ذكر الخندق وهما في رواية أبي نضرة أو كان قد قالها عند بناء المسجد وقالها يوم الخندق، والله أعلم». وعلق ابن كثير في البداية (٢٣٨/٣) على قول البيهقي قائلًا: «وحمل اللبن في حفر الخندق لا معنى له، والظاهر أنه اشتبه على الناقل، والله أعلم» قلت: وهذا يعني أن ابن كثير لا يوافق على الجزء من كلام البيهقي الذي يقول بتعدد المناسبة، ويرى أن ذلك كان في بناء المسجد. وانظر طرقه المختلفة عند البيهقي في الدلائل (٥٤٧/٢ - ٥٥٣)، ورواه ابن كثير في البداية (٢٣٧/٣ - ٢٣٨) عن عبد الرزاق. ثم قال: «وهذا إسناد على شرط الصحيحين».

(١٣) البداية والنهاية (٢٣٨/٣ - ٢٣٩).

(١٤) الفتح (١١٠/٣ - ١١٢).

(١٥) ورد ذلك في رواية عبد الله بن الزبير عند البيهقي في الدلائل (٥٠٩/٢).

عنها^(١٦) وهما أول بيتين بنيا، ثم تتابع بناء حجر نسائه الأخريات كلها تزوج بواحدة منهن. وكانت قصيرة البناء قرية الفناء^(١٧)، بعضها مبنية من جريد وطين، وبعضها من حجارة مرصوفة، وسقفها من جريد^(١٨)، وقيل كانت من شعر - شجر - مزبوبة بخشب من عرعر - شجر السرو^(١٩) - ولم يكن لأبوابها حلق^(٢٠). وقد أضيفت هذه البيوت إلى المسجد بعد موت أزواج الرسول ﷺ، وذلك في زمن عبد الملك^(٢١).

وفرض الأذان بالكيفية التي عليها الآن، في السنة الأولى على الأرجح، وذلك عندما رأى عبدالله بن زيد في منامه صيغة الأذان، فأمر الرسول ﷺ بلالا فأذن بها، وعندما سمعه عمر (رضي الله عنه) جاء إلى الرسول ﷺ وقال إنه رأى ما رأى عبدالله بن زيد^(٢٢).

ظل المسجد على حاله الذي بناه عليه الرسول ﷺ، فلم يزد فيه أبوبكر شيئا، وزاد فيه عمر بأن أعاد عمده وجعلها خشبا، وحى سقفه من المطر، ثم غيره عثمان (رضي الله عنه) فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه من ساج^(٢٣).

(١٦) انظر ابن حجر: الفتح (٧٨/١٥) من رواية الطبراني، وابن كثير في البداية (٢٢٢/٣) وابن سعد (٢٤٠/١) وعن أوصاف بناء حجر زوجته، انظر أحمد: الفتح الرباني (٦/٢١ - ٧) وابن كثير في البداية (٢٤١/٣ - ٢٤٢).

(١٧) قاله ابن كثير: البداية والنهاية (٢٤١/٣) بدون إسناد. قال الشامي في سبل الهدى (٥٠٨/٣): «روى ابن سعد والبخاري في الأدب وابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن الحسن البصري قال: كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي، وروى البخاري في الأدب وابن أبي الدنيا والبيهقي عن داود وابن قيس قال: «رايت الحجر من جريد النخل تمشي من خارج بمسوح من الشعر...».

(١٨) قاله السهيلي: الروض الأنف (٢٤٨/٢) بدون إسناد.

(١٩) المرجع نفسه، من حديث الحسن البصري.

(٢٠) المرجع نفسه، وعزاه إلى البخاري في التاريخ.

(٢١) المرجع نفسه، والشامي: سبل الهدى والرشاد (٥٠٦/٣ - ٥٠٧) من طريق الواقدي.

(٢٢) روى الترمذي وابن ماجه بإسناد حسن كما قال الشيخ الألباني - صحيح سنن الترمذي (٦١/١) - ٦٢. وعن قصة الأذان وكيفيته وصيغته، انظر: ابن حجر الفتح (٢٧٢/٣)، مسلم شرح النووي (٧٥/٤)، وغيرهما. وانظر مادة الأذان في مفتاح كنوز السنة لمعرفة كل مصادر هذه القصة والرجوع إليها للوقوف على طرف أحاديثها.

(٢٣) البخاري/ الفتح (١٠٦/٣ - ١٠٨/٤ ح ٤٤٦). والساج: نوع من الأخشاب الهندية، أبوداود (٣١١/٣ ح ٤٥١ الدعاس). وقال ابن حجر في الفتح (١٠٨/٣) عن عمل عثمان (رضي الله عنه) هذا: «فحسنته - أي المسجد - بها لا يقتضي الزخرفة».

وحذر عمر من تحمير وتصغير المسجد حتى لا يفتن الناس، وكره أنس المباهاة في تعمير المساجد بالتزين، وعاب على الناس عدم تعميرها بالصلاة^(٢٤).

ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بُني منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبي ﷺ يخطب الناس وهو مستند إلى جذع عند مصلاه، فلما اتخذ للرسول ﷺ منبر وعدل إليه ليخطب عليه، خار ذلك الجذع وحن حنين النوق العشار، لما كان يسمع من خطب الرسول ﷺ عنده، فرجع إليه النبي ﷺ فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت^(٢٥). وهذا من دلائل نبوته ﷺ.

وما أحسن ما قال الحسن البصري بعد رواية هذا الحديث عن أنس، قال باكياً: «يامعشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه - أحق أن يشتاقوا إليه^(٢٦)؟». وأصبح المسجد منذ بنائه مكاناً للعبادة في المقام الأول، ثم بعد ذلك مكاناً لكل أمر يهم المسلمين، مثل:

- ١ - إيواء ضعفاء وفقراء المهاجرين الرجال العزاب الذين لم يتمكنوا من الحصول على منازل خاصة بهم، وعرفوا بأهل الصفة^(٢٧).
- ٢ - إيواء ضعفاء النساء اللائي أسلمن من أحياء العرب ولم يجدن مأوى غير المسجد حين قدومهن المدينة، مثل الوليدة السوداء التي اتخذت خباء أو حفشاً في المسجد^(٢٨).

(٢٤) البخاري/ الفتح (١٠٧/٣) ترجمة الباب).

(٢٥) انظر الحديث بالفاظه المختلفة عند البخاري مع شرحه الفتح (٩٥/١٤)، ٣٥٨٤، ٣٥٨٥، وعند ابن كثير في البداية (٢٣٩/٣ - ٢٤٠) والسياق هنا له، وعند البيهقي في الدلائل (٥٥٦/٢) - ٥٦٣ من مصادر وطرق عدة، وقال في ختامها «هذه الأحاديث التي ذكرناها في أمر الحائنة كلها صحيحة». وقال المحقق - قلعة جي - إنها من الأحاديث المتواترة لوروده عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك، ص ٥٦٣. قلت: وفي رواية البخاري ما يكفي ويشفي.

(٢٦) البيهقي: دلائل النبوة (٥٥٩/٢).

(٢٧) البخاري/ الفتح (١٠٢/٣) من قول أنس (رضي الله عنه) في ترجمة باب نوم الرجال في المسجد. وانظر الفصل الذي عقده عنهم الدكتور أكرم العمري في كتابه القيم: المجتمع المدني - التنظيمات، ص ص ٨٩ - ١٠٥.

(٢٨) انظر فئتها حين اتهمها قوبها بسرقة وشاح لابنة لهم - البخاري/ الفتح (١٠٠/٣) ح (٤٣٩).

- ٣ - كان مكانا لتعليم المسلمين أمور دينهم.
- ٤ - كان مكانا لإنشاد الشعر ذبا عن الدعوة الإسلامية وقائدها محمد ﷺ وأصحابه (٢٩).
- ٥ - كان مكانا لاعتقال أسير الحرب المشرك، إذا كان في ذلك عظة لمن يراه من الناس وعظة له عندما يرى الصلاة ويسمع القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، كما في قصة ثمامة بن أثال (٣٠).
- ٦ - نصب الخيمة فيه لعلاج جرحى المسلمين في الحرب، كما في قصة خيمة رفيدة، أيام غزوة الأحزاب (٣١).
- ٧ - كان مكانا لاستقبال الرسل - السفراء - الذين يفدون على الرسول ﷺ.
- ٨ - كان مكانا لعقد ألوية جيوش وسرايا المجاهدين.
- ٩ - كان مكانا لاجتماع المسلمين بقائدهم، وفي هذا فائدة من وجهين:
 - أ - احتكاك القائد بالرعية عن قرب ودراسة أحوالهم وبث الرعية شجونهم لقائدهم.
 - ب - احتكاك المسلمين بعضهم مع بعض وتألف قلوبهم وقد غاب هذا الفهم عن كثير من قادة وأفراد في زماننا هذا، وفهموا أن المسجد مكان عبادة فقط.

أحكام وحكم في قصة بناء المسجد النبوي الشريف:

- ١ - استدل جمهور الفقهاء بحديث شراء الرسول ﷺ المبرد من الغلامين بوساطة عمهما الذي كانا في حجره وكفالته، على عدم صحة تصرف غير البالغ سن الرشد، ولهم دليل آخر من القرآن يؤكد صحة استدلالهم وهو الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٣٢).

(٢٩) البخاري/ الفتح ٣/١١٨/٤٥٣. وانظر شرح ابن حجر لأحاديث الباب.

(٣٠) البخاري/ الفتح ٣/١٢٧/٤٦١.

(٣١) المصدر نفسه، ص ١٢٩/٤٦٣.

(٣٢) الأنعام: ١٥٢، الإسراء: ٣٣.

أما الحديث الذي يشير إلى أن الشراء تم مباشرة بين الرسول ﷺ والغلامين فيوجهه إلى أن للنبي ﷺ ولاية خاصة في مثل هذه الأمور، وأنه عليه الصلاة والسلام إنما اشترى الأرض منها بوصف كونه وليا عاما لجميع المسلمين، لا بوصفه كونه فردا منهم، ولا وجهه في هذا الحديث لاستدلال الحنفية به على صحة تصرف غير البالغ، لأن الآية رجحت حديث ابن عيينة على هذا الحديث (٣٣).

وللعلماء كلام فوق هذا عن تصرف غير البالغ، إذ قالوا:

أ - إن تصرفاته النافعة نفعا محضاً كقبوله الهبة لنفسه جائزة.

ب - إن تصرفاته الضارة ضرراً محضاً كهبته لغيره غير جائزة.

ج - إن تصرفاته الدائرة بين النفع والضرر كالبيع والشراء موقوفة على إجازة الولي أو الوصي.

٢ - دل حديث أمر النبي ﷺ بنش القبور القديمة التي كانت في مكان المسجد على جواز نبش القبور الدارسة، واتخاذ موضعها مسجداً إذا نظفت وطابت أرضها.

٣ - كما أن الحديث يدل على أن الأرض التي دفن فيها الموتى ودرست، يجوز بيعها، وأنها باقية على ملك صاحبها وورثته من بعده، إذا لم توقف (٣٤).

٤ - استناداً إلى عدم التكلف المظهري في بناء الرسول ﷺ مسجده، واستناداً إلى ما نبه إليه عمر بن الخطاب في قوله: «أَكَنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَحْمَرَّ أَوْ تَصْفَرَّ، فَتَفْتَنَ النَّاسَ» (٣٥)، كره عامة العلماء نقش

(٣٣) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص ١٥٣، وإعلام الساجد للزركشي، ص ٢٢٣.
(٣٤) البوطي، ص ١٥٤، وإعلام الساجد، ص ٢٣٦، وانظر ابن حجر الفتح (١٢٥/١٥ - ١٢٦).
(٣٥) إعلام الساجد، ص ٣٣٧، وسبق تخريج الأثر المروي عن عمر في هذا.

وزخرفة المساجد، وقال بعضهم بحرمة ذلك^(٣٦).

٥ - اختلف العلماء في كتابة آية من القرآن في قبلة المسجد، هل هي داخلية في النقش الممنوع أم لا؟ يقول الزركشي^(٣٧): «ويكره أن يكتب في قبلة المسجد آية من القرآن أو شيئاً منه، قال مالك: وجوز به بعض العلماء، وقال لا بأس به لما روي من فعل عثمان ذلك بمسجد رسول الله ﷺ ولم ينكر ذلك عليه».

المبحث الثاني: أ - المؤاخاة:

لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة لم يكن بأيدي معظمهم شيء، لأنهم تركوا أموالهم خلفهم، ولهذا، وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا أهل زراعة، والأنصار أهل زراعة، فقد أعطتهم الأنصار كل ما يستطيعونه من فضل وأعطتهم النخل والأرض ليعملوا فيها بنصف ثمارها، ومنهم من أعطيت له منيعة محضة، واستغنوا عنها عندما فتح الله عليهم خير^(٣٨). وقد رد النبي ﷺ نفسه ما أعطوه من نخل عندما فتحت عليه قريظة والنضير^(٣٩).

وكان ذلك الفعل من الأنصار دليلاً على مدى حبهم وإيثارهم المهاجرين. وقد شهد الله تعالى لهم بذلك في قوله: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾^(٤٠).

(٣٦) انظر: البوطي، ص ١٥٤ - ١٥٥. قال ابن حجر في الفتح (١٠٨/٣ - ١٠٩): «كان أول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك بن مروان، وذلك في أواخر عصر الصحابة، وسكت كثير من أهل العلم عن إنكار ذلك خوفاً من الفتنة، ورخص في ذلك بعضهم، وهو قول أبي حنيفة إذا وقع ذلك على سبيل التعظيم للمساجد ولم يقع الصرف على ذلك من بيت المال. وقال ابن المنير: لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب أن يصنع ذلك بالمساجد صوتاً لها عن الاستهانة، وتعتب بأن المنع إن كان للحث على اتباع السلف في ترك الرفاهية فهو كما قال، وإن كان لحشية شغل بال المصلي بالزخرفة فلا، لبقاء العلة».

(٣٧) إعلام الساجد. ص ٣٣٧.

(٣٨) مسلم/ النووي (٩٩/١٢ - ١٠٠/ك). الجهاد والسير/ ب. رد المهاجرين إلى الأنصار منافعهم.

(٣٩) انظر: مسلم/ النووي (١٠١/١٢ - ١٠٢/ك). ب. رد المهاجرين إلى الأنصار منافعهم.

(٤٠) الحشر: ٩. وانظر: البخاري/ الفتح (١٤/٢٦١ - ٣٧٧٦).

ووصل بهم الإيثار إلى أن قالوا للرسول ﷺ: «إن شئت فخذ منا منازلنا»، فقال لهم خيرا، وابتنى لأصحابه في أرض وهبتها لهم الأنصار، وفي أرض ليست ملكاً لأحد^(٤١).

وقالت الأنصار للرسول ﷺ: «أقسم بيننا وبينهم النخل»، قال: «لا. قال: يكفونكم المؤونة ويشركونكم في الثمر، قالوا: سمعنا وأطعنا^(٤٢)».

وقال الرسول ﷺ للأنصار: «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم، فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: هم قوم لا يعرفون العمل، فتكلفونهم وتقاسمونهم الثمر» قالوا: نعم^(٤٣).

وروى البخاري^(٤٤) عن أنس، قال: «دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: أما لا، فاصبروا حتى تلقوني، فإنه سيصيبكم بعدي أثرة».

ولم يتوانوا في استضافة ضيف رسول الله ﷺ. فقد روى البخاري^(٤٥) أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ جائعا، فلم يجد له رسول الله ﷺ شيئا عند زوجته، فطلب من أصحابه استضافته، فاستضافه أنصاري لم يكن عنده إلا عشاء أهله وصبيان، فأنام صبيانه، وقدم طعام أهله إلى ضيفه، وجلس معه، فأطفأت المرأة السراج، وجعلا يريانه كأنهما يأكلان، ولكنها باتا جائعين، وفيها نزل قوله تعالى ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾.

(٤١) قاله البلاذري في أنساب الأشراف (٢٧٠/١) وأصله من حديث رواه البخاري/ الفتح (١٢٣/١٥٠) ح (٣٩٢٩) وفيه أن الأنصار اقترعت على سُكْنَى المهاجرين منازلهم.

(٤٢) البخاري/ الفتح (١٤/٢٦٤) ح (٣٧٨٢). أحمد: الفتح الرباني (١٠/٢١) وذكره ابن كثير في البداية (٣٥٠/٣) وقال: «هذا حديث ثلاثي الإسناد على شرط الصحيحين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه، وهو ثابت في الصحيح وكذا قال الساعدي على شرح المسند. ونعنيها الدكتور السعد (رسالة الهجرة) ص (٢٤٩) وقال إنها قد سنهوا في قولها هذا لأن الترمذي أخرجه من هذا الوجه، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» وهو ثلاثي الإسناد. انظر: صحيح سنن الترمذي (٢/٣٠٣ - ٣٠٤/أبواب صفة القيامة) ب: (١٥). وقال الألباني: «صحيح» والحديث رجاله رجال الصحيحين.

(٤٣) ذكره ابن كثير في البداية (٣/٢٥٠) ولم نقف على مصدره، ومعناه صحيح كما في الحديث الذي قبله.

(٤٤) الفتح (١٤/٢٧٠) ح (٣٧٩٤).

(٤٥) الفتح (١٤/٢٧١ - ٢٧٢) ح (٣٧٩٧).

وعلى الرغم من هذا الإيثار، فقد أراد الرسول ﷺ أن يوجد نشرعاً يعالج للمهاجرين أوضاعهم الاقتصادية، ويشعرهم بأنهم ليسوا عائلة على أخوانهم الأنصار، فكان أن شرع نظام المؤاخاة في السنة الأولى من الهجرة^(٤٦). وروى البعض أن إعلان المؤاخاة كان في دار أنس بن مالك^(٤٧)، وذكر البعض أن المؤاخاة كانت في المسجد^(٤٨).

وقيل إن المؤاخاة كانت مرتين مرة بين المهاجرين خاصة، وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار وهي المقصودة هنا^(٤٩).

ذكر ابن سعد^(٥٠) بأسانيد شيخه الواقدي إلى جماعة من التابعين، أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض وآخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى بينهم على الحق والمواساة، ويتوارثون بعد الممات، دون ذوي الأرحام. وكانوا تسعين رجلاً، خمسة وأربعين من المهاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار، ويقال كانوا مائة، خمسين من كل فريق. وروى البخاري^(٥١) عن ابن عباس «كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي الرحم؛ للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم».

(٤٦) قال ابن حجر في الفتح (١٣٠/١٥): «واختلفوا في ابتدائها، فقيل: بعد الهجرة بخمسة أشهر (ابن عبد البر: الدرر، ص ٩٦)، وقيل: بتسعة [وَلَمْ أَقِفْ عَلَى قَائِلِهِ] وقيل: وهو بيني المسجد (الدرر: ص ٩٦، وعبون الأثر ٢٠٠/١) وقيل: قبل بئانه بسنة وثلاثة أشهر قبل بدر «وذكر ابن سعد (٢٣٨/١) أن ذلك كان بعد الهجرة وقيل بدر».

(٤٧) قاله أنس (رضي الله عنه) كما روى البخاري: الفتح (٤١/١٠ ح ٢٢٩٤) ومسلم (١٩٦/٤ ح ٢٥٢٩) وأحمد: الفتح الرباني (٢١/٧ - ٨)، وأبو داود من طرق متعددة عن أنس، ونصه وحالف رسول الله ﷺ بين قرشي والأنصار في داري» انظر: ابن كثير في البداية (٢٤٥/٣)، وابن سعد (٢٣٨/١ - ٢٣٩).

(٤٨) قاله أبو سعيد في «شرف المصطفى» كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٣٠/١٥) ويبدو - والله أعلم - أن لا تعارض بين هذه الأقوال، لأن المؤاخاة لم تتم في مرة واحدة، بل كانت حسب من دخل في الإسلام أو يقدم إلى المدينة، وما في الصحيح يقدم على غيره، فنص مسلم يشير إلى أن ابتداء المؤاخاة كان في دار أنس (رضي الله عنه).

(٤٩) قاله ابن عبد البر في الدرر، ص ١٠٠.

(٥٠) الطبقات (٢٣٨/١). ولم ينفرد ابن سعد بذكر المؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم في المدينة كما يقول الدكتور المعري. في: «المجتمع المدني في عهد النبوة». ص ٧٥، فقد أخرج الحاكم في المستدرک والضياء في المختارة عن ابن عباس، قال: «آخى النبي ﷺ بين الزبير وابن مسعود». ذكره ابن حجر في الفتح (١٣١/١٥) وحسن إسناده. وقال ابن حجر في الفتح (١٣١/١٥) في تعليقه على هذا الإسناد «وإذا انظم هذا إلى ما تقدم تقوى به».

(٥١) الفتح (١١٢/١٧ - ١١٣ ح ٤٥٨٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٢٥٥/٢).

وذكر ابن حجر^(٥٢) أن من أغراض المؤاخاة أن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى، فأخى بين الأعلى والأدنى ليرتقى الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، وهذا تظهر مؤاخاته ﷺ لعلي، لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا، من قبل البعثة، واستمر إلى ما بعدها، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة؛ لأن زيدا مولاهم، فقد ثبت أخوتها، وهما من المهاجرين^(٥٣).

لقد أخى الرسول ﷺ بينه وبين علي بن أبي طالب^(٥٤)، وبين الزبير وابن مسعود^(٥٥)، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع^(٥٦)، وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء^(٥٧)، وبين أبي عبيدة وأبي طلحة^(٥٨)، وبين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك^(٥٩)، وبين أبي بكر وخارجة بن زيد^(٦٠).
وقد ذكر ابن إسحاق^(٦١) عددا كبيرا ممن أخى الرسول ﷺ بينهم. ونقل عنه ذلك ابن حجر^(٦٢)، وأجاب عن ما يمكن أن يكون فيه إشكال^(٦٣).

- (٥٢) الفتح (١٢٩/١٥).
(٥٣) ذكر ابن إسحاق مؤاخاة النبي ﷺ وعلي ومؤاخاة حمزة وزيد - ابن هشام (١٧١/٢ - ١٧٢) - بدون إسناد.
(٥٤) جاء ذلك في حديث أخرجه الحاكم في المستدرک (١٤/٣)، بإسناد فيه إسحاق بن بشر الكاهلي وجميع بن عمير التميمي، وسكت عليه، وقال الذهبي: جميع اتهم والكاهلي هالك. وقال ابن حجر في الفتح (١٣١/١٥) - بعد أن ساق أحاديث فيها مؤاخاة النبي ﷺ وعلي (رضي الله عنه): «وإذا انضم هذا إلى ما تقدم تفقوى به». وانظر ابن إسحاق (ابن هشام ١٧٢/٢) بدون إسناد.
(٥٥) وقال محققا الزاد (٦٤/٣): «الأحاديث الواردة في مؤاخاة النبي ﷺ عليا كلها ضعيفة» انظر المجموع (١١١/٩) واللائي المصنوعة، ١٩١، ١٩٤، ٢٠١، والحديث الذي أخرجه الترمذي (٣٧٢٢) ... وفي سنده جميع بن عمير، اتهم ابن حبان بالوضع، وقال: ابن نمير: «كان من أكذب الناس».
(٥٥) سبق تخريجه من قبل قليل. وعند ابن إسحاق أنه أخى بين الزبير وسلمه بن وقش بن هشام (١٧٣/٢) وإسناده ضعيف.
(٥٦) قاله البخاري/ الفتح (٢٦٣/١٤ - ٦٤/ح ٣٧٨٠).
(٥٧) البخاري/ الفتح (١٣٢/١٥) ح ٣٩٣٦ وابن سعد: الطبقات (٨/٤ - ٨٥) من عدة طرق وعند ابن سعد بإسناد ضعيف أنه أخى بين أبي الدرداء وعوف بن مالك الأشجعي انظر الطبقات (٢٨٠/٤) وابن حجر: الفتح (١٣١/١٥)، وهو الذي أشار إلى ضعف إسناد ابن سعد، والمتعمد ما في الصحيح كما قال.
(٥٨) مسلم (١٩٦٠/٤) ح ٢٥٢٨، وأحمد - كما ذكر ابن كثير في البداية (٢٤٩/٣) عن أنس.
(٥٩) قال ابن حجر في الفتح (١٣١/١٥): «وقد تقدم في أوائل الصلاة قول عمر: كان لي أخ من الأنصار، وفر بن عثمان بن مالك...» وذكره ابن إسحاق بدون إسناد - ابن هشام (١٧٣/٢).
(٦٠) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (١٧٢/٢) والمعلق من أقسام الضعيف.
(٦١) ابن هشام (١٧٢/٢ - ١٧٥).
(٦٢) الفتح (١٣١/١٥).
(٦٣) وانظر الشامي: سبل الهدى والرشاد (٥٢٩/٣ - ٥٣٣) وقد نقل أساء المتأخرين من عدة مصادر.

ومما روي في أمر التطبيقات العملية لهذه المؤاخاة، قصة عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، حين قال سعد لعبدالرحمن «إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، فقال له عبدالرحمن: «لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟» فدل على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم أخذ يتردد على السوق، يبيع ويشترى حتى استغنى بماله عن مال أخيه سعد، وتزوج امرأة من الأنصار، أمهرها بنواة من ذهب، وطلب منه الرسول ﷺ أن يولم ولو بشاة بهذه المناسبة^(٦٤).

أخى الرسول ﷺ بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويستأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الاسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، وانخرطوا في الحياة، وعرفوا وسائل اكتساب الرزق، أبطل الله التوارث بالمؤاخاة، وأبقى أخوة المؤمنين، وأنزل في ذلك: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ، إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا، كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٦٥). وكان ذلك حين وقعة بدر^(٦٦). وروي أنه كان بعد أحد^(٦٧).

وذكر ابن عباس^(٦٨) أن ما ألغى من نظام المؤاخاة هو الإرث، أما النصر والرفادة والنصيحة فباقية، ويمكن أن يوصى ببعض الميراث بين المتأخين، وإلى هذا المعنى ذهب النووي^(٦٩).

(٦٤) انظر الحديث بتمامه وسياقه عند البخاري/ الفتح (١٣٣/٩ - ١٣٤/١٣٤ ح/٢٠٤٨).
(٦٥) الأنفال: ٧٥، والأحزاب: ٦ وانظر الروايات الواردة في تفسيرها عند الشوكاني في فتح القدير (٣٣١/٢ - ٣٣١)، وعند ابن كثير في التفسير (٤٣/٤) و(٣٨٢/٦ - ٣٨٣)، بإسناد صحيح، وانظر (٣٩/٤)، والسهلي: الروض الأنف (٢٥٢/٢).
(٦٦) ابن سعد: الطبقات (٢٣٨/١) من طريق الوافدي.
(٦٧) قاله ابن سعد وابن أبي حاتم والحاكم وصححه ابن مردويه كما ذكر العمري في المجتمع المدني، ص ٧٨، نفلا عن باب النقول (ص ٢٦٠) والشوكاني في فتح القدير (٣٣٠/٢ - ٣٣١).
(٦٨) في حديثه الذي رواه البخاري/ الفتح (١١٢/١٧ - ١١٣/١١٣ ح/٤٥٨٠)، والشاهد في نصه: «... فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا﴾ نسخت ثم قال: عقدت أبايكم - من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له».
(٦٩) انظر: مسلم (١٩٦٠/٤) / الحاشية).

وبما يدل على بقاء واستمرارية المؤاخاة دون الإلث، مؤاخاة الرسول ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء؛ لأن سلمان أسلم بين أحد والخندق^(٧٠)، ومؤاخاة معاوية بن أبي سفيان والختات التيمي؛ لأن معاوية من مسلمي الفتح^(٧١)، والختات أسلم عندما جاء في وفد بني تميم في أوائل السنة التاسعة الهجرية - عام الوفود^(٧٢)، ومؤاخاة جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل؛ لأن جعفرًا قدم من الحبشة والرسول ﷺ قد فرغ من خير لثوه، في أول سنة سبع من الهجرة^(٧٣).

ب - حكم وعبر من المؤاخاة:

١ - إن أي جماعة تسعى لهدف واحد لا بد من قيام العلاقات بين أفرادها على التآخي الذي يجعلهم يقفون بعضهم إلى جانب بعض في السراء والضراء. وإن هذا التآخي المنطلق من العقيدة هو أساس قوة هذه الجماعة، وهو الأساس الذي يمكنهم من تحقيق أهداف الدين في الحياة، ولذا كان حرص الرسول ﷺ على ذلك التآخي، الذي كان مضرب الأمثال في صدقه، والذي كان من ثماره رضا الله عنهم والتمكين لهم في الأرض، وتحقيق النموذج العملي لمبادئ الإسلام في أشخاصهم.

٢ - بناء على ما حدث في المؤاخاة، فبوسع المؤمنين في كل عصر أن يتآخوا بينهم على المواساة والارتفاق والنصيحة، ويترتب على مؤاخاتهم حقوق أخص من المؤاخاة بين المؤمنين^(٧٤).

٣ - إن في موقف عبدالرحمن بن عوف من أخيه سعد بن الربيع نموذجًا واضحًا على عفة المهاجرين واستعدادهم للعمل الذي يقدرّون عليه.

(٧٠) انظر ذلك في ترجمته في الإصابة (٦٢/٢) والاستيعاب (٥٨/٢) وقد رجح ابن عبد البر قول من قال بإسلامه بعد أحد، وثبت أن أول مشاهدته الخندق... الطبقات (٧٥/٤).

(٧١) انظر: ترجمته في الإصابة والاستيعاب، وهو من الأمور المشهورة.

(٧٢) انظر: ترجمته في الإصابة (٣١١/١).

(٧٣) انظر: هجرة المسلمين إلى الحبشة، وغزوة خيبر.

(٧٤) انظر. المجتمع المدني للدكتور العمري، ص ٨٠.

المبحث الثالث: صحيفة المدينة:

عندما استقر الرسول ﷺ بالمدينة وأراد أن ينظم العلاقات بين أهل المدينة، كتب كتابا بهذا الشأن. عرف في المصادر القديمة باسم «الكتاب» و«الصحيفة»، وأسماه الكتاب المحدثون «الدستور» أو «الوثيقة».

ولاهمية هذه الوثيقة واعتناء الباحثين المعاصرين عليها، وجعلها أساسا في دراسة تنظيمات الرسول ﷺ في المدينة المنورة، ونظم الدولة الإسلامية، وعلاقاتها مع الدول والملل الأخرى، والنظام السياسي في الإسلام، فقد رأينا أن نتناولها بالعرض والدراسة باختصار شديد.

أولا : مضمون الصحيفة^(٧٥):

أ- بنود الصحيفة المتعلقة بالمسلمين:

- المؤمنون من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس.
- كل فريق من المؤمنين (المهاجرين، بني ساعدة، من الأوس...) على ربعتهم^(٧٦) يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيهم^(٧٧) بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا^(٧٨) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.
- المؤمنون المتقون على من بغى منهم، وإن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.
- ذمة الله واحدة، يجير على المسلمين أذناهم، والمؤمنون بعضهم موالى بعض دون الناس.
- من تبع المؤمنين من يهود، فإن له النصرة والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

(٧٥) عن صياغة هذا المضمون انظر الشامي: من معين السيرة، ص ١٦٣ - ١٦٤. وانظر كابل البنود في سيرة ابن هشام (١٦٧/٢ - ١٧٢)، التي هي أصلا لابن إسحاق كما نعلم.

(٧٦) الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

(٧٧) العاني: الأسير.

(٧٨) المفرح: الكثير العيال والمثقل بالدين.

ب - بنود الصحيفة المتعلقة بالمشركون:

- لا يجبر مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على المؤمنين.

ج - بنود الصحيفة المتعلقة باليهود:

- ينفق اليهود مع المؤمنين ما داموا محاربين.

- يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، مواليهم وأنفسهم...
ولبقية اليهود من بني النجار، يهود بني الحارث... ماليهود بني عوف.
وإن بطانة يهود كأنفسهم.

- لا يخرج من يهود أحد إلا بإذن محمد ﷺ.

- على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح... والنصر للمظلوم.

د - بنود الصحيفة المتعلقة بالقواعد العامة:

- يشرب حرام جوفها لأهل الصحيفة، وإن الجار كالنفس، غير مضار، ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها.

- ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله (عز وجل) وإلى محمد رسول الله ﷺ.

- لا تجار قريش ولا من نصرها.

- وإن بينهم - أهل الصحيفة - النصر على من دهم يشرب.

- من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر و اتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

ثانيا: مصادر الصحيفة^(٧٩):

أ - إن أقدم من روى نصها كاملا هو محمد بن إسحاق، المتوفى

(٧٩) إستعنا - بعد الله عز وجل - في التحقيقات الحديثة المذكورة عن مصادر هذه الصحيفة ببحث الأستاذ/ ضيدان اليامي: «بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة وثيقة - المدينة»؛ ورسالة الماجستير المخطوطة على الآلة الكاتبة للأستاذ هارون رشيد محمد إسحاق، تحت عنوان: «صحيفة المدينة: دراسة حديثة وتحقيق، وكتاب الدكتور أكرم العمري: «المجتمع المدني...».

سنة ١٥١ هـ^(٨٠).

ب - رواية الإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ)، وهي إشارة مختصرة جداً، ونصها: «إن النبي ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار: أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين»، وهي من طريقين

ج - رواية أحمد بن أبي خيثمة (ت ٢٧٩ هـ)، ذكر ابن سيد الناس^(٨١) أنه قد رواها بمثل رواية ابن إسحاق، ولكنه أسندها. وذكر سنده، وفيه كثير بن عبدالله، وقد اختلف فيه^(٨٢). ومال بعض الباحثين^(٨٣) إلى تضعيفه، ومال آخرون^(٨٤) إلى توثيقه.

د - روايات أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، ثنتان منها في كتابه «الأموال^(٨٥)»، الزواية الأولى من طريقين. الطريق الأولى مرسلة، لأنها موقوفة على الزهري، وفي إسنادها عبدالله بن صالح، وهو ممن اختلف

(٨٠) انظر سيرة ابن هشام (١٦٧/٢ - ١٧٢)، بدون إسناد، وبها ٥٢ بدأ حسب تصنيف الدكتور عون الشريف قاسم في كتابه: «دبلوماسية محمد ﷺ» ص ص ٢٤١ - ٢٤٤، و٤٧ بدأ حسب تصنيف الأستاذ/ هارون رشيد، ص ص ١٥ - ٥٤ ولا اختلاف في المضمون.

(٨١) عيون الأثر (١٩٧/١، ١٩٨).

(٨٢) ومن ضعفه أو نسب إلى الكذب: ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥٤/٧)، وابن حجر في التقريب (١٣٢/٢) والذهبي في الميزان (٤٠٦/٣ - ٤٠٧)، وابن حبان في المجروحين (٢٢١/٣).

(٨٣) انظر الياقبي: بيان الحقيقة، ص ص ١٦ - ١٩.

(٨٤) انظر هارون: صحيفة المدينة المنورة، ص ٩٩، وقد درسه هارون هذا دراسة تفصيلية، جمع كل الأقوال فيه تقريباً - انظره، ص ٧١ - ١٠٠، وقال باحتيال الخطأ في اتهام كثير بالكذب، وذلك استناداً إلى توثيق البخاري له بتحسين حديث مروى عنه في صحيحه، في خلق أفعال العباد وآخر بالسند نفسه في القراءة خلف الإمام، وأنه أخرج له في غير صحيحه، في التاريخ الكبير (٣٠٧/٣/٢)، ولما سأل الترمذي البخاري عن حديث روي عن طريق كثير بن عبدالله حسنة - انظر: هارون، ص ٩٦ - ٩٨، واستناداً إلى توثيق الترمذي له بتصحيح حديث مروى عنه، وتحسين خمسة أحاديث مروية عنه - هارون، ص ٩٩، ورواية أبي داود له بالسكوت، ويحيى بن سعيد الأنصاري والحاكم وابن خزيمة والقسوي وآخرين. وخلاصة قول هارون أن غير الصحيفة الذي رواه كثير بن عبدالله لا يقل درجة عن الأخبار الثلاثة التي رواها البخاري عن كثير في خلق أفعال العباد والقراءة خلف الإمام وفي التاريخ الكبير (هارون ص ٢٩٨) وأن إسناد ابن أبي خيثمة على الأقل حسن لغيره (ص ١٣٢).

(٨٥) ص ١٢٦.

فيه^(٨٦). ونص الرواية: «إن رسول الله ﷺ كتب بهذا الكتاب: من محمد ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم فحل معهم وجاهد معهم... إنهم أمة واحدة...». وذكر حديثاً طويلاً في المعامل بنحو حديث ابن إسحاق. والطريق الثانية، في إسنادها يحكى بن عبدالله^(٨٧) عن الليث، ولكنها أيضاً مرسلة، لأنها موقوفة على الزهري، ويقال فيها ما قيل في الطريق الأولى، إلا أن يحكى بن عبدالله ثقة في روايته عن الليث، وقد تابع بذلك عبدالله بن صالح.

والرواية الثانية من طريق حجاج، مرسلة، لأنها موقوفة على ابن جريج، وقد عرف بالتدليس والإرسال^(٨٨). ونصها: «في كتاب النبي ﷺ بين المسلمين والمؤمنين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم معهم إن المؤمنين لا يتركون مفرحاً منهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل». والرواية الثالثة في كتابه «غريب الحديث»^(٨٩) رواها بثلاثة أسانيد: السند الأول: من طريق حفص عن كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده، مختصرة، وقد سبق الكلام عن كثير هذا. والسند الثاني: وفيه حماد بن عبيد^(٩٠) وجابر الجعفي^(٩١)، وهما ضعيفان، وموقوف على الشعبي أو أبي جعفر محمد بن علي الباقر، فهي مرسلة، وضعيفة لضعف حماد وجابر.

(٨٦) انظر: التشريب (٤٢٣/١) وقال عنه: «صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة» وخلاصة رأي القفطان فيه أنه حسن الحديث - انظر تهذيب التهذيب (٢٥٦/٥ - ٢٦١)، أخرج له البخاري في التعليق وأبو داود والترمذي وابن ماجه - انظر التقریب (٤٣٣/١) وانظر بقية الآراء فيه عند هارون، ص ٦٤ - ٦٥.

(٨٧) أخرج له البخاري ومسلم وابن ماجه: كما في التقریب (٣٥١/٢) والتهذيب (٢٣٧/١١، ٢٣٨) وذكره ابن حبان في الثقات (٢٦٣/٩)، وثقه الذهبي. وقال: يحتج به في الصحيحين، (الميزان ٣٩١/٤). وضعفه النسائي - انظر الضعفاء والمتروكين، ص ١٠٨. وقال هارون (ص ٦٤) إن الكلام في ضعفه في روايته عن مالك، أما عن الليث فهو موثق، كما في التقریب.

(٨٨) ابن حجر التقریب (٥٢٠/١).

(٨٩) (٣٠١١).

(٩٠) ذكر الذهبي في الميزان (٥٩٧/١) قول ابن أبي حاتم فيه إنه: «ليس بصحيح الحديث ولا يعا به، وقال البخاري لم يصح حديثه...».

(٩١) قال عنه ابن حجر في التقریب (١٢٣/١): «ضعيف رافضي...» وذكر الذهبي في الميزان (٣٨٠/١) قول أبي حنيفة إنه لم ير أكذب منه، وقول النسائي وغيره بأنه متروك، وقول يحيى بن حذيفة لا يكتب، وقول أبي داود أنه ليس عنده بالقوي في حديثه...».

هـ- رواية حميد بن زنجويه: (ت ٢٥١ هـ)، رواها في كتابه: «الأموال»^(٩٢)، ينحو رواية ابن إسحاق، وهي من بلاغات الزهري، وفي إسناده عبدالله بن صالح، وقد سبق الكلام عليه. والخلاصة أن الرواية ضعيفة لضعف عبدالله بن صالح، ولأنها مرسلة.

و- رواية الإمام البيهقي: (ت ٤٥٨ هـ)، له فيها روايتان في كتابه «السنن الكبرى»^(٩٣)، الأولى بسنده إلى عثمان بن محمد، قال: «أخذت من آل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هذا الكتاب كان مقرونا بكتاب الصدقة الذي كتب عمر للعمال. بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من النبي ﷺ بين المسلمين والمؤمنين من قريش ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم... إل: وإن على المؤمنين أن لا يتركوا مفرحاً منهم حتى يعطوه في فداء أو عقل» وفي إسناده محمد بن عبد الجبار العطاردي، وقد ضعف^(٩٤)، وعثمان بن محمد الذي وثقه البعض^(٩٥) ولكنه رواها وجادة^(٩٦)، ويونس بن بكير، وقد اختلفوا فيه^(٩٧).

والرواية مختصرة عما جاء في سيرة ابن إسحاق وغيره، وقد أغفلت بنوداً كثيرة، أهمها ما يتعلق باليهود.

(٩٢) ٤٦٦/٢ ح (٧٥٠).

(٩٣) ١٠٦/٨.

(٩٤) قال عنه ابن حجر في التقریب (١٩/١): «ضعيف وسامع للسيرة صحيح...» وقال في التهذيب (١٥/١): إن ابن أبي حاتم أسك عن الرواية عنه لكثرة كلام الناس فيه، وكذبه ابن معين وضعفه الحاكم وابن عدي وذكر قول ابن عدي أنه لا يعرف له حديث منكراً، وإنما ضعفوه لأنه لم يلق من يحدث عنهم.

(٩٥) وثقه ابن معين والترمذي وابن حبان - انظر التهذيب (١٥٢/٧ - ١٥٣) وقال النسائي ليس بالقوي، وأنكر ابن المديني حديثه عن ابن المسيب عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، انظر: التقریب (١٤/٢) رقم (١٠٩).

(٩٦) أي أخذها من كتاب شخص فيه أحاديث يروها بخطه ولم يلقه، أو لقيه، ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه، ولا له منه إجازة ولا نحوها (انظر مقدمة ابن الصلاح، ص ١٥٧).

(٩٧) قال ابن حجر في التقریب (٣٨٤/٢): «ينحط»، أخرج له البخاري في التعلیق وفي جزء القراءة، ومسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي، انظر: التقریب (٣٨٤/٢)، وثقه ابن معين وأبو خيثمة ومحمد بن نمير وعبيد بن يعقوب وابن حنبل - انظر: التهذيب (٤٣٥/١١ - ٤٣٦)، وابن حبان انظر: كتاب الثقات (٦٥١/٧)، وليته ابن أبي شبة وضعفه النسائي مرة وليته مرة أخرى انظر التهذيب (٤٣٦/١١).

أما الرواية الثانية فهي بنحو الأولى، ورجال إسنادها ثقات^(٩٨)، ما عدا كثير بن عبدالله، وقد سبق الكلام عليه.

ز- رواية ابن أبي حاتم الرازي، ذكرها في مقدمة كتابه «الجرح والتعديل»^(٩٩)، بسنده إلى الأوزاعي أنه كتب إلى عبدالله بن محمد أمير المؤمنين رسالة طويلة، وقال فيها: قد حدثني الزهري أنه كان في كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب به بين المهاجرين والأنصار «أن لا يتركوا مفرحا أن يعينوه في فداء أو عقل».

ورجال إسنادها ثقات، ما عدا العباس بن الوليد بن فريد، فإنه صدوق^(١٠٠)، وهي مرسله، لأنها موقوفة على الزهري، ومختصرة جدا، وربما كان السبب أن الأوزاعي قد كتب إلى أمير المؤمنين الجزء الذي كان يحتاج إليه من هذا الكتاب، مما يوحى إلى وجود الكتاب بأكمله لديه، ولا سيما أنه رواه عن الزهري، وقد تقدم أن الزهري قد روى هذا الكتاب أو الصحيفة بنحو رواية ابن إسحاق^(١٠١)...

ح- رواية ابن حزم: (ت ٥٤٦ هـ)، رواها في المحلى^(١٠٢) بإسناده إلى ابن عباس، ونصها: «كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار: أن يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف، والإصلاح بين الناس». وفي إسنادهما الحجاج بن أرطاة والحكم بن مقسم، قال عن الأول: ساقط، وعن الثاني: ضعيف.

بعد أن خرج أحد الباحثين^(١٠٣) مرويات هذه الصحيفة من المصادر المذكورة، ودرس أسانيدها، قال بأنها ضعيفة لا تصح، وينبغي عدم الاحتجاج بها،

(٩٨) انظرهم عند هارون، ص ص ١٠٩ - ١١١.

(٩٩) (١٩٥/١ - ١٩٧).

(١٠٠) قاله ابن حجر في التقریب (٣٩٩/١) والتهذيب (١٣١/٥ - ١٣٣) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢١٥/٦) وزاد أنه ثقة.

(١٠١) انظر في هذا «بيان الحقيقة...» لضيدان، ص ٣٣.

(١٠٢) (٤٠٧/١٢، ٤٠٨/ك. المواعيل، والقسام، وقتل أهل البغي/ مسألة رقم ٢١٤٣).

(١٠٣) اليامي. بيان الحقيقة. ص ص ٣٨ - ٣٩.

سوى ما ثبت لفظه أو معناه في أحاديث أخرى وجاء في الصحيفة^(١٠٤). أما الباحث الآخر^(١٠٥) فإن خلاصة دراسته أسانيد نصوص الصحيفة، فهي: سند ابن هشام عن ابن إسحاق ضعيف للإرسال وصالح للاعتبار. وأحد سندي أبي عبيد كذلك ضعيف للإرسال وصالح للاعتبار. ورواية ابن أبي خيثمة في إسناده كثير بن عبدالله، الذي اتهم بالكذب، وهي تهمة غير مسلم بها استنادا إلى توثيق البخاري له بتحسين حديث مروي عنه، وأخرج له في غير صحيحه، وتوثيق الترمذي له بتصحيح حديث مروي عنه وتحسين أحاديثه الأخرى، ورواية أبي داود له بالسكوت، وتوثيق يحيى بن سعيد الأنصاري والحاكم وابن خزيمة والفسوي وآخرين له بالرواية عنه، وبذلك يكون إسناده ابن أبي خيثمة على الأقل حسناً لغيره. ولم ينفرد ابن خيثمة بحديث كثير، إذ رواه البيهقي بالسند نفسه، ولو شطرا من الصحيفة.

وليس الحديث شاذاً، إذ ليس فيه ما يخالف الصحيح، ولا منفرداً، إذ روي من طريق آخر متصل ومرسلاً. أما المتصل فرواه البيهقي بسند آخر كما مر بنا، والمرسل رواه ابن إسحاق والزهرى كما مضى.... وبما أن هذه الأسانيد كلها صالحة للاعتبار بانفرادها، وبما أن كلها تعاضد بعضها بعضاً، لذلك جاز القول: إن رواية صحيفة المدينة وصلت إلى درجة الحسن لغيره.

وقد توصل الدكتور العمري^(١٠٦) قبله إلى هذه النتيجة، فقال بعد دراستها: «وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية، سوى ما ورد منها في كتب الحديث الصحيح، فإنها تصلح أساساً للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية، خاصة وأن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة...» وقال في

(١٠٤) انظر: المرجع نفسه، ص ٣٥ - ٣٨.

(١٠٥) هارون: صحيفة المدينة، ص ١٣٢.

(١٠٦) المجتمع المدني، ص ١١١.

الحاشية: «ولكن مجموع الآثار تتقوى ببعضها وتصل إلى درجة الحسن لغیره^(١٠٧)».

ثالثاً: تاريخ كتابة الصحيفة:

يرجح أحد الباحثين^(١٠٨) أن الصحيفة في الأصل صحيفتان، ثم جمع المؤرخون بينهما، إحداهما تتناول موادعة الرسول ﷺ لليهود، والثانية توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم، وأن صحيفة موادعة اليهود كتبت قبل بدر الكبرى والأخرى بعد بدر، وقد أوضح أدلة ترجيحاته. وترجيحه مقبول عندي.

أما ما ورد من نصوص تدل على أن كتابة صحيفة الموادعة مع اليهود كانت بعد قتل ابن الأشرف، فإن هذه الكتابة تعتبر إعادة وتوكيداً للكتابة الأولى^(١٠٩). والآية ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾^(١١٠) تشير إلى أكثر من معاهدة بين الرسول ﷺ واليهود، كما فسرها المفسرون^(١١١).

رابعاً: الشواهد على فقرات الصحيفة من كتب السنة والتاريخ:

لقد عقد أحد الباحثين^(١١٢) فصلاً لهذا الموضوع، ذكر فيه أولاً ما ورد من أخبار في كتابة الصحيفة. وخلاصة ذلك ما سبق ذكره عن رواية الإمام أحمد التي صحح إسناده الشيخ شاكر، والشيخ البناء، ورواية عن مسلم^(١١٣) أن النبي ﷺ كتب على كل بطن عقوله، ثم كتب أنه لا يحل لمسلم أن يتولى مولى رجل مسلم بغير إذنه. . . .

وروى أبوداود^(١١٤) والبيهقي^(١١٥) أنه بعد قتل المسلمين كعب بن الأشرف،

(١٠٧) المرجع والمكان نفسهما.

(١٠٨) المرجع نفسه ص ١١٢ - ١١٧.

(١٠٩) انظر صحيفة المدينة ص ١٥٤، والمجمع المدني، ص ١١٤.

(١١٠) الأنفال: ٥٦.

(١١١) قاله ابن الجوزي في زاده (٣٧٢/٣) أي زاد المسير.

(١١٢) هارون. صحيفة المدينة ص ١٣٣ - ١٥٥.

(١١٣) (١١٣/٢) ح/١٥٠٧.

(١١٤) سننه (٤٠١/٣) - ٤٠٢ ح/٣٠٠٠ ط الدعاس.

(١١٥) السنن الكبرى (٩/١٨٣) ك. الجزية/ب. لا يؤخذ منه الجزية.. إسناده حسن، إذ لا يوجد ضعيف بين رواه كما حققه هارون (ص ١٥٠).

جاءته يهود في أمر قتله، فدعاهم إلى أن يكتب بينه وبين المسلمين عامة صحيفة.

وروى الخطابي^(١١٦) أن كعب بن الأشرف عاهد النبي ﷺ أن لا يعين عليه ولا يقاتله، ولكنه لحق بمكة، ثم قدم المدينة معلنا معاداة النبي ﷺ، ولذا قتله المسلمون.

وروى البخاري^(١١٧) قول الرسول ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم، لا يقتل مؤمن ولا ذو عهد في عهده».

وروى النسائي^(١١٨) أن النبي ﷺ قال: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم، لا يقتل مؤمن ولا ذو عهد في عهده».

وروى ابن ماجه^(١١٩) في رواية أن الرسول ﷺ قال: «لا يقتل مسلم بكافر» وزاد في رواية أخرى: «... ولا ذو عهد في عهده»^(١٢٠).

هذه الروايات تثبت تحرير الكتاب من النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وتؤيد الفقرات التي جاءت في الصحيفة عن المعامل وفداء العناة للمهاجرين وبطون الأنصار.

لقد أورد أحد الباحثين^(١٢١) ثمانية أحاديث تثبت أصل الصحيفة والكتابة بين المهاجرين والأنصار ويهود المدينة، وما ثبت ما فيها من تفصيلات: ثلاثة من مسند الإمام أحمد، وواحد من كل من المصنف لعبد الرزاق وسنن أبي

(١١٦) معالم السنن (٣٣٨/٢) بإسناد صحيح كما قال هارون (ص ١٤٨).

(١١٧) الفتح (١٣٧/١٢) ح (٣٠٤٦).

(١١٨) سننه (٢٠/٨) ك. القسامة/ ب. القود بين الأحرار. وفي سننه صدوقان - محمد بن عبد الواحد وأبو حسان - وللحديث شواهد في الصحيحين، فهو لذلك صحيح لغيره، كما قال هارون (ص ١٦٧).

(١١٩) انظر: صحيح سنن ابن ماجه - الألباني (١٠١/٢) ح (٢٦٥٩) وقال: «حسن صحيح».

(١٢٠) المصدر نفسه، حديث رقم ٢٦٦٠، وقال الألباني: «صحيح».

(١٢١) هارون: صحيفة المدينة، ص ١٣٣ - ١٥٥، ٢١٥.

داود ومعالم السنن للخطابي واثنان من السنن الكبرى للبيهقي . وكلها صحيحة أو حسنة، ما عدا رواية عبدالرزاق فهي مرسلة.

أما المؤرخون فقد أشار بعضهم، إلى فقرات معينة وردت في الصحيفة، فمثلا الطبري^(١٢٢)، أشار إلى كتابة المعامل، وابن سعد^(١٢٣) أشار إلى كتابة المعامل بين المؤمنين، وأن لا يترك مفرح في الإسلام، ولا يقتل مسلم بكافر، وعبدالرزاق الصنعاني^(١٢٤) بإسناده إلى الزهري، أشار إلى العقل على العاقلة وأن ذلك بلغهم عن الرسول ﷺ كما في الكتاب الذي بين قريش والأنصار، الذي فيه: «ولا تتركوا مفرحا أن تعيينه في فكاك أو عقل» والمقرزي^(١٢٥)، الذي قال إن الرسول ﷺ كتب كتابا وادع فيه يهود المدينة: قينقاع والنضير وقريظة. وابن حزم^(١٢٦) قال بأن الرسول ﷺ وادع اليهود، وادع اليهود، والديار بكري^(١٢٧)، قال بأن الرسول ﷺ وادع اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم أن لا يعينوا عليه أحدا وإن دهمها عدو نصره.

وروى ابن مردويه^(١٢٨) في قصة بني النضير: «... صبحهم بالكتائب فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم، فعاهدوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء...».

وهذا الخبر صريح في معاهدة الرسول ﷺ بني قريظة، وقد ذكرنا أن هذه المعاهدة كانت توكيدا لأخرى قبلها.

ثم ذكر هارون^(١٢٩) شواهد كثيرة على فقرات الصحيفة... أما الآيات القرآنية، فقد أورد سبعا وعشرين آية توافق فقرات جاءت في الصحيفة.

(١٢٢) تاريخه (٤٨٦/٢) بدون إسناده. فهو ضعيف.
(١٢٣) الطبقات، الجزء الأول، القسم الثاني، ص ١٧٢ (من ط. ليدن ١٩١٧ - ١٩٢٨).
(١٢٤) المصنف (٢٧٣/٩)، بإسناده صحيح لكنه مرسل - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، ١٣٩٢ - المكتب الإسلامي - بيروت.
(١٢٥) إمتاع الأسباع (٤٩/١) بدون إسناده. فهو ضعيف.
(١٢٦) جوامع السيرة، ص ٩٥، بدون إسناده.
(١٢٧) تاريخ الخميس في أحوال أنفاس نفيس (٣٥٣/١).
(١٢٨) ذكره ابن حجر في الفتح (٢٠٢/١٥) ك. المغازي/ ب. حديث بني النضير، وقال: «إسناده صحيح». وأخرجه عبدالرازق في مصنفه (٣٥٩/٥ - ٣٦٠) وأبو داود في سننه (٤٠٤/٣ - ٤٠٦) ك. الخراج/ ب في خبر بني النضير والبيهقي في دلائله (١٩٨/٣).
(١٢٩) صحيفة المدينة، ص ١٥٦ - ٢١٤.

والخلاصة: إن جميع فقرات الصحيفة لها شواهد من صحيح السنة والقرآن الكريم. ولولا خشية الإطالة لذكرنا ولو طرفا منها. جزى الله خيرا الباحث هارون.

أما ما جاء في الصحيفة عن الصلح مع اليهود والمشركين بغير الجزية فهو منسوخ بآية الجزية: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(١٣٠). وكان ذلك في سنة تسع^(١٣١)، ومن المعروف أن سورة «التوبة» من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ كما قال البخاري^(١٣٢).

خامسا: دلالات وأحكام وعبر من صحيفة المدينة:

- ١ - إن هذه الوثيقة تعد أقدم دستور مكتوب في العالم..
- ٢ - لم يذكر العلماء أن حكما من أحكامها قد نسخ، ماعدا قولهم إن المعاهدة مع اليهود، أو مع غير المسلمين بدون الجزية، منسوخة بآية الجزية - الآية (١٢٩) من سورة التوبة - كما ذكرنا قبل عدة أسطر.
- ٣ - وقال بعض العلماء إن العلاقة مع اليهود، والتي تضمنتها الوثيقة، توافق حكم الآية: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين﴾^(١٣٣).

٤ - نظمت الوثيقة جوانب مختلفة لحياة الناس.

٥ - فيها مبادئ دستورية عديدة على سبيل المثال:

١ - تشكيل الأمة من حيث العقيدة والدين تشتمل على كل المسلمين

حيثما كانوا.

٢ - تشكيل الأمة - أي الجماعة - من حيث المواطنة تشتمل على غير

(١٣٠) التوبة: ٢٩.

(١٣١) انظر ابن كثير: التفسير (٧٤/٤).

(١٣٢) الفتح (١٧/١٩٥) ح ٤٦٥٤.

(١٣٣) المنتحة: ٨.

المسلمين في الدولة.

- ٣ - المساواة في المعاملات العامة.
- ٤ - منع إيذاء المجرمين.
- ٥ - منع خروج اليهود من دون إذن محمد ﷺ.
- ٦ - منع الظلم والعدوان في المال والعرض وغيرهما.
- ٧ - منع الصلح المنفرد مع العدو.
- ٨ - منع إجارة قريش - أي منع إجارة العدو.
- ٩ - القود من القاتل - أي حرمة الحياة.
- ١٠ - الإسهام في نفقة الدفاع عن الدولة والوطن.
- ١١ - فداء الأسرى.
- ١٢ - وفاء الدين عن الغارمين.
- ١٣ - الإبقاء على الأعراف الصالحة.
- ١٤ - حق الحرية في العقيدة والدين.
- ١٥ - حقوق الجار.
- ١٦ - حرمة المسلم - أي مبدأ لا يقتل مسلم بكافر.
- ١٧ - تحريم المدينة.
- ١٨ - عدم إعطاء حقوق الحرمة للآخرين في المدينة إلا بإذن أهلها.
- ١٩ - مرجع حسم الخلاف حول بنود هذه الوثيقة الله (عز وجل) ورسوله محمد ﷺ.

وهناك مبادئ دستورية يمكن استنباطها من الوثيقة، والمبادئ المذكورة ينطوي كل واحد منها على أحكام شرعية، وما عدا المبادئ الخاصة بالمسلمين^(١٣٤) فإن المبادئ التي انطوت عليها توجد في أي دستور حتى الدساتير الوضعية^(١٣٥).

(١٣٤) وهي رقم: ١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ولا مثيل لها في أي مجتمع في العالم.
(١٣٥) كل ما ذكرناه إلى هنا من دلالات نقلناه عن الأستاذ هارون: صحيفة المدينة ص ص ٣٢٥ - ٣٢٦، وانظر: طاهر القاسمي: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ، ط ١، ١٣٩٤، جزءان، دار التفائس، بيروت، ص ٣١ وما بعدها.

وعلى الرغم من هذا الموقف المتسامح تجاه اليهود، إلا أنهم ظلوا يكيّدون للإسلام بثتى الوسائل والأساليب، كما سئرى فى الأحداث القادمة، ومن الميادين التى نشطوا فيها ولم يولها المؤرخون المحدثون كبير اهتمام، نشاطهم فى ميدان الجدال العقيم رغبة منهم فى الصد عن سبيل الله، وليس بغرض الدخول فى الإسلام. وسجل القرآن كثيراً من جدالهم وعنادهم، ومن أظهرهم فى ذلك: رافع بن حريمة وسلام بن مشكم ونعمان بن أوفى ومحمود بن دحية وشاش بن قيس ومالك بن الصيف، وجبل بن أبى قشير، وشمويل ونعمان احنا وبحري بن عمرو وشاش بن عدي ورافع بن حارثة والنحام بن زيد وكردم بن كعب... (١٣٦) إلخ.

(١٣٦) انظر أمثلة جدلهم كما ذكرها الشيخ الجزائري: هذا الحبيب. ص ص ١٩٦ - ١٩٨.

الفصل الرابع

القسم الأول:

متفرقات

المبحث الأول: تسمية يثرب بطيبة، وطابة والمدينة:

يلحظ ان المدينة المنورة سميت في الصحيفة بـيثرب. ولكن فيما بعد كره الله ورسوله هذا الاسم فاستبدلت بها أسماء طيبة وطابة والمدينة. فقد روى مسلم^(١) عن جابر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى سمي المدينة: طابة».

وروى بسنده إلى زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: «إنها طيبة - يعني المدينة - وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة»^(٢). وروى الطيالسي^(٣) بطريق مسلم نفسها قائلا: «كانوا يسمون المدينة بـيثرب، فسماها رسول الله ﷺ طيبة».

وقال ابن حجر^(٤) إنه ورد من طريق أبي سهل بن مالك عن كعب الأحبار، قال: «نجد في كتاب الله الذي أنزل على موسى أن الله تعالى قال للمدينة ياطيبة، وياطابة...».

وردت في بعض أحاديث الرسول ﷺ باسم آخر هو: المدينة. فقد روى البخاري^(٥) بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

(١) صحيحه (٢/١٠٠٧/١٣٨٥) ورواه بسنده ومثله ابن شيه في تاريخ المدينة (١/١٦٤).

(٢) المصدر والمكان نفسهما.

(٣) مسنده (٢/٢٠٤).

(٤) الفتح (٨/٢١٨).

(٥) الفتح (٢٧/١٢١) ح (٧١٣٣).

وروى أحمد^(٦) أن الرسول ﷺ قال: «من سمي المدينة يثرب فليستغفر الله (عز وجل)، هي طابة، هي طابة».

وذكر السيوطي^(٧) عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: «لا تدعوها يثرب، فإنها طيبة - يعني المدينة - ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات، هي طيبة، هي طيبة، هي طيبة».

وروى البخاري^(٨) عن أبي حميد أنه قال: «أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة، فقال: «هذه طابة».

وروى ابن شبة^(٩) بإسناده إلى أبي أيوب أن رسول الله ﷺ نهى أن يقال للمدينة يثرب.

وروى مسلم^(١٠) عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «أمرت بقريّة تاكل القرى، يقول يثرب، وهي المدينة. تنفي الناس كما ينفي الكبر خبث الحديد».

وسأها القرآن الكريم المدينة في مواضع متعددة^(١١) وقال ابن حجر^(١٢) في سبب كراهة تسمية المدينة بـ يثرب، لأن يثرب إما من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب، وهو الفساد، وكلاهما مستقيح. وكان ﷺ يحب الاسم الحسن، وبكره القبيح.

(٦) المسند (٢٨٥/٤) بسنده إلى البراء بن عازب، ورجاله عن يجمع بهم، ما عدا يزيد بن أبي زياد، فهو ضعيف، كما في التقریب (٣٦٥/٣) والنهذب... ولكن يتقوى بالشواهد والمتابعات، وذكره ابن حجر في الفتح (٢١٦/١٨) ورواه الهيثمي في المجمع (٣٠٠/٣) وعزاه لابي يعلى، وقال: ورجاله ثقات، ورواه من ثلاثة طرق - ابن شبة في تاريخ المدينة (١٦٤/١ - ١٦٥) الأول مرسل وفيه يزيد بن أبي زياد، والثاني مرفوع وفيه يزيد أيضا، والثالث مرفوع ورجاله ثقات ماعدا ابن أبي يحيى - إبراهيم بن محمد الأسلمي - فهو متروك كما في التقریب، لحديثه ضعيف جدا.

(٧) الدر المنثور (١٨٨/٥) وعزاه لابن مردويه.

(٨) الفتح (١٨٧٢/٢١٨/٨)، ورواه ابن شبة في تاريخ المدينة (١٦٤/١).

(٩) تاريخ المدينة (١٦٥/١) وإسناده ضعيف لأن فيه ابن أبي يحيى - إبراهيم بن محمد الأسلمي - وهو متروك كما في التقریب، لحديثه ضعيف جدا، ولكن للحديث شواهد ومتابعات يتقوى بها كما سترى من أحاديث هذه المسألة.

(١٠) صحيحه (١٠٠٦/٢) ج (١٣٨٢).

(١١) مثلا: المنافقون: ٨، الأحزاب: ٦٠، التوبة: ١٠١، ١٢٠... إلخ وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

(١٢) الفتح (٢١٦/٨) ك. فضائل المدينة/ ب. فضل المدينة وإنما تنفي الناس..

المبحث الثاني: بعض المتاعب الصحية تواجه بعض المهاجرين:

لقد واجه المهاجرون حين مقدمهم من مكة إلى المدينة بعض المتاعب الصحية، إذ أصابهم حمى يثرب^(١٣)، حتى أنهم كانوا يصلون وهم قعود^(١٤)، وصرف الله ذلك عن نبيه محمد ﷺ^(١٥).

لقد وعك أبويكر وبلال. فكان أبويكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله
وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته، ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة * بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة؟ * وهل يدون لي شامة وطفيل

وجاءت عائشة (رضي الله عنها) إلى النبي ﷺ فأخبرته بما يقولان، فقال:
«اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وصححها وبارك في صاعها
ومدها، وانقل حماها فاجعلها في الجحفة»^(١٦).

ووعت عائشة^(١٧) وابن فهيرة^(١٨)، وغير هؤلاء، لأن المدينة كانت مشهورة
بالحمى، حتى قال مشركو مكة عن مسلمي المدينة في عمرة القضاء: «إنه
يقدم عليكم وفد وهتهم حمى يثرب»، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط
الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ليروا المشركين قوتهم، وأن الحمى لم

(١٣) طرف من رواية أحمد. الفتح الرباني (٣١/٢١ - ٣٢). قال الساعتي. «وأورده أيضا الهيثمي بطوله وقال رواه أحمد واليزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة».

(١٤) أحمد: المسند (١٣٦/٣)، وابن إسحاق، بإسناد لم يصرح فيه بالسماع - ابن هشام (٢/٢٧٤)، ابن ماجه (١/٣٨٨ ح/١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١) من طريق ابن إسحاق، وقال في الزوائد: «إسناده صحيح».

(١٥) المصدر السابق نفسه.

(١٦) البخاري/ الفتح (١٥/١٢٢ - ١٢٢ ح/٣٩٢٦). قال ابن حجر في شرحه: يواد. وادي مكة. وانظر الفتح الرباني (١٣/٢١ - ١٤)، جليل: ثبت ضعيف يحمى به خصائص البيوت وغيرها. شامة وطفيل: جبلان بقرى مكة، وقيل: عينان. ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/٢٧١ - ٢٧٣).

(١٧) البخاري/ الفتح (١٥/١١٤ ح/٣٩١٧، ٣٩١٨).

(١٨) ذكره ابن إسحاق من حديث عائشة بإسناد حسن - ابن هشام (٢/٢٧١)، وأحمد: الفتح الرباني (١٣/٢١) من حديث عائشة، وقال الساعتي: متفق عليه.

تبهكهم كما يزعم الكفار^(١٩).

واستجاب الله دعاء نبيه فجعلها من أطيب البلاد بعد ذلك.

المبحث الثالث: قريش تهدد المهاجرين والأنصار:

كان عبدالله بن أبي بن سلول أكبر زعماء المدينة. وعندما جاءها الرسول ﷺ مهاجرا كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجه ملكا عليهم، ولم يتم ذلك لأن الرسول ﷺ أصبح زعيما بتاج النبوة. ولذا تأخر في إسلامه، لأنه كان يرى أن الرسول ﷺ قد سلبه ملكه، فأخذ يناصبه العداوة. وبعد أن أعلن إسلامه ظل على عداوته للرسول ﷺ، ولكن بأسلوب آخر، وهو أسلوب النفاق. وله مواقف تدل على نفاقه كما سيأتي.

ففي أحد هذه المواقف، روى البخاري^(٢٠) ومسلم^(٢١) وأحمد^(٢٢)، ثلاثتهم من حديث الزهري بإسناده إلى أسامة بن زيد أن سعد بن عباد قال: «يارسول الله، اعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصططح أهل هذه البُحيرة على أن يتوجه فَيُعَصِّبُوهُ بِالْعَصَابَةِ، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، سَرَقَ بِذَلِكَ، فذلك فَعَلَ به ما رأيت...».

وفي رواية ابن إسحاق^(٢٣) قال سعد: يارسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنا لننظم له الخرز لتوجه، فوالله إنه ليرى أنه قد سلبته ملكا».

لقد وجد مشركو مكة ضالتهم في ابن سلول هذا، لأنه على ملتهم، فكاتبوه ليكيد للمسلمين ويقوم بالدور الذي كانوا يقومون به ضد الرسول ﷺ وأصحابه في مكة. قالوا له في كتبهم إليه: «إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم

(١٩) البخاري/ الفتح ٩٦/١٦ ح/ ٤٢٥٦، ٤٢٥٧) وقد سبق أن قلنا إن بلالا دعا على شبيهة وعتبة وأبي جهل لأنهم أخرجهم إلى أرض الوفاء.

(٢٠) الفتح ٩٢/١٧ - ٩٤ ح/ ٤٥٦٦.

(٢١) مسلم ١٤٢٢/٣ - ١٤٢٣ ح/ ١٧٩٨.

(٢٢) المسند: الفتح الرباني ١٩/٢١ - ٢٠) بإستاد صحيح.

(٢٣) ابن هشام ٢٧٠/٢ - ٢٧١) بإستاد حسن، وهو نفس طريق البخاري ومسلم وأحمد.

بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم»^(٢٤).

وامثل ابن أبي لأمر الكفار، فجمع كفار المدينة لمحاربة الرسول ﷺ. وعندما بلغ الرسول ﷺ أمره، قال لهم: «لقد بلغ وعيد قريش منكم البالغ، ماكانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم»، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا^(٢٥).

وأرسل كفار مكة إلى مسلمي المدينة يقولون لهم: «لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم»^(٢٦).

واحترازا من مكائد قريش حرص المسلمون على حراسة الرسول ﷺ ليلا حتى نزل قوله تعالى ﴿والله يعصمك من الناس﴾^(٢٧)، فقال لأصحابه: «ياأيها الناس، انصرفوا عني، فقد عصمني الله (عز وجل)»^(٢٨). وقد دعا رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص عندما جاء يحرسه ذات ليلة، خوفا عليه^(٢٩).

ولم يكن الخطر مقتصرًا على الرسول ﷺ فقط، بل تعداه إلى أصحابه. فقد قال أبي بن كعب: «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وأوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلح، ولا يصبحون إلا فيه»^(٣٠).

وكجزء من مخططات قريش وأساليبها للمصد عن سبيل الله فقد حاولت صد الأنصار عن المسجد الحرام. وقد ظهر هذا جليا في قصة سعد بن معاذ وأبي جهل. وخلصتها عند البخاري، أن سعدا بن معاذ جاء مكة معتمرا،

(٢٤) سنن أبي داود (٣/٤٠٤ - ٤٠٧/٤٠٧ ك. الخراج/ب خبر النضير/ح ٣٠٠٤) وإسناده صحيح.

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) انظر المنصور فوري: رحمة للعالمين (١/١٠٩)، ولم نثر على مصدر المنصور فوري حتى الآن.

(٢٧) المائدة: ٦٧.

(٢٨) صحيح سنن الترمذي (٣/٤٦٦ ح ٣٢٥٠)، وقال الشيخ الألباني: «حسن».

(٢٩) مسلم (٤/١٨٧٥ ح ٢٤١٠)، البخاري/الفتح (١٢/٣٥ ح ٢٨٨٥).

(٣٠) ذكره المباركفوري في الرحيق المختوم، ص ٢١٧، ولم يذكر مصدره ولم نثر عليه حتى الآن.

وطلب من مضيفه أمية بن خلف أن ينظر له ساعة خلوة ليطوف بالبيت
آمناً. فأخذه أمية ليطوف في منتصف النهار حين غفلة الناس، ومع ذلك
لقيه أبوجهل وسأل عنه أمية، فأخبره به، فقال له: «تطوف بالكعبة آمناً
وقد أويتم محمداً وأصحابه؟ وتشاجرا، وما قاله سعد له: «والله لئن منعني
أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام... وهدده بأن الرسول ﷺ
سيقتله، وقد كان أن قتله الله بيدك»^(٣١).

(٣١) البخاري/ الفتح (١٤/١٢٦/ ح ٣٦٣٢).

القسم الثاني من الفصل الرابع

النشاط العسكري والسياسي قبل غزوة بدر الكبرى:

المبحث الأول: الإذن بالقتال:

روى ابن جرير الطبري^(٣٢) بسنده إلى ابن عباس أنه قال: «لما أخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبوبكر: أخرجوا نبيهم. إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن. فأنزل الله (عز وجل): ﴿إِذْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْهُمْ ظُلُمًا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٣٣)، قال أبوبكر (رضي الله عنه): فعرفت أنه سيكون قتال».

وزاد أحمد^(٣٤) في روايته لهذا الخبر، أن ابن عباس قال: «وهي أول آية في القتال».

وقال العوفي عن ابن عباس إن الآية نزلت في محمد ﷺ وأصحابه حين أخرجوا من مكة^(٣٥).

لقد شرع الجهاد في الوقت الأليق به، لأن المسلمين بمكة كانوا أقل من معشر المشركين، ولذا لم يأمرهم الله بالقتال. وعندما بغى المشركون، وأخرجوا النبي ﷺ من مكة وهموا بقتله، وشردوا أصحابه ما بين الحبشة والمدينة، وعندما استقر المسلمون بالمدينة وهاجر إليهم الرسول ﷺ وأصبحت المدينة دار إسلام ومعقلا يلجؤون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت

(٣٢) تفسير الطبري (١٧/١٢٣)، وتفسير ابن كثير (٥/٤٣٠ - ٤٣١).

(٣٣) الحج: ٣٩.

(٣٤) المستدرك (٣/٢٦٢/٣) وشاكر إسناده. ورواه الترمذي: صحيح سنن الترمذي

(٣/١٧٩ ح ٢٥٣٥) وحسنه، وصحح الألباني إسناده.

(٣٥) انظر تفسير الطبري (١٧/١٢٢ - ١٢٣)، تفسير ابن كثير (٥/٣٥٠ - ٤٣١).

هذه الآية أول ما نزل في ذلك^(٣٦). ولم يكن القتال هنا فرضاً عليهم وإنما أذن بالقتال لمن ظلم، ثم فرض عليهم فيما بعد قتال من يقاتلهم عندما نزل قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يقاتلونكم﴾^(٣٧).
ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يقاتلونكم كافة﴾^(٣٨).

وهكذا مر تشريع الجهاد بأربع مراحل رئيسة، وهي:

- ١) مرحلة الصبر دون القتال - بمكة.
- ٢) مرحلة الإذن بالقتال - بعد الهجرة.
- ٣) مرحلة الأمر بقتال من يبدؤهم بالقتال.
- ٤) مرحلة الأمر بقتال جميع المشركين^(٣٩).

المبحث الثاني: الغزوات والسرايا^(٤٠) والأحلاف والأحداث الهامة قبل غزوة بدر الكبرى:

أولاً: أهداف الغزوات والسرايا:

عندما أذن الله لنبيه والمؤمنين بالقتال، أخذوا في إعداد القوة لرد عدوان قريش، ومن على شاكلتها. فلما أرادت قريش أن تري المسلمين أن لها يدا

(٣٦) انظر: تفسير ابن كثير (٤٣١/٥ - ٤٣٢). وقال الزهري: «أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» أخرجه النسائي: (٤/٦) وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (١٤٢/١٥). وأخرجه غيره. انظر السيرة الشامية (١٢/٤).

(٣٧) البقرة: ١٩٠.

(٣٨) التوبة (براءة): ٣٦.

(٣٩) انظر: زاد المعاد (٧١/٣)، وسيد قطب: في ظلال القرآن (١٤٣١/٣ - ١٤٣٢)، وسيد قطب كلام هام في تعليقه على هذه المراحل التي ذكرها ابن القيم، بين فيها السياسات الأصلية والعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين. والسمة الأولى هي الواقعية الجدية في منجز هذا الدين، إذ يقول: «... فهو حركة تواجه واقعا بشريا... وتواجه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي... إنها تواجه جاهلية اعتقادية تصورية، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية تستند لها سلطات ذات قوة مادية... ومن ثم تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه... تواجه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات وتواجه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها، تلك التي تحول بين جبهة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات، وتخضعهم بالظفر والتضليل وتميدهم لغير ربهم الجليل...».

(٤٠) أطلق المؤرخون اسم «السرية» على المجموعة أو الجيش من المسلمين الذي يقوده أحد أفراد المسلمين. وأطلقوا اسم «الغزوة» على المجموعة أو الجيش الذي يقوده الرسول ﷺ بنفسه.

في داخل المدينة، أراد المسلمون أن يروا قريشا ان المسلمين ليسوا بذلك الهوان الذي تتصوره قريش، وأنهم قادرون على كسر شوكة قريش، وحصارها سياسيا واقتصاديا، ورد حقوقهم المسلوبة.

وكانت أول خطوة في هذا الميدان أن ييسط المسلمون سيطرتهم على طرق قريش التجارية، شمالا وجنوبا، شرقا وغربا. واختار الرسول ﷺ لبسط هذه السيطرة خطتين متلازمتين:

الأولى: إرسال السرايا والبعوث لمهاجمة قوافل قريش التجارية.

الثانية: السعي إلى عزل قريش بالدخول في معاهدات دفاعية وعدم اعتداء مع القبائل المحيطة بالمدينة، والتي تخترق قوافل قريش أراضيها وهي في طريقها إلى الشام، فكسب إلى جانبه في السنوات الأولى من الهجرة: بني ضمرة وجهينة وخزاعة وغفار وأسلم. وسيأتي ذكر هذا من خلال الكلام عن السرايا. وكسب غيرها بعدها خلال سني حياته بالمدينة كما سنرى إن شاء الله.

ولقد نجحت هذه السرايا في كل أهدافها، لا سيما إرباك قريش وحلفائها وإضعاف معنوياتهم، وضرب نشاطهم التجاري في جميع الاتجاهات، والحصول على مورد للتموين والتسليح. ونجحت في إنذار الأعداء بأن للمسلمين المقدرة على التصدي والردع. واكتسبت القوات الإسلامية مزيد خبرة في مجال التدريب العسكري، والمناورة وجس نبض الأعداء، ومعرفة دروب الصحراء وأحوال الأعداء.

ثانيا: الغزوات والسرايا والأحلاف والأحداث الهامة:

(١) سرية سيف البحر:

بقيادة حمزة بن عبدالمطلب، في ثلاثين رجلا من المهاجرين، ليعترضوا عبرا لقريش قادمة من الشام، وفيها أبوجهل في ثلاثئة رجل. وعندما التقى الجمعان. واصطفوا للقتال، حجز بينهم مجدي بن عمرو الجُهني - وكان حليفا للفرقيين - فلم يقتتلوا. وكان ذلك في رمضان على رأس

سبعة أشهر من هجرة النبي ﷺ^(٤١).

وفهم من هذا أن الرسول ﷺ كان قد عقد حلفا مع أحد رجال فرع من فروع جُهينة في وقت مبكر من حياته بالمدينة، أي في النصف الأول من السنة الأولى الهجرية.

وبما يقوي هذا الفهم، مارواه أحمد^(٤٢) عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءت جُهينة، فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا، فأوثق لنا حتى نأمنك وتأمنا، فأوثق لهم فأسلموا...».

وحفظت لنا المصادر التاريخية عددا من الوثائق الخاصة بعلاقة النبي ﷺ مع فروع جُهينة المختلفة. من ذلك ما ذكره ابن سعد^(٤٣) من أن الرسول ﷺ كتب لبني زرعة وبني الدبعة من جُهينة أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا في الدين والأهل، ولأهل باديتهم من بر منهم واتقى ما لحاضرهم. ويغلب على هذه الوثيقة الطابع السياسي، إذ ليس فيها إشارة إلى أي واجب ديني^(٤٤).

أما الوثيقة التي كتبها لبني الحُرقة وبني الجرُمز من جُهينة، وتحمل اسم عمرو بن مَعْبَد الجهني، فقد ورد فيها الإصرار على أداء الواجبات الدينية كشرط للأمان، وفيها أداء الخمس من الغنائم، وسهم النبي ﷺ، وتحريم الربا^(٤٥) مما يدل على أنها كتبت بعد بدر، لأن فرض الخمس كان بعد بدر بمدة، عندما قويت شوكة المسلمين، وهزموا

(٤١) الواقدي (٩/١)، ابن سعد (٦/٢)، ابن اسحاق - ابن هشام (٢٨١/٢) - وجميعهم بدون إسناد. وقال ابن سعد (٦/٢): «ولم يبعث رسول الله ﷺ أحدا من الأنصار مبعثا حتى غزا بدرا، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعون في دارهم، وهذا ثبت عندنا».

(٤٢) المسند (٧٠/٣)، وقال شاكر: إسناده ضعيف لانقطاعه، وروى نحوه موصولا البيهقي في الدلائل (١٥/٣) وليس فيه محي جُهينة... وعلق عليه ابن كثير في البداية (٢٧٢/٣) بقوله: «وهذا أنسب».

(٤٣) الطبقات (٢٧٠/١) - بدون إسناد.

(٤٤) انظر: دبلوماسية محمد، ص ٤٣.

(٤٥) الطبقات (٢٧١/١) - ٧٢ (بدون إسناد).

قريشا، وتفرغوا لبسط سيادة الإسلام على الجزيرة العربية^(٤٦)، ولأن تحريم الربا جاء متدرجا. ففي العهد المكي نزل قول الله تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾^(٤٧)، وفي العهد المدني نزل تحريم الربا صراحة في قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة. واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾^(٤٨). وآخر ما ختم به التشريع قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾^(٤٩). وكتب الرسول ﷺ لعوسجة بن حرملة الجهني ولبنى شئخ من جهينة كتابي إقطاع وتمكين على مناطق سماها لهم، ولم تنطرق الوثيقتان إلى أمر آخر غير الإقطاع^(٥٠).

٢) سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار^(٥١):

روى الواقدي^(٥٢) بسنده إلى سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «اخرج ياسعد حتى تبلغ الخرار، فإن عيرا لقريش ستمر به. فخرجت في عشرين رجلا أو أحد وعشرين^(٥٣) على أقدامنا، نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحناها صبح خمس، فنجد العير قد مرت بالأمس. وقد كان النبي ﷺ عهد إلي ألا أجاوز الخرار، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم».

(٤٦) دبلوماسية محمد ﷺ، ص ٤٣ - ٤٤.

(٤٧) الروم: ٣٩.

(٤٨) آل عمران: ١٣٠.

(٤٩) البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩ - وانظر سيد سابق: فقه السنة (١٣٢/٣ - ٣٣).

(٥٠) الطبقات (٢٧٠/١).

(٥١) من المجتفة وقريب من خم كما قال الواقدي (١١/١).

(٥٢) المغازي (١١/١)، بإسناد متصل ورجاله ثقات، ماعدا الواقدي، فهو متروك في الحديث مع سعة علمه.

(٥٣) عند ابن إسحاق - ابن هشام (٢٨٧/٢) أن عدتهم ثمانية - دون إسناد. فهو ضعيف.

وعند ابن سعد^(٥٤) أن الذي كان يحمل اللواء هو المقداد بن عمرو. وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة^(٥٥).

٣) غزوة الأثواء (وَدَّان):

غزاها رسول الله ﷺ في صفر على رأس أحد عشر شهرا من الهجرة، كما عند الواقدي، وفي صفر على رأس اثني عشر شهرا، كما عند ابن سعد، يريد الاعتراض على غير لقريش ويريد بني ضمرة. فسار حتى بلغ الأثواء من ديار بني ضمرة، فلم يلق حربا، وكانت فرصة لموادعة بني ضمرة من كنانة، على أن لا يكثروا عليه، ولا يعينوا عليه أحدا. وكتب في ذلك كتابا لزعيمهم مَحْبِيَّ بن عمرو الضمري^(٥٦). وكانت أول غزوة غزاها النبي ﷺ بنفسه^(٥٧).

٤) سرية عُيَيْدَةَ بن الحارث الى رَابِغ:

عقد له رسول الله ﷺ لواء في ستين رجلا من المهاجرين فسار حتى لقي جمعا عظيما من قريش، عليهم أبوسفیان أو عكرمة، على ماء بالحجاز، فتناوشوا، ورمى سعد يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام، ثم انصرفوا. وفر من المشركين إلى المسلمين، المقداد بن عمرو وعُتْبَةُ بن عَزْوَان بن جابر المازني، وكانا مسلمين، ولكنها خرجا ليتوصلا بالكفار^(٥٨). وكان هذا من أكبر مكاسب المسلمين من هذه السرية.

وقد اختلف في تاريخ هذه السرية. فعند الواقدي^(٥٩) وابن سعد^(٦٠)،

(٥٤) الطبقات (٧/٢) - دون إسناده فهو ضعيف.

(٥٥) الطبقات (٧/٢) - والواقدي (١١/١). فهو ضعيف جداً.

(٥٦) انظر الكتاب عند ابن سعد (٢٧٥/١).

(٥٧) ابن إسحاق - ابن هشام (٢٧٥/٢)، الواقدي (١١/١ - ١٢) ابن سعد (٨/٢)، موسى بن عقبة كما في الفتح (١٤١/١٥)، وجميعهم بدون إسناده - وروى ذلك الطبراني كما في المجمع (٨٦/٦) والفتح (١٤١/١٥) من طريق كثير بن عبدالله - والحديث حسن إذا تابعنا البخاري في تحصيل حديث مروى عن كثير في غير الصحيح وتوثيق الترمذي له... انظر ما سبق في صحيفة المدينة.

(٥٨) الطبقات (٧/٢)، الواقدي (١٠/١) ابن إسحاق - ابن هشام (٢٧٦/٢) وجميعهم من دون إسناده ومعلوم أن الخبر غير المسند من أقسام الضعيف.

(٥٩) المغازي (١٠/١).

(٦٠) الطبقات (٧/٢).

أنها كانت في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، ولا إشكال هنا في أن يكون المقداد بن عمرو حامل لواء سرية الخرار، لأنها كانت في الشهر التاسع الهجري، ويفهم من رواية ابن إسحاق^(٦١) أنها في ربيع الأول. وبعد غزوة الأبواء، ولم يذكر رقم الشهر من تاريخ الهجرة. وعند أبي الأسود وابن عائذ أنها بعد غزوة الأبواء وقبل أن يعود الرسول ﷺ منها إلى المدينة. وفي ذلك قال ابن حجر^(٦٢): «وذكر أبو الأسود في مغازيه عن عروة ووصله ابن عائذ من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما وصل إلى الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلا، فلقوا جمعا من قريش فتراموا بالنبل، فرمى سعد بن أبي وقاص بسهم، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله».

وإذا صح هذا الإسناد^(٦٣)، فالراجح ما قاله أبو الأسود وابن عائذ، ويبقى إشكال حمل المقداد لواء المسلمين يوم الخرار، فيحمل على أن ذلك كان في غير هذه السرية، أو أنه وهم من ابن سعد^(٦٤).

٥) غزوة بواط من ناحية رَضَوَى:

خرج الرسول ﷺ في مائتين من أصحابه يعترض عيرا لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواط، وهي جبال من جبال جهينة من ناحية رَضَوَى، ثم رجع حين لم يعثر على القافلة، ولم يلق حربا. وكان ذلك في ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة^(٦٥).

٦) غزوة سَفَوَانَ (بدر الأولى - بدر الصغرى):

عندما أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة في ربيع الأول

(٦١) ابن هشام (٢٧٦/٢).

(٦٢) الفتح (١٤٢/١٥).

(٦٣) الحكم النهائي على إسناد أبي الأسود وابن عائذ يكون بعد الوقوف على كامل إسناديهما، وهو ما لم يتحقق لنا حتى الآن.

(٦٤) انظر سرية سعد إلى الخرار.

(٦٥) ابن سعد (٩٠٨/٢)، وابن إسحاق - ابن هشام (٢٨٤/٢)، الواقدى (١٢/١) وجميعهم من دون إسناد.

على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان، من ناحية بدر، فلم يدركه، فعاد إلى المدينة^(٦٦). وعند ابن إسحاق^(٦٧) أنها بعد غزوة ذي العُشيرة.

(٧) غزوة العُشيرة:

خرج الرسول ﷺ في خمسين ومائة - ويقال في مائتين - من أصحابه، يعترض قافلة كبيرة لقريش في طريقها إلى الشام، وبلغ العشيرة وهي لبني مدلج، بناحية ينبع. فقاتته العير. وهي التي خرج يريد بها حين عادت، ولكنها أيضاً أفلتت، وكان لقاء بدر الكبرى بسببها. ووادع في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم عاد إلى المدينة، ولم يلق حرباً. وكان ذلك في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة^(٦٨).

وقد ثبت في الصحيح وقوع هذه الغزوة، ولكن بدون ذكر لأي تفاصيل عنها^(٦٩).

وتفيدنا المصادر أن الرسول ﷺ عقد معاهدات دفاع مشترك وأمان مع غير من ذكرنا، في وقت مبكر من حياته بالمدينة، ولم يرتبط وقوع ذلك بخروج المسلمين في غزوة أو سرية معينة. مثال ذلك:

كتاب الرسول ﷺ إلى بُذَيْل بن ورقاء وُسْر وسُرَوَات بني عمرو الخزاعيين، يفيدهم فيه أنه لم يخنهم منذ أن سالمهم، وأكد لهم الأمان من جانبه^(٧٠).

وكتاب الرسول ﷺ إلى أسلم من خزاعة، وفيه الإقرار بالمناصرة^(٧١).

(٦٦) ابن إسحاق - ابن هشام (٢٨٨/٢)، ابن سعد (٩/٢)، الواقدي (١٢/١) وجميعهم بدون إسناد.

(٦٧) ابن هشام (٢٨٨/٢).

(٦٨) انظرها عند: ابن إسحاق - ابن هشام (٢٨٤/٢ - ٢٨٥)، ابن سعد (٩/٢ - ١٠) الواقدي (١٢/١).

(٦٩) (١٣)، وجميعهم من دون إسناد. وعند الواقدي وابن سعد: «ذوالعشيرة وما في الصحيح أصح».

(٦٩) انظر: البخاري/ الفتح (١٤١/١٥ - ١٤٤/١٤٤ ح ٣٩٤٩، باب غزوة العشيرة).

(٧٠) انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١٧٠/١)، وابن سعد (٢٧٢/١).

(٧١) انظره في: ابن سعد (٢٧١/١).

وكتاب الرسول ﷺ إلى بني غفار، وفيه اتفاقية دفاع مشترك ضد من يحاربهم أو يحارب المسلمين في دينهم^(٧٢).
وكتاب النبي ﷺ إلى نعيم بن مسعود بن رخیلة الأشجعي، وفيه المحالفة، على النصر والنصيحة^(٧٣).

٨) سرية نخلة:

بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة ومعه ثمانية رهط من المهاجرين. وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، وذلك إمعاناً في السرية، وحتى لا يعلم أحد إلى أين الاتجاه.

وفعل ما أمر به. وعندما فض الكتاب وجد فيه الأمر بأن يمضي حتى ينزل نخلة، بين مكة والطائف^(٧٤)، ليرصد بها قريشا ويعلم له من أحبارهم، وألا يستكره أحداً من أصحابه. وعندما أخبر أصحابه بأمر الرسول ﷺ مضوا معه جميعاً إلى وجهته.

وعندما نزلوا نخلة، مرت عير لقريش فيها ابن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة. وتشاور الصحابة في أمر الاستيلاء على هذه العير، لأن ذلك كان في آخر يوم من رجب، وهو شهر حرام، فخشوا أن يترتب على هذا القرار نتائج غير مرضية. وعندما وجدوا أنهم لو تركوهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنن به منهم، تشجعوا وأجمعوا أمرهم على قتل من يقدر عليهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وأسروا عثمان بن عبدالله بن المغيرة والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل. وأقبل ابن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين إلى رسول الله ﷺ بالمدينة.

(٧٢) ابن سعد: الطبقات (١/٢٧٤).

(٧٣) انظره في: الطبقات (١/٢٧٤).

(٧٤) وهذا دليل على أن خطة المسلمين في ملاحقة قوافل قريش لم تكن خاصة بالمنطقة الشمالية من الحجاز بل تعدى ذلك إلى المنطقة الجنوبية، طريق قوافل قريش إلى اليمن.

وقال لهم الرسول ﷺ إنه لم يأمرهم بقتال في الشهر الحرام، وأبى أن يأخذ العير والأسيرين. وظن القوم أنهم هلكوا، وعنفهم إخوانهم المسلمون فيما فعلوا.

وقالت قریش إن محمدا وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال.

فلما أكثر الناس في ذلك، أنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ؟ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ. وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ. وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقِتَالِ، وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٥).

وبها فرج الله على المسلمين ما كانوا فيه من الهم، وقبض الرسول ﷺ العير والأسيرين.

وعندما أرسلت قریش في فداء الأسيرين، اشترط الرسول ﷺ أن يكون ذلك بعد مجيء سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان، خشية منه عليهما من قریش. وكانا قد تخلفا عن القوم قبل وصولهم نخلة، بحثا عن بعيرهم الذي أضلاه (٧٦).

أحكام وعبر في قصة سرية نخلة:

(١) لقد بينت هذه الآية التي نزلت في التعليق على ما حدث في هذه السرية أن الذي فعله المشركون بالمسلمين من صد عن سبيل الله وكفر به،

(٧٥) البقرة: ٢١٧ - ٢١٨. والأشهر الحرم هي: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب، كما روى البخاري. انظر الفتح (١٧/٢٠٤ - ٢٠٥/ح ٤٦٦٢).

(٧٦) أخرج قصة هذه السرية: الطبراني، كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٢٧٨/٢) بإسناد متصل. وقال الهيثمي في المجمع (٦٦/٦ - ٦٧) إن الطبراني رواها بإسناد واحد وهو إسناد حسن. ورواها ابن إسحاق مرسله، موقوفة على عروة (ابن هشام ٢٨٨/٢ - ٢٩٣). وقال ابن كثير في البداية (٣/٢٧٤): «وقد ذكرنا في التفسير لما أورده ابن إسحاق شواهد مستندة، فمن ذلك ما رواه ابن أبي حاتم... انظر تفسير ابن كثير (١/٣٦٨ - ٣٦٩).

وصد عن المسجد الحرام وإخراج المسلمين من بلدهم وسلب أموالهم وفنتهم عن دينهم، بينت الآية أن كل هذا أكبر عند الله مما فعله المسلمون، أي القتال في الشهر الحرام.

فإذا كان المشركون يرتكبون هذه الجرائم الكبرى كلها في حق المسلمين فلا تثريب على المسلمين من قتالهم في الشهر الحرام، وإنما التثريب أن يقاتل في الشهر الحرام من يرتكب تلك الجرائم.

وفي هذا التعليق بيان لسياسة الإسلام في تقدير القيم الدينية والخلقية وسموه بالمعاني الروحية والإنسانية، وعدم إغفاله للبواث النبيلة التي دعت رجال السرية للقتال في الشهر الحرام، دون الوقوف عند الظواهر والرسوم وما التزمه الناس من تقاليد كريمة مشروعة أو موروثة.

(٢) وبينت الآية أن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته. فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما يتقصها هدم القوانين والدساتير جميعا.

(٣) وبينت الآية أن لا هودة مع المشركين المعتدين، مما كان له أثره البعيد لدى المسلمين وأعدائهم.

(٤) إن استخدام الرسول ﷺ أسلوب الرسائل السرية، دل على مشروعية الأخذ بالأسباب، ودل على سبق الإسلام في استخدام هذا الأسلوب الذي لم يعرفه الغرب إلا في الحرب العالمية الثانية.

(٥) لقد كانت سرية نخلة أول عملية توغل قريبا من مكة، مركز العدو. ولذا فهي عملية فدائية، قامت على الطوعية، إذ لم يكرهه الله أحدا من أفراد السرية على المضي في الخطة المرسومة في رسالة النبي ﷺ السرية^(٧٧).

(٩) تحويل القبلة:

قال الجمهور إنه في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا

(٧٧) لمزيد من الأضواء على أحكام وعبر هذه السرية، انظر: أبي شهبة: السيرة النبوية، (١٢١/٢) - (١٢٢) الغزالي: فقه السرية، ص ٢٣١ - ٢٣٢، الشامي: من معين السيرة، ص ١٨٤.

من الهجرة أمر الله (عز وجل) بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام^(٧٨)، بعد أن صلى إلى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً^(٧٩). وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة، قبله إبراهيم، وكان يكثر الدعاء والتضرع، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ الآية^(٨٠) فكان أول صلاة صلاها إلى المسجد الحرام صلاة العصر^(٨١)، وبلغ الخبر أهل قباء في اليوم التالي وهم يصلون الصبح، فتحولوا إلى المسجد الحرام^(٨٢).

١٠) فريضة صيام رمضان:

قال الطبري^(٨٣) في حوادث السنة الثانية الهجرية: «... وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان، وقد قيل إنه فرض في شعبان منها...».

وثبت في الصحيحين^(٨٤) أن الرسول ﷺ عندما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فصامه، وأمر بصيامه، فلما نزل الأمر بصيام شهر رمضان، كان رمضان الفريضة، وخير الناس في صيام عاشوراء.

(٧٨) انظر: البداية والنهاية (٢٧٦/٣).

(٧٩) روى ذلك البخاري/ الفتح (٢٣/١٧) ح/٤٤٨٦، ومسلم (١/٣٧٤) ح/٥٢٥.

(٨٠) البقرة: ١٤٤.

(٨١) البخاري/ الفتح (٢٣/١٧) ح/٤٤٨٦.

(٨٢) المصدر نفسه (١٧/٢٥) ح/٢٧٨٠ والتفسير (١/٢٧٨ - ٢٨٠)، ومسلم (١/٣٧٤ - ٣٧٥) ح/٥٢٦.

وأحد الفتح الرباني (٢١/٢٨) والزملي (٢٩٦٦) ... وغيرهم.

(٨٣) التاريخ (٤١٧/٢).

(٨٤) البخاري/ الفتح (١٧/٣١) ح/٤٥٠٣، ٤٥٠٤، مسلم (٢/٧٩٢ - ٧٩٥) ح/١١٢٩ - ١١٣٥.

الفصل الخامس

غزوة بدر الكبرى

عندما سمع الرسول ﷺ بأبي سفيان مقبلا من الشام في تجارة لقريش، ندب المسلمين إليه، وقال لهم: «هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها»^(١).

وفي رواية عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «إني أخبرت^(٢) عن عير أبي سفيان أنها مقبلة، فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير، لعل الله يغنمناها؟ قلنا نعم. فخرج وخرجنا معه»^(٣).

ولم يستنفر الرسول ﷺ كل الناس، بل طلب أن يخرج معه من كان ظهره حاضرا، ولم يأذن لمن أراد أن يأتي بظهره من علو المدينة^(٤)، ولذا لم يعاتب أحدا تخلف عنها^(٥). وكان عددهم ما بين الـ ٣١٣ والـ ٣١٧ رجلا^(٦)، منهم

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/٢٩٥)، ويبدو لي - والله أعلم - أن حديث بدر عند ابن إسحاق كله بهذا الإسناد، وإن كان لا يكرر الإسناد في كل مرة أو في كل فقرة. والخبر بهذا المعنى عند الطبري في التفسير (٣/٣٩٨ - ٩٩) بإسناد مرسل حسن، لأن رجاله ثقات وموقوف على عروة - تابعي.

(٢) أخره بذلك بسيسة الذي أرسله عينا له هذا الغرض، كما روى مسلم (٣/١٥١٠ ح ١٩٠١). وقال محمد فؤاد عبد الباقي في الحاشية: (بسيسة) قال القاضي: هكذا هو في جميع النسخ، قال: «والمعروف في كتب السيرة: بسيس، وهو بسيس بن عمرو، ويقال: ابن يسر من الأنصار، الخزرج، ويقال حليف لهم. قلت - أي الإمام النووي - يجوز أن يكون أحد اللفظين اسما له، والآخر لقباً. انتهى. ولا يستبعد وجود تصحيف في الاسم فيما أرى. انظر ترجمته في الإصابة (١/١٤٧) وابن سعد (٢/٢٤) بإسناد صحيح مرسل.

(٣) رواه الهيثمي في المجمع (٦/٧٣ - ٧٤)، وقال: «رواه الطبري وإسناده حسن». (٤) من حديث في صحيح مسلم (٣/١٥١٠ ح ١٩٠١) ومسنود أحمد (٣/١٣٦) من حديث أنس.

ورواه الطبراني «وجادة» كما في المجمع (٦/٦٧) وقال الهيثمي: «ورجاله ثقات». (٥) انظر حديث كعب بن مالك في: البخاري/ الفتح (١٦/٢٤١ ح ٤٤١٨).

(٦) عند البخاري في الفتح (١٥/١٥٥ - ١٥٧ ح ٣٩٥٦ - ٣٩٥٩) بضعة عشر وثلاثمائة: الأنصار ثمان وأربعين ومائتين والمهاجرون نيفا على ستين. وعند مسلم (١٢/٨٤/النووي) أنهم كانوا ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا والمثركون ألف. وعند النسائي في السنن (٢/٧٧) أنهم كانوا (٣١٤) وفي إسناده يحسب بن عبدالله، صدوق بهم، فيكتب حديثه للاعتبار، والقطع بها في رواية مسلم في تفسير البضع بنسبة عشر هو الأولى كما قال باوزير (ص ٣٦٤).

ما بين الـ ٨٢ والـ ٨٦ من المهاجرين و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج^(٧)، معهم فرسان وسبعون بعيراً، يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد^(٨). وكان أبولبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ، فعندما جاء دوره في المشي، قالوا له: «نحن نمشي عنك». فقال لهما: «ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»^(٩).

وفي الطريق، وعندما بلغوا الروحاء، رد الرسول ﷺ أبا لبابة وأمره على المدينة، وسبق ذلك أن جعل عبدالله بن أم مكتوم على الصلاة^(١٠)، وأصبح مكانه في زمالة الرسول ﷺ على البعير، مرثد^(١١) بن أبي مرثد. ولذلك فلا خلاف بين رواية ابن إسحاق ورواية أحمد.

وعندما علم أبوسفیان بالخطر المحقق بقافلته، أرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يستنجد بقریش.

وجاء ضمضم مسرعاً إلى مكة، وعندما دخلها وقف على بعيره، وقد جدد أنفه، وحول رحله وشق قميصه، وهو يصيح: «يامعشر قریش، اللطيمة، اللطيمة، أموالكم مع أبي سفیان قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث»^(١٢).

وخرجت قریش مسرعة لإنقاذ عبيها ورجالها، ولتلتقي بالمسلمين في حرب تراها قاضية على قوة المسلمين التي ظلت تهدد تجارتهم. ولم يتخلف من

(٧) وهو طرف من الحديث الحسن الذي رواه ابن إسحاق في نذب الرسول ﷺ المسلمين لملاقاة عير قریش - ابن هشام (٢٩٥/٢)، وعند البخاري/ الفتح (١٥٥/١٥ ح ٣٩٥٦): كان المهاجرون نفاً على ستين والانصار ثيِّف وأربعين ومائتين. وانظر كلام ابن حجر عن الروايات المختلفة عن عدد المهاجرين والانصار في بدر - الفتح (١٥٥/١٥ و ١٩٧).

(٨) انظر الحديث في المسند (٣/٦) وقال شاكر: «إسناده صحيح» وهو كما قال في المجمع (٦٨/٦) ونسبه أيضاً نحوه للبرار، وقال: «وفيه عاصم بن بهدلة، وحديث حسن، وبقيّة رجال أحمد رجال الصحيح»، وهو من حديث بدر بإسناد حسن عند ابن إسحاق - ابن هشام (٣٠٢/٢) - (٣٠٣). وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢٠/٣) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(١٠) انظر: المستدرک (٦٣٢/٣) من حديث سكت عليه الذهبي وفيه ابن لبيبة، وهو صدوق كما في التقريب (٤٤٤/١)، وابن هشام (٣٠٢/٢) في زياداته عند السيرة، بدون إسناد.

(١١) انظر: ابن إسحاق - ابن هشام (٣٠٣/٢) من حديث بدر بإسناد حسن، وابن كثير في البداية (٢٨٥/٣).

(١٢) انظر: ابن إسحاق في قصة بدر - بإسناد حسن - ابن هشام (٢٩٨/٢).

أشرافهم سوى أبي هلب، فإنه أرسل مكانه العاص بن هشام، مقابل دين كان عليه، مقداره أربعة آلاف درهم^(١٣). ولم يتخلف من بطون قريش سوى بني عدي^(١٤).

وبلغ عددهم في بداية مسيرهم نحو ألف وثلثمائة محارب، معهم مائة فرس وستائة درع وجمال كثيرة، بقيادة أبي جهل^(١٥).

وعندما خشوا أن تغدر بهم بنو بكر لعداوتها معهم، كادوا أن يرجعوا عما أرادوا^(١٦)، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك المدلجي، سيد بني كنانة، وقال لهم: «أنا لكم جار من أن تأتیکم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه^(١٧). فخرجوا من ديارهم كما حكى عنهم القرآن ﴿بطروا وراثا الناس ويصدون عن سبيل الله﴾^(١٨).

رأت عاتكة بنت عبدالمطلب فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بخبر أبي سفيان بثلاث ليال، فقالت: رأيت رجلا أقبل على بعير له فوقف بالأبطح، فقال: انفروا يا آل بدر لمصارعكم في ثلاث، فذكرت المنام وفيه: ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوي حتى ترصضت فيما بقيت دار ولا بنية إلا ودخل فيها بعضها. وفي القصة إنكار العباس على أبي جهل قوله: «حتى حدثت فيكم هذه النبئة»، وإرادة العباس أن يشاقمه، واشتغال أبي جهل عنه بمجيء ضمضم يستنفر قريشا لصد المسلمين عن عيرهم، فتجهزوا وخرجوا إلى بدر، فصدق الله رؤيا عاتكة^(١٩).

(١٣) من حديث ابن إسحاق في قصة بدر - ابن هشام (٢٩٨/٢) بإسناد حسن.

(١٤) من حديث ابن إسحاق في قصة بدر - ابن هشام (٣١١/٢) بإسناد حسن.

(١٥) رواه ابن كثير في البداية (٢٨٤/٣ - ٨٥) من حديث الأموي بإسناد مرسل، موقوف على أبي بكر الهذلي، أنه كان مع المشركين ستون فرسا.

(١٦، ١٧) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل، لأنه عن عروة - ابن هشام (٣٠١/٢).

(١٨) الأنفال: ٤٧. وقد وردت الآية في حديث رواه الطبري في تفسيره (٥٧٨/١٣) شاكراً بإسناد موقوف على هشام بن عروة، وهو من كتاب عروة بن الزبير إلى عبدالله بن مروان، وقال شاكراً: وهو إسناد صحيح.

(١٩) روى حديث رؤيا عاتكة بتمامه ابن إسحاق بإسنادين، الأول منقطع لجهالة من حدث ابن إسحاق، - ابن هشام (٢٩٦/٢)، ووصله الحاكم في المستدرک (١٩/٣ - ٢٠)، فانتفتت لجهالة، حيث صرح باسم من حدث ابن إسحاق وهو حسين بن عبدالله، وقد ضعفه الذهبي في التلخيص، والثاني مرسل - ابن هشام (٢٩٦/٢ - ٢٩٨).

لقد كان أبوسفیان متيقظا للخطر المتكرر من جانب المسلمين. ولذا عندما اقترب من بدر لقي مجدي بن عمرو وسأله عن جيش الرسول ﷺ، فأفاده مجدي بأنه رأى راكبين أناخا إلى تل، ثم استقيا في شن لهما، ثم انطلقا، فبادر أبوسفیان إلى مناحهما، فأخذ من أبعاد بعيريهما، ففته، فعرف منه أنه من علائف المدينة، فأسرع تاركا الطريق الرئيس الذي يمر على يسار بدر، واتجه إلى طريق الساحل غربا، ونجا من الخطر. ثم أرسل رسالة أخرى إلى جيش قريش، وهم بالجحفة، يخبرهم فيها بنجاته، ويطلب منهم الرجوع إلى مكة^(٢٠).

وهمَّ جيش مكة بالرجوع، ولكن أبا جهل رفض ذلك، قائلا: «والله لا نرجع حتى نرد بذرا، فنقيم بها ثلاثا، فننحر الجزور ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجهنا، فلا يزالون يهابونا أبدا. فامضوا»^(٢١).

فأطاعه القوم ما عدا الأخنس بن شريق، حيث رجع بقومه بني زهرة، وطالب بن أبي طالب، لأن قريشا في حوارها معه، اتهمت بني هاشم بأن هواهم مع محمد ﷺ. وساروا حتى نزلوا قريبا من بدر، وراء كثيب يقع بالعودة القصوى، على حدود وادي بدر^(٢٢).

ورواه البيهقي في الدلائل (١٠٣/٣ - ١٠٥) في سياق قصة بدر عن مغازي موسى بن عقبة بإسناد مرسل. ورواه الطبراني مرسلًا وفيه ابن لبيعة وفيه ضعف وحدثه حسن، كما في المجمع (٦٩/٦ - ٧٠)، ورواه بإسناد آخر فيه عبدالعزيز بن عمران، وهو متروك كما في المجمع (٧١/٦ - ٧٢) ورواه ابن مندة كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٣٥٧/٤) بإسناد ضعفه باوزير: مرويات غزوة بدر، ص ١٢٦. والخلاصة إن الضعف الذي في سند الحاكم وابن إسحاق يتقوى بكثرة الروايات المذكورة الأخرى، فيرتفع الحديث إلى درجة الحسن لغيره، كما ذكر باوزير: مرويات غزوة بدر (ص ١٢٨ - حاشية).

(٢٠) رواه ابن إسحاق من حديث قصة بدر، ابن هشام (٣٠٩/٢ - ٣١٠).
(٢١) رواه الطبري في تفسيره (٥٧٩/١٣) شاكراً بإسناد حسن، والخبر أصلاً من رواية ابن إسحاق - ابن هشام (٣١٠/٢) بالإسناد الذي ذكره الطبري ويلحظ هنا أن الطبري جعل كل قصة بدر عند ابن إسحاق بهذا الإسناد، وأن لم يذكر ابن إسحاق الإسناد في كل فقرة، بل يملأه، وأنا أسبل مع الطبري إلى هذا، وقد ذكرت ذلك من قبل.
(٢٢) من حديث ابن إسحاق في قصة بدر: ابن هشام (٣١١/٢ - ٣١٢). وكان بنو زهرة نحوًا من ثلثائة رجل...

وبلع خبر ذلك الرسول ﷺ، فاستشار أصحابه^(٢٣). وخشي فريق منهم المواجهة في وقت لم يتوقعوا فيه حربا كبيرة، ولم يستعدوا لها بكامل عدتهم وعتادهم، فجادلوا الرسول ﷺ ليقنعوه بوجهة نظرهم. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون. يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنها يساقون إلى الموت وهم ينظرون. وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾^(٢٤).

وتكلم قادة المهاجرين، وأيدوا الرأي القائل بالسير للملاقاة العدو، منهم أبو بكر وعمر والمقداد بن عمرو. ومما قاله المقداد: «يارسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه»^(٢٥). وفي رواية قال: «لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك»، وسر النبي ﷺ من قوله^(٢٦).

وبعد سماعه كلام قادة المهاجرين، قال: «أشيروا علي أيها الناس»، وكان بذلك يريد أن يسمع رأي قادة الأنصار، لأنهم غالبية جنده، ولأن نصوص بيعة العقبة الكبرى لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول ﷺ خارج المدينة^(٢٧)، وأدرك سعد بن معاذ - حامل لواء الأنصار - مراد الرسول ﷺ،

(٢٣) روى قصة مشاورة الرسول ﷺ أصحابه: البخاري - مختصرا - ١٥١/١٥ - الفتح ١٥٢/ح ٣٩٥٢) ومسلم (١٤٠٣/٣ - ١٤٠٤/ح ١٧٧٩)، وأحد: الفتح الرباني (٢٩/٢١ - ٣٠) مختصرا، وابن عائد من طريق أبي الأسود عن عروة، كما في: الفتح (١٥١/١٥) وابن أبي شيبة مرسل كما في المصنف (١٤/٣٥٥ - ٥٦)، والفتح (١٥١/١٥) وانظر البداية (٣/٢٦٢ - ٦٣). (٢٤) الأفعال: ٥ - ٦. والطائفتان، إحداهما عبر أبي سفيان والأخرى جيش قريش، وقد كره المسلمون الشوكة والقتال وأحبوا أن يلقوا العير. وأراد الله ما أراد. انظر هذا بسبب نزول الآية في روايات عند الطبري في التفسير (١٣/٤٠٤) بإسناد مرسل عن قتادة. و (١٣/٤٠٣) بإسناد منقطع و (١٣/٤٠٤) بإسناد مرسل عن ابن جريج، و (١٣/٤٠٥) بإسناد حسن كما ذكر الهيثمي في المجموع (٦٣/٧٤ - ٧٤).

(٢٥) رواه ابن إسحاق من حديث بدر - ابن هشام (٢/٣٠٥). (٢٦) البخاري/ الفتح (١٥١/١٥ - ٥٢/ح ٣٩٥٢)، والمسند (٥/٢٥٩/شاكراً) وقال: «أسانيده صحاح». (٢٧) انظر: النووي، مسلم (١٢/١٢٤/ك. الجهاد والسير/ ب. غزوة بدر).

فنهض قائلاً: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. قال: فقد آمننا بك فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبرٌ في الحرب صدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله» (٢٨).

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا: فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن انظر إلى مصارع القوم (٢٩).

وفي الطريق وعند بحرة الوبرة أدركه رجل من المشركين، قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، أراد أن يحارب معه، فقال له الرسول ﷺ: «ارجع فلن أستعين بمشرك»، ثم عرض له مرة ثانية بالشجرة، ومرة ثالثة بالبيداء، والرسول ﷺ يقول له ما قاله أول مرة، وأخيراً أقر بالإسلام، فقبله الرسول ﷺ (٣٠).

وعندما وصل قريباً من الصفراء، بعث بسبس بن الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر يتحسنان له الأخبار عن أبي سفيان وعبره (٣١).

(٢٨) رواه ابن إسحاق من حديث بدر... وقد ورد في رواية مسلم (٣/١٤٠٤ ح/١٧٧٩) أن التكلم نياية عن الأنصار: سعد بن عباد، وهو لم يشهد بدرًا ولكن أسهم له، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة من مرسل عكرمة كما قال الحافظ في الفتح (١٥/١٥١ - ١٥٢). وقال: «ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين، الأولى وهو بالمدينة، والثانية بعد الخروج...» وذكر أنه وقع عند الطبراني أن سعداً بن عباد قال ذلك بالحدبية، وهذا أولى بالصواب، كما قال. وانظر مناقشة الإشكال عند عرجون في السيرة (٣/٣٠٨) وابن كثير في البداية (٣/٣٥١).

(٢٩) روى ابن إسحاق خبر هذه المشاورة معلقة - ابن هشام (٢/٣٠٥ - ٣٠٦). قال ابن كثير في البداية (٣/٢٨٧ - ٢٨٨): «وله شواهد من وجوه كثيرة، فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه... والنسائي... وأحمد... قلت، انظر في أخبار الإشارة إلى هذه الاستشارة يوم بدر: البخاري/الفتح (١٥/١٥٠ - ١٥١ ح/٣٩٥٢)، ومسلم (٣/١٤٣ - ١١٠٤ ح/١٧٧٩)، أحمد الفتح الزباني (٢١/٢٩ - ٣٠)، البيهقي: الدلائل (٣/٣٤ - ٣٥)، وابن عائد عن عروة كما نقله ابن حجر في الفتح (١٥/١٥١)، وابن أبي شيبة: المصنف (١٤/٣٥٥ - ٣٥٦)، وابن مردويه كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/١٥١).

(٣٠) انظر القصة في مسلم (٣/١٤٤٩ - ١٤٥٠ ح/١٨١٧).

(٣١) ذكره ابن إسحاق - بدون إسناد - ولعله جزء من حديث بدر الصحيح - ابن هشام (٢/٣٠٤).

ويروى أنه خرج هو وأبو بكر لهذا الغرض، ولقيا شيخا فسألاه عن جيش قريش، فاشترط عليهما أن يخبراه عنهما، فوافقا، وطلبا منه أن يخبرهما هو أولا، فأخبرهما بأنه قد بلغه أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق الذي أخبره فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به جيش المسلمين - وإن صدق الذي أخبره بجيش قريش فهم اليوم بمكان كذا - للمكان الذي به جيش قريش.

ولما فرغ من كلامه قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرفا عنه، وتركاه يقول: من ماء؟ أم من ماء العراق؟ (٣٢).

وفي مساء ذلك اليوم أرسل عليا والزبير وسعدا بن أبي وقاص في نفر من أصحابه لجمع المعلومات عن العدو، فوجدوا على ماء بدر غلامين يستقيان لجيش مكة، فاتوا بهما إلى الرسول ﷺ وهو يصلي، وأخذوا في استجوابهما. فافادا أنها سقاة جيش قريش، فلم يصدقهما، وكرهوا هذا الجواب، ظنا منهم أنها لأبي سفيان، إذ لا يزال الأمل يحدهم في الحصول على العير. وضربوهما حتى قالا إنها لأبي سفيان.

وعندما فرغ الرسول ﷺ من صلاته عاتب أصحابه لأنهم يضربونها إذا صدقا، ويتركونها إذا كذبا. ثم سألهم الرسول ﷺ عن مكان الجيش المكي، فقالوا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

وعندما سألهم عن عدد جيش مكة وعده لم يستطيعوا تحديد ذلك، ولكنها حددا عدد الجزور التي تنحر يوميا بأنها ما بين التسعة والعشرة، فاستنتج الرسول ﷺ بأنهم بين التسعمائة والألف، وذكر له من بالجيش من أشرف مكة (٣٣)، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: «هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ

(٣٢) رواها ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٠٦/٢ - ٣٠٧) لأنها من رواية محمد بن يحيى ابن حبان. قال عنه في التقريب، ص ٥١٢: «ثقة فقيه، من الرابعة، مات سنة إحدى وعشرين...».

(٣٣) انظر القصة عند مسلم (١٤٠٤/٣ ح ١٧٧٩) وفيه أن الذي أخذه غلام أسود لبني الحجاج، وعند أحمد في المسند (١٩٣/٢) شاكراً وصحح شاكراً إسناداً، وعند الهيثمي في المجمع (٧٦/٦)، وقال: «ورجال أحمد رجال الصحيح، غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة». وفي رواية أحمد أن أحد السقاة ألفت منهم. وعند ابن إسحاق - ابن هشام (٣٠٧/٢ - ٣٠٨) - دون إسناد، وفيه أسبا الغلامين: أسلم لبني الحجاج وغريضر أبو سار لبني العاص بن سعيد، وقد رواه غير هؤلاء.

كبدها»^(٣٤). وأشار إلى مكان مصارع جماعة من زعماء قريش، فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ^(٣٥).

وأُنزل الله تعالى في هذه الليلة مطرا طهر به المؤمنين وثبت به الأرض تحت أقدامهم، وجعله وبالا شديدا على المشركين^(٣٦). وفي هذا قال تعالى: ﴿وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ، وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾^(٣٧)^(٣٨).

ومن نعمه على المسلمين يوم بدر أيضا أن غشيهم النعاس أمنة منه، كما في صدر آية نعمة إنزال المطر: ﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ...﴾^(٣٩) الآية.

وروى في ذلك الإمام أحمد بسنده^(٤٠) إلى أنس بن مالك أن أبا طلحة، قال: غشنا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر، فكنت فيمن غشيه النعاس يومئذ فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ويسقط وآخذه.

وزاد الله المؤمنين فضلا بأن أوقع الخلاف في صفوف عدوهم. فقد روى أحمد^(٤١) أن عتبة بن ربيعة أخذ يثني قومه عن القتال محذرا من مغبته، لأنه علم أن المسلمين سوف يستميتون^(٤٢). فاتهمه أبوجهل بالخوف. وروى

(٣٤) ورد هذا الحديث في رواية ابن إسحاق.

(٣٥) جاء هذا في حديث مسلم في غزوة بدر.

(٣٦) انظر خبر هذا المطر عند أحمد (١٩٣/٢) شاكر) وقد سبق الكلام عليه، وعند ابن إسحاق - ابن هشام (٣١٢/٢) - دون إسناده.

(٣٧) الأنفال: ١١.

(٣٨) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٢٩٢/٣)، والتفسير له (٥٦٤/٣ - ٥٦٤).

(٣٩) من حديث طويل في المسند (١٩٣/٢) شاكر) وقد سبق الكلام عليه.

(٤٠) انظر عن سبب نزول الآية عند ابن كثير في الأماكن المذكورة آنفا.

(٤١) الفتح الرباني (٤٣/٢١).

(٤٢) علم ذلك من عمرو بن وهب الجمحي الذي أرسلته قريش ليعرف خبر المسلمين فعاد إليهم قائلا:

«قد رأيت يامعشر الناس البلاء يحمل المتأيا، نواضح يثرَب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فزرو رأيكم».

وكان هذا من أسباب موقف عتبة والحوار الذي دار في معسكر المشركين - روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن، كما في سيرة ابن هشام (٣١٥/٢)، وجهالة الأشياء لا تقدر لأنهم من الصحابة.

الجزار^(٤٣)، أن عتبة قال لقومه يومذاك: إن الأقارب سوف تقتل بعضهم بعضاً، مما يورث في القلوب مرارة لن تزول. فاتهمه أبو جهل بالخوف، وليريه شجاعته، دعا أخاه وابنه وخرج بينهما داعياً إلى المبارزة.

وكان الرسول ﷺ قد رأى عتبة على جبل أحر، فقال: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحر، إن يطيعوه يرشدوا»^(٤٤). وشاء الله أن يعصوه، وضاع رأيه وسط إثارة أبي جهل الثارات القديمة.

سبق الرسول ﷺ المشركين إلى ماء بدر، ليحول بينهم وبين الماء. وهنا أبدى الحباب بن المنذر رأيه قائلاً: «يارسول الله، أرايت هذا المنزل، أمزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟» قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

قال الحباب: «يارسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم - قريش - فننزله ونغور - نخرب - ما وراءه من القلب - الأبار - ثم نبني عليه حوضاً فتملأه ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون»، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي». وفعل ما أشار به الحباب بن المنذر (رضي الله عنه)^(٤٥).

(٤٣) كما في المجمع (٧٦/٦)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. وعن روى قصة هذا الخلاف: الطبري في تاريخه (٤٣٣/٢) وهو من مراسيل ابن المسيب، و(٤٢٥/٣ - ٤٢٦) بإسناد حسن. وابن إسحاق كما عند ابن كثير في البداية (٢٩٥/٣ - ٩٦) مطولاً بإسناد صححه الدكتور باوزير في كتابه «مرويات غزوة بدر»، ص ١٥٥.

(٤٤) من حديث أحمد في المسند (١٩٣/٢/شاكراً)، وقد سبق الكلام عليه.

(٤٥) روى هذه الإشارة ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣١٢/٢ - ٣١٣)، وإسناد مرسل موقوف على عروة كما في الإصابة (٣٠٢/١)، والحاكم (٤٤٦/٣ - ٤٤٧)، وأنتكها الذهبي، والأسوي كما عند ابن كثير في البداية (٢٩٣/٣) بإسناد منقطع، وابن شاهين كما في الإصابة (٣٠٢/١) بإسناد ضعيف، وابن سعد (١٥/٢)، وروايته عند ابن كثير في البداية (٢٩٣/٣) وفيها الكلبي وهو متروك... وهكذا فكل أسانيدنا ضعيفة، ولكنها قد تنقو وتترفع إلى درجة الحسن لغيره، كما قال باوزير: مرويات غزوة بدر، ص ١٦٤ - ١٦٥، وله حجة في هذا، فلينظر للفائدة وفي تقوية باوزير لهذه الرواية نظراً للأسباب الآتية: فهناك روايات ربما عارضتها، فقد نقل ابن كثير في تفسيره عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَغِيثُكُمُ النَّاسُ أَتَمَّةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ الآية ١١ من الأنفال ما يفيد غلبة المشركين على الماء، وأن المسلمين أصابهم ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الفيل. حتى أنزل عليهم المطر فشرّبوا وطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان... (انظر تفسير ابن كثير ٥٦٣/٣) كما ساق ابن كثير رواية أخرى عن العوفي عن ابن عباس سير في نفس الاتجاه، بل أضاف ابن كثير قوله: «ونحو ذلك روي عن قتادة والضحاك والسدي:» (المصدر والمكان نفسهما). وكل هذا يزيد في شكنا بصحة الرواية على الرغم من شهرتها.

وعندما استقروا في المكان، قال سعد بن معاذ مقترحاً: «يانيي الله، ألا نبني لك عريشاً»^(٤٦) تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم تلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يانيي. الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك»، فوافق الرسول ﷺ على هذا الاقتراح^(٤٧).

وفهم من النصوص الواردة في شأن القتال ببدر أن الرسول ﷺ شارك في القتال، ولم يمرض كل وقته داخل هذا العريش أو في الدعاء، كما فهم بعض كتاب السيرة.

فقد روى الإمام أحمد^(٤٨) عن علي، قال: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»، وفي موضع آخر بالسند نفسه: «لما حضر البأس يوم بدر، اتقينا برسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس، ما كان أو لم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه»^(٤٩). وروى مسلم^(٥٠) أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه». وقال ابن كثير^(٥١): «وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالا شديداً ببدره، وكذلك أبو بكر الصديق، كما كانا في

(٤٦) والعريش: شبه خيمة، يكون مقراً للقيادة وظلاً للقائد.
(٤٧) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣١٣/٢). وأما وجود عريش للرسول ﷺ يوم بدر فهو ثابت بأحاديث صحيحة: فقد روى الأموي من حديث ابن إسحاق كما في البداية (٣١٢/٣) أن النبي ﷺ خفف في العريش خفقة ثم انتبه، فقال: «أبشر يا أيها البكر، هذا جبريل معتمر بعمامة، أخذ بعمان فرسه، يفوده على ثناياه القمع، أتاك نصر الله وعذته». وإسناد الأموي حسن كما ذكر الألباني في تعليقه على فقه السيرة، ص ٢٤٣، وورد في حديث لابن عباس عند البخاري/ الفتح (١٨/٢٥٤) ح (٤٨٧٧) وفيه أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة... الخ، وورد في حديث للبخاري بإسناد صحيح أن علياً قال: «أنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً...»، ذكره ابن كثير في البداية (٢٩٨/٣).

(٤٨) المسند (٦٤/٢) (شاذ)، وقال: «إسناده صحيح».
(٤٩) المسند (٢٢٨/٢) (شاذ)، وقال: «إسناده صحيح».
(٥٠) (٣/١٥١٠ ح ١٩٠١)، ويذكر محقق جامع الأصول (١٨٢/٨) أنه في الأصل «حتى أكون أنا أذنه»، وفي نسخ مسلم المطبوعة: «حتى أكون أنا دونه».
(٥١) البداية والنهاية (٣/٣٠٦).

العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال، وقتلا بالأبدان جمعا بين المقامين الشريفين».

وبعد أن اتخذ الرسول ﷺ كل الوسائل المادية الممكنة للنصر في حدود الطاقة البشرية، بات ليلته تلك^(٥٢) يتضرع إلى الله تعالى أن ينصره، ومن دعائه كما جاء في رواية عند مسلم^(٥٣): «اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» وتقول الرواية: «فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يانبي الله كفأك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله (عز وجل): ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفَلَاحِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْفَعِينَ﴾^(٥٤)، فأمد الله بالملائكة».

وبما رواه البخاري^(٥٥) من دعائه في ذلك اليوم: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم»، وتقول الرواية: «فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يارسول الله، ألححت على ربك، وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر»^(٥٦).

وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى عكرمة أنه قال: لما نزلت ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾، قال: عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فعرفت تأويلها يومئذ^(٥٧).

(٥٢) روى أحمد: المسند (٢٧١/٢) شاكر بإسناد صحيح عن علي، قال: «لقد رأيتنا يوم بدر، وماتنا إلا نائم، إلا رسول الله فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح».

(٥٣) (١٣٨٤/٣) ح (١٧٦٣).

(٥٤) الأنفال: ٩.

(٥٥) الفتح (٢٥٣/١٨) ح (٤٨٧٥)، والفتح (٢٥٤/١٨) ح (٤٨٧٧)، وقد رواه أحمد في المسند (١٨/٥) شاكر وقال: «إسناده صحيح».

(٥٦) القمر: ٤٥.

(٥٧) أورده ابن كثير: التفسير (٤٥٧/٧) من مرسل عكرمة. قال الساعدي عن ترجمته في الفتح الرباني (٣٩/٢١): «الحديث صحيح وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره وعزاه للبخاري من طريق عفان عن وهيب أيضا»، ثم قال: «وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد، وهو ابن مهران الخذاء به».

وفي صباح يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان - السنة الثانية من الهجرة^(٥٨) وعندما تراءى الجمعان، دعا رسول الله ﷺ ربه قائلاً: «اللهم هذه قریش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة^(٥٩)».

وعندما وقف المسلمون في صفوف القتال، أخذ الرسول ﷺ في تعديل صفوفهم وفي يده قِدْح، فطعن به سَوَاد بن عَزِيَّة في بطنه، لأنه كان متصلاً من الصف، وقال له: «استو ياسواد. فقال سواد: يا رسول الله: أوجعتني فأقذني، فكشف عن بطنه، وقال: استقد، فاعتنقه سواد وقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا ياسواد؟ قال: يا رسول الله، قد حضر ماتري، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدك جلدي». فدعا له رسول الله ﷺ بخير^(٦٠).

ثم أخذ في توجيههم في أمر الحرب، قائلاً: إذا أكتبوكم^(٦١) فارموهم

(٥٨) قال ابن حجر في تلخيص الخبير: (٤/١٠٠ ط. ١٣٩٩ هـ/القاهرة): «وأما ان غزوة بدر في السنة الثانية فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق وموسى بن عفة وأبو الأسود وغيرهم، واتفقوا على أنها كانت في رمضان، قال ابن صاكر: والمحمود أنها كانت يوم الجمعة، وروي أنها كانت يوم الاثنين، وهو شاذ، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشر، وقيل ثاني عشر، وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج والسابع عشر يوم الواقعة...» وقد روى الطبري في تاريخه (٤١٩/٢) بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه قال عن ليلة القدر: «لنمساها في سبع عشرة وتلا الآية يوم التقى الجمعان» يوم بدر... وانظر: بلوزير: (صص ٦٨ - ٧٣).

(٥٩) رواه ابن إسحاق معلقاً كما في (ابن هشام ٢/٣١٤). وقد ثبت أن أباجهل قال حين التقى القوم: «اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرفه فأحنه - أي أهلكه - الغداة» فكان هو المستفتح، أي الحاكم على نفسه بهذا الدعاء، والفتح الحاكم. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: «إِنْ تَسْتَفْتُوا فَعِدَّ اللَّهُ الْفَتْحَ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعْمِدُوا نَعِدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فُتُكُمُ شَيْئاً وَلَوْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ اللَّهُ مَعِ الْمُؤْمِنِينَ» - الأنفال: ١٩. وقد روى الخبر بإسناد صحيح أحمد: الرباني (٤٤/٢١) والطبري في التفسير (٤٥٤/١٣) (شاذ) بإسناد صحيح، والحاكم (٣٢٨/٢) وصححه. والدعاء إلى قول الرواي «فكان هو المستفتح» رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل (ابن هشام ٢/٣٢٣).

(٦٠) روى قصة سواد ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٢/٣٢٠ - ٣٢١) وعبدالرزاق والبيهقي فيما نسب إليه في حجر في الإصابة (٢/٩٥). وإسناد عبدالرزاق حسن ولكنه مرسل، والواقدي (١/٥٦ - ٥٧) والطبراني كما في المجمع (٦/٢٨٩) وقال الهيثمي: «ورجاله ثقات»، وهي في معنى رواية ابن إسحاق. قال: بلوزير، ص ١٨٣: «... والمرسل عتج به عند بعض العلماء فإذا جاء ما يسنده كان حجة عند أكثرهم، وقد ورد ما يسنده من رواية الهيثمي في المجمع ورواية ابن إسحاق...» في رواية ابن إسحاق والواقدي أن الذي كان بيد الرسول ﷺ قِدْح، أما في رواية عبدالرزاق أنه عرجون. والقِدْح هو السهم بلا ريش، وسواد بالتخفيف وبالتشديد.

(٦١) أي إذا قربوا منكم - كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/١٧٣).

واستبقوا نيلكم^(٦٢). ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم^(٦٣). وحرصهم على القتال، قائلا: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»^(٦٤)، وفي رواية عند مسلم^(٦٥) أنه عندما دنا المشركون قال النبي ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». وعندما سمع ذلك عمير بن الحُمام الأنصاري، قال: «يارسول الله! أجنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بَخٍ بَخٍ^(٦٦). فقال رسول الله ﷺ: «ما يملكك على قولك بَخٍ بَخٍ» قال: لا، والله! يارسول الله! إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه^(٦٧)، فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بها كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل...»

وقال عوف بن الحارث - بن عفراء -: «يارسول الله، ما يضحك الرب من عبده، قال: «غمسه يده في العدو حاسرا»، فترع درعا كانت عليه، ففقدوها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل^(٦٨).

وطلب الرسول ﷺ من أصحابه، قبل بدء المعركة، ألا يقتلوا نفرا من بني هاشم وغيرهم لأنهم خرجوا مكرهين، وسمى منهم أبا البختری بن هشام - الذي كان ممن سعى لنقض صحيفة المقاطعة ولم يؤذ النبي ﷺ - والعباس ابن عبدالمطلب. وعندما سمع أبوحذيفة ذلك قال: «أنقتل آبائنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمه - أو لألجمه - بالسيف»، فبلغت مقالته رسول الله ﷺ، فقال لعمر: «ياأبا حفص؟

(٦٢) البخاري/ الفتح (١٥/١٧٣ ح/ ٣٩٨٥، ٤٨/١٢ ح/ ٢٩٠٠) وفيه: «إذا اكتبكم فليكنم بالنبل».

(٦٣) سنن أبي داود (٣/١٨٨ ح/ ٢٦٦٤) وسكت عنه المنذري - انظر: مختصر سنن أبي داود مع معالم السنن - تحقيق شاكور والفي - (٤/١١ ح/ ٢٥٤٨)، ط. دار المعرفة - بيروت ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

(٦٤) روى ذلك ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢/٣٢٢).

(٦٥) رواها مسلم (٣/١٥٩ - ١٥١١ ح/ ١٩٠١)، وابن سعد (٢/٢٥٢) بإختصار، والبيهقي في سننه (٩/٤٣) وابن إسحاق - دون إسناد - ابن هشام (٢/٣٢٢).

(٦٦) كلمة تقال في مواضع الإعجاب والفخر.

(٦٧) جمعة الشباب.

(٦٨) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٢/٣٢٢ - ٣٢٣)، ولم يرو من طريق متصل.

أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ، بالسيف؟» فقال عمر: «يارسول الله، دعني فلاضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق». فكان أبو حذيفة يقول: «ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة»، فقتل يوم اليمامة شهيدا^(٦٩).

وقبل ابتداء القتال خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، فقال: «أعاهد الله لأشرين من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه»، وتصدى له حمزة، وضربه ضربة أطارت قدمه بنصف ساقه، ثم حبا إلى الحوض مضرجا بدمائه ليبر قسمه، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض^(٧٠).
المبارزة:

بعد هذا خرج ثلاثة من فرسان قريش يطلبون المبارزة، وهم عتبة بن ربيعة وأخوه شبة والوليد بن عتبة، فخرج لهم ثلاثة من شباب الأنصار وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - وعبد الله بن رواحة، فلم يقبل فرسان قريش بغير بني أعمامهم من المهاجرين، فأمر الرسول ﷺ عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي أن يبارزوه. وكان حمزة لعتبة، وعبيدة للوليد، وعلي لشبة. وقتل علي وحمزة صاحبيهما وأعانا عبيدة على قتل الوليد، واحتملا عبيدة الذي أنخنه الوليد بالجراح^(٧١).

وفي هؤلاء الستة نزل قول الله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في

(٦٩) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٢٤/٢)، ويرى باوزير ص ٢٦٨ أن ابن إسحاق ربما رواها بسنده الصحيح لقزوة بدر، وهو ما نرجحه. وفي الخبر أن أبا البخري أصر على القتال فقتل.

(٧٠) روى قصته ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٣١٨/٢)، ولعلها من روايته لحديث بدر بإسناد حسن.

(٧١) هو مضمون رواية أبي داود في سننه (٤٩/٤ ح ٢٦٦٥)، وقال عنها ابن حجر: «وهذا أصح الروايات» ثم قال: لكن الذي في السير من أن الذي بارزه على هو الوليد هو المشهور، وهو اللائق بالمقام لأن عبيدة وشبة كانا شيعين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين. وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة، فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا، وهذا موافق لرواية أبي داود - والله أعلم -. انظر الفتح (١٦٣/١٥). - دون إسناد - ابن هشام (٣١٩/٢)، وابن سعد (١٧/٢ - ٢٣). وانظر بقيتهم في الفتح (١٦٢/١٥). ورواه من أهل الحديث: أحمد: الرباعي (٣١/٢١ - ٣٢) وقال الميثمي في الجمع (٧٦/٦): «ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة»، والبراز في مسنده كما في كشف الاستار (٣١١/٢ - ٣١٢).

ربهم، فالذين كفروا قُطِّعَتْ لهم ثياب من نار يُصب من فوق رؤوسهم
الحميم ﴿٧٢﴾ (٧٣).

ثم طلب الرسول ﷺ من علي أن يناوله كفا من حصي، فناوله ذلك،
فرمى به وجه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء،
فنزلت الآية الكريمة ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (٧٤) (٧٥).
الملائكة تشهد بدرا:

ونزل المسلمون ساحة المعركة بقوة إيمانية كبيرة، وشدوا على المشركين،
وأخذوا في اقتطاف رؤوسهم، وأمدهم الله بالملائكة لينصرهم على عدوهم،
كما في قوله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة...﴾ (٧٦) الآيات،
و﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة
مردفين﴾ (٧٧) و﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم، فثبتوا الذين آمنوا،
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب...﴾ الآية (٧٨).

وكما روي من الأحاديث في هذا الشأن. فقد روى مسلم (٧٩) في هذا:
«بيننا رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ
سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم (٨٠)، فنظر إلى
المشرك أمامه، فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه
كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع. فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول
الله ﷺ، فقال: «صدقت. ذلك من مدد السماء الثالثة».

(٧٢) الحج: ١٩.

(٧٣) روى ذلك البخاري/ الفتح (١٥/١٦٢ - ١٦٤/ح ٣٩٦٦ - ٣٩٦٩).

(٧٤) الأنفال: ١٧.

(٧٥) روى ذلك الميمني في المجمع (٦/٨٤) موصولا، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
ورواها ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢/٣٢٣)، وفيها أن الرسول ﷺ عندما أخذ
الحصباء قال: شامت الوجوه، ثم نفخهم بها وأمر أصحابه فقال: شدوا، فكانت الهزيمة... .

(٧٦) آل عمران: ١٢٣ - ١٢٦.

(٧٧) الأنفال: ٩ - ١١.

(٧٨) الأنفال: ١٢.

(٧٩) صحيحه (٣/١٣٨٤ - ١٣٨٥/ح ١٧٦٣).

(٨٠) اسم فرس الملك كما قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٢/٨٦)، وفي النهاية في غريب
الحديث (١/٤٦٧) أنه اسم فرس جبريل.

وروى أحمد^(٨١) أن رجلا من الأنصار قصير القامة جاء بالعباس أسيرا، فقال العباس: «يارسول الله، إن هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجلع من أحسن الناس وجهها، على فرس أبلق، ما أراه في القوم»، فقال الانصاري: «أنا أسرته يارسول الله. فقال: اسكت، فقد أيدك الله تعالى بملك كريم».

وروى الأموي^(٨٢) أن الرسول ﷺ خفق خفقة في العريش ثم انتبه، فقال: «أبشر أبابكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل معتجر بعمامة، آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناباه النقع، أتاك نصر الله وعدته».

ورويت أحاديث في مشاركة الملائكة المسلمين يوم بدر ولم تصرح بالقتال. فقد روى البخاري^(٨٣) أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»، وقال في رواية أخرى: «جاء جبريل النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة»^(٨٤).

وروى الحاكم^(٨٥) أنه كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجر بها، فنزلت الملائكة عليهم عمام صفر.

لقد أكرم الله عباده المؤمنين يوم بدر ببعض الكرامات. فقد روي أن عكاشة بن محصن قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده، فأعطاه الرسول ﷺ جزلا من حطب ليقاتل به، فإذا هو في يده سيفا طويلا شديد المتن أبيض الحديدية، فقاتل به يوم ذاك وفي المعارك الأخرى التي شهدتها بعد ذلك، وآخرها يوم اليمامة - أحد أيام حروب الردة - حين قتل

(٨١) المسند (٢/١٩٤) شاكر، من حديث طويل، قال شاكر: «إسناده صحيح... وهو في مجمع الزوائد (٧٥/٧٦ - ٧٦) وقال: «رواه أحمد والبخاري، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة» وحسنه الألباني في تعليقه على فقه السيرة للقرطبي، ص ٢٤٣. واسم الذي أسر العباس: أبو اليسر بن عمرو، وهو كعب بن عمرو (المسند ٥/١٠٥/١٠٥ شاكر)، وإسناده ضعيف.

(٨٢) نقله عنه ابن كثير في البداية (٣/٣١٢) وهو من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن كما قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للقرطبي ص ٢٤٣ وانظره في: ابن هشام (٢/٣٢١ - ٣٢٢) منقطعا، وهو الذي وصله الأموي، والبيهقي: الدلائل (٧/٥٤) بإسنادين من غير طريق ابن إسحاق.

(٨٣) البخاري/ الفتح (١٥/١٨١) ح/ ٣٩٩٥.

(٨٤) البخاري/ الفتح (١٥/١٨٠) ح/ ٣٩٩٥.

(٨٥) المستدرک (٣/٣٦١) وصحح باوزير إسناده - مرويات غزوة بدر، ص ٢٤٣.

شهيداً^(٨٦).

وعندما رأى أبلّيس - وكان في صورة سراقه بن مالك - ما تفعل الملائكة والمؤمنون بالمشرّكين، فرناكصا على عقبه، حتى ألقى بنفسه في البحر^(٨٧).

مصراع الطفافة: أبي جهل وأمية بن خلف والعاص بن المغيرة:

أ) أبوجهل: روى البخاري^(٨٨) ومسلم^(٨٩) من حديث عبدالرحمن بن عوف أنه قال: «إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن، فكأنني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه: ياعم، أرني أباجهل، فقلت: يا ابن أخي، فما تصنع به؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك. قال: وغمّزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: هل مسحتم سيفيكما؟ فقالا: لا. فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين، فقال: كلاكما قتله، وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح^(٩٠)، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء.

(٨٦) رواه ابن إسحاق دون إسناده - ابن هشام (٣٣٦/٢)، والواقدي في المغازي (٩٣/١)، والبيهقي في الدلائل (٩٨/٢ - ٩٩) من حديث الواقدي، وابن سعد (١٨٨/١) من غير طريق ابن إسحاق، وإسناده ضعيف جداً، لعلتين، هما: الإرسال، وضعف أبي معشر - صحيح بن عبدالرحمن.

(٨٧) روى ذلك ابن إسحاق معلقاً - ابن هشام (٣٧٤/٢)، والطبراني في الكبير (٤١/٥ ح/٤٥٥٠) ونقله عنه الهيثمي في المجمع (٧٧/٦) وقال عنه: «وفيه عبدالعزيز بن عمران وهو ضعيف»، والطبراني في التاريخ (٤٣١/٢) من حديث ابن إسحاق بإسناده حسن مرسل، والواقدي (٧١/١)، وأحمد: (٧/١٤ ح/١٦١٨٣/شاك)، وسنده ضعيف للانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس. وانظر الآية (٤٨) من سورة الأنفال: «وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم...» فقد رويت أخبار في أن هذه الآية، نزلت في إبليس يوم بدر وهو في صورة سراقه بن مالك. وأسانيد هذه الأخبار لا تثبت ولا تعتمد أو بقوي بعضها بعضاً.

(٨٨) البخاري/ الفتح (٢٣١/١٢ - ٢٣٢ ح/٣١٤١) واللفظ له.

(٨٩) صحيحه (١٣٧٢/٣ ح/١٧٥٢).

(٩٠) لأن الثاني قتل شهيداً في المعركة نفسها.

وروى ابن إسحاق^(٩١)، من حديث معاذ بن الجموح أنه قال: «سمعت القوم وأبوجهل في مثل الحرجة^(٩٢)، وهم يقولون: أبوالحكم لا يخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلته من شائي، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه... وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وأني لأسحبها خلفي، فلما آذنتي وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها، ثم مر بأبي جهل - وهو عقير - معوذ بن عفراء - فضربه حتى ثبته فتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قتل».

وروى البخاري^(٩٣) أن النبي ﷺ قال: عندما انجلت المعركة: «من ينظر ما صنع أبوجهل؟ فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: أنت أبوجهل؟ قال: فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه أو رجل قتله قومه؟».

وفي رواية أحمد^(٩٤) أن الرسول ﷺ ذهب مع ابن مسعود ليرى جسد أبي جهل، وقال: «كان هذا فرعون هذه الأمة». وفي رواية ابن إسحاق^(٩٥) إن أبا جهل قال لابن مسعود عندما جثا عليه: «لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعي الغنم».

(ب) أمية بن خلف: تمكن عبدالرحمن بن عوف من أسر أمية، وعندما رآه بلال معه، قال: «رأس الكفر أمية بن خلف، لانجوت إن نجا»، وحاول عبدالرحمن أن يثبته عن عزمه فلم يستطع، بل استنفر بلال الأنصار فلحقوا به معه وقتلوه على الرغم من أن ابن عوف ألقى عليه

(٩١) ابن هشام (٢/٣٣٣)، بإسناد حسن.

(٩٢) الشجرة الكثيرة الأغصان، شبه النفاق المشركين حوله بالشجرة المتفتة.

(٩٣) البخاري/ الفتح (١٥/١٥٨ - ١٦٠ ح/ ٣٩٦٢، ٣٩٦٣).

(٩٤) المسند (٥/٣١٦ ح/ ٣٨٢٤/ شاكراً، وقد ضعف شاكراً إسناده.

(٩٥) ابن هشام (٢/١٣٥)، وقد رواء معلقاً.

نفسه وأمية بارك^(٩٦).

وعندما طرح قتلى المشركين في القليب، لم يطرح معهم، لأنه انتفخ في درعه فملأها، وعندما ذهبوا ليحركوه تفرقت أعضاؤه، فتركوه في مكانه، وألقوا عليه ما غييه من الحجارة والتراب^(٩٧).

ج) العاص بن هشام بن المغيرة: كان العاص بن هشام بن المغيرة خال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ولذا حرص عمر على قتله، فقتله حتى يعلم أن ليس في قلبه ولاء إلا لله وحده^(٩٨).

لقد انجلت معركة بدر عن نصر كبير للمسلمين. إذ قتلوا سبعين من المشركين، وأسروا سبعين^(٩٩)، ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً، ستة من قريش وثمانية من الأنصار^(١٠٠).

لقد كان جزاء الله عادلاً في هؤلاء ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبش القرار﴾^(١٠١).

دفن قتلى المشركين في القليب^(١٠٢):

روى البخاري^(١٠٣) ومسلم^(١٠٤) وأحمد^(١٠٥) وابن إسحاق^(١٠٦) وغيرهم^(١٠٧) أن الرسول ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش^(١٠٨)

(٩٦) انظر القصة بتامها عند البخاري/ الفتح (٤٩/١٠ - ٥٠/ح ٢٣٠١)، وابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (٣٢٩/٢)، وهو أتم رواية. وأما من باشر قتله من المسلمين، ففي ذلك خلاف، انظره عند ابن حجر في شرح الحديث.

(٩٧) روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣٣٨/٢ - ٣٣٩).

(٩٨) من حديث رواه ابن هشام في زيادات السيرة - ابن هشام (٣٣٥/٢ - ٣٣٦) بإسناد منقطع.

(٩٩) مسلم (١٣٨٥/٣ ح ١٧٦٣)، وأحمد: السند (٩٤٩/٢ شاكر)، بإسناد صحيح.

(١٠٠) قاله موسى بن عقبة كما في البداية لابن كثير (٣٣٠/٣) ولم يسنده، وقيل غير ذلك، فانظره في هذا المكان.

(١٠١) إبراهيم: ٢٨ و ٢٩ انظر: البخاري/ الفتح (٢٦٨/١٧ ح ٤٧٠٠) عن ابن عباس أنهم كفار مكة.

(١٠٢) هي البئر التي لم تطو، كما في النهاية (٩٨/٤).

(١٠٣) الفتح (١٦٥/١٦٨ ح ٣٩٧٦).

(١٠٤) صحيحه (٢٢٠٤/٤ ح ٢٨٧٥).

(١٠٥) السند (٢٣٢/١ شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح».

(١٠٦) ابن هشام (٣٣٩/٢) بإسناد حسن.

(١٠٧) مثل: الطبراني كما في المجمع (٩١/٦) وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

(١٠٨) كان مجموع قتلى المشركين سبعين كما سبق ذكره، وكما سيأتي ذكره، فلعل الآخرين دفنوا في أماكن أخرى كما ذكر ابن حجر في الفتح.

فقدفوا في طَوِيٍّ من أطواء بدر خبيث محبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر بإحلالته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الرَكِيَّة فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان ابن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم اطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟» فقال عمر: «يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها»، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

وعندما ألقوا في القليب، وفيهم عتبة بن ربيعة، نظر رسول الله ﷺ إلى وجه ابنه أبي حذيفة، فإذا هو كئيب قد تغير لونه، فقال له النبي ﷺ: «لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟» فقال: «لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيرا^(١٠٩).

وبعد نهاية المعركة وانتصار المسلمين وأخذ الأسرى، قيل للرسول ﷺ: «عليك بالغير، ليس دونها شيء». فناداه العباس أن ذلك لا يصلح له، قال: «ولم؟ قال: «لأن الله (عز وجل) إنما وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك^(١١٠)».

الغنائم:

وقع خلاف بين المسلمين حول الغنائم، لأن حكمها لم يكن قد شرع يومذاك. وقد حكى عبادة بن الصامت ماحدث، قائلا: «خرجنا مع رسول

(١٠٩) رواها ابن إسحاق بدون إسناده - ابن هشام (٣/٣٤٢) - ولعلها بإسناده حديث بدر عنده، وهو حسن.

(١١٠) رواه أحمد في المسند (٣/٣٢٠) شاكر وصححه شاكر إسناده، وقال ابن كثير في التفسير (٤/١٣ - ١٤): «إسناده جيد» وحسنه الترمذي (٤/١١٢) من طريق عبد الرزاق عن إسرائيل.

الله ﷺ فشهدت معه بدرًا. فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم، هزموهم ويقتلون، وأكبت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، فنحن نفينا عنها العدو، وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة، واشتغلنا به، فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾^(١١١)، فقسمها رسول الله ﷺ على فُوق بين المسلمين - أي بالتساوي^(١١٢).

ومما يدل على أن الغنائم قد خست ووزعت على المشاركين فيها ما رواه البخاري^(١١٣) عن علي أن الرسول ﷺ أعطاه مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ.

وقد أسهم الرسول ﷺ لتسعة من الصحابة لم يشهدوا بدرًا لأعمال كلّفوا بها في المدينة أو لأعذار مباحة، منهم عثمان بن عفان، لأنه كان يمرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ^(١١٤).

(١١١) الأنفال: ١، وانظر تفسيرها عند الطبري في تفسيره (٣٦٧/١٣ - ٧١/شاكِر)، وجاءت فيها أسانيد صحيحة. وقد ذكر ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣٤٤/٢) من قول عبادة بن الصامت أن هذه الآية نزلت فيهم، أصحاب بدر، حين اختلفوا في القتل. وقد صححه الحاكم والذهبي كما في المستدرک والتخليص (٣٢٦/٢)، ورواه أحمد: المسند الفتح الرباني (٧٢/١٤) من طريق ابن إسحاق كذلك، وقال الساعاتي: «مسند جيد».

وقد كره سعد بن معاذ تسابق بعض المسلمين إلى الغنائم كما ذكر ابن إسحاق. (١١٢) رواه أحمد في المسند، وصحح الساعاتي إسناده كما في الفتح الرباني (٧٣/١٤)، ونقل تصحيح الترمذي والحاكم والذهبي للخبر، فانظره. ومسألة تقسيمه بينهم بالتساوي ذكره ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣٤٤/٢) ورواه ابن حبان في صحيحه كما في الوارد ص ٤١٠ والحاكم في المستدرک (١٣٥/٢ - ١٣٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في السنن (٢٩٢/٦).

(١١٣) البخاري/ الفتح (١٨٥/١٥) ح ٤٠٠٣.

(١١٤) انظر أحمد: المسند (١٠١/٨) (شاكِر) بإسناد صحيح. وانظر أساء بعض الصحابة الذين تخلّفوا لأعذار، وهدلوا من أهل بدر، في مرويات غزوة بدر لبازير، ص ص ٤٢٠ - ٤٢٤.

وكان تقسيم الغنائم في منطقة الصفراء في طريق العودة إلى المدينة^(١١٥). وأخذت الأسرى إلى المدينة. وقد أرسل زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة ليزفا البشرى إلى أهل المدينة. وقد تلقوا النبأ بسرور بالغ مشوب بالخذل من أن لا يكون مؤكدا، قال أسامة بن زيد: «فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى»^(١١٦) ودهشت سودة (رضي الله عنها) عندما رأت سهيل بن عمرو ويدها معقودتان إلى عنقه بحبل فقالت: «أبا يزيد، أعطيتكم بأيديكم، ألا متم كراما!!، فقال رسول الله ﷺ: «أعلى الله وعلى رسوله!!؟ - أي تؤلبن - فقالت: «يارسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يدها إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت»^(١١٧).

الأسرى:

استشار الرسول ﷺ الصحابة في أمر الأسرى. فأشار أبو بكر بأخذ الفدية منهم بحجة أن في ذلك قوة للمسلمين على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام. ورأى عمر قتلهم، لأنهم أئمة الكفر. ومال الرسول ﷺ لرأي أبي بكر. فنزل القرآن موافقا لرأي عمر، وهو قوله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾^(١١٨) إلى قوله تعالى: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا﴾^(١١٩).

وكان أخذ الفداء حلالا في أول الإسلام، ثم جعل فيما بعد الخيار للإمام بين القتل أو الفداء أو المن ماعدا الأطفال والنساء، إذ لا يجوز قتلهم،

(١١٥) ابن إسحاق - دون إسناده - ابن هشام (٣٤٦/٢).
(١١٦) رواه البيهقي كما عند ابن كثير في البداية (٣٣٤/٣) وصححه إسناده الدكتور العمري في المجتمع المدني - الجهاد، ص ٥٦، والحاكم (٢١٧/٣ - ١٨) وصححه، وابن أبي شيبة مرسل (٣٦٨/١٤)، وابن إسحاق (٣٤٥/٢) مقطوعاً.

(١١٧) رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٣٤٨/٢ - ٣٤٩)، ووصله الحاكم في المستدرک (٢٢/٣) وقال: «صحح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وسهيل بن عمرو هو أخو السكران بن عمرو زوج سودة قبل الرسول ﷺ، وقد توفي بمكة بعد هجرته من الحبشة.

(١١٨) الأنفال: ٦٧ - ٦٩. وانظر تفسيرها وأسباب نزولها بهذه المناسبة عند الطبري في التفسير (٦٨/١٤) من حديث ابن مسعود بإسناد حسن.

(١١٩) مسلم (١٣٨٥/٣) ح (١٧٦٣).

ما داموا غير محاربين^(١٢٠). قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَأَقَ فَمِمَّا مَتًّا بَعْدُ ۖ وَإِنَّمَا فَدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(١٢١).

وقد تبين فداء الأسرى. فمن كان ذا مال أخذ فداؤه أربعة آلاف درهم. ومن أخذ منه أربعة آلاف درهم أبو وداعة^(١٢٢). وأخذوا من العباس مائة أوقية. ومن عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية، دفعها عنه العباس، وأخذوا من آخرين أربعين أوقية فقط^(١٢٣).

وأطلق الرسول ﷺ سراح عمرو بن أبي سفيان مقابل أن يطلقوا سراح سعد بن النعمان بن أكال، الذي أسره أبوسفيان وهو يعتمر^(١٢٤).

ومن لم يكن لديهم مقدرة على الفداء، وكانوا يعرفون الكتابة، جعل فداؤهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة. فقد روى أحمد^(١٢٥) عن ابن عباس، قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، فجاء غلام يوما يبيكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال ضربني معلمي، قال: الخبيث! يطلب بذخل^(١٢٦) بدر! والله لا تأتيه أبدا».

وكانوا يقبلون من بعض الأسارى ما عندهم إذا تعذر المفروض، فقد

(١٢٠) ابن قدامة: المغني (٣٧٢/٨ - ٣٧٤).

(١٢١) محمد: ٤.

(١٢٢) الهيثمي: المجمع (٩٠/٦) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات - في قصة أبي وداعة الذي فداء ابنه بأربعة آلاف درهم. وقال ابن هشام في زيادته على السيرة (٣٧١/٢) - دون إسناده: «كان فداء الشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل، إلا من لا شيء له، فمن رسول الله ﷺ عليه». ورواه عبدالرزاق في المصنف (٢٠٦/٥) وأبو داود في سننه (١٣٩/٣) - (١٤٠/٤) باختلاف يسير، وفي سننه أبو القيس، وهو مقبول، كما في التشريب (ص ٦٦٢)، والطبراني في الكبير (٤٠٦/١١ - ٤٠٧) والأوسط ورجاله رجال الصحيح، والشاهد منه: «... وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف» فيكون الحديث حسنا، كما قال محقق سيرة ابن هشام (٣٧١/٢).

(١٢٣) رواه أبو نعيم في الدلائل (٤٧٦/٢ - ٤٧٧) بإسناد حسن كما قال ابن حجر في الفتح (١٩٢/١٥).

(١٢٤) رواه ابن اسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٥٧/٢ - ٣٥٨).

(١٢٥) المسند (٤٧/٤) ح/٢٢١٦/٢ (شاذر) وقال: «إسناده صحيح». وفي سننه علي بن عاصم بن صهيب الواسطي - شيخ الإمام أحمد - وهو صدوق يخطئ ويصير. والراجع عند شاذر أنه ثقة - انظر: المسند (٣٠٣/١)، وفي سننه كذلك داود بن أبي هند، كان يهيم بأخوه.

(١٢٦) الذحل: الثار أو العداوة.

أرسلت زينب بنت رسول الله ﷺ قلادة لها لتفدي زوجها أبا العاص بن الربيع، فردوها لها، وأطلقوا لها أسيرها لمكانتها عند والدها محمد ﷺ (١٢٧)، وهذا كان ابن الربيع ممن أطلق بدون فداء، وأطلق الرسول ﷺ ممن لم يقدر على الفداء بأي شكل من الأشكال، منهم: المطلب بن حنطب المخزومي وصيفي بن أبي رفاعه وأبو عزة الشاعر (١٢٨).

وما يدل على أنه كان بالإمكان إطلاق سراحهم جميعا بدون فداء، قول الرسول ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له» (١٢٩). وذلك لما قام به من حماية للرسول ﷺ عندما عاد من هجرته إلى الطائف، ودوره في تمزيق صحيفة المقاطعة.

وعندما استأذن رجال من الأنصار النبي ﷺ في ترك فداء العباس، قال: «والله لا تذكرون منه درهما» (١٣٠) وذلك على الرغم من أن العباس ذكر أنه كان مسلما وأنه خرج مستكرها (١٣١).

وفي طريق العودة إلى المدينة، قتل النضر بن الحارث بمنطقة الصفراء - قتله علي -، وقتل عقبة بن أبي معيط بمنطقة عرق الطيبة - قتله عاصم ابن ثابت (١٣٢)، ويقال: قتله علي (١٣٣). وذلك لعداوتيهما الشديدة

(١٢٧) المسند: الفتح الرباني (١٠٠/١٤) وقال الساعدي: «إسناده صحيح». ابن إسحاق - بإسناد حسن ابن هشام (٣٥٩/٢).

(١٢٨) ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢٦٨/٢ - ٣٦٩).

(١٢٩) البخاري/ الفتح (١٩٤/١٥) ح (٢٠٢٤).

(١٣٠) البخاري/ الفتح (١٩١/١٥) ح (٤٠١٨).

(١٣١) رواه الطبري في التفسير (٧٣/١٤) شاكراً بإسناد حسنه الدكتور العمري: المجتمع المدني الجهاد، ص ٥٥، حاشية ٤. قال ابن حجر: «وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إسباس أسد نفسك... قال العباس: إني كنت مسلماً ولكن القوم استكروهني...» الفتح (١٩٢/١٥) وذكر إسلامه ابن إسحاق - ابن هشام (٣٥١/٢ - ٣٥٢) بإسناد متصل وصرح فيه بالسباع ولكن فيه حسين بن عبدالله - فيه مقال.

(١٣٢) ابن إسحاق دون إسناد - ابن هشام (٣٤٧/٢).

(١٣٣) ابن هشام (٣٤٧/٢) بإسناد منقطع. وروي أن الآية: «ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً».. الفرقان: ٢٧ - قد نزلت فيه. أخرج ابن جرير عن ابن عباس (٦/١٩): «كان أبي بن كعب يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة ابن أبي معيط، فنزل: «ويوم بعض الظالم على يديه...» الآية، إلى قوله: «لقد أضلني عن الذكر إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً»، قال: «الظالم» عقبة، و«فلاناً خليلاً» أبي ابن خلفه. انظر: ابن كثير: التفسير (١١٦/٦)، حاشية رقم (٥). وقال ابن كثير هنا: «وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره، فإنها عامة في كل ظالم».

لِلرَّسُولِ ﷺ، وتلك نهاية الجبروت والشجاعة الزائفة. فقد رأينا عقبة، لصيق قريش، واليهودي الأصل^(١٣٤)، يعود إلى حقيقته عندما قال للرَّسُولِ ﷺ مسترحاً: «من للصبية يارسول الله؟ فأجابه: الناس»^(١٣٥).

أما بقية الأسرى فقد استوصى بهم الرَّسُولُ ﷺ خيراً^(١٣٦) فقد حكى أبو عزيز - شقيق مصعب بن عمير - وهو بين رهط من أسريه الأنصار - أن أسريه كانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوه بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ بالأسرى. حتى ما تقع في يد أحدهم خبزة إلا ناوله إياها، فيستحي فيردها على أحدهم، فيردها عليه ما يمسها^(١٣٧).

وأسلم كثير من هؤلاء الأسرى على فترات مختلفة قبل فتح مكة وبعدها، منهم: العباس، عقيل بن أبي طالب، نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، خالد بن هشام، عبدالله بن السائب، المطلب بن حنطب بن الحارث، أبو ذؤاعة الحارث بن صبرة، الحجاج بن الحارث بن قيس، عبدالله بن أبي ابن خلف، وهب بن عمير، سهيل بن عمرو، عبد بن زمعة، قيس بن السائب، نسطاس مولى أمية بن خلف،...^(١٣٨).

كانت موقعة بدر ذات أثر كبير في إعلاء شأن الإسلام، ولذا سميت في القرآن بيوم الفرقان. وأوضحت الأحاديث فضل البدرين وعلو مقامهم في الجنة. فقد عقد البخاري باباً في فضل من شهدها. وفيه قصة حارثة ابن سراقة الذي أصابه سهم طائش يوم بدر، وهو غلام، وجاءت أمه تسأل عن مصيره يوم القيامة، فبشرها الرَّسُولُ ﷺ بأن له جناناً كثيرة وأنه في جنة الفردوس^(١٣٩).

(١٣٤) انظر السهيلي: الروض الأنف (٥٣/٣) حيث ذكر أنه من أصل يهودي، من صفورية. (١٣٥) قال الهيثمي في المجمع (٨٩/٦): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح».

انظر الطبراني: الكبير (٤٠٦/١١ - ٧/٧ ح ١٢١٥٤)

(١٣٦) روى ذلك الطبراني في الصغير والكبير كما في المجمع (٨٦/٦) وقال الهيثمي: «إسناده حسن».

(١٣٧) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٤٩/٢ - ٥٠).

(١٣٨) الروض الأنف (١٢٥/٣)، عيون الأثر (٣٨٧/١). وانظر تراجمهم في أماكنها من الإصابة والاستيعاب وأسد الغاية وغيرها من كتب تراجم الرجال.

(١٣٩) الفتح (١٧١/١٥) ح ٣٩٨٢.

وفيه قصة حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسل إلى قريش يخبرهم بنية الرسول ﷺ فتح مكة، فكشفه الوحي، وعفا عنه الرسول ﷺ، وقال لعمر حين طالب بقتله: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم» (١٤٠).

ولما قال عبد من عبيد حاطب: «يارسول الله، ليدخلن حاطب النار» قال رسول الله ﷺ: «كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدرا والحديبية» (١٤١).

وكان لبدر الأثر العميق في المدينة وبقية حواضر وبوادي الجزيرة العربية، فقد استعلى المؤمنون في المدينة على اليهود وبقايا المشركين. فانخذل اليهود، وجاهروا بالعداوة مما كان سببا في إجلاء بني قينقاع عن المدينة - كما سيأتي.

وأسلم من زالت الغشاوة عن عينيه، ونافق من أضله الله حفاظا على مصالحه الخاصة، وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول، الذي قال حينذاك: «هذا أمر قد توجه» (١٤٢) - أي استقر فلا مطمع في إزالته (١٤٣).

ومن بين من عرف بالنفاق من أحرار اليهود بالمدينة: زيد بن اللصيت - رافع بن حريملة - رفاع بن زيد بن الثابت - سويد بن الحارث - سعد ابن حنيف - نعمان بن أوفى بن عمرو - وأخوه عثمان بن أوفى - سلسلة بن يرهام - كنانة بن صوريا.

ومن بين من عرفوا بالنفاق من مشركي المدينة، إضافة إلى عبدالله بن أبي بن سلول: زوى بن الحارث - جلاس بن سويد - وأخوه الحارث ابن سويد - نبتل بن الحارث - مربع بن قيطي - وأخوه أوس بن قيطي - حاطب ابن أمية بن رافع - بشير بن أبيرق أبو طعمة - قزمان.

وقد أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامه، ومات على النفاق من مات

(١٤٠) وهو عند مسلم أيضا - النووي (٥٥/١٦).

(١٤١) المصدر نفسه. وفي تناوله لقصة ثعلبة ومماطلته في أداء الزكاة، خلص باوزير (ص ٣٥٥ - ٣٥٩) إلى أن المعنى في القصة هو ثعلبة بن أبي حاطب وليس ثعلبة بن حاطب البدرى، إضافة إلى أن سند القصة أصلا ضعيف لا تقوم به حجة.

(١٤٢) من حديث رواه البخاري/ الفتح (١٧/٩٤ ح ٤٥٦٦).

(١٤٣) وانظر خبر معاداته الإسلام ونفاقه عند البخاري وابن حجر الفتح (١٧/٩٣ - ٩٤ ح ٤٥٦٦)، وعند ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/٢٦٩ - ٢٧٠).

منهم، وستأتي أخبار كثير منهم ومواقفهم من الإسلام من خلال أحداث السيرة^(١٤٤).

أحكام وحكم من غزوة بدر:

- لقد تضمنت أحداث غزوة بدر أحكاماً وحكماً كثيرة، من أهمها:
- (١) جواز النكاية بالعدو، بقتل رجالهم وأخذ أموالهم وإخافة طرقهم التي يسلكونها، لما في ذلك من إضعافهم معنويا واقتصاديا.
 - (٢) جواز استخدام العيون لكشف أحوال العدو وإفشال خططه.
 - (٣) تأكيد الرسول ﷺ على مبدأ الشورى لأهل الحل والعقد وعامة المسلمين، وقد وردت أدلة على حجية الشورى في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسنة الخلفاء الراشدين.

فالأدلة من القرآن، قول الله تعالى: ﴿... وشاورهم في الأمر﴾^(١٤٥) و﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وما رزقناهم ينفقون﴾^(١٤٦)، ومن السنة استشارة الرسول ﷺ لأصحابه في الخروج أو البقاء في المدينة يوم أحد، وفي مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق على ثلث نهار المدينة، وغير ذلك كثير مما ستقف عليه في هذا الكتاب. وقد قال أبوهريرة (رضي الله عنه): «ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»^(١٤٧).

أما أدلة حجيتها من سنة الخلفاء الراشدين قول ابن الخطاب في الشورى عند اختيار الحاكم: «الإمارة شورى»، «من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره من غير مشورة من المسلمين فلا يحل لكم إلا أن تقتلوه»، «فمن بايع

(١٤٤) وانظر: هذا الحبيب محمد ﷺ، ص ص ١٨٩ - ١٩٤، حيث أشار الشيخ الجزائري إلى بعض المواقف لبعضهم.

(١٤٥) آل عمران: ١٥٩. وقد نزلت هذه الآية عقب غزوة أحد.

(١٤٦) الشورى: ٣٨، وهي آية مكية، وقد جعلت الشورى من خصائص المؤمنين.

(١٤٧) الزمزمي: السنن (٥/٣٧٥ ح ١٧٦٧ / تحفة الأحاديث) وفي إسناده مقال ولكن معناه مما يكاد يكون متواترا عن النبي ﷺ.

- أميرا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا الذي بايعه^(١٤٨).
- ٤) جواز المبارزة بإذن الأمير، وهذا قول عامة أهل العلم^(١٤٩).
- ٥) المساواة بين الجندي وقائده في السلم والحرب سواء، وقد اتضح ذلك من قصة سواد مع الرسول ﷺ، إذ كشف الرسول ﷺ عن بطنه ليقتاد منه سواد. وهو فعل الخلفاء من بعده: أبوبكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم).
- ٦) جواز فداء الأسارى أو المن عليهم.
- ٧) لا حرج من قتل الأسير قبل أن يصل إلى يد الإمام، كما فعل بلال ومن معه من الأنصار عندما قتلوا أمية بن خلف وهو في أسر عبدالرحمن ابن عوف.
- ٨) أحلت الغنيمة لهذه الأمة، وقسمتها على المقاتلين بعد تخميسها.
- ٩) من قتل قتيلًا فله سلبه، على شرط: أن يكون المقتول من المقاتلة وليس ممن نهى الرسول ﷺ عن قتلهم، وهم النساء والصبيان والشيوخ القانون... إلخ، وأن يكون في المقتول منفعة وغير مشخن بالجراح، أن يقتله أو يشخنه بجراح تجعله في حكم المقتول، وأن يقرر بنفسه في قتله، فأما إن رماه بسهم من صف المسلمين فقتله فلا سلب له^(١٥٠).
- ١٠) دلت واقعة قضية الأسرى على أن الرسول ﷺ كان له أن يجتهد، والذين ذهبوا إلى هذا - وهم جمهور علماء الأصول - استدلوا على ذلك بمسألة أسرى بدر. وإذا صح للرسول ﷺ أن يجتهد، صح منه بناء على ذلك أن يخطئ في الاجتهاد ويصيب. غير أن الخطأ لا يستمر، بل لا بد من أن تنزل آية من القرآن تصحح له اجتهاده، فإذا لم تنزل آية فهو دليل على صحة اجتهاده ﷺ.
- ١١) الأصل أن يبذل المسلمون كافة جهودهم في الإعداد للمعركة وفي

(١٤٨) روى هذه الآثار عبدالرزاق: المصنف (٤٤٥/٥) وما بعدها) بأسانيد صحيحة. وأشار المحقق إلى أن البخاري قد أخرجه من طريقين في رجم الحبل.

(١٤٩) انظر تفصيل ذلك عند ابن قدامة: المغني (٣٦٧/٨) وما بعدها) طبعة الرياض.

(١٥٠) انظر تفصيل ذلك في المرجع نفسه، ص ص ٣٨٧ - ٣٩١، من الجزء الثامن.

مجاهدة العدو، قال تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل...﴾ ومع ذلك فإن الله يؤيد جنده بخوارق لتعينهم على النصر، إذا كانوا أهلاً له، كما حصل بإمداد الملائكة في بدر، وبأن غشى الله النعاس عيون المؤمنين، وأنزل عليهم المطر.

(١٢) نبه الله المؤمنين إلى حقيقة هامة وهي أن لا يجعلوا حب المال يسيطر عليهم عند النظر في قضاياهم الكبرى التي قامت على أساس النظر الدينية وحدها، مهما كانت الحال والظروف، ولذا عالج الله تجربة رؤية الغنائم مع الحاجة والفقر واختلافهم فيها، ومسألة الأسرى، بوسائل تربوية دقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال، قل الأنفال لله والرسول، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم...﴾ (١٥١)، و﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى... تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة...﴾ (١٥٢)(١٥٣).

(١٣) إن أهل بدر مغفور لهم يوم القيامة، أما أحكام الدنيا فإنها تؤخذ منهم، ويعاقبون عليها إن أتوها كما وقع لقدامة بن مظعون، عندما حد في الخمر.

(١٤) إن من سنة الرسول ﷺ بعد انتهاء المعركة أن يقيم في العرصة مكانها - ثلاثة أيام.

(١٥) السنة في الشهداء أن يدفنوا في مضاجعهم، كما حدث لشهداء بدر وأحد ولا يصلى عليهم كما ثبت بالنسبة لشهداء أحد، ولم يذكر أنه صلى على شهداء بدر (١٥٤).

(١٦) لقد تجلّت في بدر بطولات إيمانية كثيرة، على سبيل المثال ما روي من أن اباعبدة عامر بن الجراح قتل والده الجراح يوم بدر. فقد جعل

(١٥١) الأنفال: ١.

(١٥٢) الأنفال: ٦٧.

(١٥٣) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ١٧٦ - ١٧٨.

(١٥٤) أخذنا هذه الخلاصة لأبرز الأحكام الفقهية في غزوة بدر من كتاب: مرويّات غزوة بدر للدكتور أحمد باوزير، ص ٤٣٩ - ٤٤٧، باختصار وتصرف يسير، ليتناسب ذلك مع منهجنا في تناول القضايا الفقهية، وهو الاختصار.

والد أبي عبيدة يتصدى لابنه أبي عبيدة يومذاك فيحيد عنه الابن، فلما
أكثر قصده فقتله، فنزلت الآية: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ (١٥٥)(١٥٦).

وروى ابن إسحاق^(١٥٧) من حديث أبي عزيز بن عمير، قال: «مر بي
أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسري، فقال: شُدَّ يديك به
فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك!...» وزاد ابن هشام^(١٥٨) على هذه
الرواية فقال: «فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر، وهو الذي أسره،
ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصاتك بي! فقال له مصعب:
إنه أخي دونك...»

(١٥٥) المجادلة: ٢٢.

(١٥٦) أخرجه الطبراني بإسناد جيد عن عبدالله بن شوذب، كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٢/٢٥٢ - ٢٥٣).

(١٥٧) و (١٥٨) ابن هشام (٢/٣٤٩)، وإسناد ابن إسحاق منقطع ولم يسند ابن هشام روايته.

الفصل السادس

النشاط العسكري والأحداث ما بين بدر وأحد:

المبحث الأول: سرية قتل عصماء بنت مروان:

كانت عَصَاء بنت مروان ممن يؤذي النبي ﷺ وتعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ. وقالت في ذلك شعرا. فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: ألا آخذُ لي من ابنة مروان؟ فسمع ذلك عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْخَطِيمِ - من قوم زوجها - فجاءها في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها، وحوّلها نفر من ولدها منهم من ترضعه في صدرها، فجسها بيده، لأنه كان أعمى، ونحى الصبي عنها ثم قتلها، ثم صلى الصبح مع النبي ﷺ، فقال له: أقتلت ابنة مروان؟ قال نعم، فقال له النبي ﷺ: نصرت الله ورسوله يا عمير^(١)، فقال عمير: هل علي في ذلك شيء؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان^(٢). فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله ﷺ، وسأه رسول الله ﷺ عميرا البصير. وكان ذلك في الخامس والعشرين من رمضان، على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة، بعد عودته من بدر مباشرة.

وأسلم يومئذ رجال من بين خطمة لما رأوا من عز الإسلام، وجهر بإسلامه من كان يستخفي به^(٣).

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد لم يصرح فيه بالسباع، وهو ضمن روايته قصة مقتل عصماء - ابن هشام (٣٧٩/٤) فالرواية ضعيفة.

(٢) المصدر نفسه، ورواه أبو داود في سننه (٥٢٨/٤ - ٢٩/ك. الحدود/ب. الحكم فيمن سب النبي ﷺ)، من غير طريق ابن إسحاق، بإسناد متصل ورجاله ثقات، كما قال ابن حجر في بلوغ المرام (٢٤١/٢).

(٣) وانظر القصة في كتب المغازي والسير: ابن إسحاق - بإسناد لم يصرح فيه بالسباع - ابن هشام (٣٧٧/٤ - ٣٧٩) - وعنده أن قتلها كان بعد قتل ابن عفاك، الواقدي (١٧٢/١)، ابن سعد (٢٧/٢) - بدون إسناد.

المبحث الثاني: غزوة بني سليم بالكُدر:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من بدر لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه، يريد بني سليم، وذلك في شوال من العام الثاني للهجرة. فبلغ ماء من مياههم، يقال له: الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق حرباً^(٤).

المبحث الثالث: مؤامرة لاغتيال الرسول ﷺ^(٥):

تذاكر عمير بن وهب وصفوان بن أمية مصابهم في بدر. فأسر عمير بن وهب إلى صفوان بأن لولا دين عليه وعيال يخشى عليهم الضيعة لركب إلى محمد حتى يقتله، فاجتمعت صفوان الفرصة، فالتزم له بقضاء دينه وضم عياله إلى عياله إن هو قتل محمداً وأصابه شر. واستكتمه الخبر. وعندما جاء المدينة رآه عمر فتوجس منه خيفة، فاقتاده إلى الرسول ﷺ، ودار بينهما حوار، جاء فيه أن الرسول ﷺ طلب منه أن يصدقه القول في سبب مجيئه، فذكر أنه جاء ليفتدي ابنه وهباً. وعندما أصر على الكذب، كشف له الرسول ﷺ عما دار بينه وبين صفوان، وهما بمكة، وهو بالمدينة، فتعجب عمير من هذا، وكان ذلك سبباً في إسلامه. فطلب الرسول ﷺ من أصحابه أن يفقهوه في الدين ويطلقوا له أسيره. وأذن له الرسول ﷺ في أن يعود إلى مكة ليدعو إلى الإسلام بالحماسة نفسها التي كان يدعو بها إلى الكفر. فأسلم على يديه خلق كثير.

المبحث الرابع: سرية سالم بن عُمَيْر لقتل أبي عَفْكَ:

لقد نجم نفاق أبي عفك، أحد بني عمرو بن عوف، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن أسويد بن صامت، وقال في ذلك شعراً. فقال رسول

(٤) رواها ابن إسحاق بدون إسناد - ابن هشام (٦٤/٣).

(٥) روى قصة هذه المؤامرة: ابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٣٧١/٢ - ٣٧٤) وقال ابن حجر في الإصابة (٣٧/٣): «رواه موسى بن عقبة في مغازيه، والأسود عن عروة مرسلًا وابن منده متصلًا، وقال: غريب لا نعرفه عن ابن عمران إلا من هذا الوجه، والطبراني وقال: لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك» ورواية الأسود وابن عقبة في دلائل النبوة للبيهقي (١٤٧/٣ - ١٤٩).

الله ﷺ: «من لي بهذا الخبيث؟» فخرج سالم بن عمير، فقتله. وكان ذلك في شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة^(٦).

المبحث الخامس: غزوة بني قينقاع:

أ - تاريخ الغزوة:

ذكر معظم أهل المغازي والسير أنها وقعت بعد بدر، ورجح ذلك ابن حجر^(٧)، مستندا إلى رواية ابن عباس في سنن أبي داود^(٨)، وحكم عليها بالحسن، وقواه برواية عبادة بن الوليد في مغازي ابن اسحاق^(٩). وقد حدد الزهري^(١٠) أنها كانت في شوال من السنة الثانية الهجرية، ويضيف الواقدي^(١١) وابن سعد^(١٢) أنها كانت يوم السبت للنصف من شوال.

ب - أسبابها:

تذكر كتب السيرة سببين لهذه الغزوة، الأول: أن يهود بني قينقاع أظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمون ببدر، ويظهر ذلك في موقفهم من الرسول ﷺ عندما جمعهم في سوقهم بعد بدر، وقال لهم: «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا، فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا في قريش كانوا أغهارا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنت لم تلق مثلنا»، فأنزل الله ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد. قد كان لكم آية

(٦) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣٧٦/٤ - ٣٧٧)، وابن حجر في الإصابة (٢٣٨/٤) كذلك معلقا، والواقدي (١٧٤/١ - ١٧٥) وفيه أنه حشد الرسول ﷺ عندما انتصر ببدر، وابن سعد (٢٨/٢) دون إسناد، وعنده أنه كان يهوديا.

(٧) الفتح (٢٠٤/١٥).

(٨) (٤٠٣ - ٤٠٢/٣).

(٩) ابن هشام (٧١/٣ - ٧٢) بإسناد مرسل.

(١٠) في تاريخ الطبري (٤٧٠/٢ - ٨٠) مرسلا.

(١١) المغازي (١٧٦/١).

(١٢) الطبقات (٢٨/٢ - ٢٩) دون إسناد.

وخلاصة القول إن الآثار كلها ضعيفة ولكن تتقوى بعضها ببعض لترتفع إلى درجة الحسن لغيره كما قال الدكتور السندي: مرويات تاريخ يهود المدينة، في عهد النبوة، ص ٨٣.

في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونها مثلهم رأي العين، والله يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار^(١٣).

والسبب الثاني هو أن أحدهم عقد طرف ثوب امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع، فلما قامت انكشفت، فصاحت مستنجدة، فقام أحد المسلمين فقتل اليهودي، وتوالت عليه اليهود فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود. فغضب المسلمون، ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع^(١٤).

وإذا قبلنا تحسين ابن حجر لرواية ابن إسحاق في السبب الأول، فهذا لا يعني أن سبب إجلالهم يعود إلى رفضهم الدخول في الإسلام، لأن الإسلام في هذه المرحلة كان يقبل التعايش السلمي معهم، وأن نصوص صحيفة المدينة تؤكد إعطاء اليهود حريتهم الدينية في المدينة، وإنما يعود سبب الإجلاء إلى ما أظهره من روح عدائية ضد المسلمين، انتهت إلى الإخلال بالأمن داخل المدينة ومن ذلك قصة المرأة المسلمة معهم^(١٥).

ج - الحصار والإجلاء:

إن خبر إجلاء بني قينقاع ثابت في الصحيحين^(١٦)، وأما تفاصيل الحصار فقد أورده ابن إسحاق^(١٧) والواقدي^(١٨) وابن سعد^(١٩)، وتابعهم المؤرخون في ذلك.

وقد ورد في تفاصيل خبر حصارهم أنهم كانوا صاغة وحلفاء عبد الله بن

(١٣) أبو داود: السنن (٤/٢٠٢/٣) بإسناد فيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت - حكم عليه ابن حجر في التصريح بأنه مجهول ص ٥٥٥، ومع ذلك حسنه ابن حجر في الفتح (٢٠٤/١٥) ومحمد الذهبي في التفسير والمفسرون (٧٩/١) وخلاصة دراسة السندي أن روايات هذه الحادثة تتقوى ببعضها وتصلح للاحتجاج بها - (السندي: مرويات يهود المدينة، ص ٧٧)، وانظر آل عمران: ١٢ - ١٣.

(١٤) ابن هشام (٧٠/٣) بإسناد ضعيف لأنه موقوف على أبي عون وهو تابعي صغير مجهول، وفيها انقطاع بين ابن هشام وعبد الله بن جعفر - انظر السندي، ص ٧٩، والعمرى: المجتمع المدني - التنظيمات، ص ١٣٧. والألباني: دفاع، ص ص ٢٦ - ٢٧. والرواية يستأنس بها.

(١٥) العمرى: المجتمع المدني - تنظيماته...، ص ١٣٨.

(١٦) البخاري/ الفتح (٢٠٣/١٥) - ٢٠٤/٢٠٤ ح ١٣٨٨ - ١٣٨٧/٣ (١٧٦٦).

(١٧) ابن هشام (٧٠/٣) - ٧٢ وإسناده مرسل، ولكنه يتقوى مع التابعة.

(١٨) المغازي (١٧٦/١) بإسناد ضعيف.

(١٩) الطبقات (٢٩/٢) دون إسناد.

أبي بن سلول، وكانوا أشجع اليهود. فلما أظهروا العداوة والبغضاء، خشي الرسول ﷺ خيانتهم، فنبذ إليهم على سواء كما أمره الله (عز وجل) في مثل هذه الحالات، إذ يقول الله ﴿ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين﴾^(٢٠). وحاصره خمس عشرة ليلة. وعندما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم الرسول ﷺ على أن لهم أموالهم، وأن لهم النساء والذرية، فأمر بهم فكفوا، ثم كلمه فيهم حليفهم ابن سلول، وألح في ذلك قائلاً: «أربعائة حاسر وثلاثائة دارع منعوني من الأحمر والأسود وتحصدهم في غداة واحدة؟»، فقال رسول الله ﷺ: «هم لك»^(٢١)، وأمر بهم أن يجلوا عن المدينة. وتولى أمر ذلك عبادة بن الصامت، فلحقوا بأذرع، وتولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة، فقسمت بين الصحابة بعد إخراج الخمس للرسول ﷺ^(٢٢).

وكان عبادة بن الصامت قد تبرأ من حلفهم عندما حاربوا الرسول ﷺ، وفيه وفي ابن سلول نزل قول الله تعالى: ﴿يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض...﴾^(٢٣).

د - أحكام وعبر:

١) دلت هذه الحادثة على حقد وعداوة اليهود واتخاذ ما يستطيعون من وسائل للغدر بالمسلمين وإمامهم.

٢) هذه الحادثة وما أعقبها من دفاع عبدالله بن أبي بن سلول عن اليهود

(٢٠) الأنفال: ٥٨.

(٢١) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٧٠/٣ - ٧١)، الواقدي (١٧٧/١ - ١٧٨) وابن سعد (٩٢/٢) بدون إسناد وفيه الآية. وجاء خبر تثبيت ابن سلول ببني قينقاع في أثرين ضعيفين لابن إسحاق لأنها موقوفان على عاصم وعبادة، ولكن كل منهما يقوي الآخر ويرتقيان إلى درجة الحسن لغیره، ويقوي ذلك أكثر ذكر ذلك عند أهل المغازي والسيرة الآخرين - قاله السندي ص ٩٦.

(٢٢) ابن سعد (٩٢/٢) دون إسناد.

(٢٣) المائدة: ٥١ - ٥٢. وروى الخبر ابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٧١/٣ - ٧٢) - يتقوى مع المتابعات والشواهد، مثل رواية ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧٥/٦) بسند ضعيف لأن فيه عطية بن سعد، فهو مدلس، ولم يصرح بالسباع، ورواية ابن مردويه في التفسير من طريق عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده عبادة، حيث روى أنها نزلت فيه - ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور (٢٩١/٢).

بالكيفية التي علمنا، ودوره في كثير من أحداث الفن، والتخذييل والترويج للإشاعات المغرضة في صفوف المسلمين، دليل قاطع على نفاقه. ومع ذلك عامله الرسول ﷺ على أنه مسلم. وهذا يدل - كما أجمع العلماء - على أن المنافق إنما يعامل في الدنيا من قبل المسلمين على أنه مسلم، ويتولى الله أمر باطنه يوم القيامة. ومن الأدلة على ذلك قول عمر (رضي الله عنه): «إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناء وقريناه، وليس إلينا من سريره شيء، والله يحاسبه في سريره، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريره حسنة» (٢٤).

والحكمة من معاملة الناس للمنافقين بحسب الظاهر، أن تظل العدالة بين الناس في مأمن من التلاعب، إذ ربما اتخذ بعض الحكام من حجة الأدلة الوجدانية والاستنتاجية وحدها ذريعة إلى الإضرار ببعض الناس بدون وجه حق (٢٥).

(٣٠) لا يجوز موالاة غير المسلمين، بل يجب البراءة منهم، إلا إذا كان المسلمون في حالة ضعف يضطرونهم إلى الموالاة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (٢٦).

المبحث السادس: غزوة السويق:

في الخامس من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة، وصل أبوسفينان إلى أطراف المدينة سرا، في مائتي فارس، ولجأ إلى بني النضير، ثم قام بمهاجمة ناحية العريض - واد بالمدينة في طرف حرة واقم -

(٢٤) البخاري/ الفتح ٦٧/١١ - ٦٨/١٠ ح ٢٦٤١.

(٢٥) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ١٨٢ - ٨٣.

(٢٦) آل عمران: ٢٨. وانظر تفاصيل هذه القضية عند مثل: محمد بن سعيد القحطاني: الولاء والبراء في الإسلام.

فقتل رجلين وأحرق نخلا وفر إلى مكة . وعندما علم المسلمون بهذا العمل الاستفزازي الإنتقامي ، نفروا في أثره حتى وصلوا قرقرة الكدر، فلم يلحقوا بهم، وقد رأوا أزوادا للقوم قد طرحوها في الحرث يتخفون منها للنجاء، فقال المسلمون حين رجع بهم الرسول ﷺ: «يارسول الله، أطمع لنا أن تكون غزوة؟ فقال: نعم^(٢٧)». وسميت بغزوة السوق لأن غالب الأزواد التي طرحوها كانت من السوق^(٢٨).

المبحث السابع: غزوة قَرْقَرَةَ الْكَدَرِ:

خرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه في منتصف المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من الهجرة، عندما بلغه أن جمعا من بني سليم وغطفان وبعض القبائل الأخرى تجمعت بقرقرة الكدر، وهو ماء لبني سليم، للتحرك ضد المسلمين. وعندما وصلهم فروا من وجهه وتركوا أنعامهم غنيمة باردة للمسلمين.

وكان مع الأنعام غلام يسمى يسار، جعله المسلمون في سهم الرسول ﷺ، فأعته^(٢٩).

المبحث الثامن: سرية قتل كعب بن الأشرف اليهودي:

ينتسب كعب إلى بني نبهان، وهم عشيرة من طيء، وكان أبوه قد أصاب دما في الجاهلية، فأتى المدينة، فحالف بني النضير، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق، فولدت له كعب بن الأشرف^(٣٠).

كان كعب شاعرا. وقد غاظه انتصار المسلمين بيدر، فسافر إلى مكة ليواسي المشركين في قتلهم ويحرضهم على أخذ الثار، ويهجو الرسول ﷺ.

(٢٧ و ٢٨) رواها ابن إسحاق بإسناد صحيح الى عبدالله بن كعب، لكنه مرسل - ابن هشام (٦٥/٣) - ٦٦ - ورواها الطبري في التاريخ من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد (٤٨٤/٢) - ولكن كتب عبدالله بن كعب بدلا عن عبدالله -، والواقدي (١٨١/١)، وابن سعد (٣٠/٢) بدون إسناد، وابن كثير في البداية (٣٧٨/٣) وعنده أنها هي غزوة قرقرة الكدر.
(٢٩) الواقدي (١٨١/١) وعنده انها قرارة الكدر، ابن سعد (٣١/٢) وعنده انها قرقرة الكدر.
(٣٠) انظر ابن حجر/ الفتح (٢٠٩/١٥) ك. المغازي/ ب. قتل كعب بن الأشرف، وابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٧٤/٣ - ٧٥)، والطبري في التاريخ (٤٨٨/٢).

وعندما سأله أبوسفیان قائلا: «أناشدك الله! أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ وأينا أهدى إلى ربك وأقرب إلى الحق؟ قال كعب: أنتم أهدى منهم سبيلا»، فأنزل الله على رسوله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالحجب والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ (٣١).

وعندما عاد إلى المدينة أخذ يقرض الشعر متشبها بنساء المسلمين، فأهدر الرسول ﷺ دمه. وتصدى لمهمة إنزال العقاب الرادع به: محمد بن مسلمة وأبونايلة، أخو كعب من الرضاع! ووضع ابن مسلمة خطة محكمة لذلك. فاستأذن الرسول ﷺ أن يقول فيه ما يطمئن اليهودي، أي يبدي تبرمه بمحمد ﷺ. وعندما جاءه طلب منه أن يقرضه تمرا ليدفعه للرسول ﷺ، مبديا تذمره منه لما يكلفهم به، فطلب كعب رهينة من النساء أو الأبناء، فاعتذر ابن مسلمة، لما يجبر عليهم ذلك من عار، واقترح عليه أن يرهن عنده بدل هذا سلاحا، فرضي كعب. فجاء ابن مسلمة ليلا ومعه أبونايلة - سلكان بن سلامة بن وقش - وعباد بن بشر والحارث بن بشر وأبوعبس بن جبر، من الأوس، فنادوه، فنزل، إليهم، على الرغم من تحذير امرأته له من مغبة ذلك، ومشى معهم، فاحتالوا لقتله، متظاهرين بشم عطر شعره، فاستمكنوا منه ثم قتلوه، حتى إن أحدهم أصيب بسيف أصحابه (٣٢).

وعندما احتجت اليهود على هذا الفعل، بين لهم الرسول ﷺ ما صدر من كعب من أفعال. وعندما فرغت يهود وبقايا المشركين مما حدث، وخافوا على أنفسهم، دعاهم الرسول ﷺ إلى كتابة معاهدة بينهم، فكتب صحيفة

(٣١) النساء: ٥١.

(٣٢) هذه خلاصة رواية البخاري/الفتح (٢١٠/١٥) ح/٤٠٣٧) ومسلم (١٤٢٥/٣ - ١٤٢٦/١ ح/١٨٠١). وروى القصة أبو داود في سننه (٢١١/٣ - ١٢/ك. الجهاد/ب. العدو يؤتى على غرة)، والبيهقي في الدلائل (١٨٧/٣ - ٢٠٠) بأسانيد مختلفة ومن عدة مصادر، وابن سعد (٣٢/٢ - ٣٤) والواقدي (١٨٤/١ - ١٩٣)، وروى ابن إسحاق الجزء الأول من القصة بإسناد مرسل - ابن هشام (٧٩/٣) وروى قصة خطة التنفيذ بسند حسن - ابن هشام (٨١/٣ - ٨٤) وهناك بعض الاختلاف بين رواية الصحيحين ورواية أهل المغازي والسير، فانظرها، ولكن المضمون واحد. انظر في ذلك شرح ابن حجر لحديث مقتل كعب في الفتح.

عامة كما تذكر رواية أبي داود^(٣٣). والراجح أن كتابة هذه الصحيفة جاء تأكيداً لما في المعاهدة التي كتبت قبل بدر بين المسلمين واليهود، والمشهورة بصحيفة المدينة^(٣٤).

وكان مقتله بعد بدر وقبل غزوة بني النضير^(٣٥)، وحدده الواقدي^(٣٦) بالسنة الثالثة لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة.

عظات وعبر:

(١) إن في قتل ابن الأشرف دليلاً على مشروعية الاحتفال على قتل من وجب قتله لغدره وخيائنه.

(٢) جواز الكذب على الأعداء وخداعهم، لأن الحرب خدعة.

(٣) إن في قتل الغادر الخائن تحويلاً لمن وراءه حتى لا يسلك مسلكه غيره ممن هم على شاكلته.

المبحث التاسع: غزوة ذي أُمُر:

بلغ الرسول ﷺ أن غطفان قد تجمعت في ذي أُمُر من نجد، فسار إليهم. وعندما علموا بذلك فروا أمامه^(٣٧). وذكر الواقدي^(٣٨) وابن سعد^(٣٩) أن المجتمعين على ماء ذي أُمُر هم من غطفان من بني ثعلبة بن مُحَارِب،

(٣٣) السنن (٤٠٢/٣ - ٤٠٣) ومزار الرواية على والد عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب، فإذا أراد الراوي بآبيه جده كعب فيكون الحديث متصلاً برواته ثقات، فهو صحيح، وإن أراد بآبيه والده عبدالله فيكون مرسلاً، ويحتاج إلى متابعة ليرتقي إلى درجة الحسن لغيره، ووجدت المتابعة عند أبيه في مجمه (١٩٥/٦ - ١٩٦) عن عبدالله بن كعب عن عمه نحوه نقلاً عن أحمد، وحكم على الرواية بأنهم من رجال الصحيح، وللحديث شواهد، فقد أخرجه البيهقي في الدلائل من طريقين (١٩٦/٣ - ١٩٧). وهذه المتابعات والشواهد تجعل حديث أبي داود قابلاً للاحتجاج به - كما قال السندي ص ١٠٨.

(٣٤) د. العمري: المجتمع المدني - تنظيماته ... ص ١٤٢.

(٣٥) انظر ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، حيث ذكروها قبل أحد.

(٣٦) المغازي (١٨٤/١ - ١٨٩).

(٣٧) ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٦٨/٣).

(٣٨) المغازي (١٩٤/١).

(٣٩) الطبقات (٣٤/٢).

وكان عدد جيش المسلمين أربعمئة وخمسين رجلا، وكان خروج المسلمين إليها لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، سنة ثلاث من الهجرة. وحددها الواقدي^(٤٠) بيوم الخميس.

وذكر الواقدي وابن سعد وقوع قصة دَعَثُور المحاريبي في هذه الغزوة. وخلاصتها أن المسلمين قد أصابهم مطر في طريق عودتهم، فابتل ثوب الرسول ﷺ، فجعل وادي ذي أمر بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها على شجرة لتجف، ثم اضطجع تحت الشجرة، والأعداء ينظرون إلى كل ذلك خلصة، فأغروا سيدهم الفاتك دعثور ليفتك بالرسول ﷺ وهو على هذه الحال. وعندما وقف بالسيف على رأس الرسول ﷺ قال: «من يمنعك مني اليوم؟» قال رسول الله ﷺ: «الله». ودفعه جبريل (عليه السلام) عنه حتى وقع السيف من يده، فأخذه الرسول ﷺ ووقف على رأسه قائلا: من يمنعك مني اليوم؟ قال: لا أحد. «فأسلم وعاد وحكى لقومه ما حدث، وأخذ يدعوهم إلى الإسلام، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾^(٤١).

المبحث العاشر: غزوة بُحْرَان - أو الفُرْع من بُحْرَان:

خرج النبي ﷺ في ثلاثمئة من الصحابة يريد قريشا كما ذكر ابن إسحاق^(٤٢)، ويريد بني سُلَيْم، كما ذكر الواقدي^(٤٣). ووصل إلى بحران من ناحية الفرع، على الطريق التجارية بين مكة والشام، ولم ينشب قتال بين الفريقين.

(٤٠) المغازي (١٩٣/١).

(٤١) المائدة: ١١.

وقصة دعثور المحاريبي ثابتة في الصحيحين ولكن بغير هذا السياق وفي غير هذه الغزوة، وأنه لم يسلم، والمتفق عليه بين أهل السير والصحيحين هو أن الله عصمه منه. وما في الصحيح أصح. وسيأتي ذكر القصة في غزوة ذات الرقاع من رواية البخاري ومسلم وابن إسحاق - إن شاء الله.

(٤٢) ابن هشام (٦٨/٣) - بدون إسناده، فهو ضعيف.

(٤٣) المغازي (١٩٦/١).

وكان ذلك في جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة كما ذكر الواقدي وتلميذه ابن سعد^(٤٤).

المبحث الحادي عشر: سرية القردة:

خافت قريش أن تسلك طريقها الذي كانت تسلكه إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، ففكروا في أن يسلكوا طريق العراق. فخرج أبوسفينان في جمع من تجار مكة، ومعهم فضة كثيرة، وكانت عظم تجارتهم، واستأجروا رجلا من بني بكر بن وائل، يدعى: فرات بن حيان، ليدلهم على الطريق. وعندما علم الرسول ﷺ بخبرهم أرسل في أثرهم زيد بن حارثة، فلقىهم على ماء بنجد يسمى القردة، فأصاب تلك العير وما عليها، وأعجزه الرجال. وكان ذلك بعد ستة شهور من غزوة بدر الكبرى^(٤٥)، الأول من جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة^(٤٦).

وذكر ابن سعد^(٤٧) أن هذه السرية كان بها مائة رجل، وأن الفضة كانت وزن ثلاثين ألف درهم، وقيمتها مائة ألف درهم.

وعندما فشلت خطة قريش في الخروج من الحصار الاقتصادي الذي ضربه عليها المسلمون، رأت أن تعجل بعمل عسكري ضد المسلمين في عقر دارهم، لعلها تفك هذا الحصار الاقتصادي وتعيد الأمن إلى تجارتها، وتعيد سمعتها التي انحطت بهزيمتها في بدر. فكانت غزوة أحد.

(٤٤) الطبقات الكبرى (٣٥/٢) - دون إسناد، وبذلك فهو ضعيف.

(٤٥) ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٧٣/٣).

(٤٦) الواقدي (١٩٧/١)، وابن سعد (٣٦/٢). بأسانيد ضعيفة.

(٤٧) الطبقات الكبرى (٣٦/٢). وإسناده ضعيف.

الفصل السابع

غزوة أحد:

تاريخ الغزوة: اتفق كتاب السيرة على أنها كانت في شوال من السنة الثالثة الهجرية^(١)، واختلفوا في اليوم الذي وقعت فيه. وأشهر الأقوال إنه السبت^(٢)، للنصف من شوال^(٣).

أسبابها: لقد كان السبب المباشر لها، كما أجمع على ذلك أهل السير، هو أن قريشا أرادت أن تنتقم لقتلها في بدر، وتستعيد مكانتها التي تزعزعت بين العرب بعد هزيمتها في بدر^(٤).

أما من بين الأسباب الأخرى الهامة التي يمكن استنتاجها من مجريات الأحداث، فهي أن قريشا تريد أن تضع حدا لتهديد المسلمين طرق تجارتهم إلى الشام، والقضاء على المسلمين قبل أن يصبحوا قوة تهدد وجودهم.

عدة المشركين: خصصت قريش قافلة أبي سفيان التي نجت من المسلمين^(٥)، وأرباحها، لتجهيز جيشهم لغزوة أحد^(٦)، وجمعت ثلاثة آلاف مقاتل من قريش ومن أطاعها من كنانة وأهل تهامة، ومعهم مئتا فرس، وسبعمائة

(١) انظر ذلك في مكانه عندهم.

(٢) قال الواقدي (١٩٩/١) وابن سعد (٣٦/٢) والبلاذري في الأنساب (٣١٠/١) إنها كانت يوم السبت لسبع خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وأسانيدهم ضعيفة.

(٣) من رواية خليفة بن خياط في تاريخه (ص ٩٧) بإسناد فيه مجهول، ومرسل، والطبري في التفسير (٣٩٩/٧) بإسناد فيه حسين بن عبد الله، وهو ضعيف، وابن إسحاق في السيرة (ص ٣٢٤)، بإسناد مركب مرسل، فيه الثقات والضعفاء، ورواية الطبري هي أصح ما في الباب. انظر الدكتور العمري: المجتمع المدني - الجهاد، ص ٦٥.

(٤) انظر في هذا: ابن إسحاق في السيرة، ص ٣٢٢، وابن إسحاق - ابن هشام (٨٦/٣ - ٨٨) بإسناد مرسل، فيه جمع من شيوخه، منهم الثقات ومنهم الضعفاء والواقدي (١٩٩/١) وابن سعد (٣٧/٢) من رواية الواقدي.

(٥) قاله ابن إسحاق في السيرة، ص ٣٢٢، وفي سيرة ابن هشام (٨٧/٣) بإسناد سبق الكلام عليه.

(٦) قاله الواقدي (٦٠٠/١).

دارع . وجعلت على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، وخرجت معهم مجموعة من النساء لإثارة حماسهم وخوفهم من العار إذا فروا . وذكر ابن إسحاق أنه كن ثانياً ، وقال الواقدي إنهن كن أربع عشرة ، وقد سمياهن^(٧) . وقال ابن سعد إنهن كن خمس عشرة امرأة^(٨) .

وأري الرسول ﷺ في منامه ما سيحدث في أحد ، وذكره لأصحابه ، قائلاً : « رأيت في رؤياي أني هزرت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرت أخرى فعاد كأحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت بقراً - والله خير - فإذا هم المؤمنون يوم أحد^(٩) . وفي رواية أخرى : « رأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة^(١٠) .

وفسر الرسول ﷺ هذه الرؤيا بأن هزيمة وقتلا سيقعان في أصحابه^(١١) . عندما علم الرسول ﷺ بمجيء جيش مكة لحرب المسلمين ، شاور أصحابه ، بين أن يبقوا داخل المدينة أو أن يخرجوا لملاقاة العدو خارجها . فقال جماعة من الأنصار : « يا بني الله ، إنا نكره أن نقتل في طرق المدينة ، وقد كنا نمتنع من الغزو في الجاهلية ، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه ، فابرز إلى القوم ، فانطلق رسول الله ﷺ فلبس لأمته^(١٢) . فتلاوم القوم فقالوا : عرض نبي الله ﷺ بأمر وعرضتم بغيره ، فاذهب يا حمزة فقل للنبي ﷺ : « أمرنا لأمرك تبع » ، فأتى حمزة فقال : « يا بني الله ، إن القوم قد تلاوموا ، فقالوا : أمرنا لأمرك تبع . فقال رسول الله ﷺ : « إنه ليس لنبي إذا لبس

(٧) انظر : ابن هشام (٨٧/٣) من رواية ابن إسحاق دون إسناده ، تاريخ الطبري (٥٠٤/٣) من رواية الواقدي ، والواقدي (٢٠١/١) .

(٨) الطبقات (٣٧/٢) .

(٩) رواه البخاري / الفتح (١٢٣/١٤ - ١٢٤/١٢٢) ، مسلم (١٧٧٩/٤ - ١٧٨٠/٤) ح (٢٢٧٢) .

(١٠) رواه أحمد : الفتح الرباني (٥٠/٢١) وصححه الساعدي إسناده ، وانظر الروايات الأخرى عنده (٥١/٢١) ، وعند ابن سعد (٢٤٥/٢) ، عند كليهما بإسناد رجاله ثقات ، ولكن فيه عنقه أبي

الزبير ، وهو مدلس .

(١١) أحمد : المصدر نفسه .

(١٢) اللأمة : الدرع الحصينة وسائر أداة الحرب . وقد ترك الحمزة للتخفيف .

لأتمته أن يضعها حتى يناجز»^(١٣).

إن ما ذكره ابن إسحاق^(١٤) وغيره من أن عبدالله بن أبي كان موافقا لرأي رسول الله ﷺ في البقاء داخل المدينة، فقد روى الطبري^(١٥) عن السدي خلاف ذلك، وهو أثر إسناده صحيح ورجاله ثقات ولكنه مرسل، وفيه من يَهم ويكثر الخطأ، ولذلك رجح الباكري^(١٦) رواية ابن إسحاق لصحتها وإجماع أهل السير على ذلك، وأن حجة ابن سلول في الرجوع عن أحد أن الرسول ﷺ لم يطمعه.

وما ذكره أهل السير أن من دوافع الراغبين في الخروج، إظهار الشجاعة أمام الأعداء والرغبة في المشاركة في الجهاد لما فاتهم من فضل الاشتراك في بدر.

أما دوافع الرسول ﷺ ومن كان على رأيه في البقاء داخل المدينة فهو الاستفادة من حصون المدينة وطاقت كل المواطنين مما يرجح فرصة دحر المهاجمين^(١٧).

وبعد أن حسم الرسول ﷺ أمر الخروج رفعت راية سوداء^(١٨) وثلاثة ألوية: لواء للمهاجرين، حمله مصعب بن عمير، وحمله بعد استشهاده علي ابن أبي طالب، ولواء للأوس حمله أسيد بن حضير، ولواء للخزرج، حمله الحباب بن المنذر^(١٩). وبلغ عدد من سار تحتها ألفاً من المسلمين ومن

(١٣) تفسير الطبري (٣٧٢/٧ - ٧٣/شاهر) بإسناد حسن ولكنه مرسل إلى قتادة، ووصله أحد (المسند: ٣/٣٥١، والرباعي ٢١/٥١ - ٥٢) والمجمع (١٠٧/٦) وفيه عن عتبة أبي الزبير، وهو مدلس، وتقويه رواية البيهقي في الدلائل (٣/٢٠٤) بإسناد حسن عن ابن عباس، وأخرى من طريق موسى بن عتبة مرسل عن الزهري (٣/٢٠٨)، ورواه عبدالرزاق في مصنفه (٥/٣٦٤ - ٣٦٥) مرسل عن عروة، والحاكم (٢/١٢٨ - ٢٩، ٢٩٦، ٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه ابن سعد (٢/٣٨) معلقاً. ويصح الحديث بمجموع هذه الطرق - انظر: الألباني في تعليقه. على فقه السيرة للفرزالي، ص ٢٦٩، ورسالة حسين الباكري للماجستير: مرويات أحد، ص ٦٢، والعمرى، انجتمعت - الجهاد، ص ٦٧، وهمام سعيد وأبو صعلوك في سيرة ابن هشام (٣/٩٢).

(١٤) ابن هشام (٣/٩١).

(١٥) تفسيره (٧/١٦٢) والتاريخ (٣/١١).

(١٦) مرويات غزوة أحد، ص ٦٢.

(١٧) انظر: ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٣/٩١ - ٩٢)، الواقدي (١/٢٠٩ - ٢١١)،

ابن سعد (٢/٣٨).

(١٨) تاريخ ابن خياط، ص ٦٧، بإسناد حسن إلى سعيد بن المسيب، مرسل، ومراسيله قوية.

(١٩) الواقدي (١/٢١٥)، ولم ترد رواية صالحة للاحتجاج بها في أمر الألوية.

ظاهريهم، وكان معهم فرسان ومائة دارع^(٢١). وكان الرسول ﷺ يرتدي درعين^(٢٢).

وعندما تجاوز الرسول ﷺ في مسيره إلى أحد ثنية الوداع رأى كتيبة خشنة، فقال: «من هؤلاء؟ قالوا: هذا عبدالله بن أبي بن سلول في ستمائة من مواليه من اليهود من أهل قينقاع، وهم رهط عبدالله بن سلام. قال: وقد أسلموا؟ قالوا: لا يارسول الله. قال: قولوا لهم فليرجعوا فإننا لا نستعين بالمشركين على المشركين»^(٢٣). وإذا صح هذا الخبر يكون جلاء قينقاع بعد أحد.

وعندما وصل جيش المسلمين الشوط^(٢٤)، انسحب المنافق ابن سلول بثلاثمائة من المنافقين، بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعتزلاً على قرار القتال خارج المدينة، قائلاً: «أطاع الولدان ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا»^(٢٥).

ورأت فرقة من الصحابة قتال هؤلاء المنافقين، ورأت الفرقة الأخرى عدم ذلك، فنزلت الآية الكريمة ﴿فَالَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فُتْنٌ وَاللَّهُ أَرْكَسُهُمْ﴾^(٢٥) بما كسبوا^{(٢٦)(٢٧)}.

- (٢٠) الطبقات (٣٩/٣)، وتاريخ الطبري (٥٠٤/٣).
 (٢١) من حديث رواه الحاكم في المستدرک (٢٥/٣) وصححه ووافقه الذهبي، الواقدي (٢١٩/١).
 (٢٢) رواه ابن سعد في موضعين، الأول (٣٩/٢) دون إسناده، والثاني (٤٨/٢) وهو الذي أثبتناه بإسناده فيه مقال، لأن ابن خدّاش صدوق يخطئ وعمر بن عمرو صدوق له أوهام، وابن المنذر مقبول، ولكنه يتقوى بالشواهد والتابعات، مثل: رواية الحاكم في المستدرک (١٢٢/٢)، والبيهقي في سننه (٣٧/٩)، والطبراني كما في مجمع البحرين (٢٢٣/٢)، والهيتمي في المجمع (٢٠٣/٦)، وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سعد بن المنذر، ذكره ابن حبان في الثقات، وبقيّة رجاله ثقات، وابن إسحاق بإسناده منقطع - ابن هشام (٩٣/٣)، والواقدي (٢١٥/١ - ٢١٦).
 (٢٣) هو مكان ملعب التعليم بالمدينة الآن. قاله المياثي في: «المدينة بين الماضي والحاضر»، ص ٣٦٩، والبلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٧٠. وعند الواقدي أن مكان الانسحاب كان عند منطقة الشيخين، قريباً من أحد - المغازي (٢١٩/١).
 (٢٤) ابن إسحاق - دون إسناده - ابن هشام (٩٢/٣)، الواقدي (٢١٩/١)، ابن سعد (٣٩/٢)، البيهقي: دلائل النبوة (٢٠٨/٣) من رواية موسى بن عقبة مرسلًا. وروى البخاري وغيره أنه: «لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد، رجع ناس من خرج معه... - انظر: البخاري/ الفتح (١٥/٢٣٢ ح ٤٠٥٠) والباكري، ص ٧١.
 (٢٥) أركسهم: بددهم.
 (٢٦) النساء: ٨٨.
 (٢٧) قاله البخاري/ الفتح (١٥/٢٣٢ ح ٤٠٥٠). وانظر الآثار الواردة في هذا عند الطبري في تفسيره (٧/٩ - ٩/٩) وقد روى آثاراً أخرى في سبب نزول الآية - انظره في (٩/٩ - ١٦).

واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام عند انسحابهم، وأخذ يقول لهم: «أذكركم الله أن تتخذوا قومكم ونيبكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقتاتلون ما أسلمناكم ولكننا لا نرى أن يكون قتال. فلما استعصوا عليه، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه، وقد أشار القرآن إلى هذا الحوار في قوله تعالى: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيأذن الله وليعلم المؤمنين. وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، والله أعلم بما يكتمون﴾ (٢٨)(٢٩).

وكادت بنو سلمة - من الخزرج - وبنو حارثة - من الأوس - أن تتخذل مع المنافقين لولا أن الله ثبتهم مع المؤمنين، وفيهم قال الله (عز وجل) ﴿إذ هم طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما...﴾ (٣٠)(٣١).

ورد الرسول ﷺ في معسكره بالشيخين جماعة من القتيان لصغر أستاذهم، إذ كانوا في سن الرابعة عشرة أو دون ذلك، منهم: عبدالله بن عمر وزيد ابن ثابت وأسامة بن زيد والنعمان بن بشير وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس وأبوسعيد الخدري، .. بلغ عددهم أربعة عشر صبياً، وقد ذكرهم ابن سيد الناس^(٣٢). وقد ثبت أن ابن عمر كان منهم^(٣٣)، وأجاز منهم رافع بن خديج لما قيل له إنه رام، وسَمَرَةُ بن جُنْدُب، لأنه احتج بأنه أقوى من رافع ويصرعه^(٣٤).

وفي تلك الليلة قام ذكوان بن عبد القيس بحراسة الجيش، ويقال كان

(٢٨) آل عمران: ١٦٦ - ١٦٧.

(٢٩) رواه ابن إسحاق مرسلًا - ابن هشام (٩٣/٣).

(٣٠) آل عمران: ١٢٢.

(٣١) روى ذلك البخاري/ الفتح (٥/٢٣٣) ح (٤٠٥١).

ومسلم (٤/١٩٤٨) ح (٢٥٠٥)، وابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (١٥٤/٣)، وتفسير

الطبري (٧/١٦٦). وانظر البيهقي: الدلائل (٣/٢٢٠ - ٢٢٢).

(٣٢) عيون الأثر (٧/٢). وانظرهم عند: الواقدي (١/٢١٦) وابن هشام (٩٦/٣) دون إسناد.

(٣٣) رواه البخاري/ الفتح (١٥/٢٧٦) ح (٤٠٩٧)، ومسلم (٣/١٤٩٠) ح (١٨٦٨).

(٣٤) ابن هشام (٩٦/٣) دون إسناد.

يحرص رسول الله ﷺ لم يفارقه (٣٥).

وعندما تحرك الجيش في صباح السبت لملاقاة العدو، مروا بحائط مرنع ابن قَيْظِي، وكان أعمى البصر منافقا، فأخذ يحثو التراب في وجوه المسلمين، ويقول: «إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي، والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه»، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر»، وقد شجّه سعد بن زيد قبل هذا النهي (٣٦).

وفي الطريق إلى ميدان المعركة طلب عمر من أخيه زيد أن يأخذ درعه، فقال له زيد: «إني أريد من الشهادة مثل الذي تريد»، فتركاه جميعا (٣٧).

وعندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أحد جعل الرسول ﷺ ظهورهم إلى الجبل ووجوههم إلى المدينة. وانتقى خمسين من الرماة تحت إمرة عبدالله ابن جبير، ووضعهم فوق تل عينين المقابل جبل أحد، خشية أن يطوق المشركون المسلمين. وأصدر أوامره إليهم قائلا: «إن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم» (٣٨). وبذلك سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي لجيش مكة ليواجه أحد وظهره إلى المدينة.

وعند التحام الجيشين نادى أبو عامر - عبد عمرو بن صَيْفِي (٣٩) - قومه من الأوس لينضموا معه للحرب في صفوف المشركين، ولكنهم اغلظوا له في الرد قائلين له: «فلا أنعم الله بك عينا يافاسق» ولم يملك أن قال:

(٣٥) الواقدي (٢١٧/١) دون إسناد، وانظر قصته هنا.

(٣٦) ابن إسحاق، دون إسناد - ابن هشام (٩٤/٣)، الواقدي (٢١٨/١).

(٣٧) رواه الطبراني كما في المجمع (٢٩٨/٥) وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح»، وخرجه البكري، ص ٩٣: وقال: «لم أجد إبراهيم بن نصر، وإبراهيم بن حمزة صدوق، وعبد العزيز بن حد صدوق، وله متابعة ضعيفة أخرجه ابن سعد (٣٧٨/٣) وضعفها من قبل عبدالله بن عمر العمري، والحديث صحيح، وقد ذكره غير واحد من أهل السير».

(٣٨) البخاري/ الفتح (١٣٢/١٢) ح/ ٣٠٣٩ و (٢٢٤/١٥) ح/ ٢٢٥ - (٤٠٤٣)، وعند أحمد والحاكم: «أحموا ظهورنا فإن رأيتمونا تقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا - المسند (٢٠٩/٤) (شاعر) وصححه إسناده، والمستدرک (٢٩٦/٢) - وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وانظره بمعناه عند أهل المغازي والسير: الواقدي (٢١٩/١) - (٢٢٠)، ابن سعد (٣٩/٢) - (٤٠).

(٣٩) كان من الأوس، خرج من المدينة إلى مكة مباعدا لرسول الله ﷺ ومعه جماعة من غلمان الأوس، وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان. وكان يعرف بـ «الراهب» فسماه النبي ﷺ «الفاسق».

«لقد أصاب قومي بعدي شر». وأخذ في قتالهم بالحجارة^(٤١).

وبدأ القتال بمبارزة بين علي وطلحه بن عثمان، حامل لواء المشركين، فقتل علي طلحة^(٤٢). ثم التحم الجيشان واشتد القتال، واستبسل المسلمون حتى تمكنوا من دحر المشركين إلى معسكرهم، وأخذ الرسول ﷺ في زيادة رفع روحهم المعنوية بأن اخذ سيفاً وقال: «من يأخذ مني هذا؟ فيسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا. قال: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال أبو دجانة: أنا آخذه بحقه. فأخذه بحقه. فأخذه ففلق به هام المشركين^(٤٣).

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد: أمت، أمت^(٤٤)، فقد استماتوا تحت هذا الشعار، وسجل التاريخ استماتة حمزة وبسائته في القتال. فقد تصدى في المبارزة لسباع بن عبد العزى - فقتله^(٤٥)، ولغيره من عتاة

(٤١) ابن إسحاق - مرسل - ابن هشام (٩٧/٣ - ٩٨)، الواقدي (٢٢٣/١)، ابن سعد (٤٠/٢)

(٤٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨١/٧) بإسناد صحيح ولكنه من مراسيل السدي.

(٤٣) مسلم (١٩١٧/٤ ح ٢٤٧٠)، أحمد: المسند (١٢٣/٣) والحاكم (٢٣٠/٣) وصححه ووافقه الذهبي ولكن لم يوافقهما الباكري ص ١٠٨ وعد ذلك من أوهمها، لأن عبد الله مجهول، وابن سعد (٥٥٦/٣)، وابن إسحاق - ابن هشام (٩٧/٣)، وفي رواية ابن إسحاق - وهي من دون إسناده - أن أبا دجانة قال: وما حقه يارسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدو حتى ينحني...» وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يمثال عند الحرب، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء، فاعتصب بها، علم الناس أنه سيقا، فلما أخذ السيف من يد الرسول ﷺ أخرج عصابته تلك، فمصب بها رأسه وجعل ينيختر بين الصفيين، وحين رآه الرسول ﷺ قال: «ابننا لمشيء يفيضها الله إلا في مثل هذه المواطن» - إسناده مرسل وضعيف جداً كما خرجها الباكري، ص ١٠٦ من سيرة ابن هشام وسيرة ابن إسحاق ص ٣٢٦ وأسند الغابة (١٨٤/٥). وفي رواية الحاكم الضعيفة أن أبا دجانة قاتل به حتى انتهى إلى الجبل فوجد نسوة، إحداهن تقول: «نحن بنات طارق... نمشي على النار». أموى إليها بالسيف ليقتلها ثم تركها إكراماً لسيف رسول الله ﷺ أن يقتل به امرأة. وذكر أهل السير بأسانيد ضعيفة أنه عندما خرج متنيخراً، كان يقول:

«أنا السدي عاهدني خليلي
ألا أقوم الدهر في الكيول
ونحن بالسفح لسلى النخيل
أضرب بسيف الله والرسول

انظر الباكري: مرويات غزوة أحد، ص ١٠٩.

(٤٣) المستدرک (١٠٧/٢ - ١٠٨) وصححه وسكت عنه الذهبي، أبو داود (٧٤/٣) ك. الجهاد/ ب. الرجل ينادي، مسند أحمد (٤٦/٤)، الدارمي: السنن (٢١٩/٢) - مختصراً، ابن هشام (٩٩/٣) - بدون إسناده، الواقدي (٢٣٤/١). قال محققاً سيرة ابن هشام: «سند أحمد وأبي داود والحاكم صحيح رغم وجود عكرمة، لكن حديثه عن إياس صالح، ويشهد له حديث أبي العيس عن إياس عند الحاكم، وقال على شرط مسلم وعند الدارمي. وبه يكون الحديث صحيحاً.

(٤٤) ذكره البخاري في حديث وحشي الطويل عن قتل حمزة - الفتح (٢٤٧/١٥) والواقدي (٤٠٧٢/٢٤٧/١٥).

المشركين^(٤٥) أمثال عثمان بن أبي طلحة، أبي شيبة، أحد حملة لواء المشركين يومذاك.

وكان وَحْشِيٍّ مولى جُبَيْر بن مُطْعِمٍ قد اشترط عليه مولاه أن يعتقه إن هو قتل حمزة، ثأرا لعمه طعيمة بن عدي، الذي قتله حمزة يوم بدر. فكمن لحمزة تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحريته فقتله غدرا^(٤٦).

وقاتل مُضْعَب بن عُمَيْر حتى استشهد، وأخذ الراية بعده علي^(٤٧). وصدق المسلمون في اللقاء، فأوقعوا في المشركين القتل، وقتلوا أصحاب اللواء، حتى تركه المشركون وما يدنو منه أحد منهم^(٤٨). وانتصروا عليهم في هذه الجولة الأولى من القتال، وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾^{(٤٩)(٥٠)}.

وعندما انهزم المشركون بنسائهم - وقد بدت سوقهن وخلخلهن رافعات ثيابهن - قال أصحاب ابن جبير: «الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيب من الغنيمة» ثم هرعوا إلى جمع الغنائم. وكانت هذه فرصة مواتية لابن الوليد ليلتف حول المسلمين، فيراه

(٤٥) انظر: الوافدي (٣٠٧/١).

(٤٦) من حديث وحشي الطويل في قتل حمزة عند البخاري/ الفتح (٢٤٥/١٥ - ٤٩/ح ٤٠٧٢). وروى القصة كذلك: أحمد في مسنده: الفتح الرباني (٥٩/٢١ - ٦٠) وابن إسحاق بسند البخاري وحديثه - ابن هشام (١٠٢/٣ - ١٠٥).

(٤٧) ابن خياط في التاريخ، ص ٦٧ من مرسل ابن المسيب، وهي قوية.

(٤٨) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (١١٢/٣).

(٤٩) آل عمران: ١٥٢. والجس: القتل.

(٥٠) البخاري/ الفتح (٢٢٥/١٥) ح ٣٠٤٣، وانظر الآثار التي أوردها الطبري في تفسير هذه الآية: التفسير (٢٨١/٧ - ٢٨٨) الآثار من رقم ٨٠٠٤ - ٨٠١١/شاذر) خاصة الأثر ٨٠٠٨، وابن كثير في التفسير (١١٤/٢ - ١١٥) من رواية الإمام أحمد: المسند (٢٨٧/١، ٢٨٨) من حديث ابن عباس، وقال ابن كثير: «هذا حديث غريب، وساق عجيب، وهو من مراسلات ابن عباس، فإنه لم يشهد أحد ولا أبوه... وقد أخرجه الحاكم (٢٩٦/٢) عن أبي النضر الفقيه... وهكذا رواه ابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل... ولبعض شواهد في الصحاح وغيرها». وساق ابن كثير الشواهد على صحة الحديث في التفسير وفي التاريخ (٢٩/٤) وما بعدها، وقال الساعاتي في الفتح الرباني (٥٥/٢١): «أخرجه الحاكم والطبراني في الكبير، وصححه الحاكم وأقره الذهبي... وأورده البيهقي وقال: «رواه أحمد وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد، وقد وثق على ضعفه». وانظر الخبر عند ابن سعد (٤١/٢) - معلقا.

المشركون فيعودوا إلى ميدان القتال مرة أخرى^(٥١)، محيطين بالمسلمين. وارتبك المسلمون إلى الحد الذي لم يقدر أن يميز بعضهم المسلم من الكافر. وفي هذه اللحظات قتل المسلمون البيان - والد حذيفة - وابنه حذيفة بصرخ فيهم: «أي عباد الله، أبي، ثم قال لهم عندما قتلوه: يغفر الله لكم»^(٥٢). واستشهد من المسلمين خلق كثير، وغاب الرسول ﷺ عن أعينهم، وشاع أنه قد قتل^(٥٣).

وفر جمع من المسلمين من الميدان. وجلس بعضهم دون قتال^(٥٤)، وتصدى آخرون للمشركين وحرصوا المؤمنين على القتال حتى نالوا الشهادة. ومن هؤلاء أنس بن النضر الذي كان يتشوق لتعويض مافاته من فضل بدر. فقال عندما رأى بعض المسلمين قعوداً: «الجنة ورب النضر إني أجد رجحاً من دون أحد». وعندما انجلت الغمة وجد في جسده بضع وثلاثون من بين ضربة ورمية وطعنة، ولم يعرفه أحد إلا أخته الرُبَيْع، عرفته بيناته، وقد أرسل الرسول ﷺ زيد بن ثابت بعد المعركة ليتفقدته، فوجده وبه رمق، فرد سلام الرسول ﷺ ثم قال: «أجدي أجد ربح الجنة، وقل لقومي من الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف»، ودمعت عيناه^(٥٥). ونزلت فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين الآية ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فممنهم من قضى نحبه ومنهم من

(٥١) من رواية مرسلة للسدي، ذكرها الطبري في التفسير (٢٨١/٧ - ٢٨٢/٧ ح ٨٠٠٤/٨) شاكر. ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١١٢/٣) ولم يذكر أن الصف هو خالد بالذات.

(٥٢) البخاري/ الفتح (٢٣٩/١٥ - ٢٤٠/٣ ح ٤٠٦٥) ورواه الحاكم (٢٠٢/٣) - وصححه وأقره الذهبي، ومسند أحمد (٢٠٩/٤ - ٢١١/٢) شاكر. وصحح شاكراً إسناده وخبر البيان وتحلفه أولاً مع الزرية في الحصون ثم لحاقه بالرسول ﷺ ثم مقتله، رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١٢٧/٣ - ١٢٨/٣).

(٥٣) انظر ابن حجر: الفتح (٢٢٦/١٥) وعزاه إلى الطبري من رواية السدي. ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١١٢/٣)، ورواه من طريقه آخرون.

(٥٤) انظر: ابن إسحاق بإسناد صحيح مرسل - ابن هشام (١٢٠/٣)، والواقدي (٢٨٠/١) وتاريخ الطبري (٥١٧/٢) وتفسير الطبري (٢٥٦/٧).

(٥٥) رواه ابن إسحاق بإسناد رجاله ثقات كما جاء في المجمع - مجمع البحرين (٢٣٩/٢) وشرح المواهب (٤٤/٢). ومعرفة أخته بيناته رواها ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١٢٠/٣) بإسناد مقبول من حديث أنس بن مالك.

ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴿٥٦﴾ (٥٧).

وكان الفارون لا يلوون على شيء على الرغم من دعوة الرسول ﷺ لهم بالثبات معه. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ (٥٨).

وقد عفا الله عن الذين فروا. قال تعالى: ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم﴾ (٥٩). وذكر ابن الجوزي (٦٠) أن أحد سبي فرارهم هو سماعهم إشاعة مقتل النبي ﷺ.

وكان أول من علم بأن الرسول ﷺ حي بعد الانتكاسة، هو كعب ابن مالك، فنادى مبشراً بذلك، فأسكته الرسول ﷺ حتى لا ينتبه المشركون له (٦١).

وتمكن بعض المشركين من الوصول إلى الرسول ﷺ وقد أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهبوه، قال: «من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم الواحد تلو الآخر للدفاع عنه حتى استشهد الأنصار السبعة، فقال النبي ﷺ لصاحبيه القرشيين: «ما أنصفنا أصحابنا» (٦٢).

ومن قاتل دون الرسول ﷺ قتالا عظيماً سجله التاريخ: طلحة بن

(٥٦) الأحزاب: ٢٣.

(٥٧) البخاري/ الفتح (٢٨٣/١١) ح ٢٨٠٥ وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١٢٠/٣) والسيره ص ٢٣٠، ومن سبب النزول انظر الحاكم (٢٠٠/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥٨) آل عمران: ١٥٣. وانظر الآثار الواردة في تفسيرها عند الطبري (٣٠١/٧ - ٣٠٢).

(٥٩) آل عمران: ١٥٥. وذكر محققو زاد المسير (٤٨٣/١) أن الإمام أحمد وأبایعلی والطبري والبزار، رَوَوْا بإسناد حسن حديثاً في أن الآية نزلت في الذين فروا يوم أحد.

(٦٠) زاد المسير لابن الجوزي (٤٨٣/١).

(٦١) من حديث رَوَاهُ الحاكم (٢٠١/٣) وصححه وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (١١٢/٦): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجال الأوسط ثقات، ورواه ابن سعد مرسلًا عن الزهري (٤٦/٢)، وأبو نعیم في الدلائل (٤٨٢/٢) بإسناد متصل حسن من حديث ابن إسحاق، وابن

إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (١٢١/٣).

(٦٢) مسلم (١٤١٥/٣) ح ١٧٨٩.

عُبِّدَ الله، حتى شلت يده التي وقى بها النبي ﷺ^(٦٣)، وسعد بن أبي وقاص، الذي كان الرسول ﷺ يناوله السهام ويقول له: «ياسعد، ارم فذاك أبي وأمي»^(٦٤)، ولم يجمع النبي ﷺ أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك بن أبي وقاص، كما قال علي (رضي الله عنه)^(٦٥)، وكما قال هو عن نفسه^(٦٦)، وأبوطلحة الأنصاري، أمهر الرماة، والذي كان الرسول ﷺ إذا مر به أحد يجعبته نبيل، يقول له: «انثرها لأبي طلحة»، وعندما يشرف النبي ﷺ على القوم يقول له أبوطلحة: «بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك»^(٦٧) وهو الذي قال عنه الرسول ﷺ معجبا به: «لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة»^(٦٨)، وأبودجانة، الذي كان يحمي الرسول ﷺ بظهره، حتى كثر النبيل فيه وهو منحن عليه^(٦٩).

وقد ورد أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت طرفها فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده. وأصيب يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدهما^(٧٠). وفي هذه الظروف العصية اضطرت أم عُمارة - نُسبية بنت كعب المازنية -

(٦٣) البخاري/ الفتح (١٤/٢٢٩ ح/ ٣٧٢٤)، وهو الذي جلس تحت الرسول ﷺ ليرفعه على صخرة من الجبل حين حصرهم الكفار في شعب أحد، فقال له الرسول ﷺ: «أوجب طلحة» - أي وجبت له الجنة. رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/١٢٦) وقال عنه الرسول ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فليتنظر إلى طلحة بن عبيدالله» قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٣٢): «رواه الأصبهاني بإسناد صحيح لشواهد...».

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٥/٢٣٥ - ٢٣٦ ح/ ٤٠٥٧).

(٦٥) المصدر والمكان نفسهما.

(٦٦) المصدر نفسه (١٥/٢٣٥ ح/ ٤٠٥٧) و(١٤/٢٣٠ ح/ ٣٧٢٥).

(٦٧) المصدر نفسه (١٥/٢٣٥ - ٢٣٦ ح/ ٤٠٥٧).

(٦٨) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٢/٥٨٩) بإسناد رجاله ثقات. وانظر: الواقدي (١/٢٤٣) ولفظه: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلا».

(٦٩) ابن إسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (٣/١١٨ - ١١٩).

(٧٠) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/١١٩)، والحاكم (٣/٢٩٥)، وسكت عنه الذهبي، والهيتمي في المجمع (٩/١١٣) وقال: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرف»، والواقدي (١/٢٤٢) وقال ابن حجر في الإصاية (٣/٢١٧): «وأخرجه الدارقطني وابن شاهين من طريق... عن قتادة، والدارقطني والبيهقي في الدلائل من طريق... عن قتادة. وذكر ابن الأثير في أسد الغاية (٤/١٩٥) من طريق فيه عبد العزيز بن عمران، وهو متروك - انظر دلائل البيهقي (٣/٢٥١ - ٢٥٣)، والباكري، صص ٢٢٣ - ٢٢٧. والخلاصة أن هذا الخبر لم يرد بإسناد يحتج به.

أن تدافع عن الرسول ﷺ، حتى جرحها ابن قَمَيْثَةَ جرحاً أجوف له غور على عاتقها^(٧١).

وقام الرسول ﷺ مقاومة شديدة، فأصيب إصابات كثيرة، فكسرت رباعيته وشح في وجهه، وسال دمه، فجعل يمسحه ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الإسلام»، فأنزل الله (عز وجل): ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾^(٧٢) (٧٣). فقال رسول الله ﷺ لما طمع في إسلامهم: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(٧٤). وفي روايات عند البخاري^(٧٥) أن الرسول ﷺ كسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه.

وقال ﷺ عندما فعل به المشركون ذلك: «اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا بنبيه» - يشير إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله» وفي رواية: «اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه نبي الله ﷺ»^(٧٦). وكانت فاطمة ابنته تغسل دماءه وعلي يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير وأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم^(٧٧).

وقد ظهرت بطولات إيمانية كثيرة في هذه الغزوة، ومن ذلك:

(٧١) ابن هشام، بإسناد منقطع (١١٨/٣)، والواقدي (٢٦٨/١ - ٢٦٩) وابن سعد (٤١٢/٨ - ٤١٥) من طريق الواقدي.

(٧٢) آل عمران: ١٢٨.

(٧٣) مسلم (١٤١٧/٣) (١٧٩١)، والبخاري - معلقاً - الفتح (٢٤٣/١٥) ك. المغازي/ ب. ليس لك من الأمر شيء. وذكر ابن حجر في شرحه من وصله من العلماء المحدثين، والترمذي (١٨٤/٨) (التفسير/ح ٣٠٠٥) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي (٣٣/٣) (التفسير/ح ٣٢٠١)، صحيح ابن ماجة للألباني، (٣٧٢/٢) ح (٤٠٢٧) وقال: صحيح، وأحمد (٩٩/٣)، (١٧٩، ٢٠٦، ٢٥٣، ٢٨٨) وروى ابن إسحاق طرفاً منه بدون إسناد - ابن هشام (١٤٤/٣)، ابن هشام (١١٥/٣)، بإسناد منقطع، وفيه ريب - مقبول، ولم يذكر الآية.

(٧٤) مسلم (١٤١٧/٣) ح (١٧٩١).

(٧٥) الفتح (٢٥٢/١٥) ح (٤٠٧٣ - ٤٠٧٥).

(٧٦) ذكر ابن إسحاق بدون إسناد - ابن هشام (١٢٤/٣) طرفاً من هذه الرواية، ولفظه: «اشتد غضب الله على من دمي وجه نبيه».

(٧٧) البخاري/ الفتح (٢٥١/١٥ - ٢٥٢) ح (٤٠٧٥).

قال رجل للنبي ﷺ: «أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: في الجنة». فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى نال الشهادة^(٧٨).

وقال عبدالله بن جحش، قبل المعركة: «إني أقسم أن نلقى العدو فإذا لقينا العدو أن يقتلوني ثم يبقروا بطني ثم يمثلوا بي، فإذا لقيتكم سألتني: فيم هذا؟ فأقول: فيك»، وعندما لقي العدو وفعل بهم ما فعل وجدوه بالحالة التي وصفها^(٧٩).

وشهد عمرو بن الجموح القتال مع أبنائه الأربعة على الرغم من محاولتهم إثناءه عن الخروج بحجة أن الله يعذره لشدة عرجه، وطلب منهم الرسول ﷺ أن يدعوه مادام راغبا في الشهادة، ومما قاله للرسول ﷺ: «أرأيت إن قتل اليوم أأطأ بعرجتي هذه الجنة؟ قال نعم. قال: فوالذي بعثك بالحق لأطأن بها الجنة اليوم إن شاء الله. ثم قاتل حتى نال ما أراد من الشهادة^(٨٠).

وعلى الرغم من أن الله قد عذر الشيوخ الضعفاء إلا أن البيان وثابت ابن وقش أبيا البقاء مع الذرية في الحصون فلحقا بالميدان طلبا للشهادة، وقد استشهد ثابت على يد الكفار وقتل المسلمون البيان خطأ، ووداه الرسول ﷺ، ولكن ابنه حذيفة تصدق بدية أبيه، مما زاده عند الرسول ﷺ خيرا^(٨١).

وكان حَنْظَلَةُ بن أبي عامر عروسا ليلة أحد، فعندما سمع النداء، عجل بالخروج ولم يغتسل، وقاتل حتى استشهد. وعندما رآه الرسول ﷺ، قال: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة»، ولذا عرف بعد ذلك بـ«غسيل الملائكة»

(٧٨) البخاري/ الفتح (١٥/٢٣٠ ح/ ٤٠٤٦).

(٧٩) رواه الحاكم (١٩٩/٣) من مرسل سعيد بن المسيب، وقال: وهذا حديث على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. وقال الذهبي: «مرسل صحيح».

(٨٠) ابن المبارك: كتاب الجهاد، ص ٦٩، من مرسل عكرمة وابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (١٣٢/٣). وأحد في مسنده (٢٩٩/٥) مختصرا من طريق ابن إسحاق ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة كما في المجمع (٣١٥/٩)، ويكون الحديث صحيحا من طريق أحمد.

(٨١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١٢٧/٣)، والحاكم في المستدرک (٢٠٢/٣) وصححه ووافقه الذهبي، والواقدي (٢٣٢/١).

أو «الغسيل»^(٨٢).

وقاتل مخبريق مع رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان مثالا وقدوة حسنة لليهود الذين أسلموا. وحين خرج إلى المعركة قال: «إن أصبت فهالي لمحمد ﷺ، يصنع فيه ما يشاء»^(٨٣). فقال رسول الله ﷺ: «مخبريق خير يهود»^(٨٤). وكان أصبرم بن عبد الأشهل - عمرو بن أقيش - كارها للإسلام حتى كان يوم أحد، أسلم ولحق بالمسلمين في أحد، فقاتل حتى نال الشهادة، وما صلى لله صلاة واحدة^(٨٥).

وإن كان قد فات حسان بن ثابت (رضي الله عنه) شرف الجهاد بالسيف في هذه الغزوة وغيرها، إلا أنه لم يفته شرف الكلمة القوية في تخليد ذكرى بطولات المسلمين في هذه الغزوة وغيرها.

لقد كان حسان من أصحاب الأعداء. فقد ذكر الكلبي^(٨٦) أن الجبن لم يكن من عادة حسان، بل كان شجاعا لسنا، فأصابته علة منعتة من شهود القتال. وأوضح الواقدي^(٨٧) هذه العلة، وهي أن أكحله^(٨٨) كان قد قطع، فلم يكن يستطيع الضرب بيد. وهذا يفسر لنا الروايات التي وردت في تخلفه عن القتال، مثل رواية الطبراني^(٨٩). التي فيها أنه كان مع الذرية في حصن فارع يوم أحد، فجاء يهودي وأخذ يطل على الحصن، فطلبت

(٨٢) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (١٠٧/٣ - ١٠٨)، ووصله الحاكم (٢٠٤/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٦/٤ رقم ٣٢٦) وهو من طريق ابن إسحاق.

(٨٣) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (١٢٩/٣).

(٨٤) رواه ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (١٣١/٣)، وابن سعد (٥٠١/١) من طريق الواقدي، والواقدي (٢٦٣/١).

(٨٥) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١٣١/٣) - انظر الإصابة (٥١٩/٢) - وأبو داود في السنن (٤٣/٣) ك. الجهاد/ح (٢٥٣٧)، والحاكم (٢٨/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٨٦) نقله عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٠/٤).

(٨٧) نقله عنه الأصفهاني في أغانيه (١٦/٤).

(٨٨) الأكحل: عرق في اليد.

(٨٩) الهيثمي: المجمع (١١٤/٦) وفي سنده جعفر بن الزبير وهو متروك كذاب وضاع يروي المتأخر.

انظر: الهيثمي: المجمع (٤٠٦/١)، ورواه الطبراني أيضا عن عروة بإسناد مرسل (المجمع ١٣٥/٦). ورواه أبو يعلى في مسنده (٨٤/١) ونقله عنه الهيثمي في المجمع (١٣٤/٦) وضعف إسناده. وصحح الزرقاني في الوهاب (١١/٢) إسناده على الرغم من أن فيه جعفر بن الزبير.

ورواه البزار في الكشف (٢٢٣/٢ - ٢٣٤) وضعف الهيثمي إسناده.

صفية بنت عبدالمطلب من حسان أن يقوم إليه فيقتله: «ماذا كان في ولو كان لكنت مع رسول الله ﷺ»، فقتلته صفية وطلبت من حسان أن يرمي برأسه إلى اليهود أسفل الحصن، فاعتذر أيضا، فرمته إليهم، ففترقوا لأنهم ظنوا أن بالحصن رجالا محاربين.

وذكر البلاذري^(٩١) واليعقوبي^(٩٢) كذلك أن القصة كانت يوم أحد. والذي ذكره ابن إسحاق^(٩٣) وغيره أنها كانت يوم الخندق.

لم تأت قصة حسان مع صفية بطريق يحتاج بها، وما يجعلنا نقبل رواية الواقدي والكلبي - على ما بهما من علل - لأننا نعلم أن حسانا كان يهاجي الشعراء في الجاهلية والإسلام، ولم يرمه أحد منهم بجبن، ولو كان مثل حديث الطبراني صحيحا لكان مما يذكر في الشعر ويذم به كما ذم هو غير واحد، وهجاه بالفرار من القتال والجبن، إضافة إلى أن عدم شهود حسان القتال كان لكبر سنه كما ذكر محققا سيرة ابن هشام^(٩٤). وزاد ابن عبد البر^(٩٥) ما قيل في تفسير تخلف حسان عن المواقع، فقال: «... وَهَجَى بِذَلِكَ ابْنَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَهَاجِي الشُّعْرَاءَ الْعَرَبَ مِثْلَ النَّجَاشِيِّ وَغَيْرِهِ».

ومن قاتل يوم أحد، وليس بنية الجهاد في سبيل الله، ولكن بنية حماية الأحساب، فكان من أهل النار: قُزَمان، الذي قتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان الرسول ﷺ إذا ذكر له يقول: «إنه لمن أهل النار»، ولما كان يوم أحد قتل نفسه عندما أئخنته الجراح^(٩٥). وكان هذا من دلائل

(٩٠) أنساب الأشراف (١/٣٢٤).

(٩١) تاريخه (٤٨/٢).

(٩٢) ابن هشام (٣١٧/٣ - ٣١٩) بإسناد منقطع.

(٩٣) انظر في هذا كلامهما وكلام الخشن عند ابن هشام (٣١٨/٣) وكلام السهيلي في روضه (٢٨١/٣) والباكري في رسالته: مرويات غزوة أحد، ص ص ٢٦٠ - ٢٦٤.

(٩٤) الدرر، ص ١٨٦.

(٩٥) روى فضنه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (١٢٩/٣)، ووصله أبو يعلى من طريق أخرى بإسناد صحيح كما ذكر الحنبلي في المجمع (١١٦/٦) ولكن لم يسم الرجل، وفيه أن النية هي الأساس. ورواه البيهقي/ الفتح (٤٨/١٦ - ٤٩/٤٩) ولم يسم الرجل في الطريقتين، وفي الطريق الأولى لم يسم حتى الغزوة، وفي الثانية ذكر أنها خير، ورواها مسلم من طريقين (١٠٥/١ - ١٠٦/١) في الطريق الأولى أن الغزوة هي حنين، وفي الثانية أهدم الغزوة، وفي الطريقتين لم يسم الرجل. ورواه أحمد في المسند (١٣٥/٤) وفيه أنها غزوة خيبر. ورواها الواقدي (٢٦٣/١) ووافق ابن إسحاق بأن اسم الرجل: قزمان. ونرى مع الباكري ص ٢٤٩ أنه لا خلاف بين الروايات وأن المجمع ممكن بتعدد القصة - والله أعلم.

نبوة محمد ﷺ ودليل على أن النية في الجهاد هي الأساس.
لقد رافقت بعض النسوة جيش المسلمين ليسقين العطشى، ذكر منهم
أم عمارة^(٩٦)، وحمنة بنت جحش الأسدية^(٩٧) وأم سليط^(٩٨)، وأم سليم
وعائشة أم المؤمنين^(٩٩).

وروى مسلم^(١٠٠) أن رسول الله ﷺ كان يغزو بأمر سليم ونسوة من
الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى.

وقد أرسل الله تعالى جبريل وميكائيل ليقاتلا دفاعا عن الرسول ﷺ^(١٠١).
وكان الله قد وعد المؤمنين إن هم صبروا واتقوا وأتوا الأعداء من فورهم،
فسيمدهم بالملائكة، ولما لم يحصل ذلك منهم فلم يتحقق الوعد^(١٠٢)، وفي
هذا يقول تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ
آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُتَرَلِّينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا
يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(١٠٣).

(٩٦) روى ابن هشام قصتها يوم أحد بإسناد منقطع (١١٨/٣) والواقدي (٢٦٨/١ - ٢٦٩)، وابن
سعد (٤١٢/٨ - ٤١٥) من طريق الواقدي.

(٩٧) رواه الطبراني بإسناد حسن كما قال الهيثمي في المجمع (٢٩٢/٩). وقد ورد بطرق ضعيفة ما
يفهم من أنها لم تشهد المعركة، وأنها عندما لقيت الناس وهم رجوع من المعركة نعي إليها أخوها
عبدالله وخافها حزة فاسترجعت واستغفرت لها، وعندما نعي إليها زوجها مصعب، صاحت
وولولت فقال رسول الله ﷺ: «إن زوج المرأة منها لمكانا» لما رأى من تشبها عند خبر إصابة
أخيها وخافها وصاحها على زوجها. رواه ابن إسحاق دون إسناد - ابن هشام (١٤٤/٣) وابن
ماجه (٥٠٧/١ ك. الجنائز/ ب. ما جاء في البكاء على الميت) وفي إسناده عبدالله العمري، وهو
ضعيف. وحمنة هي أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين.

(٩٨) البخاري/ الفتح (٤٠٧١ ح/ ٢٤٥/١٥) وفيه أنها كانت تزفر القرب يوم أحد. وهي والدة أبي
سعيد الخدري. كانت زوجا لأبي سليط فبات عنها قبل الهجرة فزوجه مالك بن سنان الخدري
فولدت له أباسعيد. قاله ابن حجر في شرح حديث الباب وانظر: البخاري/ الفتح (٣١/١٢)
- ٣٢ ح/ ٢٨٨٠ - ٢٨٨٣.

(٩٩) البخاري/ الفتح (٢٣٨ - ٣٩ ح/ ٤٠٦٤). ورواه كذلك في كتاب الجهاد ورقمه ٢٨٨٠،
ومسلم (١٤٤٣/٣ ح/ ١٨١١) وفيه أنها كانت تغسل القرب على ستمها ثم تفرغانه في أفواههم.

(١٠٠) صحيحه (١٤٤٣/٣ ح/ ١٨١٠).
(١٠١) البخاري/ الفتح (٣٤/١٥ - ٢٣٥ ح/ ٤٠٥٤) ولم يسم الملكين، بل قال: رجلين... وسماهما
مسلم في روايته (١٨٠٢/٤ ح/ ٢٣٠٦).

(١٠٢) انظر عرجون: محمد رسول الله ﷺ (٣٩٥/٣) وما بعدها والعسيري: المجتمع المدني - الجهاد،
ص ٧٩.

(١٠٣) آل عمران: ١٢٤ و١٢٥.

(١٠٤) انظر تفسير الآية عند الطبري (١٣٧/٧ - ١٩٠) والمراجع عند الطبري وغيره هو ما ذكرناه،
والكلام كثير في هذه القضية، فليراجع عند عرجون والطبري وغيرهما، لنظام الفائدة.

وأُنزل الله تعالى النعاس على طائفة المؤمنين الذين اغتموا بما وقع للرسول ﷺ وإخوانهم يوم بدر فناموا يسيرا ثم أفاقوا وقد قذف الله في قلوبهم الطمأنينة، التي أعادت لهم بعض نشاطهم ليواصلوا الدفاع عن نبيهم. وكان أبوطليحة الأنصاري فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفه من يده مرارا فيأخذه^(١٠٥). وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكَ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسَا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ...﴾ أما طائفة المنافقين، سواء التي انسحبت مع ابن سلول أو فلولهم التي سارت مع المؤمنين فقد قال الله عنهم في الآية نفسها: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ. قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، يَخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَتَلْنَا هَاهُنَا...﴾^(١٠٦).

لقد حاول المشركون جهد طاقتهم قتل الرسول ﷺ ولكن الله عصمه منهم. فقد روي أن أبا بن خلف كان يتوعد الرسول ﷺ بمكة بأنه سيقته يوما ما، فيقول الرسول ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»^(١٠٧)، فلما كان يوم أحد لحق بالنبي ﷺ في الشعب وهو يقول: «أي محمد، لا نجوت إن نجوت، فقال القوم يارسول الله: أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوه. «فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة مال منها على فرسه مرارا»^(١٠٨)، ورجع إلى قريش وبه خدش غير كبير، فاحتقن الدم، فقال: «قتلني والله محمد! وطمأنه قومه بأن ليس به بأس، فقال لهم ما قال له محمد ﷺ بمكة،

(١٠٥) البخاري/ الفتح (١٥/٢٤٢) ح (٤٠٦٨)

(١٠٦) آل عمران: ١٥٤. وانظر تفسير الآية وما ورد فيها من آثار صحيحة عند الطبري في تفسيره

(٣١٥/٧ - ٣٢٣)، وابن حجر في شرح حديث الباب، وابن كثير في تفسيره (١٢٤/٢ - ١٢٦).

(١٠٧) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (١٢٢/٣)، والواقدي (٢٥١/١) وابن سعد (٤٦/٢)

مرسلا عن سعيد بن المسيب، ووصله الواحدي في أسباب النزول، ص ٥٦، والبيهقي في الدلائل

(٣/٢٥٨ - ٥٩) مرسلا عن عروة، وفي سننه ابن لمعة، وحديثه حسن. ومرسلا عن موسى

ابن عتبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب (٣/٢١١ - ٢١٢)، ومراسيل ابن المسيب قوية، والطبري في التفسير (٧/٢٥٥) من مرسل السدي.

(١٠٨) ابن إسحاق، مملقا - ابن هشام (٣/١٢١ - ١٢٢).

ثم قال: «فوالله لو بصبق علي لقتلني». فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون به إلى مكة^(١٠٩). وهذا من علامات ودلائل نبوة محمد ﷺ. وعندما صمد المسلمون واستأثتوا دفاعا عن النبي ﷺ فشل المشركون في محاولات الاختراق إليه، وأعيتهم المجالدة، ولم يملك أبوسفيان إلا أن يتوعد المسلمين بحرب أخرى في العام القادم، فوافق الرسول ﷺ على ذلك^(١١٠). وقد ثبت أن أباسفيان أشرف على المسلمين، وقال: «أفي القوم محمد؟ فقال ﷺ: لا تحبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تحبوه، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت ياعدو الله، أبقي الله عليك ما يحزنك، قال أبوسفيان: اعل هبل، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول قال: قولوا: الله أعلى وأجل. قال أبوسفيان: لنا العزى ولاعزى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبوسفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال. وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني^(١١١)، وفي رواية عند أحمد^(١١٢) وابن إسحاق^(١١٣) قال عمر: «لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاككم في النار».

وعندما انصرف المشركون مكتفين بما نالوه من المسلمين، بعث رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب، وقال له: «أخرج آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأنجزنهم»، وفعل علي ما أمر به، فوجدهم قد جنبا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة^(١١٤).

(١٠٩) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (١٢٢/٣ - ١٢٣).

(١١٠) رواه ابن إسحاق مملقا بدون إسناد - ابن هشام (١٣٦/٣)، الواقدي (٢٩٧/١).

(١١١) البخاري/ الفتح (٢٢٧/١٥ - ٢٢٨ ح ٤٠٤٣).

(١١٢) المسند (٢٠٩/٤، ١٨١/٦) بإسناد حسن.

(١١٣) ابن هشام (١٣٦/٣) بدون إسناد.

(١١٤) ابن إسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (١٣٦/٣ - ١٣٧)، الواقدي (٢٩٨/١)، والبيهقي في الدلائل (٢٨٢/٣) مرسلًا عن عروة وفيه ابن هبيرة وحديثه حسن. وعند الواقدي والبيهقي أن المرسل للاستطلاع هو سعد بن أبي وقاص، وقد قوى العمري قول ابن إسحاق - انظر: المجتمع المدني - الجهاد، ص ٨١.

وانجلت المعركة عن سبعين شهيدا من المسلمين^(١١٥)، واثنين وعشرين قتيلا من المشركين^(١١٦).

وخارج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه و أذناه^(١١٧). وقال رسول الله ﷺ حين رأى مابه: «لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطنين لأمثلن بثلاثين رجلا منهم»، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وعيظه على من فعل بعمه مافعل، قالوا: والله لئن أظفرننا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب^(١١٨).

(١١٥) البخاري/ الفتح (٢٢٦/١٥ ح/٤٠٤٣)، وعند ابن إسحاق دون إسناده - ابن هشام (١٧٩/٣) - خمسة وستون رجلا وذكرهم، وذكر ابن هشام أسماء خمسة تمام السبعين (١٧٩/٣ - ١٨٠)، وعند الواقدي (٢٠٠/١) أربعة وسبعون... انظر البكري، ص ٣٦٧ - ٣٦٩.

(١١٦) ابن إسحاق، بدون إسناده - ابن هشام (١٨٢/٣)، وقال الواقدي (٣٠٧/١) - سبعة وعشرون. وعند أبي سعد (٤٢/٢): ثلاثة وعشرون... وانظر البكري ص ٣٦٩.

(١١٧) ذكره ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (١٣٨/٣).

(١١٨) رواه ابن إسحاق بإسناده منقطع - ابن هشام (١٣٨/٣ - ١٣٩)، وروي عن طريقه وعن طريق آخرين، وكلها أسانيد ضعيفة... انظر: ابن هشام (١٣٨/٣ - ١٣٩) حاشية المحققين. ولهذا الحديث شواهد. منها (١) حديث أبي هريرة الذي رواه الحاكم في المستدرک (١٩٧/٣) وابن سعد في الطبقات (١٣/٢ - ١٤) والبراز في مسنده (٣٢٦/٢ - ٢٧) والطبراني في الكبير (١٥٦/٣) - ٥٧/ح ٢٩٣٦ والبيهقي في الدلائل (٢٨٨/٣) والواحد في أسباب النزول (ص ٢٩١) وابن عدي في الكامل (١٣٨١/٤)، جميعهم من طريق صالح بن بشير المري، وهو ضعيف (٢) حديث ابن عباس، الذي أخرجه ابن إسحاق (ابن هشام ١٤٠/٣) بإسناده ضعيف، لإبجاء ابن إسحاق اسم من حدثه. وصح من غير هذا الطريق كما رواه الترمذي (٢٩٩/٥ - ٣٠٠) وأحمد كما في الفتح الرباني (١٩٢/١٨ - ١٩٣) والحاكم (٣٥٩/٢) وصححه ووافقه الذهبي. ويستأنس بمرسل محمد ابن كعب القرظي الضعيف جدا، والذي رواه ابن إسحاق (ابن هشام ١٤٠/٣) وذلك لعلي الإرسال وكون شيخه بريدة بن سفيان من المتروكين؛ وكذلك يستأنس بمرسل عطاء بن يسار الضعيف جدا، والذي رواه ابن إسحاق كما نقله عنه ابن كثير في التفسير (٥٩٢/٢) وذلك لأنه لم يصح إلى مرسله، وفيه رجل مبهم لم يسم كما ذكر ابن كثير. ومثله لا يصلح للاستشهاد.

وأصل الحديث أخرجه الترمذي (٥٥٩/٨ - ٥٦٠/ح ٥١٣٦) وعبدالله بن الإمام أحمد في الزوائد (١٣٥/٥) والطبراني في الكبير (١٥٧/٣ ح/٢٩٣٧) وابن حبان في صحيحه (ص ٤١١ ح/١٦٩٥) والحاكم (٣٥٨/٢ - ٣٥٩)، جميعهم من حديث أبي بن كعب. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وصححه الحاكم وأقره الذهبي والألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨/٢ - ٢٩).

وبالجملة فالحديث صحيح لذوره بمجموع هذه الشواهد.

وانظر تحقيق احاديث التمثيل بحمزة يوم أحد ونزول الآية المذكورة في هذا، عند سعد بن عبدالله الحميد: مختصر تلخيص احاديث التمثيل لآل الملقن - القسم الثاني من أول كتاب معرفة الصحابة إلى نهاية الكتاب - رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين - السنة وعلومها، ١٤٠٧ هـ.

ونزل قول الله تعالى: ﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خیر للصابرين...﴾ (١١٩). فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة (١٢٠).

وعن قصة التمثيل بجثة حمزة (رضي الله عنه) فقد روى موسى بن عقبة (١٢١) أن وحشياً بقر عن كبدة حمزة وحملها إلى هند بنت عتبة فلاكتها فلم تستطع أن تستسيفها.

وروى ابن إسحاق (١٢٢) أن هنداً هي التي بقرت عن كبدة حمزة، وزاد أن هنداً اتخذت من آذان الرجال وأنفهم خدماً (أي خلاخل) وقلائد، وأعطت خدماً وقلائدها وقربتها وحشياً.

وروى الواقدي (١٢٣) أن وحشياً عندما قتل حمزة حمل كبده إلى مكة ليرأها سيده جبير بن مطعم.

وذكر الشامي (١٢٤) أن الواقدي والمقرئزي - في الإمتاع - روى أن وحشياً شق بطن حمزة وأخرج كبده وجاء بها إلى هند فمضعها ثم لفظتها، ثم جاءت معه إلى حيث جثة حمزة، فقطعت من كبده وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت مَسْكَيْن ومعضدين وخدمتين حتى قدمت بذلك مكة.

ولعل رواية الواقدي والمقرئزي التي أشار إليها الشامي تفيد الجمع بين روايتي ابن عقبة وابن إسحاق، وتوافقهما في المضمون.

أما التمثيل بجثة حمزة فقد ثبت بطرق صحيحة كما ذكرنا، مما يدل على أن قصة بقر كبدة حمزة - التي ذكرها بعض أهل المغازي والسير - لها أصل.

وسجلت لبعض النساء المسلمات مواقف إيمانية رائعة في تقبلهن مصابهن

(١١٩) النحل: ١٢٦.

(١٢٠) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (١٤٠/٣)، ورواه من غير طريق ابن إسحاق: الزمعي (٢٩٩/٥ - ٣٠٠) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأحمد في المسند الفتح الرباني (١٩٢/١٨ - ١٩٣) والواحد في أسباب النزول ص ١٩١ - ١٩٢ والحاكم ٣٥٩/٢ بمثل رواية الترمذي وأحمد، وصححه ووافقه الذهبي.

(١٢١) ذكره ابن كثير: البداية والنهاية (٤٣/٤) دون إسناد، فهو ضعيف.

(١٢٢) ابن هشام (١٣٣/٣). بإسناد منقطع موقوف على شيخه ابن كيسان، فهي ضعيفة.

(١٢٣) المغازي (٣٣٢/١) - والواقدي متروك، فروايته ضعيفة جداً.

(١٢٤) سبل الهدى والرشاد (٣٢١/٤).

في أهليهن وفرجهن بحياة الرسول ﷺ. ومن أمثلة ذلك أن الرسول ﷺ مر هو وأصحابه بامرأة من بني ديار (١٢٥)، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعوا لها قالت: «فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا يأمر فلان. هو بحمد الله كما تحيين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ فأشير إليه حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل» - أي صغيرة (١٢٦).

وعندما أقبلت صفية - أخت حمزة - لتنظر إليه، طلب الرسول ﷺ من ابنها الزبير أن يرجعها حتى لا ترى ما بأخيها من مثله، فقالت: «ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لاحتسبن ولأصبرن إن شاء الله». وعندما أخبر الزبير النبي ﷺ بقولها، أمره بأن يخلي سبيلها، فاتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر به فدفن (١٢٧).

وقد روى البخاري (١٢٨) وأبو داود (١٢٩) أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتل أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أشير لأحد قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم، ولم يغسلوا...، ودفن الاثنان والثلاثة

(١٢٥) وقد صرح الواقدي باسمها، وهي السمراء بنت قيس - المغازي (٢٩٢/١)، ويفهم من حديث الواقدي أن عائشة لم تشهد المعركة مع المسلمين، وهذا مخالف لما في الصحيح كما ذكرنا من قبل. ويمكن الجمع بين القولين بأن تكون قد جاءت إلى ميدان المعركة في الجولة الثانية، التي امتحن الله فيها المؤمنين.

(١٢٦) رواه ابن إسحاق - ابن هشام (١٤٥/٣ - ١٤٦) وحسن البكري إسناده، ص ٢٨٣، إسناده على سند ابن إسحاق المتصل في تاريخ ابن كثير (٥٣/٤)، لأن الإسناد في سيرة ابن هشام منقطع، ولم يفتن عفا سيرة ابن هشام لمرواية ابن هشام، ولذلك ضعفنا الحديث. (١٢٧) رواه ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (١٤١/٣ - ١٤٢) وروى قريبا منه أحمد في مسنده (١٦٥/١) والبراز في مسنده انظر كشف الاستار (٣٢٨/٢) وأبو يعلى في مسنده (٤٥/٢ - ٤٦)، والبيهقي في الدلائل (٢٨٩/٣ - ٢٩٠) وقد صحح محققا سيرة ابن هشام إسناده، وفيه أنها عندما جاءت كان معها ثوبان لتكفن حمزة وعندما وجدوا أنصاريا بالقرب منه وفعل به ما فعل بحمزة، وجد رسول الله ﷺ غضاضة في أن يكفن حمزة في ثوبين والأنصاري الشهيد لاكفن له، فقال: «لأنصاري ثوب وحمزة ثوب»، ولأن أحد الثوبين كان أكبر من الآخر فقد قرعوا بينها، فكفنوا كل واحد منها في ثوب.

(١٢٨) البخاري/ الفتح (٢٥٥/١٥ ح ٤٠٧٩). (١٢٩) سننه (١٧٤/٢ ك. الجنائز/ ب. في الشهيد هل يغسل) بإسناد رجاله ثقات والأحاديث التي وردت في الصلاة عليهم لا تقوى على معارضة أحاديث نفي الصلاة عليهم. انظر: (٤٩٨/٣ ح ٣١٣٤ و ٣١٣٥)، و (٥٤٧/٥ ح ٣٢١٥)، و (٥٠١/٣ ح ٣١٣٦) وح (٣١٣٨).

في قبر واحد^(١٣٠)، وأمر الرسول ﷺ أن يدفنوا حيث صرعوا، فأعيد من أخذ ليدفن داخل المدينة^(١٣١).

وبعد الدفن، صف الرسول ﷺ أصحابه وأثنى على ربه ثم دعا الله أن يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة وأن يقتل الكفرة المكذبين^(١٣٢).

وكان يتمنى أن يمضي شهيدا مع أصحابه الذين استشهدوا يوم أحد^(١٣٣) وقد أثنى عليهم عندما سمع عليا يقول لفاطمة: «هاك السيف فلما قد شفتني»، فقال له: «لئن كنت أجذت الضرب بسيفك، لقد أجاد سهل ابن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت الألقح والحارث بن الصمة^(١٣٤).

وبشر الرسول ﷺ المسلمين بما نال الشهداء من عظيم الأجر، فقد قال عندما سمع بكاء فاطمة بنته عبدالله بن عمرو والد جابر: «ولم تبكي؟ فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع^(١٣٥)، وفي رواية قال عن بكائها: «تبكيه أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه^(١٣٦).

ونزل في شهداء أحد قول الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾^(١٣٧). فقد روى مسلم^(١٣٨) أن

(١٣٠) الترمذي (٣٧١/٥) تحفة الأحوذ/ ك. الجنائز/ ب. ترك الصلاة على الشهيد، وقال: «حسن صحيح»، ووافقه الألباني: صحيح الترمذي (١٤٢/٢) ك. الجهاد/ ح (١٧٨٢)، والدعاس (٣٤/٦) الجهاد/ ح (١٧١٣)، وانظر: ابن إسحاق بإسناد مرسل (ابن هشام (١٤٢/٣ - ١٤٣).

(١٣١) سنن أبي داود (٥١٤/٣) ك. الجنائز/ ح (٣١٦٥)، والترمذي (٢٧٩/٥) الجهاد/ ح (١٧١٧)، تحفة الأحوذ/ وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وأحمد: الفتح الرباني (١٤٩/٨) بإسناد صحيح، والنسائي (٧٩/٤) ك. الجنائز/ ب. أين يدفن الشهيد/ ح (٢٠٠٦) بإسناد حسن، رجاله ثقات إلا نبیح العنزي، فهو مقبول - التقريب، ص ٥٥٩، وابن ماجه في الجنائز/ ح (١٥١٦).

(١٣٢) انظر الدعاء بتبائمه في مسند الإمام أحمد (٤٢٤/٣) ط. المكتب الإسلامي، ومستدرك الحاكم (٣/٣) واصله ووافقه الذهبي.

(١٣٣) رواه أحمد في المسند: الفتح الرباني (٥٨/٢١) بإسناد حسن.

(١٣٤) رواه الحاكم (٢٤/٣) واصله وأقره الذهبي، والطبراني كما في المجموع (١٢٣/٦)، وقال الهيثمي: «رجال رجال الصحيح».

(١٣٥) مسلم (١٩١٧/٤) - ١٩١٨/ ح (٢٤٧١).

(١٣٦) البخاري/ الفتح (٢٥٥/١٥) ح (٤٠٨٠) و (١٤١/٦) ح (١٢٤٤)، مسلم (١٩١٨/٤) ح (٢٤٧١).

(١٣٧) آل عمران: ١٦٩. ورواه الإمام أحمد: المسند (١٢٣/٤)، وأبو داود: السنن (١٥/٣) والترمذي (١٨٨/٨) - ١٧٨٩/ ك التفسير/ ح (٣٠١٣، ٢٠١٤)، وقال عن الأول: «حسن غريب»، وعن الثاني: «حسن صحيح»، والحاكم (٨٨/٣) واصله ووافقه الذهبي.

(١٣٨) صحيحه (١٥٠٢/٣ - ١٥٠٣/ ح (١٨٨٧) ورواه غير واحد من أصحاب السنن. وانظر الشوكاني: فتح القدير (٣٩٩/١) حيث فيه أقوال العلماء في هذه الحياة المحققة للشهداء.

الصحابه (رضي الله عنهم) سألوا ابن مسعود عن هذه الآية، فقال: «أما انا قد سألنا عن ذلك. فقال: أرواحهم في جوف طير خضر. لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت. ثم تأوي إلى تلك القناديل...» ولذا قال العلماء إن حياة الشهداء حياة محققة حسبها جاء في هذا الحديث^(١٣٩).

وعندما عاد الرسول ﷺ من أحد سمع بكاء نساء الأنصار على من قتل من أزواجهن، فقال: «ولكن حمزة لا بواكي له»، وعندما استيقظ من نومه سمع بكاءهن وندبهن بحمزة^(١٤٠)، ونهى يومئذ عن النوح^(١٤١).

ونزلت آيات قرآنية كثيرة - غير التي ذكرناها - سجلت الجوانب المختلفة لهذه الغزوة التي كانت درسا تربويا كبيراً للمسلمين^(١٤٢)، ومنها قوله تعالى:

- ١ - ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١٤٣).
- ٢ - ﴿إِنْ يَمْسِكُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَادَاوَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١٤٤).

٣ - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾^(١٤٥).

٤ - ﴿وَلِيَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١٤٦).

٥ - ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(١٤٧).

(١٣٩) انظر الشوكاني: فتح القدير (٣٩٩/١)، إستاندا إلى حديث الترمذي (١٨٨/٨ - ٨٩/ح ٣٠١٣ - ٣٠١٤).
(١٤٠) رواه أحمد في المسند (٨٢/٧) وصححه شاكر إستانده، والحاكم (٣٨١/١) مختصراً من آخره، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعد (١٦/٣) بإسناد رجاله ثقات ماعدا أسامة بن زيد اللبي، ففيه ضعف يسير، فيبقى حديثه بالشواهد التي ذكرها ابن سعد عقب هذا الحديث، وحديث أحمد والحاكم، ورواه ابن إسحاق معلقاً - ابن هشام (١٤٤/٣ - ١٤٥).
(١٤١) قاله ابن هشام معلقاً (١٤٥/٣)، وابن سعد (١٧/٣).
(١٤٢) انظر جزءاً كبيراً من هذه الآيات عند ابن إسحاق - ابن هشام (١٥٤/٣ - ١٧٤).
(١٤٣) آل عمران: ١٣٩.
(١٤٤) آل عمران: ١٤٠.
(١٤٥) آل عمران: ١٤٢.
(١٤٦) آل عمران: ١٤٠.
(١٤٧) آل عمران: ١٤٣. وانظر تفاسير هذه الآيات في كتب التفسير.

٦ - ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزي الله الشاكرين﴾ (١٤٨).

٧ - ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا﴾ (١٤٩).

٨ - ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ (١٥٠).

٩ - ﴿إن تكونوا تآلمون فإنهم يألمون كما تآلمون، وترجون من الله ما لا يرجون﴾ (١٥١).

لقد نزلت حول موضوع هذه المعركة ثمان وخمسون آية من سورة آل عمران، تبتدىء بذكر أول مرحلة من مراحل المعركة: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنین مقاعد للقتال﴾ (١٥٢)، وتترك في نهايتها تعليقا جامعا على نتائج المعركة وحكمتها: ﴿ماكان الله ليذر المؤمنین على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء، فأمنوا بالله ورسله، وإن تؤمنوا وتتقوا فلکم أجر عظیم﴾ (١٥٣).

ب - أحكام وحكم وعظمت وعبر من غزوة أحد:

عقد ابن القيم (١٥٤) فصلا فيها اشتملت عليه هذه الغزوة من الأحكام الفقهية، نقلها هنا باختصار لتعميم الفائدة:

- ١ - إن الجهاد يلزم بالشروع فيه، حتى إن استعد له وتأهب للخروج، ليس له أن يرجع عن ذلك حتى يقاتل عدوه.
- ٢ - إنه لا يجب على المسلمين إذا طرقتهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه،

(١٤٨) آل عمران: ١٤٤.

(١٤٩) آل عمران: ١٤٥.

(١٥٠) آل عمران: ١٤٩.

(١٥١) النساء: ١٠٤.

(١٥٢) آل عمران: ١٢١.

(١٥٣) آل عمران: ١٧٩.

(١٥٤) زاد المعاد (٣/ ٢١١ - ٢١٢) وما يوضع بين معكوفتين فمضي.

- بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم، ويقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم، كما أشار به رسول الله ﷺ عليهم يوم أحد.
- ٣ - جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته إذا صادف ذلك طريقه، وإن لم يرض المالك، كما كان حال مربع بن قيظي مع الرسول ﷺ وجيشه.
- ٤ - إنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين، بل يردهم إذا خرجوا، كما رد رسول الله ﷺ ابن عمر ومن معه.
- ٥ - جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن - فيما دون القتال مثل السقي والتطبيب.
- ٦ - جواز الانغماس في العدو، كما انغمس أنس بن النضر وغيره.
- ٧ - إن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بأصحابه قاعدا، وصلوا وراءه فعودا كما فعل رسول الله ﷺ واستمرت على ذلك سنته إلى حين وفاته (١٥٥).
- ٨ - جواز دعاء الرجل وتمنيه أن يقتل في سبيل الله، وليس ذلك من تمني الموت المنهي عنه، كما فعل عبدالله بن جحش.
- ٩ - إن المسلم، إذا قتل نفسه، فهو من أهل النار، كما في حال قزمان.
- ١٠ - السنة في الشهيد أن لا يغسل ولا يكفن في غير ثيابه، بل يدفن فيها بدمه، إلا أن يسلبها العدو، فيكفن في غيرها. والحكمة في ذلك كما روى الترمذي (١٥٦)، «حتى يلقوا ربهم بكلومهم - جروحهم -، ريح دمهم ريح المسك، واستغنوا بإكرام الله لهم». وكما روى ابن إسحاق (١٥٧) أن الرسول ﷺ قال عن شهداء أحد: «أنا شهيد على هؤلاء، ما من جريح يُجرَح في الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة، يذمُّ جرحه، اللون لون دم والريح ريح مسك...».

(١٥٥) انظر تفاصيل ذلك في «الغني» (٢/ ٢٢٠ - ٢١)، و«المحل» (٣/ ٥٩)، و«ذيل الأوطار» (١٥٩/٣).

(١٥٦) السنن (٣/ ٤١٢ - ٤١٣) أبواب الجنائز/ح ١٠٣٦/الدعاس).

(١٥٧) ابن هشام (٣/ ١٤٢ - ١٤٣)، وهو من مراسيل الصحابة، وأسأده حسن ونقله عنه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٩٠) وأحمد في المسند (٥/ ٤٣١) من طريق ابن إسحاق ولم يصرح عنده بالساج.

١١ - أما الصلاة على الشهيد فقد اختلف فيها العلماء وقد رجح ابن القيم^(١٥٨) أن الإمام بخير بين الصلاة عليه وتركها لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين.

وقد خرَّجَ محققا الزاد^(١٥٩) تلك الآثار وبيننا درجتها من الصحة، ثم قالوا: «ففي هذه الأحاديث مشروعية الصلاة على الشهداء لا على سبيل الإيجاب، لأن كثيرا من الصحابة استشهد في غزوة بدر وغيرها، ولم ينقل أن النبي ﷺ صلى عليهم، ولو فعل لنقل عنه، وقد جنح المؤلف - رحمه الله - في «تهذيب السنن: ٣٢٩٥/٤» إليه، فقال: «...»

١٢ - السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم.

١٣ - إن من عذره الله في التخلف عن الجهاد، لمرض أو عرج [شديد أو شيخوخة]، يجوز له الخروج إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرو بن الجموح، وهو أعرج، [والباقان والد حذيفة وثابت بن وقش وهما شيخان كبيران].

١٤ - إن المسلمين إذا قتلوا واحدا منهم في الجهاد يظنونهم كافرا، فعلى الإمام دفع ديته من بيت المال، كما في واقعة قتل الباقان.

وذكر ابن القيم^(١٦٠) بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في غزوة أحد. وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ...﴾^(١٦١) إلى تمام ستين آية من هذه السورة. نذكر هنا باختصار ما ذكره ابن القيم:

(١) تعريف المؤمنين بسوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم

(١٥٨) تهذيب السنن (٢٩٥/٤).

(١٥٩) (٢١٣/٣ - ٢١٤) - الحاشية. فانظرها لأهميتها. جزاها الله خيرا لما قاما به من عمل علمي.

قيم مفيد، تنمى للفائدة من هذا السفر العظيم.

(١٦٠) الزاد (٢١٨/٣) وما بعدها.

(١٦١) آل عمران: ١٢١.

هو لذلك السبب، كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليتليكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾^(١٦٢) فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرا وبقظة، وتحزنا من أسباب الخذلان.

(٢) إن حكمة الله وسنته في رسله، وأتباعهم، جرت بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقترضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاؤوا به عن يتبعهم على الظهور والغلبة، خاصة وإن هذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لأبي سفيان: «هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال، يدال علينا المرة، ونдал عليه الأخرى. قال: كذلك الرسل تبلى، ثم تكون لهم العاقبة»^(١٦٣).

(٣) ميزت محنة أحد بين المؤمن والمنافق الذي دخل الإسلام ظاهرا بعد انتصار المسلمين ببدر، وفي ذلك قال تعالى ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...﴾^(١٦٤).

(٤) استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيده حقا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

(٥) لا يصلح عباده إلا السراء والضراء، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته، فهو (سبحانه) إذا أراد أن يعز عبده، ويحببه، وينصره، كسره أولا، ويكون جبره له، ونصره على مقدار ذله وانكساره، وهذا ما وقع

(١٦٢) آل عمران: ١٥٢.

(١٦٣) من حديث أبي سفيان عند البخاري/ الفتح (٧١/١٢ ح ٢٩٤١)، ومسلم (٣/١٣٩٥ ح ١٧٧٣).

(١٦٤) آل عمران: ١٧٩.

للمسلمين بيدر ﴿ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة﴾ (١٦٥) ويحزن ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا﴾ (١٦٦).

٦) إنه سبحانه هيا لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيتها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

٧) إن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانا وركونا إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والآخرة، فإذا أراد الله بها الرحمة والكرامة قيض لها من الابتلاء ما فيه دواء وشفاء لذلك المرض.

٨) إن الشهادة عند الله من أعلى مراتب أوليائه، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو وغيره.

٩) إن في الابتلاء من الله تمحيص وتكفير لذنوب عباده وفرصة لهم لنيل الشهادة، قال تعالى: ﴿... وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين، وللمحسّن الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ (١٦٧).

١٠) إن الأنبياء (عليهم السلام)، إذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام - تعظيما لأجرهم - نأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره والعاقبة للمتقين، وهذه سنة الله فيهم (١٦٨).

١١) إن اشتراك الرسول ﷺ في القتال مثله كأبي فرد من أفراد جيشه دليل على حرصه ﷺ على عدم تميزه عن جنده ومساواة نفسه بهم. وفيه دليل على شجاعته وصبره وتحمله الأذى في سبيل دعوته.

(١٦٥) آل عمران: ١٢٣.

(١٦٦) التوبة: ٢٥.

(١٦٧) آل عمران: ١٤٠ و ١٤١.

(١٦٨) انظر حسين الباكري: مرويات غزوة أحد، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧١.

الفصل الثامن

الغزوات والسرايا والأحداث الأخرى بين غزوتي أحد والمُرَيْسِع

المبحث الأول: أ - غزوة حَمْرَاءِ الْأَسَدِ:

فكر المشركون في الكرة مرة أخرى على المسلمين ليقضوا عليهم قضاء مبرماً، وعندما علم الرسول ﷺ بنيتهم ندب الناس إلى المسير إلى لقائهم، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال» فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرح الشديد والخوف، وقالوا سمعاً وطاعة، وأذن لجابر بن عبدالله بالمسير معه لأنه لم يشهد أحداً، إذ كان أبوه قد خلفه على بناته، وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد^(١).

وعندما أقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ، أمره أن يلحق بأبي سفيان فيخذه، فيلحقه بالروحاء، ولم يعلم بإسلامه، فخذله وأخبره بخروج المسلمين إلى حمراء الأسد ونصحهم بالعود إلى مكة^(٢). وقال الله تعالى في هذه الغزوة: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾^(٣).

وروى ابن إسحاق^(٤) أنهم في طريق عودتهم من حمراء الأسد أسروا معاوية ابن المغيرة، جد عبد الملك بن مروان لأمه، وأبا عزة الجمحي الذي من

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

(٢) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (١٤٨/٣، ١٤٩، ١٥٠).

(٣) آل عمران: ١٧٢. وروى البخاري أن الزبير وأب بكر كانا من هؤلاء - انظر: الفتح (١٥/٢٥٣ ح ٤٠٧٧)، ورواه مسلم (١٨٨١/٤ ح ٢٤١٨). وفي الحديث أن الرسول ﷺ انتدب لأبي سفيان سبعين من أصحابه، قال الشامي: «والظاهر إنه لا يخالف بين هذا القول وقول أصحاب المغازي بأنهم خرجوا جميعاً لأن السبعين سبقوا غيرهم ثم تلاحق بالاقون».

(٤) ابن هشام (١٥٢/٣) يستند معضل.

الرسول ﷺ عليه بغير فداء من بين أسرى بدر، فقال: «يارسول الله أقلني»، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرتين». وضرب الزبير عنقه بأمر الرسول ﷺ. وروي أن الرسول ﷺ قال لأبي عزة: «إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وأمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه»^(٥).
لقد كانت هذه الغزوة في الثامن من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وقيل غير ذلك^(٦)، إذ قال ابن إسحاق^(٧) إنها في يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال.

ب - عبر في هذه الغزوة:

١ - إن خروج الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد، يُعدُّ مظهراً من مظاهر الكمال المحمدي من: شجاعة وتحمل وصبر وعدم الاستسلام لأي مظهر من مظاهر الهزيمة، وحسن سياسة، وبيانا لفضل أصحاب محمد ﷺ وما كانوا عليه من طاعة وصبر وتحمل واستجابة لله والرسول. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾. الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله، ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم^{(٨)(٩)}.

(٥) رواه ابن هشام بلاغا عن ابن المسيب (١٥٢/٣) - والحديث في الصحيحين، ولكنه عام ولم يخص له مناسبة معينة. انظر: الفتح (٣٣٣/٢٢) ح (٦١٣٣) وهو من حديث ابن المسيب مما يعني أن حديث ابن هشام له أصل في الصحيح. وذكر ابن حجر في شرحه لحديث البخاري أن ابن إسحاق رواه في المغازي دون إسناد.

(٦) الواقدي (٣٣٤/١)، ابن سعد (٤٨/٢) وأسانيدهما ضعيفة.
(٧) ابن هشام (١٤٧/٣) - دون إسناد، ورواه الطبري في التاريخ والتفسير من طريق ابن إسحاق وهو موقوف على عكرمة وفيه حسين بن عبد الله وهو ضعيف الحديث، انظر: تفسير الطبري (٩٩/٧) (شاكراً).

(٨) آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤.
(٩) وانظر عن أسباب نزول هذه الآيات: تفسير الطبري (٣٩٩/٧ - ٤١٥) وفيها طرق صحيحة.

المبحث الثاني: سرية أبي سَلَمَة:

عندما سمع الأعراب القاطنون حول المدينة، ما أصاب المسلمين في أحد، تَجَرَّؤُوا على المسلمين، واتضح ذلك من المحاولات التي قام بها بنو أسد في نجد وبنو هذيل في عرفات وغيرهم لغزو المدينة. فقد وصلت الأخبار إلى النبي ﷺ بأن بني أسد بن خُزَيْمَة بقيادة طُلَيْحَة الأسدي وأخيه سَلَمَة يعدون العدة لغزو المدينة طمعا في خيراتها ومظاهرة لقريش في عداوتها للمسلمين. فسارع رسول الله ﷺ إلى بعث مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار في سرية، وأمر عليهم أبا سلمة بن عبد الأسد. فباغتوهم على ماء لهم بجبل يسمى قَطَن، ففروا في وجوههم، فاستاقوا أنعامهم إلى المدينة. وكان ذلك في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة^(١٠).

المبحث الثالث: سرية عبدالله بن أنيس:

بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن بُنَيْع الهذلي بنخلة أو بُعْرَة من عرفات، ليقتله، وذلك لأن خالداً كان يجمع الناس ليغزو بهم المدينة. وقبل أن يتحرك طلب من الرسول ﷺ أن ينعته له، فنعته له فخرج إليه. وعندما لقيه رأى فيه ما نعته به الرسول ﷺ، فاحتال عليه حتى قتله، وجاء إلى رسول الله ﷺ. وعندما رآه الرسول ﷺ قال: «أفلح الوجه...» ثم أدخله البيت وأعطاه عصا ليتخصر بها - يتكىء عليها - آية بينه وبين الرسول ﷺ يوم القيامة، وقال له: «إن أقل الناس المتخصرون يومئذ»، واحتفظ بها حتى دفنت معه^(١١).

(١٠) الواقدي (٣٤٠/١)، ابن سعد (٥٠/٢) دون إسناد، ابن إسحاق - معلقا ومختصرا - ابن هشام (٣٤٤/٤)، ابن كثير: البداية (٧٠/٤)، وهكذا لم يرد في خبرها إسناد ينجح به.
(١١) ذكرناها مختصرة، فانظرها بتمامها عند ابن إسحاق - ابن هشام (٣٥٤/٤ - ٣٥٥) بإسناد منقطع، وقد وصلها البيهقي في الدلائل (٤٢/٤ - ٤٣) وفي السنن/ك. صلاة الخوف، وإسنادها حسن. رواها أحد في المسند (٤٩٦/٣) من (٢٥٦/٣) الطريق نفسها، وإسناده حسن، وأبو داود في السنن (٤١/٢ - ٤٢/٢) ك. الصلاة/ح (٢٢٤٩) وليس فيه قصة دفن العصا معه، وهو من طريق ابن إسحاق ولم يصرح فيه بالسباع، وحسن ابن حجر إسنادها كما في الفتح (٢٦٠/١٥) ك. المغازي/ب غزوة الرجيع). وانظر كذلك: الواقدي (٥٣١/٢)، وابن سعد (٥٠/٢).

وكانت هذه السرية في الخامس من محرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة^(١٢).

المبحث الرابع: سرية الرجيع:

روى البخاري^(١٣) أن الرسول ﷺ بعث بسرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت^(١٤) فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحِيَّان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزله فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى قَرْقَد - مرتفع من الأرض - وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا لا نقتل منكم رجلا، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم اخبر عنا نبيك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل.

(١٢) ابن سعد (٥٠/٢). وعند الواقدي أن ابن أنيس خرج في يوم الاثنين لحس خلون من المحرم على رأس أربعة وخسين شهرا، وقدم المدينة يوم السبت لسبع بقين من المحرم. والراجح ما قاله ابن سعد لأن الواقدي نفسه ذكر أن سبب مأساة الرجيع هو قتل المسلمين خالدًا الهذلي، وعند الواقدي أن الرجيع كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة - الواقدي (٣٥٤١).

(١٣) البخاري/ الفتح (٢٦٠/١٥) - ٢٦٥/٢٦٥ ح ٤٠٨٦. ورواه أحمد في المسند: الرباعي (٢١/٦٠) - ٦٢، بمثل سياق البخاري وروى القصة أهل المغازي: ابن إسحاق بإسناد موقوف على عاصم ابن عمر - ابن هشام (٢٤١/٣) - ٢٦٠، والواقدي (٣٥٤/١) - ٣٦٣، وابن سعد (٥٥/٢) - ٥٦ وإسناده صحيح. وفيه أنه قدم على رسول الله ﷺ رهط من عضل والقارة وهم من الهون ابن خزيمه، فقالوا: ويا رسول الله، إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفتقهننا ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ معهم عشرة رهط... إلخ. القصة. قارن بين مضمونها ومضمون رواية البخاري والآخرين.

(١٤) وقد ورد في مغازي عروة مثليا ورد عند البخاري في سبب السرية. انظر: مغازي عروة، ص ١٧٥، ولم يذكر عروة غير ثلاثة، وقال إن بني لحيان من هذيل هم الذين اعترضوهم بالرجيع من نجد والمعروف أن الرجيع ماء هذيل بمنطقة الحجاز - انظر ابن القيم في الزاد (٣/٢٤٤). وسببها عند ابن إسحاق - ابن هشام (٢٤٢/٣) بإسناد مرسل: أن رهطاً من عضل والقارة قدموا على رسول الله ﷺ وقالوا إن فيهم إسلاما وطلبوا أن يبعث معهم نفرا من أصحابه ليفقهوهم في الدين، وقد وافق ابن سعد في هذا. وعند ابن إسحاق أنهم ستة وأميرهم مرثد بن أبي مرثد، وذكرهم. وجزم الواقدي (٣٥٤/١) - ٣٥٥ أنهم كانوا سبعة فذكرهم، وذكر بصيغة التعريض أنهم كانوا عشرة، وجزم بأن أميرهم مرثد وذكر بصيغة التعريض أنه كان عاصم. وذكر أن السبب هو أن بني لحيان مشيت إلى عضل والقارة وجعلت لهم جملا ليخرجوا إلى محمد ﷺ ويطلبوا منه أن يخرج معهم من يَدعوهم إلى الإسلام فيكمثوا لهم ويأسروهم ويصيبوا بهم ثمنا في مكة. ويمكن التوفيق بين روايتي البخاري وابن إسحاق بأن يكون وافق أرساهم عينا بجيء النفر من عضل والقارة في طلب من يعلمهم الإسلام - انظر: عرجون محمد رسول الله ﷺ (٤١/٤).

وبقي خبيب وزيد ورجل آخر^(١٥). فأعطوهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم. فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث الذي معهم: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة. فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر^(١٦)، فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا قتله، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها، فأعارته، قالت: «فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني، وفي يده موسى. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى. وكانت تقول: ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وبامكة يومئذ تمر، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقا رزقه الله»^(١٧). فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: «دعوني أصل ركعتين»، ثم انصرف إليهم فقال: «لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت». فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو، ثم قال: «اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا، ثم قال: ما إن أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان في الله مصري وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع»^(١٨)

(١٥) هو عبدالله بن طارق كما في رواية ابن إسحاق - ابن هشام (٢٤٤/٣) والوافدي (٣٥٧/١).
(١٦) يذكر بعض أصحاب المغازي أن خبيبا لم يشهد بدرا وإنما الذي شهدا وقتل الحارث بن عامر هو خبيب بن إساف، وللتوفيق بين روايات أهل السبر ورواية البخاري، قال ابن حجر بأنهم قتلوا خبيبا بالحارث لكون خبيب بن إساف قتل الحارث على عادتهم الجاهلية بقتل بعض القبيلة عن بعض. وانظر مناقشة عرجون لهذه القضية: محمد رسول الله ﷺ، (٥٣/٤ - ٦٥).
(١٧) وخبر هذه الكرامة أيضا عند ابن إسحاق - ابن هشام (٢٤٦/٣) حدثه به مابو، مولاه حجر بن أبي إهاب، وكانت قد أسلمت.
(١٨) وقال ابن حجر في شرحه لحديث الباب (٢٦٥/١٥): «وعند أبي الأسود عن عروة زيادة في هذا الشعر، ثم ساق الأبيات الآتية:

١ - لقد جَمَعَ الأحزاب حولي والبروا
فبائلهم واستجمعوا كل مجمع
٢ - وفد جمعوا أبنائهم ونساءهم
وفربت من جزع طويل تمنع
٣ - إلى الله أشكو غربي ثم كربني
وما أرصد الأحزاب بي عند مصري
٤ - فذا العرش صبرني على ما براد بي
فقد بضموا لحمي وقد يباس مطمعي
٥ - وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع
٦ - لمصري ما أحفل إذا مت مسلما
على أي حال كان في الله مضجعي

ثم قام إليه عقبة بن الحارث^(١٩) فقتله. وبعث قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قد قتل عظيماً^(٢٠) من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء^(٢١).

وقال حسان بن ثابت شعرا رائعا في رثاء خبيب ورفقائه الكرام^(٢٢).
وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صقوان بن أمية ليقتله بأبيه، أمية بن خلف.
وعندما أخرجوه من الحرم إلى التنعيم ليقتلوه، اجتمع رهط من قريش فيهم أبوسفيان، فقال أبوسفيان حين قدم ليقتل: «أتشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه، وأنت في أهلك؟» قال: «والله

وقال ابن حجر إن ابن إسحاق ساقها ثلاثة عشر بيتا، والذي وقفنا عليه لابن إسحاق في سيرة ابن هشام عشرة أبيات. والأبيات الزيادة على ما ذكرناه هنا عن عروة، وهي:

وكلمهم مبدئي العدو جاهد عليّ لأنني في وثاق بعضهم
[بعد البيت الأول لعروة].

وقد خبروني الكفر والموت دونه وقد هملت عني من غير مجزع
[بعد البيت الخامس لعروة].

وبابني حذار الموت إنني لميت ولكن حذاري تجحّم نار ملقع
[بعد البيت الذي ذكرناه].

فوالله ما أرجو إذا مت مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي
[هو البيت السادس لنفسه لعروة].

فلست بمبند للعلو تخشعا ولا جزعا إنني إلى الله مرجعي
[بعد البيت السادس عند عروة].

انظر مغازي عروة، ص ١٧٧. وقال ابن هشام (٢٥٠/٣) وبعض أهل العلم بالشعر ينكها له - أي خبيب (١٩) وفي رواية ثانية عند البخاري أن الذي قتله هو أبوسروعة (الفتح ٢٦٦/١٥) وفي رواية ثالثة أنه أبوسروعة عقبة بن الحارث (الفتح ١٧٧/١٥) وقال ابن حجر إن أبا مروعة هو أخو عقبة، وليس أبوسروعة وعقبة أسما واحدا. وفي رواية لابن إسحاق بإسناد حسن صحيح أن عقبة بن الحارث لم يقتل خبيبا لأنه كان صغيرا، وأن الذي قتله هو أبوسيرة الميذري، أخذ الحربة فجعلها في يده، ثم أخذ بيده وبالحربة ثم طعن بها خبيبا حتى قتله.

(٢٠) هو عقبة بن أبي معيط، الذي أسر بيدر وقتله عاصم صبرا بأمر الرسول ﷺ كما مر بنا.
(٢١) عند ابن إسحاق أن هذيل أراد أن يبيعه من سلافة بنت سمذ بن شهيد، وكانت قد تدرت حين أصاب ابنها يوم أحد: لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في فحقه الحمر...
ابن هشام (٢٤٤/٣) يدون إسناد.

(٢٢) انظره عند ابن إسحاق - ابن هشام (٢٥٠/٣ - ٢٦٠) وعروة: المغازي، ص ١٧٧، قال الأعظمي: «رواه الطبراني وفيه ابن شيبة وحديثه حسن وفيه ضعف».

ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيهِ وإني جالس في أهلي»، فقال أبوسفیان: «ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمد محمدا». ثم قتله نسطاس مولى صفوان^(٢٣).

لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين: «يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لاهم أقاموا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة أصحابهم، فأنزل الله فيهم آية: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾^(٢٤) وما بعدها، وأنزل في أصحاب السرية: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد﴾^(٢٥)»^(٢٦).

بعث الرسول ﷺ عمرو بن أمية الضمري وحده إلى قريش، قال: «فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون، فركبت فيها، فحللت خبيبا، فوقع إلى الأرض، فانتبذت غير بعيد، ثم التفت فلم أر خبيبا، ولكأنما ابتلعتة الأرض، فلم ير خبيب أثر حتى الساعة»^(٢٧).

كانت هذه السرية في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة^(٢٨).

المبحث الخامس: سرية بئر مَعُونَة:

وفي الشهر ذاته الذي أرسل فيه الرسول ﷺ سرية الرجيع، أرسل الرسول ﷺ سرية بئر مَعُونَة^(٢٩).

فقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ أرسل إلى نجد سبعين من خيار

(٢٣) ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢٤٥/٣)، ابن سعد (٥٦/٢) من طريق ابن إسحاق، مرسل.

(٢٤) البقرة: ٢٠٤.

(٢٥) البقرة: ٢٠٧.

(٢٦) قاله ابن إسحاق بإسناد متقطع - ابن هشام (٢٤٨/٣) لأن فيه راو لم يسمه، ووصله ابن كثير في البداية (٧٦/٤) من هذا الطريق وسمى الراوي المجهول وهو محمد بن أبي محمد. والحديث ضعيف لعلتين: لعنة ابن إسحاق، وهو مدلس، ولأن محمد بن أبي محمد مجهول، كما في التقريب ص ٥٠٥.

(٢٧) أخرجه أحمد في المسند (١٣٩/٤) وابن أبي شيبة من طريق جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه، وفي سننه إبراهيم بن إسحاق، وهو متفق على ضعفه - انظر التقريب، ص ٨٨.

(٢٨) الواقدي (٣٥٤/١)، ابن سعد (٥٥/٢) وأسانيدهما ضعيفة.

(٢٩) قاله الواقدي (٣٤٦/١) وابن سعد (٥١/٢)، وابن إسحاق - ابن هشام (٢٦٠/٣) وأسانيدهم ضعيفة.

الصحابية (رضي الله عنهم) عرفوا بالقراء، كانوا يتخطبون بالنهار ويصلون بالليل^(٣٠)، وينفقون ثمن حطيمهم على أهل الصفة^(٣١).

وذكر مسلم^(٣٢) أن سبب إرسالهم هو أن أناسا جاءوا إلى رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يبعث معهم رجلا يعلمونهم القرآن والسنة.

وذكر البخاري^(٣٣) سببا آخر لا يختلف عن هذا في جوهره، وهو أن بطونا من بني سليم، هم: رَعْلٌ وَذُكْوَانٌ وَعُصَيَّةٌ بنو لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدهم بأولئك السبعين، وقد وافق البخاري ابن سعد^(٣٤) في هذا السبب.

وذكر ابن إسحاق^(٣٥) أن أبا براء عامر بن مالك، المدعو «ملاعب الأسنة» قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدعاه إلى الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وقال: «يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك، لرجوت أن يجيئهم، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا جار لهم».

ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأن يكون كلا الأمرين قد وقعا، أي إرسال الرسول ﷺ هؤلاء السبعين بناء على طلب أبي براء وبني سليم.

عندما نزلوا بيثر معونة بين أرض عامر وحره بني سليم، بعثوا حرام بن ملحان - أخا سليم - بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلا فطعن حراما بالحرية من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم، قال حرام: «والله أكبر، فزت ورب الكعبة»^(٣٦).

ثم استنفر ابن الطفيل بني عامر إلى قتال المسلمين، فلم يجيئوه لأجل

(٣٠) البخاري/ الفتح (١٥/٢٦٨) ح (٤٠٩٠).

(٣١) مسلم (٣/١٥١١) ح (٦٧٧).

(٣٢) المصدر والمكان نفسهما.

(٣٣) الفتح (١٥/٢٦٧) ح (٤٠٩٠).

(٣٤) الطبقات (٢/٥٣) بإسناد صحيح.

(٣٥) ابن هشام (٣/٢٦٠) بإسناد مرسل، ابن سعد (٢/٥١) بدون إسناد، الواقدي (١/٣٤٦).

وأسانيدهم ضعيفة.

(٣٦) هنا تتفق رواية أهل السير مع رواية الصحيحين، ما عدا ذكر إمارة المنذر ولقبه، فهو من رواية أهل السير.

جوار أبي براء، فاستنفر بني سليم فأجابته عصية ورعل وذكوان، وخاضوا مع المسلمين معركة ضارية، قتل فيها المسلمون جميعاً، إلا كعب بن زيد ابن النجار، الذي ترك وبه رمق، فعاش حتى استشهد في غزوة الخندق، وعمرو بن أمية، الذي كان قد تأخر عنهم هو والمندر عقبة بن عامر، وعندما وجدا أصحابهما قد صرعوا قاتلا المشركين، فقتلوا المندر وأسروا عمرا، ثم أعتقه عامر عن رقة كانت على أمه.

وعاد عمرو بن أمية بالخبر الأليم إلى الرسول ﷺ بالمدينة، وفي الطريق فتك برجلين من بني كلاب، هو يرى أنه قد أصاب ثار أصحابه، وإذا معها عهد من رسول الله ﷺ، لم يعلم به، ولذا التزم الرسول ﷺ بأداء ديتهما، فأخذ في تحصيل الدية من المسلمين وأهل الصحيفة من اليهود. وعندما ذهب إلى اليهود للإعانة في دية الكلابيين حاولوا قتله، مما كان من أسباب غزوة بني النضير - كما سنرى.

وقد تألم الرسول ﷺ لهاتين الفاجعتين - معونة والرجيع - فأخذ يدعو في صلاة الصبح ثلاثين صباحاً على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة والرجيع: رعل وذكوان ولحيان وعصية^(٣٧).

وظهرت لعامر بن فهيرة كرامة في هذه الموقعة. فقد روى البخاري^(٣٨) انه لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو الضمري، قال له ابن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: «لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع».

(٣٧) هذه الخلاصة من صحيح البخاري/ الفتح (١٥/٢٦٦ - ٢٧٤/٢٧٤ - ٤٠٨٨ - ٤٠٩٦) وهي تسعة أحاديث، ومسلم (٣/١٥١١/٣) ح (٦٧٧)، وأحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/٦٣ - ٦٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٢٦): رجاله رجال الصحيح، والطبراني كما في المجمع (٦/١٢٦ - ١٢٧): رجاله رجال الصحيح، وابن سعد (٢/٥١ - ٥٤)، وابن إسحاق بإسناد مرسل (ابن هشام (٣/٢٦٠ - ٢٦٧).

(٣٨) الفتح (١٥/٢٧٢) ح (٤٠٩٣).

المبحث السادس : حكم وأحكام وعبر ودروس من سريتي الرجيع ومعونة: (٣٩)

١ - تدل هاتان الحادثتان على اشتراك المسلمين كلهم في مسؤولية الدعوة إلى الإسلام وتبصير الناس بحقيقته وأحكامه. فليس أمر الدعوة موكولا إلى الأنبياء والرسل وحدهم أو خلفائهم والعلماء دون غيرهم.

وعلى الرغم من استنعار الرسول ﷺ الخوف على القراء نتيجة لما وقع لأهل الرجيع، إلا أنه لم يتوقف عن إرسال بعث القراء، ومن بعده أرسل بعوثا أخرى حتى تاريخ وفاته، لأنه كان يرى أن القيام بأعباء تبليغ الدعوة أهم من كل شيء، ليكن ما يريد الله في سبيل القيام بأمره وتبليغ دعوته.

٢ - إن معجزة التريية الإسلامية تتجلى في موقف خبيب بن عدي عندما لم يمس طفل آل الحارث بسوء، على الرغم من موادة فرصة الانتقام لنفسه من المشركين الذين حبسوه ليقتلوه، وتتجلى نذالة الكافرين في الغدر بأصحاب الرجيع وأصحاب بئر معونة، ولم يشفع لخبيب عندهم موقفه النبيل من طفل آل الحارث. والغدر والخيانة وصف لازم في الغالب لأهل الكفر والشرك.

٣ - إن للأسير في يد العدو أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن نفسه ولو قتل، ترفعا عن أن يجري عليه حكم الكافر، كما فعل عاصم (رضي الله عنه)، فإن أراد الترخص فله أن يستأمن، مترقبا الفرصة للمخلاص، كما فعل زيد وخبيب (رضي الله عنهما).

٤ - إن ما ظهر من أمر خارق للعادة لخبيب عندما كان أسيرا، دل على أن كل ما أمكن أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي.

٥ - مشروعية الصلاة عند القتل وأن خبيبا هو الذي سنه، وأقر ذلك الرسول ﷺ.

٦ - تتجلى قوة إيمان ابن الدثنة في حبه لرسول الله ﷺ ورضائه بالموت ولا

(٣٩) ملخصا عن: فقه السيرة للبوطي، ص ص ١٩٩ - ٢٠١، هذا الخبيب «محمد ﷺ» يا محب: ص ص ٢٨٢، ٢٨٥، فقه السيرة للغزالي ص ٢٩٨، ٣٠١.

يصاب رسول الله ﷺ بشوكة تؤذيهِ، وهو آمن في أهله، وكذا كان حب أصحاب رسول الله ﷺ له، وذلك واجبهـم وواجب كل مؤمن ومؤمنة، وإن ذلك من دلائل إيمان العبد.

٧- إن أصحاب رسول الله ﷺ هم أحب الخلق إلى الله ورسوله، ممن يضعهم الله تعالى في محك الامتحان.

٨- مشروعية القنوت في الصلاة للدعاء على الظلمة، ولرفع البلاء النازل على المؤمنين.

المبحث السابع: غزوة بني النضير:

أولاً : سبب الغزوة: تشير المصادر إلى ثلاثة أسباب لهذه الغزوة:
الاول: أرادت بني النضير قتل الرسول ﷺ بعد بدر الكبرى عندما حرضتهم قريش على ذلك.

الثاني: محاولتهم قتل الرسول ﷺ عندما جاءهم ليستعين بهم في دية الكلابيين اللذين قتلها الضمري.

الثالث: حضهم قريش على قتال الرسول ﷺ ودلوهم على العورة.
تقول المصادر عن السبب الأول إن قريشا أرسلت إلى اليهود وهددتهم بالحرب إن لم يقتلوا الرسول ﷺ، فاستجاب بنو النضير لذلك ووضعوا خطة يقتلون بها الرسول ﷺ غدرا. فقد طلبوا منه أن يخرج إليهم في ثلاثين رجلا من أصحابه ليلتقي بثلاثين من أحبارهم في موضع وسط ليحدثهم، فإن صدقوه آمنت يهود. فلما جاءوا قريبا من المكان اقترحوا على النبي ﷺ أن يجتمع ومعه ثلاثة من أصحابه وثلاثة من أحبارهم، وقد حمل هؤلاء اليهود الثلاثة خناجرهم، ولكن امرأة منهم أفشت سرهم لأخ لها مسلم، فأخبر النبي ﷺ، فرجع عنهم، ثم استعد وحاصرهم بجنوده حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح^(٤١).

(٤١) رواها عبد الرزاق في مصنفه (٣٥٩/٥ - ٣٦٠) بإسناد صحيح رجاله ثقات، وجهالة الصحابة فيه لا تضر، وأبو داود في السنن (٤٠٤/٣ - ٤٠٦/٤) ك. الخراج/ح (٣١٠٤)، والبيهقي في الدلائل (١٧٨/٣ - ١٧٩) من طريق أبي داود وعبد الرزاق، وابن مردويه بإسناد صحيح من حديث عبد الرزاق، وعبد الرحمن بن حميد في المغازي/ب. حديث بني النضير والحاكم (٤٨٣/٢).

أما السبب الثاني فتقول عنه المصادر إن النبي ﷺ عندما ذهب إليهم في دية الكلابيين، لما كان بينه وبينهم من الخلف، جلس إلى جدار لهم في انتظارهم ليأتوا بها وعدوا به من المساهمة في الدية، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فاتفقوا على أن يعلو عمرو بن جحاش ذلك الجدار، فيلقي صخرة على الرسول ﷺ فيقلته. فأخبر الله رسوله بما أرادوا، فخرج راجعا إلى المدينة. وعندما تأخر عن أصحابه الذين كانوا معه، سألوا عنه، فعلموا رجوعه إلى المدينة، فأتوه فأخبرهم الخبر، ثم أمر بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم، ومحاصرتهم، فنزلوا على الصلح بعد حصار دام ست ليال، على أن لهم ما حملت الإبل^(٤١).

أما السبب الثالث فقد انفرد به موسى بن عقبة^(٤٢)، حيث قال: «كانت النضير قد دسوا إلى قريش وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ ودلوهم على العورة». وقال إن ذلك كان عندما نزلوا بأحد لقتال رسول الله ﷺ^(٤٣). ولعل الدكتور العمري^(٤٤) لم يطلع على الرواية التي عند البيهقي وما فيها من الزيادة عن رواية موسى بن عقبة عند ابن حجر، وهذه الزيادة هي: «حين نزلوا بأحد...» ولذا قال العمري إن رواية موسى بن عقبة لم تحدد وقتا للأعمال التي ارتكبتها اليهود ضد المسلمين ولعله يقصد أعمالاً معينة.

ومن المعروف أنهم حرصوا المشركين على قتال المسلمين فكانت أحد، وأعانوا أباسفيان في إغاراته على أطراف المدينة مما أدى إلى مطاردة المسلمين له فيها عرف بـ«غزوة السوق»، وأن كعبا بن الأشرف كان يقرض الشعر في هجاء المسلمين وتحريض قريش عليهم. كل هذا يدل على حافهم مع

(٤١) ابن إسحاق - بإسناد مرسل - ابن هشام (٢٦٧/٣ - ٢٦٨)، ويتقوى هذا الإسناد بالمتابعة، وقد توبع برواية موسى بن عقبة عند ابن حجر في الفتح (٢٠٢/١٥) وعند البيهقي في الدلائل (١٨٠/٣ - ١٨١). وفي رواية موسى بن عقبة عند ابن حجر زيادة عما عند ابن إسحاق، وهي: «كانت النضير قد دسوا إلى قريش وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ، ودلوهم على العورة» وعنوان باب حديث بني النضير عند البخاري يدل على قبوله لهذا السبب، ونص العنوان: «حديث بني النضير وخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الكلابيين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ».

(٤٢) عند ابن حجر في الفتح (٢٠٣/١٥).

(٤٣) من رواية الحموي بن عقبة عند البيهقي في الدلائل (١٨٠/٣) بإسناد ضعيف.

(٤٤) المجتمع المدني في عهد النبوة - تنظيماته... ص ١٤٧.

المسلمين إلى أن كانت محاولتهم قتله، وتسبب ذلك في قرار لوضع حد لممارساتهم الإجرامية، فكان القرار طردهم من المدينة^(٤٥).

ثانيا: الإنذار:

عندما صدر منهم ما صدر طلب منهم الرسول ﷺ الخروج من المدينة خلال عشرة أيام، فمن رآه بعد ذلك ضربت عنقه.

وعندما استعدوا للخروج حرضهم عبدالله بن أبي بن سلول على عدم الخضوع ومناهم بالوقوف إلى جانبهم، فأعلنوا العصيان، فحاصروهم المسلمون^(٤٦)، وقد أشارت آيات في سورة الحشر إلى هذا، مثل قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون...﴾^(٤٧)

ثالثا: الجلاء وشروطه:

ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ أجلى بني النضير عندما حاربوا^(٤٨) وفصلت الكتب الأخرى، وخاصة كتب المغازي والسير، كيفية هذا الجلاء ونوعية الحرب التي حاربوها.

وصح أن الرسول ﷺ حاصروهم بالكتائب، وقال لهم: «إنكم لا تأمنون

(٤٥) انظر المرجع والمكان نفسهما.

(٤٦) رواه الواقدي (٣٦٧/١ - ٣٦٩) وفيه ذكر المدة، وابن إسحاق - دون إسناده - ابن هشام (٢٦٩/٣) ولم يذكر المدة، وابن سعد (٥٧/٣ - ٥٨) - دون إسناده مثل مضمون رواية الواقدي، والبيهقي في الدلائل (١٨١/٣ - ١٨٣) بإسنادين فيها أربعة مجاهيل وهذا تكون كل الأسانيد ضعيفة.

(٤٧) الحشر: ١١ - ١٢. ومن روى أن سبب إنزالها كان في بني النضير والمنافقين: الطبري في التفسير (٤٦/٢٨) بإسناده إلى ابن عباس ولكنه ضعيف، وإسناده مرسل موقوف على مجاهد ورجاله ثقات، وابن إسحاق - دون إسناده - ابن هشام (٢٧٢/٣ - ٢٧٣).

فالأثر كلها ضعيفة، لكن البعض يتقوى بالمناجعة، أما نزول سورة الحشر في بني النضير فقد ثبت بطرق صحيحة، وتناولت في بعض آياتها موقف المنافقين نحو بني النضير، وثبت أن ابن عباس سهاها سورة بني النضير كما روى البخاري. انظر: البخاري/ الفتح (٤٠٤/١٥ - ٢٠٤/٢٠٤).
المغازي/ ح (٤٠٢٩)

(٤٨) البخاري/ الفتح (٢٠٢/١٥ - ٢٠٢/٢٠٢).

عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك، هو والمسلمون، ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيل والكتائب، وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة - السلاح - فجاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم، فكانوا يجربون بيوتهم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشبها»^(٤٩).

وقد ثبت بنص القرآن^(٥٠) أن النبي ﷺ حرق وقطع بعض نخل بني النضير خلال مدة الحصار، وثبت في الحديث الشريف^(٥١) أن النبي ﷺ حرق وقطع بعض نخل بني النضير خلال مدة الحصار.

وتذكر بعض الروايات أنهم أجلوا إلى الشام^(٥٢) والبعض الآخر يذكر أنهم توجهوا إلى خيبر^(٥٣). وفي رواية ابن إسحاق^(٥٤) ما يجمع بين هذه الروايات، حيث قال: «فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، فكان أشرفهم من سار منهم إلى خيبر: سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحسي بن أخطب. فلما نزلوها دان لهم أهلها». ويؤيده في ذلك الأحداث اللاحقة الثابتة بالرويات القوية، مثل أخبار قتالهم في غزوة خيبر، وقتل كنانة وأسر صفية وخبر سلام بن أبي الحقيق^(٥٥).

وقد أسلم منهم اثنان، هما: يامين بن عمر بن كعب وأبوسعد بن وهب،

(٤٩) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٥٨/٥ - ٣٦١)، وأبو داود في السنن (٤٠٤/٣ - ٤٠٧/٤ - ك.

الحراج ب. في خبر النضير/ ح ٣٠٠٤) والبيهقي في الدلائل (١٨١/٣ - ١٨٢). وانظر الفتح

(٢٠٢/١٥)، ورواه من أهل السير: ابن إسحاق - دون إسناده - ابن هشام (٢٦٨/٣ - ٢٦٩)،

ابن سعد (٥٧/٢ - ٥٨) - معلقا، الواقدي (٣٦٤/١ - ٣٧٥) بإسناده منقطع.

(٥٠) الحشر: ٥. «وَمَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْثَةٍ أَوْ نُرْتَجَمُوا فَأَتِمُوا إِلَى آصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ...» روى البخاري

أنها نزلت عندما حرق وقطع الرسول ﷺ نخل بني النضير، وهي البويرة - انظر: البخاري/ الفتح (٢٦٦/١٨) ح ٤٨٨٤، و (٢٠٥/١٥) ح ٤٠٣١ - ٤٠٣٢.

(٥١) أحاديث البخاري في باب بني النضير - المصدر نفسه، وسنن الترمذي (١٥٧/٥ - ١٥٨/تحفة

الأحوزي)، وسنن ابن ماجه (٩٤٨/٣ - ٩٤٩).

(٥٢) روى ذلك عبد الرزاق في المصنف (٣٥٨/٥ - ٣٦١) بإسناده صحيح.

(٥٣) ابن سعد (٥٨/٣) بإسناده ضعيف.

(٥٤) ابن هشام (٢٦٩/٣) - معلقا.

(٥٥) انظر العمري: المجتمع المدني - تنظيماته، ص ١٤٩.

ولذا أحرزا أموالها^(٥٦).

أما الأموال والنخيل فكانت لرسول الله ﷺ^(٥٧)، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكرع عدة في سبيل الله^(٥٨). وقسم الرسول ﷺ أرضهم بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار أحدا سوى سهل بن حنيف وأبي دُجَّانَةَ، وذلك لفقْرهما^(٥٩). ولم يتوقف زعماء بني النضير عن مكائدهم بعد كل هذا، فقد حرضوا الأحزاب، فكانت غزوة الخندق^(٦٠).

رابعا: تاريخ غزوة بني النضير:

روى عبدالرزاق^(٦١) من حديث الزهري، والحاكم^(٦٢) من حديث عروة، أنها كانت بعد غزوة بدر الكبرى^(٦٣). وذكر البخاري^(٦٤) في رواية معلقة من الترجمة عن عروة بأنها كانت على رأس ستة أشهر من بدر، قبل وقعة أحد. وذكر ابن حجر^(٦٥) أن عبدالرزاق قد وصلها في مصنفه عن معمر عن الزهري بآتم مما عند البخاري، وقد رواها البيهقي^(٦٦) من هذا الطريق. وروى

(٥٦) ابن إسحاق - بإسناد منقطع، من حديث شيخه عبدالله بن أبي بكر - ابن هشام (٢٧٠/٣) والمنقطع من أقسام الضعيف.

(٥٧) وذلك بنص الآية «وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوتِيتُمْ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ وَلَا رِيبَ فِي ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» سورة الحشر في بني النضير كما روى البخاري: الفتح (٢٦٦/١٨) ح ٤٨٨٢، (٤٨٨٣)، وانظر: صحيح مسلم (١٣٨٨/٣ - ١٣٩٠/١٣) ح ١٧٦٨ - ١٧٦٩.

(٥٨) روى ذلك البخاري/ الفتح (٢٦٦/١٨) ح ٤٨٨٥.

(٥٩) عبدالرزاق: المصنف (٣٥٨/٥ - ٣٦١) وأبو داود (٤٠٤/٣ - ٤٠٤/٤) ح ٣٠٠٤ ولم يصرح باسميهما، وابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٢٧٠/٣).

(٦٠) سيأتي خبر مقتل سلام بن أبي الحقيق في غزوة خيبر، لأنه حرض على غزوة الأحزاب. وذكر ابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٢٩٨/٣) - أسماء اليهود الذين حرضوا الأحزاب من بني النضير: سلام وحسي وكنانة. وعن ذكر تحريضهم: عبدالرزاق في المصنف (٣٧٣/٥ - ٣٧٣/٥) وابن سعد (٦٥/٣ - ٦٦) وابن حجر في الفتح (٢٧٥/١٥) من رواية موسى بن عتبة - معلقا. والخلاصة أن الروايات في هذا الموضوع ضعيفة ولكنها تصلح بمجموعها للاحتجاج ويتقوى بعضها ببعض لأنها من روايات أئمة المغازي والسير ولها شواهد.

(٦١) المصنف (٣٥٧/٥) بإسناد صحيح.

(٦٢) المستدرک (٤٨٣/٢) وصححها ووافقه الذهبي.

(٦٣) كانت بدر الكبرى في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ كما مر بنا.

(٦٤) الفتح (٢٠١/١٥) ك. المغازي/ ب. حديث بني النضير - دون رقم.

(٦٥) المصدر والمكان نفسهما.

(٦٦) انظر: المصنف (٣٥٧/٥)، ودلائل النبوة للبيهقي (١٧٨/٣) بإسناد إلى عائشة (رضي الله عنها).

البيهقي^(٦٧)، رواية عن الزهري عن عقيل بمثل رواية البخاري وعبدالرزاق. هكذا عند أهل الحديث أنها قبل أحد وبعد بدر، ولكن أصحاب المغازي والسير يذكرون أنها بعد أحد. فابن إسحاق^(٦٨) يذكر أنها في سنة أربع من الهجرة، ويذكر الواقدي^(٦٩) وابن سعد^(٧٠) أنها كانت في شهر ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهراً من الهجرة ووافقهم ابن هشام^(٧١) في أنها كانت في ربيع الأول.

ومادامت سرية بئر معونة كانت بعد أحد باتفاق، وإذا جمعنا الأسباب يظهر لنا أنها بعد أحد، وقد أشار إلى ذلك البخاري في الخبر المعلق عن ابن إسحاق، وذكر البخاري أن من جملة من كان في سرية بئر معونة عُمراً الضمري، وذكر معونة بعد أحد، ولعمرو الضمري ذكر في سبب غزوة بني النضير، فبذلك تكون غزوة بني النضير بعد غزوة أحد وسرية بئر معونة. وهذا مما يؤيد ابن إسحاق ومن تابعه من أصحاب السير والمغازي، وهو ما مال إليه ابن حجر^(٧٢) والسندي^(٧٣) والعمرى^(٧٤)، وما نميل إليه معهم.

خامساً: حكم وعبر من غزوة بني النضير:

١ - إن في إخبار الله نبيه بما بيته اليهود للغدر به دليلاً على تكرار الغدر من اليهود، والوفاء من الله تعالى بوعده القاطع لرسوله ﷺ: ﴿والله يعصمك من الناس﴾، وفي هذه المعجزة وغيرها ما يجب أن يحمل الناس على الإيمان بنبوة محمد ﷺ.

٢ - إن قطع وإحراق الرسول ﷺ لبعض نخيل بني النضير، دل على أن الحكم الشرعي في أشجار العدو وإتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد

(٦٧) الدلائل (١٧٦/٣).
(٦٨) ابن هشام (٢٦٧/٣) مغلطاً.
(٦٩) المغازي (٣٦٣/١).
(٧٠) الطبقات (٥٧/٢).
(٧١) السيرة (٢٦٨/٣).
(٧٢) الفتوح (٢٠٣/١٥) ج/٤٠٢٨.
(٧٣) مرويات يهود المدينة، ص ١٤٢.
(٧٤) المجتمع المدني - تنظيماته، ص ص ١٤٤ - ١٤٥.

من مصلحة في النكاية بالأعداء. وأن ذلك من قبيل ما يدخل تحت اسم السياسة الشرعية، وهو مذهب نافع ومالك والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق وجهور الفقهاء.

وروى عن الليث وأبي ثور والأوزاعي القول بعدم جواز قطع شجر الكفار وإحراقه^(٧٥).

٣- اتفق الأئمة على أن ما غنمه المسلمون من أعدائهم من دون قتال، وهو «الفيء» يعود النظر والتصرف فيه إلى ما يراه الإمام من المصلحة، وأنه لا يجب عليه تقسيمه بين الجيش كما تقسم عليهم الغنائم التي غنموها بعد قتال وحرب، مستدلين على ذلك بسياسة ﷺ في تقسيم فيء بني النضير، ونزول القرآن الكريم مصوبا ذلك^(٧٦).

٤- في موقف الرسول ﷺ من بني النضير تقرير لمبدأ أن نقض المعاهدة إعلان للحرب.

المبحث الثامن: غزوة بدر الموعد:

خرج رسول الله ﷺ في شعبان^(٧٧) سنة أربع من الهجرة لموعده الذي التزم به لأبي سفيان يوم أحد. وكان معه ألف وخمسمائة من الصحابة وعشرة أفراس، ووصل إلى بدر، وانتظر بها المشركين ثمانية أيام.

أما المشركون فقد خرج بهم أبوسفیان حتى وصل إلى مر الظهران، ونزل بمياه مجنة على بعد أربعين كيلا من مكة، ثم عاد بهم بحجة أن العام عام جذب، وكان لهذا الموقف منه أثر كبير في استعادة هبة المسلمين بعد انتكاسة أحد^(٧٨).

(٧٥) انظر النووي: شرح النووي على صحيح مسلم (٥٠/١٢)، البوطي: فقه السيرة النبوية، ص ٢٠٤ - ٢٠٥، والأم (٣٢٤/٧)، وضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للبوطي، ص ص ١٧٠ - ١٧١.

(٧٦) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ٢٠٥، وذكر اختلاف الفقهاء في الأراضي التي غنمت بواسطة الحرب. (٧٧) هذا ما قاله ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٢٩٢/٣)، أما الواقدي (٣٨٤/١) وابن سعد (٥٩/٢) وكلاهما رواه معلقا. فقد ذكرا أنها في هلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهرا من الهجرة - وابن إسحاق مقدم على الواقدي وعلى ابن سعد إذا لم يستند وإذا كان في إسناده الواقدي.

(٧٨) انظر المصادر المذكورة.

المبحث التاسع: غزوة ذات الرقاع^(٧٩):

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ هذه الغزوة، وقد جنع البخاري^(٨٠) إلى أنها كانت بعد خيبر، وذهب ابن إسحاق^(٨١) إلى أنها بعد غزوة بني النضير، وقيل بعد الخندق سنة أربع، وعند الواقدي^(٨٢) وابن سعد^(٨٣) أنها كانت في المحرم سنة خمس، وجزم أبو معشر^(٨٤) أنها كانت بعد بني قريظة والخندق. والراجح عند ابن حجر^(٨٥) ما ذهب إليه البخاري وأبو معشر لأن أبا موسى الأشعري شهدا وقد قدم من الحبشة بعد فتح خيبر مباشرة، وشهدا أبوهريرة وقد أسلم حين فتح خيبر، وصلى فيها رسول الله ﷺ صلاة الخوف، ولم تكن شرعت في الخندق، بل شرعت في عسفان أيام الحديبية، والحديبية سنة ست.

أما الدكتور البوطي^(٨٦)، فقد جزم أنها قبل الخندق، وحجته في ذلك ما ثبت في الصحيح من أن جابرا (رضي الله عنه) استأذن الرسول ﷺ إلى بيته في غزوة الخندق وأخبر امرأته بما رأى من جوع رسول الله ﷺ وفيه قصة الطعام الذي دعا إليه النبي ﷺ ومجيء كل الجيش ومعجزة الرسول ﷺ في تكثير طعام جابر وفيه قول الرسول ﷺ لزوجة جابر: «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة» وما ثبت في الصحيحين أيضا من أن الرسول الله ﷺ

(٧٩) اختلف في تسميتها، والراجح ما ذكره أبو موسى الأشعري في الصحيح من أنها سميت بذلك لأنهم لفوا في أرجلهم الحرق، بعد أن تنقبت خفافهم، إذ كان لكل سنة يعبر يتعاقبون على ركوبه، انظر: البخاري/ الفتح (٣٠٩/١٥) ح/٤١٢٨ وفي الحديث أنه كره الحديث في أمر كهذا لأنه من أمور العبادة التي لا يريد أن يفشيها وقد احتسبها عند الله. وفي هذا دليل على مفهوم الجهاد عند سلفنا الصالح. وقال النووي تعليقا على هذا السلوك من الأشعري: «إنه يستحب للمسلم أن يحفي أعماله الصالحة وما قد يكايده من المشاق في طاعة الله تعالى، وألا يعتمد إظهار شيء من ذلك إلا لصلحة، مثل بيان حكم ذلك الشيء والتنبيه على الاقتداء به ونحو ذلك. وعلى مثل هذا يحمل ما وجد للسلف من الأخبار ببعض أعمالهم - انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/١٩٧ - ١٩٨).

(٨٠) البخاري/ الفتح (٣٠٥/١٥) ك. المغازي/ ب. غزوة ذات الرقاع) معلقا.

(٨١) ابن هشام (٢٨٥/٣) معلقا.

(٨٢) المغازي (٣٩٥/١).

(٨٣) الطبقات (٦١/٢).

(٨٤) ذكره ابن حجر في الفتح (٣٠٤/١٥).

(٨٥) انظر استدلالات ابن حجر على أنها بعد خيبر في الفتح (٣٠٤/١٥، ٣٠٥، ٣١١).

(٨٦) فقه السيرة، ص ٢١٠.

سأل جابرا في غزوة ذات الرقاع إن كان قد تزوج بعد فأجاب بنعم، مما يدل على أن الرسول ﷺ لم يكن علم شيئا عن زواجه، وأخذ الدكتور في رد أدلة ابن حجر في كونها بعد خير، فقال أما ما استدل به الحافظ ابن حجر من أنه ﷺ لم يصل صلاة الخوف في الأحزاب وصلاتها قضاء فيجواب عنه بأنه ربما كان سبب تأخير الرسول ﷺ لها إذ ذاك استمرار الرمي بين المشركين والمسلمين بحيث لم يدع مجالا للانصراف إلى الصلاة، وربما كان العدو في جهة القبلة... أو ربما أخرها لبيان مشروعية قضاء الفائتة كيفما كانت. كما يجاب عن استدلاله بحديث أبي موسى الأشعري بها ذكره كثير من علماء السير والمغازي من أن أبا موسى إنما قصد بها غزوة أخرى سميت هي أيضا بذات الرقاع - بدليل أنه قال عنها: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نتعقبه... إلخ، وغزوة ذات الرقاع التي نتحدث عنها كان العدد أكثر من ذلك.

ومال الدكتور الحكمي^(٨٧) والدكتور العمري^(٨٨) إلى ما ذهب إليه البخاري وابن حجر، والذي نميل إليه هو ماذهب إليه الدكتور البوطي لأن حجته الخاصة بزواج جابر قبل الخندق لا تدفع وهي في الصحيحين، إضافة إلى أن البخاري قد ذكر رأيه معلقا، وحجته فقط محييء أبي موسى بعد خير وهي حجة دفعها البوطي بترجيح تعدد الغزوة.

لم يقع في هذه الغزوة قتال بين المسلمين وغطفان، ولكنهم أخافوا بعضهم بعضا، فصلى المسلمون صلاة الخوف، وصفتها أن طائفة صفت معه، وطائفة وجاه العدو. فصلى بالتالي معه ركعة ثم ثبت قائما، وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم^(٨٩). وفي رواية أنه صلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين،

(٨٧) مرويات الحديدية، ص ٧٣ - ٨٦.

(٨٨) المجتمع المدني - الجهاد، ص ١٣٠.

(٨٩) البخاري/ الفتح (٣٠٨/١٥) ح (٤١٢٧).

فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان^(٩٠). قال الدكتور البوطي^(٩١): «وجه التوفيق بين الحديثين أنه عليه الصلاة والسلام صلى بأصحابه صلاة الخوف أكثر من مرة، فصلاهما مرة على النحو الأول وصلاهما مرة أخرى على النحو الثاني.

وكانت هذه الصلاة بمنطقة نخل التي تبعد عن المدينة بيومين^(٩٢). لقد وقعت في هذه الغزوة أحداث ذات دلالات ومغزى كبير، منها:

١ - قصة الأعرابي:

روى البخاري^(٩٣) ومسلم^(٩٤) عن جابر - وغيرهما^(٩٥) - عندما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون الشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة علق بها سيفه، قال جابر: «فمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت له: الله، فهاهو ذا جالس... لم يعاقبه رسول الله ﷺ. واسم الأعرابي: غَوْرَث ابن الحارث».

ويذكر قتادة^(٩٦) وابن إسحاق^(٩٧) أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ

(٩٠) مسلم (٥٧٦/٢) ح (٣١١).

(٩١) فقه السيرة، ص ٢٠٧/حاشية، وانظر ابن حجر: الفتح (٣٠١/١٥).

(٩٢) البخاري/الفتح (٣٠٥/١٥) - ترجمة الباب.

(٩٣) الفتح (٣١٥/١٥ - ٣١٦/٢) ح (٤١٣٥، ٤١٣٦) وفيه تصريح باسم الأعرابي.

(٩٤) صحيحه (٥٧٦/١) ك. صلاة المسافرين وقصرها ب. صلاة الخوف/ح (٨٤٣).

(٩٥) انظر أحمد: الفتح الرباني (٢٠/٧ - ٢٢)، ابن إسحاق، بإسناد متصل ولكنه فيه عمرو بن عبيد

القدري الذي قال ابن كثير لا ينبغي الرواية عنه لبدعته - ابن كثير البداية والنهاية (٩٥/٤)،

وابن هشام (٢٨٧/٣) والإصابة (١٨٥/٣).

(٩٦) من رواية عبد الرزاق بسنده إلى جابر من طريق معمر كما ذكر ابن كثير في التفسير (٥٨/٣) -

٥٩، والطبري في التفسير (١٠٦/١٠)، وإسناده صحيح. وفي الباب روايات أخرى في تفسير

الآية وأسباب نزولها، ويرى الطبري أن الأقرب إلى الصحة أنها نزلت في يهود بني النضير عندما

هوا يقتل الرسول ﷺ - التفسير (١٠٧/١٠ - ١٠٨) وانظر زاد المسير (٣٠٨/٢).

(٩٧) ابن هشام (٢٨٧/٣ - ٢٨٨) بإسناد متصل ولكن فيه عمرو بن عبيد القدري..

عنكم»^(٩٨) قد نزلت في هذا الأعرابي .
وفي رواية مسددة^(٩٩) عن جابر أن الأعرابي غورث عاهد الرسول ﷺ أن لا يقاتله ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فخلى سبيله، فجاء إلى أصحابه فقال: «جئكم من عند خير الناس» .

دروس وعبر من هذه القصة:

وفي هذه القصة دليل على نبوة محمد ﷺ وفرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه على الجهال . وفيها جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم إذا لم يكن هناك ما يخافون منه^(١٠٠) .

٢ - قصة الحراسة:

وفي مرجعهم من غزوة ذات الرقاع، سبوا امرأة من المشركين، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يهريق دما في أصحاب محمد ﷺ، فجاء ليلا وقد جعل الرسول ﷺ رجلين على الحراسة أثناء نومهم، وهما عبيد بن بشر وعمار بن ياسر، فضرب عبدا بسهم وهو قائم يصلي، فنزعه، ولم يقطع صلاته، حتى رشقه بثلاثة سهام، فلم ينصرف منها حتى سلم، فأيقظ صاحبه، فقال: «سبحان الله، هلا نبهتني، فقال كنت في سورة اقروها فلم أحب أن أقطعها، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك، وإيم الله، لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها»^(١٠١) .

دروس وعبر في هذا المقطع من السيرة:

في قصة هذين الصحابين الجليلين كشف لطبيعة الجهاد الإسلامي، وكيف

(٩٨) المائدة: ١١.

(٩٩) نقله عنه ابن حجر في الفتح (٣١٧/١٥).

(١٠٠) انظر ابن حجر: الفتح (٣١٧/١٥).

(١٠١) رواه البخاري مملقا بصيغة التمريض قائلا: «ويذكر...» من حديث جابر: (صحيح البخاري:

٥٢/١) ك. الوضوء/ ب. ٣٤ - من لم ير الوضوء إلا من المخرجين) ابن إسحاق بإسناد حسن

- ابن هشام (٢٩٢/٣) - ٢٩٢، ورواه غيره من طريقه.

كان يبارسه ويفهمه أصحاب رسول الله ﷺ. فعباد (رضي الله عنه) أراد أن يشغل شطراً من زمن حراسته الليلية بركعات خاشعة، يقف فيها أمام الله تعالى ولم يقطع صلاته لألم يشعر به، وإنما قطعها استشعاراً بمسؤولية الحراسة التي كلف بها. وهذا درس بليغ في مفهوم العبادة والجهاد عند سلفنا الصالح، ولا وجه للمقارنة بينه وبين ما عليه نحن الآن!! (١٠٢)

٣ - قصة جمل جابر:

روى البخاري (١٠٣) ومسلم (١٠٤) وغيرهما من أهل الحديث، وابن إسحاق (١٠٥) وغيره من أهل السير عن جابر أنه عندما أبطأ في السير، وهم في طريق العودة من غزوة ذات الرقاع، سأله الرسول ﷺ عن السبب فقال إن جملة قد أعياء، فنزل رسول الله ﷺ يحججه بمحجنه، ثم دعاه فركب، فأصبح الجمل يسابق جمل رسول الله ﷺ وجابر يكفه عن ذلك. ثم سأله عن حالته الاجتماعية، فذكر أنه تزوج ثيباً، فقال له الرسول ﷺ: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟». فعلل سبب زواجه من الثيب بأن له أخوات فأحب أن يتزوج امرأة تجمعهن وتمسطنهن وتقوم عليهن. وطلب منه الرسول ﷺ إذا قدم المدينة أن يعمل عملاً كيساً، ثم قال له: أتبيع جملك؟ فوافق جابر، فاشتراه منه بأوقية، وعندما أتى بالجمل من الغد إلى الرسول ﷺ أمر الرسول بلالاً أن يعطيه الأوقية. فوزن له بلال فأرجح له في الميزان، وعندما ولى دعاه الرسول ﷺ ورد عليه جملة.

وفي رواية ابن إسحاق أن الرسول ﷺ قال لجابر عندما علل سبب زواجه من ثيب: «أصبحت إن شاء الله» وفيها أنه قال له «... أما أنا لو قد جئنا

(١٠٢) انظر البوطي: فقه السيرة ص ص ٢١٣ - ٢١٤.

(١٠٣) الفتح (١٧٢/٩ ح/٢٠٩٧)، وما ذكرناه هو مضمون روايته.

(١٠٤) الصحيح (١٠٨٩/٢ ح/١٤٦٦).

(١٠٥) ابن هشام (٢٨٨/٣) - ٢٩٠ - بإسناد حسن. قال ابن كثير في البداية (٩٩/٤) هذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير في ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع، وتحريير ذلك واستقصائه لائق بكتاب البيع من الأحكام... وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وبغيرها، أي تبوك... ومستبعد تعدد ذلك - يعني تكرار الحادثة.

صِرَاراً^(١٠٦) أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا فنفضت نهارقها^(١٠٧). فقال جابر: «والله يارسول الله مالنا من نهارق، فقال النبي ﷺ: إنها ستكون... وفيها قول جابر عن الأوقية التي أعطيت له: فوالله مازال ينمي عندي، ويرى مكانه من بيتنا...».

درس وعبرة في هذه القصة:

في هذه القصة صورة كاملة ودقيقة لخلق رسول الله ﷺ مع أصحابه من حيث اللطف في المعاشرة ورقة الحديث، وفكاهة في المحاورة ومجبة شديدة لأصحابه والوقوف على أحوالهم والمواساة في مشكلاتهم الاجتماعية مادياً ومعنوياً. فقد شعر الرسول ﷺ أن سبب تأخر جابر عن الركب هو ضعف جملة الذي لا يملك غيره لبؤس حاله، حيث إن والده مات شهيداً في أحد وترك له مجموعة من البنات والأولاد ليرعاهم، وهو مقل في الرزق، فأراد الرسول ﷺ أن ينتهز هذه الفرصة ليواسيه ويقدم له ما يستطيع من مال مبارك^(١٠٨).

المبحث العاشر: غزوة دُؤمة الجندل:

يتفق جمهور أهل المغازي والسير^(١٠٩) أنها كانت في ربيع الأول سنة خمس من الهجرة، وبالتحديد لخمس ليال بقين من ربيع الأول^(١١٠) على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة^(١١١). لم يذكر ابن إسحاق سببها، بل الذي ذكره الواقدي^(١١٢) وابن سعد^(١١٣).

(١٠٦) موضح على مسافة ثلاثة أيام من المدينة المنورة على طريق العراق. انظر معجم البلدان (٣٩٨/٣).

(١٠٧) مفردتها نمرقة، وهي الوسادة الصغرى.

(١٠٨) انظر البوطي: فقه السير ص ص ٢١٢ - ٢١٣.

(١٠٩) ابن إسحاق وابن هشام - معلقاً - سيرة ابن هشام (٢٩٧/٣ - ٢٩٨)، الواقدي (٤٠٢/١)، ابن سعد (٦٢/٢) - معلقاً.

(١١٠) لقد حدد الواقدي هذه الليالي (٤٠٢/١).

(١١١) حدد هذا الواقدي وتابيه تلميذه وكتابه ابن سعد (٦٢/٢).

(١١٢) المغازي (٤٠٢/١ - ٤٠٤).

(١١٣) الطبقات (٦٢/٢ - ٦٣).

وخلاصته: بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً وأنهم يظلمون من مريهم من الضائقة^(١١٤)، وكان بها سوق عظيم وتجار وضوى إليهم قوم من العرب كثير، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة. فندب رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين ومعهم دليل من بني عذرة يسمى المذكور، وقبل وصول بدومة الجندل بيوم أو ليلة هجم على ماشيتهم ورعائهم، فأصاب من أصاب وهرب من هرب. وعندما وصل الخبر بدومة الجندل، تفرقوا. وعندما وصلهم لم يجد أحداً في المكان، فأقام بها أياماً، وبث السرايا التي كانت ترجع بالابل فقط، إلا سرية محمد بن مسلمة، فقد أخذ رجلاً منهم وعرض عليه الإسلام، فأسلم. ثم عاد الرسول ﷺ إلى المدينة^(١١٥).

(١١٤) جمع ضافط، وهو الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن، وكانوا يومتد قوماً من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت - النهاية (٢٢/٣).

(١١٥) زاد الواقدي سبياً آخر لهذه الغزوة وهو أن الرسول ﷺ أراد أن يدنو من الشام ليفزع قيسر - المغازي (٤٠٣/١).

الفصل التاسع

غزوة المُريْسِيع (بني المُصْطَلِق):

يتفق النسابون على أن بني المصطلق بطن من بطون قبيلة خزاعة. ويرى أكثرهم أن خزاعة قبيلة قحطانية يمنية^(١)، ويلتقون في نسبهم مع الأوس والخزرج في عمرو بن عامر، الجد الثاني للأوس والخزرج والرابع لبني المصطلق^(٢). وكانوا يسكنون قديدا وعسفان^(٣) في منطقة متوسطة لديار خزاعة المنتشرة على الطريق من المدينة إلى مكة ما بين مَرَّ الظهران^(٤) وبين الأبواء^(٥). ولهذا الموقع أهمية كبرى في الصراع بين المسلمين وقريش على طريق القوافل التجارية. وقد عرفت بموقفها المسالم للمسلمين في هذا الصراع، على الرغم مما عليه خزاعة من الشرك ووجود صنم مناة على هضبة المُشَلَّل بِقَدِيد من ديارهم، ويحج إليه العرب، وعلى الرغم من قربهم إلى مكة، وما كان بينهم وبين قریش من أحلاف قديمة وربما كان ذلك لسببين رئيسيين.

الأول: لصلاتهم القديمة بعبد المطلب جد الرسول ﷺ ومخالفتهم له، إذ إن العداء القديم بينهم وبين قریش والذي انتهى بإخراجهم من مكة في العهود القديمة^(٦)، قد تبلور قبل ظهور الإسلام، واتخذ شكل صراع شبه دائم بينهم وبين بني بكر من كنانة، الذين كانوا في حلف مع قریش. وقد

(١) انظر النوري: نابة الأرب (٣٣٢/٢)، القلقشندي: قلائد الجمان، ص ٩٣، ابن هشام (١٣٦/١).

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات، ص ٧٦، ١٠٧.

(٣) الحربي: المناسك، ص ص ٤٥٨ - ٤٦٣.

(٤) تبعد عن مكة ثلاثين كيلا وشرقي مستورة بثلاثة أكيال - انظر عبدالله آل بسام: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (٥٨٤/١).

(٥) تبعد عن مكة ٢٤٠ كيلا - نظر القرشي: مرويات غزوة بني المصطلق، ص ص ٥٤ - ٥٨.

(٦) ابن هشام (١٧٣/١) بإسناد صحيح، ابن حجر: الفتح (٢٠/١٤) ك. أحاديث الأنبياء/قصة خزاعة.

دفعهم هذا الوضع الأمني الخطير إلى السعي لمخالفة عبدالمطلب^(٧). وقد روي أن الرسول ﷺ قد أقر هذا الحلف عندما جاءته خزاعة بنص الوثيقة يوم الحديبية في العام السادس الهجري^(٨).

ولعل وجود مناة في ديارهم والاستفادة من ذلك ماديا ومعنويا هو الذي أبطأ بحركة انتشار الإسلام وسط خزاعة عامة وبني المصطلق^(٩) خاصة، كما كان الحال في مكة.

وأول موقف وقفته خزاعة ضد المسلمين هو انضمامهم لجيش الأحابيش^(١٠) الذي ساند الجيش المكي في غزوة أحد^(١١).

وعندما أصابت قريش ما أصابت من المسلمين في أحد تحمراً فيمن تحمراً من الأعراب على المسلمين بنو المصطلق. فقد أخذ زعيمهم الحارث بن أبي ضرار في جمع السلاح والرجال وتأليب القبائل المجاورة للقيام بهجوم على المدينة. وعندما شعر الرسول ﷺ بهذه الحركة المريبة، أرسل بريدة بن الحصيص الأسلمي للتأكد من نيتهم، وأظهر لهم بريدة أنه جاء لعونهم، فتأكد من نيتهم، فأخبر الرسول ﷺ بذلك^(١٢).

وفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة^(١٣)

(٧) الواقدي (٧٨١/٢ - ٧٨٢)، البقوي: التاريخ (٢٧٨/١ - ٢٧٩).

(٨) انظر المصدرين والأماكن نفسها.

(٩) انظر العمري: المجتمع المدني - الجهاد، ص ٩٤.

(١٠) هم من انضم إلى قريش من غيرها، وتحبشوا: أي اجتمعوا، وهم القارة (عضل والديش) أبناء الهون بن خزيمة.

(١١) الواقدي (٢٠٠/١).

(١٢) ابن سعد (٦٣/٢) بأسانيد يصعب فيها التمييز بين ما فيها الواقدي والتي ليس فيها.

(١٣) هذا هو الراجح، وهو أقول موسى بن عقبة الذي حكاه عن الزهري وعن عروة انظر: البداية العبادلة، ومحمد بن فليح صدوق بهم، وأخرج قول ابن عقبة: الحاكم وأبو سعيد كما في الفتح (٣١٨/١٥) ك. المغازي/ ب. غزوة بني المصطلق والبيهقي في الدلائل (٤٤/٤). وأما نقل البخاري عن موسى بن عقبة أنها سنة أربع فكانه سبق قلم كما قال ابن حجر في الفتح (٣١٨/١٥). وتابع ابن عقبة في هذا: الواقدي (٤٠٤/١) وابن سعد (٦٣/٢)، وأبو عمر السندي، كما قال ابن حجر في الفتح (٣١٨/١٥).

أما ابن إسحاق فقد ذكر أنها كانت في شعبان سنة ست - ابن هشام (٤٠١/٣) معلقاً. ويعارض ذلك ما في الصحيحين من اشتراك سعد بن معاذ في هذه الغزوة واستشهاده في غزوة بني قريظة، عقب الحندق مباشرة والتي كانت في شوال سنة خمس على الصحيح. وسيأتي ذكر ذلك في مكانه من الكتاب. انظر مناقشة ابن حجر في هذا الأمر - الفتح (٣١٩/١٥).

خرج الرسول ﷺ من المدينة في سبعمائة مقاتل^(١٤) وثلاثين فرسا^(١٥) متوجها إلى بني المصطلق.

ولما كان بنو المصطلق ممن بلغتهم دعوة الإسلام، واشتركوا مع الكفار في غزوة أحد، وكانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين، فقد روى البخاري^(١٦) ومسلم^(١٧) أن الرسول ﷺ أغار عليهم وهم غارون - أي غافلون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جُوزيرة بنت الحارث بن أبي ضَرَار.

ويروي ابن إسحاق^(١٨) - بإسناد ضعيف - أن ثمة قتالا قد وقع على ماء المريسيع، ثم انهزم بنوالمصطلق، وقتل بعضهم وأخذ المسلمون أبناءهم ونساءهم وأمواهم، فتمت قسمة ذلك بينهم. وما في الصحيح أصح وأولى بالاحتجاج به.

ويذكر الواقدي^(١٩) أن المسلمين قتلوا عشرة من بني المصطلق وأسروا سائرهم ممن وجدوه على الماء، وهم مائتا أهل بيت، وغنموا ألفي بعير وخمسة آلاف شاة. ويذكر ابن إسحاق^(٢٠) أن الأسرى كانوا مائة أهل بيت، وهو الصحيح. ويذكر الزرقاني^(٢١) أنهم أكثر من سبعمائة، ولا تعارض بين القولين كما قال، لأن أهل البيت الواحد يمكن أن يكونوا أكثر من واحد^(٢٢).

أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف يدعى هشام بن صُبَابَة، أخومقيس بن صُبَابَة، وذلك أثناء المعركة. أصابه رجل من الأنصار، من رهط عُبَادَة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ. وقدم قيس من مكة مظهرا الإسلام، وطالب بدية أخيه، فأعطى الدية، ولكنه

(١٤) الذهبي: تاريخ الإسلام - المغازي، ص ٢٥٩.

(١٥) الواقدي: (٤٠٥/١).

(١٦) الفتح (١٠/٢٦٤) ح (٢٥٤١).

(١٧) صحيحه (٣/١٣٥٦) ح (١٧٣٠).

(١٨) ابن هشام (٤٠٢/٣) بإسناد مرسل.

(١٩) المغازي (٤١٠/١).

(٢٠) ابن هشام (٤٠٩/٣) بإسناد حسن.

(٢١) شرح المواهب اللدنية (١١٧/٢) ولم يسنده، واكتفى بقوله: «وقال قال بعض شيوخه... وانظر

العمري: المجتمع المدني - الجهاد، ص ٩٧.

(٢٢) أسد الغابة (٤٠٠/٥).

لم يكتف بهذا، بل عدا على قاتل أخيه فقتله، وفر إلى مكة مرتدا. وقد أهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة، فقتله نُمَيْلَة بن عبد الله، وكان من قومه (٢٣).

وخرج في هذه الغزوة جماعة من المنافقين، وقد سجل لهم التاريخ موقفين آخرين من مواقف الخزي في هذه الغزوة، أولها: محاولتهم إثارة الفتنة والعصية بين المهاجرين والأنصار. وثانيها: السعي لإيذاء الرسول ﷺ بالظعن في عرضه حين افتروا على عائشة (رضي الله عنها) ما يعرف بحديث الإفك.

الموقف الأول:

حكى زيد بن أرقم (رضي الله عنه) وجابر بن عبد الله هذا الموقف. قال زيد: «كنت في غزاة» (٢٤) فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لاتنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت لعمي (٢٥) - أو لعمر - فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا. فكذبت رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصيبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ، ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ...﴾ (٢٦) فبعث إلي رسول الله ﷺ، فقال: إن الله قد صدقك يا زيد» (٢٧)، ولهذا قال رسول

(٢٣) أسد الغابة (٣٦٣/٥)، الإصابة (٥٧٤/٣، ٦٠٣)، ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤٠٦/٣)، الواقدي (٤٠٧/١ - ٤٠٨).

(٢٤) صرح روايات أخرى بأنها غزوة بني المصطلق. انظر مسند أحمد: (٢٩٢/٣ - ٢٩٣) بإسناد صحيح، والترمذي: السنن (٩٠/٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢٥) يعني سعد بن عباد، وأبو الخزرج. وهو ليس عمه الحقيقي، لأن عمه حقيقة ثابت بن قيس. انظر ابن حجر: الفتح (٨٤/١٨).

(٢٦) المنافقون: ١. ربما يفهم من عبارة «فجلست في البيت» الواردة في هذه الرواية أن الآية نزلت في المدينة بعد الغزوة، ولكن الثابت أنها نزلت في طريق العودة من الغزوة كما في حديث الترمذي في السنن (٨٨/٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وفي رواية أبي الأسود عن عروة وأبي سعيد كما ذكر ابن حجر في الفتح (٢٨٥/١٨). وكلمة المنزل أو البيت كانت تعني مكان رحل الرجل. انظر حديث كعب بن مالك في بيعة العقبة الثانية، ص ٢٢٤ من هذا الكتاب.

(٢٧) البخاري/ الفتح (٢٨٤/١٨ ح ٤٩٠٠)، مسلم (٢١١٤/٤ ح ٢٧٧٢).

الله ﷺ عن زيد: «هذا الذي أوفى الله بأذنه»^(٢٨) وفي رواية: «وفت أذنك يا غلام»^(٢٩).

أما رواية جابر (رضي الله عنه) فهي أكثر تفصيلاً، وقد أشارت إلى سبب ما قاله ابن أبي. قال جابر: «كنا في غزاة فكسع^(٣٠) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار»^(٣١). فقال الأنصاري: بالأنصار، وقال المهاجري: باللمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا يارسول الله: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها متنة. فسمع بذلك عبدالله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام عمر فقال: يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد^(٣٢).

وقد وردت روايات قوية^(٣٣) أخرى تفيد أن ابن أبي قال هذا الكلام في غزوة تبوك، وهو وهم، والصحيح أنه لم يشهد تبوك^(٣٤).

وأراد الرسول ﷺ أن يعالج هذا الموقف علاجاً عملياً، فلذا أمر بالرحيل فوراً، وسار بهم بقية يومهم ذلك والليل كله، ثم نهار اليوم التالي حتى أذتهم الشمس، ثم نزلوا، وناموا من فورهم من شدة الإجهاد، وكل ذلك

(٢٨) البخاري/ الفتح (٢٨٩/١٨) ج ٢/٢٩٢ (٤٩٠٦).

(٢٩) من مرسل للحسن كما قال ابن حجر في الفتح (٢٨٦/١٨).

(٣٠) المشهور فيه: ضرب الدبر باليد أو بالرجل - انظر: القاموس المحيط (٧٨/٣) وابن حجر: الفتح (٢٨٩/١٨) وقال إن ذلك كان شديداً عند أهل اليمن. وكذا قاله الطبري في التفسير (١١٣/٢٨).

(٣١) اسم المهاجري عند ابن إسحاق بإسناد مرسل: جهجاه بن مسعود الغفاري، أجير ابن الخطاب، والأنصاري: سنان بن وبر الجهني، حليف بني عوف بن الخزرج - ابن هشام (٤٠٢/٣). وعند ابن حجر: جهجاه بن قيس ويقال: ابن سعيد الغفاري - الفتح (٢٨٩/١٨).

(٣٢) البخاري/ الفتح (٢٨٩/١٤) ج ٣/٣٥١٨ و (٢٨٩/١٨) ج ٢/٢٩٠ (٤٩٠٥)، مسلم (٤/١٩٩٨) ج ٢/٢٥٨٤ وفي حديث مسلم أن الرسول ﷺ قال: «وليتصرن الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فليبه، فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فليصره» وفي رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل رجاله نفثت أن ابن سلول قال: أوقد فعلوها، قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول «سمن كليك بأكلك». ابن هشام (٤٠٢/٣ - ٤٠٣).

(٣٣) الترمذي (٨٩/٥) ك. الضعيف، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي: السنن (٢٠١/٣) تحفة الأحوثي ورجاله رجال الجماعة.

(٣٤) انظر ابن كثير في التفسير (٣٦٩/٤) وانظر كلام ابن حجر في الفتح (٢٩٠/١٨).

ليشغل الناس عن الخوض في حديث يمكن أن يؤدي إلى فتنة (٣٥).
وعندما بلغ عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ما قاله والده، أتى
النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي
فيا بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً فمري به، فأنا أحمل إليك رأسه،
فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى
أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي
يمشي في الناس، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر، فأدخل النار، فقال رسول
الله ﷺ: بل نترقب به، ونحسن صحبته، ما بقي معنا (٣٦)، ومنع أباه من
دخول المدينة حتى يأذن له رسول الله ﷺ بدخولها (٣٧).

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومهم الذين يعاتبونه ويأخذونه
ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى
يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت، لأرعدت له أنف، لو أمرتها اليوم بقتله
لقتلته. قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من
أمري» (٣٨).

الموقف الثاني: حديث الإفك:

حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك، بعد أن فشل كيدهم في
المحاولة الأولى لإثارة النعرة الجاهلية، وخلاصتها:
كان قدر عائشة (رضي الله عنها) أن تخرج في هذه الغزوة مع

(٣٥) ابن إسحاق بإسناد مرسل، رجاله ثقات - ابن هشام (٤٠٤/٣)، وله شاهد من حديث ابن أبي
حاتم من مرسل عروة وعمر بن ثابت الأنصاري، وهو مرسل جيد كما قال ابن حجر. في الفتح
(٢٨٩/١٨) وأصله في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم وجابر بن عبدالله كما سبق ذكره،
وبهذا يكون الحديث حسناً لغيره كما قال الدكتور قريشي في: «مرويات غزوة بني المصطلق»
ص ١٩٠.

(٣٦) ابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٤٠٥/٣ - ٤٠٦)، ورواه ابن منده كما ذكر ابن حجر
في الإصابة (٣٢٧/٢)، والطبراني كما في المجمع (٣١٨/٩)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح
إلا أن عروة بن الزبير لم يدرك عبدالله بن أبي، فهو مرسل، والبيزار كما في المجمع
(٣١٨/٩)، وقال الهيثمي: «رجالهم ثقات».

(٣٧) الترمذي: السنن (٩٠/٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣٨) ابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٤٠٦/٣)، الواقدي (٤١٨/١).

الرسول ﷺ (٣٩). وفي طريق العودة، وقرب المدينة، نزل المسلمون للراحة، فنزلت من هودجها لبعض شأنها، فلما عادت افتقدت عقدا لها، فرجعت تبحث عنه. وعندما عادت وجدت الرجال قد حملوا هودجها ووضعوه على بعيرها وهم يحسبونها داخله، لأنها كانت حينذاك خفيفة الوزن. فانتظرت في مكانها، فمر بها صفوان بن المُعْطَل السُّلَمي، وعرفها، لأنه كان راها قبل أن يفرض الحجاب، فحملها على بعيره وانطلق بها إلى المدينة ودخلها بعد دخول الرسول ﷺ.

لقد استغل المنافقون هذه الحالة ونسجوا حولها قصة الإفك، وتولى كبر ذلك عبدالله بن أبي بن سلول. وأغرى بالخوض فيه مُسْطَح بن أَثَاة وَحْمَةَ بنت جَحْش وحسان بن ثابت.

واغتم الرسول ﷺ بهذه الإشاعة، وأعلن على الملأ وفي المسجد ثقته بزوجه وبصاحبه ابن المعطل، وأبدى سعد بن معاذ استعداده لقتل من يخوض في هذا الافتراء إن كان من الأوس، ولم يرض سعد بن عبادة هذا القول من سعد، لأن أصابع الاتهام كانت تشير إلى واحد من قوم عبادة، فكادت تقع الفتنة بين الحيين، كما يريد المنافقون. ولكن الرسول ﷺ فوت عليهم الفرصة مرة أخرى وأطفا نيران الفتنة.

واستأذنت عائشة النبي ﷺ لتمرض في بيت أبيها، وهناك علمت بخبر الإفك، ففارقها النوم، وهي تنتظر إعلام الله نبيه ببراءتها برؤيا صادقة، وترى أنها أقل شأنًا من أن ينزل في أمرها وحي.

وبعد شهر من معاناتها ومعاناة الرسول ﷺ من هذا الحديث نزل الوحي بآيات في براءتها وموقف الناس من هذه الفرية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ...﴾ (٤٠).

وكان أبو بكر ينفق على قريبه مُسْطَح بن أَثَاة - ابن خال أبي بكر - فعندما

(٣٩) كان الرسول ﷺ يفرق بين نسائه فمن وقعت عليها القرعة خرجت. من رواية البزار بإسناد حسن، كما ذكر الهيثمي في المجمع (٢٣٠/٩) ووافقه السيوطي في الدر (٢٧/٥).
(٤٠) النور: ١١ - ٢٠.

خاض في تلويث سمعة عائشة أقسم ألا ينفق عليه، فنزلت الآية ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى...﴾ إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾^(٤١)، فعاد أبو بكر إلى النفقة عليه^(٤٢)، رغبة في المغفرة. وعاتب القرآن أولئك النفر الذين وقعوا في حبال المنافقين: حمة ومسطح وحسانا، فقال: ﴿ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين﴾^(٤٣).

وسجل القرآن ذلك الموقف الرائع لأولئك النفر من المؤمنين الذين وقفوا من هذا الإفك موقف المؤمن اليقظ والواثق ثقة كبيرة بآل بيت النبوة الذين طهروا من الدنس والأرجاس، منهم أبو أيوب الأنصاري وأم أيوب، فقد نزل في هؤلاء قوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾^(٤٤).

روى الواحدي^(٤٥) بإسناد متصل إلى عائشة (رضي الله عنها) في سبب نزول هذه الآية: «كان أبو أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته وقالت: يا أبا أيوب ألم تسمع بما تحدث الناس؟ قال: ما يتحدثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، قالت: فانزل الله (عز وجل) ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾».

وروى البخاري^(٤٦) أن رجلا من الأنصار عندما سمع هذه الفرية قال: «سبحانك ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم». وقال ابن حجر^(٤٧) في الشرح: «وقع عند ابن إسحاق أنه أبو أيوب الأنصاري، وأخرجه الحاكم من طريقه، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين،

(٤١) التور: ٢٢.
(٤٢) البخاري/ الفتح (٥٧/١٨ - ٥٨/٥٨)، ومسلم (٢١٢٩/٤ ح ٢٧٧٠) وهو أنتم سياق في هذه الناحية، وتفسير الطبري (٨٩/١٨).
(٤٣) التور: ١٢.
(٤٤) التور: ١٦.
(٤٥) أسباب النزول، ص ٢١٨.
(٤٦) الفتح (٢٨/١١٠ ح ٧٣٧٠).
(٤٧) لمصدر نفسه.

وأبو بكر الأجري في طرق حديث الإفك من طريق عطاء الخراساني عن الزهري عن عروة عن عائشة... ويلحظ أن الآية التي أشار إليها ابن إسحاق^(٤٨) هي التي فيها: سبحانه هذا إفك مبين^(٤٩)، وليست التي فيها: سبحانه هذا بهتان عظيم^(٥٠). وعموما فالمعنى واحد، وقد نزلنا في وقت واحد وبمناسبة واحدة، فليس يبعد أن من بين أسباب نزولها موقف أبي أيوب وأم أيوب. وقد وافق الواقدي^(٥١) ابن إسحاق، وزاد بصيغة التمریض أنها نزلت في أم الطفيل وزوجها أبي بن كعب.

وفي تفسير سنيد من مرسل سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة، قال سبحانه هذا بهتان عظيم^(٥٢).

ونخلاصة الأمر أن رواية الواحدي تتقوى برواية الأجري وابن إسحاق والواقدي، ويكون الخبر على أقل تقدير حسنا لغيره^(٥٣).

وأقام الرسول ﷺ حد القذف على حسان ومسطح وحمة^(٥٤). أما عبدالله ابن أبي بن سلول الذي تولى كبر الإفك فلم يقيم عليه الحد، لأنه لم يترك دليلا ضده، إذ كان يستوشيه - أي يستخرجه بالبحث والمسألة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه، ولا يدعه يحمده^(٥٥).

عندما عاد الرسول ﷺ جاءته جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وذكرت له مكانتها في قومها، وطلبت منه أن يعينها في قضاء كتابها لعنت رقبتها من ثابت بن قيس بن الشساس، الذي وقعت في سهمه. فعرض عليها الرسول ﷺ أن يقضي عنها كتابتها ويتزوجها فقبلت.

فلما علم الناس بذلك أعتقوا من بأيديهم من السبي، وهم مئة أهل

(٤٨) ابن هشام (٤١٨/٣ - ٤١٩).

(٤٩) النور: ١٢.

(٥٠) النور: ١٦.

(٥١) المغازي (٤٣٤/٢ - ٤٣٥).

(٥٢) ابن حجر الفتح (١١٠/٢٨).

(٥٣) انظر قريشي: مرويات غزوة بني المصطلق، ص ٢٧٦.

(٥٤) رواه البزار بإسناد حسن، كما قال الهيثمي في المجمع (٢٣٠/٩)، والبيهقي في السنن الكبرى

بإسناد حسن (٢٥٠/٨).

(٥٥) مسلم (٢١٣٤/٤ ح ٢٧٧٠).

بيت، إكراما لإصهار الرسول ﷺ فيهم، «فما كانت امرأة أعظم على قومها بركة منها»^(٥٦). وكان عتقها صداقها، كما هو واضح من الخبر. وقدم والدها الحارث إلى المدينة وطلب من الرسول ﷺ أن يخلي سبيلها، فأذن له أن يخرجها، فاختارت البقاء مع رسول الله ﷺ^(٥٧). وأسلم الحارث بن أبي ضرار وقومه، وولاه الرسول ﷺ على صدقات قومه^(٥٨).

أحكام وعبر في غزوة المريسيع:

- ١ - مشروعية تقسيم الغنائم بين المقاتلين بعد استثناء السلب والخمس من الغنيمة.
- ٢ - دلت معالجة الرسول ﷺ للمشكلة التي حاول ابن سلول استغلالها على حسن سياسة الرسول ﷺ في تدبير الأمور وتجنب المشاكل وتفويت الفرص على المفرضين المندسين بين صفوف المؤمنين. وكان نتيجة ذلك أن جافى ابن سلول قومه، فكانوا هم الذين يعنفونه ويفضحون دسائسه.
- ٣ - كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين. وكان من لطف الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، لاسيما موقف أبي أيوب وأم أيوب، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية. فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس التي تركها لنا لنستفيد منها ونقوم بها المواقف المماثلة.
- ٤ - جاءت محنة الإفك منظوية على حكمة إلهية استهدفت إبراز شخصية

(٥٦) الخبر بتمامه عند ابن اسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤٠٨/٣ - ٤٠٩).

(٥٧) ذكره ابن خياط في تاريخه، ص ٨٠، بإسناد رجاله ثقات لكنه مرسل.

(٥٨) رواه أحمد في المستد (٢٧٩/٤) بإسناد فيه دينار الكوفي، وهو مقبول. وحديثه يقوى بالتابعات والشواهد، وله شاهد من مرسل قتادة بإسناد حسن، كما رواه الطبري في تفسيره (٤٧٦/٢٦).

النبي ﷺ وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها، فلو كان الوحي أمراً ذاتياً غير منفصل عن شخصية الرسول ﷺ لما عاش الرسول ﷺ تلك المحنة بكل أبعادها شهراً كاملاً. ولكن الحقيقة التي تجلت للناس بهذه المحنة أن ظهرت بشرية الرسول ﷺ ونبوته. فعندما حسم الوحي اللفظ الذي دار حول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عادت المياه إلى مجاريها بينها وبين الرسول ﷺ، وفرح الجميع بهذه النتيجة بعد تلك المعاناة القاسية، فدل ذلك على حقيقة الوحي، وأن الأمر لو لم يكن من عند الله تعالى لبقيت روايب المحنة في نفس الرسول ﷺ بصفة خاصة ولانعكس ذلك على تصرفاته مع زوجته عائشة (رضي الله عنها). وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلاً كبيراً على نبوة محمد ﷺ.

- ٥ - بينت هذه القصة مشروعية حد القذف الذي أقيم على من ثبتت إدانته، وبينت حرمة قذف المحصنات المؤمنات وكذا المحصن المؤمن، وأنه من كبائر الذنوب، وعقوبته ثمانون جلده.
- ٦ - بيان مشروعية الاقتراع والأخذ بنتائجة بدل التخيير لما فيه من تطيب النفوس، كما في خبر اقتراع الرسول ﷺ بين نسائه عند السفر.
- ٧ - مشروعية أخذ المجاهد امرأته للجهد إذا كانت الظروف مواتية لذلك.

الفصل الماشر

غزوة الخندق (الأحزاب):

تاريخ الغزوة:

وقعت هذه الغزوة في شوال سنة خمس كما قال ابن إسحاق^(١) ومن تابعه، وهو قول الجمهور^(٢)، وقال الواقدي^(٣) إنها وقعت في يوم الثلاثاء الثامن من ذي القعدة في العام الخامس الهجري، وقال ابن سعد^(٤) إن الله استجاب لدعاء الرسول ﷺ فهزم الأحزاب يوم أربعاء من شهر ذي القعدة سنة خمس من مهاجرة. ونقل عن الزهري ومالك بن أنس وموسى بن عقبة أنها وقعت سنة أربع هجرية^(٥).

ويرى العلماء أن القائلين بأنها وقعت سنة أربع كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، فتكون غزوة بدر عندهم في السنة الأولى، وأحد في الثانية والخندق في الرابعة، وهو مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة^(٦). وجزم ابن حزم^(٧) أنها وقعت سنة أربع لقول ابن عمر أن

(١) ابن هشام (٢٩٨/٣) بدون إسناد.

(٢) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (١٠٥/٤ - ١٠٦).

(٣) المغازي (٤٤٠/٢) - بدون إسناد.

(٤) الطبقات (٦٥/٢، ٧٣) بإسناد متصل، وفيه كثير بن زيد، وهو صدوق يخطئه. فالإسناد ضعيف، يقبله بعض العلماء الذين لا يرون بأساً من الاستشهاد بالضعيف غير الشديد الضعف في الأمور التي لا تتعلق بالأحكام أو العقائد.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية (١٠٥/٤)، صحيح البخاري: الفتح (٢٧٥/١٥). المغازي/ ب. غزوة الخندق حيث نقل قول موسى بن عقبة معلقاً في ترجمة الباب، القسوى: المعرفة والتاريخ (٢٥٨/٣).

(٦) ابن حجر: الفتح المصدر نفسه، ص ٢٧٦، وابن كثير: المصدر نفسه، البيهقي: الدلائل (٣٩٦/٣)، وقد أفاض في تاريخ هذه الغزوة، فانظره (٣٩٢/٣ - ٣٩٧)، وانظر معه كلام المحقق في حاشية ص ٣٩٣.

(٧) جوامع السيرة، ص ١٨٥.

الرسول ﷺ رده يوم أحد - وهي في السنة الثالثة باتفاق - وهو ابن أربع عشرة سنة^(٨). ولكن البيهقي^(٩) وابن حجر^(١٠) وغيرهما فسروا ذلك بأن ابن عمر كان يوم أحد في بداية الرابعة عشرة ويوم الخندق في نهاية الخامسة عشرة. وهو الموافق لقول جمهور العلماء.

سبب الغزوة:

لم تضع الحرب أوزارها بين مشركي مكة والمسلمين إلا بعد فتح مكة في العام الثامن الهجري، ولذا فمن البدهي أن تحاول قريش في كل مرة القضاء على قوة المسلمين التي ترى فيها تهديدا مستمرا لطرق قوافلها وخطرا على مكانتها بين العرب.

أرادت قريش في هذه المرة أن تحسم هذا الصراع مع المسلمين لصالحها، فحشدت له أكبر قوة ممكنة حيث لجأت إلى التحالف مع كل من له مصلحة في القضاء على المسلمين. ووجدوا أكبر ضالة لهم في يهود بني النضير الذين أجلوا عن المدينة، ووجد اليهود ضالتهم في قريش، فقد التقت أهداف الفريقين، وهو القضاء على المسلمين.

كان أول ما فكر فيه زعماء بني النضير الذين خرجوا إلى خيبر أن يتصلوا بقريش والقبائل الأخرى للثأر لأنفسهم والطمع في العودة إلى ديارهم وأملاكهم في المدينة. فخرج وفد منهم إلى مكة، منهم: سلام بن أبي الحقيق وحسي بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق النضريون وهوذة بن قيس وأبوعمار الوائليان، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، فدعوا قريشا إلى حرب رسول الله ﷺ ووعدهم بالقتال معهم، حتى يستأصلوه، وأفتوهم بأن دينهم خير من دين محمد ﷺ، وأنهم أولى بالحق منه، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أتونا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون

(٨) البخاري/ الفتح (٢٧٥/١٥) - ٢٧٦/٢٧٦ ح (٤٠٩٧).

(٩) الدلائل (٣٩٦/٣).

(١٠) الفتح (٢٧٦/١٥).

للمسلمين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سيلاً^(١١) ثم اتجهوا بعد هذا إلى قبيلة غطفان النجدية الكبرى وأغروها بالتحالف معهم ومع قريش على حرب المسلمين^(١٢)، على أن يكون لهم نصف ثمر خير^(١٣)، إذا اشتركت معهم في الحرب، وكان وافدهم إلى غطفان كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فأجابه عيينة بن حصن الفزاري إلى ذلك^(١٤).

وكتب المشركون إلى حلفائهم من بني أسد، فأقبل إليهم طلحة بن خويلد فيمن أطاعه، وخرج أبوسفیان بقريش ومن اتبعه من قبائل العرب، فنزلوا بمر الظهران، فجاءهم من أجابهم من بني سليم مددا لهم بقيادة سفيان ابن عبدشمس والد أبي الأعور^(١٥) وبنو مرة بقيادة الحارث بن عوف وأشجع بقيادة مسعر بن رخیلة^(١٦). وسارت مع قريش الأحابيش ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة^(١٧)، فصاروا في جمع عظيم، فهم الذين ساهم الله تعالى الأحزاب^(١٨)، وذكر ابن إسحاق^(١٩) أن عدتهم عشرة آلاف بينما كان المسلمون ثلاثة آلاف^(٢٠).

(١١) النساء: ٥١.

(١٢) رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٢٩٨/٣ - ٩٩)، وابن كثير في البداية، (١٠٦/٤)، والطبري في التفسير (٤٦٩/٨ - ٤٧١/٤) (شكر) من حديث ابن عباس بإسناد فيه محمد بن أبي محمد - وهو مجهول. وذكر الطبري آراء العلماء في سبب نزول هذه الآية وبخلاصة رأيه: «وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ بِالصِّحَّةِ ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ. وَجَائِزٌ أَنْ نَكُونَ كَانَتْ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ سَاهَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْخَبَرِ الَّذِي رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنْ عِكْرَمَةَ أَوْ سَعِيدٍ، أَوْ يَكُونُ حَيًّا وَآخِرَ مَعَهُ، إِمَّا كَعْبٍ وَإِمَّا غَيْرِهِ». ص ٤٧١. ورواه الواقدي (٤٤١/٢ - ٤٢).

(١٣) ابن كثير: التفسير (٥١٣/١) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن إلى ابن عباس، ورواه ابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٣٠٠/٣).

(١٤) عند الواقدي (٤٤٣/٢) فجعلوا لهم ثمر خير سنة.

(١٥) من رواية موسى بن عقبة بإسناده إلى الزهري، كما في الفتح (٢٧٥/١٥)، ودلائل البيهقي (٣٩٨/٣).

(١٦) من رواية موسى بن عقبة في دلائل النبوة (٣٩٩/٣) والفتح لابن حجر (٢٧٥/١٥) وعنده أن بني سليم بقيادة أبي الأعور، ولعله خطأ، والصواب ما ذكره الواقدي وابن سعد من أنه سفيان والد أبي الأعور، من قادة معوية (رضي الله عنه) في صفين - انظر: الواقدي (٤٤٣/٢) وابن سعد (٦٦/٢).

(١٧) من رواية ابن إسحاق بإسناده إلى الزهري وغيره من مشايخه، وهو مرسل - ابن هشام (٣٠٠/٣).

(١٨) ابن إسحاق بأسانيده إلى مشايخه - ابن هشام (٣٠٦/٣).

(١٩) من رواية موسى بن عقبة في دلائل البيهقي والفتح لابن حجر - المصدرين السابقين.

(٢٠) ابن هشام (٣٠٦/٣) - معلقاً.

(٢١) ذكر الواقدي عدد جماعة من هؤلاء الأحزاب: قريش ومن تبعها من الأحابيش = ٤٠٠٠، وبنو سليم = ٧٠٠، وبنو فزارة = ١٠٠٠، وأشجع = ٤٠٠، وبنو مرة = ٤٠٠ - المغازي (٤٤٣/٢). وهؤلاء ستة آلاف وخمسة مائة مقاتل، وتكون بقية العشرة آلاف مقاتل من بين أسد وبقية غطفان.

تحرك هذا الجيش العرمم من مر الظهران في طريقه إلى المدينة. فنزلت قريش ومن سار معها بمجتمع الأسياح من رومة، بين الجُرفِ وزُغابة. ونزلت غطفان بذنب تَقَمِي إلى جانب أحد^(٢٢)، ونزل معهم بنوأسد^(٢٣).

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر، استشار أصحابه، وقد أشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق^(٢٤) في المنطقة الوحيدة المكشوفة أمام الغزاة، أما الجهات الأخرى فكانت كالخصن تشابك فيها الأبنية وأشجار النخيل وتحيطها الحرات التي يصعب على الإبل والمشاة التحرك فيها^(٢٥).

ووافق الجميع على هذه الفكرة لعلمهم بكثرة الجموع القادمة لحربهم، وشرعوا في حفر الخندق الذي يمتد من أجم الشيخين طرف بن حارثة شرقا حتى الماذغ غربا، وكان طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه تسعة أذرع، وعمقه من سبعة أذرع إلى عشرة. وكان على كل عشرة من المسلمين حفر أربعين ذراعا^(٢٦). حفر المهاجرون من ناحية حصن راتج في الشرق إلى حصن ذباب، والأنصار من حصن ذباب إلى جبل عبيد في الغرب^(٢٧).

وعمل المسلمون في الحفر على عجل، يبادرون قدوم القوم^(٢٨)، وقد تراوحت مدة الحفر ما بين ستة أيام وأربعة وعشرين يوما. فعند ابن عقبة^(٢٩)

(٢٢) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٣٠٦/٣)، وفي ثلاثيات مسند أحمد للسفاري (١/١٩٩ - ٢٠٠)، الغابة بدلا عن زغابة ولا تعارض بينهما لأن الغابة شمالي زغابة ومتجاورتان.

(٢٣) من رواية موسى بن عقبة في دلائل البيهقي والفتح لابن حجر.

(٢٤) من رواية أبي معشر السندي في مغازيه كما ذكر ابن حجر في الفتح ٢٧٥/١٥ - معلقا، والواقدي (٤٤٥/٢) بأسانيده إلى مشائخه وفيهم أبويعشر - نجيح - وهو ضعيف، وفيهم الثقات والضعفاء... وابن سعد (٦٦/٢) معلقا.

(٢٥) من رواية موسى بن عقبة بإسناده إلى الزهري، كما في الفتح (٢٧٥/١٥)، ودلائل البيهقي (٣٩٨/٣).

(٢٦) وردت بذلك روايات ضعيفة من الناحية الحديثة، من طريق كثير بن عبدالله المزني، وهو ضعيف، فانظرها في: مجمع الزوائد (١٣٠/٦) وتفسير الطبري (٣٣/٢١) وفتح الباري (١٥/٢٨٠) وغيرهم. وقد وثق هاروق كثير هذا.

(٢٧) الواقدي (٤٤٥/٢ - ٤٥٠)، ابن سعد (٦٦/٢ - ٦٧) - معلقا، شرح ثلاثيات مسند أحمد (١٩٩/١ - ٢٠٠).

(٢٨) من رواية ابن عقبة في الدلائل والفتح - سبق ذكرها.

استغرق قريبا من عشرين ليلة، وعند الواقدي^(٣١) أربعة وعشرين ليلة، وفي الروضة للنووي^(٣٢) خمسة عشر يوما، وعند ابن سعد ستة أيام^(٣٣).

وكان طعامهم القليل من الشعير يخلط بدهن متغير الرائحة لقدمه، ويطبخ فيأكلونه على الرغم من بشاعة طعمه في الحلق ورائحته المنتنة، وذلك لشدة جوعهم^(٣٤). وحتى هذا لا يجدونه أحيانا فيأكلون التمر^(٣٥)، وأحيانا لا يجدون هذا ولا ذاك لمدة ثلاثة أيام متتالية، إلى الحد الذي يعصب فيه النبي ﷺ بطنه بحجر من شدة الجوع^(٣٥).

وشارك جميع المسلمين في الحفر، لا فرق بين غني وفقير ومولى وأمير، وأسوتهم في ذلك الرسول ﷺ الذي حمل التراب حتى اغبر بطنه ووارى التراب جلده، وكان الصحابة يستعينون به في تفتيت الصخرة التي تعترضهم ويعجزون عنها، فيفتتها لهم^(٣٦). ويردد معهم الأهازيج والأرجاز لتنشيطهم للعمل، فيقول:

«اللهم لولا أنت ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا • وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا • وإن أرادوا فتنة أبينا»

وكان يمد بها صوته بآخرها^(٣٧)

ويرتجز المسلمون وهم يعملون:

«نحن الذين بايعوا محمدا • على الإسلام ما بقينا أبدا»

(٢٩) من روايته في الفتح...

(٣٠) (٣١) الفتح (٢٧٦/١٥).

(٣٢) الطبقات (٦٧/٢) - معلقا. وقد ذكر الدكتور العمري هذا القول دون غيره، ولعله المعتمد عنده

- انظر: المجتمع المدني - الجهاد، ص ١١٤. ونحن نميل إلى رواية ابن عفة لأنه من رجال الكتب الستة وثقة وإمام في المغازي، كما ذكرنا في أول هذا الكتاب، وفي أماكن أخرى.

(٣٣) البخاري/ الفتح (٢٧٨/١٥) ح (٤١٠٠).

(٣٤) ابن اسحاق - بإسناد متقطع - ابن هشام (٣٠٣ - ٣٠٤)، وانظر: البداية (١١٢/٤).

(٣٥) البخاري/ الفتح (٢٧٩/١٥) ح (٤١٠١).

(٣٦) البخاري/ الفتح (٢٧٦/١٥) ح (٢٧٩) - ٤٠٩٨ - (٤١٠١)، مسلم (١٤٣٠/٣) ح (١٨٠٣).

(٣٧) البخاري/ الفتح (٢٨٥/١٥) ح (٤١٠٤) واللفظ له، ومسلم (١٤٣٠/٣) ح (١٤٣٢) ح (١٨٠٣) - (١٨٠٥).

فيجيهم بقوله:

«اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة»^(٣٨). وربما يبدؤهم بقوله فيردون عليه بقولهم^(٣٩).

من دلائل النبوة أثناء حفر الخندق:

أجرى الله سبحانه وتعالى على يدي نبيه محمد ﷺ عدة معجزات أثناء حفر الخندق، ومن ذلك:

(١) عندما لحظ جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) ما يعانیه الرسول ﷺ من الجوع، استأذنه وذهب إلى زوجته وأخبرها بما رأى من المخمصة على الرسول ﷺ وطلب منها أن تصنع له طعاما، فذبح عناقا له وطحنت زوجه صاعا من شعير بقي لهما، وصنعت بُرمة، وذهب جابر فدعا النبي ﷺ إلى الطعام وسارره بكمية الطعام، وأنه طُعِمَ يكفي لرجل أو رجلين، فدعا النبي ﷺ كل من كان حاضرا وعددهم ألف، وتحير جابر وزوجته، لكن النبي ﷺ بارك في البرمة، فأكل منها كل الناس حتى شبعوا وتركوا فيها الكثير الذي أكل منه أهل جابر وأهدوا^(٤٠).

(٢) أخبر عمار بن ياسر، وهو يحفر معهم الخندق، بأن ستقتله الفئة الباغية، فقتل في صفين وكان في جيش علي^(٤١).

(٣) وعندما اعترضت صخرة للصحابه وهم يحفرون، ضربها الرسول ﷺ ثلاث ضربات ففتت. قال إثر الضربة الأولى: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة، ثم ضربها الثانية، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح

(٣٨) البخاري/ الفتح (٢٧٦/١٥ - ٢٧٨/٢٧٨ ح/ ٤٠٩٨)، مسلم (١٨٠٥ ح/ ١٤٣١/٣).

(٣٩) المصدرين نفسيهما.

(٤٠) البخاري/ الفتح (٢٨٠/١٥ - ٢٨٣/٢٨٣) وهما حديثان من طريقين بإسناديهما إلى جابر/ ح/ ١٤٠١.

(٤١) البخاري/ الفتح (١٦١/٣ - ١٦١/٣ ح/ ٢٠٣٩)، ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤٠٣/٣ - ٣٠٥).

(٤١) مسلم (٢٢٣٥/٤ ح/ ٢٩١٥).

اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة^(٤٦)». وفي هذا الحديث بشارة بأن هذه المناطق سيفتحها المسلمون مستقبلاً، وكان موقف المؤمنين من هذه البشارة ما حكاه القرآن الكريم ﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً^(٤٧)﴾، وموقف المنافقين الذين سخرُوا من البشارة: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً^(٤٨)﴾.

وصورت الآيات من ١٣ إلى ٢٠ من سورة الأحزاب نفسية المنافقين تصويراً دقيقاً، وحكت أقوالهم في الإرجاف والتخذيل، وأساليبهم في التهريب من العمل في حفر الخندق وجهاد العدو.

وعلى الرغم من تخذيل المنافقين وقلة الطعام وشدة البرد فقد تم حفر الخندق ليكون خط دفاع متيناً ثم جمع النساء والأطفال وأصحاب الأعدار في حصن فارع^(٤٩)، وهو لبني حارثة، لأنه كان أمنع حصون المسلمين آنذاك^(٥٠).

وكانت خطة المسلمين أن يكون ظهرهم إلى جبل سلع داخل المدينة^(٥١) ووجوههم إلى الخندق الذي يحجز بينهم وبين المشركين الذين نزلوا رومة بين الجرف والغابة ونقمتي^(٥٢).

وعندما نظر الرسول ﷺ في حال العدو وحال المسلمين ورأى ضعف

(٤٢) من رواية أحمد والنسائي بإسناد حسن كما قال ابن حجر في الفتح (٢٨٠/١٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٧٦/١١)، وقال الهيثمي في المجمع (١٣١/٦): «رجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن أحمد ونعيم العنبري، وعبدالله بن الإمام جعفر ثقة، وأما نعيم فلم نقف على ترجمته».

(٤٣) الأحزاب: ٢٢.

(٤٤) الأحزاب: ١٢.

(٤٥) مسلم (١٨٧٩/٤) ح ٢٤١٦ وإسم الحصن عنده «أطم - حصن - حسان». وذكر ابن إسحاق بإسناد مرسل أن حصن فارع هو حصن حسان بن ثابت - ابن هشام (٣١٧/٣)، وجاء الاسم فارع مصرحاً به أيضاً في رواية البزار وأبي يعلى بإسناد ضعيف كما في المجمع (١٣٣/٦ - ١٣٤) وكشف الاستار للهيتمي (٣٣٣/١) وعند الواقدي (٤٦٢/٢).

(٤٦) رواه الطبراني كما في المجمع (١٣٣/٦) وقال الهيثمي: «رجاله ثقات»، وضعفه الدكتور العمري في: المجتمع المدني - الجهاد، ص ١١٧، لأنه لم يقف على ترجمة الشيخ الطبراني وشيخ شيوخه. وانظر الواقدي (٤٦٩/٢)، وابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣١٥/٣).

(٤٧) من رواية ابن إسحاق - معلقة - ابن هشام (٣٠٦/٣).

(٤٨) من رواية مرسله لعروة رواها الطبري في تفسيره (١٢٩/٢١ - ١٣٠).

المسلمين وقوة المشركين، أراد أن يكسر شوكة المشركين، فبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد زعيم الأنصار، فاستشارهما في الصلح الذي عرضته عليه قبيلة غطفان، وهو أن يعطوا ثلث ثمار المدينة لعام كي ينصرفوا عن قتال المسلمين، ولم يبق إلا التوقيع على صحيفة الصلح، فقالا له: «لا والله ما أعطينا الدنيا من أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالإسلام». وفي رواية الطبراني أنها قالت: «يارسول الله: أوحى من السماء فالتسلم لأمر الله، أو عن رأيك أو هواك؟ فأرنا تبع هواك ورأيك، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا، فوالله لقد رأيتنا وإياهم على سواء ما يتالون منا ثمرة إلا شراء أو قرى». فقطع رسول الله ﷺ المفاوضة مع الأعراب الذين كان يمثلهم الحارث الغطفاني، قائد بني مرة^(٤٩).

وفي الجانب الآخر أراد يهود بني النضير أن يجروا معهم إخوانهم يهود بني قريظة إلى نقض العهد والغدر بالمسلمين والوقوف مع الأحزاب. فأوفدوا حيا ابن أخطب للقيام بهذه المهمة. فجاء حيي إلى كعب بن أسد القرظي. وبعد حوار طويل بينها أقنعه بنقض العهد مع المسلمين بحجة قوة الأحزاب ومقدرتهم على استئصال المسلمين، وأغراه بأن يدخل معه حصنه عندما ينصرف الأحزاب، بعد أداء مهمتهم^(٥٠).

وكان يوما عصيبا من الدهر، ذلك اليوم الذي علم فيه المسلمون نقض بني قريظة ما بينهم وبين المسلمين من عهد. وتكمن خطورة ذلك في موقعهم الذي يمكنهم من تسديد ضربة غادرة للمسلمين من الخلف. فقد كانت ديارهم في العوالي، إلى الجنوب الشرقي للمدينة على وادي مهزور^(٥١).

(٤٩) رواه الزوار والطبراني بإسنادين كلاهما حسن - انظر: كشف الأستار (٣٣١/١ - ٣٣٢) وجمع الزوائد (١٣٢/٦) وتشهد له طرق أخرى ولكنها ضعيفة؛ مثل: رواية ابن إسحاق المعلقة - ابن هشام (٣١٠/٣ - ٣١١) وابن سعد مرسلًا مختصراً (٧٣/٢) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٢٠/١٤) بسنده إلى أبي معشر. وفي رواية ابن إسحاق أن سعد بن معاذ تناول الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة، ثم قال: «ليجهدوا علينا».

(٥٠) رواه ابن إسحاق معلقاً - ابن هشام (٣٠٧/٣ - ٣٠٨)، وموسى بن عقبة فيما نقله عنه البيهقي في الدلائل (٤٠٠/٣ - ٤٠١) وهو موقوف على شيخه الزهري.

(٥١) انظر: معجم البلدان للحموي (٢٣٤/٥ - ٢٣٥).

لقد أتاه الزبير بما يدل على غدرهم، ويومها قال له الرسول ﷺ: «فذاك أبي وأمي، إن لكل نبي حوارياً، وحواري الزبير»^(٥٢). ولزيادة الحيلة والحذر والتأكد من مثل هذه الأمور الخطيرة، أرسل الرسول ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد وعبدالله بن رواحة وخوات بن جبير، فجاءوا إلى بني قريظة وتحدثوا معهم، ووجدوهم قد نكثوا العهد ومزقوا الصحيفة التي بينهم وبين الرسول ﷺ إلا بني سعية^(٥٣)، فإنهم جاؤوا إلى المسلمين وفاء بالعهد. وعاد رسل المسلمين إلى الرسول ﷺ بالخبر اليقين^(٥٤).

وعندما شاع هذا الخبر خاف المسلمون على ذرائعهم من بني قريظة^(٥٥)، ومروا بوقت عصيب وابتلاء عظيم. ونزل القرآن واصفا هذه الحالة: ﴿وَإِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(٥٦).

فالذين جاؤهم من فوقهم هم الأحزاب، وبني قريظة من أسفل منهم، والذين ظنوا بالله الظنون هم المنافقون. أما المؤمنون فقد صمدوا لهذا الامتحان. واتخذوا كل الوسائل الممكنة لاجتياز الامتحان، فنظموا فرقا للحراسة، فكان سلمة بن أسلم الأمسي أميراً لمائتي فارس وزيد بن حارثة أميراً لثلاثمائة فارس، يطوفون المدينة ويكبرون لإشعار بني قريظة باليقظة حتى لا تحذتهم أنفسهم بأن يغدروا بالذرية التي في الحصون^(٥٧).

وعندما وصلت الأحزاب المدينة فوجئوا بوجود الخندق، فقاموا بعدة

(٥٢) البخاري/ الفتح (٢٩١/١٥ ح ٤١١٣)، مسلم (١٨٧٩/٤ ح ٢٤١٥) وغيرها... وتفصيل الخبر عند الواقدي (٤٥٧/١) حيث ذكر أن الزبير رآهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم وقد جمعا ماشيتهم - وهذا يدل على أن الزبير نقل معلومات ظرفية.

(٥٣) جاء خبر بني سعية في رواية لابن إسحاق بإسناد معلق - ابن هشام (٣٢٩/٣ - ٣٣٠).

(٥٤) من رواية ابن إسحاق المعلقة - ابن هشام (٣٠٨/٣ - ٣٠٩) وابن عفة المنقطعة كما في دلائل البيهقي (٤٠٠/٣ - ٤٠١)، والواقدي (٤٥٨/٢ - ٤٥٩)، وابن سعد (٦٧/٢):

(٥٥) المصدران نفسهما.

(٥٦) الأحزاب: ١٠ - ١١. رواه ابن إسحاق معلقاً - ابن هشام (٣٣٩/٣ - ٤٠) والطبري في التفسير (١٢٨/٢١ - ١٥٥) مرسلًا عن بعض التابعين، وهي عدة آثار، وهي بمجموعها تنقوي بعضها البعض وترتقي إلى درجة الحسن لغيره.

(٥٧) ابن سعد (٦٧/٢) معلقاً، الواقدي (٤٦٠/٢).

محاولات لاقتحامه، ولكنهم فشلوا لأن المسلمين كانوا يمطرونهم بوابل سهامهم كلما هموا بذلك، ولذا استمر الحصار لمدة أربع وعشرين ليلة^(٥٨).

وذكر ابن إسحاق^(٥٩) وابن سعد^(٦٠) أن بعض المشركين اقتحموا الخندق، وعد ابن إسحاق منهم: عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب وضرار بن الخطّاب الشاعر بن مردّاس، وزاد ابن سعد واحدا على هؤلاء وهو: نوفل بن عبدالله. وذكر أن عليا بارز عمرو بن عبد ود - فارس قریش - وقتله، وأن الزبير قتل نوفلا المخزومي وأن الثلاثة الآخرين فروا إلى معسكرهم.

وظلت مناوشات المشركين للمسلمين وتراشقهم معهم بالنبل دون انقطاع طيلة مدة الحصار، حتى إنهم شغلوا المسلمين يوماً عن أداء صلاة العصر، فصلوها بعد الغروب^(٦١). وذلك قبل أن تشرع صلاة الخوف، حيث شرعت في غزوة ذات الرقاع^(٦٢) على رأي من يرى أن ذات الرقاع كانت بعد غزوة الخندق.

وقتل في هذه المناوشات ثلاثة من المشركين واستشهد ستة من المسلمين^(٦٣) منهم سعد بن معاذ، الذي أصيب في أكله - عرق في وسط الذراع - رماه جَبّان بن العرقعة. وقد نصبت له خيمة في المسجد ليعوده الرسول ﷺ من

(٥٨) من رواية ابن سعد (٧٣/٢) بإسناد رجاله ثقات ولكنه من مراسيل ابن المسيب ومراسيله قوية، وهو أقوى إسناد في مدة الحصار. وقال ابن إسحاق: «بضعا وعشرين ليلة، قريبا من شهر» - ابن هشام (٣١٠/٣) - معلقا. وروى الطبري في تفسيره (١٢٨/٢١) من مرسل قتادة بإسناد حسن أن الحصار دام شهرا، وفي رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب كما في دلائل البيهقي (٤٠١/٣) أنه قريب من عشرين ليلة، وقال ابن سعد (٧٠/٢): «خمس عشرة ليلة».

(٥٩) ابن هشام - معلقا (١١/٣ - ٣١٣).
(٦٠) الطبقات الكبرى (٦٨/٢) معلقا. وقد أورد الطبري في تاريخه (٤٨/٣) مبارزة على لابن عبد ود من مرسل الزهري، ومراسيله ضعيفة، ومن مرسل عكرمة بإسناد رجاله ثقات. وانظر محاولات اقتحام المشركين الخندق ومناوشاتهم ومبارزة علي وابن عبد ود عند الواقدي (٤٦٤/٢ - ٤٧٣)، وهي ملحمة بطولية وإيانية قوية لملي، أتضح أن يقف عندها شباب الإسلام وثقات متأنية فاحصة. ولله دره من فارس مغوار.

(٦١) البخاري/ الفتح (٢٩١/١٥) ح ٤١١٢ وانظر شرح ابن حجر للحديث.
(٦٢) البخاري/ الفتح (٣٠٦/١٥) ح ٤١٢٥.

(٦٣) من رواية ابن إسحاق والواقدي معلقا، وذكر العدد والأساء والقبائل - ابن هشام (٣٤٩/٣) - (٣٥٠) ومغازي الواقدي (٤٩٥/٢) - ٤٩٦. وذكر ابن سعد - معلقا (٧٠/٢) أساء أربعة من الذين ذكرهم ابن إسحاق والواقدي.

قريب، ثم مات بعد غزوة بني قريظة، حين انتقض جرحه^(٦٤) وكانت تقوم على تمريضه رُفيدة الأسلمية^(٦٥).

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: «حم، لا ينصرون»^(٦٦).

لقد كفى الله المؤمنين القتال فهزم الأحزاب بوسيلتين: الأولى: تسخير الله نُعَيْم بن مسعود ليخذل الأحزاب، والثانية: الرياح الهوجاء الباردة.

١ - دور نُعَيْم بن مسعود:

روى ابن إسحاق^(٦٧) والواقدي^(٦٨) وعبدالرزاق^(٦٩) وموسى بن عقبة^(٧٠) أن نعيم بن مسعود الغطفاني، أتى النبي ﷺ مسلماً وعرض عليه أن يقوم بتنفيذ أي أمر يريده النبي ﷺ فقال له: «إنما أنت رجل واحد فينا، ولكن خذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خُذعة»^(٧١).

وقبل أن يُعرف إسلام نعيم، أتى بني قريظة، فأقنعهم بعدم التورط مع قريش في قتال حتى يأخذوا منهم رهائن، لكيلا يولوا الأديار، ويتركوهم وحدهم يواجهون مصيرهم مع المسلمين بالمدينة. ثم أتى قريشا فأخبرهم أن

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٥/٢٩٩ ح/ ٤١٢٢) وقد روى البخاري أن سعدا دعا الله أن يبقه لحرب قريش إن كان قد بقي منها شيء ليجاهد فيهم، وأن يفجر جرحه فيموت إن كان الله قد وضع الحرب بين قريش والمسلمين - إشارة إلى هذه الحرب - فأنفجر جرحه، فكان سبب موته، انظر: البخاري/ الفتح (١٥/٣٠١ ح/ ٤١٢٢) وزاد ابن إسحاق أنه دعا قائلا: «ولا تمنني حتى تفر عني من بني قريظة» - ابن هشام (٣/٣١٦) معلقا. وانظر مناقبه عند البخاري ومسلم وغيرهما. وانظر الحديث من رواية أحمد في المسند: الفتح الرباني (٨٢/٢١) وحسن الهيتمي إسناده كما في المجمع (٦/١٣٩).

(٦٥) من رواية ابن إسحاق بإسناد معلق - ابن هشام (٣/٣٣١).
(٦٦) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣/٣١٤)، وأبو دواد في سننه (٣/٧٤ ك). الجهاد/ ب.
في الرجل ينادي بالشعار، والزمذي في السنن (٣/١١٥ ك). الجهاد/ ب. الشعار) وكلاهما بالسند نفسه، وأحمد في المسند (٤/٢٨٩) والحاكم من طرق (٢/١٠٧) وصححه وسكت عنه الذهبي.
وبصح الحديث بالشواهد والمتابعات كما ذكر محققا سيرة ابن هشام (٣/٣١٥).

(٦٧) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٣/٣١٩ - ٣٢٠).
(٦٨) الواقدي (٢/٤٨٠ - ٤٨٣).

(٦٩) المصنف (٥/٣٦٨ - ٣٦٩) مرسلًا عن ابن المسيب. ومراسله قوية.
(٧٠) من روايته المرسلة عن الزهري عند البيهقي في الدلائل (٣/٤٠٤ - ٤٠٥) وابن كثير في تاريخه (٤/١٢٧).

(٧١) «الحرب خذعة»، حديث للرسول ﷺ رواه البخاري/ الفتح (١٢/١٢٦ ح/ ٣٠٢٩ - ٣٠٣٠) ومسلم (٣/١٣٦١ ح/ ١٧٣٩)، وغيرهما.

بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا، وأنهم قد اتفقوا سرا مع رسول الله ﷺ على أن يختطفوا عددا من أشراف قريش وغطفان فيسلموهم له ليقتلهم دليلا على ندمهم، وقال لهم: فإن أرسلت إليكم يهود يلتبسون منكم رهنا من رجالكم فإياكم أن تسلموهم رجلا منكم. ثم أتى غطفان وقال لهم مثل الذي قاله لقريش. وبذلك زرع بذور الشك بينهم. وأخذ كل فريق يتهم الفريق الآخر بالخيانة.

٢ - معجزة الرياح:

هبّت ريح هوجاء في ليلة مظلمة باردة، فقلبت قدور المشركين واقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم ودفنت رحالهم، فما كان من أبي سفيان إلا أن ضاق بها ذرعا فنادى في الأحزاب بالرحيل^(٧٢). وكانت هذه الريح من جنود الله الذين أرسلهم على المشركين، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيرا﴾^(٧٣).

وروى مسلم^(٧٤) بسنده عن حذيفة بن اليمان طرفا عما حدث في تلك الليلة الحاسمة، قال حذيفة: «لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، . . . (ردد ذلك ثلاثا) ثم قال: قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم. قال: اذهب فأتني بخبر القوم ولا تدعهم علي. فلما وليت من عنده جعلت كأنها أمشي في حمام، حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهما في كبد القوس، فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «ولا تدعهم علي»، ولو رميته لأصبته، فرجعت، وأنا أمشي

(٧٢) ابن سعد (٧١/٢) من مرسل سعيد بن جبير، ودلائل النبوة للبيهقي (٤٠٦/٣)، من رواية موسى بن عقبة المرسلة عن الزهري. ومراسيله ضعيفة.

(٧٣) الأحزاب: ٩.

(٧٤) صحيحه (١٤١٤/٣ - ١٤١٥ ح ١٧٨٨).

في مثل الحمام . فلما أتته فأخبرته بخبر القوم وفرغت ، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها . فلم أزل نائما حتى أصبحت ، فقال : قم يا نومان .

وزاد ابن إسحاق^(٧٥) في روايته لهذا الخبر : « ... فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقر لهم قدرا ولا إناء ولا بناء ، فقام أبوسفیان ، فقال : يامعشر قريش لينظر امرؤ من جلسه ؟ فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جانبي فقلت له من أنت ؟ قال : فلان بن فلان . ثم قال أبوسفیان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنوقريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ... فارتحلوا فإني مرتحل » .

وفي رواية الحاكم^(٧٦) والبخاري^(٧٧) : « ... فانطلقت إلى عسكريهم فوجدت أباسفیان يوقد النار في عصبة حوله ، قد تفرق الأحزاب عنه ، حتى إذا جلست فيهم فحسب أبوسفیان أنه دخل فيهم من غيرهم ، قال : ليأخذ كل رجل منكم بيد جلسه ، فضربت بيدي على الذي على يميني وأخذت بيده ، ثم ضربت بيدي على الذي عن يساري فأخذت بيده ، فلبثت هنيهة ، ثم قمت فأتيت رسول الله ﷺ ... قلت يارسول الله : تفرق الناس عن أبي سفيان فلم يبق إلا عصبة توقد النار قد صب الله عليه من البرد مثل الذي صب علينا ولكننا نرجو من الله ما لا يرجون » .

وختم الله هذا الامتحان الرهيب بهذه النهاية السعيدة ، وجنب المسلمين شر القتال ، قال تعالى معلقا على هذه الحفافة : ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾^(٧٨)

(٧٥) ابن هشام (٣/٣٢٢) بإسناد مرسل موقوف على محمد بن كعب القرظي .
(٧٦) المستدرک (٣/٣١) وصححه ووافقه الذهبي . ورواية الحاكم والبخاري ومسلم وأبي نعيم والبيهقي شاهد على رواية ابن اسحاق ، وتقويها . انظرها عند أبي نعيم في دلائله (٢/٥٠٠ - ٥٠١) والبيهقي في الدلائل (٣/٤٤٩ - ٤٥٤) من عدة طرق .
(٧٧) في كشف الأستار للهيتمي (٢/٣٣٦ - ٣٣٧) وقال في المجمع (٦/١٣٦) : رواه البخاري ورجاله ثقات .

(٧٨) الأحزاب : ٢٥ .

وكانت هذه الخاتمة استجابة لضراعة النبي ﷺ إلى الله أثناء محنة الحصار: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم» (٧٩).

لقد بذلت الأحزاب أقصى ما يمكنهم لاستئصال المسلمين، ولكن الله ردهم خائينين، وهذا يعني أنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً في المستقبل، ولذا قال الرسول ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم» (٨٠). وهذا علم من أعلام النبوة، لأن الذي حدث بعد هذا هو ما ذكره الرسول ﷺ.

حكم وعبر في غزوة الخندق:

١ - إن حفر الخندق يدخل في مفهوم المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ فينبغي على المسلمين اتخاذ وسائل القوة المتاحة مهما كان مصدرها، لأن الحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجدها التقطها.

٢ - لقد ضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى للحكام والمحكومين في العدالة والمساواة وعدم الاستئثار بالراحة يوم وقف جنبا إلى جنب مع أفراد جيشه ليعمل بيده في حفر الخندق. وهذه هي صفة العبودية الحققة التي تجلب في شخصية الرسول ﷺ.

٣ - أعطى الرسول ﷺ مثلاً آخر على رأفته بالمؤمنين، يوم شاركهم في حفر الخندق ويوم أشركهم معه في طعيم جابر، ولم يستأثر به مع قلة من الصحابة. وفي ضوء هذه المعاني يفهم قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٨١).

(٧٩) مسلم (٣/١٣٦٣/ح ١٧٤٢).

(٨٠) البخاري/الفتح (١٥/٢٩٠/ح ٤١٠٩، ٤١١٠)، وانظر شرح ابن حجر لهذا الحديث. ورواه ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (٣/٣٥٢)، ورواه غيره. وإشارتنا إلى رواية ابن إسحاق وغيره من أهل السير إلى جانب رواية الصحيح للدلالة على أنهم أئمة في هذا الشأن وأن ما يروونه بلاغا أو منقطعا أو معلقا أو بأي صورة من صور الضعيف يمكن أن يكون له أصل في الصحيح.

(٨١) التوبة: ١٢٨.

٤ - إن مجموعة المعجزات التي أجراها الله على يد نبيه محمد ﷺ أيام الخندق، سواء التي كانت في حفر الخندق أو تكثير طعيم جابر أو الرياح التي كانت نعمة على المشركين، هي مجموعة أخرى في سلسلة المعجزات الكثيرة التي أيد الله بها نبيه، ليقطع الحجة لدى المعاندين من المنافقين والمشركين وكل صنف من أصناف أعداء الدين.

٥ - إن الحكمة في استشارته ﷺ لبعض أصحابه في الصلح الذي اقترحه غطفان على الرسول ﷺ، هو أن الرسول ﷺ كان يريد أن يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوفيقه على الرغم من ذلك الذي فوجئوا به من اجتماع أشتات المشركين عليهم في كثرة ساحقة، إلى جانب خذلان بني قريظة للمسلمين ونقض موافقتهم معهم.

٦ - وأما الدلالة التشريعية في هذه الاستشارة، فهي محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه. وهي بعد ذلك لا تحمل أي دلالة على جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديارهم إذا ما اقتحموها، باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم. إذ إن مما هو متفق عليه في أصول الشريعة الإسلامية أن الذي يحتاج به من تصرفاته ﷺ إنما هو أقواله، وأفعاله التي قام بها، ثم لم يرد اعتراض عليها من الله في كتابه العزيز.

وليس في هذه الاستشارة دليل على جواز دفع المسلمين الجزية إلى أعدائهم. أما إذا ألجئوا إلى اقتطاع جزء من أموالهم فعليهم التبرص بأعدائهم لاسترداد حقهم المسلوب^(٨٢).

٧ - عندما شغل المشركون الرسول ﷺ وأصحابه عن صلاة العصر، صلوا قضاء بعد المغرب، وفي هذا دليل على مشروعية قضاء الفائتة.

(٨٢) انظر هذه القضايا الفقهية عند البوطي: فقه السيرة، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

الفصل العاشر عشر

غزوة بني قريظة:

وقعت هذه الغزوة بعد غزوة الأحزاب مباشرة، في آخر ذي القعدة وأول ذي الحجة من السنة الخامسة الهجرية^(١).

وواضح من سير الأحداث أن سبب الغزوة كان نقض بني قريظة العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ، بتحريض من حيي بن أخطب النضري^(٢). وقد سبق أن ذكرنا من رواية الصحيحين أن الرسول ﷺ أرسل الزبير لمعرفة نيتهم، ثم أتبعه بالسعدين وابن رواحة وخوات لذات الهدف ليتأكد من غدرهم.

ولأن هذا النقض وهذه الخيانة قد جاءت في وقت عصيب، فقد أمر الله تعالى نبيه بقتالهم بعد عودته من الخندق ووضعه السلاح^(٣). وامثالاً لأمر الله أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يتوجهوا إلى بني قريظة، وتوكيدا لطلب السرعة أوصاهم قائلاً: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، كما في رواية البخاري^(٤)، أو - الظهر - كما في رواية مسلم^(٥).

وعندما أدرکہم الوقت في الطريق، قال بعضهم لا نصلي حتى نأتي قريظة، وقال البعض الآخر: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم^(٦). وهذا اجتهدا منهم في مراد

(١) ابن سعد (٧٤/٢) - معلقاً. وعنده أنه سار إليهم يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة. وهي أصلاً رواية شيخه الواقدي في المغازي (٤٩٦/٢) أما ابن إسحاق فقال إنها سنة خمس وسكت - ابن هشام (٣٢٤/٣) معلقة.

(٢) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي الْمَصْنُفِ (٣٦٨/٥ - ٣٧٣) مِنْ مَرْسَلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَالرَّوَايَةُ صَالِحَةٌ لِلْإِجْتِهَادِ بِهَا مَعَ الْمُنَابَعَةِ، وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي دَلَالَتِهِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ (٥٠٤/٢ - ٥٠٥).

(٣) البخاري/ الفتح (٢٩٣/١٥) ح/ ٤١١٧.

(٤) الفتح (٢٩٤/١٥) ح/ ٤١١٩.

(٥) صحيحه (١٣٩١/٣) ح/ ١٧٧٠.

(٦) البخاري ومسلم - المصدرين والمكانين نفسيهما.

الرسول ﷺ^(٧).

قال ابن حجر^(٨): «... وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين - البخاري ومسلم - باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر، وبعضهم لم يصلها، ف قيل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر. وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة، الأولى الظهر وقيل للطائفة التي بعدها العصر، وكلاهما جمع لا بأس به...».

خرج الرسول ﷺ في ثلاثة آلاف مقاتل معهم ستة وثلاثون فرسا^(٩) وضرب الحصار على بني قريظة لمدة خمس وعشرين ليلة على الأرجح^(١٠)، وضيق عليهم الخناق حتى عظم عليهم البلاء، فرغبوا أخيرا في الاستسلام، وقبول حكم الرسول ﷺ فيهم. واستشاروا في ذلك حليفهم أبا لبابة بن عبد المنذر (رضي الله عنه)، فأشار إلى أن ذلك يعني الذبح. وندم على هذه الإشارة، فربط نفسه إلى إحدى سواري المسجد النبوي، حتى قبل الله توبته^(١١).

وعندما نزلوا على حكم الرسول ﷺ أحب أن يكل الحكم عليهم إلى واحد من رؤساء الأوس، لأنهم كانوا حلفاء بني قريظة، فجعل الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ، فلما دنا من المسلمين قال الرسول ﷺ للأَنْصار: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم، ثم قال: إن هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسّم أموالهم. فقال له النبي ﷺ: قضيت بحكم الله تعالى»^(١٢).

(٧) ابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٣/٣٢٦).

(٨) الفتح (١٥/٢٩٤) ك. المغازي.

(٩) ابن سعد (٣/٧٤) - معلقا والمعلق كما هو معلوم من أقسام الضعيف.

(١٠) من رواية أحمد: الفتح الرباني (٢١/٨١ - ٨٣) ورواته من يمتح بهم. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/١٤٠): «وهذا الحديث إسناده جيد». وروى الطبري في تاريخه (٢/٥٨٣) وفي الصحيح بعضه، بإسناد حسن، أن المدة بين الشهر والخمس وعشرين ليلة - بلفظ الشك، وعند ابن إسحاق خمس وعشرين ليلة - ابن هشام (٣/٣٢٦) معلقا، وهو الذي تابعه أهل السير والمغازي في ذلك. وعند ابن سعد (٢/٧٤) - معلقا - أنها خمسة عشر يوما. وعند ابن عتبة بضع عشرة ليلة كما ذكره عنه ابن حجر في الفتح (١٦/٣٠) ك. المغازي/ ب. مرجعه من الأحزاب.

(١١) من رواية أحمد في المسند بإسناد حسن: الفتح الرباني (٢١/٨١ - ٨٣).

(١٢) البخاري/ الفتح (١٥/٢٩٨) ح ٤١٠١، مسلم (٣/١٣٨٨ - ١٣٨٩) ح ١٧٦٨.

ونفذ الرسول ﷺ حكم الله فيهم. وكانوا أربعائة على الأرجح^(١٣). ولم ينج إلا بعضهم^(١٤)، وهم ثلاثة، لأنهم أسلموا، فأحرزوا أموالهم^(١٥)، وربما نجا اثنان آخران منهم بحصولهم على الأمان من بعض الصحابة، أو لما أبدوه من التزام بالعهد أثناء الحصار^(١٦). وربما نجا آخرون لا يتجاوزون عدد أفراد أسرة واحدة، إذ يفهم من رواية عند ابن إسحاق^(١٧) وغيره^(١٨) أن الرسول ﷺ وهب لثابت بن قيس بن الشَّيَّاس ولد الزُّبَيْر بن بَاطِلَ القُرْظِي، فاستحياهم، منهم عبدالرحمن بن الزبير، الذي أسلم، وله صحبة.

(١٣) من رواية أحمد في مسنده، بإسناد حسن (٣٥٠/٣)، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان، بإسناد صحيح، وذكر ذلك ابن حجر في الفتح (٣٠١/١٥). وقد اختلف في هديهم: قال ابن إسحاق: «وهم ستائة أو سبعائة، والمكثر لهم يقول: «كانوا بين الثمانائة والتسعمائة» - ابن هشام (٣٣٣/٣) - معلقاً. وعند ابن عائد من مرسل قتادة: كانوا سبعائة - ذكره ابن حجر في الفتح (٣٠١/١٥). وعند ابن سعد (٧٥/٢)، أنهم كانوا ما بين ستائة إلى سبعائة وعند الواقدي ثلاث روايات: الأولى أنهم ستائة، والثانية أنهم ما بين ستائة إلى سبعائة، والثالثة تقول إنهم كانوا سبعائة وخمسين - المغازي (٥١٧/٢ - ٥١٨) قال ابن حجر في الفتح (٣٠١/١٥): «فيحتمل في طريق الجمع أن يقال إن الباقي كانوا أنبياء».

(١٤) البخاري/ الفتح (٢٠٢/١٥) ح/ ٤٠٢٨، ومسلم (١٣٨٨/٣) ح/ ١٧٦٦، وأبو داود في سننه (١٤٠/٢ - ١٤١) وأبو عوانة في مسنده (١٦٣/٤).

(١٥) ابن إسحاق بإسناد ضعيف، في المرة الأولى فيه جهالة الشيخ من بني قريظة، وإسناده قوي ولكنه مرسل، وفي المرة الثانية مُعَلَّقاً - ابن هشام (٢٧٢/١) و (٣٢٩/٣)، والذي يبدو أن إسناده الأول يتقوى مع المتابعة، وقد توبع برواية البخاري ومسلم وأبي عوانة التي فيها أنه لم ينج أحد إلا بعضهم، وهذا البعض هو الذي فسره رواية ابن إسحاق هذه، وهم: ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد، كما ذكر ابن إسحاق معلقاً - ابن هشام (٣٢٩/٣)، وذكرهم ابن حجر في الإصابة (٣٣/١) وابن عبد البر في الاستيعاب (٧٩/١) ضمن الصحابة.

(١٦) ذكر ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٣٣٠/٣) منهم: عمرو بن سعدي، حيث مر في تلك الليلة بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة فتركه وشأنه لأنه ممن لم ينفذ بالرسول ﷺ وكذلك ذكره أبو عبيد في الأموال ص ١٤٦ بإسناد ضعيف لأنه من مراسيل الزهري، وذكر ابن إسحاق بإسناد يبدو من القرائن أنه حسن - ابن هشام (٣٣٧/٣ - ٣٣٨)، كما أخرجه السندي، ص ٣٧٩، وذكر ابن سلمى بنت قيس - خالة الرسول ﷺ طلبت منه أن يهب لها رفاعه بن سمؤال القرظي فوهبه لها. وذكره الواقدي (٥١٤/٢ - ٥١٥)، ولرفاعة صحبة ورواية كما في الإصابة (٥١٨/١) والاستيعاب (٥٠٤/١) - ترجمته - والدرر، ص ١٩٣.

(١٧) بإسناد ضعيف - ابن هشام (٣٣٥/٣ - ٣٣٦) - لم يصرح فيه ابن إسحاق بالسباع ودلائل النبوة للبيهقي (٢٢/٤) - من حديث ابن إسحاق عن الزهري مرسلًا، وصرح فيه بالسباع، و (٢٠/٤) و (٢١) من حديث موسى بن عقبة عن الزهري مرسلًا والطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف لأن فيه موسى بن عبيدة - المجمع (١٤٢/٦)، والواقدي (٥١٨/٢ - ٥٢٠)، وجزم ابن عبد البر بذلك وذكر أن لعبد الرحمن بن الزبير صحبة - انظر: الاستيعاب (٤١٩/٢)، والدرر، ص ١٩٣. وهذه الطرق الضعيفة تدل على أن لقصة ثابت بن قيس مع الزبير بن باطلًا أصلاً، وعلى أقل تقدير أن ثابتاً أحسن إلى الزبير ليد كانت للزبير على ثابت في الجاهلية.

(١٨) مثل أبي عبيد: الأموال، ص ١٤٦ بإسناد ضعيف لأنه من مرسل الزهري.

وجمعت الأسرى في دار بنت الحارث النجارية^(١٩)، ودار أسامة بن زيد^(٢٠) وحفرت لهم الأخاديد في سوق المدينة، فسيقوا إليها المجموعة تلو الأخرى لتضرب أعناقهم فيها^(٢١). وقتلت امرأة واحدة منهم^(٢٢)، قتلها خلاد بن سويد (رضي الله عنه) حيث أُلقت عليه برحى^(٢٣). ولم يقتل الغلمان ممن لم يبلغوا سن البلوغ^(٢٤).

ثم قسم الرسول ﷺ أموالهم وذراريهم بين المسلمين^(٢٥).

مصير بعض سبي بني قريظة:

ذكر ابن إسحاق وغيره^(٢٦) أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا.

-
- (١٩) من رواية ابن إسحاق - ابن هشام (٣٣٣/٣) معلقا، والواقدي (٥١٢/٢).
- (٢٠) من رواية عروة في مغازيه، ص ١٨٧، والواقدي (٥١٢ - ٥١٨) ويوضح الواقدي أن السبي سبقوا إلى دار أسامة بن زيد، والنساء والذرية سيقوا إلى دار رملة بنت الحارث، أما عروة فيذكر أن الرسول ﷺ أمر بأسلحتهم فجعلت في بيت، ولعل هذا البيت هو دار ابنة الحارث. ووقع في حديث جابر عند ابن عائد النصريح بأنهم جعلوا في بيتين - ابن حجر: الفتح (٣٠/١٦). وهكذا يتضح من رواية الواقدي وابن عائد أنهم حبسوا في بيتين ولذا لا معنى لكلام ابن حجر الفتح (٣٠/١٦) عن الكلام على الجمع بين الروايات لأن بعضها جاءت مفسرة وموضحة للأخرى.
- (٢١) من رواية أحمد في المسند (٣١٠/٤)، والألباني: صحيح الترمذي (١١٨/٣ ح ٣٥٤٥) وقال: «صحيح»، وغيرهما. والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته كما ذكر السندي ص ٢٨٨ - ٢٨٩.
- (٢٢) من رواية أحمد في المسند (٢٧٧/٦)، وأبي داود في السنن (١٢٣/٣) ك. الجهاد/ح (٢٦٧١) بإسناد حسن لذاته وعنده أن السبب لحدث أحدثه، وقال الشارح إنها شتمت النبي ﷺ، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣٣٤/٣)، والواقدي (٥١٦/٢) واسمها عنده «نبانة» وفي أصل سيرة ابن إسحاق «نبانة».
- (٢٣) من رواية أحمد في المسند (٢٧٧/٦)، وأبي داود في السنن (٥٠/٢) ك. الجهاد/ب. قتل النساء، والحاكم في المستدرک (٣٥/٣ - ٣٦) وصححه وسكت عنه الذهبي، وابن هشام - معلقا (٣٣٥/٣)، والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته كما ذكر السندي ص ٢٨٩. وخلاد هو الشهيد الوحيد في غزوة بني قريظة كما هو واضح من هذه الأحاديث.
- (٢٤) رواه أبو داود في سننه (٥٦١/٤) ك. الحدود/ب. في الغلام يصيب الحد/ح (٤٤٠٤، ٤٤٠٥)، والترمذي كما في صحيح سنن الترمذي للألباني (١١٤/٢) ك. السير/ح (١٦٤٩) ورمز له بالصححة، وابن ماجه (رقم ٥٤١)، كما ذكر الألباني في صحيح الترمذي، وأحمد في مسنده (٣١٠/٤) و(٣١١/٥ - ٣١٢) وابن إسحاق بإسناد حسن. ابن هشام (٣٣٧/٣)، وابن سعد (٧٦/٢ - ٧٧) بإسناد صحيح، وهو نفس طريق ابن إسحاق ورواه غير هؤلاء. والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته - انظر السندي، ص ٢٨٧ و ٢٨٩.
- (٢٥) البخاري الفتح (٢٠٢/١٥) ح ٤٠٢٨، مسلم (١٣٨٨/٣ ح ١٧٦٦)، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾. الأحزاب: ٢٧.
- (٢٦) ذكره عنه الشامي في سيرته (٢٩/٥) وابن عبد البر في: الاستيعاب (٤٧/٢) ترجمة سعد بن زيد، ذكره معلقا. وذكره الواقدي (٥٢٣/٢).

وذكر الواقدي في المغازي^(٢٧) في شأن بيع سبایا بني قريظة قولین آخرين إضافة إلى ما ذكره ابن إسحاق، والقولان هما:

١ - بعث رسول الله ﷺ سعد بن عبادة إلى الشام بسبایا لیبیعهم ویشتري بهم سلاحا وخيلا.

٢ - اشترى عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنهما) جملة من السبایا... إلخ. ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بأن ذلك كله قد حدث.

واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه من نسائهم رُحْمَانَة بنت عمرو بن خُنافة، وأسلمت. وقد توفي عنها رسول الله ﷺ وهي في ملك يمينه، وكان ذلك باختيارها^(٢٨).

أحكام وحكم ودروس وعبر من غزوة بني قريظة:

١ - جواز قتل من نقض العهد. ولا زالت الدول تحكم بقتل الخونة الذين يتواطؤون مع الأعداء حتى زماننا هذا.

٢ - جواز التحكيم في أمور المسلمين ومهامهم. كما في تحكيم ابن معاذ.

٣ - مشروعية الاجتهاد في الفروع، ورفع الحرج إذا وقع الخلاف فيها. فقد اجتهد الصحابة في تفسير قول الرسول ﷺ: «ألا لا يصلين أحد العصر - أوالظهر - إلا في بني قريظة»، ولم يخطئ الرسول ﷺ أحدا منهم.

٤ - ذكر النووي^(٢٩) أن جماهير العلماء احتجوا بقول الرسول ﷺ: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم...» وغيره على استحباب القيام لأهل الفضل، وليس هذا من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو

(٢٧) (٥٢٣/٢) وانظر: السيرة الشامية (٢٩/٥) والسيرة الحلبية (٦٧٤/٢ - ٧٥).
(٢٨) رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٣٣٩/٣) ولكنه يتقوى بالتابعة، فقد رواه ابن سعد (١٣١/٨) بإسناد رجاله ثقات يحتج بهم ما عدا الواقدي، وقد عدها من زوجات الرسول ﷺ، والواقدي (٥٢٠/٢ - ٥٢١) والطبري في التاريخ (٥٩٢/٢)، وعدها ابن عبد البر - الاستيعاب (٣٠٩/٤) - بهامش الإصابة، وابن حجر: الإصابة (٣٠٩/٤) في زوجات الرسول ﷺ - وسأني ذكرها في الفصل الخاص بالمهات المؤمنين. (٢٩) شرحه على صحيح مسلم (٩٣/١٢).

جالس ويمثلون قياماً طوال جلوسه، وقد وافق النووي جماهير العلماء في هذا، ثم قال: «القيام للقدام من أهل الفضل مستحب وقد جاء فيه أحاديث ولم يصح في النهي عنه شيء صريح. وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزء^(٣٠) وأجبت فيه عما توهم النهي عنه...».

٥ - قال الدكتور البوطي^(٣١): واعلم أن هذا كله لا يتنافى مع ماصحح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار»، لأن مشروعية إكرام الفضلاء لا تستدعي السعي منهم إلى ذلك أو تعلق قلوبهم بمحبته، بل إن من أبرز صفات الصالحين أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهاداً في طلب هذا الشيء... «غير أن من أهم ما ينبغي أن تعلمه في هذا الصدد أن لهذا الإكرام المشروع حدوداً إذا تجاوزها، إنقلب الأمر محرماً، واشترك في الإثم كل من مقترفه والساکت عليه. فمن ذلك ما قد تجده في مجالس بعض المتصوفة من وقوف المريدين عليهم وهم جلوس، يقف الواحد منهم أمام شيخه في انكسار وذل... ومنه ما يفعله بعضهم من السجود على ركة الشيخ أو يده عند قدومه عليه، أو ما يفعله من الحبو إليه عندما يغشى المجلس... فالإسلام قد شرح مناهج للتربية وحظر على المسلمين الخروج عليها، وليس بعد الأسلوب النبوي في التربية من أسلوب يقر».

(٣٠) وهذا الجزء المشار إليه مطبوع.

(٣١) انظر: فقه السيرة، ص ص ٢٤٠ - ٢٤١.

الفصل الثاني عشر

الغزوات والسرائيا والبعوث والأحداث التي وقعت بين غزوة بني قريظة وغزوة الحديبية:

المبحث الأول: سرية عبدالله بن عتيك لقتل سلّام بن أبي الحقيق (أبي رافع):
لقد قدمنا أن أبا رافع كان ممن ألب الأحزاب على رسول الله ﷺ^(١) وكان يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه^(٢). فقد أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله ﷺ^(٣).

رغبت الخزرج في قتل أبي رافع مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف، وذلك بعد الفراغ من بني قريظة. وكان الله (سبحانه وتعالى) قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله ﷺ في الخيرات، فاستأذنوه في قتله، فأذن لهم، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة^(٤).

فخرج من المدينة خمسة من الخزرج إلى حصن أبي رافع بخيبر من أرض الحجاز للقضاء عليه. وقد أمر الرسول ﷺ عليهم عبدالله بن عتيك.

فلما دنوا، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرهم، قال عبدالله لأصحابه: «اجلسوا مكانكم فإنني منطلق فمتلطف للبواب لعلني أدخل». فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته. وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبدالله إن كنت تريد أن تدخل فادخل لأغلق، فدخل، فكمن، فأغلق البواب الباب، وعلق الأقاليد على وتد، فقام ابن

(١) انظر في مكانه من هذا الكتاب.

(٢) البخاري/ الفتح (١٥/٢١٤) ح/ (٤٠٣٩).

(٣) رواه ابن عائد من طريق أبي الاسود عن عروة، كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/٢١٦).

(٤) هذا الجزء من رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل موقوف على عبدالله بن كعب - ابن هشام

(٣/٣٨٠).

عتيك ففتح الباب، ثم توجه إلى بيت أبي رافع، وأخذ في فتح الأبواب التي توصل إليه، وكلما فتح باباً أغلقه من داخل حتى انتهى إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله. فلم يمكنه تمييزه، فنادى: يا أبا رافع، فقال: من؟ فأهوى بالسيف نحو الصوت، فلم يخن شيئاً، فعاد عبدالله يناديه، وفي كل مرة يغير صوته، حتى استمكن منه وقتله دون أن يؤذي أحداً من ولده أو زوجته.

ثم خرج من البيت، وكان بصره ضعيفاً، فوقع من فوق السلم، فانخلعت رجله، فقصبتها بعمامته، وتحامل على نفسه حتى جاء إخوانه فأخبرهم، فعادوا إلى الرسول ﷺ، فلما رأهم قال: «أفلحت الوجوه» وحذثوه بما حدث، ثم قال لعبدالله: «ابسط رجلك»، فمسحها عليه السلام فكانه لم يشتكها قط^(٥).

وقد اختلف أهل السير في تاريخ هذه السرية: فعند الواقدي^(٦) أنهم خرجوا ليلة الاثنين في السحر لأربع خلون من ذي الحجة، على رأس ستة وأربعين شهراً من الهجرة وغابوا عشرة أيام، وعند ابن سعد^(٧) أنها في رمضان سنة ست من الهجرة وعند الطبري أنها في النصف من جمادى الآخرة من السنة الثالثة الهجرية، وقيل في ذي الحجة سنة خمس، وقيل في سنة أربع، وقيل في رجب سنة ثلاث^(٨).

والراجح أنه بعد الخندق وقريظة، لأنه ممن ألب الأحزاب على المسلمين. فإذا كان الرسول ﷺ قد فرغ من بني قريظة في منتصف ذي القعدة فتكون هذه السرية بعد هذا التاريخ بقليل. وعموماً فإن كل ذلك لم ترد فيه روايات صحيحة من الناحية الحديثية.

(٥) من رواية البخاري/ الفتح (٢١٥/١٥ - ٢١٩/٢١٩ ح ٤٠٣٩).

(٦) المغازي (٣٩١/١).

(٧) الطبقات (٩١/٢) معلقاً.

(٨) ابن حجر في الفتح (٢١٤/١٥). وخبر هذه السرية رواه ابن إسحاق من حديث الزهري عن عبدالله بن كعب - ابن هشام (٣٨٠/٣)، وابن سعد (٩١/٢ - ٩٢)، والبيهقي في السنن (٨٠/٩ - ٨١)، وعبدالرزاق في المصنف (٤٠٧/٥ - ٤١٠)، والواقدي (٣٩١/١ - ٣٩٥). فانظر زيادتهم على رواية البخاري.

المبحث الثاني: سرية محمد بن مسلمة إلى القُرطاء:

أرسل النبي ﷺ محمد بن مسلمة في ثلاثين راكبا لشن الغارة على القرطاء، وهم بطن من بني بكر بن كلاب، وذلك في العاشر من المحرم من السنة السادسة، على رأس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة^(٩). فسار إليهم يكمن النهار ويسير الليل حتى دهمهم على غرة، فقتلوا منهم عشرة، وفر الباقون. واستاقوا الإبل والشاء.

ولقيهم ثُمَامَة بن أُثَال الحنفي، سيد بني حنيفة، وهم في طريق عودتهم إلى المدينة، فأسروه، وهم لا يعرفونه. فقدموا به المدينة، وربطوه بسارية من سواري المسجد. فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال: ما عندك؟ قال: عندي يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد قال له ما قال بالأمس، فأجابه ثُمَامَة بمثل ما أجاب. فأمر رسول الله ﷺ بإطلاقه. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد وتلفظ بالشهادتين، وذكر للرسول ﷺ أن وجهه أصبح أحب الوجوه إليه، وأن دينه أصبح أحب الدين كله إليه، وأن بلده أصبحت أحب البلاد كلها، إليه، بعد أن كان ذلك كله أبغض الأشياء إليه. وقال إنه كان في طريقه إلى العمرة عندما أسره، فبشره رسول الله ﷺ وأذن له بالعمرة. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت يا ثُمَامَة. قال: لا، ولكن أسلمت، وأقسم ألا يأتيهم من البيامة حبة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ^(١٠). فكتبوا إلى رسول

(٩) الواقدي (٥٣٤/٢) وعنده أنها على رأس خمسة وخمسين شهرا من مهاجرة - ابن سعد (٧٨/٢) - معلقا، وعنده أنها على رأس تسعة وخمسين شهرا... ولأن قصة ثُمَامَة في هذا الخبر من رواية أبي هريرة فقد رأى ابن كثير في البداية (١٦٨/٤) تأخيرها إلى ما بعد خيبر. انظر المغازي للذهبي، ص ٣٥١ في الزيادة التي بها شهود أبي هريرة خيبر.

(١٠) من رواية البخاري/ الفتح (٢١٠/١٦ - ٢١١/٢١١ ح/٤٣٧٢)، ورواه أيضا: مسلم (١٣٨٦/٣ ح/١٧٦٤)، وأحمد: الفتح الزباني (٨٨/٢١ - ٩٠)، وأبو داود (١٢٩/٣ ك. الجهاد/ ب. في الأسير يوثق/ ح/ ١٧٦٤)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٤٣٣/٢ - ٤٣٩) بإسناد البخاري ولفظه، وابن إسحاق - بلاغا - ابن هشام (٣٨٠/٣ - ٨١). وزاد ابن شبة من طريق شيخه فليح بن محمد وابن إسحاق أنه لما كان في الأسر جمعوا ما كان في بيوت النبي ﷺ فلم يصب منه إلا قليلا، فتمجبوا، فقال النبي ﷺ: «إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المؤمن يأكل في مدى واحد».

الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة ليخلي لهم حمل الطعام، فأذن النبي ﷺ في ذلك^(١١).

فوائد من قصة ثمامة:

(١) قال ابن حجر^(١٢): «وفي قصة ثمامة من الفوائد: ربط الكافر في المسجد، والمن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبا في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل. وفيه الاغتسال عند الإسلام، وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وإن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير. وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه. وفيه بعث السرايا إلى بلاد الكفار وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه».

المبحث الثالث: غزوة بني لحيان:

بنو لحيان هم الذين غدروا بخبيب وأصحابه يوم الرجيع. ولما كانت ديارهم متوغلة في بلاد الحجاز الى حدود مكة، ولوجود ثارات بين المسلمين من جهة وقريش والأعراب من جهة أخرى، رأى رسول الله ﷺ ألا يتوغل في البلاد القريبة من العدو الرئيس. فلما وهنت عزائم الأحزاب رأى أن الوقت قد حان لياخذ من بني لحيان ثار أصحاب الرجيع، فخرج إليهم في مائتي صحابي، في ربيع الأول أو جمادى الأولى سنة ست من الهجرة^(١٣).

==

ورد حديث الرسول ﷺ هذا في صحيح البخاري/ الفتح (٢٠/٣٢١ - ٣٣/٥٣٩٨ - ٥٣٩٨) ولم يذكر اسم الرجل مع اختلاف يسير في سبب قول الرسول ﷺ - انظر شرح ابن حجر لهذه الأحاديث في الفتح (٢٠/٣٢٢ - ٢٣٦)، والترمذي كتاب: الأطعمة، والدارمي والموطأ وأحمد وغيرهم...

(١١) من زيادات ابن هشام على سيرة ابن إسحاق (٢/٣٨١) معلقا.

(١٢) الفتح (١٦/٢١٢) ك. المغازي/ شرح الحديث رقم (٤٣٧٢).

(١٣) عند ابن إسحاق عن شيخه عاصم بن عمر وعبدالله بن أبي بكر عن عبدالله بن كعب، فهو ضعيف للإرسال والنعنة، وصرح بالتحديث في روايته عند ابن سعد (٢/٧٩) أنه خرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من غزوة بني قريظة - ابن هشام (٣/٣٨٧). وعند الواقدي (٢/٥٣٥) أنه خرج لفلان ربيع الأول سنة ست. ووافقه ابن سعد (٢/٧٨) - وإسناده معلق.

واتبع أسلوب التعمية، إذ أظهر أنه يريد الشام، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن عُرَّان - واد بين أمج وعُسْفَان - حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم. وسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فسار إلى عُسْفَان، فبعث فارسين^(١٤) إلى كُرَاع الغَمِيم^(١٥) لتسمع به قريش فيدخلهم الرعب، ويرهبهم من نفسه قوة^(١٦).

وفي عسفان استقبلهم جمع من المشركين على رأسهم خالد بن الوليد، فصلى النبي ﷺ بأصحابه الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو أصبنا منهم غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم صلاة^(١٧) هي أحب إليهم من ابنائهم وأنفسهم: فنزل جبريل (عليه السلام) على رسول الله ﷺ بهذه الآيات: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يَصِلُوا فليصلوا معكم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم. ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم، إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا﴾^{(١٨)(١٩)}. وقيل إن هذه أول صلاة خوف صلاها رسول الله ﷺ^(٢٠) وللعلماء مقال

(١٤) من رواية ابن إسحاق - ابن هشام (٣/٣٨٨) وابن سعد (٢/٧٩)، وعند الواقدي (٢/٥٣٦) أنهم عشرة.

(١٥) موضع جنوب عسفان بشانية أميال، وعسفان قرب مكة.

(١٦) من رواية الواقدي. وإلى هنا من خير هذه الغزوة رواه ابن إسحاق بإسناد ضعيف - ابن هشام (٣/٣٨٧ - ٨٩) و ابن سعد (٢/٧٨ - ٨٠) من طريق ابن إسحاق، ومختصرا من طريق غيره، الواقدي (٢/٥٣٥ - ٥٣٧).

(١٧) هي صلاة العصر.

(١٨) النساء: ١٠٢.

(١٩) من رواية الإمام أحمد في المسند (٤/٥٩ - ٦٠) بإسنادين على شرط الشيخين كما قال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٩٣)، وصححه الشيخ شاکر في تفسير الطبري (٩/١٣١ - ١٣٢)، وخرج الحديث من طرق أخرى عند الآخرين، فانظره في حاشيته، ص ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٢٠) البداية والنهاية (٤/٩٤).

في كيفية صلاة الخوف والوقت الذي فرضت فيه^(٢١).
فوائد من هذه الغزوة:

- (١) مشروعية صلاة الخوف.
- (٢) مشروعية المعاقبة بالمثل بقتال، وقتل من خان وغدر.
- (٣) مشروعية التورية والتعمية على العدو ليصاب منه غرة.
- (٤) مشروعية إرهاب العدو بالنزول بساحته وإظهار القوة له^(٢٢).

المبحث الرابع: سرية عكاشة بن محصن إلى القمَر:

بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين رجلا إلى القمَر^(٢٣) في ربيع الأول أو الآخر من العام السادس الهجري. فأسرعوا، ونذروهم القوم وهربوا. فنزل عكاشة على مياههم وبعث الطلائع فأصابوا من دهم على بعض ماشيتهم فوجدوا مائتي بعير، فساقوها إلى المدينة^(٢٤).

المبحث الخامس: سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة^(٢٥):

وفي ربيع الثاني من السنة السادسة الهجرية بعث رسول الله ﷺ محمد ابن مسلمة في عشرة من الصحابة إلى بني ثعلبة وعوال - من ثعلبة - فكمن القوم لهم حتى نام مع أصحابه، فما شعروا إلا بالقوم، فقتل أصحاب محمد ابن مسلمة كلهم، أما هو فقد وقع جريحا فظنوه ميتا. فمر رجل بالقتلى، فاسترجع، فسمعه ابن مسلمة فتحرك له، فاذا هو رجل مسلم. فأطعمه

(٢١) انظر ذلك في تفسير الآيتين (١٠١، ١٠٢) من النساء عند الطبري في التفسير (١٢٧/٩ - ١٦٢/١) شاكر وعبد ابن كثير في البداية (٩٤ - ٩٣/٤) وفي التفسير (٣٥٠/٢ - ٣٥٦). وقد رجح الحكمي - مرويات غزوة الحديبية، ص ١١٥ - ١٣٢ أن أول صلاة خوف صلاها الرسول ﷺ بعسفان في الحديبية والإشكال كله في تشابه القصة التي في غزوة بني لحيان والتي في الحديبية، وأن رواية الصلاة بعسفان لم تقرر بالحديبية. وسياقي ذكر ذلك في مكانه عند الكلام على غزوة الحديبية - إن شاء الله.

(٢٢) انظر: هذا الحبيب محمد ﷺ، يعجب، ص ٣٢٦.

(٢٣) ماء من مياه بني أسد.

(٢٤) ابن سعد (٨٥/٢) - دون إسناده، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٨٥.

(٢٥) موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، وهو طريق الرينة. كان يقظة بنو ثعلبة وبنو عوال من ثعلبة.

وسقاه، ثم حمله إلى المدينة. فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحدا، ووجدوا نعما وشاء، فساقه ورجع^(٢٦).

المبحث السادس: سرية زيد بن حارثة إلى بني سُليمان بالجموم:

بعثه رسول الله ﷺ في ربيع الآخر سنة ست من الهجرة، فسار حتى ورد الجموم، ناحية بطن نخل، عن يسارها، فأصابوا امرأة من مزينة، يقال لها حليمة، فدلّتهم على محلة من محال بني سليم، فأصابوا في تلك المحلة نعما وشاء وأسرى. فكان فيهم زوج حليمة المزنية. وعندما عاد زيد بما أصاب وهب الرسول ﷺ للمزينة نفسها وزوجها^(٢٧).

المبحث السابع: سرية زيد بن حارثة إلى العيص^(٢٨)

بعثه رسول الله ﷺ في جمادى الأولى سنة ست من الهجرة، في سبعين ومائة راكب ليتعرض لعر لقريش بلغه أنها أقبلت من الشام، فتمكنوا من أخذها ومافيهما، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا أناسا ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدموا بهم إلى المدينة، فاستجار أبو العاص بزوجته زينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته، وقبل الرسول ﷺ إجارته ورد عليه ما أخذ منه^(٢٩). وجاء أبو العاص إلى مكة وأدى

(٢٦) الواقدي (٥٥١/٢)، ابن سعد (٨٥/٢) - معلقا - والطبري في تاريخه من رواية الواقدي (٦٤١/٢) وعنده أنها في ربيع الأول، ولعل الطبري قد أخطأ في النقل عن الواقدي.

(٢٧) ابن سعد (٨٦/٢) - بدون إسناد.

(٢٨) بينها وبين المدينة أربع ليال.

(٢٩) ابن سعد (٨٧/٢) - معلقا، وزاد ابن إسحاق - ابن هشام (٣٦٥/٢ - ٣٦٨)، والواقدي (٥٥٣/٢ - ٥٥٤) خبر إسلام أبي العاص ورد الرسول ﷺ عليه زوجته. وفصّته إلى أمر الإجارة رواها ابن إسحاق بدون إسناد، وروى خبر رد ماله منقطعا، وروى خبر رد زينب بالكنكاح الأول بإسناد متصل وفيه التصريح بالسباع، ولكن في سنده داود بن الحصين، وفيه كلام كما في التهذيب (٦٨١/٣). ومن روى حديث الكناح بإسناد ابن إسحاق: الترمذي (٣٠٥/٢) وقال: وهذا حديث ليس بإسناده بأس... ورواه من غير طريق ابن إسحاق: سعيد بن منصور في سننه (٧٣/٢) مرسل عن الشعبي، ولعل حديث ابن إسحاق يتقوى بهذا، لأن مراسيل الشعبي صحيحة عند بعض كبار المحدثين - انظر كتاب المراسيل لأبي داود، تحقيق عبدالعزيز السبروان، ص ٤٤. ويرى ابن كثير في البداية (٢٠١/٤) أن إسلام أبي العاص كان في سنة ثمان، سنة الفتح، لا كما ذكر الواقدي من أنه سنة ست. وأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنين على الكفار يستين.

إلى كل ذي حق حقه، ثم نطق بالشهادتين، وقال لهم: وما معني أن أقيم بالمدينة إلا أن خشيت أن تظنوا أنني أسلمت لأن أذهب بالذي لكم. ثم رجع إلى المدينة، فرد عليه الرسول ﷺ زينب بذلك النكاح الأول^(٣٠).

حكم من أحداث هذه السرية:

(١) استبدل بقصة زينب (رضي الله عنها) وابن الربيع على أن المرأة المسلمة إذا هاجرت إلى رسول الله ﷺ، وزوجها كافر، مقيم بدار الكفر، فإن الهجرة تفرق بينه وبين زوجته، إلا أن يقدم زوجها مسلماً مهاجراً قبل أن تقضي عدتها، فإن الهجرة في هذه الحالة لا تفرق بينهما. وكذلك الحكم إذا أسلم الزوج بعد انقضاء العدة ولو طالت المدة، فهما على نكاحهما الأول، إذا اختار ذلك ما لم تتزوج^(٣١).

المبحث الثامن: سرية زيد بن حارثة إلى الطُرف^(٣٢):

بعثه الرسول ﷺ في جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة في خمسة عشر رجلاً إلى بني ثعلبة بالطرف، فأصاب نعماً وشاء، وهربت الأعراب، وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ قد سار إليهم. وعاد زيد وصحبه سالمين غانمين^(٣٣).

المبحث التاسع: سرية زيد بن حارثة إلى جذام من أرض حِمْيَر^(٣٤):

بعثه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ست إلى الضليع، بطن من جذام، لتأديبهم. إذ إن رجلين منهم لقيا دحية بن خليفة الكلبي وهو قادم من عند قيصر الروم حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له. فأغاروا

(٣٠) ابن إسحاق، بإسناد متصل، فيه ابن الحصين... ابن هشام (٣٦٨/٢).

(٣١) انظر الشيخ سيد سابق: فقه السنة (٢٣٩/٢ - ٢٤٠) فقيه تفصيل هام.

(٣٢) ماء قريب من المرقى، وقيل المراض، دون النخيل، على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة - معجم البلدان (٣١/٤)، وابن سعد (٨٧/٢).

(٣٣) ابن سعد (٨٧/٢) معلقاً، الواقدي (٥٥٥/٢).

(٣٤) أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان، وأهل تبوك يرون جبل حِمْيَر في غربيهم، وقيل هي لجذام جبال وأرض... معجم البلدان (٢٥٨/٢ - ٥٩).

عليه وسلبا مامعه، فجاء إلى رسول الله ﷺ وأخبره قبل أن يدخل بيته^(٣٥).
والذي ثبت في الصحيح أن دحية الكلبي قد أرسله الرسول ﷺ إلى هرقل
في مدة صلح الحديبية كما سيأتي ذكره في مكانه في مباحث «الرسول»، ولذا
لم نر وجها في قول أصحاب المغازي والسير في أن بعثه إلى هرقل كان في
جمادى الآخرة سنة ست.

المبحث العاشر: سرية زيد إلى وادي القسرى^(٣٦):
كانت في رجب سنة ست من الهجرة^(٣٧).

المبحث الحادي عشر: سرية عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل:
في شعبان سنة ست من الهجرة دعا رسول الله ﷺ عبدالرحمن بن عوف
فأقعده بين يديه وعممه بيده وقال له: «بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من
كفر بالله! لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا! وبعثه إلى كلب بدومة الجندل،
وقال له: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فجاءهم ومكث فيهم ثلاثة
أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم رئيسهم الأصْبَغ بن عمرو الكلبي، وكان
نصرانيا، وأسلم معه خلق كثير من قومه. وأقام من أقام على إعطاء الجزية،
وتزوج عبدالرحمن ثَمَاضِر بنت الأصْبَغ، وقدم بها المدينة، وهي أم أبي سَلَمَةَ
ابن عبدالرحمن^(٣٨).

المبحث الثاني عشر: سرية علي بن أبي طالب إلى بني عبدالله بن سعد
ابن بكر بِفَذَك:

بعثه الرسول ﷺ إليهم في شعبان سنة ست، عندما بلغه أن لهم جمعا

(٣٥) ابن إسحاق - معلقا - وفيها تفصيل - ابن هشام (٣٤٥/٤)، وابن سعد (٨٨/٢) معلقا والواقدي (٥٥٥/٢).

(٣٦) واد بين الشام والمدينة، بين تيهاء وخيبر، فيه قرى كثيرة، وبها سمي وادي القرى - معجم البلدان (٣٤٥/٥).

(٣٧) ابن سعد (٨٩/٢) باختصار شديد.

(٣٨) ابن سعد (٨٩/٢) معلقا، ابن إسحاق، بإسناد منقطع، ولم يسم وجهة السرية وزاد ابن هشام - معلقا - أنها سرية دومة الجندل - ابن هشام (٣٦٩/٤ - ٧١)، الواقدي (٥٦٠/٢) بإسناد متصل.

يريدون أن يمدوا يهود خيبر. وكان معه مائة رجل، فسار الليل وكمن النهار. وأصاب في طريقه عينا، فأقر له أنه بعث إلى خيبر، ليعرض عليهم نصرهم، على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر. وعندما أمنوه دهم على مكانهم فأغاروا عليهم، فاستاقوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنوسعد بالظعن^(٣٩).

المبحث الثالث عشر: سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة:

روى ابن هشام^(٤٠) من حديث ابن إسحاق في أمر هذه السرية أن زيد لقي بني فزارة بوادي القرى، فأصيب بها ناس من أصحابه، وحمل زيد جريحا من بين القتلى، وبه رمق. وأقسم زيد ألا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة. - ولعل هذه السرية هي سرية زيد إلى وادي القرى في رجب سنة ست كما ذكر ابن سعد^(٤١) - فلما شفاه الله من جراحته، بعثه رسول الله إلى بني فزارة في سرية، فقتلهم بوادي القرى، وأصاب فيهم، وقتل قيس بن المسحري مَسْعَدَةَ بن حَكَمَةَ بن مالك بن حذيفة بن بدر، وأسرت أم قُرْقَة - فاطمة بنت ربيعة بن بدر - وكانت عجوزا عند مالك ابن حذيفة بن بدر، وبنت لها وعبد الله بن مسعدة. فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة، فقتلها قتلا عنيفا، ثم قدموا إلى رسول الله ﷺ بآبنة أم قرفة وبابن مسعدة.

وروى الذهبي^(٤٢) من حديث ابن إسحاق رواية ثانية مختصرة ذكر فيها سببا آخر لإرسال الرسول ﷺ زيدا في هذه السرية، وهو أن أم قرفة الفزارية جهزت أربعين راكباً من ولدها وولد ولدها إلى رسول الله ﷺ ليقتلوه، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ سرية بقيادة زيد بن حارثة. وتقول الرواية إن زيدا قتلهم، وقتل أم قرفة، وأرسل بدرعها إلى النبي ﷺ فنصبه بالمدينة بين رعين.

(٣٩) الواقدي (٥٦٢/٢ - ٥٦٤)، ابن سعد (٨٩/٢ - ٩٠) معلقا: ابن إسحاق مختصرا ومعلقا - ابن هشام (٣٤٤/٤).

(٤٠) السيرة (٣٥١/٤) معلقا.

(٤١) الطبقات (٨٩/٢) معلقا.

(٤٢) سير أعلام النبلاء (٢٢٧/١ - ٢٢٨) وأستاده ضعيف لضعف إبراهيم بن يحيى وأبيه ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسباع، وهو مدلس.

وعندما قدم زيد قام إليه الرسول ﷺ يجر ثوبه، فقبل وجهه فرحا بهذا الانتصار.

وروى الواقدي^(٤٣) سببا ثالثا لهذه السرية، وذكر بعض معلومات مغايرة لما ذكره ابن إسحاق. فقد روى أن زيدا خرج في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وأصحابه وأخذوا ما معهم. فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسله في سرية فأوقع بهم، وأخذوا أم قرفة وابنتها جارية بنت مالك، وكان الذي أخذ جارية، سلمة بن الأكوع. فسأله إياها الرسول ﷺ فأعطاهما له، فوهبها الرسول ﷺ لحزن بن أبي وهب. وكان ذلك في رمضان سنة ست. ويذكر ابن إسحاق^(٤٤) في رواية ثالثة والواقدي^(٤٥) أن قيسا بن المسحّر قتل أم قرفة قتلا عنيفا، ربط بين رجلها حبلا ثم ربط بها بين بعيرين، وهي عجوز كبيرة، وقتل عبدالله بن مسعدة، وقتل قيس بن النعمان بن مسعدة ابن حكمة بن مالك بن بدر. وروى الواقدي^(٤٦) أن زيدا عندما جاء إلى الرسول ﷺ في بيت عائشة (رضي الله عنها) قام إليه رسول الله ﷺ يجر ثوبه عريانا، حتى اعتنقه وقبله، ثم سأله فأخبره بما أظفر الله به.

ويلحظ أن روايات الواقدي تتفق مع روايات ابن إسحاق في بعض نتائج هذه السرية، وتختلف معها في الأسباب. والذي أود أن أشير إليه هنا هو أن رواية ابن إسحاق عند الطبري والخاصة بكيفية قتل أم قرفة تتفق مع رواية الواقدي. ومن الواضح أن الروایتين مردودتان سنداً ومتناً. فمسند ابن إسحاق ضعيف لعله الإرسال وضعف ابن حميد، ولم يسبقها الواقدي بأي إسناد، وحتى ولو فعل ذلك فهو متروك لا يحتج بحديثه. أما المتن فهو مخالف لهدى الرسول ﷺ في معاملة الأسرى من النساء والنبي عن قتلهن،

(٤٣) المغازي (٥٦٤/٢ - ٦٥) بإسناد منقطع.

(٤٤) رواها الطبري في التاريخ (٦٤٣/٢) من رواية ابن حميد عن سلمة، وموقوفة على عبدالله ابن أبي بكر، فهي مرسلة ضعيفة. وهذه الرواية تتفق مع الرواية الأولى التي أوردتها ابن هشام ولكنها أكثر تفصيلا في كيفية قتل أم قرفة، وهي الكيفية التي ذكرها الواقدي.

(٤٥) المغازي (٥٦٥/٢)، معلقا.

(٤٦) المغازي (٥٦٥/٢) بإسناده إلى عائشة (رضي الله عنها).

وعن التمثيل بالقتلى، خاصة أن الروایتين لم تشيرا إلى أن أم قرفة كانت من المحاربين أو المحرضين على الحرب.

أما إذا ثبت أن أم قرفة كانت من المحاربين في صفوف الرجال فلا غضاضة من قتلها، ولكن دون التمثيل بها.

لقد روى مسلم^(٤٧) وأحمد^(٤٨) والبيهقي^(٤٩) والطبري^(٥٠) رواية صحيحة في خبر الجارية وأنها المشار إليهما عند أهل المغازي. فعندهم أن أمير السرية إلى بني فزارة كان أبا بكر (رضي الله عنه) وأن الجارية التي وهبها سلمة للنبي ﷺ، فادى بها النبي ﷺ أسارى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين. ولم يسموا أم هذه الجارية، ولم يذكروا قتل والدتها. فإذا لم تكن السريتان مختلفتين فرواية هؤلاء هي المقبولة لأنها تتمشى في متنها مع وصايا رسول الله ﷺ في عدم قتل النساء. هذا إلى جانب صحتها من ناحية السند.

أما رواية أهل المغازي، فهي مضطربة من ناحية المتن ومخالفة لأمر النبي ﷺ في النهي عن قتل الأسرى من النساء، وعدم التمثيل بالقتلى، وضعيفة من ناحية السند، فلا يحتاج بها^(٥١).

المبحث الرابع عشر: سرية عبدالله بن رواحة إلى اليُسَيْر بن رِزَام اليهودي:

بلغ رسول الله ﷺ أن السير بن رزام أمير اليهود بخير بعد سلام بن أبي الحقيق، أخذ يجمع غطفان ليغزوه بهم مع اليهود، فبعث إليه سرية في ثلاثين راكبا عليهم عبدالله بن رواحة، وفيهم عبدالله بن أنيس، فأتوه فقالوا: أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خير، فلم يزالوا به حتى

(٤٧) صحيحه (٣/ ١٣٧٥ - ١٣٧٦/ ح ١٧٥٥).

(٤٨) ابن كثير في البداية (٤/ ٢٦٤).

(٤٩) دلائل النبوة (٤/ ٢٩٠).

(٥٠) التاريخ (٢/ ٦٤٣ - ٦٤٤) وهي الرواية الثانية في ذات الموضوع، والرواية الأولى التي ذكرها هي رواية ابن إسحاق التي فيها كيفية قتل أم قرفة.

(٥١) انظر: الدكتور عبدالعزيز الهلاي: «سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة دراسة نقدية للروايات التاريخية» - مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود م ١٣، ص ٦١ - ٨٢ (١٩٨٦م) وهي دراسة قيمة وجديرة بالاطلاع عليها. وقاته أن يذكر رواية ابن إسحاق عند الطبري في كيفية قتل أم قرفة، وهي الرواية التي تتفق مع رواية الواقدي في هذا الجانب كما ذكرنا.

تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، وكان هو رديف عبدالله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كانوا بِقَرْقَرَةَ ثَبَارٍ، على ستة أميال من خيبر، ندم السير على مسيره إلى رسول الله ﷺ، فأهوى بيده على سيف رديفه ابن أنيس، ففطن له، فاقتحم به، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه السير بِمِخْرَشٍ^(٥٢) في يده من شَوَاحِطِ^(٥٣)، فضرب به وجه عبدالله فألمه^(٥٤)، ومال كل رجل من المسلمين على رديفه من اليهود فقتله، إلا رجلاً واحداً أفلت على رجله. فلما قدم ابن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شجته، فلم تقح ولم تؤذ^(٥٥). وكانت هذه السرية في شوال سنة ست من الهجرة^(٥٦).

المبحث الخامس عشر: سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العُرَيْنِ:

قدم على رسول الله ﷺ جماعة من عُكَلٍ^(٥٧) وعُرَيْنَةٍ^(٥٨)، في شوال من العام السادس الهجري^(٥٩)، وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا بني الله، إنا كنا

(٥٢) المِخْرَشُ: شبه المقرعة بضرب به، وهي معوجة الرأس.
(٥٣) الشواطط: شجر النيم، من أشجار الجبال التي يتخذ منها القسي (لسان العرب ٣٤٥/٨).
(٥٤) فأمه: أي جرحه في رأسه، والشجّة المأمومة هي التي تبلغ أم الرأس والدماغ.
(٥٥) رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مَعْلُوقًا - ابْنُ هِشَامٍ (٣٥٢/٤ - ٣٥٣)، وَابْنُ سَعْدٍ - مَعْلُوقًا (٩٢/٢) وَلَمْ يَذْكُرْ تَقْلَ الرُّسُولِ ﷺ عَلَى شَجَةِ ابْنِ أَنْيسَ، وَعُرُوهُ، رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو الْأَسْوَدِ وَفِي سَنَدِهِ ابْنُ فَيْعَةَ، وَفِيهِ مَقَالٌ وَحْدِيهِ حَسَنٌ لَوْلَا الْإِرْسَالُ (مَغَازِي عُرُوهُ، ص ١٩٦، وَابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ فِي الدَّلَائِلِ (٢٩٣/٤ - ٩٤)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ (٥١٦/٢ - ٥١٧)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ (٢٧٤/٤)، وَمُوسَى ابْنُ عَقِبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ مَرْسُلاً - ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ (٢٩٤/٤) وَابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ (٢٤٧/٤)، وَرَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ مِنْ مَرْسَلٍ بِرِيْدَةٍ بَيْنَ سَفْيَانَ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ (٣٨٣/٨). وَيُلْحِظُ أَنَّ الْمَصَادِرَ الْمَطْبُوعَةَ تَخْتَلِفُ فِي اسْمِ أَمِيرِ هَذِهِ السَّرِيَةِ وَفِي اسْمِ هَذَا الْيَهُودِيِّ. فَابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ عَقِبَةَ وَالْوَاقِدِيُّ وَابْنُ سَعْدٍ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَمِيرَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ وَعِنْدَ عُرُوهُ أَنَّهُ ابْنُ عَيْتِكَ، وَابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ عَقِبَةَ يَتَّفِقَانِ عَلَى أَنَّ اسْمَ الْيَهُودِيِّ: الْبَسِيرُ بْنُ رَزَامٍ وَعِنْدَ عُرُوهُ بَشْرُ بْنُ رَزَامٍ. وَعِنْدَ الْوَاقِدِيِّ وَابْنِ سَعْدٍ يَسِيرُ بْنُ رَزَامٍ. وَلَعَلَّ هُنَاكَ بَعْضَ التَّصْحِيحِ عِنْدَ عُرُوهُ فِي الْأَسْمَاءِ. وَعِنْدَ الْوَاقِدِيِّ وَابْنِ سَعْدٍ فِي الْأَسْمَاءِ الثَّانِي، وَالْوَاقِدِيُّ مِنْ رَوَايَةِ عُرُوهُ (٥٦٦/٢ - ٥٦٨) وَفِيهِ تَفْصِيلٌ وَزِيَادَةٌ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الرُّسُولَ ﷺ بَعَثَ ابْنَ رَوَاحَةَ أَوَّلًا إِلَى خَيْبَرَ فِي رَمَضَانَ فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ لِمَعْرِفَةِ مَا يَدُورُ لَهَا، فَجَاءَهُ بِخَيْرٍ عَزَمَ الْبَسِيرُ عَلَى جَمْعِ غَطَفَانَ وَغَزُوَ الْمَدِينَةَ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ خَارِجَةً ابْنَ حَسِيلِ الْأَشْجَعِيِّ فَاسْتَخْبَرَهُ الرُّسُولَ ﷺ فَأَفَادَهُ بِأَنَّ الْبَسِيرَ يَعِدُ لِلْبَسِيرِ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي كِتَابَةِ الْيَهُودِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَدَى أَهْمِيَةِ إِخْضَاعِ خَيْبَرَ لِسُلْطَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ مَا تَمَّ فَيَا بَعْدَ.

(٥٦) الْوَاقِدِيُّ (٥٦٦/٢).

(٥٧) عُكَلٌ: قَبِيلَةٌ مِنْ تَيْمِ الرُّبَابِ.

(٥٨) عُرَيْنَةٌ: حَيٌّ مِنْ بَيْحِلَةَ.

(٥٩) مِنْ رَوَايَةِ الْوَاقِدِيِّ (٥٦٨/٢) مَعْلُوقَةً، وَابْنُ سَعْدٍ (٩٣/٢)، مَعْلُوقَةً.

أهل ضرع ولم تكن أهل ريف، واستوخمو المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بِذُودٍ^(٦٠) وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها ويتمسحوا بأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذود. فبلغ النبي ﷺ خبرهم فبعث الطلَب في آثارهم^(٦١)، فقبضوا عليهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم. قال قتادة راوي الحديث -: بلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة^(٦٢)، وقال في رواية أخرى: إن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود^(٦٣). وقال أبو قلابة في حديثه: «هؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله»^(٦٤).

قال الجمهور إن الآية: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٦٥)، قد نزلت في هؤلاء العربيين^(٦٦). وقيلت أسباب أخرى في نزولها^(٦٧).

المبحث السادس عشر: سرية عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان:

أبدى أبو سفيان لقومه رغبته في إرسال من يقتل محمداً، فجاءه أعرابي

(٦٠) الذود: الإبل إذا كانت ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل ما بين الثنتين إلى التسعة. وهي من الإناث دون الذكور.

(٦١) في رواية أهل المغازي والسير أنه بعث في أثرهم كرز بن جابر الفهري في عشرين فارساً، وأن اسم الراعي يسار - ابن إسحاق - بإسناد ضعيف - ابن هشام (٣٨٣/٤ - ٣٨٤) وابن سعد (٩٣/٢)، والواقدي (٥٦٩/٢).

(٦٢) روى حديث هذه السرية: البخاري/ الفتح (٣٤/١٦) ح (٤١٩٢).

(٦٣) المصدر نفسه: (٢٥٨/٢١ - ٢٥٩) ح (٥٦٨٥، ٥٦٨٦).

(٦٤) المصدر نفسه: (٢٥٣/٢٥ - ٢٥٤) ح (٦٨٠٥).

وروى القصة مسلم (١٢٩٦/٣ - ١٢٩٨) ح (١٦٧١)، وبقية الجاهة (أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه)، وأهل المغازي والسير وانظر الطبري: التفسير (٢٤٤/١٠ - ٢٥٣).
(٦٥) المائدة: ٣٣.

(٦٦) انظر سيد سابق: فقه السنة (٤٧١/٢). ولزيد من التفاصيل ومناقشة مختلف روايات هذه السرية، انظر: الشامي: سبل الهدى والرشاد (١٨١/٦ - ١٩٠).

(٦٧) انظر الطبري: التفسير (٢٤٤/١٠ - ٢٤٤) حيث ذكر أسباباً أخرى في نزولها. أما الشامي فقد استوعب الروايات من مصادرها المختلفة.

فاتك باطش وقبل أداء المهمة، فزوده أبوسفيان بغير ونفقة وأوصاه بكتان الأمر، فجاء المدينة بعد ستة أيام، فدلوه على الرسول ﷺ في مسجد بني عبد الأشهل، فلما رآه قال: إن هذا ليريد غدراً، والله حائل بينه وبين ما يريد، وعندما ذهب الأعرابي لينحني على الرسول ﷺ جبهه أسيد بن الحضير ليتنحي عن الرسول ﷺ فاذا الخنجر بداخل إزاره، فأسقط في يد الأعرابي، وعرض عليه الرسول ﷺ الأمان إن هو صدقه، فأخبره بالقصة وما جعل له أبوسفيان، فخلى عنه الرسول، فأسلم.

ولهذا بعث الرسول عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم بن جريش إلى أبي سفیان ليقتلاه، فجاء مكة، وبعد أن طافا وصليا فطن أهل مكة لعمرو وشكوا فيه، فهموا بقتله مع صاحبه، ففرا إلى المدينة^(٦٨).

المبحث السابع عشر: سرية الخطب^(٦٩) (سيف البحر)

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة راكب قبل الساحل ليرصدوا عيرا لقريش. وعندما كانوا ببعض الطريق في الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان قدر مزود تمر، يقوتهم منه كل يوم قليلا قليلا، حتى كان أخيرا نصيب الواحد منهم ثمرة واحدة، ثم فئيت فلجؤوا إلى أكل الخطب، فسمي ذلك الجيش جيش الخطب. ثم نحروا من إبلهم حتى كادت تنفى، فنهاهم أبو عبيدة عن ذلك. وعندما انتهوا إلى الساحل بعد مسير نصف شهر، ألقى الله إليهم حوتا ميتا من البحر، مثل الطُرب^(٧٠) يقال له العُتْبَر، فأكلوا منه وادهنوا نصف شهر، فصحت أجسامهم، وأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبها فمر الراكب من تحته. ولم يلق المسلمون

(٦٨) ابن سعد (٩٣/٢ - ٩٤) معلقا، وابن هشام (٣٧٢/٤ - ٣٧٥) معلقا، وليس فيه قصة أبي سفيان والأعرابي، وإسحاق بن راهويه في مسنده بإسناد فيه مجهول كما في المطالب العالية (٢٣١/٤) - (٢٣٤)، والبيهقي في السنن (٢١٣/٩) - مختصرا وإسناد فيه الواقدي، والطبري في تاريخه (٥٤٣/٢) - (٥٤٥) من طريق ابن إسحاق، وفي سنده جعفر بن الفضل، لم يترجم له أحد، والبيهقي في الدلائل (٣٣٣/٣ - ٣٣٤)، بإسناد فيه الواقدي.

(٦٩) الخطب: ورق الغضا من الطلح والسلم ونحوه يخط بالعصا فينساظ، وكانت نعلفه الإبل وقد سبق ذكر ذلك في خبر المقاطعة العامة.

(٧٠) الطُرب: الجبل الصغير.

كيدا، فعادوا وأخبروا الرسول ﷺ بقصة الحوت، فقال: «كلوا رزقا أخرجه الله، أطعمونا إن كان معكم». فأتاه بعضهم بعضو فأكله^(٧١).

وكانت هذه السرية على الأرجح قبل صلح الحديبية، وليس في رجب سنة ثمان كما ذكر ابن سعد^(٧٢) وذلك لسببين. السبب الأول: أن الرسول ﷺ لم يغز ولم يبعث سرية في الشهر الحرام، والثاني: أن رجب سنة ثمان هو ضمن فترة سريان صلح الحديبية^(٧٣).

وذكر ابن سعد والواقدي^(٧٤) أن النبي ﷺ بعثهم إلى حي من جهينة، وقال ابن حجر^(٧٥): إن هذا لا يغاير ظاهره ما في الصحيح، لأنه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون عيرا لقريش ويقصدون حيا من جهينة، ويحتمل أن يكون تلقيهم للعرير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة. ويقوي هذا الجمع ما عند مسلم^(٧٦) أن البعث كان إلى أرض جهينة.

إن من أبرز المسائل الفقهية التي وردت في قصة هذه السرية أن في أكل الرسول ﷺ من لحم الحوت الذي تغذى منه المسلمون مدة دليل على مشروعية أكل ميتة البحر^(٧٧).

(٧١) رواه البخاري من عدة طرق، الفتح (١٦/١٩٨ - ٢٠٣/ح ٤٣٦٠ - ٤٣٦٢)، ومسلم من عدة طرق (٣/١٥٣٥ - ١٥٣٧/ح ١٩٣٥)، وابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام ٤/٣٧١ - ٣٧٢).

وأحمد: الفتح الرباني (٢١/١٤١ - ١٤٢) وغيرهم. الطبقات (٢/١٣٢) معلقا، وعد الذهبي ذلك زعما - انظر: مغازي الذهبي ص ٥١٩، ووفهم ابن القيم ابن سيد الناس في متابعتة لابن سعد في هذا التاريخ - الزاد (٣/٣٨٩).

(٧٣) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٣٨٩ - ٣٩٠) والعمرى: المجتمع المدني، الجهاد، ص ١٢٥.

(٧٤) المغازي (٢/٧٧٤).

(٧٥) الفتح (١٦/١٩٩).

(٧٦) صحيحه (٣/١٥٣٧/ح ١٩٣٥).

(٧٧) انظر ذلك في أبواب وكتب الأطعمة من أسفار الحديث والفقه.

الفصل الثالث عشر

صلح الحُدَيْبِيَّة^(١):

المبحث الأول: أحداث الحُدَيْبِيَّة:

خرج الرسول ﷺ وأصحابه لأداء العمرة^(٢) في يوم الاثنين هلال ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية^(٣).

وكان الرسول ﷺ يخشى أن تعرض له قريش بحرب أو يصدوه عن البيت الحرام، لذلك استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، فأبطؤوا عليه، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار وبمن لحق به من العرب^(٤). وقد كشف القرآن عن حقيقة نوايا الأعراب، فقال: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا. يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا، بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا. بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾^(٥).

(١) الحديبية اسم بئر تقع على بعد اثنين وعشرين كيلا شمالي غربي مكة. وتعرف اليوم بالشمسي، وبها حدائق الحديبية ومسجد الرضوان - انظر: نسب حرب، ص ٣٥٠.

(٢) أي عمرة الحديبية حيث صده المشركون - البخاري/ الفتح (٨/٨٦) ح (١٧٧٨).

(٣) الواقدي (٢/٥٧٣)، ابن سعد (٢/٩٥) - معلقا، والتصريح بيوم الاثنين وهلال ذي القعدة من رواية، ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٣/٤٢٦). ورواه موسى بن عقبة والزهرري وقائدة كما في دلائل البيهقي (٣/٩١). وشذ هشام بن عروة في روايته عن أبيه حين قال إن خروج الرسول ﷺ إلى الحديبية كان في رمضان والحديبية في شوال - البيهقي في الدلائل (٣/٩٢)، وابن كثير في البداية (٤/١٨٥). ورواه البيهقي في الدلائل (٣/٩٠ - ٩١) بإسناد حسن ولكنه مرسل عن نافع مولى ابن عمر، وفيها أنها في ذي القعدة سنة ست، وكونها في ذي القعدة صرح به حديث البخاري في الفتح (٨/٨٦). وهكذا فالجمهور على أنها في ذي القعدة سنة ست.

(٤) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٣/٤٢٧)، الواقدي (٢/٥٧٤ - ٧٥).

(٥) الفتح: (١١ - ١٢).

وقد ذكر مجاهد^(٦) أن الأعراب الذين عنتهم الآية هم أعراب جهينة ومزينة، وذكر الواقدي^(٧) أن الأعراب الذين تشاغلو بأموالهم وأولادهم وذرائعهم هم بنو بكر ومزينة وجهينة.

ويفهم من رواية البخاري^(٨) أن المسلمين كانوا يحملون أسلحتهم استعدادا للدفاع عن أنفسهم في حالة الاعتداء عليهم.

لقد اتفق خمسة من الذين كانوا في هذه الغزوة على أن عدد من خرج فيها كانوا ألفا وأربعمائة رجل^(٩).

ولقد صلى المسلمون وأحرموا بالعمرة عندما وصلوا إلى ذي الحليفة^(١٠)، وقلد رسول الله ﷺ أهدي وأشعره، وعددها سبعون بدنة^(١١). وبعث بين يديه بسر بن سفيان الخزاعي الكعبي عينا له إلى قريش ليأتيه بخبرهم^(١٢).

وعندما وصل المسلمون الروحاء^(١٣) جاءه نبا عدو بضيقه، فأرسل إليهم طائفة من أصحابه، فيهم أبوقتادة الأنصاري، ولم يكن محرمًا، فرأى حارًا وحشياً، فحمل عليه فقطعه، ورفض أصحابه أن يعينوه عليه، ولكنهم أكلوا منه وهم حرم، ثم شكوا في حل ذلك، فعندما التقوا بالرسول ﷺ في السقياء^(١٤)، استفتوه في الأمر، فأذن لأصحابه بأكل ماجاؤوه به من بقية

(٦) تفسير الطبري (٧٧/٢٦) بإسناد حسن إلى مجاهد، وهو مرسل، ويشهد له مرسل قتادة في أن الآية نزلت في الأعراب الذين تخلفوا عن الرسول ﷺ في غزوة الحديبية - الطبري (٢٦ - ٧٨).

(٧) المغازي (٥٧٤/٢) بأسانيد ولم يذكر الآيتين.

(٨) البخاري/ الفتح (٢٩/١٦) ح ٤١٧٨، ٤١٧٩، وقد ذكر الواقدي أنهم لم يحملوا معهم السلاح، وهو مخالف لما في الصحيح - انظر: مغازي الواقدي (٥٧٣/٢).

(٩) البخاري/ الفتح (١٥/١٦) ح ٤١٥١ و (١٧/١٦) ح ٤١٥٤ من حديثي البراء وجابر، مسلم (١٤٣٣/٣) ح ١٨٠٧ و (١٨٠٤/٣) ح ١٤٨٥ - ١٤٨٥، ١٨٥٦ من روايتي جابر ومعتل بن يسار، وإن كان ابن يسار قد قدم للمعد بكلمة "زهاء" مما يدل على عدم الجزم، والبيهقي في الدلائل (٩٨/٣) من حديث المسبب بن حزن والد سعيد بن المسبب.

ومثلك روايات أخرى تقول بغير هذا العدد فانظر مناقشتها عند ابن حجر في الفتح (١٤/١٦) وخلصتها أن الجمع بينها وبين هذه ليس بسعذر، والاختلاف ليس بكبير، وعند الذهبي في المغازي ص ٣٦٤ - ٣٦٥، والنووي في شرحه على مسلم (٢/١٣) وهو بنحو كلام ابن حجر.

(١٠) البخاري/ الفتح (١٤/٨) ح ١٦٩٤، ١٦٩٥.

(١١) مسند أحمد (٣٣٣/٤ و ٣٢٨) بإسناد حسن، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤٢٧/٣).

(١٢) البخاري/ الفتح (٢٩/١٦) ح ٤١٧٨، ٤١٧٩، أحمد في المسند (٣٣٣/٤) بإسناد رجاله ثقات وفيه عنفة ابن إسحاق ولكنه صرح بالتحديث في روايته في سيرة ابن هشام (٤٢٨/٣) فأصبح الإسناد حسناً، وفيه التصريح باسم العين الذي أرسل.

(١٣) الروحاء: على بعد ٧٣ كيلاً عن المدينة المنورة.

(١٤) السقياء: على بعد ١٨٠ كيلاً عن المدينة المنورة.

اللحم ماداموا لم يعينوا على صيده^(١٥).

وعندما وصلوا عسفان^(١٦) جاءهم بسر بن سفيان الكعبي بخبر قريش فقال: «يارسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(١٧) قد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذئ طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قدموا كراع الغميم^(١٨). فاستشار^(١٩) النبي ﷺ أصحابه في أن يغفروا على ديار الذين ناصروا قريشا واجتمعوا معها ليدعوا قريشا ويعودوا للدفاع عن ديارهم، فقال أبو بكر (رضي الله عنه): «يارسول الله، خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه». فقال رسول الله ﷺ «امضوا على اسم الله»^(٢٠).

وعندما علم الرسول ﷺ بقرب خيل المشركين منهم صلى بأصحابه صلاة الخوف بعسفان^(٢١).

ولتفادي الاشتباك مع المشركين، سلك الرسول ﷺ طريقا وعرة عبر ثنية المزار، وهي مهبط الحديدية، وقال عندما وصلها: «من يصعد الثنية ثنية المزار

(١٥) البخاري/ الفتح (١٣٩/٨ - ١٤٦/٨ ج/ ١٨٢١).

(١٦) على بعد ٨٠ كيلا من مكة.

(١٧) العوذ: جمع عائد، وهو من الإبل الحديثة التاج. والمطافيل: جمع مطلق: التي معها أولادها، والمراد أنهم خرجوا ومهم النساء والأولاد لئلا يفروا عنهم، وهو على الاستعارة.

(١٨) سبق ذكره، وهو واد أمام عسفان على بعد ٦٤ كيلا عن مكة - البلادي ص ٢٦٤ قال الزهري: «وكان أبوهريرة يقول: ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ - من رواية أحمد عن عبدالرزاق، وساقه ابن حبان عن طريقه - كما في الفتح (١١/١٦٠).

(١٩) البخاري/ الفتح (٢٩/١٦ ج/ ٤١٧٨، ٤١٧٩) وفيه: «غدير الأشطاط» بدلا عن «عسفان». وغدير الأشطاط قريبة من عسفان كما في رواية أحمد - انظر ابن حجر: الفتح (١١/١٦٠) ومسند أحمد (٤/٣٢٣) من حديث ابن إسحاق، ولم يصرح فيه بالسباع، والإسناد متصل ورجاله ثقات.

(٢٠) أبوداود: السنن مع معالم السنن (٢/٢٨/٢) ك. الصلاة/ ب. صلاة الخوف/ ح (١٢٣٦) وقال المحقق: «وأخرجه السنائي في صلاة الخوف، وحديث ١٥٥٠ و ١٥٥١، وقال المنذري في مختصره: «وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح...» يعني هذا الإسناد الذي عند أبي داود عن مجاهد عن أبي عياش الزرقني، الحاكم (٣/٣٣٨) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه البيهقي في السنن الكبرى (٣/٢٥٧) وابن كثير في تفسيره (١/٥٤٨). والحديث لم يحدد الغزوة، ولكن ابن حجر في الفتح (١٥/٣١١) رجح أنها الحديدية. ويؤيده أن خالد بن الوليد ذكر وجوده قرب عسفان وكان ذلك في غزوة الحديدية - انظر الحكمي: مرويوات غزوة الحديدية، ص ٧٧ - ٨٦، والعمرى: المجتمع المدني - الجهاد، ص ١٣٠.

(٢١) مسلم (٤/٢١٤٤ ج/ ٢٧٨٠).

فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل»، فكان أول من صعدها خيل بني الحزرج، ثم تنام الناس^(٢٢).

وعندما أحس بتغيير المسلمين خط سيرهم رجع إلى مكة، وخرجت قريش للقاء المسلمين، فعسكرت ببلدح^(٢٣)، وسبقوا المسلمين إلى الماء هنا. وعندما اقترب الرسول ﷺ من الحديبية بركت ناقته القصواء، فقال الصحابة (رضي الله عنهم): «خلأت^(٢٤) القصواء»، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها، ثم زجرها فوثبت، ثم عدل عن دخول مكة وسار حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد - بئر - قليل الماء، ما لبثوا أن نزحوه ثم اشتكوا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فجاش لهم بالري فارتووا جميعا^(٢٥)، وفي رواية أنه جلس على شفة البئر فدعا بئاء فمضمض ومج في البئر^(٢٦). ويمكن الجمع بأن يكون الأمران معا وقعا، كما ذكر ابن حجر^(٢٧). ويؤيده ما ذكره الواقدي^(٢٨) وعروة^(٢٩) من أن الرسول ﷺ تمضمض في دلو وصفه في البئر ونزع سهما من كنانته فألقاه فيها ودعا ففارت.

ولخصائص قريش ومكانتها بين العرب، حرص الرسول ﷺ على إسلامهم، وتحسر على عنادهم وخسارة أرواحها في الحروب مع المسلمين، فها هو يعبر عن هذه الحسرة بقوله: «يا ويح قريش، أكلتهم الحرب، ماذا

(٢٢) واد بمكة من جهة المغرب، أعلاه في وادي العشر وأوسطه منطقة الزاهر اليوم، ومصبه في مر الظهران شمالي الحديبية - (البلادي: ص ٤٩، معجم البلدان ١/ ٤٨٠).

(٢٣) دلائل النبوة للبيهقي (١١٢/٤) من مرسل عروة بإسناد ضعيف، الواقدي (٥٨٢/٢) وابن سعد (٥٩/٢) معلقا.

(٢٤) بركت وحزنت من غير علة ظاهرة، فلم ترجع مكانها.

(٢٥) البخاري/ الفتح (١١/ ١٦٢ - ١٦٣ ح/ ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢٦) البخاري/ الفتح (١٤/ ٧٥٠ ح/ ٣٥٧٧).

(٢٧) الفتح (١١/ ١٦٤ ح/ ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢٨) المغازي (٢/ ٥٨٨).

(٢٩) من رواية أبي الأسود عنه كما ذكر ابن حجر في الفتح (١١/ ١٦٤).

عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تنظر قريش، والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (٣٠) ...» (٣١).

بذل الرسول ﷺ ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حربا معهم، وإنما يريد زيارة البيت الحرام وتعظيمه، وهو حق للمسلمين، كما هو حق لغيرهم، وعندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إليه من يفاوضه ويتعرف على قوة المسلمين ومدى عزمهم على القتال إذا أُلجئوا إليه، وطمعا في صد المسلمين عن البيت بالطرق السلمية من جهة ثالثة.

فأتاه بُذَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي رَجَالٍ مِنْ خَزَاعَةَ، وَكَانَتْ خَزَاعَةُ عَيْبَةَ (٣٢) نَصَحَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ، وَبَيَّنُوا أَنَّ قَرِيشًا تَعْتَزِمُ صَدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ، فَأَوْضَحَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ سَبَبَ مَجِيئِهِ وَذَكَرَ لَهُمُ الضَّرَرُ الَّذِي وَقَعَ عَلَى قَرِيشٍ مِنْ اسْتِمْرَارِ الْحَرْبِ، وَاقْتَرَحَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَكُونَ بَيْنَهُمْ هَدَنَةٌ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ حَتَّى يَتَضَحَّ لَهُمُ الْأَمْرُ، وَإِنْ أَبَوْا فَلَا مَنَاصَ مِنَ الْحَرْبِ وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ هَلَاكُهُ، فَنَقَلُوا ذَلِكَ إِلَى قَرِيشٍ (٣٣)، وَقَالُوا لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ، إِنَّكُمْ تَعَجِّلُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ، إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا هَذَا الْبَيْتِ، فَاتِمُوهُمْ وَخَاطِبُوهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَ، وَقَالُوا: وَإِنْ كَانَ إِنَّهَا جَاءَ لَذَلِكَ فَلَا وَاللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عُنُودٌ أَبَدًا وَلَا تَتَحَدَّثُ بِذَلِكَ الْعَرَبُ» (٣٤).

وأراد الرسول ﷺ أن يؤكد هدفه من هذه الزيارة ويشهد على ذلك كل العرب، ولذا أرسل إلى قريش خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخَزَاعِيَّ عَلَى جَمَلِهِ «الشَّعْلَبِ»، وَلَكِنْهُمْ عَقَرُوا بِهِ جَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَمَنْعَتْهُ الْأَحَابِيشُ (٣٥)،

(٣٠) السالفة: صفحة العتق.

(٣١) أحمد: المسند (٣٢٣/٤) بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤٢٨/٣).

(٣٢) أي خاصته وأصحاب سره، كأنه شبه الصدر الذي هو مستودع السر بالعيبة التي هي مستودع الثياب.

(٣٣) البخاري/ الفتح/ ج ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٣٤) مسند أحمد: (٣٢٤/٤) بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤٣٢/٣).

(٣٥) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤٣٥/٣ - ٤٣٦)، وأحمد في المسند (٣٢٤/٤).

والفتح الرباعي (١٠١/٢١ - ١٠٤) بإسناد حسن، وابن سعد (٩٦/٢ - ٩٧) معلقا ومختصرا.

لأنهم من قومه^(٣٦).

ثم دعا الرسول ﷺ عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة، فبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال عمر: «يا رسول الله، إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بني غدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان». فدعا رسول الله ﷺ عثمان فبعته إليهم. فنزل عثمان في حماية وجوار أبان ابن سعيد بن العاص الأموي حتى أدى رسالته، وأذنوا له بالطواف بالبيت، فقال: «ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ». واحتسسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل^(٣٧). ولذلك دعا رسول الله ﷺ أصحابه للبيعة تحت شجر سَمرة، فبايعوه جميعا على الموت^(٣٨)، سوى الجد بن قيس، وذلك لنفاقه^(٣٩). وفي رواية أن البيعة كانت على الصبر^(٤٠)، وفي رواية على عدم الفرار^(٤١)، ولا تعارض في ذلك لأن المبايعة على الموت تعني الصبر عند اللقاء وعدم الفرار^(٤٢).

وكان أول من بايعه على ذلك أبوسنان عبدالله بن وهب الأسدي^(٤٣)، فخرج الناس بعده يبايعون على بيعته، فأثنى عليهم الرسول ﷺ، فقال: «أنتم خير أهل الأرض»^(٤٤)، وقال: «لا يدخل النار إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»^(٤٥).

وأشار رسول الله ﷺ إلى يده اليمنى، وقال: «هذه يد عثمان»، فضرب

(٣٦) ابن سعد (٩٧/٢) معلقا، ولفظه: «فمنعه من هناك من قومه».

(٣٧) ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤٢٦/٣ - ٣٧) وأحمد في المسند (٣٢٤/٤).

(٣٨) البخاري/ الفتح (١٦/٢٤) ح (٤١٦٩).

(٣٩) مسلم (١٤٨٣/٣) ح (١٨٥٦). ونفاق الجد بن قيس فيه نظر كما حقق ذلك عذاب محمود الحميش في كتابه «ثعلبة بن حاطب...» ص ٩٥ - ١٠٢، وهي دراسة قيمة.

(٤٠) البخاري/ الفتح (١٢/٧٩) ح (٤١٦٩).

(٤١) مسلم (١٤٨٣/٣) ح (١٨٥٦).

(٤٢) انظر ابن حجر: الفتح (١٢/٧٩).

(٤٣) رواه ابن حجر في الإصابة (٩٥/٤ - ٩٦) من حديث الشعبي، وقال: «وأخرجه ابن منده من طريق عاصم عن زر بن حبيش». وذكر ابن حجر في الإصابة (٢٦٤/٤) أن طريق زر بن حبيش والشعبي كلاهما صحيح. ورواه ابن هشام بإسناد إلى الشعبي - السيرة (٤٣٨/٣ - ٤٣٩).

(٤٤) البخاري/ الفتح (١٦/١٧) ح (٤١٥٤).

(٤٥) مسلم (١٩٤٢/٤) ح (٢٤٩٦).

بها على يده اليسرى، وقال: «هذه لعثمان»^(٤٦). فقال عثمان بذلك فضل البيعة. وقبل أن تتطور الأمور عاد عثمان (رضي الله عنه) بعد البيعة مباشرة. وعرفت هذه البيعة بـ«بيعة الرضوان»، لأن الله تعالى أخبر بأنه رضي عن أصحابها، في قوله: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾^{(٤٧)(٤٨)}.

أرسلت قريش عدداً من السفراء للتفاوض مع المسلمين، بعد سفارة بُذِلَ ابن وُرْقَاء. فقد أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي، وقبل أن يتحرك خشي أن يناله من التعنيف وسوء المقالة ما نال من سبقه، فبين لهم موقفه منهم، وأقروا له بأنه غير متهم عندهم، وذكر لهم أن الذي عرضه عليهم محمد هو خطة رشد. ودعاهم إلى قبولها، فوافقوا على رأيه.

وعندما جاء إلى الرسول ﷺ قال له ما قال لبديل، فقال عروة عند ذلك: «أي محمد، أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لا أرى وجوها وإني لأرى أشواها من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك». فقال له أبوبكر: «امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟...» وكان كلما تكلم كلمة أخذ بلحية الرسول ﷺ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف، فيضربه بنعل السيف ويقول: «آخر عن حية رسول الله ﷺ...» ولحظ عروة تعظيم الصحابة للرسول ﷺ وحبهم له وتفانيهم في طاعته، فلما رجع إلى قريش، قال لهم: «أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد ومحمد»^(٤٩).

(٤٦) البخاري/ الفتح (١٤/٢٠٢ ح ٣٦٩٩).

(٤٧) الفتح: ١٨.

(٤٨) من رواية الطبري في تفسيره (٨٦/٢٦) بإسناد ضعيف لضعف موسى بن عبيدة، ولكن يشهد له حديث جابر عند الترمذي: السنن الكبرى/ ك. السير/ ح (١٥٩١) وفيه الآية، ولا يضر تدليس يحيى بن أبي كثير لأن الحديث أصله عند مسلم عن جابر وغيره (٣/١٤٨٣ ح ١٨٥٦).

(٤٩) البخاري/ الفتح (١١/١٦٧ - ١٧١ ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢)، ومسنند أحمد (٤/٣٢٤) بإسناد حسن من رواية ابن إسحاق.

ثم بعثوا الخَلِيسَ بنَ عَلْقَمَةَ الكِنَانِي سِيدَ الأحَابِيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتأهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه»، فلما رأى الخليس الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، رجع إلى قريش قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ، وذلك إعظاماً لما رأى، وقال لقريش: «رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت»^(٥٠)، فقالوا: «اجلس، إنما أنت أعرابي لا علم لك». فغضب وقال: «يامعشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، أیصد عن بيت الله من جاءه معظماً له!! والذي نفس الخليس بيده لَتُخَلَّنَ بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد»، قالوا: «مه، كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به».

ثم بعثوا إليه مَكْرَزَ بنَ حفص، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هذا مكرز وهو رجل فاجر... فجعل يكلم الرسول ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سُهَيْلُ بن عمرو رسولاً من قبل قريش، فقال النبي ﷺ متفانلاً: «لقد سهل لكم أمركم»^(٥١). وقال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»^(٥٢)، وكانت قريش قد قالت لسهيل بن عمرو: «أئت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عتوة أبداً». فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح»^(٥٣).

وعندما بدأ الرسول ﷺ في إملاء شروط الصلح على علي بن أبي طالب، كاتب الصحيفة^(٥٤)، اعترض سهيل على كتابة كلمة «الرحمن» في البسملة، وأراد بدلا عنها أن يكتب «باسمك اللهم»، لأنها عبارة الجاهليين، ورفض

(٥٠) البخاري/ الفتح (١١/١٧١) ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٥١) مسند أحمد (٣٢٤/٤) بإسناد حسن.

(٥٢) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن - بان هشام (٤٣٩/٣).

(٥٣) المصدر نفسه.

(٥٤) جاء اسم كاتب الصحيفة مصرحاً به في رواية عند البخاري: الفتح (١١/١٢٩) ح ٢٦٩٨، ٢٦٩٩.

ومسلم (٣/١٤١٠) ح ١٧٨٣ (عبد الرزاق في المصنف (٣٤٣/٥) بإسناد صحيح من حديث ابن عباس، وآخر من مرسل الزهري، وفي رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤٤٠/٣).

المسلمون ذلك، ولكن الرسول ﷺ وافق على اعتراض سهيل. ثم أعترض سهيل على عبارة «محمد رسول الله»، وأراد بدلا عنها عبارة: «محمد بن عبد الله»، فوافقه أيضا على هذا الاعتراض.

وعندما قال الرسول ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به» أعترض سهيل قائلا: «لا نتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة - قهرا - ولكن ذلك في العام المقبل، فنخرج عنك فتدخلها بأصحابك فأقمت فيها ثلاثا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب»^(٥٥)، فوافق الرسول ﷺ على هذا الشرط. ثم قال سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا. «قال المسلمون»: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟! فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين أظهر المسلمين. فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، فقال سهيل: «والله إذا لم أصالحك على شيء أبدا».

وألح الرسول ﷺ على سهيل أن يستني أبا جندل، فرفض على الرغم من موافقة مكرز على طلب الرسول ﷺ، ولم يجد الرسول ﷺ بدا من إمضاء ذلك لسهيل^(٥٦).

ثم بعد هذا تم الاتفاق على بقية الشروط وهي:

«على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وأن بينهم عيئة»^(٥٧)، مكشوفة، فلا إسلال - سرقة - ولا إغلال - خيانة - وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه. فتوالت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده. وتوالت

(٥٥) العبارة من: «فتخرج... إلى القرب» من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤٤١/٣). وفي رواية أخرى عند البخاري/ الفتح (١١/١٣٠ ح/ ٢٦٩٩) مختصرة: «لا يدخل مكة سلاح إلا في القرب».

(٥٦) البخاري/ الفتح (١١/١٧٣ - ١٧٦ ح/ ٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

(٥٧) أي صدر صاف خال من الغل والخذاع، مطوي على نية الوفاء بالصلح - ابن الأثير: النهاية (٣/٣٢٧).

بنوبكر فقالوا: نحن في عقد قریش وعهدهم^(٥٨).

لقد تبرم كثير من الصحابة من معظم هذه الشروط. ومن الأدلة على ذلك أن عليا اعتذر عن محو كلمة «رسول الله» التي اعترض عليها سهيل ابن عمرو، فقال له رسول الله ﷺ: «أرني مكانها»، فأراه مكانها فمحاها رسول الله ﷺ. وكتب (على مكانها) «ابن عبدالله»^(٥٩). وغضبوا لشرط رد المسلمين الفارين من قریش إلى المسلمين، فقالوا: «يا رسول الله، نكتب هذا؟» قال: «نعم» إنه من ذهب إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا^(٦٠).

ويحكي عمر بن الخطاب مجيئه إلى رسول الله ﷺ غاضبا عند كتابة ذلك الصلح، قال: «فأتيت نبي الله، فقلت: أأست نبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: أألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أأليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. فأخبرت أنك تأتيه العام؟ قال: قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به». وأتى عمر أبابكر وقال له مثل ما قال للرسول ﷺ، فقال له أبوبكر: «إنه لرسول الله ﷺ»

(٥٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٤٠ - ٤٤١)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٢٥) من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن.

(٥٩) مسلم (٣/ ١٤١١ - ١٤١١/٣ ح/ ١٧٨٣)، في رواية عند البخاري/ الفتح (١١/ ١٣٠/ ح/ ٢٦٩٩): «... فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبدالله: لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب...» وفي رواية ثانية له (١١/ ١٢٩/ ح/ ٢٦٩٨): «... فمحا رسول الله ﷺ وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام...» وفي رواية ثالثة (١٦/ ٨٨/ ح/ ٤٢٥١): «فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبدالله. لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب...». هذه الروايات التي عند البخاري ومسلم أدت إلى ليس عند أحد العلماء، وهو أبو الوليد الباجي، إذ ادعى أن النبي ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن يكتب، فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه. ومن سياق النصوص التي ذكرتها تدل على أن الجملة التي فيها «فكتب» فيها حذف تقديره «فمحاها فأعادها لعل يكتب» وبهذا جزم ابن التين، واطلق كلمة «كتب» على معنى أمر بالكتابة، وهو كثير، كقوله: كتب إلى قيصر وكتب إلى كسرى... وخلاصة رأي ابن حجر في الفتح (١٦/ ٨٩/ ح/ ٤٢٥١) أن معنى قوله فكتب، أي أمر عليا أن يكتب...
(٦٠) مسلم (٣/ ١٤١١/ ح/ ١٧٨٤).

وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بفرزه، فوالله إنه على الحق^(٦١)». وقال عمر: «مازلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا^(٦٢)». ولم تطب نفس عمر إلا عندما نزل القرآن مبشرا بالفتح^(٦٣).

وعندما كان أبو جندل يستنجد بالمسلمين قائلا: «يامعشر المسلمين، أتردوني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني؟» والرسول ﷺ يقول: «يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله عز وجل جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا^(٦٤)» كان عمر يمشي بجانب أبي جندل يغريه بأبيه ويقرب إليه سيفه، لكن أبا جندل لم يفعل، فأعيد إلى المشركين^(٦٥). وذلك لحكمة تجلت للناس فيما بعد، يوم كان أبو جندل وأصحابه سبيا في إلغاء شرط رد المسلمين إلى الكفار، وفي إسلام سهيل وموقفه يوم كاد أهل مكة أن يرتدوا عندما مات الرسول ﷺ فثبتهم على الإسلام بكلام بليغ^(٦٦).

وقال سهيل بن حنيف يوم صفين: «اتهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته^(٦٧)».

وعندما أمرهم الرسول ﷺ بأن ينحروا الهدى ويحلّقوا رؤوسهم، لم يقم منهم أحد إلى ذلك، فكرر الأمر ثلاث مرات، فدخل على أم سلمة (رضي الله عنها) وحكى لها ما حدث من المسلمين، فأشارت إليه بأن يبدأ هو بما يريد، ففعل، فقاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما^(٦٨).

(٦١) البخاري/ الفتح (١١/ ١٧٦ - ١٧٨ ح/ ٢٧٣١، ٢٧٣٢) و(١٢/ ٢٧١ ح/ ٣١٨٢)، وعند مسلم (٣/ ١٤١٢ ح/ ١٧٨٥) وأحمد (٤/ ٣٢٥) بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠) وبقریب من رواية البخاري.

(٦٢) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٤٠).

(٦٣) مسلم (٣/ ١٤١٢ ح/ ١٧٨٥).

(٦٤) مسند أحمد (٤/ ٣٢٥) بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٤٢).

(٦٥) المصدران والمكانان نفسهما.

(٦٦) انظر ذلك في ترجمته في الإصابة وغيرها، وبحشنا عن: «الثابتون على الإسلام في فنة الردة...».

(٦٧) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٧١ ح/ ٣١٨١) و(١٦/ ٣٣ ح/ ٤١٨٩).

(٦٨) البخاري/ الفتح (١١/ ١٧٨ - ١٨٠ ح/ ٢٧٣٢، ٢٧٣١).

فدعا الرسول ﷺ لمن خلق منهم ثلاثا ولن قصر مرة واحدة^(٧١). وكان عدد ما نحروه سبعين بدنة^(٧٢)، كل بدنة عن سبعة أشخاص^(٧٣). وكان هدي رسول الله ﷺ يومئذ جملا لأبي جهل من غنائم بدر، نحره ليغيظ بذلك المشركين^(٧٤). ونحروا بعض الهدي في الحديبية في الحل^(٧٥)، والبعض الآخر نحروه نأجية بن جندب داخل منطقة الحرم^(٧٦). ولا شك أن هذا التصرف من عمر وغيره من المسلمين ما هو إلا اجتهاد منهم ورغبة في إذلال المشركين^(٧٧).

ولم تتوقف قريش عن التحرش بالمسلمين واستفزازهم خلال مفاوضات كتابة الصلح وبعد كتابته، وقد تصرف الرسول ﷺ والصحابه بانضباط شديد إزاء هذه الأفعال. فعندما حاول ثمانون من رجال مكة مهاجمة معسكر المسلمين على غرة، أسرهم المسلمون وعفا عنهم الرسول ﷺ^(٧٨) وكرر المحاولة ثلاثون آخرون من قريش أثناء إبرام الصلح، فأسروا، وأطلق الرسول ﷺ أيضا سراحهم^(٧٩).

وبعد إبرام الصلح حاول سبعون من المشركين استفزاز المسلمين، فأسروهم وقبض سلمة بن الأكوع على أربعة من المشركين أساءوا إلى الرسول ﷺ، بعد إبرام الصلح، فعفا عنهم الرسول ﷺ. وقد نزلت في ذلك الآية ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾^(٨٠).

-
- (٦٩) مسند أحمد (٣٤/٢)، ١٥١. بإسناد حسن.
 (٧٠) مسند أحمد (٣٢٤/٤) بإسناد حسن.
 (٧١) مسلم (٩٥٥/٢) ح/١٣١٨.
 (٧٢) سنن أبي داود مع معالم السنن/ك. التاسك، ص ١٧٤٩، وصحيح ابن خزيمة (٢٨٦/٤) - ٢٨٧، والمستدرک (٤٦٧/١) وصححه الحاكم، وأحمد (٢٣٤/١) بإسناد حسن.
 (٧٣) البخاري/الفتح (١٣١/١) ح/٢٧٠١.
 (٧٤) الطحاوي: شرح معاني الآثار (٢٤٢/٢) بإسناد صحيح.
 (٧٥) مسند أحمد (٣٢٥/٤) بإسناد حسن.
 (٧٦) مسلم (١٤٤٢/٣) ح/١٨٠٨، وأحمد في المسند (١٢٢/٣)، ١٢٤، ١٢٥. ٢٩٠.
 (٧٧) مسند أحمد (٨٦/٤) بإسناد رجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي في المجمع (١٤٥/٦) وقال الحاكم (٤٦٠/٢): «صحيح على شرط الشيخين».
 (٧٨) الفتح: الآية ٢٤.
 (٧٩) مسلم (١٤٣٤/٣) ح/١٨٠٧.

ثم رجع المسلمون إلى المدينة بعد أن غابوا عنها شهرا ونصف الشهر^(٨٠)، منها بضعة عشر يوما، ويقال عشرين يوما، مكثوها بالحديبية^(٨١).

وفي طريق العودة تكررت معجزة النبي ﷺ في تكثير الطعام والماء، مثلما حدث في طعام جابر يوم الخندق، وتكثير ماء بئر الحديبية، فقد ذكر سلمة ابن الأكوع أنهم عندما أصابهم الجوع وكادوا أن يذبحوا رواحلهم دعا الرسول ﷺ بأزواد الجيش، فلم يتجاوز ربضة العنز، وهم أربع عشرة مائة، فأكلوا حتى شبعوا جميعا وحشوا جربهم، ثم جيء له بأداة وضوء فيها نطفة ماء فأفرغها في قدح، فتوضأ منها كل الجيش^(٨٢).

ونزلت سورة الفتح، وهم في طريق العودة: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾^(٨٣) وقال عنها الرسول ﷺ: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»^(٨٤). وقال عمر متعجبا: «أو فتح هو؟» فقال له الرسول ﷺ: «نعم»، فطابت نفسه ورجع^(٨٥)، وفي رواية: «نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح»^(٨٦). وفرح المسلمون بذلك فرحا غامرا، وانجلت تلك السحابة من الغم، وأدركوا قصورهم عن إدراك كل الأسباب والنتائج، وأن الخير في التسليم لأمر الله ورسوله.

وعندما جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة لم يردها إلى أهلها عندما طلبوها لما أنزل الله في النساء ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحوهن، الله أعلم بإيمنهن... ولا هم يحلون لهن﴾^{(٨٧)(٨٨)}. فكان

(٨٠) ابن سيد الناس: عيون الأثر (١٢٣/٢) من رواية ابن عائذ.

(٨١) الواقدي (٦١٦/٢) وابن سعد (٩٨/٢) معلقا.

(٨٢) مسلم (١٣٥٤/٣) ح/١٧٢٩، والبخاري/ الفتح (١٦/١٦) ح/٤١٥٢.

(٨٣) الفتح: ١.

(٨٤) البخاري/ الفتح (٢٨/١٦) ح/٤١٧٧ والآية ضمن الحديث.

(٨٥) مسلم (٤١٢/٣) ح/١٧٨٥.

(٨٦) الحاكم في المستدرک (٤٥٩/٢) وقال: حديث كبير صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي،

وسنن أبي داود مع معالم السنن (١٧٤/٣ - ١٧٥/٣) ك. الجهاد/ ب. فيمن أسهم له سهبا/ ح

(٢٧٣٦) ومسنند أحمد (٤٢٠/٣) وفسر أنس الفتح بالحديبية. انظر: البخاري/ الفتح (٢٦/١٦) ح/٤١٧٢

و (٢١١/١٨) ح/٤٨٣٤.

(٨٧) المتحنة: ١٠.

(٨٨) البخاري/ الفتح (١٤٠/١١) ح/٢٧١١، ٢٧١٢.

الرسول ﷺ لهذا يختبرهن، فإن كن خرجن بسبب الإسلام استبقاهن مع دفع مهرهن لأزواجهن، وكان قبل الصلح لا يعيد إليهم مهر الزوجات^(٨٩). وهذه الآية الواردة في عدم رد المهاجرات المسلمات إلى الكفار هي التي استنتجت من شرط الرد وحرمت المسلمات على المشركين ﴿ولا تسكوا بعضكم﴾ الكوافر^{(٩٠)(٩١)}.

المبحث الثاني: فقه وحكم ودروس في صلح الحديبية:

- ١ - عندما وجد سبب مانع من أداء المسلمين لعمرتهم التي أحرموا لها تحللوا، وبذلك شرع التحلل للمعتمر وأنه لا يلزمه القضاء^(٩٢).
- ٢ - أذن الرسول ﷺ لكعب بن عُجْرَةَ أن يخلق رأسه وهو محرم، لأذى أصابه، على أن يذبح شاة فدية أو يصوم ثلاثة أيام أو يطعم ستة مساكين. ونزلت الآية ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾^{(٩٣)(٩٤)}.
- ٣ - أذن النبي ﷺ للصحابة بالصلاة في منازلهم عندما نزل المطر^(٩٥).
- ٤ - وقعت تطبيقات عملية لمبدأ الشورى في الإسلام، حيث استشارهم في الإغارة على ذراري المشركين الذين يساندون قريشا، كما ذكرنا. واستشار أم سلمة في أمر الناس عندما أبطؤوا في التحلل، وأخذ برأيها، كما ذكرنا.
- ٥ - ويستنتج من مدة الصلح أن الحد الأعلى لمهادنة الكفار عشر سنين،

(٨٩) السنن الكبرى للبيهقي (٢٢٩/٩) من مرسل الزهري وعبدالله بن أبي بكر وابن إسحاق من مرسل عروة - ابن هشام (٤٥٣/٣). وفي إسناد ابن إسحاق والواقدي مسلم بن عبدالله وهو مجهول، ولم يصرح ابن إسحاق بالسماع، والواقدي متروك كما تعلم، وبذلك يكون الإسناد ضعيفاً لا ينجح به، حيث لم تتحقق فيه شروط المرسل المقبول، وهي:

١ - أن يكون كلا المرسلين من كبار التابعين.

٢ - أن يكون كل منهما أخذ عن غير شيوخ الآخر.

٣ - أن يصح سند كل من الحديتين إلى من أرسله.

(٩٠) المتنحة: ١٠.

(٩١) البخاري/ الفتح (١١/١٤٠ ح/ ٢٧١١، ٢٧١٢) والسنن الكبرى (٢٢٨/٩) وتفسير ابن كثير (٣٥١/٤).

(٩٢) انظر مباحث الإحصار في كتب فقه الحج.

(٩٣) البقرة: ١٩٦.

(٩٤) البخاري/ الفتح (٨/١٣٢ ح/ ١٨١٦ - ١٨١٨)، مسلم ٨٥٩/٢ - ٨٦٢ ح/ ١٢٠١.

(٩٥) ابن ماجه: السنن/ك. إقامة الصلاة/ ص ٩٣٦ بإسناد صحيح.

- لأن أصل العلاقة معهم الحرب وليس الهدنة.
- ٦ - جواز مصالحة الكفار على رد من جاء من قبلهم مسلماً.
- ٧ - إستحباب التفاوض لقوله ﷺ: «سهل أمركم» وذلك عندما قدم عليهم سهيل بن عمرو مفاوضاً.
- ٨ - كفر من يقول: «مطرنا بنوء»^(٩٦) كذا وكذا» والصواب أن يقول: «مطرنا بفضل الله ورحمته». قال ذلك الرسول ﷺ للصحابه عندما صلى بهم الصبح إثر مطر هطل ليلاً^(٩٧).
- ٩ - جواز التبرك بآثار النبي ﷺ مثل التوضؤ بباء وضوئه ﷺ^(٩٨)، وهو خاص به خلافاً لآثار الصالحين من أمته^(٩٩).
- ١٠ - السنة لمن نام عن صلاته أو نسيها أن يصلّيها وإن خرج وقتها، وذلك لأن المسلمين ناموا عن صلاة الصبح وهم في طريق عودتهم من الحديبية ولم يوقظهم إلا حر الشمس، ونام حارسهم بلال، فصلوها حين استيقظوا^(١٠٠).
- ١١ - في الصلح اعتراف من قريش بكيان المسلمين لأول مرة، فعاملتهم معاملة الند للند.
- ١٢ - ذهب هبة قريش، بدليل مبادرة خزاعة الانضمام إلى حلف المسلمين دون خشية من قريش كما كان في السابق.
- ١٣ - أتاح الصلح للمسلمين التفرغ ليهود خيبر خاصة ويهود تيماء وفدك بصفة عامة.
- ١٤ - أتيح للمسلمين مضاعفة جهودهم لنشر الإسلام، وفي ذلك قال الزهري: «فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان
-
- (٩٦) الأنواء: هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، وإنما سميت نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالشرق - النهاية (١٢٢/٥).
- (٩٧) البخاري/ الفتح (٤/٢٦٣ ح ٨٤٦).
- (٩٨) البخاري/ الفتح (١١/١٧٠)، ٢٧٣١، ٢٧٣٢.
- (٩٩) الشاطبي: الاعتصام (٢/٨).
- (١٠٠) سنن أبي داود مع معالم السنن (١/٣٠٩ - ٣١٠/ كتاب الصلاة). في من نام عن الصلاة أو نسيها/ ح (٤٤٧). والنسائي: السنن الكبرى/ ١١٩، وصححه الهيثمي كما في المجمع (٣١٩/١).

القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك الستين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك»^(١٠١). وعلق ابن هشام على هذا قائلاً: «والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف واربعمائة في قول جابر، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بستين في عشرة آلاف»^(١٠٢).

١٥ - جاءت نتائج بعض الشروط في صالح المسلمين من ذلك أن أبا بصير عندما فر من المشركين ولجأ إلى المسلمين رده الرسول ﷺ إليهم عندما طلبوه، فعدا على حَارِسِيهِ فقتل أحدهما، وفر الآخر، وعاد أبو بصير إلى المدينة، وقال للرسول ﷺ: «قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم» فقال النبي ﷺ: «وَلِأَمَّةٍ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ»، ففهم أبو بصير نية الرسول ﷺ في رده إلى المشركين، فلجأ إلى سيف البحر...^(١٠٣) وفهم المستضعفون المسلمون في مكة إشارة الرسول ﷺ: مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ، ففروا من مكة ولحقوا بأبي بصير، وعلى رأسهم أبو جندل. وتكونت منهم عصابة، أخذت تتعرض لقوافل قريش، فأرسلت قريش إلى الرسول ﷺ تناشده أن يعطيهم الأمان بالمدينة، فأرسل إليهم^(١٠٤)، وهم بناحية العيص، فجأؤوا، وكانوا قريباً من الستين أو السبعين رجلاً^(١٠٥).

١٦ - في قصة أبي بصير وأبي جندل ورفقائهم في العيص، نموذج يقتبدي به في الثبات على العقيدة وبذل الجهد في نصرتها وعدم الاستكانة للطغاة.

(١٠١) ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤٤٧/٣).

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٨.

(١٠٣) البخاري/ الفتح (١٨٠/١١ - ١٨٣ ح/ ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(١٠٤) المصدر والأماكن نفسها.

(١٠٥) ابن إسحاق، بإسناد حسن - إذا اعتبرناه جزءاً من حديثه في أمر الحديبية... - ابن هشام (٤٤٩/٣) وعنده أنهم قريب من سبعين، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٢٧/٩) بإسناد فيه ابن بكير، وهو صدوق يخطئ، والحديث حسن لمتابعاته الكثيرة. وهو من طريق ابن إسحاق كما ذكرنا، وساقه البيهقي في الدلائل (١٧٢/٤ - ١٧٥) من رواية الزهري مرسلًا، وعنده أنهم صاروا بالعيص ثلاثاً، وأن كتاب الرسول ﷺ قد جاء إلى أبي بصير وهو محتضر، فأتى والكتاب في يده فدثنه أبو جندل وعاد ببقية الرجال، وروى نحوه من مرسل عروة (١٧٥/٤ - ١٧٦).

الفصل الرابع عشر

غزوة وسرية بين الحديبية وخيبر

المبحث الأول: غزوة ذي قرد: (١)

أغار عبدالرحمن بن عينة بن حصن الفزاري في جماعة من قومه غطفان على لقاح^(٢) النبي ﷺ التي كانت ترعى بذى قرد. وعندما سمع سلمة بن الأكوع ماحدث، صاح منذرا الناس، ثم لحق بهم، وأخذ يرميهم بنبله، وعندما لحق به الرسول ﷺ والمسلمون وجدوه قد استنقذ اللقاح من أيديهم، فرجعوا. وقد أردف الرسول ﷺ سلمة على راحلته حتى دخلوا المدينة^(٣). وكانت هذه الغزوة قبل غزوة خيبر بثلاث ليال^(٤).

المبحث الثاني: سرية أبان بن سعيد بن العاص:

بعثه الرسول ﷺ في سرية قبل نجد، فقدم هو وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحها^(٥). ولم تحدد المصادر الجهة التي سار إليها في نجد، ولا نتائج هذه البعثة أو عدد الرجال الذين كانوا فيها مع أبان بن سعيد (رضي الله عنه).

(١) هو ماء على نحو يومين من المدينة عما يلي بلاد غطفان. انظر: ابن سعد: الطبقات (٨٣/٢ - ٨٤).

(٢) جمع لقحة، وهي الإبل ذوات اللبن.

(٣) البخاري/ الفتح (٣٦/١٦ - ٤٠/٤١) ح/٤١٩٤ ومسلم (١٤٣٢/٣ - ١٤٤١/٤١) ح/١٨٠٦.

(٤) هذا ما جزم به البخاري في ترجمته لباب غزوة ذي قرد كما في الفتح وذلك لما ثبت عنده من أحاديث صحيحة، وقد رجح ابن كثير في البداية (١٧٣/٤) وابن حجر في الفتح (٣٧/١٦) ما ذهب إليه البخاري، ولها مناقشة للروايات المختلفة المتعلقة بهذه الغزوة وتاريخها.

(٥) البخاري/ الفتح (١٦/٧٤ - ٧٥/٧٥ ح/٤٢٣٨).

الفصل الخامس عشر

غزوة خيبر

لم يبد يهود خيبر عداء سافرا للمسلمين حتى لحق بهم زعماء بني النضير عندما أجّلوا عن المدينة. وكما سبق وأن ذكرنا فقد كان أبرز زعماء بني النضير الذين غادروا المدينة ونزلوا خيبر: سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحبي بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها^(١).

لقد نزلوها بأحقادهم ضد المسلمين، ولذا كانوا كلما وجدوا فرصة للانتقام من المسلمين انتهزوها، ووجدوا في قريش وبعض قبائل العرب حصان طروادة الذي سيدخلون به المدينة مرة أخرى، فألبوهم ضد المسلمين، ثم جروهم إلى غزوة الخندق^(٢)، وسعوا في إقناع بني قريظة للانضمام إليهم والغدر بالمسلمين^(٣). ولذا كانت تلك العقوبة الرادعة التي أنزلها المسلمون بهم عندما صرف الله الأحزاب، وأرسل الرسول ﷺ سرية عبدالله بن عتيك للقضاء على رأس من رؤوسهم أفلت من العقاب يوم قريظة، وهو سلام ابن أبي الحقيق، فقتلوه.

وكانت هدنة الحديبية فرصة أمام المسلمين لتصفية هذا الجيب الذي يشكل خطورة على أمن المسلمين، وقد وعد الله المسلمين بمغانم كثيرة يأخذونها إذا هزموا يهود خيبر، وإلى ذلك أشارت سورة الفتح التي نزلت في طريق العودة من الحديبية ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم، فأنزل الله السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا، ومغانم كثيرة يأخذونها، وكان الله عزيزاً حكيماً، وعدكم الله مغانم كثيرة

(١) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٢٦٩/٣).

(٢) ابن إسحاق، بإسناد مرسل - ابن هشام (٢٩٨/٣) - ٢٩٩.

(٣) ابن إسحاق، معلقاً - ابن هشام (٣٠٧/٣) - ٣٠٩.

تأخذونها فجعل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين
وهديكم صراطا مستقيما، وأخرى لم تقدروا عليها، قد أحاط الله بها، وكان
الله على كل شيء قديرا^(٤) (٥).

تاريخ الغزوة:

ذكر ابن إسحاق^(٦) أنها كانت في المحرم من السنة السابعة الهجرية، وذكر
الواقدي^(٧) أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة بعد العودة
من غزوة الخديبية، وذهب ابن سعد^(٨) إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع،
وقال الإمامان الزهري ومالك إنها في المحرم من السنة السادسة^(٩). وظاهر
أن الخلاف بين ابن إسحاق والواقدي يسير، وهو نحو الشهرين، وكذلك
فإن الخلاف بينهما وبين الإمامين الزهري ومالك مرجعه إلى الاختلاف في
ابتداء السنة الهجرية الأولى كما سبق الإشارة إلى ذلك. وقد رجح ابن
حجر^(١٠) قول ابن إسحاق على قول الواقدي.

سار الجيش إلى خيبر بروح إيمانية عالية على الرغم من علمهم بمنعة
حصون خيبر وشدة بأس رجالها وعتادهم الحربي. وكانوا يكبرون ويهللون
بأصوات مرتفعة، فطلب منهم النبي ﷺ أن يرفقوا بأنفسهم قائلا: «إنكم
تدعون سميعا قريبا وهو معكم»^(١١). وسلكوا طريقا بين خيبر وغطفان
ليحولوا بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر لأنهم كانوا أعداء للمسلمين^(١٢).

(٤) الفتح: ١٨ - ٢١.

(٥) قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: «وجعل لكم هذه» يعني فتح خيبر - انظر تفسير ابن كثير
(٣٢٢/٧). قال ابن حجر في الفتح (٤٠/١٦ - ٤١): وروى يونس بن بكير في المغازي عن
ابن إسحاق في حديث المسور ومروان قالاً: «انصرف رسول الله ﷺ من الخديبية فنزلت عليه سورة
الفتح فيها بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: «وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فجعل
لكم هذه» يعني خيبر. وقد اختلف المفسرون في تفسير المعنى بهذه الغنيمة، فقال العوفي عن
ابن عباس إنها خيبر، وقاله غيره.

(٦) ابن هشام (٤٥٥/٣) - معلقا.

(٧) المغازي (٦٣٤/٢).

(٨) الطبقات (١٠٦/٢).

(٩) ابن عساکر: تاريخ دمشق (٣٣/١).

(١٠) الفتح (٤١/١٦).

(١١) البخاري/الفتح (١٦/٥٠) ح (٤٢٠٥).

(١٢) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤٥٨/٢).

ونزل المسلمون بساحة اليهود قبل بزوغ الفجر، وقد صلى المسلمون الفجر قرب خيبر، ثم هجموا عليها بعد بزوغ الشمس، وفوجيء أهلها بهم وهم في طريقهم إلى أعمالهم، فقالوا: «محمد والخميس!!» فقال الرسول ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»^(١٣). وهرب اليهود إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون. وقد حاولت غطفان نجدة حلفائهم يهود خيبر، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أمواهم وأهليهم حسا فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم فرجعوا، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر^(١٤)، فأخذ المسلمون في افتتاح حصونهم واحدا تلو الآخر. وكان أول ما سقط من حصونهم ناعم والصعب بمنطقة النظاة وأبي النزار بمنطقة الشق، وكانت هاتان المنطقتان في الشمال الشرقي من خيبر، ثم حصن القموص المنيع في منطقة الكتيبة، وهو حصن ابن أبي الحقيق، ثم اسقطوا حصني منطقة الوطيح والسلام^(١٥).

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون، منها حصن ناعم الذي استشهد تحته محمود بن مسلمة الأنصاري، حيث ألقى عليه مرحب رحي من أعلى الحصن^(١٦)، والذي استغرق فتحه عشرة أيام^(١٧)؛ فقد حمل راية المسلمين عند حصاره أبو بكر الصديق، ولم يفتح الله عليه، وعندما جهد الناس، قال رسول الله إنه سيدفع اللواء غدا إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له، فطابت نفوس المسلمين، فلما صلى الفجر في اليوم التالي دفع اللواء إلى

(١٣) البخاري/ الفتح (٢٨٨/٣) ح ٦١٠.

مسلم (١٤٢٦/٣ - ١٤٢٧/٣) ح ١٣٦٥.

(١٤) ابن إسحاق - بلاغا - ابن هشام (٤٥٨/٣)، والواقدي (٦٥٠/٢).

(١٥) الواقدي (٦٣٩/٢) وابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٤٦١/٣ - ٦٢)، مع الاختلاف بينها في تقديم وتأخير فتح حصن ما على الآخر.

(١٦) ابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (٤٦٤/٣) وفيه استشهاد دون ذكر الكيفية، وابن إسحاق بإسناد معلق - ابن هشام (٤٥٩/٣) وفيه قتله بالرحى، ولم يذكر من ألقاهما عليه، والواقدي (٦٤٥/٢) وفيه أن الذي ألقى الرحي عليه هو مرحب اليهودي.

(١٧) الواقدي (٦٥٧/٢).

علي، ففتح الله على يديه^(١٨).

وكان علي يشنكي من رمد في عينيه عندما دعاه الرسول ﷺ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرئ^(١٩).

ولقد أوصى الرسول ﷺ علياً بأن يدعو اليهود إلى الإسلام قبل أن يداهمهم، وقال له: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(٢٠). وعندما سأله علي: «يارسول الله على ماذا أقاتل الناس؟» قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»^(٢١).

وعند حصار المسلمين لهذا الحصن برز لهم سيده وبطلهم مرحب، وكان سبياً في استشهاد عامر بن الأكوع، ثم بارزه علي فقتله^(٢٢)، مما أثر سلباً في معنويات اليهود ومن ثم هزيمتهم.

وقد أبلى عليّ بلاءً حسناً في هذه الحرب. ومن دلائل ذلك: روى ابن اسحاق^(٢٣) من حديث أبي رافع - مولى رسول الله ﷺ - أن علياً عندما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن^(٢٤) فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ.

(١٨) مسند أحمد (٣٥٣/٥)، ومستدرک الحاكم (٣٧/٣). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وجمع الزوائد (١٥٠/٦) وصححه الهيتمي، وأصل الرواية عند مسلم (١٨٧٢/٤) ح ٢٤٠٥ - ٢٤٠٧ وليس فيها خبر حمل أبي بكر الراية. ووردت روايتان ضعيفتان تشير إحداهما إلى أن حامل الراية قبل علي هو عمر وليس أبي بكر، وتشير الأخرى إلى أن أبي بكر وعمر تعاقبا في البوئين الأولين على حمل الراية. والرواية في مسند أحمد (٣٥٨/٥) وكشف الاستار (٣٣٨/٢) ومدارها على ميمون البصري وهو ضعيف، والثانية عند ابن إسحاق ابن هشام (٤٦٥/٣ - ٦٦) وفي إسنادهما بريئة ابن سفيان، وهو ضعيف والروايتان تعضدان فتقويان بعضها البعض.

(١٩) مسلم (١٨٧٢/٤) ح ٢٤٠٦. ورواه ابن إسحاق بإسناد ضعيف ولكنه يتقوى بالشواهد والمتابعات - ابن هشام (٤٦٦/٣) - انظر: كشف الاستار (٣٣٨/٢ - ٣٩) والحاكم (٣٨/٣ - ٣٩).

(٢٠) مسلم (١٨٧١/٤) ح ٢٤٠٤ - ٢٤٠٥.

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٨٧٢ ح ١٤٠٥.

(٢٢) المصدر نفسه (١٨٠٧/٣) ح ١٤٤٠.

(٢٣) ابن هشام (٤٦٧/٣) بإسناد ضعيف لأن فيه راو لم يسمه ابن إسحاق.

(٢٤) نقل البيهقي في الدلائل (٢١٢/٤) رواية ابن إسحاق هذه. ويبدو بعض التحريف في نقله، إذ ذكر أن علياً تناول باب الحصن فترس به عن نفسه.

قال الراوي - أبورافع: فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه.

وروى البيهقي^(٢٥) من طريقين مرفوعين إلى جابر (رضي الله عنه) قصة علي والباب ويوم خيبر. ففي الطريق الأولى أن عليا (رضي الله عنه) حمل الباب حتى صعد عليه المسلمون فافتتحوها، ولم يستطع أربعون رجلا أن يحملوا هذا الباب^(٢٦). وفي الطريق الثانية أنه اجتمع عليه سبعون رجلا، فأعادوه إلى مكانه بعد أن أجهدهم^(٢٧).

توجه المسلمون إلى حصن الصَّعْب بن مُعَاذ بعد فتح حصن ناعم، وأبلى حامل رايتهم الحباب بن المنذر بلاءً حسنا حتى افتتحوه بعد ثلاثة أيام، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والمتاع، يوم كانوا في ضائقة من قلة الطعام، ثم توجهوا بعده إلى حصن قلعة الزبير الذي اجتمع فيه الفارون من حصن ناعم والصعب وبقية ما فتح من حصون يهود - فحاصروه وقطعوا عنه مجرى الماء الذي يغذيه، فاضطروهم إلى النزول للقتال، فهزموهم بعد ثلاثة أيام، وبذلك تمت السيطرة على آخر حصون منطقة النُّطَاة التي كان فيها أشد اليهود.

ثم توجهوا إلى حصون منطقة الشَّق، وبدأوا بحصن أبيّ، فافتحموه، وأفلت بعض مقاتلته إلى حصن نزار، وتوجه إليهم المسلمون فحاصروهم ثم افتتحوا الحصن، وفر بقية أهل الشق من حصونهم وتجمعوا في حصن القَمُوص المنيع وحصن الوَطِيح وحصن السَّالِم، فحاصروهم المسلمون لمدة أربعة عشر يوما حتى طلبو الصلح^(٢٨).

(٢٥) دلائل النبوة (٢١٢/٤).

(٢٦) وهذا الطريق رجاله ثقات إلا الليث بن أبي سليم، وهو صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك. وقال البيهقي: الدلائل (٢١٢/٤): تابعه فضيل بن عبد الوهاب عن المطلب بن زياد.

(٢٧) وهذا الطريق ضعيف أيضا كما قال الشامي في السيرة (٢٠١/٥). وقال الشامي هنا: رواه الحاكم.

قلت: إن هذه الطرق تعتقد فتتقوى وتدلل على أن للقصة أصلا. والراجح عندي مضمون رواية ابن إسحاق لأنها أقرب إلى المعقول، أما الروايات الأخرى فلا مانع من قبولها في ضوء أن ما أحدث يمكن تفسيره بأنه كرامة من كرامات علي (رضي الله عنه).

(٢٨) الواقدي (٦٥٨/٢ - ٦٧١).

وهكذا فتحت خيبر عنوة^(٢٩)، إستنادا إلى النظر في مجريات الأحداث التي سقناها، وما روى البخاري^(٣٠) ومسلم^(٣١) وأبوداود^(٣٢) من أن رسول الله ﷺ غزا خيبر وافتتحها عنوة.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فَدْكَ - شمالي خيبر- فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصلحونه على النصف من فَدْكَ، فقبل ذلك منهم. فكانت فَدْكَ لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب^(٣٣).

وقتل من اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعون رجلا^(٣٤). وسبيت النساء والذراري، منهن صفية بنت حيي بن أخطب، التي اشتراها الرسول ﷺ من دحية حيث وقعت في سهمه فأعتقها وتزوجها^(٣٥). وقد دخل عليها في طريق العودة إلى المدينة، وتطوع لحراسته في تلك الليلة أبوأيوب الأنصاري^(٣٦). واستشهد من المسلمين عشرون رجلا فيما ذكر ابن إسحاق^(٣٧) وخمسة عشر فيما ذكر الواقدي^(٣٨).

ومن استشهد من المسلمين راعي غنم أسود كان أجيرا لرجل من يهود. وخلاصة قصته أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم يرعاها لبعض يهود خيبر، فطلب من الرسول ﷺ أن يعرض عليه الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم، ثم استفتاه في أمر الغنم، فطلب منه

(٢٩) انظر مناقشة قول من قال إن بعضها فتح عنوة والبعض الآخر صلحا، وجزم ابن القيم في الزاد (٣٥٢/٣ - ٥٤) وابن عبد البر في الدرر، ص ٢١٤ بأنها فتحت عنوة، وكذلك عوض الشهري في رسالته: مرويات خيبر، ص ص ١٩٧ - ١٩٩.

(٣٠) الفتح (٣/٣٢٢ ح ٣٧١).

(٣١) صحيحه (١٤٢٧/٣ ح ١٣٦٥).

(٣٢) السنن (٤٠٨/٣ - ٤١٠/٤) ك. الخراج/ح ٣٠٠٩ بإسناد صحيح.

(٣٣) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣/٤٩٠ - ٤٩١)، وأبوداود (٣/٤١٤/٤) ك. الخراج/ب. ماجاء في حكم أرض خيبر/ح ٣٠١٦ وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٤/٢٣٩): «هذا مرسل»، وأبو يوسف في الخراج، ص ٥٠، وفي سننه الكلبي، وهو متروك.

(٣٤) الواقدي (٢/٧٠٠) وأسانيد الواقدي ضعيفة كما هو معلوم لأنه متروك في الحديث.

(٣٥) مسلم (٢/١٠٤٥ - ١٠٤٦/١ ح ١٣٦٥)، البخاري/الفتح (١٥/٥٩ - ٦٠/٤٢١١) وعنده أنه اصطفاها لنفسه.

(٣٦) رواه الحاكم في المستدرک (٤/٢٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣٧) ابن هشام (٣/٤٧٨) - معلقا.

(٣٨) المغازي (٢/٧٠٠).

الرسول ﷺ أن يضرب وجوهها، فسترجع إلى أصحابها، فأخذ الراعي حفنة من الحصى فرمى بها في وجوهها، فرجعت إلى أصحابها، وتقدم ليقاتل فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قط، فجيء به إلى رسول الله ﷺ فسجى بشملة، فالتفت إليه الرسول ﷺ ثم أعرض عنه، وعندما سئل عن إعراضه قال: «إن معه الآن زوجته من الخور العين»^(٣٩).

واستشهد أعرابي له قصة دلت على وجود نذاج فريدة من المجاهدين. وخلاصة قصته أنه جاء إلى النبي ﷺ فأسلم، وطلب أن يهاجر مع الرسول ﷺ. فلما كانت غزوة خيبر - وقيل حنين - غنم رسول الله وأخرج له سهمه، وكان غائباً حين القسمة، ويرعى ظهريهم، فلما جاء دفعوا إليه سهمه، فأخذه وجاء به إلى النبي ﷺ وقال: «ما هذا يا محمد»، قال النبي ﷺ «قسم قسمته لك». قال: «ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأدخل الجنة»، قال: «إن تصدق الله بصدقك»، ولم يلبث قليلاً حتى جيء به وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال الرسول ﷺ: «صدق الله فصدقه»، فكفنه الرسول ﷺ في جبة للنبي ﷺ ودفنه^(٤٠).

وبعد الفراغ من هذه الغزوة حاول اليهود قتل الرسول ﷺ بالسم. فقد أهدته امرأة منهم شاة مشوية مسمومة، وأكثر السم في ذراع الشاة عندما عرفت أنه يحبها، فلما أكل من الذراع أخبرته الذراع أنه مسموم فلفظ اللقمة، واستجوب المرأة، فاعترفت بجريمتها، فلم يعاقبها^(٤١) في حينها، ولكنه قتلها عندما مات بشر بن البراء بن معرور من أثر السم الذي ابتلعه مع الطعام

(٣٩) رواه ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (٤٧٩/٣ - ٤٨٠)، والحاكم في المستدرک (١٣٦/٢) من غير طريق ابن إسحاق وصححه ولم يقره الذهبي لأن في إسناده شرحبيل بن سعد، وهو منهم، والبيهقي في الدلائل (٢١٩/٤ - ٢٢٠) من طريق موسى بن عقبة، مرسلًا، ومن حديث عروة، مرسلًا، وهذا يدل على أن للقصة أصلاً.

(٤٠) رواه عبدالرزاق في المصنف (٢٧٦/٥) بإسناد صحيح.

(٤١) البخاري/ الفتح (٢٦١/١٢) ح/٣١٦٩.

وسلم (١٧٢١/٤) ح/٢١٩٠.

عندما أكل مع الرسول ﷺ^(٤٢).

وتم الصلح في النهاية بين الطرفين وفق الأمور الآتية:

— بالنسبة للأراضي والنخيل - أي الأموال الثابتة: دفعها لهم الرسول ﷺ

على أن يعملوا عليها وهم شطر ما يخرج منها^(٤٣).

— أن يتفقوا من أموالهم على خدمة الأرض^(٤٤).

— أما بالنسبة لوضعهم القانوني فقد تم الاتفاق على أن بقاءهم بخير مرهون

بمشيئة المسلمين، فمتى شاؤوا أخرجوهم منها.

وقد أخرجهم عمر بن الخطاب إلى تيباء وأربحاء^(٤٥)، إستنادا إلى قول

الرسول ﷺ في مرض موته: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»^(٤٦) وتكرر

منهم الاعتداء على المسلمين. ففي المرة الأولى اتهمهم الرسول ﷺ في قتل

عبدالله بن سهل، فأنكروا فلم يعاقبهم، فوداه رسول الله ﷺ من عنده^(٤٧).

وفي هذه المرة الثانية التي أكدت الأولى - كما أشار عمر - أنهم اعتدوا على

عبدالله بن عمر، وفدعوا يديه^(٤٨).

— واتفقوا على إيفاد مبعوث من قبل النبي ﷺ إلى أهل خيبر ليخرص

(٤٢) الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٠)...

وعبدالرزاق في المصنف بإسناده إلى أبي بن كعب كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٨١)، والواقدي

(٢/ ٦٧٩) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٥٦ - ٢٦٤) وقد ذكر جميع الروايات في الموضوع. وانظر

تعليل المحقق على القضية، خاصة ما كشفه الدكتور منير العجلاني - رئيس تحرير المجلة العربية،

من أن تسميم الرسول ﷺ كان بقرار من اليهود وذلك استنادا إلى ما جاء في وثيقة أرمنية قديمة

تعرض لها العجلاني بالدراسة في المجلة العربية - السنة الثالثة - العدد الثالث. والذي يبدو أن

أثبت هذه الوثيقة فيه نظر، إذ لو ثبت ذلك لترتب عليه حكم فقهي تبعا لكونهم جميعا اشتركوا

في قتله.

(٤٣) من رواية البخاري/ الفتح (١٦/ ٨٠ - ٨١ ح/ ٤٢٤٨) ومسلم (٣/ ١١٨٧ - ١١٨٨ ح/ ١٥٥١).

(٤٤) مسلم (٣/ ١١٨٧ ح/ ١٥٥١) وغيره.

(٤٥) مسلم (٣/ ١١٨٨ ح/ ١٥٥١)، البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٣٩ ح/ ٣١٥٢).

(٤٦) ابن سعد (٢/ ٢٤٢) بإسناد صحيح، ورواه ابن إسحاق موقفا عن الزهري - ابن هشام

(٣/ ٤٩٥) ولقطة: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» ورواه مراسلا عن عبدالله بن عبدالله ابن

عتبة من حديث الزهري - ابن هشام (٣/ ٤٩٠)، ورواه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٥) بإسناد صحيح،

وعبدالرزاق في مصنفه (٦/ ٢٥٧) بإسنادين الأول متصل عن عائشة والثاني موقوف عن ابن جريج.

(٤٧) رواه البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٤٠ ح/ ٦١٤٢، ٦١٤٣)، ومسلم (٣/ ١٢٩١ - ١٢٩٠ ح/ ١٦٦٩)،

ورواه غيرهما، واكتفينا بهما على سبيل الاختصار.

(٤٨) أحمد: المسند (١/ ٩٠ ح/ ٩٠/ ٩٠ شاذر) بإسناد صحيح، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام

(٣/ ٤٩٥).

ويقبض حصة المسلمين^(٤٩).

أما بالنسبة للأموال المنقولة، فقد صالحوه على أن له الذهب والفضة والسلاح والدروع، ولهم ما حملت ركائبهم على ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوه فلا ذمة لهم ولا عهد. فغيبوا مسكاً لحبي بن أخطب، وقد كان قتل قبل غزوة خيبر، وكان قد احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت. وعندما سأل الرسول ﷺ سعية - عم حيي - عن المسك، قال: «أذهبتة الحروب والنفقات»، فقال النبي ﷺ: «العهد قريب والمال أكثر من ذلك»، فدفعه النبي ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب، فاعترف بأنه رأى حياً يطوف في خربة هاهنا، فوجدوا المسك فيها، فقتل لذلك ابني أبي الحقيق، وسبى نساءهم وذرايعهم، وقتل محمد بن مسلمة ابن عم كنانة هذا الذي دل على المال، قتله بأخيه محمود بن مسلمة^(٥٠).

وبالنسبة للطعام فقد كان الرجل يأخذ حاجته منه دون أن يقسم بين المسلمين أو يخرج منه الخمس مادام قليلاً^(٥١) وكانت غنائم خيبر خاصة بمن شهد الحديبية من المسلمين، كما في قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ، يريدون أن يدلوا كلام الله. قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل، فسيقولون بل تحسدوننا، بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً﴾^{(٥٢)(٥٣)}.

ولم يغب عن فتح خيبر من أصحاب بيعة الرضوان أحد سوى جابر بن

(٤٩) من حديث ابن عمر عند أحمد في المسند (٧/٧) شاكر) بإسناد صحيح، ومن حديث جابر في المسند: الفتح الرباني (١٢٥/٢١) بإسناد صحيح، والسنن لأبي داود (٦٩٧/٣) ك. البيهقي/ ب. المسألة) بإسناد حسن، والبيهقي في السنن (١٣٧/٩ - ١٣٨) وابن حبان في صحيحه كما في موارد الظان (٤١٢ - ٤١٣) كلاهما بإسناد واحد صحيح، وابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٤٩١/٣ - ٤٩٢).

(٥٠) رواد أبو داود في سننه (٤٠٨/٣) ك. الخراج/ ب. ماجاء في حكم أرض خيبر/ ح ٣٠٠٦) بإسناد صحيح.

(٥١) البخاري/ الفتح (٢٤١/١٢) ح ٣١٥٣، مسلم (٣/١٣٩٣) ح ١٧٧٢، أحمد: الفتح الرباني (١٢٥/٢١)، أبو داود (١٥١/٣) ك. الجهاد/ ب. النهي عن النهي إذا كان في الطعام قلة في أرض العدو، الحاكم (١٣٤/٢)، الواقدي (٦٦٤/٢) وغيرهم.

(٥٢) الفتح: ١٥.

(٥٣) انظر تفسيرها عند الطبري (٥٠/٢٦).

عبدالله، ومع ذلك أعطي سهما مثل من حضر الغزوة - غزوة الحديبية^(٥٤). وأعطى أهل السفينة من مهاجرة الحبشة الذين عادوا منها إلى المدينة، ووصلوا خير بعد الفتح، أعطاهم من الغنائم. وكانوا ثلاثة وخمسين رجلا وامرأة بقيادة جعفر بن أبي طالب. وتقول الرواية إنه لم يقسم لأحد لم يشهد الفتح سواهم^(٥٥). وهم الذين فرح الرسول ﷺ بقدومهم، وقبل جعفر بين عينيه والتزمه، وقال: «ما أدري بأيها أنا أسر، بفتح خير أو بقدوم جعفر»^(٥٦). وربما يرجع سبب استثنائهم إلى أنهم حبسهم العذر عن شهود بيعة الحديبية، ولعله استرضى أصحاب الحق من الغانمين في الإسهام لهم، ولعله رأى ما كانوا عليه من الصدق وما عانوه في الغربة، وهم أصحاب المهجرتين^(٥٧).

وأعطى الرسول ﷺ أبا هريرة وبعض الدوسيين من الغنائم برضاء الغانمين، حيث قدموا عليه بعد فتح خير^(٥٨). وشهد خير مع رسول الله ﷺ نساء مسلمات فأعطاهن من الفياء ولم يضرب لهن بسهم^(٥٩).

(٥٤) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤٨٦/٣)، وذكر البخاري معلقا أن الرسول ﷺ أعطى جابر ابن عبدالله من ثمر خير (الفتح ٢١٧/١٢ - ٢١٨/٢ ك. فرض الخمر/ ب. ومن الدليل على أن الخمس لثواب المسلمين...) وقال ابن حجر ص ٢١٩ عن هذا الخبر المعلق: «... فهو من حديث أخرجه أبوداود، وظهر من سياقه أن حديث جابر الذي ترجم به المصنف للباب طرف منه، وانظر: سنن أبي داود (٤١١/٣ - ٤١٢/٤ ك. الخراج/ ح ٣٠١١، ٣٠١٢).

(٥٥) البخاري/ الفتح (٢٢٢/١٢ - ٢٢٣/٢ ح ٣١٣٦)، مسلم (١٩٤٦/٤ ح ٢٥٠٢). ويعمل هذا القول على أنه أعطاهم دون استرضاء الغانمين، إذ روى أنه أعطى سواهم ولكن برضاء الغانمين. فقد أعطى أبا هريرة وبعض الدوسيين الذين قدموا بعد خير، ولم يشتركوا في القتال - انظر ابن شبة: تاريخ المدينة (١٨٧/١)، وابن حجر: الفتح (٧١/١٦).

(٥٦) سنن أبي داود (٣٩٢/٥ ك السنة/ ب. في قبلة ما بين عينيه/ ح ٥٢٢٠) وهو من مرسل الشامي، وقد جاء مستندا من طرق عن جابر كما عند الحاكم في المستدرک (٢١١/٣) وقد صححه الحاكم وقال الذهبي إنه مرسل، وعن طريق غير جابر كما في المعجم الكبير للطبراني (١٠٧/٢)، وكلها طرق لا تسلم من ضعف. وذكر الشيخ الألباني طرق هذا الحديث وشواهد ومال إلى تحسينه - انظر: تخريج أحاديث فقه السيرة للقرافي، ص ٣٦٧.

(٥٧) د. العمري: المجتمع المدني - تنظيماته...، ص ١٧٤، وعوض الشهري: مروييات غزوة خير - رسالة ماجستير غير منشورة - الجامعة الإسلامية المدينة، ص ١٨١. وعن فضل أصحاب المهجرتين، انظر: مسلم (١٩٦٤/٤ ح ١٦٩٠).

(٥٨) عبدالرزاق: المصنف (٢٧٦/٥).

(٥٩) رواه ابن إسحاق معلقا ابن هشام (٤٨٧/٣)، ورواه الأوزاعي كما في صحيح سنن الترمذي (١٠٦/٢) وقال الألباني: صحيح الإسناد مقطوع. أما مسلم (١٤٤٤/٣ - ١٤٤٥/٣ ح ٨١٢) وغيره فقد روى أنه كان يغطي النساء اللاتي يغزون معه، ولم يقيدوه بغزوة خير.

وكذلك أعطى من شهدها من العبيد، فقد أعطى عميرا، مولى أبي اللحم، شيئا من الأثاث^(٦٠).

وأوصى ﷺ من مال خير لنفر من الدارين، سهاهم ابن إسحاق^(٦١). وكان كفار قريش يتحسسون أخبار الرسول ﷺ مع يهود خيبر، ويسألون الركبان عن نتيجة المعركة، وقد فرحوا عندما خدعهم الحجاج بن علاط السلمي وقال لهم إن المسلمين قد هزموا شر هزيمة وإن اليهود أسرت محمداً، وستأتي به ليقتل بين ظهري أهل مكة ثارا لمن كان أصيب من رجالهم، وما لبثوا قليلا حتى علموا بأن الأمر خدعة من الحجاج بن علاط ليحرز ماله الذي بمكة ويهاجر مسلما. فحزنوا لتلك النتيجة التي كانوا يراهنون على عكسها^(٦٢).

وبعد الفراغ من أمر خير توجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى، وحاصروهم، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم، وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم، فبرز له الزبير فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه أبو دجانه فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا، ثم قاتلهم حتى أمسوا، وفي الصباح استسلموا، ففتحت عنوة. وأقام فيها ثلاثة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود، وعاملهم عليها.

فلما بلغ يهود تيباء ما حدث لأهل فدك ووادي القرى، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم. فلما كان عهد عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيباء ووادي القرى لأنها داخلتان في أرض الشام،

(٦٠) من رواية أبي داود في سننه (٣/٧٥) ك. الجهاد/ ب. في العبد والمرأة يجذبان من الغنمة/ ح (٢٧٣٠). ورواه الترمذي: صحيح سنن الترمذي للألباني (١٠٦/٢) ك. السير/ ح (١٦١٦) ورمز إلى أنه في صحيح أبي داود - له - برقم (٢٤٤)، ونقله ابن كثير في تاريخه (٤/٢٢٨). وأخرجه أحمد في المسند (٥/٢٢٣) وابن ماجه في الجهاد/ ح (٢٨٥٥)، والحاكم في المستدرک (٢/١٣١) وصححه.

(٦١) ابن هشام (٣/٤٩١) - معلقا - أي دون إسناد. (٦٢) رواء عبد الرزاق في المصنف (٥/٤٦٦ - ٤٦٩) بإسناد صحيح، وأحمد في المسند (٣/١٣٨) من طريق عبد الرزاق بإسناد صحيح، وابن حبان في موارد القطان ص ٤١٣، والبراز في كشف الأستار (٣٤١/٢)، وغيرهم.

ويرى أن مادون وادي القرى إلى المدينة حجاز، وأن ما وراء ذلك من الشام^(٦٣).

وثبت في الصحيح أن مدعيا - مولى رسول الله ﷺ - أصابه سهم فقتله، وذلك حين كان يحيط رحل رسول الله ﷺ عندما وصلوا وادي القرى. فقال الناس: «هنيئا له بالجنة»، فقال رسول الله ﷺ «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارا». فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بشراك أو بشراكين، فقال: «هذا شيء كنت أصبته»، فقال رسول الله ﷺ: شراك أو شراكان من نار^(٦٤).

بعض فقه وحكم وعبر ودروس غزوة خيبر:

- ١ - نهى رسول الله ﷺ عن الغلول، وأن من يموت وهو غالاً يدخل النار. وقد جاء ذلك في خبر الرجل الذي قال عنه الصحابة إنه شهيد، فقال لهم الرسول ﷺ: «كلا! إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة...»^(٦٥) وخبر مدعم مع الشملة... .
- ٢ - نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية^(٦٦).
- ٣ - نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم البغال^(٦٧).
- ٤ - النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع وعن أكل كل ذي مخلب من الطير^(٦٨).

(٦٣) الواقدي (٧٠٩/٢ - ٧١١) بإسناده إلى أبي هريرة.
(٦٤) البخاري/ الفتح (٧١/١٦ - ٧٢ ح/٤٢٣٤)، مسلم (١٠٨/١ ح/١١٥).
(٦٥) مسلم (١٠٧/١ - ١٠٨ ح/١١٤، ١١٥).
(٦٦) البخاري/ الفتح (٦٨/٢١ ح/٥٥٢٣ - ٥٥٢٩)، مسلم (١٠٢٧/٢ - ١٠٢٨ ح/١٤٠٧).
(٦٧) مسند أحمد (٣/٣٦٥) طبعة المكتب الإسلامي بإسناد رجاله ثقات غير أن فيه عتقة أبي الزبير وهو مدلس، ولكن يشهد له ما أخرجه الترمذي في سننه (٥٣/٥) أبواب الصيد/ ب. في كراهية كل ذي ناب وذو مخلب. ولفظه: عن جابر قال: «حرم رسول الله ﷺ بيعي يوم خيبر الحمر الإنسية ولحوم البغال وكل ذي ناب من السباع وذو مخلب من الطير».
(٦٨) سنن أبي داود (٤/١٦٠ ك. الأطنمة/ ب. النهي عن أكل السباع/ ح/٣٨٠٢، ٣٨٠٣، ٣٨٠٥، ٣٨٠٦) من حديث ابن عباس. سنن ابن ماجه (٢/١٠٧٧ ك. الصيد/ ب. نحرهم كل ذي ناب من السباع)، مسلم (٣/١٥٣٤ ح/١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤)، من حديث ابن عباس ولكن دون التفيد بـ«كان معين». وهو يعضد حديث ابن ماجه وأبي داود، فيكون الحديث حسنا.

- ٥ - النهي عن وطء الحبالى من السبايا حتى يضعن^(٦٩).
- ٦ - النهي عن ركوب الجلالة^(٧٠) والنهي عن أكل لحمها^(٧١) وشرب لبنها^(٧٢).
- ٧ - النهي عن النهبة من الغنيمة قبل قسمتها^(٧٣).
- ٨ - وأجرى الله على نبيه بعض المعجزات دليلا على نبوته وعبرة لمن يعتبر، فإضافة إلى ما ذكرنا من قصة بصفه على عيني علي فصحتا، وإخبار ذراع الشاة المسمومة إياه بأنها مسمومة، فقد ثبت أنه نفث ثلاث نفثات في موضع ضربة أصابت ركبة سلمة بن الأكوع يوم خيبر، فما اشتكى بعدها^(٧٤).
- ٩ - وفي خبر الإسهام لأهل السفينة أنه إذا لحق مدد بالجيش بعد انقضاء الحرب، فلا سهم لهم إلا بإذن الجيش ورضاه^(٧٥).
- ١٠ - جواز المساقاة والمزارعة بجزء مما يخرج من الأرض من تمر أو زرع، كما عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر على ذلك، وهو من باب المشاركة، وهو نظير المضاربة، فمن أباح المضاربة، وحرم ذلك، فقد فرق بين متأثلين^(٧٦).
- ١١ - عدم اشتراط كون البذر من رب الأرض، لأن الرسول ﷺ دفع إليهم الأرض على أن يعملوها من مالهم.
- ١٢ - خرص الثمار على رؤوس النخيل وقسمتها كذلك، وأن القسمة ليست بيعا، والاكتفاء بخارص واحد وقاسم واحد.
- ١٣ - جواز عقد المهادنة عقدا جائزا للإمام فسخه متى شاء.
- ١٤ - جواز تعليق عقد الصلح والأمان بالشرط، كما عقد لهم رسول الله ﷺ بشرط ألا يغيبوا ولا يكتموا، كما في قصة مسك حيي.
- ١٥ - الأخذ في الأحكام بالقرائن والإمارات كما قال النبي ﷺ لكانة: «المال

(٦٩) رواه ابن الجارود في المستقى/ ك. النكاح/ ص ٢٤٤، بإسناد صحيح.
 (٧٠) الجلالة: حيوان يأكل القردة، [وهي الغائط]، من الإبل والغنم والدجاج وغيرها حتى يتغير ريحها.
 (٧١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ١٦١/ ك. الأطعمة/ ب. في أكل لحوم الحمر الأهلية/ ح ٣٨٠٦) بإسناد حسن. ورواه غيره [مثل أحمد والنسائي]. * رواه الخمسة: إلا ابن ماجه، وصححه الترمذي.
 قال سيد سابق في فقه السنة (٣/ ٢٨٥): «فإن حيث بعيدة عن العذرة زمتا وعلقت طاهرا فطاب لحمها وذهب اسم الجلالة عنها حلت لأن علة النهي التغير، وقد زالت».
 (٧٢) أحمد: المسند (٤/ ٣٤٨) بإسناد صحيح، وأخرجه غيره.
 (٧٣) البخاري/ الفتح (١٦/ ٥٠/ ح ٤٢٠٦).
 (٧٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٤٢).
 (٧٥) المرجع نفسه ص ٣٤٥.

كثير والعهد قريب»، فاستدل بذلك على كذبه في قوله: «أذهبته الحروب والنفقة».

١٦ - جواز إجلاء أهل الذمة من دار الإسلام إذا استغنى عنهم، وقد أجلهم عمر (رضي الله عنه) بعد موت النبي ﷺ.

١٧ - لم يكن عدم أخذ الجزية من يهود خيبر لأنهم ليسوا أهل ذمة، بل لأنها لم تكن نزال فرضها بعد^(٧٦).

١٨ - سريان نقض العهد في حق النساء والذرية، وجعل حكم الساكن والمقر حكم الناقض والمحارب كما في حالة كنانة وابني ابن الحقيق، على أن يكون الناقضون طائفة لهم شوكة ومنعة، أما إذا كان الناقض واحداً من طائفة لم يوافقه بقيتهم، فهذا لا يسرى النقض إلى زوجته وأولاده^(٧٧).

١٩ - جواز عتق الرجل أمته، وجعل عتقها صداقها، ويجعلها زوجته بغير إذنها ولا شهود ولا ولي غيره، ولا لفظ نكاح ولا تزويج، كما فعل ﷺ بصفية.

٢٠ - جواز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره، إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير، إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه، كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين والمشركين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت بالمسلمين من ذلك الكذب.

٢١ - إن من قتل غيره بسم يقاتل مثله قصاصاً، كما قُتِلَت اليهودية ببشر بن البراء.

٢٢ - جواز الأكل من ذبائح أهل الكتاب وحل طعامهم وقبول هديتهم، كما في حادثة الشاة المسمومة.

٢٣ - الإمام غير في الأرض التي تفتح عنوة إن شاء قسمها وإن شاء وقفها وإن شاء قسم البعض ووقف البعض الآخر، وقد فعل رسول الله ﷺ الأنواع الثلاثة، فقسم قريظة والنضير، ولم يقسم مكة، وقسم شطرا من خيبر وترك شطرها الآخر^(٧٨).

(٧٦) المرجع نفسه (٣/٣٤٨).

(٧٧) زاد المعاد (٣/٣٤٨ - ٣٤٩).

(٧٨) انظر الشهري: مرويات غزوة خيبر، ص ١٩٨، ابن القيم: زاد المعاد (٣/٣٢٩).

الفصل السادس عشر

رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء والزعماء

تمهيد:

أتاحت الفرصة للرسول ﷺ بعد صلح الحديبية لتوسيع نطاق الدعوة إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، لأن الإسلام رسالة عالمية غير محدودة المكان، كما جاء التصريح بذلك في بعض الآيات القرآنية الكريمة، مثل:

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾^(١)، و﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾^(٢)، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(٣). ولذا كان من البدهي أن يقوم الرسول ﷺ بإرسال الرسائل إلى زعماء العالم المعاصرين له.

هناك اضطراب في الرويات التي تناولت تواريخ إرسال الرسائل. فقد روى ابن سعد^(٤) أن الرسول ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتاباً، فخرج ستة نفر في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع.

ويذكر الطبري^(٥) أن بعث هؤلاء نفر الست كان في ذي الحجة. وهي من رواية الواقدي. وواضح من نص خبر الواقدي عند ابن سعد أن رجوع النبي ﷺ من الحديبية كان في ذي الحجة، وأن إرسال نفر الستة كان في

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) الأعراف: ١٥٨.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٤) الطبقات (٢٥٨/١) من طريق شيخه الواقدي وبأسانيده.

(٥) التاريخ (٦٤٤/٢) من رواية الواقدي.

المحرم من العام السابع، فيكون الوهم في النقل من قبل الطبري. أما ابن اسحاق^(٦) فلا يحدد تاريخاً دقيقاً لإرسال الرسل، بل جعل ذلك ما بين الحديبية ووفاته، قال في رواية: «كان رسول الله ﷺ قد فرق رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعوة إلى الله (عز وجل) فيما بين الحديبية ووفاته». واستدرك عليه ابن هشام^(٧) في زيادات السيرة قائلاً بأن إرساله الرسل كان بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية.

ويؤرخ ابن سعد^(٨) لرسالة كسرى قبل ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادي الأولى سنة سبع، التي قتل فيها كسرى. وذكر البخاري^(٩) رسالة كسرى في أعقاب غزوة تبوك في العام التاسع الهجري، لكن من الواضح أن البخاري لم يراعِ عنصر الزمن في سرد محتويات «صحيحه»، لأنه يجمع ما يقع على شرطه من البعوث والسرايا والوفود ولو تباينت تواريخهم، وقد نبه ابن حجر إلى احتمال تصرف بعض رواة صحيح البخاري في تقديم وتأخير بعض التراجم، مثل تقديم حجة الوداع على غزوة تبوك^(١٠). إن الدراسة التفصيلية لتلك الرسائل تجعل النفس تميل إلى قبول ما ذكره ابن إسحاق^(١١).

المبحث الأول: كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي:

صح أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي^(١٢): «تعال إلى كلمة سواء بيننا وبينك أن لا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون». فآمن ومن كان عنده، وأرسل

(٦) ذكره الطبري في تاريخه (٦٤٥/٢) بإسناد ضعيف.

(٧) السيرة (٣٣٨/٣) وذلك ضمن خبر رواه بلاغا، ورواه ابن عساكر والديلمي في مسنده كما في كنز العمال (٦٣٤/١٠ - ٦٣٥)، والطبراني كما في المجمع (٣٠٥/٥ - ٣٠٦) وفيه محمد بن إسماعيل ابن عياش، وهو ضعيف.

(٨) الطبقات (٢٦٠/١).

(٩) الفتح (٢٥٧/١٦) ح/٤٤٢٤.

(١٠) انظر: الفتح (٢٣٧/١٦) و (٢٠٤/١٦) ح/٢٠٥ - (٤٣٦٣).

(١١) انظر عون الشريف قاسم: دبلوماسية محمد ﷺ، ص ٥٩ - ٦٠.

(١٢) مسلم (١٣٩٧/٣) ح/١٧٧٤.

إلى رسول الله ﷺ بهدية حلة، فقال رسول الله ﷺ «اتركوه ما ترككم»^(١٣). وكان الذي حمل الرسالة إلى النجاشي، عمرو بن أمية الضمري^(١٤). وذكر الزيلعي^(١٥) وغيره عن الواقدي أن الذي كتبه النبي ﷺ إلى النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري صورته:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة، فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالة عن طاعته، وأن تبغني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله (عز وجل)، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى».

وذكر أبو موسى المديني في التتمة لكتاب ابن منده في الصحابة، بإسناد معلق، أن النجاشي كتب مع ولده كتابا جوابا لكتاب النبي ﷺ وأورد نصه، وفيه إقراره بالإسلام، وإن شاء الرسول ﷺ أن يأتيه بالمدينة المنورة لأتاه، وأنه بعث إليه بابنه أرها بن الأصحم، وأن ابنه خرج في ستين نفسا من الحبشة فغرقت بهم سفينتهم في البحر^(١٦).

وقد ثبت أن الرسول ﷺ صلى صلاة الغائب عندما أخبره جبريل بوفاة

(١٣) رواه أبوداود: السنن (٤/٤٩٠). الملاحم/ ب. النبي عن بهج الحبشة/ ح (٤٣٠٩) بلفظ: «أنركوا الحبشة مانركوكم» الحاكم (٤/٤٥٣) من حديث عبدالله بن عمر، وأحمد في المسند بهذا اللفظ من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن رجل من الصحابة، ورواه أبوداود أيضا (٤/٤٨٥) الكتاب والباب نفسا/ ح (٤٣٠٢)، والسنائي (٦/٤٤/٤). الجهاد/ ب. غزوة الترك والحبشة) حديث أبي سكينه عن رجل من أصحاب النبي ﷺ بلفظ: «دعوا الحبشة مادعوكم وأنركوا الترك ما تركوكم»، وهو حديث حسن. وانظر: «جامع الأصول لابن الأثير (٩/٢٢٣)، و (١١/٢٩٦).

(١٤) انظر: أسد الغابة (٤/١٩٣ - ١٩٤)، وابن هشام (٤/٣٣٨) بلاغا، وابن سعد (٢/٢٥٨) من رواية الواقدي.

(١٥) نصب الراية لأحاديث الهداية (٤/٤٢١)، وانظر: إعلام السائلين لابن طولون، ص ٥٠ - ٥١.

(١٦) قاله ابن طولون، ص ٥٠. وانظر نص الرسالة عنده، وذكر نصها الزيلعي في نصب الراية (٤/٤٢١) والطبري في تاريخه (٢/٦٥٣) معلقا، وابن سيد الناس في الميون (٢/٢٦٤ - ٢٦٥).

النجاشي، وذلك في العام التاسع الهجري^(١٧).

المبحث الثاني: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى:

روى البخاري^(١٨) بسنده إلى ابن عباس: «بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن خُذَّافَةَ السَّهْمِي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين^(١٩)، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى. فلما قرأه مزقه، قال الراوي - الزهري: فحسبت أن ابن المسيب قال: «فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق».

وكتب كسرى إلى بَازَانَ عامله باليمن أن ابعث من عندك رجلين جليدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمانه^(٢٠) ورجلا آخر، وكتب معهما كتابا، فقدموا المدينة، فدفعوا كتاب باذان إلى النبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد، وقال: «ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد». فجاءاه من الغد، فقال لهما: «أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه كسرى في هذه الليلة»، لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع، وأن الله تبارك وتعالى سلط عليه ابنه شيرويه، فقتله، فرجعا إلى باذان بذلك، فأسلم هو والأبناء^(٢١) الذين باليمن^(٢٢). ويذكر أن كسرى المعني هو إبرويز بن هُرمز^(٢٣)، ويؤكد بتلر^(٢٤) أن موت

(١٧) انظر المبحث الخاص بإسلام النجاشي.

(١٨) الفتح (١٦/٢٥٦ - ٢٥٧/٢٥٧) ح (٤٤٢٤).

(١٩) هو المنذر بن ساوى كما ذكر الزرقاني في شرح المواهب اللدنية (٣/٣٤١) وابن حجر في الفتح (١٦/٢٥٧).

(٢٠) اسمه «بابويه»، وهو الكاتب الحاسب. واسم الرجل الآخر: خر خصرة كما في رواية الطبري في تاريخه (٢/٦٥٥).

(٢١) اصطلاح يطلق على الفرس الذين كانوا يحكمون اليمن في تلك الفترة.

(٢٢) ابن سعد (١/٢٦٠) من رواية شيخه الواقدي، ورواها مطولا الطبري في تاريخ (٢/٦٥٥ - ٦٥٧) عن طريق ابن إسحاق من رواية شيخه يزيد بن أبي حبيب المصري مرسلا، وفيه زيادات، مثل اسمي رسولي باذان وأوصافها وحوار الرسول ﷺ معها. أما تاريخ قتل شيرويه لأبيه كسرى فقد عزاه الطبري إلى الواقدي.

(٢٣) الزرقاني: (٣/٣٤١).

(٢٤) فتح مصر، ص ص ١٣٨ - ١٥٣.

كسرى إبرويز حدث في مارس عام ٦٢٨م، مما يجعل وصول الرسالة قبل موته بشهور توكيدا لرؤية الواقدي.

وروى الطبري^(٢٥) نص رسالة النبي ﷺ إلى كسرى، وكذلك رواها ابن طولون^(٢٦)، وغيرهما، وهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فأني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت، فإن إثم المجوس عليك».

المبحث الثالث: كتاب النبي ﷺ إلى قيصر:

ثبت في الصحيحين^(٢٧) أن الرسول ﷺ قد كتب إلى هرقل مع دحية بن خليفة الكلبي يدعوه إلى الإسلام. وذلك في مدة هدنة الحديبية، وهو النص الثاني الذي ثبتت صحته وفق شروط المحدثين من بين سائر نصوص الكتب التي وجهت إلى الزعماء، ونصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فأني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتسك الله أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم الأريسيين^(٢٨). قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً. ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون^(٢٩)».

(٢٥) التاريخ (٦٥٤/٢ - ٦٥٥) من رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل، وأبو عبيد في الأموال ص ٢٥٣ مرسل، وبذلك يكون الحديث حسناً كما ذكر الألباني في حاشيته على فقه السيرة للقرطبي، ص ٣٨٨.

(٢٦) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ص ٦١ - ٦٢.

(٢٧) البخاري/ الفتح (٦٩/١٢ - ٧٢ ح/ ٢٩٤٠، ٢٩٤١)، مسلم (١٣٩٣/٣ - ١٣٩٧ ح/ ١٧٧٣).

وكلاهما من حديث أبي سفيان الطويل في صفة النبي ﷺ.

(٢٨) اختلفوا في المراد بهم على أقوال: أصحابها وأشهرها أهم الأكارون، أي الفلاحون... انظر:

الفتح (٨٠/١٧ - ٨١ ح/ ٤٥٥٣).

(٢٩) آل عمران: ٦٤.

ولعل في إيراد البخاري ومسلم لنص خطاب الرسول ﷺ إلى قيصر ما يشير إلى ترجيحهما للروايات القائلة بتقدم نزول الآية المذكورة، أي قبل تاريخ إرسال هذه الرسالة، وليس في العام التاسع كما ورد في روايات ضعيفة^(٣٠).

وعندما قرأ قيصر رسالة النبي ﷺ أرسل يبحث عن بعض المتصلين بالنبي ﷺ، وفضل أن يكونوا من قومه وعشيرته، فعلم بوجود جماعة من التجار فيهم أبوسفيان، فدعاهم لمجلسه مع الترجمان، فقال: «أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟» فقال أبوسفيان: «أنا أقربهم نسبا، فأدناه منه وقرب أصحابه منه لثلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب، فأخذ يسأله عن جميع أحوال النبي ﷺ كما في الحديث الطويل المشهور، حديث هرقل مع أبي سفيان، المروي في الصحيحين، واستنتج من أجوبة أبي سفيان أن محمدا ﷺ نبي، وقال في ختام كلامه مع أبي سفيان: «فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه».

ثم قال للرسول (دحية الكلبي): «إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، والذي كنا نتظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته»، ثم صرفه إلى ضباط، الأسقف صاحب الفتوى عندهم بحجة أنه أعلم الروم بهذا الشأن.

وروى ابن حبان^(٣١) أن دحية عندما جاء وافي قيصر ببيت المقدس، فرمى بالكتاب على بساطه وتنحى، فلما انتهى قيصر من الكتاب، أخذه، وأمن من جاء به فظهر له دحية، فطلب من دحية أن يأتيه في عاصمته، فلما

(٣٠) انظر د. العمري: المجمع المدني - تنظيماته، ص ١٥٢ - ١٥٣، د. عون الشريف قاسم: دبلوماسية محمد ﷺ، ص ٦١ - ٦٢.

(٣١) صحيحه - موارد الطيآن/ ح ١٦٢٨، بإسناد صحيح كما قال محقق الزاد (١/١٢١) طبعة مؤسسة الرسالة. ورواه أيضا أبويعيد في الأموال ص ٢٥٥ بإسناد صحيح، لكنه مرسل، ونقل الزرقاني في شرح المواهب (٣/٢٤٠) عن «الفتح» أنه في مسند أحمد أيضا، ولم يذكر صحابه. انظر تعليق الألباني على فقه السيرة للزغزالي، ص ٣٨٦.

جاءه، أمر بأبواب قصره فغلقت، ثم أمر مناديا ينادي: ألا إن قيصر قد اتبع محمدا وترك النصرانية، فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا به، فقال لرسول رسول الله ﷺ: «قد ترى أي خائف على مملكتي»، ثم أمر مناديه فنادى: «ألا إن قيصر قد رضي عنكم وإننا اختركم لينظر كيف صبركم على دينكم، فارجعوا»، فانصرفوا، وكتب إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ: «كذب عدو الله، وهو على دين النصرانية»، وقسم الدنانير.

وفي عدم إسلام قيصر دليل على أنه قد شح بالملك وطلب الرئاسة وآثرها على الإسلام، ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي، فإنه لما أسلم ما زالت عنه الرئاسة^(٣٢).

المبحث الرابع: كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شُمر الغساني:

روى الواقدي^(٣٣) أن رسول الله ﷺ كتب كتابا إلى الحارث بن أبي شمر الغساني^(٣٤)، مع شُجاع بن وهب، وأورد نصه. وقد امتنع الحارث ولم يوافق على الإسلام وحشد قواته للزحف على المدينة، ولكن هرقل تدخل ودعاه إلى إيلياء - بيت المقدس.

وقد بعث رسول الله ﷺ شجاعا إليه حين مرجعه من الحديبية، ومن خلال رواية شجاع في قصته معه يظهر أنه كتب إليه في نفس الوقت الذي كتب فيه إلى هرقل مع دحية، لأن شجاعا عندما جاء إلى الحارث وجد دحية مع القيصر في إيلياء^(٣٥).

(٣٢) النووي يشرح مسلم (١٠٧/١٢) ك. الجهاد/ ب. كتب النبي ﷺ.
(٣٣) نقله عنه الطبري في تاريخه (٦٥٢/٢) والقصة عند أهل السير. وأسانيدهم ضعيفة.
(٣٤) من أمراء غسان في أطراف الشام، وكانت إقامته بغوطة دمشق.
(٣٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٦١/٢)، عيون الأثر في فنون المغازي والسير لابن سيد الناس (٢٧٠/٢ - ٢٧١)، وإعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون، صص ١٠٣ - ١٠٤، المواهب اللدنية للزرقاني (٣٥٦/٣).

قلت: ونص الرسالة عند الطبري في تاريخه (٦٥٢/٢) من رواية الواقدي، ولم نقف عليها في مغازي الواقدي، وبقية القصة دون ذكر الرسالة عند ابن سعد (٢٦١/١). وابن سيد الناس (٢٧٠/٢ - ٧١) - وهي من رواية الواقدي وفيها نص الرسالة. وذكر ابن هشام أنه بعث شجاع ابن وهب إلى الحارث بن أبي شمر - ابن هشام (٣٣٩/٤). وإسناده ضعيف. ولم يرد عند غيره بإسناد يحتج به.

وتقول رواية شجاع: إن حاجب الحارث - وهو رومي اسمه مرى - أسلم عندما أخبره شجاع بالرسول ﷺ والإسلام.

المبحث الخامس: كتاب النبي ﷺ إلى هُوذة بن عليّ الحنفي صاحب اليمامة: كتب إليه مع سلبط بن عمرو العامري، أحد النفر الستة الذين تحركوا في وقت واحد حين مقدم الرسول ﷺ من الحديبية، وعندما قرأ هُوذة الرسالة اشترط على النبي ﷺ أن يجعل له بعض الأمر معه، فلم يقبل الرسول ﷺ بذلك، ومات حين منصرف الرسول ﷺ من فتح مكة (٣٦).

المبحث السادس: كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس:

بعث الرسول ﷺ كتابه إلى المقوقس - جُريج بن مينا - ملك الإسكندرية وعظيم القبط، مع حاطب بن أبي بلتعة، فقال خيرا وقارب الأمر ولم يسلم، وأهدى إلى النبي ﷺ مارية وأختها سيرين وقيسرى، ففسرى مارية القبطية، وهي أم ولده إبراهيم، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، فهي أم ولده عبدالرحمن، وأهداه ألف مثقال ذهب، وبغلة، اسمها دلدل، وجارية أخرى سوداء اسمها بريرة، وغلاما خصيا اسمه مأبور، وحمارا أشهب يقال له يَغْفُور وفرسا هو اللزاز، وعسلا وأشياء أخرى.

وعندما جاءت رسالة المقوقس إلى الرسول ﷺ قال: «ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء للملكه» (٣٧).

(٣٦) انظر الخبر عند: ابن سعد (٢٦٢/١) وعنده نص خطاب هُوذة، وليس عنده نص خطاب الرسول ﷺ إليه، عيون الأثر (٢/٢٦٩ - ٢٧٠)، نصب الراية للزليعي (٤/٤٢٥)، إعلام السائلين، ص ١٠٥ - ١٠٧.

(٣٧) انظر: ابن سعد (٢٦٠/١ - ٢٦١) من رواية الواقدي، وفيه قول الرسول ﷺ: «ضن الخبيث بملكه...» وابن هشام (٢٤٧/١) بإسناده إلى ابن طبيعة، مختصر جلدًا بخصوص إهداء المقوقس مارية القبطية للنبي ﷺ، ويقويه حديث البرار الآتي ذكره، وابن حجر في الإصابة (١/٣٠٠) - ترجمة حاطب... وقال ابن حجر في خبر إرسال حاطب إلى المقوقس: «أخرج ابن شاهين من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده (قلت: وفي إسناده ابن شاهين سليمان ابن أرقم وهو متروك)، وابن حجر في الإصابة (٣/٣٣٥) ترجمة مأبور، وقد أورد ابن حجر أحاديث تتقوى بالشواهد والمتابعات تفيد بأن النبي ﷺ قد ارتاب في مارية وعلاقتها بمأبور فبرأ الله حرم النبي ﷺ من الرية، وبشره بولد منها.

المبحث السابع: كتاب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدى:

روى ابن سيد الناس^(٣٨) أن النبي ﷺ كتب إلى المنذر بن ساوى العبدى، أمير البحرين، مع أبي العلاء الحضرمي، بعد انصرافه من غزوة الحديبية، ثم قال: ذكر الواقدي بإسناده عن عكرمة، قال: «وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس، بعد موته، فنسخته، فإذا فيه...».

وخلاصة ما ذكره ابن سيد الناس عن كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر ردا على كتابه الأول إليه أن المنذر قبل الإسلام ومعه آخرون من أهل البحرين، ولم يورد نص رسالة الرسول ﷺ الأولى إلى المنذر.

==

ومن الشواهد التي ساقها ابن حجر ما رواه مسلم (٤/٢١٣٩ ح/٢٧٧١) من حديث أنس أن رجلا كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعل: «أذهب فاضرب عنقه». فثأه علي فإذا هو في ركي (بئر) يتبرد فيها. فقال له علي: «أخرج». فتأوله يده فأخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر. فكف علي عنه. ثم أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، إنه لمحبوب. ماله ذكر.

وليس في حديث مسلم تسمية للرجل، وسماه ابن أبي خيثمة كما في الإصابة (٣/٣٣٥). وروى ابن عبدالحكم القصة بمثل مضمون رواية مسلم كما في الإصابة (٣/٣٥٥) وفيها أن الذي أراد قتل قريب مارية هو عمر بن الخطاب، وقد وفق ابن حجر بين الروايتين.

وقال ابن حجر في الإصابة (٤/٤٠٥) - ترجمة مارية: «وأخرج البزار بسند حسن عن عبدالله بن بريدة عن أبيه، قال: أهدى أمير القبط إلى رسول الله ﷺ جاريتين وبغلة، فكان يركب البغلة بالمدينة واتخذ إحدى الجاريتين لنفسه، وقال الهيثمي في المجمع عن هذا الخبر: «رجال البزار رجال الصحيح». وأخرج ابن كثير في البداية (٥/٣٤٠) من رواية أبي بكر بن خزيمة بإسناد فيه محمد بن زياد، وهو صدوق مخطئ، وبشير بن المهاجر وهو صدوق لين الحديث، وبقي رجاله ثقات، وفيه حديث البزار، ولفظه: «أهدى أمير القبط إلى رسول الله ﷺ جاريتين أختين، وبغلة، فكان يركب البغلة بالمدينة واتخذ إحدى الجاريتين فولدت له إبراهيم ابنه، وهوب الأخرى».

وقد خطأ البزار شيخه محمد بن زياد في هذا الحديث، فقال بعد أن رواه: «وهو ابن زياد في هذا، فرواه عن ابن عيينة، وابن عيينة ليس عنده بشير بن المهاجر، ولكن رواه عن بشير بن حاتم بن إسحاق ودهم بن دهم». قلت: فإن صحت رواية ابن عيينة عن بشير ودهم، فالخبر صحيح، والله أعلم.

وانظر: نصب الراية (٤/٤٢٤)، وإعلام السالكين لابن طولون، ص ٧٧ - ٨١. وفيه الرسائل المتبادلة بين القوقس والرسول ﷺ.

وانظر: دراسة الدكتور عون الشريف قاسم لهذه الرسائل في مؤلفه، دبلوماسية محمد ﷺ، ص ٨٠ - ٨٦ (تحليل الرسائل) و ص ٢٥٦ - ٢٥٨ (نصوص الرسائل ومصادرها). وأشار في ص ٨١ - ٨٥ إلى الجدل الذي أثير حول اكتشاف المستشرق الفرنسي بارتيلمي مخطوطة الرسالة التي بعثها الرسول ﷺ إلى القوقس سنة ١٨٥٠م، واقتنع بارتيلمي بأن المخطوط صحيح.... وانظر: فتوح مصر لابن عبدالحكم، ص ٤٦، وفيه أقدم نص لرسالة النبي ﷺ إلى القوقس، والمواهب اللدنية للقسطنطيني (١/٢٩٢ - ٢٩٣) وفيه نص الرسالة.

(٣٨) عيون الأثر (٢/٢٦٦ - ٢٦٧) وانظر نص الرسائل عنده وعند ابن طولون، ص ٥٦ - ٥٧، والزليخاني: نصب الراية (١٤/٤٢٠) وصحح الأعمش (٦/٣٦٨)، والكامل لابن الأثير (٢/٢١٥)، وعند ابن سعد في الطبقات طرف منها (١/٢٦٣)، وتحالف روايته رواية ابن سيد الناس من حيث التاريخ لأن ابن سعد يذكر أنها في العام الثامن، مسيره من الجعرة.

وهناك روايات أخرى تشير إلى رسالة الرسول ﷺ الأولى إلى المنذر، ولكنها في رجب سنة تسع هجرية، منصرفه من تبوك^(٣٩).

المبحث الثامن: كتاب النبي ﷺ إلى جَيْفَر وعبد ابني الجَلَنْدِيِّ:

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان بكتابة إلى جيفر وعبد ابني الجَلَنْدِيِّ الأزديين بعمّان، فأسلما، وصدقا، وخطيا بين عمرو بن العاص والصدقة، وترك أمر الحكم لهما^(٣٩).

المبحث التاسع: رسائل أخرى متفرقة:

٩- وكتب النبي ﷺ كتابا إلى أهل دَمَا، وهي قرية من قرى عُمان، وكان عليها رجل من أساورة كسرى، يقال له بستجان. وروى الكتاب ابن طولون^(٤١) بسنده إلى أبي شداد، رجل من أهل دما، ونصه:

«من محمد رسول الله الى أهل عمان، سلام، أما بعد: فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدوا الزكاة، وخطوا المساجد، كذا وكذا، وإلا غزوتكم».

١٠- وكتب رسول الله ﷺ إلى رَعِيَةِ السَّحْمِي، فأخذ الكتاب ووقع به دلو، فبعث إليه الرسول ﷺ سرية فأخذت ماله وأهله. فجاء المدينة نادما، فبايع على الإسلام، وأحرز أهله^(٤٢).

١١- وكتب إلى مسيلمة الكذاب - زعيم اليمامة - يدعوه إلى الإسلام مع

(٣٩) أورد نصها ابن طولون، ص ٥٨ من رواية الواقدي التي ذكرها الزيلعي في آخر كتاب: تخريج أحاديث الهداية (٤١٩/٤ - ٤٢٠)، وفيها ما أسنده الواقدي عن عكرمة بنحو ما تقدم عن ابن سيد الناس، وذكر القلقشندي (٣٧٦/٦) نص رسالة النبي ﷺ إلى المنذر والتي أوردتها أبو عبيد في الأسوال، كتاب الفقه، ووجهه، باب الجزية، ص ٢٨.

(٤٠) عيون الأثر (٢٦٧/٢)، المواهب اللدنية (٣٥٢/٣)، نصب الراية (٤٢٣/٤ - ٤٢٤)، إعلام السائلين، ص ٩٢ - ٩٦.

(٤١) إعلام السائلين، ص ٩٧ - ٩٨، وابن الأثير (٢٢٥/٥). وقيل إن دما مدينة تذكر مع دبا كانت من أسواق العرب المشهورة - معجم البلدان: (٤٦١/٢) وقد أشار إلى هذه الرسالة.

(٤٢) روى قصته ابن حجر في الإصابة (٥١٦/١)، وابن طولون في إعلام السائلين، ص ٩٩ - ١٠١، وكلاهما من حديث الشعبي. وجاء خبره في مستد أحمد (٥٨٥/٥). وقال ابن حجر في الإصابة (٥١٦/١): «وروى حديثه ابن أبي شيبه، وقال: قال ابن السكن: إسناده حديثه صالح».

عمرو بن أمية الضمري^(٤٣). فكتب إليه مسيلة جوابا على كتابه، ونصه «من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلام عليك. أما بعد: فإني أشركت معك في الأمر، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم يعتدون»^(٤٤).

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب، فعندما قرىء عليه قال لهما: «فما تقولان أنتما؟» قالا: «نقول كما قال»، فقال عليه السلام: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»^(٤٥). ثم كتب إليه الرسول ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: «إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»^(٤٦).

ثم كان ماكان من أمر مسيلة وفتنته في عهد أبي بكر الصديق وقضاء أبي بكر عليهما بعد خسارة فادحة في الأرواح بين الطرفين.

١٢ - وكتب الرسول ﷺ كتابا إلى عظيم بَصْرَى وأرسله مع الحارث بن عُمَيْر الأزدي. فعرض له شُرْحُبِيل بن عمرو الغساني بموثة، فأوثقه رباطا، ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره^(٤٧).

١٣ - وكتب النبي ﷺ إلى بكر بن وائل^(٤٨).

١٤ - وكتب إلى بني عمرو من حمير، يدعوهم إلى الإسلام^(٤٩).

١٥ - وكتب إلى جَبَلَةَ بن الأَئِهم ملك غسان، يدعوهم إلى الإسلام^(٥٠).

(٤٣) ابن سعد (٢٧٣/١)، من رواية شيخه الواقدي فالرواية ضعيفة لأن الواقدي متروك.

(٤٤) ابن هشام (٣٢٩/٤) معلقا والمعلق من أقسام الضعيف.

(٤٥) رواه أحمد في مسنده (٤٨٧/٣)، وأبو داود في سننه. برقم (٢٧٦١) وإسناده صحيح كما في حاشية زاد المعاد (٦١١/٣). وابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٢٩/٤). والمنقطع من أقسام الضعيف.

(٤٦) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع لأنه أبهم أسم الشيخ الأشجعي الذي حدثه - ابن هشام (٣٢٩/٤) - والآية: ١٢٨ من سورة الأعراف (والتقطع ضعيف كما قلنا).

(٤٧) الواقدي (٧٥٥/٢ - ٧٥٦).

(٤٨) رواه ابن حبان في صحيحه - الموارد - برقم (١٦٢٦) بسنده إلى أنس (رضي الله عنه)، وانظر: إعلام السائلين لابن طولون، ص ١٣٢، ونصب الرابة للزبلي (٤١٩/٤).

(٤٩) ابن سعد (٢٦٥/١) من رواية الواقدي.

(٥٠) المصدر والمكان نفسهما.

- ١٦ - وبعث رسول الله ﷺ جرير بن عبدالله البجلي بكتابه إلى ذي الكلاع ابن ناكور وإلى ذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما، وأسلمت امرأة ذي الكلاع^(٥١).
- ١٧ - وكتب إلى معاذي كرب بن أبرهة، وأن له ما أسلم عليه من أرض خولان^(٥٢).
- ١٨ - وكتب إلى أسقف بني الحارث بن كعب وأساقفه نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم^(٥٣).
- ١٩ - وكتب إلى يحنة بن روبة صاحب أيلة^(٥٤).
- ٢٠ - وإلى أبي ظبيان الأزدي من غامد، فأجابه في نفر من قومه بمكة^(٥٥).
- ٢١ - وإلى الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كلال من حير. وبعث الكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي^(٥٦).
- ٢٢ - وإلى نُفَّاثَة بن قُروَة الدثلي ملك السهاوة^(٥٧).
- وكتب إلى غير هؤلاء ممن ذكرهم ابن سعد في طبقاته وغيره من المؤرخين.

المبحث العاشر: فوائد وحكم وعبر في هذا المقطع من السيرة:

- ١ - تؤكد هذه الرسائل على حقيقة معلومة ذكرناها في أول هذا الفصل، وهي أن الإسلام دين عالمي، لذا كان واجب الرسول ﷺ إبلاغ الدعوة إلى كل من يعرف من الناس وبكل الوسائل المتاحة في ذلك الزمان.
- ٢ - إن رفض بعض الحكام للدعوة الإسلام نابع من حُبهم لسلطتهم وتكبرهم وتجبرهم وليس لعدم قناعتهم بالإسلام.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٢٨٢، من حديث الزهري.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

- ٣ - دل اتخاذ الرسول ﷺ خاتما من فضة يَختَم به رسائله على مشروعية اتخاذ الخاتم، كما دل على مشروعية نقش اسم صاحبه عليه. وقد استدل كثير من العلماء بذلك على استحباب وضع خاتم من فضة في الأصبع التي كان الرسول ﷺ يضع خاتمه فيها، وهي أصبع الخنصر.
- ٤ - إن جعله ﷺ اسم الله أعلى في الخاتم واسمه الأدنى، فيه من تعظيم الله وإعظام اسمه ما لا يقادر قدره.
- ٥ - إن إقراره ﷺ لمن كتب إليهم بأن يبقوا على ملكهم نابع من سياسته الرشيدة وتدبيره الحسن للأمور.

الفصل السابع عشر

السرايا بين غزوة خيبر وعمره القضاء:

المبحث الأول: سرية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى ثُربة:

بعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين راكبا إلى بني نضر بن معاوية بن بكر ابن هوازن وبني جشم بن بكر بن هوازن الذين كانوا بترية، وهو موضع قريب من مكة، وعندما علموا بمسير المسلمين اليهم هربوا، فعاد عمر وأصحابه وبنو نضر وبنو جشم هم عَجَزُوا هوازن. وكان ذلك في شعبان سنة سبع من الهجرة^(١).

المبحث الثاني: سرية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى نجد:

بعثه الرسول ﷺ إلى بني فزارة في أرض نجد، فشن عليهم الغارة، فقتل منهم من قتل، وكان معه في السرية سلمة بن الأكوع، حيث تمكن من أسر مجموعة من الذراري، فنقله أبو بكر منهم جارية جميلة، طلبها منه الرسول ﷺ، وفدى بها أسرى من المسلمين بمكة^(٢). وكانت هذه السرية في شعبان سنة سبع من الهجرة^(٣).

المبحث الثالث: سرية بشير بن سعد إلى ناحية فَذَك:

أرسله الرسول ﷺ في ثلاثين رجلا إلى بني مُرة بفذك، فتمكن من استياع

(١) الواقدي (٢/٧٢٢)، ابن سعد (٢/١١٧) معلقا.

(٢) أخرج الخبر بثبانه مسلم (٣/١٣٧٥ - ١٣٧٦) ح (١٧٥٥). ورواه الواقدي مختصراً، وابن سعد (٢/١١٧ - ١١٨) بمثل رواية مسلم.

وفي خبر الجارية وفداء الرسول ﷺ بها أسرى من المسلمين بمكة دليل على مشروعية فداء أسرى المسلمين بأسرى مشركين وقعوا في أيدي المسلمين.

(٣) ابن سعد (٢/١١٧).

نعمهم بينما كانوا في بواديهم. وعندما علموا بالخبر أدركوه، وأصابوا أصحابه، وولى منهم من ولى، وقاتل بشير ببسالة حتى سقط، وظنوه قد مات. ورجعوا بأنعامهم. وفي المساء تمكن بشير من اللجوء إلى فذك، وأقام عند يهودي أياما حتى ضمدت جراحه، فرجع إلى المدينة. ونقل خبر مصابهم إلى المدينة عُلبة بن زيد الحارثي.

وكان ذلك في شعبان سنة سبع من الهجرة^(٤).

المبحث الرابع: سرية غالب بن عبدالله إلى الميِّقة^(٥):

الراجع أن هذه السرية هي التي عناها البخاري^(٦) ومسلم^(٧) وابن إسحاق^(٨) في روايتهم من حديث أسامة بن زيد. قال أسامة: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة من جهينة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحى حتى قتلت، فلما قدما بلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قلت يارسول الله، إنما كان متعوذا، قال: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم اكن أسلمت قبل ذلك اليوم».

وعند ابن إسحاق أن اسم الرجل المقتول «مرداس بن نهيك، من الحُرقة، من جهينة، وحليف لبني مرة. وعند الواقدي^(٩) أن اسمه نهيك بن مرداس، ولكن السرية عنده هي سرية غالب بن عبدالله إلى مصاب بشير وأصحابه، وعند ابن أبي عاصم أن اسمه مرداس الفدكي، وأنه مات في المعركة^(١٠).

(٤) الواقدي (٧٢٣/٢)، ابن سعد (١١٨/٢ - ١١٩) معلقا.

(٥) الميِّقة: وراء بطن نخل إلى النقرة بناحية نجد، وبينها وبين المدينة ثمانية برد. وهي ماء لبني عبد ابن ثعلبة وبني عوال.

انظر: الطبقات (٨٦/٢).

(٦) الفتح (١٣/٢٦) ح/١٣٧٢ واللفظ للبخاري.

(٧) الصحيح (٩٦/١ - ٩٧/١) ح/٩٧، (١٥٩)، وانظر عنده من غير حديث أسامة (٩٧/١) ح/١٦٠.

(٨) نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٢٤٨/٤) وإسناده حسن.

(٩) المغازي (٧٢٤/٢).

(١٠) ذكره ابن حجر في الفتح (١٢/٢٦ - ١٣).

والراجح أن اسمه مرداس بن نهيك كما هو عند ابن إسحاق، وأن الذي قتله هو أسامة بن زيد.

أما الواقدي^(١١) وابن سعد^(١٢) فقد ذكرا أن سرية غالب بن عبدالله التي وقعت فيها قصة أسامة مع الرجل الذي قال لا إله إلا الله فقتله على الرغم من ذلك، كانت إلى الميفعة، وأن عدتها مائة وثلاثون راكبا بعثهم الرسول ﷺ إلى بني عبد بن ثعلبة وبني عُوال، وفيهم يسار مولى رسول الله ﷺ، الذي قادهم إلى مكان العدو، حيث أوقعوا به واستاقوا نعمه وشاءه، وقتلوا من أشرف إليهم، وذلك في رمضان سنة سبع من الهجرة.

وذكر ابن سعد أن الرسول ﷺ قال لأسامة عندما بلغه خبر قتله الرجل الذي نطق بالشهادتين: «ألا شققت قلبه فتعلم صادق هو أم كاذب؟ فقال أسامة: لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله».

إن في هذا اللوم تعليلاً وبلاغاً في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وإنما كلف الإنسان بالعمل الظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس للإنسان طريق إلى ما فيه. وفيه دليل على ترتيب الأحكام على الأسباب الظاهرة دون الباطنة^(١٣).

المبحث الخامس: سرية بشير بن سعد إلى الجَنَاب:

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من غَطَفَانِ بالجَنَابِ قد واعدتهم عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ ليكون معهم ليزحفوا على المدينة، فدعا رسول الله ﷺ بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلاثمائة رجل، حتى أتوا إلى يَمْنٍ وجَبَّارٍ وهم نحو الجَنَابِ، والجَنَابِ يعارض سلاح وخير ووادي القرى، فنزلوا بسلاح، ثم دنوا من القوم، فأصابوا لهم نعماً كثيراً، وتفرق الرعاء وحذروا القوم، فتفرقوا ولحقوا بعلياء بلادهم. ولذا لم يجد بشير عندما حل بديارهم ومحالهم إلا

(١١) المغازي (٢/ ٧٢٦ - ٧٢٧) بإسناده.

(١٢) الطبقات (٢/ ١٩٩) معلقاً.

(١٣) انظر ابن حجر: الفتح (٢٦/ ١٣).

رجلين، فأسرهما وقدم بهما على رسول الله ﷺ فأسلما، فأرسلهما. وكان ذلك في شوال سنة سبع من الهجرة^(١٤). وفي رواية أنهم عندما أتوا أسفل خيبر أغاروا على المشركين وقتلوا عينا لعينة، ثم لقوا جمع عينة فناوشوهم، ثم انكشف جمع عينة، وأسر منهم رجالان^(١٥).

وكانت هذه السرية سببا في أن يفكر عينة في أمر الإسلام لحوار دار بينه وبين حليفه الحارث بن عوف المري وفروة بن هُبيرة القشيري. وكانت خلاصة الحوار أن أخذوا يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى^(١٦)، ثم أصبح من المؤلفة قلوبهم كما استفاضت الأخبار في ذلك. فقد ثبت أنه حضر حيننا مع الرسول ﷺ كما في رواية ابن إسحاق^(١٧).

(١٤) ابن سعد (١٢٠/٢) معلقا، الواقدي (٧٢٧/٢ - ٧٢٨). والإسنادان ضعيفان.

(١٥) الواقدي (٧٢٨/٢) وإسناده ضعيف جدا لأن الواقدي متروك في الحديث كما قلنا.

(١٦) انظر قصتهم عند الواقدي (٧٢٩/٢ - ٣١).

(١٧) ابن هشام (٣٦٤/٤ - ٦٦١) وإسناده حسن.

الفصل الثامن عشر

عمرة القضاء:

خرج رسول الله ﷺ والمسلمون إلى مكة في ذي القعدة من العام السابع الهجري لأداء العمرة حسب الشروط التي تمت في صلح الحديبية^(١). فقد روى البيهقي^(٢) وابن سعد^(٣) أن المسلمين صحبوا معهم أسلحتهم، ووضعوها بيّاجج^(٤)، خارج الحرم، ودخلوا بسلاح الراكب، السيوف، كما هو الشرط.

لقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان، منهم الذين شهدوا الحديبية^(٥).

وعندما دخل الرسول ﷺ مكة كان عبدالله بن رَوَاحَة ينشد بين يديه:

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله^(٦)
وعندما أشاعت قريش أن المسلمين ضعفاء بسبب حمى يثرب، أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يرملوا ويسارعوا بالعدو في الأشواط الثلاثة الأولى

(١) من رواية ابن إسحاق - معلقة - ابن هشام (١٨/٤ - ١٩) وموسى بن عقبة عن الزهري، وعبد الله بن عبد الأعلى الصنعائي عن المعتمر بن سليمان التيمي عن أبيه، وابن هزيمة عن الأسود عن عروة كما في دلائل البيهقي (٣١٣/٤ - ٣١٤)، ويعقوب بن سفيان بسند حسن عن ابن عمر كما في الفتح (٨٤/١٦) ك. المغازي/ب. عمرة القضاء. وانظر الشروط في فصل غزوة الحديبية.

(٢) الدلائل (٣١٤/٤) وإسناده مرسل، من حديث موسى بن عقبة عن الزهري. (٣) الطبقات (١٢١/٢) معلقا.

(٤) واد قريب من مكة، أو مكان من مكة على ثمانية أميال - معجم البلدان (٤٢٤/٥).

(٥) قال الحاكم في الإكمال إن الأخبار تواترت بذلك - ابن حجر: الفتح (٨٤/١٦).

(٦) رواه الترمذي وقال: «حديث حسن غريب». كما ذكر ابن حجر في الفتح (٨٦/١٦). وانظر الروايات الأخرى التي فيها أبيات أخرى تنسب إلى ابن رَوَاحَة وغيره في هذا المقام وغيره عند ابن حجر في الفتح (٨٥/١٦ - ٨٦).

من طوافهم، وأن يسعوا بين الصفا والمروة مهرولين ليرى المشركون قوتهم^(٧). ففعلوا ما أمروا به، فرأتهم قريش وهي مصطفة على جبل قبيعان في مواجهة ما بين الركنين، فتعجبوا من قوتهم^(٨)، وقالوا هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا^(٩).

وعندما فرغ رسول الله ﷺ من أداء مناسك العمرة أمر جماعة من الصحابة أن يذهبوا إلى أصحابهم بطن يأجج فيقيموا على السلاح ويأتي الآخرون الذين كانوا في حراسة السلاح ليقضوا نسكهم، ففعلوا، ثم دخل الكعبة ومكث بها إلى الظهر، ثم أمر بلالا فأذن على ظهر الكعبة^(١٠).

وعندما انقضت الأيام الثلاثة، جاءت قريش في صباح اليوم الرابع إلى علي (رضي الله عنه)، فقالوا: «قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل». فخرج النبي ﷺ^(١١) ونزل بسرف، فأقام بها إلى أن تمام الناس، ثم انصرف إلى المدينة المنورة في ذي الحجة^(١٢).

وفي هذه العمرة تزوج ﷺ بميمونة بنت الحارث العامرية - أخت أم الفضل زوج عمه العباس - فبنى بها ﷺ بسرف^(١٣). والراجح أن هذا الزواج كان بعد أن تحلل الرسول ﷺ من إحرامه^(١٤).

(٧) البخاري/ الفتح ٩٦/١٦ ح/ ٤٢٥٦، ٤٢٥٧، مسلم ٩٢٣/٢ ح/ ١٢٦٦.

(٨) البخاري/ الفتح ٩٦/١٦ ح/ ٤٢٥٦، ٤٢٥٧، وأحمد: المسند (٤/٢٣٩/شاكراً) بإسناد صحيح.

(٩) مسلم ٩٢٣/٢ ح/ ١٢٦٦.

(١٠) ابن سعد (١٢٢/٢) معلقاً.

(١١) البخاري/ الفتح ٩٦/١٦ - ٨٩ - ٩٠ ح/ ٤٢٥١.

(١٢) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام ٢٢/٤ - ٢٣، ابن سعد (١٢٢/٢) معلقاً.

(١٣) من رواية: البخاري/ الفتح ٩٧/١٦ ح/ ٤٢٥٩.

(١٤) قاله ابن القيم في الزاد (٣٧٢/٣ - ٣٧٤) واستاده في ذلك قول ابن السبب عند أبي داود: السنن (٤٢٥/٢) ك. المناسك/ ب. المحرم يتزوج) والبيهقي في الدلائل (٤/٣٣٢، ٣٣٦)، ومسلم من حديث ميمونة (١٠٣٢/٢ ح/ ١٤١١) وأبو داود: السنن (٤٢٢/٢) ك. المناسك/ ب. المحرم يتزوج) وابن ماجه السنن: (١/٦٣٢) ك. النكاح/ ب. المحرم يتزوج/ ح/ ١٧٣/٢٢) وأحمد (٣٣٦ - ٣٣٥) وحديث أبي رافع عند أحمد (٣٩٣/٦) والفتح الرباني (١٧٣/٢٢)، والترمذي السنن (٣/١٩١ - ١٩٢) ك. الحج/ ب. كراهية تزويج المحرم/ ح/ ٨٤١)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن... وأبو رافع من الذين سمعوا في أمر هذا الزواج، وهو الذي جاء بميمونة إلى الرسول ﷺ وهو بسرف. وأما قول ابن عباس في الصحيحين وغيرهما «إن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال»، فقد عده ابن القيم وهما. انظر الحديث في البخاري: الفتح (٩٧/١٦ ح/ ٤٢٥٨) ومسلم (١٠٣١/٢ - ١٠٣٣ ح/ ١٤١٠). وقد ساق الدكتور قلعة جي في حاشيته على دلائل النبوة للبيهقي (٤/٣٣٢ - ٣٣٥) أقوال العلماء في هذه المسألة.

وكانت ميمونة تحت أبي رهم بن عبد العزى، وقيل تحت أخيه حُوَيْطِب.
وقيل سَخْبُرَة بن رهم^(١٥).

ولما أراد الرسول ﷺ الخروج من مكة، تبعتهم الطفلة عمارة ابنة حمزة تنادي: يا عم يا عم، فأخذها علي ودفعها لفاطمة، وهي ابنة عمه، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، ففضى بها رسول الله ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم» وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»^(١٦)، وكان هذا القضاء لأن جعفر محرم لها، إذ لا يجمع الرجل بين المرأة وخالتها في الزواج^(١٧).

وفي هذه القصة من الفقه: أن الخالة مقدمة في الحضانة على سائر الأقارب بعد الأبوين... وفيها حجة لمن قدم الخالة على العمة، وقراءة الأم على قرابة الأب، لأن الرسول ﷺ عندما قضى بعمارة لخالتها فقد كانت صفية عمتها موجودة إذ ذاك، وهذا قول الشافعي، ومالك وأبي حنيفة، وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وفي الرواية الثانية: إن العمة مقدمة على الخالة، وهو اختيار الشيخ ابن القيم^(١٨).

(١٥) ذكره ابن حجر في الفتح (٩٧/١٦).
(١٦) البخاري/ الفتح (٩٠/١٦) - ٩٣ ح، أبوداود: السنن (٧٠٩/٢ - ٧١٠/١ ك.
الطلاق/ ب. من أحق بالولد/ ح (٢٢٧٨).
(١٧) انظر ابن حجر: الفتح (٩٢/١٦) وما بعدها.
(١٨) زاد المعاد (٣٧٥/٣ - ٣٧٦).

الفصل التاسع عشر

السرايا والاحداث بين عمرة القضاء وسرية مؤتة:

المبحث الأول: سرية ابن أبي العوجاء السلمي:

عندما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضاء بعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين فارسا، وكان معهم عين لبني سليم، فلما فصل من المدينة خرج العين إلى قومه فأخبرهم، فجمعوا جمعا غفيرا واستعدوا للقاء المسلمين. وعندما جاءهم المسلمون دعوهم إلى الإسلام فرفضوا، وأحدقوا بالمسلمين، فقتلوا عامتهم، وأصابوا ابن أبي العوجاء وتركوه جريحا بين القتلى، ثم تحامل حتى بلغوا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة^(١).

المبحث الثاني: إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد (رضي الله عنهما):

روى أحمد^(٢) وابن إسحاق^(٣) أن عمرو بن العاص عندما رأى علو شأن الرسول ﷺ تحدث مع من يسمعون له من رجال قريش في أمر محمد ﷺ وأقنعهم بالخروج معه إلى النجاشي، فهو أحب إليهم أن يكونوا عنده من أن يكونوا تحت يدي محمد إذا ظهر، وإن ظهر قومهم فلن يأتيهم منهم إلا الخير لمعرفتهم بهم. وجمعوا جلودا ليهدوها إلى النجاشي لأن ذلك أحب ما يهدى إليه من أرض الحجاز. واتفق أن جاؤوا النجاشي وعنده عمرو بن أمية الضمري رسولا من النبي ﷺ، فعندما خرج من عند النجاشي دخل عليه عمرو وطلب منه أن يعطيه إياه ليقتله لأنه من عدوه، فغضب منه

(١) الواقدي (٧٤١/٢) بإسناده إلى الزهري، ابن سعد (١٢٣/٢) معلقا، البيهقي في الدلائل (٣٤١/٤) مختصرا ومرسلا من حديث موسى بن عقبة عن الزهري. فالإسانيد ضعيفة.

(٢) الفتح الرباني (١٣٣/٢٩١ - ١٣٦) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن.

(٣) ابن هشام (٣٨٤/٣ - ٣٨٦) بإسناد حسن، وعن ابن إسحاق رواه أحمد كما قلنا. وروى الواقدي بتفاصيل أكثر (٧٤١/٢ - ٧٥٠) وفيه قصة إسلام خالد بتفصيل أوفى مما عند ابن إسحاق وأحمد.

النجاشي وضربه على أنفه، فخاف واعتذر، ثم قذف الله في قلبه الإسلام لما رأى حماسة الناس حتى العجم في الإيمان بمحمد والدفاع عنه. ولم يتردد عمرو في مبايعة النجاشي على الإسلام عندما اقترح عليه النجاشي ذلك، ثم خرج وكنتم إسلامه عن أصحابه وعاد إلى بلاده.

وقبيل الفتح^(٤) خرج عمرو بن العاص عامداً إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ليسلم، فلقيه خالد بن الوليد يريد ما يريد عمرو فقدموا سوياً على الرسول ﷺ، فبايعا على الإسلام.

ومما يؤكد أن إسلام عمرو وخالد كان في التاريخ الذي ذكره ابن إسحاق والواقدي أن اسم خالد ظهر في سرية مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة وأن اسم عمرو بن العاص ظهر في سرية ذات السلاسل في جمادى الثانية سنة ثمان من الهجرة، كما سيأتي بيان ذلك في المبحث الخاص بهما.

أما قصة إسلام خالد فقد رواها الواقدي^(٥)، وخلاصتها أن خالداً عندما أراد الله به ما أراد من الخير وقذف في قلبه الإيمان، كان ينصرف بعد كل موطن شهده ضد رسول الله ﷺ ويفكر، فيرى في نفسه أنه في موضع غير موضعه وأن محمداً سيظهر، وفي غزوة الحديبية بالذات تأكد له أن الرسول ﷺ ممنوع، لأنه عندما هم أن يغير بخيله على رسول الله ﷺ بعسفان، أطلع الله رسوله ﷺ على ما في أنفسهم فصلى بأصحابه صلاة الخوف، ولم يترك لهم فرصة. وعندما تم الصلح بالحديبية رأى أنه لم يبق شيء، ففكر في الذهاب إلى النجاشي وهرقل، وبينما هو يقلب هذا الأمر في ذهنه، دخل رسول الله ﷺ في عمرة القضاء، فتغيب، ودخل أخوه الوليد في الإسلام في هذه العمرة، وطلبه فلم يجده، فكتب إليه كتاباً فيه تعجبه من مثله في ذهاب عقله عن الإسلام، وذكر له سؤال الرسول ﷺ عنه وقوله

(٤) وقد حدد الواقدي تاريخ هذا الخروج باليوم الأول من صفر سنة ثمان من الهجرة (المغازي ٧٤٥/٢)، وهي من رواية عبد الحميد بن جعفر، شيخ الواقدي.

(٥) المغازي (٧٤٥/٢ - ٧٤٨)، وابن سعد (٢٥٢/٤) معلقاً، وبدأ القصة هنا من لقاء خالد بعثمان ابن طلحة. وخبر لقائه بعمر بن العاص في طريقه إلى المدينة ليسلم رواه ابن إسحاق، ومن طريقه رواه أحمد ضمن خبر إسلام عمرو بن العاص كما ذكرنا، فانظر الحكم على الرواية هناك.

عنه: «ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره...». فلما جاءه كتاب أخيه نشط للهجرة، وزاده رغبة في الإسلام أنه رأى في المنام كأنه في بلاد ضيقة جدبة، فخرج منها إلى بلاد خضراء واسعة، فقال: إن هذه لرؤيا، فذكرها لأبي بكر عندما قدم المدينة، فقال: هو مخرجك الذي هداك الله للإسلام والضيقة هو الشرك.

وعندما أجمع الهجرة أراد أن يرافقه رجال في مكانته، فاتصل بصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، فرفضا، فتركهما فخرج، وعند خروجه التقى بصديقه عثمان بن طلحة فذكر له ما يريد، فعلم منه أنه يريد ما يريد، فاتعدا بيأجج، وخرجا سحرا والتقيا عند الفجر بيأجج وسارا حتى انتهيا إلى الهدة، فوجدا عمرو بن العاص بها، فتعارفوا ثم ساروا سويا إلى المدينة فأسلموا، وكان ذلك في صفر سنة ثمان من الهجرة.

المبحث الثالث: سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد:

أمره رسول الله ﷺ أن يشن الغارة على بني المُلُوح، وهم بالكديد^(٦)، وفي طريقه إليهم، وفي منطقة قُدَيْد^(٧) لقوا الحارث بن مالك، وهو ابن البرصاء الليثي، فأخذه، فأخبرهم أنه في طريقه إلى الرسول ﷺ ليسلم، فلم يطمئنوا إليه، فأوثقوه واعتذروا إليه بأن رباط ليلة لن يضره، وتركوه مع رجل أسود من أصحابه، وأوصوه أن يقتله إذا غالبه. وأتوا الكديد عند الغروب، فكمتموا وأرسلوا جُنْدَبَ بن مَكَيْثَ الجهني طليعة لهم، فأتى تلا مشرفا على الحاضر، فرأى رجل من الأعداء أن هناك شيئا مريباً فأصابه بسهم فلم يتحرك حتى لا يكشف أمر أصحابه، ونزع السهم من جسده ووضع، وفي السحر شنوا الغارة على الأعداء واستاقوا النعم، ومضوا بها، ومروا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملوهما معهم، وفي هذا الأثناء استغاث

(٦) منطقة بين عسغان وقديد.

(٧) قديد: قرية جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه. انظر: وفاء الوفا للسهمودي (٤/١٢٨٧).

القوم فجاءهم جمع غفير لا قبل للمسلمين به، فساروا في إثرهم حتى قربوا منهم، ولم يكن بينهم وبين المسلمين إلا وادي قديد، فأرسل الله الوادي بالسيل من غير سحاب ولا مطر، فلم يستطيعوا تجاوزه، ونجا المسلمون منهم^(٨).

وكانت هذه السرية في صفر سنة ثمان من الهجرة، وكانوا بضعة عشر رجلا^(٩).

المبحث الرابع: دروس وعبر من أحداث هذه السرية:

(١) إن إرسال الله تعالى الوادي بالسيل ليمنع الأعداء من الإيقاع بالمسلمين كرامة لهم.

(٢) وفي خبر إصابة جندب بسهم في جسده ومع ذلك لم يتحرك، للدليل على تفاني المسلمين الأوائل وتحملهم أشد أنواع الأذى في سبيل هذه الدعوة.

(٣) إن في خبر ربط المسلمين ابن البراء دليلا على أهمية أخذ الحذر من الأعداء.

(٤) وفي إرسال الطلائع للتجسس على أخبار الأعداء دليل على أهمية اتخاذ العيون أخذا بالأسباب في المحافظة على أرواحهم والإيقاع بالعدو، وأخذه على حين غرة مادامت قد بلغت الدعوة، وأخذ في تهديد أمن المسلمين.

المبحث الخامس: سرية غالب بن عبدالله الليثي أيضا إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك:

هيا رسول الله ﷺ الزبير بن العوام في مائتي رجل ليسير إلى مصاب

(٨) رواه ابن إسحاق بإسناد ضعفه محققا سرية ابن هشام (٤/٣٤١ - ٤٣) لأنه فيه مسلم بن عبدالله، وهو مجهول. ورواه بإسناد ابن إسحاق هذا أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/١٢٨) وقال الساعدي: وسنده جيد، وابن سعد (٢/١٢٤)، وأبو داود (٣/١٢٨ - ١٢٩) ك. الجهاد/ ب. في الأسير يوثق/ ح (٢٦٧٨)، ولم يصرح عنده ابن إسحاق بالسباع، والواقدي (٢/٧٥٠ - ٧٥٢). (٩) من رواية الواقدي وابن سعد - انظر الحاشية نفسها وهي ضعيفة.

أصحاب بشير بن سعد بفدك. وعندما عاد غالب من سرية الكديد أرسله مكان الزبير، وقيل خرج معه في هذه السرية أسامة بن زيد وعُلبه بن زيد، فأصابوا منهم نعيماً، وقتلوا منهم قتلى^(١١). وقيل كان ذلك في صفر سنة ثمان من الهجرة^(١٢).

وذكر الواقدي^(١٣) أن أسامة بن زيد قتل في هذه السرية نهيك بن مرداس وهو يقول لا إله إلا الله، وعنفه الرسول ﷺ لهذا المسلك. وروى بإسناده إلى المقداد بن عمرو أنه قتل رجلاً شهد أن لا إله إلا الله، فعنفه الرسول ﷺ لذلك، ولم يذكر أن ذلك كان في هذه السرية.

ويبدو الاختلاف ظاهراً في قصة الرجل الذي قال لا إله إلا الله فقتله أحد الصحابة، فمرة أنه أسامة، ومرة أنه المقداد، ومرة في سرية الحرقة ويسمى القاتل ولا يسمى المقتول، ومرة في سرية الكديد، ومرة ثالثة في سرية الميفعة. والراجح كما قلنا، وكما هو ثابت في الصحيحين أن قصة قتل أسامة لرجل شهد أن لا إله إلا الله قد وقعت في سرية الحرقة من جهينة، وسمى ابن إسحاق الرجل المقتول، وهو مرداس بن نهيك، وإسناده صحيح^(١٤).

المبحث السادس: سرية كعب بن عُمر إلى قُضَاعَة بذات أطلّاح:

أرسله رسول الله ﷺ في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلّاح من أرض الشام، من وراء وادي القرى، وذلك في ربيع الأول من العام الثامن الهجري^(١٥)، فكان يسير الليل ويكمن النهار، حتى دنا منهم، فرآه عين لهم فأخبرهم بقله عددهم فجاءوهم على الخيول فقتلوهم إلا رجلاً واحداً أفلت منهم فأخبر الرسول ﷺ بما حدث، فهم بالبعث إليهم، ولكنه بلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر، فتركهم^(١٦).

(١٠) الواقدي (٧٢٣/٢ - ٧٢٦)، ابن سعد (١٢٦/٢) من رواية الواقدي بإسناده.

(١١) قاله ابن سعد (١٢٦/٢) معلقاً. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

(١٢) المغازي (٧٢٤/٢ - ٧٢٥) والواقدي متروك، قال رواية ضعيفة جداً.

(١٣) انظر البحث الرابع من الفصل السابع عشر - سرية غالب بن عبدالله إلى الميفعة.

(١٤) الواقدي (٧٥٢/٢ - ٧٥٣)، ابن سعد (١٢٧/٢ - ١٢٨) من رواية الواقدي.

(١٥) المصدران والمكانان نفسهما، وابن إسحاق مختصراً ومعلقاً - ابن هشام (٣٥٦/٤ - ٣٥٧) والمعلق

من أقسام الضعيف كما علمت.

المبحث السابع: دروس وعبر:

١) في هذه السرية درس بليغ للناس عما كان يقع للصحابه المجاهدين في سبيل الدعوة الإسلامية. وقد تكرر مثل هذه الحادثة كثيرا كما هو واضح من سردنا لأحداث هذه السرايا الصغيرة.

المبحث الثامن: سرية شُجَاع بن وَهَب إلى السِّيِّ من أرض بني عامر:

في ربيع الأول من العام الثامن الهجري بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن بالسي، من أرض بني عامر، ناحية رُكْبَة، فأغاروا عليهم، فأصابوا نعما كثيرا وشاء، فعادوا بها بعد غياب دام خمس عشرة ليلة، وجاء في إثرهم وفداهم إلى المدينة وأعلنوا إسلامهم، فرد المسلمون إليهم السبي. وكان في السبي جارية وضيئة اختارت المقام مع شجاع بن وهب^(١٦).

وفي قصة هذه الجارية دليل على مدى أثر أخلاق المسلمين في غيرهم، حتى ولو كان هذا الغير هم من حاربهم وأرادوا القضاء عليهم. وقد تكون هذه السرية هي التي أشار إليها البخاري^(١٧) ومسلم^(١٨) عن ابن عمر (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ بعث سرية فيها عبدالله بن عمر قبل نجد، فغنموا إبلا كثيرة فكانت سهامهم اثني عشر بعيرا أو أحد عشر بعيرا، ونقلوا بعيرا بعيرا^(١٩).

وقد تكون سرية نجد التي أشار إليها البخاري ومسلم وغيرهما هي ذاتها سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خَضِرَة، وهي أرض محارب - من غطفان - بنجد، في شعبان سنة ثمان من الهجرة. وكان معه خمسة عشر رجلا، فهجم على حاضر منهم عظيم، فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا النعم

(١٦) الواقدي (٧٥٣/٢ - ٧٥٤)، ابن سعد (١٢٧/٢) من رواية الواقدي. فهي ضعيفة.

(١٧) الفتح (٢٢٠/١٢) - ٢٢١/٢٢ ح/٣١٣٤ و (١٧٣/١٦) ح/٤٣٣٨.

(١٨) الصحيح (١٣٦٨/٣) ح/١٧٤٩. وقد ذكرها البخاري بعد غزوة الطائف، وعند أهل المغازي والسير أنها قبل التوجه لفتح مكة.

(١٩) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٢٦٧/٤).

والسي، وكان نصيب كل رجل منهم اثني عشر بعيرا، فصارت في سهم أبي قتادة جارية وضيئة، فاستوهبها منه رسول الله ﷺ، فوهبها له، فوهبها النبي ﷺ لمحمية بن جَزء.

وغابوا في هذه السرية خمس عشرة ليلة^(٢٠).

المبحث التاسع: سرية زيد بن حارثة إلى مَدِين:

بعثه إليها رسول الله ﷺ ومعه ضُمَيْرَة مولى علي بن أبي طالب، وأخ له، فأصاب سببا من أهل مِثْناء، وهي السواحل، وفيها جماعات من الناس مختلطين، فبيعوا، ففرق بينهم الأمهات والأولاد، فخرج رسول الله ﷺ إليهم وهم يكون، فقال: «ما لهم؟» فقليل: «يارسول الله، فرق بينهم»، فقال رسول الله ﷺ: «لاتبيعوهم إلا جميعا»^(٢١).

ولم تذكر المصادر التي بين يدي تاريخنا معينا لهذه السرية. ويستنتج أنها وقعت قبل سرية مؤتة، لأن زيدا استشهد في سرية مؤتة.

(٢٠) الواقدي (٧٧٧/٢)، ابن سعد (١٣٢/٢) معلقا، الطبري: التاريخ (٣٤٨/٣)، وانظر ابن حجر: الفتح (١٧٣/١٦) شرح الحديث رقم (٤٣٣٨) والأسانيد ضعيفة.

(٢١) رواه ابن هشام بإسناد منقطع (٣٧٥/٤ - ٣٧٦)، وانظر ابن حجر: الإصابة (٢٠٦/٢). ورواه من طريق ابن إسحاق: عبدالرزاق: المصنف (٣٠٧/٨) وسعيد بن منصور: السنن (٢٤٨/٢)، وسندهما منقطع، فيكون الحديث ضعيفا. أما كراهية التفريق بين السي في البيع فقد ثبت من طرق أخرى صحيحة، منها قول الرسول ﷺ: «من فرق بين والدته وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة». انظره في: صحيح سنن الترمذي للألباني (٢٤/٢ - ٢٥/٢). ك. البوع/ ب. ما جاء في كراهية أن يفرق بين الأخوين أو بين الوالدة وولدها في البيع وحسن الألباني إسناده، أبوداود: السنن (١٤٤/٣ - ١٤٥/٤). ك. الجهاد/ ب. في التفريق بين السي/ ح (٢٦٩٦)، الدارمي: السنن (٢٢٧/٢). ك. السير/ ب. النبي عن التفريق بين الوالدة وولدها، البيهقي: السنن الكبرى (١٢٦/٩). ك. السير/ ب. التفريق بين المرأة وولدها) وهي عدة أحاديث بأسانيد مختلفة.

الفصل العشرون

سرية مؤتة:

إن من أسباب هذه السرية أن رسول الله ﷺ بعث بكتاب إلى ملك بُصْرَى، فلما نزل مؤتة عرض له شُرْحَيْل بن عمرو الغساني فقتله صبرا، وكانت الرسل لا تقتل. فغضب رسول الله ﷺ وأرسل هذه السرية إلى مؤتة^(١)، في جمادى الأولى من سنة ثمان الهجرية^(٢).

وكان عدة هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل^(٣)، وأمر عليها زيد بن حارثة، ثم قال: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة^(٤)، وزاد الواقدي^(٥) وابن سعد^(٦): «فإن أصيب عبدالله بن رواحة فليترض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم».

وعندما تهباً الجيش وتجهزوا للخروج ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وحينها بكى ابن رواحة، فسألوه عن السبب، فقال: «أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم، ولكي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله (عز وجل) يذكر فيها النار: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ كان على ربك

(١) الواقدي (٧٥٥/٢ - ٧٥٦)، وابن سعد (١٢٨/٢) - معلقا. إذن فالأسانيد ضعيفة.
(٢) اتفق على ذلك أهل المغازي والسير: ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة الذي أرسله. ابن هشام (٢٣/٤)، ابن سعد (١٢٨/٢) معلقا، موسى بن عقبة وأبو الأسود عن عروة كما ذكر ابن حجر في الفتح (٩٧/١٦) ك. المغازي/ ب. غزوة مؤتة... وذكر ابن حجر أن ابن خياط شذ في ذلك، وقال إنها سنة سبع وعندما رجعنا إلى التاريخ المطبوع لابن خياط لم نجد ذلك كما قال، بل نقل ابن خياط رواية ابن إسحاق المرسلة المشار إليها هنا، ولذا ربما أخذ ابن حجر ذلك من مكان آخر، فليحذر...

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة - ابن هشام (٢٤/٤)، وابن أبي شبة في المصنف (٥١٢/١٤) بإسناد منقطع لأن الحكم لم يسمع من مضم إلا حصة أحاديث وليس هذا منها، والواقدي (٧٥٦/٢) وابن سعد (١٢٨/٢) معلقا.

(٤) البخاري/ الفتح (٩٨/١٦) ح (٤٢٦١).

(٥) المغازي (٧٥٦/٢)، بإسناده، وهو ضعيف.

حتماً مقضياً»^(٦)، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود»، فقال المسلمون: «صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم صالحين، فقال ابن راحة:

«لكنني أسأل الرحمن مغفرةً * وضربة ذات فرغ»^(٧) تقذف الزناد»^(٨) أو طعنة بيدي حرّان مجهزة * بحربة تنفذ الأحشاء والكبد» حتى يقال إذا مروا على جدّتي * أرشده الله من غازٍ وقد رُشدا»^(٩)

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل ماب، من أرض البلقاء، في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لحّم وجُدّام وتلقين وهراء وتلّ مائة ألف، عليهم رجل من بلّ، يقال له مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له. فشجع ابن راحة الناس، وقال: «ياقوم، والله إن التي تكرهون، للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة». فقال الناس: «قد والله صدق ابن راحة». فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء، لقيهم جموع هرقل، من الروم والعرب، بقرية مشارف من قرى البلقاء، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة، وعبّؤوا أنفسهم فيها، جعلوا على الميمنة قُطبة ابن قتادة العذري، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصاري. ثم التقى الناس واقتتلوا، فاستشهد زيد، وأخذ الراية جعفر، فاقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى أكرمه الله بالشهادة، وهو ينشد:

(٦) الطبقات (١٢٨/٢) معلقاً، فهو ضعيف.

(٧) مريم: ٧١.

(٨) أي ذات سعة.

(٩) الزيد هنا: رغبة الدم.

(١٠) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة، لكنه مرسل ضعيف - ابن هشام (٢٤/٤).

«يَا حَبْدَا الْجَنَّةُ وَاقْتَرَبَا * طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا * كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتَهَا ضُرَابُهَا»^(١١)

وروى ابن هشام^(١٢) أن جعفرا أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء^(١٣).

ثم قال ابن هشام^(١٤): «ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة قطعه نصفين». «وقد ذكر الواقدي^(١٥) وابن سعد^(١٦) عدة روايات في الحالة التي وجد عليها جعفر بعد استشهاده. ففي رواية أنه وجد في أحد نصفيه ثلاثون أو بضعة وثلاثون جرحا، وفي رواية ثالثة أنه وجد في بدنه أكثر من ستين جرحا وطعنة، قد أنفذته. وثبت في الصحيح^(١٧) أنه قد وجد في جسده بضع وتسعون من طعنة ورمية.

روى ابن إسحاق^(١٨) وغيره أنه لما قتل جعفر أخذ ابن رواحة الراية، ثم

(١١) المصدر نفسه، ص ٢٦ - ٣٠. أما خبر عقر جعفر فرسه الشقراء وإنشاده الشعر: يا حبدًا... إلخ، فقد رواه بإسناد متصل حسن ص ٣٠، وروى ابن سعد (١٢٨/٢ - ١٢٩) طرفا منه مختصرا معلقا، ورواه مطولا الواقدي (٧٥٦/٢ - ٧٦١) بأسانيد. وقبائل بلقين وبهراء الواردة في الخبر هي فروع من قضاة. وانظر في هذا: الفتح الرباني (١٣٩/٢١).

(١٢) السيرة (٣١/٤) بإسناد منقطع. والمنقطع من أقسام الضعيف كما هو معلوم.

(١٣) أصل هذا الحديث أورده الهيثمي في المجمع (٢٧٢/٩ - ٢٧٣) من حديث ابن عباس وقال رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن، ولفظه أن الرسول ﷺ قال في جعفر: «إن الله أبدله يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء» وأورد ابن حجر في الفتح (٢٢٢/١٤) شرح الحديث (٣٧٠٩) ما رواه الطبراني من حديث عبدالله بن جعفر بإسناد حسن، أن رسول الله ﷺ قال له: «هينًا لك، أبوك يطير مع الملائكة في السماء وما يقويه أكثر، ما رواه البخاري، ولفظه: «كان ابن عمر إذا حيا إين جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين» - الفتح (١٠٣/١٦) ح (٤٢٦٤).

وساق ابن حجر أحاديث أخرى بهذا المعنى فيها الصحيح وفيها الضعيف الذي يتقوى بالشواهد ومع المتابعة، فانظرها في الفتح (٢٢٢/١٤).

(١٤) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (٣١/٤). والمنقطع من أقسام الضعيف.

(١٥) المغازي (٧٦١/٢) بأسانيد وهي ضعيفة.

(١٦) الطبقات (١٢٩/٢) معلقا فهي ضعيفة.

(١٧) البخاري/ الفتح (٩٩/١٦) ح (٤٢٦١).

(١٨) ابن هشام (٣١/٤ - ٣٢) بإسناد حسن. ومن رواه غيره: سعيد بن منصور في سننه، باب جامع الشهداءين، بإسناد منقطع، انظر ابن حجر: الفتح (٩٨/١٦) ك. المغازي/ ب. غزوة مؤتة/ شرح الحديث رقم (٤٢٦١).

تقدم بها وهو على فرسه، ثم تردد بعض التردد، ثم قال مرتجزا:

«أقسمت يا نفس لتنزلني * لتنزلن أو لتكرهنـــــــــه
إن أجلب^(١٩) الناس وشدوا الرثّة^(٢٠) * مالي أراك تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنت مطمئنة * هل أنت إلا نطفة^(٢١) في شنه^(٢٢).
وقال أيضا:

يانفس إلاً تُقتلي تموتي * هذا حمام الموت قد صُلِيت
وما تمنيت فقد أعطيت * إن تفعلني فعلهما هُديت^(٢٣)
ثم نزل ساحة الوعى. فلما نزل أتاه ابن عم له يعظم عليه بعض اللحم
وطلب منه أن يشد به صلبه لما لاقاه من أيامه تلك من الشدة، فلما أخذ
من هذا العظم شيئا يسيرا، سمع الكسرة من ناحية الناس فقال: وأنت
في الدنيا! ثم ألقاه وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل، فنال الشهادة التي كان
يتمناها. وقد ظهر ذلك في موقفه عندما حث الناس على لقاء العدو، على
الرغم من كثرتة، وعندما ترجم مشاعره في أشعاره التي ذكرنا، وفي قوله
لربيبة الذي كان في حجره ورديفه إلى مؤتة، زيد بن أرقم، الذي سمعه
يترنم بأبيات من الشعر، يشتهي فيها الشهادة، فبكى زيد، فخفقه ابن
رواحة بالدرة، وقال له: «ما عليك يالكع أن يرزقي الله شهادة وترجع بين
شُعْبَتَي الرحل»^(٢٤).

ثم أخذ الراية بعده ثابت بن أرقم، وطلب من المسلمين ان يصطلحوا
على رجل منهم، فرشحوه، فرفض، فاصطلحوا على ابن الوليد. فأخذ
الراية، وتمكن من الانسحاب^(٢٥).

روى أنه لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد، فلما أصبح غدا، وقد

(١٩) أي صاحوا واجتمعوا.

(٢٠) صوت فيه ترجيع شبه البكاء.

(٢١) الماء القليل الصافي.

(٢٢) القرية القديمة.

(٢٣) يعني صاحبيه زيدا وجعفرًا.

(٢٤) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع، لأن عبدالله بن أبي بكر لم يسم من حدثه عن زيد بن أرقم

- ابن هشام (٢٨/٤ - ٢٩). والمنقطع من أنساب الضعيف.

(٢٥) إلى هنا من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن.

جعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمينته ميسرته، وميسرته ميمينته،
فأنكر الأعداء ما كانوا يعرفون من رايات وهيئة المسلمين، وقالوا: قد جاءهم
مدد، فرعبوا، فانكشفوا منهزمين، فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم^(٢٦). وانكسرت
يومئذ في يد خالد بن الوليد تسعة أسياف^(٢٧)، مما يدل على شدة القتال
قبل أن ينسحب من ميدان القتال.

ومما يؤكد مباشرة المسلمين القتال قبل الانسحاب ما رواه مسلم^(٢٨) وغيره
من حديث عوف بن مالك أن رجلا من أهل اليمن رافقه في هذه السرية،
فقتل روميا وأخذ سَلَبَه، فاستكثره خالد، فشكاه اليمني إلى رسول الله ﷺ.

ومما ظهر من معجزات الرسول ﷺ في أمر هذه السرية أنه ﷺ نعى زيدا
وجعفرًا وابن رواحة قبل أن يأتيه خبرهم، وعيناه تذرفان الدموع، وأخبرهم
بأخذ خالد للراية وبشرهم بالفتح على يديه، وسماه يومئذ سيف الله^(٢٩).

وحزن رسول الله ﷺ لما وقع لهم^(٣٠). ثم بعد ذلك قدم بخبرهم يعلى بن
أمية ولم يزد ما جاء به عما قاله الرسول ﷺ لأصحابه^(٣١). وفي رواية أن عامر
الأشعري هو الذي أخبر النبي ﷺ بمصائبهم^(٣٢).

وعلى الرغم من ضراوة هذه المعركة وكثرة أعداد جيش العدو إلا أنه لم
يستشهد من المسلمين سوى اثني عشر رجلا^(٣٣) كحد أقصى، أما الأعداء،
فلم يعرف عدد قتلهم، غير أن وصف المعركة يدل على كثرتهم.

وكان لشهداء مؤتة مكانة عظيمة عند الله تعالى، ولذا قال الرسول ﷺ:
«ما يسرنى أو قال ما يسرهم أنهم عندنا»^(٣٤).

(٢٦) الواقدي (٧٤٤/٣). فإسناده ضعيف جدا لأنه متروك في الحديث كما ذكرنا مراراً وتكراراً.

(٢٧) البخاري/ الفتح (١٠٤/١٦) ح ٤٢٦٥ - ٤٢٦٦.

(٢٨) الصحيح (٣٧٣/٣ - ١٣٧٤ ح ١٧٥٣).

(٢٩) البخاري/ الفتح (١٠٠/١٦) ح ٤٢٦٢ و (٢٧٧/١١) ح ٢٧٩٨، والطبري في التاريخ (٣/ ٤٠ - ٤١) من حديث أبي قتادة.

(٣٠) من حديث رواه البخاري كما في الفتح (١٠١/١٦) ح ٦٢٦٣.

(٣١) من رواية موسى بن عقبة عند ابن كثير في البداية (٢٧٥/٤) وابن حجر في الفتح (١٠١/١٦) عند شرح الحديث رقم (٤٢٦٢).

(٣٢) ابن حجر الفتح (١٠١/١٦) من رواية الطبراني.

(٣٣) ذكر ابن اسحاق - معلقاً - أساء عشرة منهم واستدرك عليه ابن هشام اثنين - ابن هشام (٤٤/٤).

(٤٥) - معلقاً، وذكر الواقدي ثمانية (المغازي ٧٦٩/٢).

(٣٤) البخاري/ الفتح (١٥٢/١٢) ح ٣٠٦٣.

أما ما روى ابن إسحاق^(٣٥) من أن الناس قالوا لجيش مؤتة: «يافرار، فرتم في سبيل الله...»، فقد قال ابن كثير^(٣٦) عن هذه الرواية: «وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق، فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا، بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ المسلمين، وهو على المنبر في قوله: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله على يديه» فما كان المسلمون ليسموهم فرارا بعد ذلك، وإنما تلقوهم إكراما وإعظاما، وإنما كان التائب وحشي التراب للذين فروا وتركوهم هناك، وكان فيهم عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما).

وساق ابن كثير أدلة على أن جمهور المسلمين لم يفروا، بل فرت مجموعة من المسلمين، من ذلك حديث عبدالله بن عمر عند أحمد^(٣٧)، الذي فيه أنه كان ممن فر وخشوا القتل إن هم دخلوا المدينة، فهموا أن يركبوا البحر، ثم أخيرا قرروا عرض أنفسهم على الرسول ﷺ، واعتفروا بفراهم، فقال لهم: «لا بل أنتم العكارون، أنا فيتكم، وأنا فيئة المسلمين»، وفي رواية قال لهم: «لا بل أنتم الكرارون».

وجيء بأبناء جعفر (رضي الله عنه)، فداعبهم رسول الله ﷺ، وأمر بحلق رؤوسهم، ودعا لهم، وقال لأمرهم عندما جاءته تذكر يتمهم: «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟»^(٣٨).

ولما جاء نعي جعفر، قال رسول الله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاما، فقد أتاهم أمر يشغلهم، أو أتاهم ما يشغلهم»^(٣٩).

(٣٥) بإسناد حسن إلى عروة، لكنه مرسل ضعيف - ابن هشام (٣٧/٤)، وقال ابن كثير في البداية (٢٧٦/٤): وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

(٣٦) البداية (٢٧٦/٤).

(٣٧) المسند (٧/٥٣٨٤) شاكر) وصحح شاكر إسناده، وقال ابن كثير في البداية (٢٧٧/٤): رواه الترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد، وقال الترمذي: «حسن لا نعرفه إلا من حديثه».

(٣٨) من رواية أحمد في المسند (٣/١٩٢ - ١٩٤/٣) وصحح شاكر إسناده.

(٣٩) المسند (٣/١٩٤) شاكر) وصحح شاكر إسناده، صحيح سنن ابن ماجه للآلاني (٢٦٨/١) وحسن الآلاني إسناده.

أحكام وحكم ودروس وعبر من أحداث هذه السرية:

- ١ - إن في تعيين الرسول ﷺ لثلاثة أمراء على جيش سرية مؤتة، لدليل على جواز تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أمراء بالترتيب^(٤٠).
- ٢ - في نعي الرسول ﷺ الأمراء الثلاثة قبل مجيء خبرهم، فيه جواز الإعلام بموت الميت ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه، وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة^(٤١).
- ٣ - في تأمير المسلمين لخالد بعد استشهاد الأمراء الثلاثة دليل على جواز الاجتهاد في حياة الرسول ﷺ^(٤٢).
- ٤ - إن ظهور الحزن على رسول الله ﷺ عندما جاءه خبر استشهاد الأمراء الثلاثة لدليل على ما جعله الله فيه من الرحمة ولا ينافي ذلك الرضا بالقضاء. ويؤخذ منه ظهور الحزن على الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا يخرج عنه كونه صابرا راضيا إذا كان قلبه مطمئنا، بل قد يقال إن من كان ينزعج بالمصيبة ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع رتبة عن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلا^(٤٣).
- ٥ - أفاد المسلمون دروسا وخبرات عظيمة من هذا اللقاء الأول مع الروم في مستقبل جهادهم معهم، حيث تعرفوا على عددهم وعدتهم وخططهم العسكرية وطبيعة أرضهم التي وقع فيها القتال^(٤٤).
- ٦ - إن في مواقف الأمراء الثلاثة دليل على مدى قوة الإيمان الذي يحرك الصحابة (رضي الله عنهم) نحو ميادين الجهاد.

(٤٠) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/١٠٠) شرح الحديث (٤٢٦٢).

(٤١) المرجع والمكان نفسهما.

(٤٢) المرجع والمكان نفسهما.

(٤٣) المرجع والمكان نفسهما.

(٤٤) انظر د. العمري: المجتمع المدني، الجهاد، ص ١٦٨.

الفصل الحادى والعشرون

السرايا بين سرية مؤتة وغزوة فتح مكة:

المبحث الأول: سرية ذات السلاسل:

بعد عودة سرية مؤتة إلى المدينة بأيام قليلة، وبالتحديد في جمادى الثانية من سنة ثمان هجرية كما ذكر ابن سعد^(١)، بلغ الرسول ﷺ أن قضاة بدأت تتجمع مرة أخرى تريد الدنو من المدينة، فأرسل إلى عمرو بن العاص، فلما جاءه قال له: «... إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة»، فقال له عمرو: «يارسول الله: ما أسلمت من أجل المال، ولكن أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ»، فقال ياعمر: «نعم المال الصالح للمرء الصالح»^(٢). ثم بعثه في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ليقتضي عليهم في ديارهم، وأمره أن يستعين ببعض فروع قضاة من بليّ وعذرة ويُلَقِّن على ذلك العدو، لأن أم عمرو كانت من بلي، وفي ذلك استئلاف لهم. وعندما وصل في مسيره إلى ماء بارض جذام، يقال له السُّلْسُل -وبه سميت السرية- بلغه كبر جمعهم، فأرسل رافع بن مَكِيث الجُهَنِي إلى الرسول ﷺ فأمدّه بهاتين من المهاجرين والأنصار عليهم أبو عبيدة عامر بن الجراح وفيهم أبو بكر

(١) الطبقات (١٣١/٢) بدون إسناد فهي ضعيفة جدا.

(٢) رواه أحمد في المسند: الفتح الرباني (١٤٠/٢١ - ١٤١) بإسناد صحيح من مرسل غامر الشعبي. وانظر من خرجته عن ذكرهم الساعاني. وقال ابن حجر في الفتح (١٩٦/١٦) شرح الحديث (٤٣٥٨)، عن هذا الحديث: «وروى أحمد والبخاري في الأدب وصححه أبو عوادة وابن حبان والحاكم من طريق علي بن رباح عن عمرو بن العاص، قال: «...» وساق الحديث بمثل ما أثبتناه هنا.

وغير إرسال عمرو بن العاص على سرية ذات السلاسل ثابت في الصحيحين ولكن بدون تفاصيل كما عند أهل المغازي والسير. انظر البخاري/ الفتح (١٥٨/١٦) ك. الفضائل/ ب. فضائل أبي بكر/ ج (٢٣٨٤).

وعمر، وطلب من عمرو وأبي عبيدة أن يتطوعا. وعندما أصر عمرو على تولي الإمامة في الصلاة، لم يرد أبو عبيدة أن يخالفه في هذا امتثالا لوصية الرسول ﷺ^(٣).

وفي حديث أحمد^(٤) أن النبي ﷺ استعمل أبا عبيدة على المهاجرين وعمرو ابن العاص على الأعراب، وأمرهم بالإغارة على بكر، فانطلق عمرو فأغار على قضاة لأن بكرا أخواله، فأطاعه أبو عبيدة، ولم يخالفه أبو عبيدة في ذلك لأنه لم يرد الخلاف. ويستبعد هذا التعليل الذي ساقه الشعبي. وسار عمرو بالناس حتى وطىء بلاد بلى ودوخها، حتى أتى أقصى بلادهم وبلاد عُذرة وبلقين، ولقي في آخر ذلك جمعا، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا، فعاد بعد هذا إلى المدينة^(٥).

وفي طريق العودة احتلم عمرو في ليلة باردة فتييم ولم يغتسل غسله للجنبانة، خشية البرد، مستندا إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٦). ثم صلى بالناس، وقد أقر الرسول ﷺ هذا الاجتهاد منه^(٧). وعندما أصابهم برد أمرهم عمرو بالا يوقدوا نارا ولا يتبعوا العدو، واعترض بعض المسلمين على ذلك، وعندما شكوه إلى رسول الله ﷺ^(٨) قال عمرو: «كان في أصحابي قلة فخشيت أن يرى العدو قلتهم عندما يوقدون النار، ونيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين»، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ.

(٣) انظر: الواقدي (٧٦٩/٢ - ٧٧١) بأسانيد، وابن سعد (١٣١/٢) - معلقا، وابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٣٥٩/٤ - ٣٦٠)، ومغازي رسول الله ﷺ لعروة، ص ٢٠٧ وكلها أسانيد ضعيفة.
(٤) الفتح الرباني (١٣٩/٢١) - (١٤٠) من مرسل الشعبي، وهو إسناد ضعيف لا يحتج به.
(٥) ابن سعد (١٣١/٢) معلقا، والواقدي (٧٦٩/٢ - ٧٧١).
(٦) النساء: ٢٩.
(٧) رواه: أبوداود (رقم ٣٣٤، ٣٣٥) ك. الطهارة/ب إذا خاف الجنب البرد تيمم) وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود رقم (٣٦٠ - ٣٦١)، والبيهقي في دلائله (٤٠٢/٤ - ٤٠٣) وسننه (٢٢٥ - ٢٢٦)، وقال عنه محققا زاد المعاد (٣٨٨/٣): «وسنده قوي، وعلقه البخاري في صحيحه (٣٥٨/١) وقواه الحافظ وابن حبان في صحيحه - الموارد ص ٢٠٢ وصححه، والحاكم في المستدرک (١٧٧/١) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري: وأحمد في المسند (٢٠٣/٤) بإسناد فيه ابن لهيعة، وانظر: تفسير ابن كثير (٢٣٥/٢).

(٨) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٢٥٤/١٣) ب، وابن حبان في صحيحه كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٩٥/١٦) شرح الحديث رقم ٣٦٦٣.
(٩) انظر: الواقدي (٧٦٩/٢ - ٧٧١) بأسانيد، وابن سعد (١٣١/٢) - معلقا، وابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٣٥٩/٤ - ٣٦٠)، ومغازي رسول الله ﷺ لعروة، ص ٢٠٧ وكلها أسانيد ضعيفة.
(١٠) الفتح الرباني (١٣٩/٢١) - (١٤٠) من مرسل الشعبي، وهو إسناد ضعيف لا يحتج به.
(١١) ابن سعد (١٣١/٢) معلقا، والواقدي (٧٦٩/٢ - ٧٧١).
(١٢) النساء: ٢٩.
(١٣) رواه: أبوداود (رقم ٣٣٤، ٣٣٥) ك. الطهارة/ب إذا خاف الجنب البرد تيمم) وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود رقم (٣٦٠ - ٣٦١)، والبيهقي في دلائله (٤٠٢/٤ - ٤٠٣) وسننه (٢٢٥ - ٢٢٦)، وقال عنه محققا زاد المعاد (٣٨٨/٣): «وسنده قوي، وعلقه البخاري في صحيحه (٣٥٨/١) وقواه الحافظ وابن حبان في صحيحه - الموارد ص ٢٠٢ وصححه، والحاكم في المستدرک (١٧٧/١) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري: وأحمد في المسند (٢٠٣/٤) بإسناد فيه ابن لهيعة، وانظر: تفسير ابن كثير (٢٣٥/٢).

فوائد فقهية في أحداث هذه السرية:

- (١) إن في خبر تأمير عمرو بن العاص على جيش فيه أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) دليلا على جواز تأمير المفضل على الفاضل، إذا امتاز المفضل على الفاضل بصفة تتعلق بتلك الإمارة أو الولاية^(٩). فعمرو خير حرب.
- (٢) وفي حديث تيمم عمرو جواز التيمم لمن يتوقع الهلاك من استعمال الماء البارد.
- (٣) وفيه جواز صلاة التيمم بالمتوضئين.
- (٤) جواز الاجتهاد في زمن الرسول ﷺ كما في خبر تيمم عمرو وصلاته وهو جنب^(١٠).

المبحث الثاني: سرية أبي حذَرَد إلى الغابة:

بلغ رسول الله ﷺ أن رجلا يقال له قيس بن رفاعة أو رفاعة بن قيس أقبل في عدد كثير حتى نزلوا الغابة يريد أن يجمع قيسا على محاربة رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم وشرف في جُشَم، فدعا رسول الله ﷺ عبد الله بن حذرَد الأسلمي ورجلين من المسلمين ليخرجوا اليه، فخرجوا وتمكن ابن حذرَد من قتل رفاعة بن قيس، وهرب قومه، فأخذوا ما قدروا عليه من النساء والأولاد وما خف معهم من أموالهم واستاقوا إبلا عظيمة وغنما كثيرة. وجاءوا بها إلى رسول الله ﷺ ومع ابن أبي حذرَد رأس رفاعة، فأعطاه الرسول ﷺ ثلاثة عشر بعيرا من تلك الإبل^(١١). وذكر الطبري^(١٢) أن هذه السرية كانت في شعبان سنة ثمان من الهجرة، وأميرها أبوقتادة.

(٩) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/١٩٦) شرح الحديث (٤٣٥٨).

(١٠) انظر: زاد المعاد (٣/٣٨٨ - ٣٨٩).

(١١) رواه ابن إسحاق كما عتد ابن كثير في البداية (٤/٢٤٩ - ٢٥٠) وإسناده ضعيف لأن فيه جعفر ابن عبد الله بن أسلم، حيث لم يذكر أنه سمع من أبي حذرَد، ومع ذلك فهو مقبول كما قال ابن حجر، يعني حيث يتابع وإلا فهو لين، ولم يتابع هنا، ولذا ضَعَفَ الإسناد. ورواه ابن هشام في السيرة (٤/٣٦٧ - ٣٦٩) من حديث ابن إسحاق، وأبهم فيه ابن إسحاق اسم من حدثه. ورواه أحمد (١١/١٦ - ١٢) من غير طريق ابن إسحاق. قال الهيثمي في المجمع (٦/٢٠٧): «وفيه راو لم يسم وبنيته رجاله ثقات»، والواقدي (٢/٧٧٧) والبيهقي في الدلائل (٤/٣٠٣ - ٤) من طريق ابن إسحاق كما جاء في البداية لابن كثير.

(١٢) التاريخ (٣/٣٤) معلقا. فهو إذن ضعيف.

المبحث الثالث: سرية أبي قتادة إلى بطن إضم^(١٣):

بعث رسول الله ﷺ سرية إلى إضم فيها أبو قتادة ومُحَمَّدُ بْنُ جَثَامَةَ بْنِ قَيْسٍ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَطْنِ إِضْمٍ مَرَّ بِهِمْ عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيُّ، فَسَلِمَ عَلَيْهِمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَأَمْسَكُوا عَنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ حَمَلَ عَلَيْهِ عَمَلٌ فَقَتَلَهُ لَشْيءٍ كَانَ بَيْنَهُمَا، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمَتَاعَهُ، وَفِي ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيْنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾^(١٤) وَقِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ رَفَضَ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لِمَحْلَمٍ عِنْدَمَا طَلَبَ مِنْهُ ذَلِكَ وَهُمْ بِحَنِينٍ^(١٥).

وَقَالُوا إِنَّهُ عِنْدَمَا مَاتَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مِنْ هَذَا دَفَنُوهُ فَلَفَظَتْهُ الْأَرْضُ مَرَّتَيْنِ فَمَا كَانَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ وَضَعُوهُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، ثُمَّ رَصَوْا فَوْقَهُ الْحِجَارَةَ حَتَّى وَارَوْهُ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ عِنْدَمَا بَلَغَهُ ذَلِكَ: «وَاللَّهِ إِنْ الْأَرْضُ لَتَطَابِقُ عَلَيَّ مِنْ هُوَ شَرِّ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَعِظَكُمُ فِي حُرْمِ مَا بَيْنَكُمْ بِمَا أَرَاكُمْ مِنْهُ»^(١٦).

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُحَدِّثُونَ أَكْثَرَ مِنْ سَبَبٍ فِي نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ. فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ^(١٨) أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مُسْلِمَيْنِ مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ فِي غَنِيمَتِهِ وَأَلْقَى إِلَيْهِمْ

(١٣) الْوَادِي الَّذِي تَجْمَعُ فِيهِ أَوْدِيَةُ الْمَدِينَةِ، وَقَالُوا: مَا يَطْوُهُ الطَّرِيقُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْيَمَامَةِ عِنْدَ السَّمِينَةِ (مَعْجَمُ الْبَلَدَانِ ٢٨١/١). وَقَالُوا: وَاذْ يَسُقِ الْخِجَازَ حَتَّى يَفْرُغَ فِي الْبَحْرِ عِنْدَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ لِأَشْجَعٍ وَجْهِيَّةٍ. وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ: الطَّبَقَاتُ (١٧٩/٣) أَنَّ بَطْنَ إِضْمٍ هِيَ فِيمَا بَيْنَ ذِي خُثَبٍ وَذِي الْمُرْوَةِ وَبَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةُ بَرَدٍ.

(١٤) النِّسَاءُ: ٩٤.

(١٥) مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ - ابْنُ هِشَامٍ (٣٦٣/٤ - ٣٦٤) وَعِنْدَ الْوَاقِدِيِّ بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ (٧٩٧/٢) وَابْنُ سَعْدٍ (١٣٣/٢) مُعْلَقًا، أَنَّ أَمِيرَ السَّرِيَةِ كَانَ أَبُوقَتَادَةَ بْنِ رُبَيْعٍ الْنَاصِرِيَّ، وَيَفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ سِيَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ. وَرَوَى الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٧٢/٩) شَاكِرًا طَرَفًا مِنْهُ بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ وَلَكِنْ فِيهِ عِنْتَةٌ ابْنِ إِسْحَاقَ.

(١٦) ابْنُ إِسْحَاقَ، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ - ابْنُ هِشَامٍ (٣٦٥/٤ - ٣٦٦)، وَالطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٧٢/٩) شَاكِرًا بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ، وَلَكِنْ فِيهِ عِنْتَةٌ ابْنِ إِسْحَاقَ.

(١٧) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي التَّفْسِيرِ (٧٢/٩) شَاكِرًا بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ فِيهِ عِنْتَةٌ ابْنِ إِسْحَاقَ وَرَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ بِإِسْنَادٍ مُرْسَلٍ وَضَعِيفٌ لِأَنَّهُ أَهَمُّ مِنْ حَدِيثِهِ وَأَوْفَقُهُ عَلَى الْبَصْرِيِّ - ابْنُ هِشَامٍ (٣٦٦/٤). وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ (٣١٠/٤) مُرْسَلًا مُتَّوفاً عَلَى الْبَصْرِيِّ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَفِيهِ اخْتِلَافٌ يَسِيرٌ عَنْ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

وَرَوَاهُ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ وَشُعَيْبٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ مُتَّصِلًا إِلَى قَبِيصَةَ بْنِ ذُوْبٍ - مِنْ أَهْلِ النَّصَبَةِ، وَلَهُ رُؤْيَةٌ - إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا وَلَا عَامِرًا - ابْنُ كَثِيرٍ (٢٥٢/٤).

(١٨) الْفَتْحُ (١٧/١٢٥) ح ٤٥٩١.

السلام، فقتلوه، وأخذوا غنيمة. ورواه بنحو مثل رواية البخاري: أحمد^(١٩) والترمذي^(٢٠) والحاكم^(٢١).

وروى البزار^(٢٢) بسنده إلى ابن عباس أنها نزلت في المقداد بن الأسود عندما بعث في سرية وتفرق العدو وبقي رجل معه مال كثير، وشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل».

ويبدو من هذه التفسير أن الحادثة قد تكررت، وأن الآية نزلت في غير واحد^(٢٣).

وكانت هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة^(٢٤). وذكر الواقدي^(٢٥) عن سبب بعث هذه السرية أن رسول الله ﷺ عندما أراد غزو مكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر إلى بطن إضم ليظن الظان أن رسول الله ﷺ متوجه إلى تلك الناحية، ولتذهب بذلك الأخبار.

فائدة و دروس في هذه السرية

١ - إن في قول الرسول ﷺ للمقداد: «كذلك كنت تخفي إيمانك قبل» لفظة كريمة إلى أنه لا ينبغي للإنسان إذا اجتمعت له أسباب القوة أن ينسى أيام ضعفه، فإنه إن فعل استبد به الغرور، وملكه الأشر والبطر^(٢٦).

(١٩) المسند (١٥٣/٤) شاكر بإسناد صحيح.

(٢٠) السنن (٣٨٦/٨) تحفة الأخواني بإسناد حسن، وانظر في صحيح الترمذي للألباني (٣/٤٠) ح/ ٢٤٢٦ وصححه الألباني.

(٢١) المستدرك (٢٣٥/٢) وصححه.

(٢٢) نقله عنه ابن كثير في التفسير (٣٣٨/٢).

(٢٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣٣٨/٢) حاشية المحققين.

(٢٤) من رواية ابن سعد (١٣٣/٢) بدون إسناد، والواقدي (٧٩٧/٢) بإسناد متصل، وما يؤكد هذا التاريخ أن الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن اختصما في عامر بن الأضيظ عند رسول الله ﷺ وهو يحنن: عيينة يطلب بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غطفان، وابن حابس يدفع عن علم لكانه من خندف، وأخيرا قبل عيينة الدية، يدفع نصفها في سفرهم ذاك والنصف الآخر إذا رجعوا. (رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣٦٤/٤) - ٣٦٥) وانظر الإصابة (٢/٢٩٢).

(٢٥) المغازي (٧٩٦/٢) - ٩٧.

(٢٦) انظر حاشية، محقق تفسير ابن كثير (٣٣٨/٢).

الفصل الثاني والعشرون

غزوة فتح مكة

كان من ضمن شروط صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل، فدخلت خزاعة في عقد محمد ﷺ وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم. فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة عشر أو الثمانية عشر شهرا، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلا بهاء يقال له «الوتير»، وهو قريب من مكة، وقالت قريش «ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد»، فأعانوهم على خزاعة بالكراع والسلاح، وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ. فاستنجدت خزاعة بالمسلمين، وقدم عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة، فأشد أبياتا من الشعر أمام رسول الله ﷺ يستنصره، فقال رسول الله ﷺ «نصرت ياعمرو بن سالم». فما برح حتى مرت بهم سحابة، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»^(١).

ويذكر ابن إسحاق^(٢) أن بني بكر لم يتركوا مطاردة خزاعة وقتلهم حتى داخل الحرم، وبلغ عدد قتلى خزاعة عشرين رجلا^(٣).

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته، ورجاله رجال الصحيح ما عدا ابن إسحاق، فهو مدلس وقد صرح بالتحديث - انظر ابن كثير: البداية (٣٠٩/٤ - ٣١٠) وله شاهدان ضعيفان، أحدهما في المعجم الصغير للطبراني (٧٣/٢)، والثاني في مسند أبي يعلى (٤٠٠/٤). وروى البزار بإسناد حسن موصول بعض الآيات التي قالها قائد خزاعة أمام الرسول ﷺ كشف الأستار، ص ٣٤٢، والفتح لابن حجر (١٠٨/١٦). ورواه ابن أبي شيبه مراسلا - ابن حجر: الفتح (١٠٨/١٦)، وعبدالرزاق في المصنف (٣٧٤/٥) مختصرا، ومع اختلاف يسير في الألفاظ، وإسناد صحيح، وليس فيه الشعر المذكور.

(٢) ابن هشام (٤٦/٤ - ٤٧) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما هو معروف.

(٣) الواقدي (٧٨٤/٢) بإسناد ضعيف جدا، لأنه مرسل وفي إسناده عبدالله بن عامر الأسلمي وهو ضعيف والواقدي متروك.

وذكر موسى بن عقبة^(٤) أن الذين أعانوا بني بكر على خزاعة من أشراف قريش: صفوان بن أمية، وشيبة بن عثمان، وسهيل بن عمرو، وأن الإغاثة كانت بالسلاح والريق.

وفي رواية لابن حجر^(٥) في المطالب العالية وأخرى في الفتح^(٦) إشارة إلى أن رسول الله ﷺ أرسل إلى قريش يخبرهم بين دفع دية قتلى خزاعة أو البراءة من حلف بني بكر أو الحرب، فاخترت قريش الحرب.

ولأن هذا التصرف من قريش يعد نقضا لمعاهدة و صلح الحديبية، فقد ندمت قريش على فعلتها، ولذا عندما انصرف ضمرة، أرسلت أباسفيان إلى المدينة لتجديد المعاهدة^(٧). والمشهور أن قريشا عندما خافت من نتائج فعلتها، كانت هي التي بادرت بإرسال أبي سفيان إلى المدينة قبل أن يبلغ المسلمين الخبر، وعندما جاء إلى المدينة لم يتصل بالرسول ﷺ مباشرة، بل ذهب إلى أبي بكر ثم عمر ثم فاطمة ثم علي فردوه جميعا، وأغلظ عليه عمر فعاد إلى مكة خائبا^(٨).

وكان أبوسفيان عندما قدم إلى المدينة، دخل على ابنته أم حبيبة، زوج

(٤) من روايته من دون إسناد كما عند ابن كثير في البداية (٣١٣/٤) وابن حجر في الفتح (١٠٨/١٦). والخبر غير المسند من أقسام الضعيف كما هو معلوم.

(٥) (٢٤٣/٤ - ٢٤٤)، قال المحقق حبيب الرحمن الأعظمي «هذا مرسل صحيح الإسناد». (٦) (١١٤/١٦) شرح الحديث (٤٢٨٠) من رواية محمد بن عائذ الدمشقي من حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) ورواه الواقدي بإسناد ضعيف جدا إلى ابن عمر وذلك لضعف الواقدي وانقطاع سنده (المغازي ٧٨٦/٢) وقد أنكره هو نفسه (٧٨٧/٢) وعند الواقدي وابن عائذ أن اسم الرجل المرسل: ضمرة.

(٧) من رواية ابن عائذ عند ابن حجر في الفتح (١١٤/١٦) والواقدي (٦٧٨٦/٢ - ٧٨٧) والتي أنكرها.

(٨) من مرسل عكرمة عند ابن أبي شيبة كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٤٤/١٦) ورواه ابن إسحاق مرة معلقا - ابن هشام (٥٥/٤) ومرة منقطعا - ابن كثير في البداية (٣١٢/٤). ويبدو لنا أنه جزء من حديثه الحسن في كيفية فتح مكة من حديث المسور بن غرمة ومروان بن الحكم. ورواه موسى بن عقبة بإسناد موقوف عليه - ابن كثير في البداية (٣١٣/٤) والبيهقي في الدلائل (٩/٥) وفي السنن الكبرى (١٢٠/٩) والواقدي (٧٩٤/٢) بإسناد ضعيف جدا لأنه مرسل، وفيه ابن أبي حبيبة، وهو ضعيف، والواقدي متروك، ورواه ابن عائذ معلقا كما عند ابن حجر في الفتح (١١٤/١٦) ورواه عروة بإسناد مرسل موقوف عليه وفيه ابن شيبة - البيهقي: السنن الكبرى (١٢٠/٩) وعبد الرزاق في المصنف (٣٧٥/٥) بإسناد صحيح، ضمن حديثه الطويل في قصة الفتح. وخلاصة الأمر أن الحديث صحيح من طريق عبد الرزاق وابن إسحاق، وبمجموع الروايات المذكورة هنا.

النبي ﷺ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: «يابنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بلى هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ». قال: «والله لقد أصابك يابنية بعدي شر». ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً^(٩)...

وأمر رسول الله ﷺ أهله بالجهاز، ولم يسم لهم الجهة التي يقصدها، ثم أعلمهم بعد ذلك أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيو، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها، فتجهز الناس، وقال حسان في ذلك شعراً يحرض الناس ويذكر مصاب خزاعة^(١٠).

واستنفر الرسول ﷺ القبائل التي حول المدينة: سلبيا وأشجع ومزينة وأسلم وغفارا. فممنهم من جاءه وهو بالمدينة وممنهم من لحقه بالطريق إلى مكة، حتى بلغ جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل^(١١)، ولم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار^(١٢).

وبلغ ما حشدته مزينة من رجالها ألف مقاتل، وسليم كذلك ألفاً أو سبعمائة^(١٣).

ولما تيبأ الرسول ﷺ إلى الخروج، أرسل حاطب بن أبي بلتعة البديري كتاباً مع امرأة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فبعث النبي ﷺ علياً والزبير والمقداد في أثرها، وقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها». و عندما أدركوها في المكان المشار إليه، طلبوا منها إخراج الكتاب فانكرت وجوده

(٩) من رواية ابن إسحاق الطويلة في قصة الفتح بإسناد حسن - ابن هشام (٥٥/٤)، والواقدي (٧٩٢/٢ - ٧٩٣).

(١٠) ابن إسحاق بإسناد حسن من حديث محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) - ابن كثير: البداية والنهاية (٣١٥/٤) وإسناد حسن أيضاً - من حديث الزهري عن عروة عن المسور ومروان كما يبدو لنا - ابن هشام (٥٦/٤ - ٥٧).

(١١) من رواية البخاري/ الفتح (٤٢٧٦ ح/١١١/١٦) وابن إسحاق بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٦٠/٤). والواقدي (٨٠١/٢) وابن سعد (١٣٥/٢) معلقاً.

(١٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٦٠/٤).

(١٣) المصدر نفسه.

معها، فقالوا لها: «لتخرجن الكتاب أو لنلقين بالثياب»، فأخرجته. فأرسل الرسول ﷺ إلى حاطب، فقال له: يا حاطب، ما هذا؟ قال: «يارسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأةً ملصقا في قريش حليفا، ولم أكن من أنفسها. وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهلهم، وأمواهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام». فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم»، فقال عمر: «يارسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق»، فقال النبي ﷺ: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا: وقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُدَّةِ، وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾. إلى قوله ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١٤)^(١٥)، وفي رواية: فدمعت عينا عمر، وقال: «الله ورسوله أعلم»^(١٦).

خرج رسول الله ﷺ وأصحابه من المدينة في طريقهم إلى مكة، في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وكانوا صياما، حتى بلغوا كديدا^(١٧)، فأفطر، وأفطر الناس^(١٨).

والذي اتفق عليه أهل السير والمغازي أنه خرج في عاشر رمضان، ودخل

(١٤) المتحنة: ١.

(١٥) البخاري/ الفتح ١٠٩/١٦ - ١١٠/١١٠ ح/٤٢٧٤، مسلم ١٩٤١/٤ - ١٩٤٢/١٩٤٢ ح/٧٤٩٤. ذكر ابن إسحاق أن شيخه ابن جعفر زعم أن المرأة من مزينة، وزعم له غيره أن اسمها سارة - ابن هشام ٨٥/٤) بإسناد حسن لذاته. وفي رواية للواقدي أن اسمها سارة من مزينة، وفي رواية ثانية أن اسمها كنود - المغازي ٧٩٨/٢ - ٧٩٩، وقيل اسمها أم سارة - رواه ابن كثير في البداية (٣٣٣/٤) من حديث البيهقي، وفيه الحكم بن عبد الملك، وهو ضعيف، ولم يصرح باسم حاطب.

(١٦) البخاري/ الفتح ١٧٢/١٥ ح/٣٩٨٣.

(١٧) هي عين جارية تبعد عن مكة ٨٦ كيلا، وعن المدينة ٣٠١ كيلا، بين صفان وقديد، كما في صحيح البخاري: الفتح ١١١/١٦ ح/٤٢٧٥، وعند ابن إسحاق بإسناد حسن أنها بين صفان وأمج - ابن هشام ٦٠/٤. وقال ابن القيم في الزاد (٤٠٠/٣): «وهو الذي تسميه الناس اليوم قديدا».

(١٨) البخاري/ الفتح ١١٠/٦ - ١١١/١١١ ح/٤٢٧٥، مسلم ٧٨٤/٢ ح/١١١٣، وفي رواية عند مسلم (٢/١١١٤) أن الإفطار كان بكراع الغميم، وفي رواية (١١٣/٢) أنه كان بعسفان، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام ٦٠/٤.

مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه^(١٩). واختلفوا في تاريخ الفتح ما بين ثنتي عشرة وثلاث عشرة وست عشرة وسبع عشرة وثمان عشرة وتسع عشرة، من رمضان، واتفقوا على أنه في رمضان سنة ثمان، كما جاءت بذلك الروايات عند مسلم^(٢٠).

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رهم، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري^(٢١).

وقبل دخول الرسول ﷺ مكة جاءه بعض زعماء قريش فأعلنوا إسلامهم، منهم ابن عمه أبوسفیان بن الحارث بن عبدالمطلب، أخو الرسول ﷺ من الرضاعة، وقد جاءه بالأبواء، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، وقد جاءه بين السقيا والعرج. وكانا من ألد خصوم الإسلام خاصة أبوسفیان الذي ظل على مدى عشرين سنة يهجو المسلمين ويقاتلهم في كافة الحروب ولكنه عندما أسلم كانت له مواقف بطولية في الدفاع عن الرسول ﷺ، لا سيما موقفه يوم حنين، حين فر الناس، فصمد مع الرسول ﷺ صموداً مشهوداً^(٢٢). وسيأتي خبر ذلك في مكانه. أما عبدالله بن أمية، أخو أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) لأبيها، فقد دافع عن الإسلام بقوة واستشهد في حصار الطائف^(٢٣).

ولقيه ببعض الطريق عمه العباس^(٢٤)، وذكر ابن هشام^(٢٥) ذلك كان بالجحفة، وهو مهاجر بعياله إلى المدينة.

(١٩) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٦٠/٤)، الواقدي (٨٠١/٢)، ابن سعد (١٣٥/٢) وزاد الواقدي وابن سعد أن يوم الخروج كان «أربعاء» - وانظر ابن حجر: الفتح (٦/٩) شرح الحديث (١٩٤٤).

(٢٠) انظروا في صحيح مسلم (٢/ح ١١٣، ١١٦)، وفي رواية عند ابن سعد أن ذلك كان في العاشر من رمضان.

(٢١) ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته ابن هشام (٦١/٤)، وعند ابن سعد (١٣٥/٢) معلقاً أنه استخلف عبدالله بن أم مكتوم.

(٢٢) ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٦١/٤)، ورواه من طريقه هذا الطبري في التاريخ (٣/١١٤ - ١١٥) والحاكم (٤٣/٣ - ٤٥) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل (٥/٢٧ - ٢٨)، والطبراني كما في المجمع (٦/١٦٤ - ١٦٧).

(٢٣) ابن عبد البر: الاستيعاب (٢/٢٦٣).

(٢٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٦٠/٤).

(٢٥) ابن هشام (٦١/٤) نقلاً عن الزهري، معلقاً.

وقيل إن العباس أسلم قبل بدر^(٢٦)، بل قيل قبل الهجرة إلى المدينة^(٢٧). قال ابن حجر^(٢٨): «وكان إسلامه على المشهور قبل فتح مكة - يعني حين سار الرسول ﷺ إلى مكة فاتحا -، وقيل قبل ذلك، وليس بعيد، فإن حديث أنس في قصة الحجاج بن علاط ما يؤيد ذلك». ففي القصة أن العباس عندما سمع برواية الحجاج عن انهزام المسلمين يوم خيبر واستباحتهم وأسر الرسول ﷺ، قعد ولم يستطع القيام من هول الخبر على نفسه، وأخذ ابنا له يشبه الرسول ﷺ يقال له قثم، فاستلقى ووضعه على صدره، وهو يقول: «حي قثم شبيه ذي الأنف الأشم، نبي رب ذي النعم، برغم أنف من رغم». وأرسل غلاما له إلى الحجاج بن علاط يستعلمه الخبر، فطمأن الحجاج الغلام. وعندما أخبره بما قال الحجاج أعتقه، وعندما جاء المسلمون أخبرهم الخبر، وسروا بذلك سرورا عظيما وزالت عنهم الكآبة^(٢٩). وقد جزم ابن عبد البر^(٣٠) بإسلامه قبل خيبر، استنادا إلى حديث الحجاج ابن علاط هذا.

ويقول ابن حجر^(٣١) في ترجيحه إسلام العباس قبل فتح مكة: «... وأما قول أبي رافع في قصة بدر: كان الإسلام دخل علينا أهل البيت فلا يدل على إسلام العباس حينئذ، فإنه كان ممن أسر يوم بدر ففدى نفسه وعقيل ابن أخيه أبي طالب، ولأجل أنه لم يهاجر قبل الفتح لم يدخله عمر في أهل الشورى مع معرفته بفضله واستساقته به...».

(٢٦) ابن سعد (١٠/٢) وفي إسناده حسين بن عبدالله الهاشمي، وهو ضعيف، و(١١/٤)، وفي إسناده الواقدي وابن أبي سبرة وهما ممن لا يحتج بهما.

(٢٧) ابن سعد (٣١/٢) بإسناد منقطع وفيه الواقدي وابن أبي حبيبة، وهو ضعيف.

(٢٨) الفتح (١٤/٢٢٣) ح (٣٧١).

(٢٩) انظر القصة عند عبدالرزاق في المصنف (٥/٤٦٦ - ٤٦٩) وأحد في المسند (٣/١٣٨ - المكتب الإسلامي) أو الفتح الرباني (٢١/١٢٢) من طريق عبدالرزاق وابن حبان في الموطأ ص ٤١٣، والبراز في الكشف (٢/٣٤١) وغيرهم. وقال ابن كثير في البداية (٤/٢٤٢): «وهذا الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن إسحاق بن إبراهيم عن عبدالرزاق به نحوه».

(٣٠) الاستيعاب (٣/٩٥) وهو بهامش الإصابة لابن حجر.

(٣١) الفتح (١٤/٢٢٣).

والذي أرجحه هو ما ذهب إليه ابن عبدالرحمن أن العباس أسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتُم إسلامه بأمر الرسول ﷺ لمصلحة الدعوة وخاصة تزويد الرسول ﷺ بأخبار قريش.

تجمعت جيوش المسلمين بمر الظهران - مكان بين مكة والمدينة - ولم تكن الأنباء قد وصلت قريشا بعد، ولكنهم كانوا يتوقعون أمرا بسبب فشل سفارة أبي سفيان إلى المدينة حين أعانوا بني بكر على خزاعة، فأرسلوا أباسفيان وحكيم بن حزام ومُذَيْل بن وَرْقَاء ليتحسسوا الأخبار عن الرسول ﷺ فالتقى بهم العباس راكبا بغلة الرسول ﷺ وكان يريد أن يرسل إلى قريش رسولا يطلب منهم أن يخرجوا لمصلحة الرسول ﷺ قبل أن يدخل عليهم مكة، وكانوا ثلاثتهم يتحدثون في أمر الجيش المعكسر بمر الظهران وكثرة نيرانه، وقد ظن بديل أنها خزاعة، وعارضه أبوسفيان في هذا، فأخبرهم العباس بأنه جيش المسلمين، فوافقه، وأردفه على البغلة، ولما رآه عمر أراد قتله، ولكن الرسول ﷺ صرفه عن هذا، وعندما أدخل العباس أبا سفيان على الرسول ﷺ أخذ يدعو إلى الإسلام شطرا كبيرا من تلك الليلة، فالان القول وتردد، فطلب الرسول ﷺ من العباس أن يأخذه معه إلى خيمته ويأتي به في صباح اليوم التالي.

وفي الصباح قبل أبوسفيان الإسلام بعد تردد، وطلب العباس من الرسول ﷺ أن يجعل لأبي سفيان شيئا لأنه يحب الفخر، فوافق وقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن...».

وأمر الرسول ﷺ العباس أن يحبس أبا سفيان عند مضيق الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها، ففعل حيث أوقفه على عدة وعدد المسلمين عندما كانت تمر بهما كتائب المسلمين بمر الظهران، حتى إذا مرت به كتيبة المهاجرين والأنصار وفيهم رسول الله ﷺ، قال أبوسفيان: «والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما»، فقال العباس ويحك ياأبا سفيان، إنها النبوة، قال: «فنعلم إذا».

وعندما رأى أبوسفيان ما رأى جاء إلى قومه وصرخ فيهم محذرا لهم بأن

لا قبل لهم بها جاء به محمد، وقال لهم ما قاله الرسول ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد (٣٢).

أما بديل وحكيم، رفيقا أبي سفيان، فقد أسلما بمجرد دخولهما على رسول الله ﷺ (٣٣).

وعندما مرت كتيبة الأنصار بأبي سفيان، قال سعد بن عباد، حامل رايتهم: «اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة» (٣٤)، فاحتج أبوسفيان على هذا القول، فقال له الرسول ﷺ: «كذب سعد - أي أخطأ - ولكن هذا يوم يعظم فيه الله الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة. وأخذ الراية من سعد ودفعها إلى ابنه قيس، ولكن سعداً طلب منه أن يصرف ابنه عن الموضع الذي هو فيه، مخافة أن يقدم على شيء، فصرفه عن ذلك» (٣٥)، وقيل إنه دفع الراية إلى الزبير بن العوام، فدخل الزبير مكة بلوائين (٣٦)، وجزم موسى ابن عقبة في المغازي عن الزهري بأنه دفعها إلى الزبير (٣٧).

لقد ذكر الواقدي (٣٨) تفصيلاً دقيقاً لتوزيع الرايات والألوية على قادة الجيش الإسلامي، وأسماء الرسل الذين أوفدهم النبي ﷺ لاستنفاة القبائل، وعدد أفراد الجيش الإسلامي وعدة كل قبيلة. وقد ثبت أن الرسول ﷺ

(٣٢) من رواية إسحاق بن راهويه عند ابن حجر في المطالب العالية (٢٤٤/٤ - ٢٤٨ ح/٢٤٨). قال ابن حجر: «هذا حديث صحيح»، ورواه ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٦٢/٤) - ٦٧، وسبقها أتم من سياق البخاري: الفتح (١١٣/١٦ - ١١٧ ح/٤٢٨٠)، فلتقارن.

(٣٣) ابن سعد (١٣٥/٢) مطلقاً، الواقدي (٨١٥/٢) بإسناده، وانظر ترجمة بديل في الإصابة (١٤١/١ - ١٤٢) وترجمة حكيم في الإصابة (٣٤٩١). وقال ابن حجر: «تأخر إسلامه حتى أسلم عام الفتح، وثبت في السيرة وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «من دخل دار حكيم بن جزام فهو آمن وقال ابن كثير في البداية (٣٢٣/٥) بعد سياقه حديث ابن إسحاق الذي فيه: ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن... زاد عروة: «ومن دخل دار حكيم بن جزام فهو آمن».

(٣٤) البخاري/ الفتح (١١٦/١٦ - ١١٨ ح/٤٢٨٠). (٣٥) ابن حجر: مختصر زوائد البزار، ص ٢٤٨، وقال: «صحيح»، والفتح (١٧٧/١٦) شرح الحديث (٤٢٨٠)، وقال هنا إن إسناده على شرط البخاري.

(٣٦) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٢٤١/٤)، والهيتمي في المجمع (١٦٩/٦) وقال إن إسناده ضعيف جداً، لأن فيه محمد بن الحسن بن زبالة، علماً بأن الثابت في الصحيح إن راية رسول الله ﷺ كانت مع الزبير: البخاري/ الفتح (١١٨/١٦ ح/٤٢٨٠).

(٣٧) ابن حجر: الفتح (١١٧/١٦) شرح الحديث (٤٢٨٠). وابن كثير في البداية (٣٢٣/٤ - ٣٢٨).

(٣٨) المغازي (٧٩٩/٢ - ٨٠١).

عندما وصل مر الظهران عين القادة وقسم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب، فكان ابن الوليد على المجنبه اليمنى والزيبر على المجنبه اليسرى وأبو عبدة على الرجال^(٣٩). وكانت راية الرسول ﷺ سوداء ولواؤه أبيض^(٤٠).

وقد جمعت فريش جموعاً من قبائل شتى ومن أتباعها لحرب المسلمين، وقالوا نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا. فأمر رسول الله ﷺ بقتالهم، وسارت جيوشه حتى انتهت إلى الصفاء، ما يعرض لهم أحد إلا قتلوه^(٤١). وقاد هذا الجمع صفوان بن أمية وعكرمة ابن أبي جهل وسهيل بن عمرو، واختاروا الخندمة ليقاتلوا فيها^(٤٢).

ودخل الرسول ﷺ مكة من أعلاها من جهة كداء^(٤٣) خاشعاً شاكراً يقرأ سورة الفتح ويرجع في قراءتها وهو على راحلته^(٤٤)، ودخل ابن الوليد من أسفلها^(٤٥). والتحم خالد عند الخندمة مع بعض المشركين فاستشهد اثنان من فرسان المسلمين^(٤٦)، وقيل ثلاثة^(٤٧)، وقيل قتل من المشركين اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً - بالشك^(٤٨)، وقيل قريب من عشرين رجلاً، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة^(٤٩)، وقيل أربعة وعشرون من قريش وأربعة من

(٣٩) مسلم (١٤٠٦/٣ ح/١٧٨٠)، ومن رواية ابن إسحاق من حديث عبدالله بن أبي نجيع، بإسناد منقطع - ابن هشام (٦٩/٤)، (٧٠).

(٤٠) صحيح سنن ابن ماجه للألباني (١٣٣/٢) أرقام (٢٢٧٤، ٢٨١٨)، وقال: «حسن»، وكون لوائه أبيض رواه أبوداود: السنن (٧٢/٣) ك. الجهاد/ ب. في الرايات والألوية/ ح (٢٥٩١، ٣٥٩٢) بإسناد حسن، والنسائي: السنن (٣٠٠/٥) ك الحج/ ب. دخول مكة باللواء.

(٤١) مسلم (١٤٠٥/٣ ح/١٧٨٠).

(٤٢) من رواية ابن إسحاق عن اثنين من شيوخه الثقات - عبدالله بن أبي بكر وعبدالله بن أبي نجيع مرسل - ابن هشام. والخندمة أسم جبل بمكة.

(٤٣) البخاري/ الفتح (١٢٩/١٦ ح/٤٢٩٠، ٤٢٩١).

(٤٤) البخاري/ الفتح (١٢٣/١٦ ح/٤٢٨١).

(٤٥) الفتح (١٢٨/١٦) شرح الحديث (٤٢٨٠).

(٤٦) البخاري/ الفتح (١١٩/١٦ ح/٤٢٨٠) وهما جيش ابن الأشعر والأشعر لقب واسمه خالد بن سعد بن منقر بن ربيعة الخزاعي، أخو أم معبد - انظر: شرح ابن حجر، وعند ابن إسحاق خنيس بن خالد بن ربيعة وكرز بن جابر الفهري.

(٤٧) من رواية ابن إسحاق عن اثنين من شيوخه الثقات، مرسل - ابن هشام (٧١/٤)، وهم: كرز بن جابر وسلمة بن الميلاء وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بني منقر، وذكر أن كرزاً وخنيساً قُتلا عندما ضل الطريق وما في الصحيح أصح.

(٤٨) المصدر والمكان نفسهما.

(٤٩) من مرسل موسى بن عقبة كما نقله عنه البيهقي في السنن الكبرى (١٢٠/٩) وفيه مجاهيل.

هذيل^(٥٠)، وقيل سبعون قتيلًا^(٥١). ومن القرائن التي ترجح رواية موسى بن عقبة - باعتبار أنه من رجال الجماعة وأوثق من ابن إسحاق وابن سعد والواقدي - قول أبي سفيان: «يارسول الله، أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم»^(٥٢).

والظاهر من الأحاديث أن هذا القتل الذي حدث لم يكن ليحدث لو احترم كل المشركين الأمان الذي أعلنه الرسول ﷺ لأهل مكة^(٥٣)، ذلك الأمان الذي فسره بعض الأنصار، بأنه رغبة النبي ﷺ في قريته ورأفة بعشيرته، فأخبره الوحي بها قالوا، فخطبهم قائلاً: «كلا. إني عبدالله ورسوله. هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم»، فأقبلوا إليه ليكون ويقولون: والله! ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله، فقال لهم: إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم»، فأقبل بعض الناس إلى دار أبي سفيان والبعض الآخر أغلقوا عليهم أبوابهم^(٥٤).

لقد استثنى الرسول ﷺ من ذلك الإعلان أربعة رجال وامرأتين إذ أعلن إهدار دمائهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة، والرجال هم: عكرمة بن

(٥٠) الواقدي (٨٢٧/٢ - ٨٢٩)، ابن سعد (١٣٦/٢) وكلاهما رواه معلقاً.
(٥١) من رواية الطبراني كما ذكر ابن كثير في البداية (٣٣١/٤) بإسناد فيه شعيب بن صفوان الثقفي، وهو مقبول، وعطاء بن السائب وهو صدوق قد اختلط، فالحديث ضعيف، يتقوى بغيره، كما قال الدكتور محمد أحمد الدوم في رسالته للماجستير. مرويات غزوة فتح مكة - غير مطبوعة - ص ١٢٥.

(٥٢) مسلم (١٤٠٦/٣ ح ١٧٨٠).
(٥٣) انظر ذلك الحديث الذي فيه أخذ الرسول ﷺ الراية من سعد عندما علم بقوله: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة»، وقول الرسول ﷺ: «كذب سعد»، وحديث ابن إسحاق في أن الرسول ﷺ عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم - ابن هشام (٧٢/٤) معلقاً وكان الأمان: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابَه فهو آمن» من رواية مسلم (١٤٠٨/٣ ح ١٧٨٠) وفي رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٦٢/٤) - (٦٧) وإسحاق ابن راهويه في المطالب العالية (٢٤٤/٤ - ٢٤٨ ح ٤٣٦٢) بإسناد صحيح: «ومن دخل المسجد فهو آمن».

(٥٤) مسلم (١٤٠٦/٣ ح ١٧٨٠).

أبي جهل^(٥٥)، وعبدالله بن خَطَل^(٥٦)، ومُقَيْس بن صُبَّابَة^(٥٧)، وعبدالله بن أبي سَرْح^(٥٨)، وقد قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة^(٥٩)، وقتل مقيس في سوق مكة، واختفى عكرمة وابن سعد حتى ضمنا الأمان من الرسول ﷺ، فجاء مسلمين وحققنا دمهما^(٦٠). والمراثان هما: فَرْتَنَى وسارة وقيل فَرْتَنَى وأخرى كانتا جارتين لابن خطل^(٦١)، وأن سارة كانت لعكرمة بن أبي جهل^(٦٢). وأما قيتا ابن خطل فقتلت إحداها وهربت الأخرى حتى استؤمن لها، فأمنها رسول الله ﷺ. وأما سارة فكذلك هربت حتى استؤمن لها، وعاشت إلى زمان عمر فوطئها رجل بفرس فقتلها^(٦٣).

- (٥٥) انظر الواقدي: المغازي (٢/٨٢٥). ويدل ما جاء في قصة إسلامه على ثبوت إهدار الرسول ﷺ دمه.
- (٥٦) كان مسلماً، فأرسله الرسول ﷺ مع أحد الأنصار مصدقاً، وكان معها مولى له مسلم يخدمه، فعدا على مولاة فقتله لأنه لم يصنع له طعاماً، ثم ارتد مشركاً - ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٤/٧٤).
- وكان يهجو رسول الله ﷺ بالشعر - ابن حجر: الفتح (١٦/١٢٦) - شرح الحديث (٤٢٨٦).
- (٥٧) قتل أنصاري أخاه خطأ يوم الريح، فأعطى الدية، ثم عدا على الأنصاري فقتله وهرب إلى مكة مرتداً - ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٤/٧٥) والبيزاري في الكشف (٢/٣٤٣) بإسناد فيه السدي، وهو ضعيف، والطبراني في الأوسط. وفيه الحكم بن عبد الملك، وهو ضعيف، كما في المجمع (٦/١٦٧ - ١٦٨) وعبد الرزاق في المصنف (٥/٣٧٧ - ٣٧٨) بإسناد فيه عثمان الجزري، وفيه كلام، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/٤٩١) وفيه السدي، والنسائي (٧/١٠٥) ك. الحدود/ ب. الحكم في المرتد، فيكون الحديث بهذه الشواهد والمتابعات حسناً لغيره.
- (٥٨) كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد: ابن سعد (٢/١٤١) مرسلًا عن سعيد ابن المسيب، والطبراني في الأوسط، وعبد الرزاق في المصنف والنسائي: انظر: الحاشية السابقة - رقم (٥٧)، وفيها بقية المعلومات، وابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٤/٧٣)، وأبو داود في سننه (٣/١٣٣) - ١٣٤/ ك. الجهاد/ ب. الأسير يقتل) وفيه السدي وأسيباط وهما ضعيفان. وبهذه الطرق والشواهد والمتابعات يكون الحديث حسناً لغيره.
- (٥٩) البخاري/ الفتح (١٦/١٢٦) ح (٤٢٨٦).
- (٦٠) النسائي: سنن البيهقي: زهرة الربا (٧/١٠٥) بإسناد ضعيف، وله شاهدان، ضعيفان، أحدهما رواه البيهقي في الدلائل (٥/٦٠ - ٦١) بإسناد فيه الحكم بن عبد الملك، وهو ضعيف، والآخر السنن الكبرى (٩/١٢٠) وفيه عمرو بن عثمان المخزومي، مقبول، وشاهد ثالث ضعيف جدا في الدلائل (٥/٩٥) بإسناد فيه أسيباط والسدي، وهما ضعيفان، فيكون الحديث حسناً بطلقة.
- (٦١) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٤/٧٤)، وقال كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه. وروى حديث قتلها الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في المطالب العالية (٤/٢٤٣)، وأبو داود في سننه (٣/١٣٤) ك. الجهاد/ ب. قتل الأسير/ ح (٢٦٨٥) مختصراً، وفيه السدي وأسيباط، والنسائي (٧/١٠٥ - ١٠٦) ك. الحدود/ ب. الحكم في المرتد) بإسناد ضعيف. فيكون الحديث حسناً بهذه الطرق.
- (٦٢) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٤/٧٦).
- (٦٣) الفتح (١٦/١٢٠) شرح الحديث (٤٢٨٠) وذكر أسماهم ومصادره في ذلك والاختلاف بينها، وسبب إهدار دم كل فرد منهم، ومن قتل ومن عُفِيَ عنه، وانظر في هذا أيضاً: ابن إسحاق واستدراكات ابن هشام، كلاهما معلقاً - ابن هشام (٤/٧٣ - ٧٤). وقد اضطربت الروايات في هذا الأمر - انظر رسالة الدعوى، صص ١٢٧ - ١٣٧.

ويذكر الحافظ أن عدد الذين أهدر الرسول ﷺ دماءهم تسعة من الرجال وست أو ثمانٍ من النساء وذلك للاختلاف في القيتين، إذ يحتمل أن تكون أرنب وأم سعد هما القيتان. ومن ذكرهم من غير ما ذكرنا: الحويرث ابن نُقَيْذ، نخس بعير ابنتي رسول الله ﷺ فاطمة وأم كلثوم، يوم هجرتهما، فرمى بهما إلى الأرض فقتله علي، وهُبَّار بن الأسود الذي عرض لزَيْنَب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت فنخس بعيرها حتى سقطت على صخرة، واسقطت جنينها، ففر يوم مكة، ثم أسلم وحسن إسلامه، والحارث بن طَلَّاطِل الخزاعي، فقتله علي، وكعب بن زهير، وقد جاء بعد ذلك وأسلم، ووحشي بن حرب، قاتل حمزة، هرب إلى الطائف، ثم جاء في وفد ثقيف وأسلم وحسن إسلامه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان، وقد أسلمت.

وذكر الواقدي^(٦٤) أن الرسول ﷺ أمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة: عكرمة وهبار وابن سعد ومقيس والحويرث وابن خطل وهند بنت عتبة وسارة مولاة عمرو بن هشام وقيتين لابن خطل.

وسبب إهدار النبي ﷺ دم هؤلاء كما هو واضح من سيرتهم، ما ألحقوه من أذى شديد وتكليف بالمسلمين، وكان في إهدار دمهم عبرة للطغاة والمستهترين بأرواح الأبرياء في كل زمان ومكان.

أحل الرسول ﷺ لخزاعة أن تثار من بني بكر في اليوم الأول من الفتح حتى العصر، وذلك لما كان منهم بالوتير. وعندما دخل العصر أمر بكف السلاح عن بني بكر وبيّن حرمة مكة، وعندما قتلت خزاعة رجلا من بني بكر في اليوم التالي بمزدلفة غضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا، ودفع دية البكري، وقال إن من يقتل بعد ذلك قتيلا فأهل القتل بالخيار بين القصاص والدية^(٦٥).

(٦٤) المغازي (٢/٨٢٥).

(٦٥) أحمد: الفتح الرباني (٢١/١٥٩) بإسناد حسن لذاته، ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته، من حديث أبي شريح الخزاعي في حرمة مكة - ابن هشام (٤/٨٢ - ٨٣). ورواية ابن إسحاق في المسند: الرباني (٢١/١٦٢)، ومعها رواية أخرى في المسند: الرباني (٢١/١٦٠) فيها مسلم ابن زيد السعدي - مقبول - وقد تويع، فقويت روايته وارتفعت إلى درجة الحسن لغيره، وحديث أبي شريح في حرمة مكة، رواه البخاري: الفتح (١٦/١٣١) ح (٤٢٩٥) وفي أماكن أخرى، ومسلم (٢/٩٨٧ - ٩٨٨ ح/١٣٥٤) ورواه غيرهما.

وذكر ابن إسحاق^(٦٦) تفاصيل مقتل هذا البكري، واسمه ابن الأشوع الهذلي، وقتله خراش بن أمية، لقتله أحد فرسان خزاعة، واسمه أحر. وأعلن الرسول ﷺ العفو عن عامة أهل مكة، عندما اجتمعوا إليه قرب الكعبة ينتظرون حكمه فيهم، فقال لهم: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: «خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم». فقال: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم»^(٦٧) وفي رواية، أنه قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٦٨) ولذا عرفوا في التاريخ بـ «الطلاق».

وكان هذا الموقف من الرسول ﷺ لما نزل من القرآن ﴿وإن عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾^(٦٩)، وقال: «نصبر ولا نعاقب» مختارا العفو والصبر، تَفَضُّلاً واحتساباً^(٧٠). وبين الرسول ﷺ للناس حرمة مكة وأنها لا تغزى بعد الفتح^(٧١)، وأعلى من مكانة قريش، وأمر ألا يقتل قرشي صبرا بعد يوم الفتح إلى يوم القيامة^(٧٢).

واستثنى الرسول ﷺ مكة من معاملة البلاد التي تفتح عنوة، وذلك لقدسيتها، فحرم القتل أو السبي فيها، وأبقى الأموال الثابتة والمنقولة في أيدي أصحابها، ولم يفرض عليها خراجا، ولهذا ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة ولا إجارة بيوتها، يسكن أهلها فيها يحتاجون إليه من دورها، وما زاد عن حاجتهم فهو لسكنى الحجاج

(٦٦) ابن هشام (٨١/٤ - ٨٢) بإسناد حسن، إذا ثبت أن الرجل المبهم صحابي.
(٦٧) أبو عبيدة: الأموال، ص ١٤٣، بأسناد حسن لكنه مرسل، ابن إسحاق، بإسناد فيه جهالة - ابن هشام (٧٧/٤ - ٧٨)، ابن سعد (١٤١/٢ - ١٤٢) بإسناد فيه جهالة، من حديث الزهري، ولو ثبت أنه صحابي صح الحديث، وفي سياقه اختلاف يسير عن مرسل أبي عبيد وابن إسحاق، وابن أبي الدنيا في دم الغضب كما في كنز العمال (٣٨٩/١٠) باختصار، وابن السني في: «عمل اليوم والليلة»، عن عمر، ص ٩٩، وفي سننه عبدالله بن المؤمل، وهو ضعيف كما في الكامل لابن عدي (٤٥٤/٤ - ٤٥٦) والحديث يتقوى بهذه الطرق.

(٦٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد فيه جهالة، من حديث الزهري - ابن هشام (٧٨/٤).
(٦٩) النحل: ١٢٦.

(٧٠) أحمد: المسند (١٣٥/٥) والألباني: صحيح الترمذي (٦٧/٣) - التفسير/ ٣٣٤٩ وقال: «حسن صحيح الإسناد». وقال الحاكم (٣٥٩/٢): «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٧١) أحمد: المسند (٤١٢/٤) بإسناد حسن لذاته، سنن الترمذي (٨٣/٣) وقال: «حسن صحيح».

(٧٢) مسلم (١٤٩/٣) ح/ ١٧٨٢، وأحمد: المسند (٤١٢/٣) بإسناد صحيح.

والمعتمرين والمقاصدين المسجد الحرام، وذهب آخرون إلى جواز بيع أراضيها وإجارة منازلها، واستدلوا في ذلك بآثار قوية، بينما أدلة المانعين لذلك آثار مرسلة وموقوفة^(٧٣).

ونزل رسول الله ﷺ بقبة ضربت له بالحجون، في المكان الذي تعاقدت فيه قريش على مقاطعة بني هاشم والمسلمين، وهو تحيف بني كنانة، ويعرف بالمحصب، لأن داره قد أخذها عقيل بن أبي طالب، وهو لا يرثه لأنه كافر^(٧٤)، ولم يرث علي وجعفر شيئا من الدور، لأنها مسلمان وقد مات أبوهما كافرا. إضافة إلى أن عقيلًا وطالبا باعا كل الدور^(٧٥).

وأمر الرسول ﷺ بتطهير البيت الحرام بإزالة الأصنام عنه وشارك بيده في تكسرها، وهو يقرأ: ﴿قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾^(٧٦) و﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾^{(٧٧)(٧٨)} وكان عددها ستين وثلاثمائة^(٧٩). وكان بداخل الكعبة صور لإبراهيم وإسماعيل وإسحق وهم يستقسمون بالأزلام، فلطخت بالزعفران ولم يدخل الكعبة إلا بعد إخراجها منها، وقال: «قاتلهم الله ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام»^(٨٠)، وفي رواية قال: «هذا إبراهيم مصور فماله يستقسم»^{(٨١)؟} وفي رواية أن صورة مريم أيضا كانت داخل الكعبة^(٨٢). ووجد حمامة من عيدان فكسرها، ورمى بها خارج الكعبة^(٨٣).

(٧٣) باختصار عن ابن القيم في الزاد (٤٣٥/٣ - ٤٤١) وذكر أن الأئمة المانعين هم: مجاهد وعطاء بمكة، ومالك بالمدينة وأبو حنيفة بالعراق والثوري وأحمد وابن راهويه، ومال ابن القيم إلى الفريق المجوز.

(٧٤) البخاري/ الفتح (١٢٤/١٦) ح (٤٢٨٢) و(٢٤٢/٧) ح (١٥٨٩: ١٥٩٠)، مسلم (٩٨٤/٢) ح (١٣٥١).

(٧٥) البخاري/ الفتح (٢٤١/٧) ح (١٥٨٨).

(٧٦) سبأ: ٤٩.

(٧٧) الإسراء: ٨١.

(٧٨) البخاري/ الفتح (١٢٧/١٦) ح (٤٢٨٧) وفيه آية سبأ فقط، ومسلم (٢٤٠٨/٣) ح (١٧٨١). وفيه الأيتان، وفي روايتين أخرين له، ذكر فقط آية الإسراء، ابن هشام، بإسناد فيه جهالة من حدته، ورجاله ثقات (٨٤/٤ - ٨٥) وذكر آية الإسراء.

(٧٩) البخاري/ الفتح (١٢٦/١٦) ح (٤٢٨٧). مسلم (١٤٠٨/٣) ح (١٧٨١).

(٨٠) البخاري/ الفتح (١٢٧/١٦) ح (٤٢٨٨) وأحمد في المسند (٣٦٥/١) بإسناد صحيح، وابن قانع في معجمه كما في شفاء الغرام (٢٣٠/١) بتحقيق الدكتور تدمري، وفيه أنه طينها ثم لطحها بالزعفران.

(٨١) البخاري/ الفتح (١٢٩/١٣) ح (٣٣٥١).

(٨٢) المصدر والمكان نفسهما.

(٨٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن كما عند الذهبي في مغازيه (ص ٥٥٢).

وعندما طهرت الكعبة دخلها وصلى بها ركعتين^(٨٤)، ثم خرج فأعطى مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة، وأبقى الحجابة في أيدي بني شيبه كما كانت في الجاهلية^(٨٥). ثم استلم الحجر الأسود، وطاف بالبيت من غير إحرام، وكان على رأسه المغفر يوم دخل مكة، ثم لبس عمامة سوداء^(٨٦). وكان يستلم الركن بمحجنه^(٨٧)، كراهة أن يزاحم الناس في طوافهم وتعليمها للأمة الإسلامية.

وأمر بلالا أن يؤذن، فعلا بلال على ظهر الكعبة فأذن عليها، فقال بعض بني سعيد بن العاص: «لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة»^(٨٨). وقال بعض زعماء قريش بنحو هذا^(٨٩).

وعندما تم تطهير البيت الحرام من الأصنام أرسل الرسول ﷺ ببعوثا إلى مناطق مختلفة لإزالة أكبر الأصنام التي بها. فقد أرسل خالد بن الوليد في ثلاثين رجلا إلى بطن نخلة من ديار ثقيف لهدم العزى، صنم مضر وقريش وكنانة، فهدمها^(٩٠). وكان ذلك لخمسة ليال بقين من رمضان^(٩١). وأرسل سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارسا إلى صنم مناة بالمشلل من ناحية

- (٨٤) البخاري/ الفتح (١٦/٢٣٢) ح (٤٤٠٠) وفيه تفاصيل عن مكان وكيفية صلاته داخل الكعبة.
 (٨٥) روى عبد الرزاق في مصنفه (٥/٨٣ - ٨٥/٨٥) ح (٩٠٧٣، ٩٠٧٤، ٩٠٧٦) وفيها أن الرسول ﷺ طلب من عثمان أن يغيثوا المفتاح، وابن حجر في الفتح (١٦/١٢٨ - ١٢٩) شرح الحديث (٤٢٨٩)، روى عدة أحاديث ضعيفة، ولكن تتقوى بمجموعها وطرفها.
 (٨٦) البخاري (١٦/١٢٥) ح (٤٢٨٦) وليس فيه لبس العمامة السوداء، ومسلم (٢/٩٩٠) ح (١٣٥٨).
 (٨٧) البخاري/ الفتح (٧/٢٦٦ - ٢٦٧) ح (١٦٠٢)، ومسلم (٢/٩٢٦) ح (١٢٧٢)، وأبو داود السنن (٢/٤٤١ - ٤٤٢) ك. المناكح/ الحج/ ب. الطواف الواجب/ ح (١٨٧٧، ١٨٧٨) بإسناد حسن لذاته، والطبراني بإسناد رجاله رجال الصحيح كما ذكر الهيثمي في المجمع (٣/٢٤٤).
 (٨٨) الذهبي: المغازي، ص ٥٥٥ بإسناد حسن إذا ثبت أن الذي حدث بسارا من الصحابة، وروى خبر أذان بلال على الكعبة عروة مرسل كما عند الذهبي في مغازيه، ص ٥٥٥ والبيهقي في الدلائل (٥/٧٨) بإسناد صحيح، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٢٣٤ - ٢٣٥) مرسلًا ورجاله ثقات، وفيه الحارث بن هشام وصفوان بن أمية هما اللذان علقا على الأذان فقال أحدهما: «انظر إلى هذا الخبيث»، وقال الآخر: «إن يكرهه الله يغيره»، ورواه البيهقي في الدلائل من طريق عبد الرزاق مرسلًا (٥/٧٩)، وهذا يتقوى الحديث. ورواه الواقدي (٢/٨٤٦) بأسانيده.
 (٨٩) انظر أقوالهم عند الواقدي في مغازيه (٢/٨٦٤) بأسانيده، وعند ابن هشام بإسناد منقطع - السيرة (٤/٨٠).
 (٩٠) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/١١٢) وفيه أن سدتها وحجابه من بني شيبان ومن بني سليم، حلفاء بني هاشم، وابن سعد (٢/١٤٥) معلقا، والواقدي (٢/٨٧٣)، والمزي: تحفة الأشراف (٤/٢٣٥) ح (٥٠٥٤) تنالا عن السنن الكبرى للنسائي، وفيه الوليد بن جميع - صدوق بهم.
 (٩١) ابن سعد (٢/١٤٥) معلقا، والواقدي (٢/٨٧٤).

- قديد وهو القديدية الآن - وهو صنم يعظمه العرب وخاصة الأوس والخزرج قبل إسلامهم، فهدمها^(٩٣)، وذلك لست بقين من رمضان^(٩٣). وأرسل عمرو ابن العاص الى سُوَاع، صنم هُذَيْل، فهدمها^(٩٤). وهذه الأصنام هي التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾^(٩٥).

واجتمع الناس لمبايعة الرسول ﷺ على السمع والطاعة لله ورسوله، فلما فرغ من بيعه الرجال بايع النساء. واجتمع إليه نساء قريش فيهن هند بنت عتبة، زوج أبي سفيان، متقبعة متكرة لما كان من صنيعها بحمزة (رضي الله عنه) يوم أحد، فلما دنون منه ليباعه، قال رسول الله ﷺ: «تبايعني على أن لا تشركن بالله شيئا، فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما أخذته على الرجال سنؤتيكه». قال: ولا تسرقن، قالت والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة، وما أدري أكان ذلك حلا لي أم لا؟ فقال أبوسفيان وكان شاهدا لما تقول: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل. فقال عليه السلام: «وإنك لهند بنت عتبة؟» فقالت: أنا هند بنت عتبة، فاعف عما سلف عفا الله عنك. قال: ولا تزنين، قالت وهل تزني الحرة؟ قال: ولا تقتلن أولادكن، قالت: قد ربيناهم صغارا وقتلهم يوم بدر كبارا، فأنت وهم أعلم، فضحك عمر من قولها حتى استغرب^(٩٦)، قال: ولا تأتين بهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، فقالت: والله إن اتيان البهتان لقييح، ولبعض التجاوز أمثل. قال: ولا تعصيني في معروف. فقال رسول الله ﷺ لعمر: بايعهن، واستغفر لهن رسول الله ﷺ، فبايعهن عمر. وكان رسول الله ﷺ لا يوافق النساء ولا يمس امرأة ولا تمسه، إلا امرأة أحلها الله له^(٩٧).

(٩٢) ابن سعد (١٤٦/٢) - معلقا - وقيل إن الذي هدمها هو علي - انظر: الكلي: الأصنام، ص ١٥.

(٩٣) ابن سعد (١٤٧/٢) معلقا.

(٩٤) المصدر نفسه - ابن سعد (١٤٦/٢) معلقا.

(٩٥) النجم: ١٩ و ٢٠.

(٩٦) استغرب: استلقى على قفاه كما في رواية أخرى. انظر: السيرة الشامية (٣٧٢/٥).

(٩٧) رواه الطبري في التاريخ (٦١/٣ - ٦٢) بلاغا.

وقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ كان يبايع النساء بالكلام، بالآية: ﴿لَا يَشْرِكُنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾^(٩٨) وما مست يده يد امرأة أجنبية^(٩٩).

وكان من أبرز نتائج هذا الفتح أن أخذت قبائل العرب وأفرادها يبادرون بإسلامهم، لأنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش. فقد روى البخاري^(١٠٠) من حديث عمرو بن سَلَمَةَ الجرمي، قوله: «وكانت العرب تلوم بإسلامها الفتح، يقولون: انظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق وهو نبي، فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم». وكانت هذه النظرة لقريش لأنها كانت زعيمة العرب وحامية البيت وصريح ولد إسماعيل وناصبة الحرب لرسول الله ﷺ، فلما افتتحت مكة، ودانت قريش لرسول الله ﷺ ودوخها الإسلام عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ وعداوته، فدخلوا في دين الله أفواجا، كما قال (عز وجل) ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(١٠١).

وخطب الرسول ﷺ أثناء إقامته بمكة عدة خطب بين فيها أمورا وأحكاما مختلفة، ففي الخطبة الأولى، التي كانت على باب الكعبة، بين دية الخطأ شبه العمد، وألغى مآثر الجاهلية وثاراتها، واستثنى من أمور الجاهلية سقاية الحاج وسدانة البيت^(١٠٢).

وأعلن في الخطبة الثانية: «ألا إنه لا حلف في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لا يزيده إلا شدة. والمؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أذناهم، ويرد عليهم أقصاهم، يرد سراياهم على فعيديتهم. لا يقتل مؤمن بكافر. دية الكافر نصف دية المسلم. لا جلب

(٩٨) المتنحة: ١٢.

(٩٩) البخاري/ الفتح (٩٨/٢٠ - ٩٩/٢٥٨٨) مسلم (٣/١٤٨٩/١٤٨٦).

(١٠٠) البخاري/ الفتح (١٦/١٣٣ - ١٣٤/١٣٠٢).

(١٠١) سورة النصر، وانظر: ابن إسحاق - معلقا ابن هشام (٤/٧٣)، وتفسير ابن عباس لمضمون سورة النصر من رواية البخاري/ الفتح (١٦/١٣٠) ح (٤٢٩٤).

(١٠٢) مسند أحمد (٣/٤١٠) بإسناد حسن لذاته، وأبو داود: السنن (٢/٤٩٢) بإسناد صحيح.

ولا خيب ولا تؤخذ صدقاتهم إلا في دورهم»^(١٠٣).
وأعلن في الخطبة الثالثة تحريم مكة، وتحريم صيدها وخلها وشجرها
ولقطتها وتحريم القتال فيها، وقال إن الله تعالى أحلها له ساعة من نهار،
وهو وقت الفتح^(١٠٤). وقال لا هجرة بعد الفتح، ويبقى الجهاد والنية،
ولذلك بايع النبي ﷺ المسلمين بعد الفتح على الإسلام والإيمان والجهاد،
ولم يبايعهم على الهجرة^(١٠٥).
وبين في الخطبة الرابعة أن من قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين، إما أن
يودى وإما أن يقاد^(١٠٦).

الأحكام والدروس والعظات والعبر المستفادة من أحداث غزوة الفتح:

- ١ - جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، فقد أفطر
الرسول ﷺ عندما بلغ كديداً، كما ذكرنا.
- ٢ - صلى النبي ﷺ صلاة الضحى ثمان ركعات خفيفات^(١٠٧)، فاستدل قوم
بهذا على أنها سنة مؤكدة^(١٠٨).
- ٣ - إن أحق المصلين بالإمامة أكثرهم حفظاً للقرآن، كما في حديث عمرو
ابن سلمة^(١٠٩).
- ٤ - قصر الصلاة الرباعية للمسافر، فقد أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر
يوماً يقصر الصلاة^(١١٠).

(١٠٣) أخرجه أوله مسلم (٤/١٩٦١ ح/٢٥٣٠) إلى قوله: «شدّة»، وأخرجه أحد مقطعا في مواضع
مختلفة من المسند وكاملا في مسنده: (انظر الرباني (٢١/١٦٠ - ١٦١)، وقال الساعدي: «وهو
حديث صحيح، صححه الترمذي وغيره، وله شواهد كثيرة تعضده. والجلب: أن يأتي الرجل
بسن يصيح على فرسه ويرزجه حتا له على الجري حتى يسبق، والخبب: أن يسابق الرجل على
فرسين يركب الأول فإذا فتر تحول إلى الثاني.

(١٠٤) البخاري / الفتح (١٦/١٣١ ح/٤٢٩٥) مسلم (٢/٩٨٧ ح/٣٥٤).
(١٠٥) البخاري / الفتح (١٦/١٣٧ - ١٣٨ ح/٤٠٣٥) مسلم (٣/١٤٨٧ - ١٤٨٨ ح/١٨٦٤).

(١٠٦) البخاري / الفتح (٢٦/٢٧ - ٢٨ ح/٦٨٨٠)، مسلم (٢/٩٨٨ ح/١٣٥٥).

(١٠٧) البخاري / الفتح (١٦/١٣١ ح/٤٢٩٥) مسلم (١/٤٩٧ ح/٣٣٦).

(١٠٨) البخاري / الفتح (١٦/١٣٤ ح/٤٣٠٢)، انظره فقيه طرفة.

(١٠٩) البخاري / الفتح (١٦/١٣٢ ح/٤٢٩٩)، (٤٢٩٩).

(١١٠) البخاري / الفتح (١٢/٢٦٢ ح/٣١٧١)، مسلم (١/٤٩٨ ح/٣٣٦).

٥ - إقرار أمان وجوار النساء، حيث أمضى الرسول ﷺ جوار أم هانئ لرجلين من أحائها^(١١١).

٦ - تحريم نكاح المتعة إلى الأبد بعد إباحته لمدة ثلاثة أيام^(١١٢). ويرى النووي^(١١٣) أنه وقع تحريمه وإباحته مرتين، إذ كان حلالا قبل غزوة خيبر، فحرم يومها، ثم أبيع يوم الفتح، ثم حرم للمرة الثانية إلى الأبد. ويرى ابن القيم^(١١٤) أن المتعة لم تحرم يوم خيبر، وإنما كان تحريمها فقط يوم الفتح، وله في هذا مناقشة طويلة عند كلامه عن الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث غزوة خيبر وغزوة الفتح. والمتفق عليه أنها حُرمت إلى الأبد بعد الفتح.

٧ - قرر الرسول ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر كما جاء ذلك في حديث ابن وليدة زمعة بن زمعة. فقد تنازع فيه سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة، ف قضى فيه رسول الله ﷺ لعبد بن زمعة لأنه ولد على فراش أبيه^(١١٥).

٨ - اعتبار عقد النكاح قائما بين الزوج المشرك والزوجة المسلمة، إذا أسلم الزوج قبل انقضاء عدة الزوجة، وذلك من خلال قصة صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، إذ أسلمت زوجتهما قبلهما، ثم أسلما قبل انقضاء عدتيهما^(١١٦).

٩ - عدم جواز الوصية بأكثر من ثلث المال، كما في قصة سعد بن أبي وقاص حين مرضه بمكة واستشاره الرسول ﷺ في أن يوصي بأكثر من

(١١١) البخاري/ الفتح (١٢/٢٦٢) ح (٣١٧١)، مسلم (١/٤٩٨) ح (٣٦٦).

(١١٢) مسلم (٢/١٢٣) ح (١٤٠٥) و (١٤٠٦).

(١١٣) النووي/ شرح مسلم: (٩/١٨١).

(١١٤) زاد المعاد (٣/٣٤٣ - ٣٤٥ و ٤٥٩ - ٤٦٤).

(١١٥) البخاري/ الفتح (١٦/١٣٥) ح (٤٣٠٣).

(١١٦) مالك: الموطأ/ شرح الزرقاني: (٣٦١٣ - ٣٦٣٨) ك. النكاح/ ب. نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله، مرسل، من رواية الزهري، وقال الزرقاني: «قال ابن عبد البر: لا أعلمه يتصل من وجه صحيح وهو حديث مشهور معلوم عند أهل السير وابن شهاب إمام أهلها وشهرة هذا الحديث أقوى من إسناده»، وابن عساكر في تاريخ دمشق (تراجم النساء) بتحقيق سكية الشهابي، ص ٥٠٢، ابن إسحاق، بإسناد مرسل من حديث الزهري - ابن هشام (٤/٨٧).

- ١٠ - يجوز للمرأة أن تأخذ من مال زوجها لنفقتها ونفقة عياله بالمعروف دون علمه إذا امتنع عن النفقة، كما في خبر هند بنت عتبة^(١١٨).
- ١١ - تحريم بيع الخمر والميتة والأصنام^(١١٩).
- ١٢ - جواز خضاب الشيب بالخناء أو الصفرة وتحريم خضابه بالسواد كما في قصة أبي حنيفة - والد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) - حين أمر الرسول ﷺ بتغيير شيبه^(١٢٠). ومن حكمة ذلك أنه مخالفة لليهود والنصارى..
- ١٣ - النهي عن الشفاعة في حدود الله بعد رفعها للإمام كما في قصة المرأة المخزومية التي سرقت فتشفع فيها أسامة بن زيد، فغضب الرسول ﷺ منه، ثم قال: «إنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»^(١٢١).
- ١٤ - نهى رسول الله ﷺ عن قتل المرأة مادامت لا تقاتل كما جاء مبينا في قصة مروءة بامرأة مقتولة يوم الفتح، فقال: «ما كانت هذه تقاتل...»^(١٢٢)، وجاء النهي عن قتل النساء والصبيان مطلقا غير مقيد بغزوة أو سرية معينة^(١٢٣).

(١١٧) البخاري/ الفتح (١١/٢٠٧ - ٢٠٨/٢٧٤٤، ٢٧٤٣) وانظر مناقشة ابن حجر لأقوال العلماء في هذا استنادا إلى أحاديث هذا الباب، وخلاصته ورأيه ص ٢٠٦، والترمذي: السنن (٣/٢٩١) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(١١٨) البخاري/ الفتح (١٤/٢٩٦ - ٢٩٧/٣٨٢٥)، مسلم (٣/١٣٣٨/١٧١٤).

(١١٩) البخاري/ الفتح (٩/٢٩٧/٢٢٣٦).

(١٢٠) مسلم (٣/١٦٦٣/٢١٠٢)، ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤/٦٧ - ٦٨) ورواه غير واحد من طريق ابن إسحاق، مثل: أحمد: الرباعي (٢١/١٥١ - ١٥٢) وقال الساعدي: «وسنده صحيح ورجاله ثقات». وقد جوز الدكتور أبو بكر ميقاتي تغييره بالسواد.

(١٢١) البخاري/ الفتح (١٦/١٣٦/٤٣٠٠ - ٤٣٠٤)، ومسلم (٣/١٣١٥ - ١٣١٦/١٦٨٨ - ١٦٨٩).

(١٢٢) من رواية أحمد في المسند (٢/١١٥) بإسناد ضعيف لأن فيه شريك بن عبدالله النخعي الكوفي، وهو صدوق سمي الحفظ. ولكنه يتقوى بغيره مثل حديث الطبراني في الأوسط بنحوه - من حديث ابن عمر - كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٢/١١٤) شرح الحديث (٣٠١٢). وانظر كلام ابن حجر في جواز قتل المرأة التي تبشر القتل: الفتح (١٢/١١٥) شرح الحديث (٣٠١٣).

(١٢٣) البخاري/ الفتح (٢/١١٥/٣٠١٤، ٣٠١٥)، مسلم (٣/١٣٦٤/١٧٤٤)، وغيرهما. وروايات البخاري ومسلم عن خبر المرأة التي وجدت مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ توضحها روايتا أحمد والطبراني في الحاشية السابقة، وتدلان على أن ذلك كان في فتح مكة.

١٥ - إبداء الرسول ﷺ تقديره لأبي بكر (رضي الله عنه) وذلك عندما أتى أبو بكر بأبيه يقوده، وهو كفيف، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟» فقال أبو بكر (رضي الله عنه): «يارسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت»، ثم أجلسه بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال له: أسلم، فأسلم^(١٢٤). ويروى أن رسول الله ﷺ هنا أبا بكر بإسلام أبيه^(١٢٥).

١٦ - جواز دخول مكة بغير إحرام لمن يريد العمرة أو الحج لأن الرسول ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء بغير إحرام^(١٢٦).

١٧ - إن أهل العهد إذا حاربوا - بعضهم أو جميعهم - من هم في ذمة الإمام وجواره وعهده صاروا حربا له بذلك، ولم يبق بينهم وبينه عهد، فله أن يبيتهم في ديارهم، ولا يحتاج أن يعلمهم على سواء، وإنما يكون الإعلام إذا خاف منهم الخيانة، فإذا تحققها، صاروا نابذين لعهد^(١٢٧).

١٨ - إن قتل الجاسوس راجع إلى رأي الإمام، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين، قتله، وإن كان استبقاؤه أصلح، أو وجدت علة مانعة، استبقاه كما في قصة حاطب^(١٢٨).

١٩ - جواز تجريد المرأة كلها وتكشيفها للحاجة والمصلحة العامة كما في قصة المرأة التي كانت تحمل رسالة حاطب، وموقف علي والمقداد منها^(١٢٩).

٢٠ - إن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولا وغضبا لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأتهم به، بل يثاب على نيته وقصده^(١٣٠).

(١٢٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٦٧/٤ - ٦٩) ورواه من طريقه آخرون.

(١٢٥) رواه الذهبي في مغازيه، مرسلًا، ص ٥٥٩.

(١٢٦) البخاري/ الفتح (١٦/١٢٥ ح/٤٢٨٦)، ومسلم (٩٩٠/٢ ح/١٣٥٨).

(١٢٧) ابن القيم: زاد المعاد (٣/٤٢٠).

(١٢٨) المرجع نفسه (٣/٤٢٢ - ٤٢٣).

(١٢٩) المرجع نفسه (٣/٤٢٣).

(١٣٠) المرجع والمكان نفسهما.

٢١ - جواز قتل المرتد الذي تغلظت ردة، ومن غير استتابة، كما في قصة عبدالله بن أبي السرح.

٢٢ - أما ما يتعلق بأحكام الهجرة، فقد سبق ذكرها في فصل هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وفي فصل هجرة المسلمين إلى الحبشة.

سرايا وبعوث الرسول ﷺ أيام الفتح وهو بمكة:

١ - بعثة خالد بن الوليد إلى بني جذيمة^(١٣١) من كِنانة:

بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة في شوال سنة ثمان من الهجرة، بعد مرجعه من هدم العزى، وذلك خلال إقامة الرسول ﷺ بمكة أيام الفتح^(١٣٢). وقد خرج في ثلاثئة وخسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سُلَيم، ليدعوهم إلى الإسلام^(١٣٣).

وعندما ذهب إليهم ودعاهم إلى الإسلام لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون «صبأنا»، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع كل رجل من السرية أسيره، ثم أمرهم ذات يوم أن يقتل كل رجل منهم أسيره، فأبى جماعة منهم ذلك، فبهم عبدالله بن عمر، حيث قال: «والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، وعندما قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه بما حدث، رفع يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، مرتين»^(١٣٤).

وذكر ابن سعد^(١٣٥) أن بني سُلَيم هم الذين قتلوا من بأيديهم من

(١٣١) كانوا بأسفل مكة على ليلة ناحية يلملم (ابن سعد ١٤٧/٢). وقالوا إن يلملم جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث، وقيل هو واد. معجم البلدان (٨/٥١٤)، وهو جنوبي مكة بثمانين كيلا.

(١٣٢) ابن سعد (١٤٧/٢) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما ذكرنا من قبل.

(١٣٣) ابن سعد (١٤٧/٢) معلقا، ابن إسحاق بإسناد مرسل ضعيف لأن فيه حكمين حكيم وفيه كلام - ابن هشام (٤/١٠٠)، ولكن أصل سبب البعث وما حدث فيه فقد رواه البخاري كما في الفتح (١٦/٤٣٣٩).

(١٣٤) البخاري/ الفتح (١٦/١٧٤ ح/٤٣٣٩)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/١٦٦ - ١٦٧) بإسناد ولفظ البخاري.

(١٣٥) الطبقات (٢/١٤٨) - معلقا فهو ضعيف.

الأسرى، أما الأنصار والمهاجرون فلم يفعلوا ذلك، وأطلقوا أسراهم. ودار كلام بين خالد وعبدالرحمن بن عوف حول هذا الموضوع، حتى كان بينهما شر، فقد خشي ابن عوف أن يكون ما صدر عن خالد ثأراً لعمه الفاكه بن المغيرة الذي قتله جذيمة في الجاهلية^(١٣٦)، ولعل هذا الذي وقع بينهما هو ما أشار إليه الحديث المروي عند مسلم^(١٣٧) وغيره: «كان بين ابن الوليد وعبدالرحمن بن عوف شيء. فسيه خالد، فقال رسول الله ﷺ: لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدكم ولا نَصيفَه».

وبعث رسول الله ﷺ علياً فودى لهم قتلاهم وزادهم فيها تطيباً لنفوسهم وبراءة من دمائهم^(١٣٨).

وكان قتل خالد لبني جذيمة تأولاً منه واجتهاداً خاطئاً، وذلك بدليل أن الرسول ﷺ لم يعاقبه على فعله^(١٣٩).

وقد روى ابن إسحاق^(١٤٠) قصة فتى أسير من بني جذيمة، إذ طلب من ابن أبي حذَرْد أن يقوده من حبله وهو مقيد ليتكلم مع نساء لهم ثم يعيده لبصنع به ما يراه، فأجابته إلى طلبه، فجاء به فوقف عليهن ثم قال:

(١٣٦) ابن إسحاق - معلقاً. ابن هشام (١٠٤/٤، ١٠٥) وانظر القصة فيه.

(١٣٧) صحيحه (١٩٦٧/٤ - ١٩٦٨/٤ ح/٢٥٤١).

(١٣٨) ابن إسحاق بإسناد مرسل ضعيف لأنه موقوف على أبي جعفر محمد بن علي، وفي سنده حكيم ابن حكيم، وفيه كلام - ابن هشام (١٠٢/٤ - ١٠٣) وابن سعد (١٤٧/٢ - ١٤٨) معلقاً مختصراً.

(١٣٩) انظر ابن حجر: الفتح (١٧٤/١٦) شرح الحديث (٣٤٣٩).

(١٤٠) بإسناد حسن - ابن هشام (١٠٧/٤ - ١٠٩) إلى حيث ضرب عنق الفتى، أما موت الفتاة فقد رواها بإسناد منقطع من آخره لجهالة الأشياخ، ولو ثبتت صحته لصح الخبر - ابن هشام (١٠٩/٤) ويشهد لهذا الجزء المنقطع بالصحة أن القصة رواها البيهقي في الدلائل (١١٦/٥) - (١١٨) من حديث ابن عينة بروايتين بسنده إلى والد ابن عصام المزني ومن حديث النسائي بإسناده إلى ابن عباس، كلاهما بإسناد صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (١٧٥/١٦) شرح الحديث (٤٣٣٩)، وابن حبان في صحيحه: موارد الظئان، ص ١٦٠، حديث رقم (٦٦٩٧) من حديث عصام المزني. وعزاه ابن حبان للطبراني في الكبير والبراز، وحسن المحقق إسناده كما في المجموع والزوائد (٢١٠/١٦)، وفي روايات البيهقي وابن حبان اختلاف في السياق عن رواية ابن إسحاق. فروايات البيهقي لم تذكر أن القصة وقعت في بعث خالد لبني جذيمة، وتختلف رواية ابن عينة عن رواية النسائي... ولكن الروايات كلها تنحدر في موقف الفتى من الفتاة والفتاة من الفتى.

«اسلمي حُبَيْش على نَفَدٍ مِنَ الْعَيْشِ» ثم قال شعرا عاطفيا قويا يخاطب به فتاة يعشقها بين تلك النسوة، فردت عليه قائلة: «وأنت فحييت سبعا وعشرا، وترا وثمانيا تترى»، ثم انصرف به ابن أبي حدرد، فضربت عنقه. فقامت إليه معشوقته، فأكبت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده. وعندما أخبر الرسول ﷺ بقصتها قال: «أما كان فيكم رجل رحيم»^(١٤١).
ومن البعوث التي أرسلها الرسول ﷺ خلال إقامته بمكة، للإغارة على المشركين، بعث هشام بن العاص في مائتين من الصحابة إلى جهة يلملم. وبعث خالد بن سعيد بن العاص في ثلاثمائة من الصحابة قبل عُرَّة^(١٤٢).

(١٤١) ورد هذا الحديث في رواية النسائي المشار إليها، بإسناد صحيح كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٧٥/١٦) وقد رواها البيهقي في الدلائل (١١٨/٥) وابن حبان في صحيحه: موارد الطائفة، ص ١٥٩، حديث رقم (٦٦٩٦) وعزاه الطبراني في الكبير والأوسط، وقال المحقق - محمد عبدالرزاق حمزة: «وإسناده حسن، كذا في مجمع الزوائد (٢١٠/٦)».
(١٤٢) الواقدي (٨٧٣/٢) والواقدي متروك، فمروياته ضعيفة جدا.

الفصل الثالث والمشرون

غزوتا حنين والطائف:

المبحث الأول: غزوة حنين.

أقام النبي ﷺ بمكة عام الفتح (تسعة عشر يوما)^(١) حتى جاءت هوازن وثقيف، فنزلوا بحنين يريدون قتال النبي ﷺ، وكانوا قد جمعوا له قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ من المدينة، وهم يظنون أنه إنما يريدهم، فلما أتاهم أنه قد نزل مكة، أخذوا في الاستعداد وحشد القوات لمواجهة^(٢)، وقبل أن يهاجها، وقد أرادوها موقعة حاسمة، ولذا حشدوا الأموال والنساء والأبناء حتى لا يفر أحدهم ويترك أهله وماله. وكان يقودهم مالك بن عوف النصري، واستنفروا معهم غطفان وغيرها^(٣). ومن جمعهم ابن عوف: بنو نصر - قومه - وبنو جُثَم وبنو سعد بن بكر وجماعات متفرقة من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر وعوف بن عامر، وثقيف كلها في أحلافها، وبنو مالك^(٤)، وتحلف عنهم من هوازن كعب وكلاب^(٥).

- (١) هذه الجزئية من رواية البخاري/ الفتح (١٣٢/١٦) ح/ ٤٢٩٨ و ٤٢٩٩، أما رواية الطبري المذكورة في الخبر فهي أن مدة إقامته «نصف شهر، لم يزد على ذلك» وما في الصحيح أصح.
- (٢) إلى هنا من رواية الطبري في تاريخه (٧٠/٣) بإسناد مرسل موقوف على عروة، وله شاهد من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، كما ذكره الذهبي في مغازيه، ص ٥٧١، وفيه أن حنينا واد إلى جنب ذي المجاز. وزاد الحفاظ في تعريف حنين أنه قريب من الطائف، وبينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات. (الفتح ١٣٩/١٦) شرح ترجمة باب غزوة حنين) وزاد النووي أنه واد بين مكة والطائف وراء عرفات (شرحه على مسلم ١١٣/١٢) ك. الجهاد/ ب. غزوة حنين) وقال حمد الجاسر إنها تبعد عن مكة عشرين كيلا شرقها وتعرف الآن بالشرائع - (انظر تعليقه على كتاب المناسك للحربي، وفؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٤٧١).
- (٣) البخاري/ الفتح (٢٧٢/١٦) ح/ ٤٣٣٧، مسلم (٧٣٥/٢) ح/ ١٠٥٩.
- (٤) من رواية ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير، ومن حديث جابر، وإسناده حسن - ذكره الذهبي في مغازيه، ص ٥٧١. والحاكم (٤٨/٣) وصححه ووافقه الذهبي، ومن روايته معلقا، كما في سيرة ابن هشام (١١٤/٤). وقد استوعبت هاتان الروايتان رواية الطبري والبخاري ومسلم وفيها زيادات كثيرة.
- (٥) من رواية ابن إسحاق - معلقا كما في سيرة ابن هشام (١١٤/٤) ومن روايته بإسناد حسن من حديث جابر كما نقله عنه الذهبي في مغازيه، ص ٥٧٣.

وخرج على رأس بني جُشَم يومذاك دُرَيْدُ بن الصَّمَّة، وكان شيخا كبيرا، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه، لأنه كان شيخا مجربا عارفا بالحرب، فأنكر على مالك النصري الخروج بالنساء والأطفال والأموال، إذ يرى أن المنهزم لا يبرده شيء، فلم يعمل مالك برأى دريد. وقال دريد في شأن غياب كعب وكلاب: «غاب الحد واجد ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلات...» وذكرت له أقوال أخرى تدل على تجربته في الحروب وتوقعه الهزيمة لقومه، لأن الرأي كان للمالك، وهو صغير السن - ٣٠ سنة - غير مجرب، بل اتهم مالك دريدا بأنه كبر وقل علمه، وأقسم على هوزان بأن تطيعه هو وإلا انتحروا، فأطاعوه، فأمرهم أن يكسروا جفون سيوفهم إذا رأوا المسلمين، ثم يشدوا شدة رجل واحد^(٦).

وكانت خطة مالك في الحرب أن رتب جيشه في صفوف حسنة، وقدم الخيل ثم الرجالة ثم النساء ثم الأغنام ثم الإبل^(٧)، وقد بلغ جيشه عشرين ألفا^(٨)، فسار بهم إلى الرسول ﷺ.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ بعث عبدالله بن أبي حذرّد الأسلمي ليأتيهم ويدخل فيهم ويعلمه خبرهم، فجاءهم ومكث فيهم يوما أو اثنين، ونقل خبرهم إلى الرسول ﷺ^(٩).

ولعل هذا الخبر الذي نقله ابن أبي حذرّد إلى الرسول ﷺ هو الذي تبسم له الرسول ﷺ وعلق عليه بقوله «تلك غنيمة المسلمين غدا - إن شاء الله». وذلك عندما اقتربوا من العدو^(١٠).

(٦) انظر: المصدرين والمكانين نفسيهما.

(٧) مسلم (٧٣٦/٢) ح ١٠٥٩.

(٨) الواقدي (٨٩٣/٢).

(٩) من رواية ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير، من حديث جابر، بإسناد حسن، انظر: مغازي الذهبي ص ٥٧١ - ٥٧٢ والحاكم (٤٨/٣) وصححه ووافقه الذهبي وعنده أن المرسل هو عبدالرحمن ابن أبي حذرّد.

(١٠) من رواية أبي داود بإسناد حسن كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٣٩/١٦) شرح ترجمة الباب وعنده أن الرجل المرسل هو عبدالله بن أبي حذرّد كما في حديث ابن إسحاق. وانظر حديث أبي داود في سننه (٢٠/٣ - ٢١/٢) ك. الجهاد/ ب. في فضل الحرم في سبيل الله/ ح (٢٥٠١)، وهو حديث صحيح الإسناد.

وبعد جمع المعلومات العسكرية المطلوبة استعد الرسول ﷺ لمواجهةهم، فاستعار من يعلَى بن أمية ثلاثين بعيراً وثلاثين درعاً [أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وتبوك] ^(١١) واستعار مائة درع من صفوان بن أمية [وكان من المؤلفة قلوبهم] وأعادها إليه بعد غزوة حنين، وشكره على ذلك ^(١٢). ويروى أنه استقرض من حُوَيْطِب بن عبد العزى أربعين ألف درهم ^(١٣)، وتقبل معونة قدرها ثلاثة آلاف ربح من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ^(١٤).

وبعد أن أقام الرسول ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً ^(١٥)، خرج إلى حنين لست خلت من شوال، وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال وكان وصوله إليها في عاشره ^(١٦) واستعمل عتّاب بن أسيد بن أبي العيص أميراً على مكة ^(١٧).

(١١) انظر ترجمته في الاستيعاب (٦٦١/٣ - ٦٦٥) والإصابة (٦٦٨/٣). وروى خبر الإعارة: أبوداود: السنن (١٤٦/٢) ك. البيهقي/ب. تضمين العارية. وذكر الزيلعي في نصب الرتبة أن من رواه أيضاً النسائي وابن حبان في صحيحه في النوع الحادي عشر، من القسم الرابع، ثم قال: «قال عبدالحق في «أحكامه» حديث يعلى بن أمية أصح من حديث صفوان بن أمية...» إشارة إلى حديث الاستعارة من صفوان. انظر نصب الرتبة (١١٧/...) وقال صاحب الجوهر النقي في شرح السنن الكبرى للبيهقي (٩٠/٦) عن هذا الخبر: «قال ابن حزم: حديث حسن ليس في شيء مما روى في العارية خبر يصح غيره، وأما ما سواه فليس يساوي الاشتغال به...» إشارة إلى حديث الاستعارة من صفوان بن أمية. انظر، ابن حزم: المحلى (١٧٣/٩). وانظر تخريجه في الإرواء (٣٤٨/٥ - ٣٩) وقد صحح الألباني إسناده من سيات ورواية أبي داود عن طريق حمام عن قتادة به عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى عن أبيه.

(١٢) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن: رواها الذهبي في المغازي ص ٥٧٢، والحاكم (٤٩/٣) وصححها ووافقها الذهبي، وقد ورد الحديث بطرق أخرى ضعيفة، ولكن بعضها يقوى بشاهده مع ما تقدم من الموصول الصحيح. وانظرها في سنن البيهقي (٨٩/٦ - ٩٠) حيث رواها من طرقها الضعيفة، ورواها بإسناد ابن إسحاق الحسن المذكور، وفي إرواء الغليل (٣٤٤/٥ - ٤٤٦ ك. العارية).

(١٣) الاستيعاب (٣٨٥/١) معلقاً. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

(١٤) الاستيعاب (٥٣٧/٣) معلقاً. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

(١٥) البخاري/الفتح (١٣٢/١٦ ح/٤٢٩٩، ٤٢٩٨).

(١٦) انظر ابن حجر: الفتح (١٣٩/١٦) شرح حديث ترجمة الباب. والبيهقي: السنن الكبرى (١٥١/٣)، والنسائي: السنن (١٠٠/٣).

(١٧) أخرجه ابن حجر: الإصابة (٤٥١/٢) من رواية الطيالسي، والبخاري في تاريخه الكبير (٥٤/٧) وفيه أيوب بن عبد الله بن يسار - سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير (٤١٩/١) وابن أبي حاتم: المرح والتعديل (٢٥١/٢)، وقال ابن حجر: «وإسناده حسن»، وابن خياط في تاريخه ص ٨٨ بإسنادين أحدهما من مرسل الزهري والثاني بإسناد متصل ولكنه ضعيف لضعف عبد الله بن يعلى. وعسوما فإن الأحاديث الواردة في تولية عتّاب أميراً على مكة ضعيفة لكن مجموعها يقوى بعضه ببعض ولذلك حسن ابن حجر الحديث لما له من الشواهد، وكذلك حسنة الألباني لذات السبب كما في تعليقه على أحاديث فقه السيرة للقرطبي، ص ٤٣٣.

==

وقد ثبت في الصحيحين^(١٨) أن الطلقاء قد خرجوا معه إلى حنين، دون تحديد لعددهم، وقال أهل المغازي إنه خرج معه ألفان من أهل مكة - الطلقاء - مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه لفتح مكة، فأصبحوا اثني عشر ألفاً^(١٩)، وهو أكبر جيش إسلامي يخرج في حياة الرسول ﷺ إلى ذلك الحين، ولهذا ساد شعور عند بعض الناس أنهم لن يغلبوا من قلة، وعبر أحدهم^(٢٠) عن هذا الشعور جهره، وشق ذلك على رسول الله ﷺ، فعاتبهم القرآن وذكرهم بعدم الاتكال إلا على الله وحده، وإلا وكلهم على أنفسهم، ولقنهم درساً بليغاً في هذا الشأن، فقال تعالى ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾^{(٢١)(٢٢)} وحكى لهم الرسول ﷺ قصة

==

انظر دراسة الدكتور قريبي في رسالته للدكتوراه: «مرويات غزوة حنين»، ص ص ١٦٠ - ١٦٥، وانظر: ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (١١٧/٤ - ١١٨)، والحاكم (٥٩٥/٣) والطبري في التاريخ (٧٧/٣)، وهي روايات تصلح للاستدلال التاريخي، لأنها لا تخالف قواعد الإسلام العامة... انظر: قريبي، والعمرى: المجتمع - الجهاد، ص ١٩٧.

(١٨) البخاري/ الفتح (١٦/١٧٠ ح/٤٣٣٣)، مسلم (٧٣٥/٢ - ٧٣٦ ح/١٠٥٩) وانظر: أحمد: المسند (١٥٧/٣ - ١٩٠).

(١٩) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (١١٨/٤)، وابن إسحاق مرسلًا عن الزهري، وقد صرح بالتحديث كما في مغازي الذهبي، ص ٥٧٢، وابن خياط في تاريخه، والحاكم (١٢١/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأعله الميثقي في المجمع (١٨٦/٦) لوجود عبدالله بن عباس، الذي لم يوفقه أحد، البخاري: التاريخ الكبير (١٩/٤) وفيه عبدالله بن عباس، والطبري في تاريخه (٧٣/٣) من حديث ابن إسحاق، مرسلًا وقد عنعنه وفيه ابن حديد وهو ضعيف، والواقدي (٨٨٩/٣) بأسانيده عن شيوخه ومنهم الثقة والضعيف، ولكنه لم يميز حديث كل واحد منهم، وابن سعد (١٥٤/٢ - ١٥٥). وعموماً فإن الروايات بهذا الشأن ضعيفة حديثياً، حسب تخريج الدكتور قريبي (١٦٦ - ١٧٦) وتكفي لأغراضها تاريخياً، كما توصل إلى ذلك الدكتور قريبي، ص ١٧٦ وشيخه الدكتور العمرى: المجتمع المدني - الجهاد، ص ١٩٧.

(٢٠) قيل إن القتال سلمه بن سلامة بن وثن، وقيل العباس، وقيل أبوبكر، وقيل رسول الله ﷺ وقيل رجل من بكر وقيل غلام من الأنصار. انظر: مغازي الواقدي (٨٩٠/٣)، والميثقي في كشف الاستار (٣٤٦/٢ - ٣٤٧) وابن إسحاق - ابن هشام (١٢٤/٤) ودلائل النبوة للبيهقي (١٢٣/٥)... إلخ. وكلها روايات ضعيفة كما ذكر المحققون، وتتفق في شيء واحد وهو حصول هذا القول من أحد أفراد الجيش المسلم، وهي بمجموعها يؤيد بعضها بعضاً ويزيدها قوة قوله تعالى: ﴿ويوم حنين... الآية﴾ وانظر زاد المسير لابن الجوزي (٤١٤/٣) وتفسير الطبري (١٠٠/١٠) ومحمد رسول الله ﷺ للشيخ محمد صادق عرجون (٣٦٧/٤ - ٣٧٠). والدكتور قريبي: مرويات غزوة حنين، ص ص ٢١٠ - ٢١٩.

(٢١) التوبة: ٢٥.

(٢٢) رواه البيهقي في الدلائل (١٢٣/٥) بإسناد ضعيف، ورواه غيره بإسناد ضعيف ولكن يشهد له ويثبته الآية ووضوح معناها وإشارتها إلى أصل القصة زماناً ومكاناً.

نبي أعجبتة كثرة أمته فسلط الله عليهم الموت^(٢٣).

وعندما اقترب الرسول ﷺ من حنين وحضرتهم صلاة العشاء أمر أحد الصحابة بمراقبة العدو من فوق أحد الجبال المطلّة على وادي حنين، فأدى الصحابي المهمة، ونقل إلى الرسول ﷺ خبرهم، وأنهم قد خرجوا بظعنهم ونعمهم وشائهم واجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غدا - إن شاء الله تعالى» وعندما حانت ساعة النوم تطوع أنس بن أبي مرثد الغنوي بحراستهم إلى الفجر، فأثنى عليه النبي ﷺ ووعدته بالجنة^(٢٤).

وفي الطريق إلى حنين رأى بعض الطلقاء شجرة يعلق عليها المشركون أسلحتهم تعرف بذات أنواط، فقالوا: «يارسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾^(٢٥)، والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم^(٢٦)» وفي هذا دليل على أن قلوب هؤلاء لم تشرب الإسلام بعد لحدائثة عهدهم به، بل روى أن ثمانين من الطلقاء قد خرجوا وهم على الكفر^(٢٧)، وإذا كان الحال كذلك فلا غرابة من أن يعبر كَلْدَة بن الحنبل أخو صفوان بن أمية لأمه، وهو أحد الطلقاء، عن فرحته بإدبار المسلمين في الجولة الأولى قائلاً: ألا بطل السحر اليوم!! فقال له أخوه صفوان - وهو على شركه آنذاك - اسكت، فض الله فاك، فوالله لأن يربني^(٢٨) رجل من قريش أحب

(٢٣) سنن الدارمي (١٣٥/٥)، مسند أحمد (٣٣٣/٤) و (١٦/٦).

(٢٤) أبوداود: السنن (٢١٠/١) و (٩/٢) من حديث سهل بن الحنظلية بإسناد صحيح، سبق ذكر حكم ابن حجر عليه.

(٢٥) الأعراف: ١٣٨.

(٢٦) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (١٢٠/٤ - ١٢١)، ورواه من طريقه الترمذي: السنن (٣٤٣/٦) - ك. الفن/ ب. لتركبن سنن من كان قبلكم/ ح (٢٢٨١) - واللفظ له - وقال: وحسن صحيح، ووافقه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٥/٢). ورواه من غير طريق ابن إسحاق:

أحمد في المسند (٢١٨/٥) والبيهقي في الدلائل (١٢٥/٥) بمثل رواية أحمد، وابن حبان في صحيحه - موارد الطائفة ص ٤٥٤.

(٢٧) القسطلاني: المواهب اللدنية (١٦٢/١) والزرقاني في شرحه عليه (٥/٣) من طريق ضعيفة.

(٢٨) أي يكون لي ربا - أي ملكا على.

إلى من أن يُرَبِّيَ رجل من هوزان^(٣١)!!، وكان يقف زعماء مكة خلف الجيش ينظرون لمن تكون الدائرة، منهم: أبوسفیان وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام^(٣٢). وكان صفوان في المؤخرة ويرسل غلاما له ليأتيه بالأخبار من المقدمة^(٣٣).

وعندما انهزم المسلمون في الجولة الأولى كان أبوسفیان ينظر إليهم، وهو يحمل الأزام، ويقول: «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر»^(٣٤).

بادرت هوزان إلى حنين، فأدخلوا جيشهم بالليل في الوادي، وفرقوا كمئاهم في الطرق والمداخل والشعاب والأخباء والمضايق، وأصدر إليهم قائدهم أمره بأن يرشقوا المسلمين بالسهم عند دخولهم وادي حنين المنحدر، ثم يشدوا عليهم شدة رجل واحد^(٣٥)، وشجعهم بأن المسلمين لم يلقوا من قبل مثلهم في الشجاعة والعدة والعدد والدراية بالحرب^(٣٦).

وعبأ رسول الله ﷺ جيشه بالسحر، وعقد الألوية والرايات، ورتب الجند في هيئة صفوف منتظمة^(٣٧)، واستقبل بجيشه وادي حنين في عمية الصبح، وانحدروا فيه^(٣٨)، تتقدمهم على المجنبة الخيالة بقيادة خالد بن الوليد^(٣٩) وفي طليعتها بنو سليم منذ خروجه من مكة^(٤٠).

وعند دخول المسلمين الوادي حملوا على هوزان فانكشفوا، فأكب المسلمون على ما تركوه من غنائم، وبينما هم على هذه الحال، استقبلتهم هوزان

(٢٩) الهيثمي: المجمع (١٧٩/٦ - ١٨٠) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى، ورجال أحمد رجال الصحيح، وقد صرح ابن إسحاق بالساع في رواية أبي يعلى»، وابن حبان في صحيحه. كما في الموارد ص ٤١٧ والطبري في التاريخ (١٢٨/٣) وكلاهما من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن.
(٣٠) من رواية موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري - مرسل - ورواية ابن خزيمة عن أبي الأسود عن عروة، كما في البداية والنهاية (٣٦٨/٤).

(٣١) من رواية عروة المذكورة.

(٣٢) من رواية ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (١٢٢/٤) والواقدي (٩١٠/٣).

(٣٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١٢١/٤).

(٣٤) الواقدي (٨٩٣/٣).

(٣٥) الواقدي (٨٩٥/٣ - ٨٩٧) وقد انفرد بتفاصيل عن عدد الألوية وحملتها من قبائل العرب.

(٣٦) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام (١٢١/٤)).

(٣٧) انظر مسلم (٧٧٣/٢) و١٠٥٩. والمجنبة هي الكتيبة التي تأخذ جانب الطريق. وما مجنبتان/ ميمنة وميسرة. بجانب الطريق، والقلب بينهما وعند ابن حجر: الفتح (١٤١/١٦) إن المجنبة هي الميمنة، وانظر الواقدي المغازي (٨٩٦/٣ - ٨٩٧).

(٣٨) الواقدي المغازي (٨٩٦/٣ - ٨٩٧).

وأمرتهم بوابل من السهام التي لا تكاد تخطئ أحدا^(٣٩). ولم يكن المسلمون يتوقعون هذا، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت فولوا مدبرين، لا يلوي أحد على أحد^(٤٠). وانحاز الرسول ﷺ ذات اليمين وهو يقول: «أين الناس؟ هلموا إليّ أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد ابن عبد الله^(٤١)». وما يدل على عدم توقع المسلمين لمثل هذه الخدعة أن بعضهم قد خرجوا خفافا عجولين دون استعداد حربي كامل، لا سيما بعض الشباب الذين خرجوا حاسري الرؤوس، وليس معهم السلاح الكافي^(٤٢). وكان أول من أدبر خيالة المسلمين، ثم المشاة، وفر معهم الطلقاء والأعراب، ثم بقية الجيش حتى لم يثبت مع الرسول ﷺ أحد سوى أبي سفيان بن الحارث^(٤٣) وجماعة قليلة^(٤٤).

(٣٩) البخاري/ الفتح (١٤٤/١٦ ح/ ٤٣١٧)، مسلم (١٤٠٠/٣ - ١٤٠١ ح/ ١٧٧٦).
(٤٠) البخاري/ الفتح (١٤٠/١٦ ح/ ٤٣١٥)، مسلم (١٣٩٨/٣ ح/ ١٧٧٥ - ١٧٧٦)، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (١٢١/٤ - ١٢٢).

(٤١) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (١٢١/٤ - ١٢٢).
(٤٢) البخاري/ الفتح (١٢/٦٤ ح/ ٢٩٣٠)، مسلم (١٤٠٠/٣ - ١٤٠١ ح/ ١٧٧٦).
(٤٣) البخاري/ الفتح (١٢/٦٤ ح/ ٢٩٣٠) و(١٤٠/١٦ ح/ ٤٣١٥)، مسلم (٧٣٧/٢ ح/ ١٠٥٩)، صحيح سنن الترمذي باختصار الألباني (١٣٧/٢): «وقال صحيح». ويفهم من روايات البخاري

ومسلم والترمذي أنه لم يبق إلا الرسول ﷺ وحده ومعه أبوسفيان بن الحارث، أخذ برأس بقلته البيضاء، أما أهل المغازي والسير فقد ذكروا أقوالا مختلفة حول عدد من ثبت مع رسول الله ﷺ عندما انهزم الناس، قال ابن حجر في الفتح (١٦/١٤١): «ولذا يمكن الجمع بين أخبار الصحيحين وغيرهما من أخبار أهل السير بأن المراد أن الرسول ﷺ بقي وحده متقدما مقبلا على العدو عندما انهزم الناس والذين ثبتوا معه كانوا وراءه. أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال وأبوسفيان ابن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إسلاك البغلة وغير ذلك» قلت: ويضاف إلى هذا أن الإرتباك جعل من الصعب على أهل البأس أن يصلوا إلى مكان الرسول ﷺ وأخذ ذلك منهم زمنا حتى وصلوه فردا فردا، حتى وصل العدد إلى قريب من مائة، ثم انتبه بقية الناس إلى نداء النبي ﷺ والعباس فجاؤا مسرعين من كل جانب، فنظموا صفوفهم وحملوا على العدو.

(٤٤) هذا قول بعض أهل الحديث وأهل السير، ومثال ذلك ما روى ابن إسحاق: «... إلا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته. وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر. ومن أهل بيته علي، والعباس، وأبوسفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث، وأسامة، وأيمن بن أم أيمن بن عبيد، قتل يومئذ، انظر: ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (١٢٢/٤). وقال ابن حجر في الفتح (١٦/١٤١ - ١٤٢): «وعند ابن أبي شعبة من مرسل الحكم بن عتيبة أنه لم يبق معه إلا أربعة نفر: ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم. علي والعباس بين يديه وأبوسفيان أخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الأيسر. وروى أحمد والحاكم أنه ثبت معه ثمانون من المهاجرين والأنصار... وعن ذكر الزبير بن بكار وغيره أنه ثبت يوم حنين أيضا: جعفر بن أبي سفيان بن الحارث وقثم بن العباس، وعنتبة ومعتب ابنا أبي لهب وعبدالله بن الزبير وتوفيل بن الحارث بن عبدالمطلب وعقيل بن أبي طالب وثيبة ==

ومما يدل على الدور الكبير للطلقاء في هذه الهزيمة أن أم سليم بنت ملحان طلبت من الرسول ﷺ أن يقتلهم بحجة أنهم انهزموا عنه، فقال لها رسول الله ﷺ: يا أم سليم. إن الله قد كفى وأحسن^(٤٥).

كان الرسول ﷺ يمتطي بغلة له بيضاء - أو شهباء - تسمى لدل، وهو يركضها وسفيان بن الحارث أخذ بركاب رسول الله ﷺ وعمه العباس أخذ بلجام البغلة يكفأها عن الإسراع نحو العدو^(٤٦). وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغي وقد انكشف عنه جيشه، وهو على بغلة، وليست سريعة الجري، ولا تصلح للكر ولا للفِر ولا للهَرَب، وهو مع هذا أيضا يركضها إلى وجوههم وينو باسمه ليعرفه من يعرفه، وما هذا إلا ثقة بالله وتوكل عليه وعلم منه بأنه سيتنصر ويظهر دينه على سائر الأديان^(٤٧).

وأمر الرسول ﷺ عمه العباس - وكان قوي الصوت - أن ينادي الناس بالثبات، وخص منهم أصحاب بيعة الرضوان، فأسرعوا إليه كما تسرع الأمهات إلى أولادهما، ثم خص الأنصار بالنداء، ثم بني الحارث بن الخزرج، فطاروا إليه قائلين: لبيك لبيك، ودارت المعركة قوية ضد هوازن^(٤٨)، ونزل الرسول ﷺ عن بغلته وهو يدعو^(٤٩) الله أن ينصرهم،

ابن عثان بن الحججي. وروى الترمذي من حديث ابن عمر بإسناد حسن: «لقد رأيتنا يوم حنين وأن الناس لمولون وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل». انظر ابن حجر: الفتح (١٤١/١٦)، وصحيح سنن الترمذي باختصار الألباني (١٣٧/٢) وقال: «صحيح». ووقع في رواية أبي نعيم في الدلائل [لم أقف عليه] تفصيل المائة: بضعة وثلاثون من المهاجرين والبقية من الأنصار ومن النساء أم سليم وأم حارثة. (ابن حجر: الفتح (١٤١/١٦). وانظر أحمد في مسنده (٥٤٤/١) من حديث ابن مسعود أنهم ثمانون، وذكره الحيثمي في المجمع (١٨٠/٦)، وقال: «رواه أحمد والبخاري والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح، غير الحارث بن حصيرة، وهو ثقة». (٤٥) مسلم (١٤٢٢/٣) ح (١٠٨٩). وفي الحديث أم سليم كانت تحمل خنجرًا في هذه الغزوة فرأه زوجها أبوطليحة فأخبر الرسول ﷺ، فسأله الرسول ﷺ عن سبب حملها له، فقالت: «أخذته إن دنا مني أحد من الشركين بقرت به بطنه، فضحك رسول الله ﷺ».

(٤٦) مسلم (١٣٩٨/٣) ح (١٧٧٥).

(٤٧) انظر ابن كثير: التفسير (٧٠/٤).

(٤٨) مسلم (١٣٩٨/٣) ح (١٧٧٥)، وابن إسحاق بإسناد حسن وبقریب منه - ابن هشام (١٢٥/٤)، وعبد الرزاق في المصنف (٣٨٠/٥ - ٣٨١)، بإسناد صحيح.

(٤٩) ومن دعائه أيضًا في تلك اللحظات: «إنك إن تشأ لا تعبد بعد اليوم» رواه أحمد في المسند (١٢١/٣) وقال عنه ابن كثير في البداية (٣٦٦/٤): «إسناده ثلاثي على شرط الشيخين، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه».

وقال: أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبدالمطلب^(٥٠)، وأخذ يقاتل والصحابة يقاتلون معه ويتقون به لشجاعته وثباته كعادتهم في مثل هذه المواقف العصبية^(٥١). وعندما رأى الفارون موقفه وثباته وسمعوا صوت العباس يناديهم جاؤوا مسرعين ملين الدعوة قائلين لبيك لبيك، حتى إن من لم يستطع أن يثني بعيره يتركه ويأخذ درعه وسيفه ورمحه حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ويجالد الأعداء. قال الرسول ﷺ عندما رأى المعركة تشتد: «هذا حين حيي الوطيس^(٥٢)»، ثم أخذ حصيات، أو ترابا، فرمى به وجوه الكفار، وهو يقول: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، والرسول ﷺ يقول: «انهزموا ورب محمد»، وفي رواية أخرى، «انهزموا ورب الكعبة - مرتين^(٥٣)».

وفي ضوء هذه الكيفية التي انهزم بها المشركون والمعجزة التي أجراها الله على يد نبيه محمد ﷺ يفهم قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٥٤)^(٥٥). فقد حكى أحد أفراد جيش هوزان أنهم عندما أرادوا الوصول إلى الرسول ﷺ حال بينهم وبينه رجال حسان الوجوه، فقالوا: شاهت الوجوه، فارجعوا، فهزموا من ذلك الكلام^(٥٦).

وحكى شيبه بن عثمان أنه عندما أراد قتل الرسول ﷺ ثأرا لأبيه وعمه اللذين قتلها علي يوم بدر، رفع له شواظ من نار حال بينه وبين الرسول ﷺ، كأنه البرق، فخاف أن يحرقه، فوضع يده على بصره وتقهرق، والتفت إليه الرسول ﷺ وطلب منه أن يدنو منه، فدنا منه، فقال اللهم

(٥٠) البخاري/ الفتح ١٦/١٤٢/٤٣١٥، مسلم ٣/١٤٠٠/١٧٧٦.

(٥١) مسلم ٣/١٣٩٨ - ١٣٩٩/١٧٧٥، ابن إسحاق بإسناد حسن. ابن هشام (١٢٥/٤).

(٥٢) مسلم ٣/١٣٩٩/١٧٧٥، ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١٢٥/٤) وعنده الآن هي الوطيس.

(٥٣) مسلم ٣/١٣٩٩/١٧٧٥، ١٧٧٧.

(٥٤) التوبة: ٢٦.

(٥٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/١٨٦ - ١٨٩)، وتفسير ابن كثير (٤/٧٠ - ٧٢).

(٥٦) أخرجه الذهبي في مغازيه، ص ٥٨٣، من رواية جعفر بن سليمان، وقال «إسناده جيد»، والواقدي (٩٠٦/٣ - ٩٠٧) من طريق آخر.

أذهب عنه الشيطان، ففدّ الله الإيمان في قلبه، وطلب منه الرسول ﷺ أن يقاتل الكفار^(٥٧). وفي رواية أخرى أن شيبه قال للرسول ﷺ: يا رسول الله، إني أرى خيلاً يُلقا، فقال له الرسول: «يا شيبه، إنه لا يراها إلا كافر» فضرب على صدره ثم قال: «اللهم اهد شيبه - ثلاثاً، فانقلب بغض الرسول حبا عظيماً»^(٥٨).

وروى ابن إسحاق^(٥٩) من حديث جُبَيْر بن مُطْعِم أنه رأى قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الكساء الأسود، أقبل من الساء حتى سقط بينهم وبين القوم، فنظر فإذا نمل أسود مبعوث قد ملأ الوادي، لم يشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم.

لم يثبت المشركون طويلاً في هذه الجولة الثانية من القتال، ففروا في نهاية اليوم مخلفين وراءهم كثيراً من القتلى والأموال^(٦٠)، وكان الرسول ﷺ قد أمر بتعقب الفارين وجزهم^(٦١) لكسر شوكتهم حتى لا يجتمعوا للحرب مرة أخرى، ولذا عندما فرغ من حنين بعث أبا عامر - عُيَيْد بن سليم بن حضار الأسلمي - على جيش إلى أوطاس^(٦٢) لقتال الكفار الذين عليهم دريد بن الصمة، فجالدهم عامر حتى استشهد، وطلب من أبي موسى الأشعري، الذي خلفه في القيادة، أن يبلغ الرسول ﷺ سلامه وأن يطلب منه أن يستغفر له، فأكمل الأشعري المهمة وهزم الله على يديه الأعداء، وبلغ رسالة عامر، فدعا الرسول ﷺ لأبي عامر^(٦٣).

(٥٧) أخرجه الذهبي في مغازيه، ص ٥٨٣، من رواية الوليد بن مسلم، وقال غريب جداً، وفيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف، وابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق (٣٥٠/٦) والبيهقي في الدلائل (١٤٥/٥)، وابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (١٢٤/٤)، والواقدي (٩٠٩/٣ - ٩١٠)، وهذا يدل على أن للقصة أصلاً، وتشهد لها الأحاديث الصحيحة في أمر قذف الحصى في وجوه الأعداء وانزاعهم، ورواية جعفر بن سليمان الجيدة.

(٥٨) أخرجه الذهبي في مغازيه، ص ٥٨٤، والبيهقي في الدلائل (١٤٥/٥ - ١٤٦). وفي إسناده هذه الرواية أبو بكر الهذلي، وهو متروك، فالإسناد ضعيف جداً.

(٥٩) رواه بإسناد منقطع - ابن هشام (١٣١/٤). والمنقطع ضعيف كما قلنا.

(٦٠) انظر مثلاً: ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١٨٣/٤ - ١٨٤).

(٦١) من رواية البرار في كشف الأستار (٣٤٩/٢) وقال الهيثمي في المجمع (١٨١/٦): «رواه البرار ورجاله ثقات».

(٦٢) أوطاس: واد في ديار موزان - كما في معجم البلدان (٢٨١/١).

(٦٣) البخاري/ الفتح (١٥٦/١٦ ح/ ٤٣٢٣)، مسلم (١٩٤٣/٤ ح/ ٤٢٩٨).

وفي رواية أنه عندما انهزم المشركون انحاز دريد بن الصمة في ستائة نفس إلى جيبيل أو أكمة، فلاحق بهم الزبير بن العوام وجماعة من المسلمين فقصوا على ثلاثمائة منهم، منهم دريد بن الصمة نفسه^(٦٤).

والذي نرجحه أن الزبير بن العوام كان في جماعة أبي عامر فباشروا قتل ابن الصمة، لأن رواية البخاري لم تبين القاتل، وقيل إن الذي قتله ربيعة ابن رقيع^(٦٥)، وقيل عبدالله بن قنيع^(٦٦).

لقد انجلت المعركة عن نصر ميين للمسلمين، ومقتل وجرح عدد كبير من هوزان وثقيف. فقد روي أن قتل بني مالك من ثقيف لوحدها قد بلغ سبعين قتيلًا^(٦٧)، ولم يقتل من الأحلاف سوى رجلين، أحدهما من بني غيرة والآخر من بني كُبة^(٦٨). وقتل بأوطاس من بني مالك ثلاثمائة ومعهم دريد ابن الصمة، كما ذكرنا، وقتل خلق كثير من بني نصر بن معاوية ثم من بني رثاب، حيث استحر فيهم القتل، حتى قال عبدالله بن قيس - وكان مسلماً: «يا رسول الله، هلك بنو رثاب، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اجبر مصيبتهم»^(٦٩).

وعندما لجأ المشركون إلى أوطاس ولحق بهم المسلمون، قتل أبو عامر وحده تسعة إخوة منهم قبل أن يستشهد، وقتل أبو موسى الأشعري أخوين من بني جُشم بن معاوية^(٧٠). وقتل أبوطلحة وحده يوم حنين عشرين رجلاً من

(٦٤) كشف الأسرار (٣٤٦/٢ - ٣٤٧)، قال الهيثمي في المجمع (١٧٨/٦): «رواه البزار، وفيه علي ابن عاصم وهو ضعيف لكثرة غلطه ونقاده فيه، وقد وثق، وبقيته رجاله ثقات». وحسن ابن حجر هذا الحديث كما في الفتح (١٥٦/١٦).

(٦٥) ابن إسحاق، بإسناد معلق - ابن هشام (١٣٦/٤) وقد جزم بذلك.

(٦٦) المصدر نفسه (١٣٨/٤)، ورواه بصيغة التمريض «ويقال».

(٦٧) رواه البيهقي في الدلائل (١٤٢/٥) ونسبه إلى البخاري في التاريخ الكبير عن أبي عاصم، وفيه أن من قتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر. قلت: وأهل الطائف هم ثقيف.

وقتل بدر من المشركين كانوا سبعين كما ذكرنا ذلك في مكانه - ابن إسحاق، معلقاً - ابن هشام (١٣٢/٤) ورواه من طريق الظهري في التاريخ (٧٨/٣) بإسناد معضل، لأن يعقوب بن عتبة

من صفار التابعين.

(٦٨) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (١٣٣/٤).

(٦٩) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (١٣٩/٤)، وابن سعد (١٥٢/٢) معلقاً، والواقدي (٩١٦/٣)

وعند الواقدي وابن سعد «بني رباب» بدلاً من «بني رثاب» كما هو عند ابن إسحاق.

(٧٠) ابن هشام، بإسناد منقطع (١٤٢/٤).

المشركين وأخذ سلبهم، لأن رسول الله ﷺ قد أباح سلب المشرك لقاتله^(٧١). ونهى رسول الله ﷺ يومذاك عن قتل النساء والأطفال والأجراء وكل من لا يحمل السلاح، وذلك عندما مر بامرأة قتلها خالد بن الوليد^(٧٢) والناس متزاحون عليها، وقال: «ما كانت هذه تقاتل»^(٧٣).

أما بالنسبة للسبي والغنائم فقد روي أن سبي حين قد بلغ ستة آلاف من النساء والأبناء^(٧٤)، وأن الأموال كانت أربعة آلاف أوقية فضة، وأن الإبل كانت أربعة وعشرين ألفاً، وأن الشياة أكثر من أربعين ألف شاة^(٧٥).

وحبس الرسول ﷺ هذا السبي والغنائم بالجعرانة ليتصرف فيها بعد الفراغ من أمر الطائف، كما سنرى.

وروي أن الشياة بنت الحارث كان ممن وقع في الأسر، فادعت أنها أخت الرسول ﷺ من الرضاعة، فقال لها الرسول ﷺ: «وما علامة ذلك؟»، قالت: عضة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك، فعرف الرسول ﷺ العلامة، فمتعها وردّها إلى أهلها كما طلبت^(٧٦).

وروي أن أمه من الرضاعة - حليلة السعدية - جاءت، فأكرمها وبسط

(٧١) أبوداود: السنن (١/١٦٢/٣). الجهاد/ ب. في السلب يعطى القاتل/ ح (٢٧١٨)، وقال: «هذا

حديث حسن»، والحاكم (١٣٠/٢) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وسكت عنه الذهبي. وإباحة سلب المشرك لقاتله في البخاري/ الفتح (١٦٠/١٥٠) ح (٤٣١٢).

(٧٢) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (١٤٣/٤ - ١٤٤).

(٧٣) من رواية الحاكم في المستدرک (١٢٢/٢) وصححه وأقره الذهبي ولكن لم يعين الغزوة. وأحمد

في المسند: الرباني (٦٤/١٤) وأبي داود في السنن (١٢١/٣ - ١٢٢/٣). الجهاد/ ب. في قتل

النساء/ ح (٢٢٦٩) والبوصيري في المصباح (٤١٨/٢) وقال: «هذا إسناد صحيح، المرقع بن صفيي

ذكره ابن حبان في الثقات ولم أر من جرحه». فيكون الحديث حسناً لحال المرقع هذا علماً بأن

الغزوة لم تعين في هذه الطرق. وفي الحديث النهي عن قتل الأصناف المذكورة. قال الدعاس

- محقق سنن أبي داود: «وأخرجه ابن ماجه حديث (٢٨٨٢) ونسبة المنذر للنسائي أيضاً».

(٧٤) عبدالرزاق: المصنف (٣٨١/٥)، وابن سعد (١٥٥/٢) من رواية الزهري عن ابن المسيب،

مرسلاً، والذهبي: المغازي، ص ٦٠٦، من رواية الزهري عن ابن المسيب مرسلاً، الظهري:

التاريخ (٨٢/٤٣) من رواية ابن هشام وعروة عن أبيه، مرسلاً، وبصيغة الترميض «يزعمون»

وابن إسحاق معلقاً - ابن هشام (١٨٣/٤).

(٧٥) ابن سعد (١٥٢/٢) معلقاً. وقال ابن إسحاق عن الإبل والشاة إنه لا يدري كم عددها - ابن

هشام (١٨٣/٤).

(٧٦) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (١٤٤/٤)، والذهبي: المغازي، ص ٦١٠، من مرسلاً

قتادة، وفيه الحكم بن عبدالمك، ضعفه ابن معين: التاريخ (١٥٢/٢) رقم (١٣٢٢)، إذ قال فيه:

«ليس بشيء».

لها ثوبه لتجلس عليه^(٧٧).

وكانت خسارة المسلمين طفيفة جدا. فقد استشهد أربعة منهم، هم: أبوعمار الأسلمي، وأيمن بن عُبيد، ويزيد بن زُمعة بن الأسود، وسُرّاقة ابن الحارث^(٧٨). وجرح عدد منهم، منهم: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي^(٧٩) وعبدالله بن أبي أوفى^(٨٠) وخالد بن الوليد^(٨١).

عندما انهزمت هوزان وثقيف وأحلافهم تفرقوا في الأودية والجبال، فلجأت ثقيف بقيادة مالك بن عوف إلى حصونها بالطائف، ولجأ آخرون إلى وادي أوطاس، وانحاز بنو غيرة إلى نخلة. وقد تبعت خيل المسلمين من سلك إلى نخلة، ولم تتبع من سلك إلى الشنايا^(٨٢).

المبحث الثاني: غزوة الطائف:

بعد أن تعقب المسلمون فلول الهاربين من هوزان في أوطاس ونخلة، توجهوا للقضاء على ثقيف التي فرت من حنين وأوطاس وتحصنت بحصونها المنيع في الطائف وأغلقت أبوابها بعد أن جمعت ما يكفيها من المؤن الغذائية للصمود لمدة عام، واتخذت وسائل دفاعية تمكنها من الصمود مدة طويلة، ورممت حصونها وأفدت عُرّة بن مسعود وعُيّلان بن سَلَمَة إلى جُرَش ليتعلما

(٧٧) الطبري: التفسير (١٠١/١٠)، من مرسل قتادة بإسناد حسن، وابن عبد البر: الاستيعاب (٢٧٠/٤) من مرسل عطاء بن يسار، البخاري: الأدب المفرد (٤٤٠)، وأبو داود: السنن (٣٥٣/٥) - ٣٥٤/ك. الأدب. في بر الوالد/ح ٥١٤٤ - ٥١٤٥). والذهبي: المغازي، ص ٦١٠، من حديث أبي الطفيل، وفي إسناده مجاهيل، والحاكم في المستدرک (٦١٨/٣)، (١٦٤) و صححه، أبو داود: المراسيل بإسناد مضطرب كما في البداية والنهاية لابن كثير (٤٠٨/٤). وقال ابن كثير في البداية (٤٠٨/٤): «وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه، والله أعلم بصحته».

(٧٨) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (١٤٥/٤).
(٧٩) الزبارة: كشف الأستار للهيتمي (٣٤٦/٢) وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (١٥٦/١٦) شرح الحديث (٤٣٢٣)، ووصف منه بأنه منكر. وانظره في مختصر زوائد البزار، ص ٤٩ - ٥٠، رقم ٨١٦.

(٨٠) البخاري/ الفتح (١٣٩/١٦) - ١٤٠/ح (٤٣١٤).

(٨١) الحميدي: المسند (٣٩٨/٢) بإسناد صحيح.

(٨٢) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (١٣٦/٤).

صنعة الدبابات^(٨٣) والمجانيق^(٨٤)، والضُّبُور^(٨٥)، ولذا لم يحضرا حينئذ مع قومها^(٨٦).

ووصل المسلمون إلى حصون الطائف في نحو نهاية الأسبوع من شوال كما يستتج من وقائع الأحداث^(٨٧)، ونزلوا قريبا من حصونهم ثم تحولوا إلى منطقة أكثر بعدا من مدى سهام ثقيف التي تسببت في استشهاد اثني عشر مسلما وجرح عدد منهم^(٨٨)، وبنوا فيها مسجدا، يعرف اليوم بمسجد عبدالله ابن عباس، وكانت الطائف آنذاك جنوبي غربي المسجد^(٨٩).

ولما كان القتال تراشقا بالسهم على بعد، استخدم المسلمون «الدبابة»^(٩٠) ليحتموا بها من السهام، حتى يصلوا إلى الحصن فيثقبوه، وعندما رأتهم ثقيف، ألقت عليهم قطعاً من حديد محماة فأحرقت «الدبابة»، فخرج أصحابها من تحتها فأصابوهم بالسهم، فقتلوا منهم رجالا^(٩١).

واستخدم المسلمون المجانيق في رمي أهل الطائف، وهم أول من رمى في الإسلام المجانيق^(٩٢). وقد بذلوا الوسع في الرمي به، لا سيما وقد وعدهم الرسول ﷺ درجة في الجنة عندما قال لهم: «من بلغ سهمه فله درجة في

(٨٣) الدبابات: آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود، ويدخل فيها الرجال، ويتصلون بحائط فيثقبون عن أهله.

(٨٤) أنظر وصفها في كتاب «الرسول القائد» للواء ركن محمود شيت خطاب، ص ٢٥٤.

(٨٥) الضُّبُور شيء يتقي به عند الانصراف.

(٨٦) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (١٧٠/٤ - ١٧١)، ابن سعد (١٥٨/٢) معلقا. والمعلق ضعيف.

(٨٧) سبق القول إنهم وصلوا حينئذ في العاشر من شوال وكانت المعركة في اليوم الحادي عشر منه، وتعمقوا فلول المهزمين لمدة أسبوع تقريبا ثم ساروا إلى الطائف عبر طريق طويلة، فيكون وصولهم إليها في نحو نهاية الأسبوع الثالث.

(٨٨) ابن إسحاق، من مرسل عمرو بن شعيب - ابن هشام (١٧٥/٤ - ١٧٦)، ابن سعد (١٥٨/٢) معلقا، وقد حدد عدد القتل بينما أطلقه ابن إسحاق.

(٨٩) البلاذري: معجم العالم الجغرافية في السيرة، ص ٢١٣ - ٢١٤، ٣١٦.

(٩٠) آلة من الخشب السميك المغلف بالجلود مركبة على عجلات مستديرة، يدخل فيها الرجال، فيذبون بها الأسوار ليثقبوها.

(٩١) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (١٧٦/٤ - ١٧٧).

(٩٢) ابن هشام، بإسناد منقطع (١٧٦/٤)، أبوداود: «المراسيل»، طبعة محمد علي صبيح، مصر، ص ٣٧، بإسناد صحيح إلى مكحول، وإسناد آخر إلى عكرمة مولى ابن عباس، وقد احتج الشافعي بهذه الواقعة - أنظر الشافعي: الأم (١٦١/٤).

الجنة» (٩٣).

وقد تباينت الروايات الضعيفة فيمن جلب المجانيق أو صنعها، فهناك من يذكر أنه خالد بن سعيد، ومن يذكر أنه سلمان الفارسي، ومن يذكر أنه الطفيل بن عمرو^(٩٤).

وفي محاولة لإضعاف معنويات ثقيف، شرع المسلمون في حرق بساتين نخيلهم وعنبهم، فناشدوه أن يدعها لله وللرحم، فاستجاب لهم، بعد أن حققت المحاولة أهدافها^(٩٥).

ونادى منادي رسول الله ﷺ: «أيها عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فنزل إليهم ثلاثة وعشرون، منهم أبوبكر - نُفيع بن مَرْوَح - الثقفي، فأعتقهم النبي ﷺ ولم يعدهم إلى ثقيف بعد إسلامهم^(٩٦).

وعندما استعصى الحصن على المسلمين واستشهد اثنا عشر رجلاً^(٩٧)، بينما لم يقتل من المشركين سوى ثلاثة^(٩٨)، دعا رسول الله ﷺ إلى فك الحصار، فثقل ذلك على المسلمين واستكروه، وعندما كثرت فيهم الجراحات، ودعاهم الرسول ﷺ إلى فك الحصار مرة أخرى، أعجبهم ذلك، فتبسم

(٩٣) أحمد: المسند (١١٣/٤)، ٣٨٤ بإسناد صحيح، إذ صرح قتادة فيه بالتحديث عند البيهقي في السنن الكبرى (١٦١/٩)، والترمذي: السنن (٣٥٤/٥). الجهاد/ ب. ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله/ ح ١٦٣٧ - ١٦٣٨، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي: السنن (٢٧/٦). ك. الجهاد/ ب. ثواب من رمى بهم في سبيل الله).

(٩٤) جزم الواقدي (٩٢٧/٣، ٩٢٣) مرة بأن سلمان الفارسي عمل المنجنيق بيده مرة أخرى بأن الطفيل بن عمرو قدم بديابة ومجانيق عندما عاد من مهمته الخاصة بهدم صنم عمرو بن حمزة - ذي الكففين. ثم ساق أقوالاً أخرى بصيغة التمريض فقال: «ويقال قدم المجانيق يزيد بن زعنة ودبابتين، ويقال الطفيل بن عمرو!! ويقال خالد بن سعيد قدم من جرش بمجانيق ودبابتين». والمنجنيق آلة ترمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها لذك الحصون ومن فيها. وهي لفظة معربة.

(٩٥) البيهقي: السنن (٨٤/٩) بإسناده مرسلًا إلى موسى بن عقبة وعروة وفيه مجهول، وابن إسحاق، من مرسل عمرو بن شعيب - ابن هشام (١٧٧/٤).

(٩٦) البخاري/ الفتح (١٦١/١٦) ح ٤٣٢٦، ٤٣٢٧ (٤٣٢٧) ولم يذكر إسلامهم، عبدالرزاق: المصنف (٣٠١/٥) ح ٩٦٨٢ والطبراني كذا في المجمع (٢٤٥/٤)، وقال: «درجاله رجال الصحيح»، ابن سعد (١٥٨/٢) (١٥٩) معلقًا، الواقدي (٩٣١/٣) وعندما أتتهم بضعة عشر رجلاً، ذكر الواقدي أسماها تسعة منهم وأسماهم. وسُمي نُفيع بن مَرْوَح بأبي بكر لأنه نزل من الحصن بكبرة.

(٩٧) ابن إسحاق - معلقًا - ابن هشام (١٧٩/٤)، ابن سعد (١٥٩/٢) معلقًا، الواقدي (٩٣٢/٣)، أحمد: المسند (٢٣٦/١، ٢٤٣، ٢٤٨) وفي إسناده الحجاج بن أوطاة، صدوق مدلس، وقد عنعن.

(٩٨) ابن إسحاق - معلقًا - ابن هشام (١٨٠/٤ - ١٨٢) وقد ساهم ونسبهم.

الرسول ﷺ، فارتحلوا^(٩٩)، والرسول ﷺ يطمع في هدايتهم ويرفض طلب بعض المسلمين في الدعاء عليهم ويدعو لهم قائلا: اللهم اهد ثقيفا^(١٠٠)، ويروى أن الله لم يأذن له في أهل الطائف^(١٠١).

لقد تباينت الروايات حول المدة التي قضاها الرسول ﷺ في حصار الطائف. يرى عروة وابن عقبة^(١٠٢) أنها كانت بضعة عشرة ليلة، وفي رواية عن عروة أنها كانت نصف شهر^(١٠٣) ويذكر ابن إسحاق^(١٠٤) مرة أنها بضعة وعشرون ليلة، ومرة أنها ثلاثون ليلة أو قريب من ذلك^(١٠٥). ويذكر ابن هشام^(١٠٦) أنها سبع عشرة ليلة، ويروي مسلم^(١٠٧) وأحمد^(١٠٨) أنها أربعون يوما.

والذي يكاد يتفق مع مجريات الأحداث هو ما ذكره موسى بن عقبة وعروة ابن هشام، ومافي الصحيح أصح.

عاد الرسول ﷺ مرة أخرى إلى الجعرانة حيث ترك غنائم حنين قبل أن يتحرك لحصار الطائف. وعندما عاد لم يقسم هذه الغنائم سوى بعض الفضة^(١٠٩)، واستأنى بها بضعة عشرة ليلة، آملا في قدوم هوازن عليه ودخولها

(٩٩) البخاري/ الفتح (١٦/١٥٩ - ١٦٠/٤٣٢٥)، مسلم (٣/١٤٠٢ - ١٤٠٣/١٤٧٨)، الترمذي: السنن (٩/٤٢٣/٩)، المناقب/ ب. في ثقيف وبني حنيفه/ (٣٩٣٧) وقال: «حسن صحيح غريب»، وقال الألبان في تعليقه على فقه السيرة للفرزاني، ص ٤٣٢: «صحيح على شرط مسلم لولا عنقبة أبي الزبير - راويه - وهو مدلس»، ابن سعد (٢/١٥٩)، معلقا، ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/١٨٣) وزاد فيه: «... وأنت بهم» وفي حديث عروة من رواية ابن شعبة عن أبي الأسود - مرسل كما في مغازي الذهبي، ص ٥٩٦، وقال: «اللهم اهدهم واكفنا مؤنتهم».

(١٠١) من حديث عروة من رواية ابن شعبة عن أبي الأسود ومن حديث موسى بن عقبة من رواية ابن أخيه - مرسل - كما في مغازي الذهبي ص ٥٩٢، ورواية ابن سعد (٢/١٩٥) من حديث الحسن البصري - مرسل - وابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/١٧٨).
(١٠٢) البيهقي: (دلائل النبوة (٥/١٥٧) والسنن الكبرى (٩/٨٤) بإسناد مرسل، وفي سند عروة أبو عاتكة - محمد بن عمرو بن خالد - وفي سند موسى بن عقبة أبو عاتكة - محمد بن عبد الله، ولا توجد لها ترجمة.

(١٠٣) الطبري: التاريخ (٣/٨٢) بإسناد مرسل حسن.
(١٠٤) ابن هشام (٤/١٧٦) مرسل من حديث عمرو بن شعيب.
(١٠٥) البيهقي: دلائل النبوة (٥/١٦٩) بإسناد مرسل حسن إلى شيخه، ولم يسم شيخه من حديثه.
(١٠٦) السيرة (٤/١٧٦) معلقا وبصيغة التمريض: «يقال».
(١٠٧) الصحيح (٢/٧٣٦/٢) ح: ١٠٥٩ من رواية السميطة.
(١٠٨) المسند (٣/١٥٧) من رواية السميطة، ولم يوافق ابن كثير على هذه المدة، فقال: «وإنما حاضروها قريبا من شهر ودون العشرين ليلة»: البداية والنهاية (٤/٣٩٩).
(١٠٩) الحاكم: المستدرک (٢/١٢١) وصححه وسكت عنه الذهبي.

في الإسلام^(١١٠)، ثم وزعها بعد ذلك على المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئا. فقد أعطى مائة من الإبل لكل من عُيِّنَ من حِصْن - من زعماء غطفان - والأقرع بن حابس - من زعماء تميم - وعَلَقَمَة بن عَلَاثَة والعباس بن أمية - من زعماء قريش^(١١١). وقد أحصى ابن إسحاق^(١١٢) اثني عشر رجلا ممن نال مائة من الإبل، ستة منهم ذكرهم البخاري ومسلم. ومن زادهم على ما في البخاري ومسلم: معاوية بن أبي سفيان، والحارث ابن الحارث، ومالك بن عوف، والعلاء بن جارية، والحارث بن هشام، وحويطب بن عبد العزى، ولم يذكر من قائمة البخاري ومسلم: عَلَقَمَة بن عَلَاثَة والعباس بن مُرْدَاس وذكر خمسة ممن أعطوا أقل من مائة^(١١٣).

وأورد ابن هشام^(١١٤) قائمة بأسماء تسعة وعشرين رجلا من المؤلفات قلوبهم ممن أعطوا من غنائم حنين، ولم يحدد عدد الإبل التي نالها كل واحد منهم. وهناك من أوصل عددهم إلى سبعة وخمسين رجلا^(١١٥).

وكان هذا الموقف تجاه المؤلفات قلوبهم لحكمة وضحتها الرسول ﷺ للأنصار عندما غضبوا من هذا التوزيع وحرمانهم من الغنيمة، وبلغ الرسول ﷺ قول بعض أحدائهم: «إذا كانت الشدة ندعى، وتعطى الغنائم غيرنا»، أو «يعفر الله لرسول الله، يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم!»^(١١٦)، فجمعهم وقال لهم: «أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبوا برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم؟» قالوا: بلى، يارسول الله رضينا. فقال: «لو سلك الناس واديا، وسلكت الأنصار شِعْبًا، لأخذت شِعْب الأنصار»^(١١٧).

(١١٠) البخاري/ الفتح ١٤٦/١٦ ح/ ٤٣١٨، ٤٣١٩). وقد أورد الذهبي في مغازبه، ص ٦٠٥، هذا الحديث وفيه أنه انتظرهم تسعة عشرة ليلة، ولم نجد هذا التحديد في المطبوع من الصحيح. وعند الواقدي (٩٥٨/٣) أنها ثلاث عشرة ليلة.

(١١١) البخاري/ الفتح ١٧١/١٦ ح/ ٤٣٣٥، مسلم (٧٣٧/٢ ح/ ١٠٦٠) وانظر: ابن حجر الفتح: (١٧٢/١٦).

(١١٢) ابن هشام (١٩٠/٤) معلقا.

(١١٣) ابن هشام (١٩٠/٤ - ١٩١) - معلقا.

(١١٤) السيرة (١٩٢/٤ - ١٩٤) بإسناد منقطع، إذ لم يسم من حدثه، وبقية رجاله ثقات.

(١١٥) انظر الدكتور قريبي: مرويات غزوة حنين، ص ٦٤٩.

(١١٦) البخاري/ الفتح ٢٣٧/١٢ ح/ ٣١٤٧، مسلم (٧٣٣/٢ ح/ ٧٣٥ - ٧٣٦/٢ ح/ ١٠٥٩).

(١١٧) البخاري/ الفتح ١٧٠/١٦ ح/ ٤٣٣١ - ٤٣٣٤، ٤٣٣٧، مسلم (٧٣٥/٢ - ٧٣٦/٢ ح/ ١٠٥٩). ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٢٠٠/٤).

وقال في رواية: ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والابل وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ الأنصار شِعَارُ الناس دِثَارُ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار. . .» (١١٨). وقال: «إني أعطي قوما أخاف ظلهم وجزعهم، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغناء، منهم عمرو بن تغلب، فقال عمرو بن تغلب: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حر النعم» (١١٩)، وقال: «إني لأعطي رجلا حديث عهدهم بكفر» (١٢٠)، وفي رواية «إن قريشا حديثو عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم» (١٢١)، وقال: «أوجدتم يامعشر الأنصار في أنفسكم في لُعاة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلكم إلى إسلامكم، . . . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» (١٢٢). وقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه، خشية أن يكب في النار على وجهه» (١٢٣).

وعندما سمع الأنصار ما قاله لهم الرسول ﷺ عرفوا الحكمة من ذلك التقسيم، وبكوا حتى ابتلت لاهم بدموعهم، وقالوا: «رضينا برسول الله قَسَمًا وَحَقًّا» (١٢٤).

واتضح لهم الحكمة عمليا عندما رغب هؤلاء المؤلفون قلوبهم في الإسلام وحسن إسلامهم وانخرطوا في الجهاد، إلا القليل جدا منهم، مثل عيينه بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس. وقد عبر عن هذه الظاهرة الإمام مالك ابن أنس (١٢٥)، قائلا: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم

(١١٨) مسلم (٧٣٩/٢) ح ١٠٦١. والشعار الثوب الذي يلي الحشد والدثار ثوب فوقه، يعني أن الأنصار هم الخاصة والبطانة والأصفاء والصلح الناس به من سائرهم.

(١١٩) البخاري/ الفتح (٢٣٦/١٢) ح ٢٣٧ - (٣١٤٥).

(١٢٠) البخاري/ الفتح (٢٣٨/١٢) ح ٣١٤٧، مسلم (٧٣٣/٢) ح ٧٣٤ - (١٠٥٩).

(١٢١) البخاري/ الفتح (١٦٦/١٦) ح ٤٣٣٤، مسلم (٧٣٥/٢) ح ١٠٥٩.

(١٢٢) من رواية ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (١٩٩/٤)، وروي الدعاء البخاري/

الفتح/ ٢٦١ وما بعدها. ك. مناقب الأنصار ومسلم (١٩٤٨/٤) ح ٢٥٠٦. وأحمد: الفتح الرباعي

(١٧٣/٢٢) - (١٧٤). ويتفق بالشواهد والمتابعات المذكورة هنا مع اختلاف في اللفظ عند البخاري.

(١٢٣) مسلم (٧٣٣/٢) ح ١٠٥٠.

(١٢٤) مسلم (٧٣٤/٢) ح ١٠٥٩، ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٢٠٠/٤). وأصله

في البخاري/ الفتح (١٦٩/١٦) ح ٤٣٣١ ومسلم (٧٣٤/٢) ح ١٠٥٩.

(١٢٥) مسلم (١٨٠٧/٤) ح ٢٣١٢.

حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها». وعبر صفوان بن أمية عن التحول الذي حدث نتيجة لهذا الموقف الكريم من الرسول ﷺ، فقال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، ما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ»^(١٢٦). وكان حكيم بن حزام كلما أعطاه سألته المزيد، فوعظه الرسول ﷺ قائلا: «يا حكيم، إن هذا المال خَصِرٌ حلوه، فمن أخذ به سَخَاوَةٌ نفس بورك له فيه، ومن أخذ به بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»، فقال حكيم: «والذي بعثك بالحق لا أرأى أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا»، فلم يأخذ عطائه من بيت المال حتى توفي^(١٢٧).

وعندما لم تتضح حكمة هذا التقسيم لدى بعض جفاة الأعراب - أيضا - قال أحدهم للرسول ﷺ: «يا محمد! اعدل»، فقال له الرسول: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعذل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعذل». فاستأذن عمر النبي ﷺ في ضرب عنقه، فقال له النبي ﷺ: معاذ الله! أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي»^(١٢٨). وازدحموا على الرسول ﷺ وهو يقسم الغنائم، حتى علق رداؤه بغصن شجرة، فقال: «اعطوني رداي، فلو كان عدد هذه العِصاة - شجر الشوك - نعلما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا»^(١٢٩). وجبذه أحدهم جبذة شديدة أثرت في عاتقه لخشونة البرد الذي كان عليه، وقال: «مر لي من مال الله الذي عندك»، فالتفت إليه الرسول ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء^(١٣٠). ودل هذا الموقف من الأعراب على أن معظمهم إنما خرج للمغنم، ودل موقف الرسول ﷺ من تصرفاتهم على صبره وحكمته في تربية أمثال هؤلاء الأعراب.

(١٢٦) مسلم (٤/١٨٠٦ ج ٢٣١٣).

(١٢٧) البخاري/ الفتح (١٢/٢٣٥ ج ٣١٤٣)، مسلم (٢/٧١٧ ج ١٠٣٥). ويبدو أن الدكتور العمري قد سها عندما ذكر صفوان بن أمية بدلا من حكيم بن حزام - انظر: المجتمع - الجهاد، ص ٦١٦.

(١٢٨) مسلم (٢/٧٤٠ ج ١٠٦٣) وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤/١٩٥) واسم الرجل عنده: ذو الخويصرة التميمي.

(١٢٩) البخاري/ الفتح (١٢/٢٣٨ ج ٣١٤٨).

(١٣٠) المصدر نفسه (ج ٣١٤٩).

بعدهما فرغ الرسول ﷺ من توزيع الغنائم، قدم عليه وفد هوازن يعلن إسلامهم، ويطلب رد الأموال والسي إلىهم، فخيرهم بين المال والسي، فاختاروا السي. فاستشار الرسول ﷺ أصحابه في الأمر، ومما قال لهم: «فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال الناس: طيبنا يا رسول الله لهم. فقال: «إنا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم»، فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا^(١٣١)، سوى الأقرع بن حابس الذي تكلم باسم قبيلته غيم وعيينة بن حصن الذي تكلم باسم قبيلته فزارة، فوعدهم الرسول ﷺ بتعويضهم عنها^(١٣٢).

وسأل الرسول ﷺ وفد هوازن عن مالك بن عوف وطلب منهم أن يخبروه إن أتاه مسلما رد عليه أهله وماله ومنحه مائة من الإبل، وعندما أخبروه بذلك احتال في الخروج من الطائف، خشية أن يقتله قومه ثقيف، ولحق بالرسول ﷺ بالجعرانة أو بمكة، فأعطاه الرسول ﷺ ما وعد به، وأسلم، وحسن إسلامه، فاستعمله الرسول ﷺ على من أسلم من قومه، فكان يقاتل بهم ثقيفا^(١٣٣).

ومال بعض زعماء ثقيف للإسلام، منهم عروة بن مسعود الثقفي، فلحق بالرسول ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة بعد أداء العمرة، فأعلن إسلامه، وعاد داعيا إلى الإسلام في قومه، فقتلوه، ودفن مع شهداء المسلمين في حصار الطائف حسب وصيته^(١٣٤).

(١٣١) المصدر نفسه (١٢/٢١٩)، ح (٣١٣١، ٣١٣٢).

(١٣٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (١٨٥/٤) ورواه غيره.

(١٣٣) ابن إسحاق، مرسل - ابن هشام (١٨٧/٤)، الطبراني، من طريق ابن إسحاق كما في المجمع (١٨٩/٦) ورجاله ثقات، الطبري: التاريخ (٨٨/٣ - ٨٩) من طريق ابن إسحاق موصولا وفيه ابن حديد، فيه ضعف، ولم يصرح ابن إسحاق بالسجاء. وبقي رجاله ثقات، وموسى بن عتبة في مغازيه كما في الإصابة (٣٥٢/٣)، وأبو الاسود عن عروة في مغازي ابن عائذ باختصار ومرسلا كما في الإصابة (٣٥٢/٣) طبعة دار الكتاب العربي/ بيروت.

(١٣٤) ابن إسحاق، معلقا، ابن هشام (٣٤٦/٤ - ٣٤٧).

وبعد عودة الرسول ﷺ من تبوك في رمضان من العام التاسع، جاء وفد ثقيف معلنا إسلامهم، كما سنرى في خبر الوفود.

المبحث الثالث: أهم الأحكام المستنبطة من غزوتي حنين والطائف:

١ - جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، جاء ذلك عندما سأل الصحابة الرسول ﷺ في سبي أوطاس فنزلت الآية ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ (١٣٥) (١٣٦).

٢ - النهي عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين (١٣٧).

٣ - إقامة الحد في دار الحرب، فقد فعل ذلك النبي ﷺ بشارب الخمر في حنين (١٣٨).

٤ - منع المخنثين من الدخول على النساء الأجنيات، وذلك عندما سمع الرسول ﷺ أحد المخنثين - في بيت أم سلمة - يصف بادية بنت غيلان الثقفي لأخيها عبدالله، ويطلب منه أن يحصل عليها، وذلك قبيل حصار الطائف، فقال ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكن» (١٣٩).

٥ - جواز إعطاء المؤلفة قلوبهم من الغنائم إذا رأى الإمام أن في ذلك سببا لدخولهم في الإسلام أو كف أذاهم أو فيه مصلحة للمسلمين.

٦ - تشريع العمرة من الجعرانة للدخول إلى مكة، كما فعل الرسول ﷺ بعد الفراغ من توزيع غنائم حنين (١٤٠). أما الخروج من مكة إلى الجعرانة

(١٣٥) النساء: ٢٤.

(١٣٦) انظر في تفسيرها ابن كثير: التفسير (٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤).

وانظر في هذا الأحاديث: مسلم (١٠٧٩/٢ - ١٠٨٠/٢ ح/ ٣٣ - ٣٥ / ١٤٥٦) وغيرها.

(١٣٧) أحمد: المسند (٤٨٨/٣) وقد حسن الألباني إسناده في الإرواء (٣٥/٥)، الحاكم (١٢٣/٢) وصححه ووافقه الذهبي، أبوداود: السنن (١٢١/٣ - ١٢٢، ١٢٣ - ١٢٤ ك. الجهاد/ ب).

في قتل النساء/ ح/ ٢٦٦٩، ٢٦٧٢.

(١٣٨) أحمد المسند (٣٥٠/٤)، أبو داود: السنن (٦٢٧/٤ - ٦٢٨ ك. الحدود/ ب). إذا تتابع في

شرب الخمر/ ح/ ٤٤٨٧، ٤٤٨٨ وقال المحققان «في هذين الطريقين انقطاع» قلت: لم يصرح

في الطريق الأول باسم الغزوة وصرح باسمها في الطريق الثاني/ ح/ ٤٤٨٨ ورواه الدارقطني

في السنن (١٥٧/٣ - ١٥٨) وفي إسناده عبدالله بن عبد الرحمن بن زاهر، وهو مقبول.

(١٣٩) البخاري/ الفتح (١٥٨/١٦ - ١٥٩ ح/ ٤٣٢٤) اللفظ له، مسلم (١٧١٥/٤ ح/ ٢١٨٠)، وغيرها.

(١٤٠) البخاري/ الفتح (٨٦/٨ ح/ ١٧٧٨)، مسلم (٩١٦/٣ ح/ ١٢٥٣)، وغيرها.

- للإحرام منها فهو ما يفعله العوام وليس بسنة^(١٤١).
- ٧ - التأكيد على إباحة سَلْبِ المشرك لقاتله.
- ٨ - جواز الاستفادة من أدوات الحرب التي يمتلكها المشركون، كما فعل الرسول ﷺ عندما استعار دروعا من صفوان بن أمية مع ضيائه لها، على أن لا يكون في ذلك أي تأثير على صبغة الحرب.
- ٩ - جواز نصب المنجنيق على الكفار، ورميهم به وإن أفضى إلى قتل من لم يقاتل من النساء والذرية^(١٤٢).
- ١٠ - جواز قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يضعفهم ويغیظهم، وهو أنكى لهم.
- ١١ - من كمال رأفته ورحمته ﷺ أن يدعو بالهداية لمن حاربوه وقتلوا جماعة من أصحابه، كما فعل الرسول ﷺ مع أهل الطائف - ثقیف^(١٤٣).
- ١٢ - لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما بعد يوم، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات^(١٤٤)، كما فعل الرسول ﷺ مع ذي الكُفَين وإرسال أبي موسى الأشعري لهدمه - سيأتي ذكره في أول الفصل التالي.
- ١٣ - إن وادي وَحٍّ - هو واد بالطائف - ليس بحرم، وإن الأحاديث الواردة في أنه حرم ضعيفة^(١٤٥).

(١٤١) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٠٤).
 (١٤٢) و (٥) و (٦) و (٧)، انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٠٣ - ٥٠٦).
 (١٤٣) و (١٤٤) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٠٣ - ٥٠٦).
 (١٤٥) انظر الدكتور العمري: المجتمع المدني، الجهاد، حاشية ص ص ٢٢١ - ٢٢٢.

الفصل الرابع والعشرون

السرايا والأحداث التي وقعت بين غزوتي الطائف وتبوك:

المبحث الأول: سرية الطفيل بن عمرو إلى ذي الكُفَين:

عندما أراد الرسول ﷺ المسير إلى الطائف، بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكُفَين: صنم عمرو بن حُمّة الدوسي ليهدمه، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف. فخرج سريعا إلى قومه، فهدم ذا الكُفَين، وحرقه وانحدر معه من قومه اربعائة، فوافوا النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه إليها بأربعة أيام، ومعه دبابة ومنجنيق^(١).

المبحث الثاني: إسلام كعب بن زهير عند منصرف الرسول ﷺ من الطائف:

كان كعب بن زهير بن أبي سُلمى المُرَنيّ من الشعراء المخضرمين المرموقين، وأبوه زهير بن أبي سلمى صاحب إحدى المعلقات السبع المعروفة. وكان ممن يهجو النبي ﷺ ويؤذيه. وروى قصته وقصة أخيه بُجَيْر ابن إسحاق^(٢) والبيهقي^(٣)، بإسناد متصل إليه، وفيها أنه خرج مع أخيه بُجَيْر حتى أتيا أبرق العراف^(٤)، طلب بجير من أخيه كعب أن يبقى في هذا المكان حتى يأتي محمد ﷺ ويسمع ما يقول، فعندما جاء عرض عليه النبي ﷺ الإسلام

(١) ابن سعد (١٥٧/٢) معلقا، من رواية شيخه الواقدي: الواقدي (٩٢٢/٣ - ٩٢٣).

(٢) ابن هشام (٢٠١/٤) وما بعدها) وإسناده منقطع، إذ لم يسم عاصم بن عمر من حديثه. وانظر قصيدة «بانت سعاد» عنده، وعند الذهبي في مغازيه، ص ٦١٨ - ٦٢١.

(٣) دلائل النبوة (٢٠٧/٥) وما بعدها) وفي إسناده ثلاثة رجال لم يترجم لهم، وهم: ذو الرقية والحجاج ابن ذي الرقية وعبد الرحمن بن كعب بن زهير.

(٤) مكان قريب من المدينة.

فأسلم، فبلغ ذلك كعبا فانشد قائلا:

ألا إبْلِغَا عني بجيرا رسالة * على أي شيء غير ذلك دلکا
على خلق لم ألف أما ولا أبا * عليه ولم تدرك عليه أخا لکا
سقاك أبوبکر بکناس روية * وأنهلك المأمون منها وعلکا

فلما بلغت الآيات رسول الله ﷺ أهدر دمه، فكتب إليه أخوه بجير يخبره بذلك وينصحه بالنجاء، ثم كتب إليه بعد ذلك وأعلمه أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد مسلما إلا قبل ذلك منه، وطلب منه أن يسلم ويقبل على النبي ﷺ، فأسلم، ونظم قصيدته التي يمتدح فيها رسول الله ﷺ، وقدم على الرسول ﷺ فأمنه، فأنشده قصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم عندها لم يفد مكبول^(٥)
وذكر موسى بن عقبة في مغازيه^(٦) أن كعب بن زهير أنشد النبي ﷺ قصيدته «بانت سعاد» في المسجد، فلما بلغ قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زلوا
أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليأتوا فيسمعوا منه.
قال الساعتي^(٧): «وفي المواهب اللدنية، قال أبوبكر بن الأنباري، إنه لما وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

(٥) قال العراقي، كما في نيل الأوطار للشوكاني (١٥٩/٢ - ١٦٠): «وهذه القصيدة قد رويناها من طرق لا يصح فيها شيء، وقد رواها ابن إسحاق بسند منقطع».
(٦) ذكره البيهقي في الدلائل (٤١١/٥) وإسناده مرسل وفيه محمد بن فليح: صدوق بهم.
(٧) الفتح الرباني (١٨٧/٢١).

وروى قصة إسلام كعب الحاكم في المستدرك (٥٧٩/٣ - ٥٨٣) وقال: «هذا حديث له أسانيد قد جمعا إبراهيم بن المنذر الخراساني» وسكت عنه الذهبي. وعن رواية إعطاء الرسول ﷺ برونه لكعب، قال ابن كثير في البداية (٤١٩/٤): «وهذا من الأمور المشهورة جدا، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه، فإله أعلم».

رمى عليه النبي بردة كانت عليه، وإن معاوية (رضي الله عنه) بذل فيها عشرة آلاف، فقال كعب: «ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله ﷺ أحدا». فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته عشرين ألفا، فأخذها منهم، قال: «وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم».

المبحث الثالث: المصدقون:

شرع الرسول ﷺ في بعث المصدقين الى المناطق المختلفة في مطلع المحرم من العام التاسع الهجري، فبعث: بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب إلى أسلم وَغِفَار، ويقال كعب بن مالك، وِعْبَاد بن بشر الأشهلي إلى سُلَيْم ومُزَيْنَة، ورافع ابن مَكَيْث إلى جُهَيْنَة، وعمرو بن العاص إلى فَزَارَة، والضَّحَّاك بن سُفْيَان الكلابي إلى بني كِلَاب، وسُر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، ويقال: نُعَيْم بن عبدالله النحام العدوي، وابن اللَّثْبِيَّة الأزدي إلى بني ذُبْيَان، ورجلا من بني سعد بن هُذَيْم إليهم^(٨)، والمهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء، وزياد ابن لَبِيد إلى حَضْرَمَوْت، وعَدِي بن حاتم الطائي إلى طيء وأسد، ومالك ابن نُويرَة إلى بني حَنْظَلَة، والزُّبْرَقَان بن بدر وقيس بن عاصم إلى بني سعد، كل منها على ناحية، والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وعلي ابن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيته^(٩).

المبحث الرابع: سرية عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بدر إلى بني العَنَبَر:

بعث رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر من غيم في المحرم سنة تسع من الهجرة في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري. فلما وصلوا إلى مكانهم ورأوهم هربوا، وتمكن عيينة وأصحابه من أخذ أحد عشر رجلا، ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا، فجلبهم إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ فحبسوا في دار

(٨) الواقدي: المغازي (٩٧٣/٣) بإسناده مرسل، ابن سعد: الطبقات (١٠٦/٢) من رواية شيوخه الواقدي. والواقدي متروك ولذا فإسناده ضعيف.

(٩) ابن إسحاق، دون إسناده - ابن هشام (٣٢٨/٤). وغير المسند من أقسام الضعيف كما تعلم.

رَمْلَة بنت الحارث، فقدم فيهم عدة من رؤسائهم ومنهم: عَطَّار بن حَاجِب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم والأقرع بن حابس،... فلما رأتهم النساء والذراري بكوا، فمجلوا فجاءوا إلى باب النبي ﷺ فنادوا: يا محمد، اخرج إلينا، فخرج، وأقام بلال الصلاة، وتعلقوا برسول الله ﷺ يكلمونه، فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد، فقدموا عَطَّار بن حَاجِب فتكلم وخطب، فأجابه ثابت بن قيس، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾^(١٠)، فرد عليهم رسول الله ﷺ السبي والأسرى^(١١). وذكر ابن إسحاق^(١٢) أنهم ردوا بالعتق والفداء، وإن لم تشر رواية الواقدي وابن سعد إلى تفريق السبي بين رجال السرية.

وذكر الواقدي^(١٣) أن سبب بعث عيينة أن بني تميم أغاروا على ناس من خزاعة بن كعب، أرادوا أن يؤدوا الصدقة إلى المصدق الذي بعثه إليهم رسول الله ﷺ، بشر بن سفيان الكعبي، فأخرجوهم من محالهم، وتحرشوا بهم، وحذرهم الخزاعيون من مغبة هذا التصرف، وعاد المصدق وأخبر الرسول ﷺ خبرهم.

ويلحظ أن ابن إسحاق^(١٤) ذكر أن عيينة بن حصن كان مع وفد بني تميم، وفي هذا إشكال، إذ كيف يكون سببا في مجيء الوفد، لأنه هو الذي كان على رأس سرية سبي نساء وأطفال بني تميم، ثم يكون مع الوفد... فلعل ذلك وهم من ابن إسحاق.

-
- (١٠) الحجرات: ٤. وذكر غير واحد أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي، فقد روى الإمام أحمد بسنده إلى الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فقال: «يا محمد، يا محمد، وفي رواية: يا رسول الله، فلم يجبه، فقال: يا رسول الله: إن حمدي لزين وإن ذمي لشين، فقال: «ذاك الله عز وجل» - انظر أحمد: المسند (٤٨٨/٣) و(٣٩٤/٦) وانظر الأحاديث الأخرى في هذا الشأن عند: الطبري: التفسير (٧٧/٢٦) وابن كثير: التفسير (٣٤٩/٧).
- (١١) ابن سعد (١٦٠/٢) - (١٦١) معلقا، الواقدي (٩٧٥/٣ - ٩٨٠)، ابن إسحاق - معلقا ومختصرا جدا - ابن هشام (٣٥٧/٤). وعنه ذكره البخاري معلقا - انظر: البخاري/ الفتح (١٦/ك). المغازي/ ب. قال ابن إسحاق: «...».
- (١٢) بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٥٧/٤). والمنقطع من أقسام الضعيف كما علمت.
- (١٣) المغازي (٩٧٤/٣). والواقدي متروك كما علمت، ولذا فأسانيده ضعيفة.
- (١٤) ابن هشام (٢٧٥/٤) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

روى ابن إسحاق^(١٥) أنه قبل وصول سبي بني العنبر المدينة قالت عائشة لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، إن عليّ رقية من ولد إسماعيل»، فقال لها النبي ﷺ: «هذا سبي بني العنبر يقدم الآن فتعطيك منهم إنسانا فتعتقينه». ولعل هذا ما أشار إليه أبو هريرة في الحديث الذي رواه البخاري^(١٦): «لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولها فيهم، قال: ... وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال: أعتقها فلإنها من ولد إسماعيل...».

ولعل ذلك مما يفيد بأن سبي بني العنبر كان وزع على الغانمين وأن عائشة (رضي الله عنها) ملكت هذه الجارية بالشراء أو الهبة، ثم أعتقتها عندما جاء قومها يطلبونها. والله أعلم.

المبحث الخامس: سرية قُطَيْبَة بن عامر إلى ناحية بُبَالَة^(١٧):

بعثه رسول الله ﷺ في عشرين رجلا إلى حي من خُثَم بناحية بُبَالَة أو بَيْشَة، قريبا من تُرْتَة، فخرجوا على عشرة أبعرة يتعقبونها، قد غيبوا السلاح، يسرون بالليل ويكمنون بالنهار حتى وصلوا مكان العدو، فأغاروا عليهم ليلا، ودار قتال عنيف، فهزموا المشركين، واستاقوا النعم والشاء والنساء، وفي الصباح تقاطر جمع الخثعميين، وساروا في أثرهم. وعندما أدركهم أتى الله بسيل حال بينهم وبين المسلمين، فما قدر رجل واحد منهم أن يمضي حتى نجا المسلمون إلى المدينة.

لقد اضطربت روايات الواقدي في تعيين تاريخ هذه السرية، فمرة ذكر أنها في ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة^(١٨)، ومرة ثانية قال إنها في صفر

(١٥) ابن هشام (٣٥٧/٤) وفي إسناده انقطاع، إذ لم يثبت سماع عاصم بن عمر من عائشة (رضي الله عنها)، انظر ابن حجر: الفتح (٢٢٢/١٨).

(١٦) الفتح (٢٠٦/ك. المغازي/ب. قال ابن إسحاق، غزوة عيينة بن حصن/ح (٤٣٦٦) و(١٠/٢٦٦ ك. العنز/ب. من ملك من العرب رفيقا/ح (٢٥٤٣) - والجارية هي بريدة كما في البخاري/الفتح (١٠/٢٦٠/ح (٣٥٣٦)، وانظر أساء من أسر معها في شرح ابن حجر هنا (١٠/ح (٢٥٤٣).

(١٧) تبالة: موضع بقرب الطائف، وهي لبني مازن - معجم ما استعجم، ص ١٩١.

(١٨) المغازي (٧٥٣/٢ - ٧٥٤).

سنة تسع^(١٩)، وقال: «وخبّر هذه السرية داخل في سرية شجاع بن وهب»^(٢٠).

أما ابن سعد^(٢١) فقد ذكر أنها في صفر سنة تسع من الهجرة، وهذا يعني موافقته الواقدي في روايته الثانية، ولهذا السبب رجحنا أن تكون هذه السرية في صفر سنة تسع من الهجرة.

المبحث السادس: سرية الضحّاك بن سُفيان الكلابي إلى القُرطاء - بطن من بني كلاب:

قيل إنه في ربيع الأول من العام التاسع الهجري بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى القُرطاء، عليهم الضحّاك بن سُفيان الكلابي، ومعه الأُصَيْد بن سَلَمَة بن قُرط. فلقومهم بالزُّج، زُج لاوَة^(٢٢). فدعوهم إلى الإسلام. فأبوا. فقاتلهم، فهزمهم، فلاحق الأُصَيْد أباه سَلَمَة، فدعاه إلى الإسلام وأعطاه الأمان، فسبه وسب دينه، فعرقب الأُصَيْد عرقوبي فرسه، ثم جاء رجل من المسلمين فقتل سَلَمَة^(٢٣).

المبحث السابع: سرية عبدالله بن حُدّافة السَّهْمِيّ:

روى البخاري^(٢٤) ومسلم^(٢٥) أن الرسول ﷺ استعمل رجلاً من الأنصار على سرية وأمرهم أن يطيعوه. فأغضبوه في شيء فقال: اجتمعوا لي حطباء، فجمعوه. وأمرهم فأوقدوه. ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى. قال: فادخلوها. فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا:

(١٩) المصدر نفسه (٩٨١/٣).

(٢٠) المصدر والمكان نفسهما. وسرية شجاع - كما ذكر هو - كانت في ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة. والذي لاحظته أن مضمون خبر هذه السرية هو نفسه مضمون خبر سرية غالب بن عبدالله إلى الكندي، بل ويشتركان في تاريخ واحد كما حدده الواقدي، والله أعلم إن كانت كل واحدة منها سرية مختلفة أم هما سرية واحدة.

(٢١) الطبقات (١٦٢/٢) معلقاً والمعلق ضعيف كما تعلم.

(٢٢) موضع بناحية ضرية من نجد على طريق البصرة - معجم البلدان (١٣٣/٣).

(٢٣) الواقدي (٩٨٢/٣)، ابن سعد (١٦٢/٢ - ١٦٣) من رواية شيخه الواقدي.

(٢٤) البخاري/ الفتح (١٤٣/٢٧ - ١٤٤/ك. الأحكام/ح/ ٧١٤٥) واللفظ له.

(٢٥) مسلم (١٤٦٩/٣/ك. الإمارة/ح/ ١٨٤٠).

إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار. فسكن غضبه، وطفئت النار. فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك. فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها. إنما الطاعة في المعروف».

والراجح عندي أن أمير هذه السرية هو عبدالله بن حذافة السهمي. فقد روى الشيخان^(٢٦) وبقية الجماعة^(٢٧)، أن الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢٨)، نزلت فيه عندما أرسله الرسول ﷺ في سرية. وصرح به في رواية أحمد^(٢٩) وابن ماجه^(٣٠). وذكر القصة بمثل مضمون رواية البخاري في كتاب الأحكام ومسلم في كتاب الإمامة.

أما الرواية المرجوحة فهي التي رواها ابن كثير^(٣١) والطبري^(٣٢)، وفيها أنها نزلت في خالد بن الوليد عندما بعثه الرسول ﷺ في سرية فيها عمار بن ياسر، فعندما سمع بهم العدو هرب إلا رجلاً واحداً، جاء إلى معسكر المسلمين في جنح الليل، وسأل عن عمار بن ياسر، فدلوه عليه، فأخبره أنه مسلم، واستفتاه إن كان ذلك ينفع وإلا هرب مع قومه، فطلب منه عمار البقاء، وفي الصباح أغار خالد على مكان العدو فلم يجد إلا هذا الرجل، فأخذه وماله، فاعترض عمار على هذا الإجراء، فتلاحا واستبا، ولام الرسول ﷺ خالداً، فاعتذر إلى عمار، فأنزل الله تعالى الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ . . . الآية﴾.

وخلاصة رأيهما أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء. وقد استشكل العلماء وصف أمير هذه السرية بأنه أنصاري، لأن ابن حذافة

(٢٦) البخاري/ الفتح (١٧/١١٩/ح ٤٥٨٤)، مسلم (٣/١٦٦٥/١٨٣٤).

(٢٧) انظر ابن كثير: التفسير (٢/٣٠١)، الطبري: التفسير (٨/٤٩٧/شاكراً) الحاشية.

(٢٨) النساء: ٥٩.

(٢٩) المسند (٣/٦٧).

(٣٠) صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢/١٤٢/ح ٢٨٦٣)، وقال الألباني: «حسن»، وقال محققا زاد

المعاد (٣/٣٦٩) عن سند الحديث عند أحمد وابن ماجه: «وسنده قوي» وصححه ابن خزيمة

وابن حبان (٥٥٢)، والحاكم (٣/٦٣٠، ٦٣١).

(٣١) التفسير (٢/٣٠٣).

(٣٢) التفسير (٨/٤٩٨ - ٤٩٩/شاكراً) بإسناد مرسل وموصول.

مهاجري، ولذا قال ابن حجر^(٣٣): «ويحتمل الحمل على المعنى الأعم: أي أنه نصر رسول الله ﷺ في الجملة». وجنح إلى تعدد القصة لاختلاف سياقي القصة واسم أميرها. وأما ابن الجوزي^(٣٤) فقال: «قومه من الأنصار، وهم من بعض الرواة، وإنما هو سهمي». ولعلي أرجح تعليل ابن الجوزي. وذكر الواقدي^(٣٥) وابن سعد^(٣٦) في سببها أنه بلغ رسول الله ﷺ أن ناسا من الحبشة تراءاهم أهل جُدَّة، فبعث إليهم عُلَقَمَةَ بن مُجَزَّز، في ربيع الآخر من سنة تسع، في ثلثائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر، فلما خاض البحر إليهم هربوا، فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهلهم، فأمر عبدالله بن حذافة على من تعجل.

وذكر ابن إسحاق^(٣٧) في سببها أن وقاص بن مجزز كان قد قتل يوم ذي قرد، فأراد علقمة بن مجزز أن يأخذ بثأره فأرسله رسول الله ﷺ في هذه السرية. ويمكن الجمع بين الأمرين^(٣٨).

المبحث الثامن: من فوائد هذا المقطع:

١) إن الحكم في حالة الغضب يُنفذ منه مالا يخالف الشرع، وإن الأمر المطلق لا يعم بالأحوال، لأنه ﷺ أمرهم أن يطيعوا الأمير، فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى في حال الغضب، وفي حال الأمر بمعصية، فينبئ لهم ﷺ أن الأمر بطاعته مقصور على ما كان منه في غير معصية^(٣٩).

المبحث التاسع: سرية علي بن أبي طالب إلى الفُلس وإسلام عِدِّي بن حاتم الطائي:

في ربيع الآخر من العام التاسع الهجري أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي

(٣٣) الفتح (١٦/١٧٦) ك. المغازي/ ب. سرية عبدالله بن حذافة السهمي.

(٣٤) هكذا ذكر ابن حجر: انظر المرجع والمكان نفسيهما. ولم أقف على مكانه عند ابن الجوزي.

(٣٥) المغازي (٩٨٣/٣).

(٣٦) الطبقات (١٦٣/٢) معلقا، من رواية شيخه الواقدي.

(٣٧) ابن هشام (٣٨١/٤) - (٨٢٠). وهو دون إسناد.

(٣٨) الفتح (١٦/١٧٦).

(٣٩) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٣٦٩)، حاشية المحققين ومن ابن القيم.

طالب في خسين ومائة رجل إلى الفلس - صنم طيء ليهدمه -، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي مع الفجر، فهدموا الفلس وخرّبوه وأخذوا ما به، وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء. وهرب عدي إلى الشام^(٤٠).
 روى أحمد^(٤١) والترمذي^(٤٢) من حديث سمك بن حرب بإسناد إلى عدي ابن حاتم أنه عندما جاءت خيل رسول الله ﷺ كان هو بعقرب^(٤٣)، فأخذوا عمته^(٤٤) وناسا، فلما أتوا بهم رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله نأى الوافد وانقطع الوالد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمن عليّ من الله عليك، فسألها عن وافدها، فقالت: عدي بن حاتم، فقال: «الذي فر من الله ورسوله»، فمن عليها رسول الله ﷺ وجهزها فأنت ابن أخيها عديا وهو هارب بالشام، وأخبرته خبر الرسول ﷺ وطلبت منه أن يأتي الرسول ﷺ راغبا أو راهبا، فأتاه فأسلم، فسر بذلك النبي ﷺ^(٤٥).

المبحث العاشر: سرية عكاشة بن محصن إلى الجباب:

بعث الرسول ﷺ عكاشة بن محصن الأسدي في سرية إلى الجباب، أرض عُدرة ويليّ، في شهر ربيع الآخر، سنة تسع من الهجرة^(٤٦).

(٤٠) الواقدي (٩٨٤/٣ - ٨٩)، ابن سعد (٦٤/٢) من رواية الواقدي. والواقدي متروك مع سمة علمه.

(٤١) المسند: الفتح الرباني (١٨٩/٢١ - ١٩١) ورواته ثقات ما عدا ابن حبيش، فهو مقبول، وبذلك يكون الحديث حسنا.

(٤٢) السنن: (١٥١/٨ - ١٥٣/ك. التفسير/ب. سورة الفاتحة/ح ٢٩٥٦) بمثل رواية أحمد، وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني: صحيح الترمذي (٢٠/٣) - وقد روى حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها هنا، فانظرها في البيهقي: «دلائل النبوة» (٣٣٧/٥) - ٣٤٥، وابن كثير: التاريخ (٧٥/٥ - ٧٨).

(٤٣) ويقال العقرياء، منزل من أرض البصرة.

(٤٤) عند الواقدي (٩٨٧/٣) وابن سعد (١٦٤/٢) وابن إسحاق - ابن هشام (٢٩٨/٤) معلقا: «أخته»، واعتدلت ما صح سنده عند أحمد والترمذي.

(٤٥) وروى ابن إسحاق القصة بتفاصيل أكثر، وهي في مضمون رواية أحمد، ولكنها معلقة - ابن هشام (٢٩٨/٤ - ٣٠١). قال ابن كثير: البداية (٧٥/٥) بعد أن ساق رواية ابن إسحاق: «هكذا أورد ابن إسحاق هذا السياق بلا إسناد، وله شواهد من وجوه أخرى، وانظر شواهد عند (٧٥/٥ - ٧٨). وعند ابن إسحاق: «هلك الوالد» بدلا عن «انقطع الولد».

(٤٦) ابن سعد (١٦٤/٢) معلقا، والمعلق ضعيف كما علمت.

الفصل الخامس والعشرون

غزوة تبوك أو العُسرة

أصل التسمية «تبوك»:

روى مسلم^(١) بسنده إلى معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي». فهذا رسول الله ﷺ سماها تبوكا قبل أن يأتيها أحد، فلا وجه لقول غير هذا^(٢).

التسمية بغزوة العسرة:

جاءت تسميتها بغزوة جيش العسرة من الحديث الذي رواه البخاري^(٣) بسنده إلى أبي موسى الأشعري، قال: «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك...» وعنون البخاري^(٤) لهذه الغزوة بقوله: (باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة). وحديث الأشعري واضح الدلالة على ما كان عليه الصحابة (رضي الله عنهم) من العسر الشديد في المال والزاد والركائب.

وروى مسلم^(٥) بسنده إلى أبي هريرة ما وقع للمسلمين في طريق هذه الغزوة من نقص في الزاد حتى مصوا النوى وشربوا عليه الماء. وفي رواية

(١) صحيح مسلم (١٧٨٤/٤ ح ٧٠٦)، وغيره.
(٢) انظر تفصيل ذلك عند السندي: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، ص ٣٨ وما بعدها - وهي رسالة ماجستير مطبوعة.
(٣) الفتح (٢٣٨/١٦) ح ٤٤١٥.
(٤) الفتح (٢٣٧/١٦).
(٥) (١/٥٥ - ٥٦ ح ٢٧).

أخرى أنهم استأذنوا الرسول ﷺ في نحر مطاياهم ليأكلوا^(٦).
ودل على هذه الضائقة الاقتصادية الآية الكريمة ﴿لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾^(٧).
تاريخ الغزوة:

خرج الرسول ﷺ لهذه الغزوة في رجب من العام التاسع الهجري^(٨)،
بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر^(٩).
سبب الغزوة:

ذكر الواقدي^(١٠) وابن سعد^(١١) أن هرقل جمع جموعا من الروم وقبائل
العرب الموالية لها، فعلم بهم الرسول ﷺ فخرج إليهم. وذكر اليعقوبي^(١٢)
أن سببها أخذ الثأر للجعفر بن أبي طالب.

وروى ابن عساکر^(١٣) في سبب الخروج إلى تبوك أن اليهود أتوا الرسول ﷺ
وقالوا له إن كنت صادقاً بأنك نبي فالحق بالشام فإنها أرض المحشر
والأنبياء، تغرياً بالمسلمين ليخرجوهم من المدينة ويعرضوهم لخطر المواجهة
مع الروم، وعندما وصل تبوكا نزلت عليه آيات من سورة بني إسرائيل منها
﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾^(١٤)، تفضح موقف
اليهود، وأمره الله بالرجوع إلى المدينة حيث الممات والمحشر.

(٦) مسلم (٥٦/١) ح (٢٠٧).

(٧) التوبة: ١١٧.

(٨) وانظر تفسيرها عند الطبري: التفسير (٥٤٠/١٤ - ٥٤٢) والآثار الواردة في ذلك.

(٩) ابن إسحاق، معلقاً - ابن هشام (٢١٥/٤)، ابن سعد (١٦٥/٢) معلقاً.

(١٠) قال ابن حجر في الفتح (٢٣٧/١٦): «فإن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل
حجة الوداع بلا خلاف، وعند ابن عائد من حديث ابن عباس أنها كانت بعد الطائف بسنة
أشهر وليس مخالفاً لقول من قال في رجب إذا حدثنا الكسور، لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه
من الطائف في ذي الحجة».

(١١) المغازي (٩٨٩/٣ - ٩٩٠) عن مجموعة من شيوخه.

(١٢) الطبقات (١٦٥/٢)، من رواية الواقدي.

(١٣) التاريخ (٦٧/٢).

(١٤) تاريخ دمشق (١٦٧/١ - ١٦٨) بإسناد مرسل ضعيف لأن فيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي،
وهو ضعيف، وقال ابن كثير: التفسير (٩٨/٥): «وفي هذا الإسناد نظر. والأظهر أن هذا ليس
بصحيح». ويرده أن الآية مكية وسكن المدينة بعد ذلك كما قال ابن كثير في التفسير (٩٧/٥).

(١٥) الإسراء: ٧٦.

وقال ابن كثير^(١٦) فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقرينهم إلى الإسلام وأهله، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١٧).

والذي قاله ابن كثير هو الأقرب إلى الصواب. إضافة إلى أن الأمر الذي استقر عليه حكم الجهاد هو قتال المشركين كافة بما فيهم أهل الكتاب الذين وقفوا في طريق الدعوة وظهر تحرشهم بالمسلمين كما روى أهل السير.

الإنفاق في هذه الغزوة:

حث الرسول ﷺ الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة لبعدها وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله. فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان بن عفان أكثر المنفقين. ووردت في ذلك عدة أحاديث وآثار، منها:

روى البخاري^(١٨): وقال النبي ﷺ: «... من جهز جيش العسرة فله الجنة»، فجهزه عثمان. وروى من حديث أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان (رضي الله عنه) قال لمحاصريه أيام الدار: «ألستم تعلمون أنه قال: من جهز العسرة فله الجنة؟ فجهزته»، فصدقوه بما قال^(١٩)، وروى من هذا الطريق وبنحوه الترمذي^(٢٠)، ولفظه: «أذكركم بالله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: من ينفق نفقة متقبلة؟ والناس مجاهدون معسرون، فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم...». ومن طريق آخر من حديث ثُمَامَة بن حزن: «... أنشدكم الله وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم»^(٢١).

(١٦) البداية والنهاية (٣/٥) والتفسير (٩٨/٥)، وانظر بقية أقواله في هذا المعنى في هذين المكانين.

(١٧) التوبة: ١٢٣.

(١٨) الفتح (١٤/١٩٤ - ١٩٥/ك). الفضائل/ب. مناقب عثمان/ ترجمة الباب - معلقا.

(١٩) البخاري/ الفتح (١١/٢٥٠ - ٢٥١/تح ٢٧٧٨).

(٢٠) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/٢٠٨/ك). المناقب/ح ٢٩١٩، ٣٩٦٥.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

وبلغت هذه المشاركة من عثان ألف دينار. وعندما نثرها في حجر النبي ﷺ، أخذ بقلبها ويقول مرارا: ماضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» (٢٢).

وقبل إن عثان (رضي الله عنه) قدم أشياء عينية كالإبل وعدتها (٢٣)، وليس هناك ما يمنع ذلك، مادام قد ثبت أن الصحابة قد أقروا له بتجهيز جيش العسرة، كما هو ظاهر الأحاديث والآثار التي ذكرناها.

وروي أن عبدالرحمن بن عوف أنفق ألفي درهم، وهي نصف أمواله، لتجهيز جيش العسرة (٢٤)، وأن عمر تصدق بمائة أوقية (٢٥).

وقدم فقراء المسلمين جهدهم من النفقة على استحياء، ولذلك تعرضوا لسخرية وغمز ولمز المنافقين. فقد جاء أبو عَقِيل بنصف صاع من تمر وجاء آخر بأكثر منه، فلمزوهما قائلين: «ان الله لغني عن صدقة هذا!! وما فعل هذا الآخر إلا رياء»، فنزلت الآية ﴿الذين يلمزون الْمُطَوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ﴾ (٢٦).

(٢٢) أحمد: المستد (٥٣/٥)، صحيح سنن الترمذي (٢٠٩/٣) ح ٢٩٢٠، وحثه الألباني، الحاكم: المستدك (١٠٢/٣) ووضحه ووافقه الذهبي، وفي إسناده كثير بن أبي كثير مولى أبي سمر، وهو مقبول - انظر: التقريب، ص ٤٦٠، ووثقه العجلي وابن حبان، وهما متساهلان - انظر الميزان (٤١٠/٣)، ويبدو أن الألباني حكم على الحديث بالحسن لهذا السبب، ولما له من الشواهد. (٢٣) الترمذي: السنن (٢٨٩/٩ - ٢٩٠/٩) ك. المناقب/ ب. مناقب عثان/ ح ٣٧٠٠، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث السكن بن المغيرة، والحاكم في المستدك (١٠٢/٣) ووضحه ووافقه الذهبي، ولكن فيه فرقد أبو طلحة، وهو مجهول (تهذيب التهذيب (٢٤٤/٨) فلا يسلم لها بهذا التصحيح، ولعل هذا هو السبب في عدم تخريج الألباني له في صحيح سنن الترمذي. وانظر ما روي من أقوال في نفقة عثان (رضي الله عنه) النقدية والعينية عند ابن حجر في الفتح (٢٥٢/١١) وحكمه ومناقشته لها. (٢٤) انظر الروايات في هذا عند الطبري في تفسيره (٣٨٢/١٤ - ٣٩١) شاكر عند تناوله تفسير قوله تعالى ﴿الذين يلمزون الْمُطَوِّعِينَ...﴾ - التوبة: ٧٩. والروايات التي ساقها ضعيفة ولكنها تمتنع لتقوية الخبر تاريخيا.

(٢٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق (٤٠٨/١ - ٤٠٩) بإسناد ضعيف، لأن فيه أحمد بن إبراهيم... ابن أرطاة، وهو صدوق، ومحمد بن عائذ - صدوق، وعثان بن عطاء - ضعيف، ويستبعد أن يحث الرسول ﷺ على النفقة في هذه الغزوة ولا يتفق الصحابة أمثال عمر. فقد ثبت أنه أراد أن يسابق أبي بكر في التصديق عندما أمرهم الرسول ﷺ بها، فجاء بنصف ماله، ثم جاء أبو بكر بكل ماله، فأقسم ألا يسابقه إلى شيء أبدا - رواه الترمذي في السنن (٢٧٧/٩) ك. المناقب/ ب. مناقب أبي بكر/ ح ٣٦٧٦. وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، ورواه غيره. ولم يذكر الحديث أن ذلك كان في غزوة تبوك، وإن كان لا يستبعد أن يكون ذلك كان فيها. (٢٦) البخاري/ الفتح (٢١١/١٧ - ٢١٣/١٧) ح ٤٦٦٨.

وجاء أبو خَيْثَمَةَ الأنصاري بصاع تمر فلمزوه أيضا^(٢٧)، ولعله هو المعني أيضا في حديث الطبري^(٢٨) في إنفاق ابن عوف، وفيه أن رجلا من الأنصار قال: «... وإن عندي صاعين من تمر: صاعا لربي وصاعا لعيالي»، فلمزه المنافقون، وقالوا: «ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء»، وقالوا: «أو لم يكن الله غنيا عن صاع هذا؟» فأنزل الله الآية: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين...﴾.

وواضح من هذا أنهم يتهمون الأغنياء بالرياء ويسخرون من صدقة الفقراء. وروي أن عُلْبَةَ بن زيد بن حارثة عندما لم يجد ما يتصدق به، جاء إلى الرسول ﷺ فقال: «اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به، اللهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك»، فأمر رسول الله ﷺ مناديا فنادى ابن المصدق بعرضه البارحة، فقام علبة، فقال الرسول ﷺ: «قد قبلت صدقتك»^(٢٩).

لقد كان علبة بن زيد واحدا من سبعة رجال من المؤمنين عرفوا بـ «البكاكين»، أتوا رسول الله ﷺ يطلبون منه ما يخرجون عليه معه في هذه الغزوة، فلم يجد ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون.

وأرسل جماعة من الأشعرين أبا موسى الأشعري إلى الرسول ﷺ يطلبون منه ما يركبونه، فكان في لحظة غضب، فلم يحصل لهم منه على شيء، فعاد إليهم حزينا. وبعد قليل أرسل الرسول ﷺ بلالا إلى أبي موسى، فجاءه، فأعطاه ستة أبعرة ابتاعهن من سعد ليركبها مع أصحابه الأشعرين^(٣٠)، وفي رواية أنه أعطاهم خمس دُود عندما أتى بَنَبْ إيل^(٣١).

(٢٧) مسلم (٢١٢١/٤ - ٢١٢٢/٢) ح ٢٧٦٩.

(٢٨) التفسير (٣٨٦/١٤) ح ١٧٠١٠/شاكراً بإسناد حسن لغيره، لما له من شواهد ومتابعات ذكرها الطبري عند تفسير الآية المذكورة.

(٢٩) انظر ابن حجر: الإصابة (٥٠٠/٢) من حديث مجمع بن حارثة وعمرو بن عوف، وإبي عيس، موصولاً، وقد صححه الألباني في تعليقه على فقه السيرة للقرطبي، ص ٤٣٩، وانظر الدراسة الوافية، عن هذا الخبر عند الدكتور السندي: الذهب المسبوك... الفصل (٢٣).

(٣٠) البخاري/ الفتح (٣٣٨/١٦ - ٣٣٩/٢) ح ٤٤١٥.

(٣١) البخاري/ الفتح (٢٢٣/١٦) ح ٤٣٨٥.

وذكرت بعض الروايات أنه نزل في البكائين والأشعرين قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولَهُ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ (٣٣) (٣٢).

إنها صورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد على عهد الرسول ﷺ، وما كان يحسه صادقو الإيمان من ألم إذا ما حالت ظروفهم المادية بينهم وبين القيام بواجباته، وكان هؤلاء المعوزون وغيرهم ممن عذر الله لمرض أو كبر سن أو غيره يسرون بقلوبهم مع المجاهدين، وهم الذين عناهم الرسول ﷺ عندما قال: «إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم. قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟! قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر» (٣٤).

موقف المنافقين من غزوة تبوك:

عندما أعلن الرسول ﷺ النفي ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة، أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس، قائلين لهم: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُل نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ...﴾ (٣٥) (٣٦).

وقال رسول الله ﷺ ذات يوم - وهو في جهازه لتبوك - للجد بن قيس: «يا جادا! هل لك العام في جلاذ بني الأصفر؟» فقال: «يا رسول الله او تأذن

(٣٢) التوبة: ٩١ - ٩٢.

(٣٣) انظر الطبري: التفسير (١٤/٤١٩ - ٤٢٣/٤٢٣)، وقد أورد عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وأصح الأقوال أنها نزلت في أبي موسى الأشعري وأصحابه إذ أخرج ذلك أحد في مسنده (٤/٣٩٨) بسند صحيح. وذكر ابن جرير أثرًا بإسناد حسن: التفسير (١٤/٤٢٢ ح/١٧٠٨٦) بأنها نزلت في العرباض بن سارية، وقال السدي: الذهب المسبوك، ص ٢٤٠، إنه لا مانع من أن تكون نزلت في جملة من البكائين ومنهم العرباض بن سارية.

(٣٤) البخاري/ الفتح (١٦/٢٥٦ ح/٤٤٣٣).

(٣٥) التوبة: ٨١ - ٨٢.

(٣٦) ابن إسحاق، بإسناد مرسل من حديث أربعة من شيوخه الثقات وغيرهم - ابن هشام (٤/٢١٧). وقد روى هذا المتن من طرق أخرى صحيحة، كما قال الدكتور السدي: الذهب المسبوك، ص ١٥٥. وانظر في ذلك: السيوطي: الدر المنثور (٣/٣٦٥)، والقرطبي: التفسير (٨/٢١٦)، والشوكاني: فتح القدير (٢/٣٧١)، والطبري: التفسير (١٤/٣٩٩ - ٤٠٠).

لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه مامن رجل بأشد عجباً بالنساء مني وإني أحشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر»، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: «قد أذنت لك»، ففيه نزلت الآية: ﴿وممنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ (٣٧/٣٨).

وذهب بعضهم إلى النبي ﷺ مبدلين أعذاراً كاذبة ليأذن لهم بالتخلف، فأذن لهم، فعاتبه الله بقوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (٣٩/٤٠).

وبلغ رسول الله ﷺ أن ناساً منهم يجتمعون في بيت سُويلم اليهودي يشبطون الناس عن رسول الله ﷺ، فأرسل إليهم من أحرق عليهم بيت سويلم (٤١).

ووصلت بهم الجرأة على الله ورسوله أن ينوا مسجداً قبيل غزوة تبوك ليجتمعوا فيه ويديروا حلقات تأمرهم على المسلمين، ويأملوا في محيئ أبي عامر الفاسق من عند الروم بجيش يغزو المدينة. وزعموا أنهم بنوه للمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلّة ومن عجز عن المسير إلى مسجد

(٣٧) التوبة: ٤٩.

(٣٨) رواه ابن إسحاق، معلقاً - ابن هشام (٢١٦/٤ - ٢١٧) والطبري: التفسير (٢٨٧/١٤ - ٢٨٨)، مرة من طريق ابن إسحاق وقد عنّته بإسناد منقطع وموقوف على أئمة شيوخه: الزهري وابن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم، ومرة من طريق غيره بأسانيد. إنّما من مرسل قتادة، وسنده ضعيف، أو من مرسل مجاهد، وسنده ضعيف، أو من حديث ابن عباس وسنده ضعيف ورواه أبو نعيم وابن مردويه فيها عزاء إليهما ابن حجر في الإصابة (٢٢٨/١) وضعف إسنادهما، والطبراني في الكبير (٣٠٨/٢) والأوسط، وفيه يحسّ بن الحنّاء وهو ضعيف كما في جمع الزوائد للهيتمي (٣٠/٧) وحديث الطبراني إذا عضده حديث الطبري عن ابن عباس، وورود هذه الآثار عن التابعين، يشعر بأنّ للحديث أصلاً، ولعلّ هذا الذي جعل الطبري يقول بأنّ الأخبار نظّاهرت عن أهل التأويل بنزولها في الجد بن قيس، ويقول: فكفى بالجد بن قيس وأشكاله من المنافقين يصلّي النار خزياً. ولا يسلم له الأستاذ عذاب الحمش في كتابه: ثعلبة بن حاطب الصحابي المقرئ عليه، ص ١٠١ - ١٠٢. بهذه النتيجة، وقال إنّ الجزم بتناق الجد ابن قيس نسرع برأياً بنفسه عنه لأنّ الكباثر لا تجعل صاحبها منافقاً، إلا إذا عني به النفاق العملي، علماً بأنّ ابن عبدالبر ذكر بصفية التمرريض أنّ الجد بن قيس ناب فحسنت توبته - الاستيعاب (٢٥١/١). قلت: ونهمة كهذه لا بد لها من إسناد ينجح به.

(٣٩) التوبة: ٤٣.

(٤٠) الطبري: التفسير (٢٧٣/١٤) شاكر) من مرسل مجاهد بإسناد صحيح إليه.

(٤١) رواه ابن هشام بإسناد منقطع (٢١٧/٤ - ٢١٨). فهو ضعيف.

الرسول ﷺ للصلاة فيه، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه خداعا للناس، ولكن الله فضح حقيقة نواياهم عندما أنزل في هذا الآيات: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون. لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه. فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ (٤٢)(٤٣). فامتنع الرسول ﷺ عن الصلاة فيه، ثم أحرقه عندما عاد من تبوك، ومنعه الله من الصلاة على أمواتهم بعد أن صلى على عبدالله بن أبي بن سلول عقب عودته من تبوك، وذلك في قوله ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾ (٤٤)(٤٥).

وقد تخلف منهم جماعة كما ثبت في حديث كعب بن مالك في قوله: «فكنت إذا خرجت في الناس... أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموسا بنفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء...» (٤٦). وخرج بعضهم مع الرسول ﷺ لعلهم يتحنيون الفرص للتخذيل، كما سترى.

لقد استنفر الرسول ﷺ المسلمين للخروج في هذه الغزوة، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أنآقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا إلا قليل﴾ (٤٧)، وكان تناقلهم بسبب مجيء وقت جني التمر وطيب ثمره

(٤٢) التوبة: ١٠٧ - ١٠٨.

(٤٣) من رواية الطبري: التفسير (١٤/٤٧٠ ح/١٧٨٧/شاذر) بإسناد صححه الدكتور السندي: الذهب المسبوك، ص ٣١٦، وقال: «وقد احتج به أهل التفسير، ورجاله ثقات ماعدا المنى وعبدالله ابن صالح»، وانظر الروايات في هذا عند السندي: الذهب المسبوك، ص ٣١٤ - ٣١٩، والطبري: التفسير (١٤/٤٦٨ - ٤٧٥).

(٤٤) التوبة: ٨٤.

(٤٥) البخاري/ الفتح (٦/١٦٨ ح/١٢٦٩)، مسلم (٤/٢١٤١ ح/٢٧٧٤).

(٤٦) من حديث كعب بن مالك المتفق عليه، كما سيأتي ذكره، وقد سبق الإشارة إليه.

(٤٧) التوبة: ٣٨.

واشتهاء الظلال لشدة الحر^(٤٨)، وبعد المسافة ومشقة السفر، كما ذكرت الآية ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسِيحِلْفُونَ بِاللهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^{(٤٩)(٥٠)}.

وتخلف عن الغزوة كثير من الأعراب والمنافقين، وعدد قليل من الصحابة من أهل الأعداء، وثلاثة ممن لم يكن لهم عذر عن الجهاد، وسيأتي ذكرهم.

موقف المؤمنين من الخروج إلى تبوك:

عندما كشف الرسول ﷺ للمسلمين عن وجهته خلافا لما كان يفعل في مثل هذه الغزوات الكبيرة، لتهيأ المسلمون إلى الجهاد^(٥١)، سارع المؤمنون إلى مرافقة الرسول ﷺ ولم ينظروا إلى ما سيلاقونه من مشقة، ولم تفتنهم طيبات الحياة الدنيا بالمدينة، فها هو علي بن أبي طالب لا يرضى أن يخلفه الرسول ﷺ في أهله، فيلحق بالرسول وهو نازل بالجرف ويقول: «يارسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟» فقال له الرسول ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بتمزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»^(٥٢).

وها هو أبو خيثمة الأنصاري وقد سارع إلى حسم الصراع الدائر في نفسه بين البقاء والخروج، ثم يؤثر الخروج رغبة في ما عند الله، وفي ذلك يقول: «تخلفت عن رسول الله ﷺ، فدخلت حائطا لي - بستانا - فرأيت عريشا قد رش بالماء، ورأيت زوجتي فقلت: ماهذا بإنصاف، رسول الله ﷺ في

(٤٨) من مرسل مجاهد كما رواه الطبري في التفسير (١٣٣/١٠)، ورجاله ثقات، ولكن فيه عنمة عبد الله ابن أبي نجيح المكي وهو مدلس. وذكر الواقدي في المغازي (٩٩٠/٣) أن الرسول ﷺ أرسل رسلا إلى القبائل يستنفرها للخروج إلى تبوك، ولا يستبعد ذلك لأن ظاهر الآية يدل على عموم الاستنفاذ لمن كان داخل المدينة أو خارجها، إضافة إلى أن الرسول ﷺ كان قد استنفر القبائل لفتح مكة كما ثبت في الصحيح، وذكرناه في مكانه.

(٤٩) التوبة: ٤٢.

(٥٠) انظر الطبري: التفسير (٢٧٢/١٤ - ١٦٧٦١ - ١٦٧٦١) بإسناد حسن إلى قتادة، لكنه مرسل.

(٥١) من رواية البخاري/ الفتح (٢٤٢/١٦) ح/٤٤١٨.

(٥٢) البخاري/ الفتح (٢٤٠/١٦) ح/٤٤١٦ ومسلم (١٨٧٠/٤ - ١٨٧١/٤) ح/٢٤٠٤ وغيرهما. وذكر الجرف عند ابن إسحاق، بإسناد مرسل - ابن هشام (٢٢١/٤). وهو موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام - معجم البلدان (١٨٧/٢).

السموم والحرور، وأنا في الظل والنعيم، فقامت إلى ناضح لي وتمرات فخرجت، فلما طلعت على العسكر فرآني الناس، قال النبي ﷺ: «كن أبا خيثمة، فجئت فدعا لي» (٥٣).

ويروى أن أباذر عندما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه فحملة على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيا، وعندما نزل رسول الله ﷺ في بعض منازل رأى أحد المسلمين رجلا يمشي وحده فأخبر الرسول ﷺ، فقال: «كن أباذر»، فعندما وصل كان هو أباذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أباذر، يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده» (٥٤).

وعندما أقام أبوذر بالرثدة في عهد عثمان (رضي الله عنه) لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلّامه، فأوصاهما بأن يغسلاه ويكفناه إذا مات، ثم يضعاه على قارعة الطريق ويطلبوا الإعانة على دفنه من أول ركب يمر بهما، ففعلا، ويومها أقبل ابن مسعود في رهط من أهل العراق عُمّارا، وكادت إبلهم أن تطأ الجنازة، وقام إليهم الغلام، فقال: هذا أبوذر، صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه، فبكى ابن مسعود وقال: «صدق رسول الله ﷺ: تمشي وحدك وتموت وحدك، وتبعث وحدك»، ثم نزل هو وأصحابه فدفنوه، ثم

(٥٣) أخرجه الطبراني كما قال ابن حجر في الفتح (٢٤٤/١٦)، ابن إسحاق، مرسلًا - ابن هشام (٢٢٢/٤)، وابن حجر في الفتح (٢٤٤/١٦)، الواقدي (٩٩٨/٣ - ٩٩٩)، والحديث من هذه الطرق ضعيف ولكن يشهد له ورود بعض القصص في صحيح مسلم في أثناء قصة كعب الزهري: مالك بن قيس كما ذكر ابن حجر في الفتح (٢٤٤/١٦). وعند (٢٧٦٩ / ٢١٢٢/٤).

(٥٤) رواه الحاكم في المستدرک (٥٠/٣ - ٥١) وصححه ووافقه الذهبي، ثم قال: «وفيه إرسال»، والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالساق، وفي سننه بريدة بن سفيان، وفيه كلام، انظر: ميزان الاعتدال (٣٠٦/١)، ورواه ابن كثير في البداية (١٠/٥ - ١١) من هذا الطريق وحسنه. وقد ساق خبر إبطاء بعيره به وخبر موته ساقا واحدا. وفي سيرة ابن هشام ذكر ابن إسحاق خبر الإبطاء معلقا وساق خبر الوفاة بمثل إسناد البيهقي وابن كثير. وروى خبر الوفاة أحمد في المسند: الفتح الرباني (٣٧٤/٢٢ - ٣٧٥) - من غير طريق ابن إسحاق، مع اختلاف يسير عن رواية الحاكم. قال الهيثمي في المجمع (٣٣٢/٩) - رواه أحمد من طريقين إحداهما هذه والأخرى مختصرة عن إبراهيم بن الأشتر عن أم ذر، ورجال الطريق الأولى رجال الصحيح. قال محققا سيرة ابن هشام: «ولولا ابن الأشتر لكان سند الثانية حسنا»، وهو ممن لم يوثقه غير ابن حبان - انظر: تمجيد المنفعة، ص ٢٠. ورواه ابن سعد (٢٢٢/٤ - ٢٣٤) بمثل رواية أحمد، وحسنه الدكتور السدي: الذهب المسبوك، ص ٣٠٧، ٣٠٩.

والخلاصة: إن السندي ومحققا سيرة ابن هشام قد حسنا سند خبر الوفاة لطرقه، فانظروهم.

حدثهم حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك^(٥٥).
وهذه معجزة من معجزات الرسول ﷺ الكثيرة في هذه الغزوة وغيرها كما
هو معلوم.

عدد الصحابة في جيش تبوك:

تابنت الروايات في ذلك. ففي رواية معقل عن كعب بن مالك، قال:
«وغزا رسول الله ﷺ بناس كثير يزيدون على عشرة آلاف، ولا يجمعهم ديوان
حافظ^(٥٦)». وفي رواية أخرى عنه: «المسلمون مع رسول الله كثير، ولا
يجمعهم كتاب حافظ - يريد بذلك الديوان^(٥٧)». وقال ابن حجر^(٥٨):
«وللحاكم في الإكليل من حديث معاذ: خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك
زيادة على ثلاثين ألفاً، وهذا العدد جزم ابن إسحاق». وروى الواقدي^(٥٩)
عن زيد بن ثابت أنهم كانوا ثلاثين ألفاً، وفي رواية أخرى له: «وكان الناس
مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً ومن الخيل عشرة آلاف فرس^(٦٠)». وقد نقل
عن أبي زُرعة الرازي أنهم كانوا أربعين ألفاً^(٦١)، وقال ابن حجر^(٦٢) في تعليقه
على بعض هذه الروايات: «فتحمل رواية معقل عن كعب على إرادة عدد
الفرسان». وقال أبوزرعة الرازي: «وكانوا سبعين ألفاً». وجمع بعض الأئمة
بين قوله وقول ابن إسحاق بأن أبازرعة عد التابع والمتبوع، وابن إسحاق
عد المتبوع فقط^(٦٣).

والمشهور والراجح أن جيش تبوك كان ثلاثين ألفاً، وهو ما اتفق عليه

(٥٥) انظر الحاشية نفسها.

(٥٦) مسلم (٤/٢١٢٩ ح/٢٧٦٩).

(٥٧) مسلم (٤/٢١٢١ ح/٢٧٦٩).

(٥٨) الفتح (٢٤٢/١٦) ولا توجد رواية ابن إسحاق في المطبوع المتداول والمحفوظ - انظر في هذا
السندي: الذهب المسبوك، ص ١٧٨.

(٥٩) المغازي (٣/٩٩٦) بإسناد موصول.

(٦٠) المغازي (٣/١٠٠٢) بإسناد له عن شيخه، ابن سعد (٢/١٦٦) من رواية شيخه الواقدي.

(٦١) قاله ابن حجر في الفتح (١٦/٢٤٢).

(٦٢) الفتح (١٦/٢٤٢).

(٦٣) انظر: تاريخ ابن أبي خيثمة - الجزء الخمسون - ص ١٢٣.

أئمة المغازي والسير: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، وليس هناك تعارض مع ما جاء في الصحيح، والله أعلم.

المتخلفون عن غزوة تبوك:

لقد تخلف عن غزوة تبوك، من غير ذوي الأعذار والمنافقين، ثلاثة من خيار الصحابة، وهم: كعب بن مالك ومُرارة بن الربيع العُمري، وهلال ابن أُميَّة الواقفي، فقد غلبهم التسويف والميل إلى الراحة. وروى كعب (رضي الله عنه) قصته في هذا التخلف، في حديث طويل، رواه البخاري^(٦٤) ومسلم^(٦٥) وغيرهما، وجاء فيه:

«كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة... وطفقت أغدو لكي أتجهز مع المسلمين، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتهدى بي حتى اشتد بالناس الجد ولم أقض من جهازي شيئاً. ولم يزل بي حتى أسرعوا وتصارط الغزو - أي فاتوا - وهممت أن أرتحل فأدركهم. فإليني فعلت. فلم يقدر لي ذلك. فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموساً بنفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء... ولما بلغني أنه توجه قافلاً حتى حضرنى همي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول بماذا سأخرج من سخطه غدا؟!... واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، ولما قيل إن رسول الله ﷺ قد أقبل، زاح عني الباطل وأجمعت أن أصدقه، فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب

(٦٤) البخاري/ الفتح (٢٤١/١٦) - ٢٥٢/ح (٤٤١٨).

(٦٥) مسلم (٢١٢٠/٤) - ٢١٢٨/ح (٢٧٦٩).

ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق
تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله. والله ما كان لي من عذر، والله ما
كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك! فقال رسول الله ﷺ: أما هذا
فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. فقممت، وثار رجال من بني سلمة
فاتبعوني يؤنبوني (أي يعتبرون عليه أنه لم يعتذر كالآخرين) فقلت لهم: هل
لقي هذا معي أحد؟ فقالوا: نعم، رجلا نالنا مثل ما قلت، فقيل لها
مثل ما قيل لك، فقلت من هما؟ فقالوا: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية.
فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدر^(٦٦) لي فيهما أسوة... ونهى رسول
الله ﷺ المسلمين عن كلامنا - أي الثلاثة - فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى
تكرت لي الأرض، فما هي بالتي أعرفها. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما
صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتها يبيكان، وأما أنا فكنت أشب القوم
وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف مع المسلمين
وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله فأسلم عليه وهو في
مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟
ثم أصلي قريبا منه أسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا
التفت نحوه أعرض عني. وبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نَبْطِي من أنباط
أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلي علي كعب بن
مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك
عَسَّان، فإذا فيه: «أما بعد فإنه قد بَلَغَنِي أن صاحبك قد جفاك، ولم يَجْعَلْكَ
الله في دار هوان ولا مَضِيعَةٍ، فالحق بنا نواسك»، فقلت لما قرأتها: وهذا
أيضا من البلاء، فتيممت بها التَّنَوُّر فسجرتة بها. حتى إذا مضت أربعون
ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ
يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل

(٦٦) قال ابن القيم في زاد المعاد (٥٧٧/٣): «هذا الموضع مما هد من أوام الزهري راوي هذا الخبر، فإنه لا يحفظ عن أحد من أهل المغازي والسير البتة ذكر هذين الرجلين في أهل بدر...» قلت: ذكر ابن حجر في الإصابة (٦٠٧/٤) أن هلال بن أمية شهد بدر، وأن مرارة بن الربيع كذلك شهدا على الصحيح: الإصابة (٣٩٦/٤) وابن حجر ليس من أهل المغازي والسير.

اعتزلها ولا تقرها، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقني بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.. فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لي خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا. فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا. فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله «قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. فخررت ساجدا، وعرفت أنه قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون... ولما جاءني الذي سمعت صوته يبشري، نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرها يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فتلقاني الناس فوجا فوجا يهتفون بالتوبة. فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله. فقلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله. قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. فقلت: يا رسول الله، إنما نجاني الصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا مابقيت. وأنزل الله تعالى على رسوله «لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار» إلى قوله «وكونوا مع الصادقين»... وكنا نخلفنا نحن الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله تعالى «وعلى الثلاثة الذين خلفوا» وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه».

وجاء في حديث كعب هذا أن الذين تخلفوا عن هذه الغزوة كانوا بضعة وثلاثين رجلا، اعتذروا للرسول ﷺ عن تخلفهم فقبل منهم ثلاثينهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، ويتطابق هذا العدد مع ما ذكره

الواقدي^(٦٧)، وقد زاد الواقدي، بأن المعذرين من الأعراب كانوا أيضا اثنين وثمانين رجلا من بني غفار وغيرهم، وأن عبدالله بن أبي بن سلول ومن تابعه من قومه كانوا من غير هؤلاء، وكانوا عدداً كثيراً، وروى هو وابن سعد^(٦٨) وابن إسحاق^(٦٩) أن ابن أبي خرج حتى وصل جبل ذباب بالمدينة ومعه حلفاؤه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكر ابن أبي بأقل العسكرين، فلما سار الرسول ﷺ تحلف عنه فيمن تحلف من المنافقين، وكل هذا لم يثبت بطرق صحيحة.

وكان من يتخلف يظن أن لا أحد يتفقد له لكثرة أفراد الجيش، ولكن الرسول ﷺ تفقد وهو في طريقه إلى تبوك بعض من تحلف، فقد سأل أبا رهم كلثوم بن حصين الغفاري عمن تحلف من بني غفار وأسلم^(٧٠)، وعندما وصل تبوك سأل عن كعب بن مالك^(٧١).

المسلمون في تبوك:

قيل إن الرسول ﷺ خطب الناس خطبة طويلة في تبوك، قال فيها: «أيها الناس، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدي الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع،

(٦٧) المغازي (٩٩٥/٣). والواقدي متروك في الحديث مع سعه علمه، فأسانيد ضعيفة.
(٦٨) الطبقات (١٦٥/٢). من رواية شيخه الواقدي. والواقدي متروك، فأسانيد ضعيفة.
(٦٩) ابن هشام (٢١٩/٤) بإسناد مرسل، وساق هو والواقدي وابن سعد هذه الجزئية بصفة الترميض، مما يدل على عدم قبولها. ولهم أن يشكروا في هذا خاصة ذكر اليهود وهذا العدد الذي لا يمتشى مع منطلق الأحداث التي وقعت بين المسلمين واليهود. ويستبعد أن يكون لهم وجود يذكر ذلك من أن تكون لهم مثل هذه الشوكة والعداء والتخذيل السافر، إضافة إلى أن الخبر لم يأت بطرق صحيحة.

(٧٠) من رواية ابن إسحاق، موصولا من حديث الزهري، ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وفيه ابن أخي أبي رهم الذي لم يعرفه الهيثمي كما في المجمع (١٩٢/٦) - انظر: ابن هشام (٢٣٤/٤) - (٢٣٦)، ووردت من طريق معمر عن الزهري كما في موارد الظبان، ص ٤١٨، فبذلك تقوى الرواية إلى الحسن لغرضه كما قال السندي: الذهب المسبوك، ص ٢٤٥.
(٧١) البخاري/ الفتح (٢٤٤/١٦) ح (٤٤١٨).

وشر العمى عمى القلب...» (٧٢).

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد الى أكيدر دومة الجندل فأخذه،
فأتوا به إلني ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية (٧٣).

وعندما أخذه كان يصيد البقر خارج حصنه، وهي الهبة التي ذكرها
الرسول ﷺ لخالد - أنهم سيجدون عليها (٧٤). وقد تعجب المسلمون من قباء
كان يلبسه أكيدر، واستلبه منه خالد وأرسله إلى النبي ﷺ، فقال لهم
النبي ﷺ: أتعجبون من هذا؟ فالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في
الجنة أحسن من هذا (٧٥).

وفي الصحيح أن أكيدر أهدى رسول الله ﷺ حلة من حرير (٧٦)، فعجب
الناس منها، فقال: «والذي نفس محمد بيده...» الحديث بمثل ما عند
ابن إسحاق. والراجع أن حصول الرسول ﷺ على الحلة كان عن طريق
الاهداء كما في الصحيح وليس عن طريق الاستلاب كما ذكر ابن إسحاق.
ويؤيد ذلك ما رواه أبو يعلى بإسناد قوي أنه لما قدم أكيدر أخرج قباء من
ديباج منسوجا بالذهب فردده النبي ﷺ عليه، ثم إنه وجد في نفسه من رد

(٧٢) انظرها في أحد: المسند (٣٧/٣). أبو عبيد: الأموال، ص ٢٥٥ - ٢٥٦، ابن كثير: البداية
والنهاية (١٥/٥ - ١٦)، وفي إسناده أحد وأبي عبيد: أبو الخطاب المصري - مجهول، وفي إسناده
ابن كثير: عبدالعزيز بن عمران - متروك.

(٧٣) من رواية أبي إسحاق بن عاصم عن أنس كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٤١٣/١) في ترجمة
خالد بن الوليد. والحديث يتقوى بالشواهد. وقد ثبت له شاهد من حديث ابن إسحاق الذي
ذكرناه بعد هذا مباشرة. ورواه ابن إسحاق بنفس سند أبي إسحاق، وقد صرح بالساع، فيكون
حسناً. انظر: ابن هشام (٢٣٢/٤). وهو شاهد على حديث أبي إسحاق.

(٧٤) من رواية ابن إسحاق، مرة معلقاً ومطولاً - ابن هشام (٣٣١/٤) وبرة موصلاً ومختصراً بإسناد
حسن - ابن هشام (٢٣٢/٤).

(٧٥) روى ابن إسحاق قصة أسره بإسناد معلق، وروى قصة القدوم بقباء أكيدر وتعجب المسلمين
منه، وحديث الرسول ﷺ في ذلك، رواه بإسناد حسن - ابن هشام (٢٣١/٤ - ٢٣٢)، ورواه
ابن طيبة عن أبي الأسود عن عروة مرسلاً وليس فيه حديث مناديل سعد وفيه اختلاف يسير،
والترمذي: السنن (٤٥/٦) ك. اللباس/ ب. ما جاء في الرخصة في لبس الحرير/ (١٧٢٣) من
غير طريق ابن إسحاق، وقال: «هذا حديث صحيح»، ورواه بمثله التلناني في سنته
(١٩٩/٨) ك. الزينة/ ب. لبس الديباج المنسوج، وفي لفظه: «وأنه بعث إلى النبي ﷺ جبة
من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها... الحديث» هكذا مبني على المجهول، ولم يذكر أنها
جبة أكيدر، والرواية تخالف الصحيح من الأحاديث في حرمة لبس الذهب والحرير. أما حديث
الرسول ﷺ عن مناديل سعد فقد رواه الشيخان كما في الخواشي الآتية.

(٧٦) البخاري/ الفتح (١٤/٢٧٥) ح/ (٣٨٠٢)، ومسلم (١٩٦/٤ - ١٩٧/٤) ح/ (٢٤٦٨ - ٢٤٦٩).

هديته فرجع به، فقال له النبي ﷺ: «ادفعه إلى عمر» الحديث^(٧٧). وفي رواية عند البخاري أن الرسول ﷺ لم يعطها عمر ليلبسها، ولذا كساها عمر لأخ له كان بمكة مشركا^(٧٨). وفي رواية عن علي أنه أهدي إلى النبي ﷺ حلة سيرة فلبسها فرأى الغضب في وجه النبي ﷺ فشققها بين نسائه^(٧٩).

ويفهم من مجموع هذه الأحاديث أن الحلة التي أهديت إلى الرسول ﷺ ليست واحدة^(٨٠)، وأن الرسول ﷺ والصحابة لم يكونوا يلبسون الحرير، لأن ذلك محرم بالأحاديث الصحيحة كما هو معروف.

وقيل إن الرسول ﷺ أرسل خالدا إلى أكيدر في أربعائة وعشرين فارسا، وأن غنائمه كانت ثمانائة من السبي وألف بغير وأربعائة درع وأربعائة رمح^(٨١).

روى البخاري^(٨٢) أن الرسول ﷺ عندما كان بتبوك جاءته هدية ملك أيلة، وهي بغلة بيضاء، وكساه بردا^(٨٣)، وصالحه على الجزية.

وأتاه أهل جرباء وأذرح، فأعطوه الجزية، فكتب لهم كتابا، فهو عندهم^(٨٤). وفي ذات يوم من أيام تبوك تحلف رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر لحاجة، وعندما انتهى إلى مكان المسلمين كانوا، قد قدموا عبدالرحمن بن عوف إماما لهم وشرعوا في الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ خلف ابن عوف ثم أكمل صلاته^(٨٥).

(٧٧) قاله ابن حجر في الفتح (٤٣/١١) شرح الحديث (٢٦١٥)، ورواه الذهبي في مغازيه، ص ٦٤٦.
(٧٨) البخاري/ الفتح (٤٠/١١) ح/ (٢٦١٢) و (٤٥/١١) ح/ (٢٦١٩) واسم هذا الأخ عثمان بن حكيم، انظر ابن حجر: الفتح (٤٥/١١).

(٧٩) البخاري/ الفتح (٤١/١١) ح/ (٢٦١٤).
(٨٠) انظر في ذلك بالذات: البخاري/ الفتح (٤٠/١١) ح/ (٢٦١٢).
(٨١) من رواية ابن هبة عن أبي الأسود عن عروة، وهو مرسل وفي إسناده ابن هبة - صدوق. انظر ابن كثير: البداية (٢٠/٥).

(٨٢) البخاري/ الفتح (٢٥٤/١٢) ح/ (٣١٦١)، واسم ملك أيلة بجنة بن روبة كما ذكر أهل السير - انظر: ابن إسحاق - ابن هشام (٢٣٠/٤ - ٢٣١)، الواقدي (١٠٣١/٣).
(٨٣) قال ابن حجر في الفتح (٢٥٤/١٢) شرح الحديث (٣١٦١) إن فاعل كسا هو النبي ﷺ.

(٨٤) ابن اسحاق - معلقا - ابن هشام (٢٣٠/٣).
(٨٥) مسلم (٢٣٠/١ - ٢٣١) ح/ (٢٧٤) ولم يذكر أن ذلك كان في تبوك، وذكر غيره أنه في تبوك، انظر - مثلا: مالك الموطأ (١٥٧/١ - ١٥٨) وأحمد: المسند (٢٩٣/٣) و (٢٤٤/٤) و (٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥١)، أبوداود: السنن (١٠٣/١ - ١٠٤) ك. الطهارة ب. المسح على الخفين/ ح (١٤٩). ابن سعد (١٢٨/٣ - ١٢٩) بإسناد رجاله ثقات ولكن في تحديد زمان ومكان الواقعة سأل ابن سعد شيخه الواقدي فأفاده أنها في تبوك.

ويروى أن الرسول ﷺ أرسل دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل، وهو بتبوك، وأن هرقل أرسل التَّوْخِي ليتعرف له على بعض علامات نبوة محمد ﷺ^(٨٦). ولو ثبت هذا فيكون إرسال دحية للمرة الثانية: الرجوع إلى المدينة:

لم يلق الرسول ﷺ حرباً من الأعداء، فرجع إلى المدينة منتصراً، بعد أن أقام بتبوك عشرين ليلة^(٨٧). وفي الطريق أتوا على الحجر من ديار ثمود، الذين غضب الله عليهم لعصيانهم أمره بعدم ذبح ناقة نبي الله صالح^(٨٨)، وعندما سارع الناس إلى دخول مساكن أهل الحجر، نهاهم الرسول ﷺ^(٨٩)، وقال لهم: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين»، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي^(٩٠)، وعندما نزلوا الحجر استقوا من آبارها وعجنوا من مائها العجين، فهاهم عن ذلك، وأمرهم بطرح ذلك العجين للإبل ويهرقوا ذلك الماء، وأن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة^(٩١).

وعندما اشتكى المسلمون إلى النبي ﷺ ما أصاب إبلهم من الإجهاد، دعا الله أن ينشطها، فنشطت بهم حتى بلغوا المدينة^(٩٢).

وحاول جماعة من المنافقين المثلثين أن يطرحوا الرسول ﷺ عن راحلته من رأس عَقَبَة بالطريق، في عتمة من الليل، فشعر بمؤامرتهم، فأمر بإبعادهم عنه^(٩٣). فلما دنا رسول الله ﷺ من المدينة، خرج الصبيان إلى

(٨٦) أحمد: المسند (٢٠٣/١)، (٤٤٢/٣)، (٧٤/٤)، (٢٩٢/٥)، قال ابن كثير في البداية (١٩/٥) عن هذا الحديث: «هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به، تفرد به الإمام أحمد» وقال السندي: الذهب السبوك، ص ٣٢٨: «إسناده جيد، وفيه سعد بن أبي راشد - مقبول، وعبدالله بن خثيم - صدوق، ويحيى بن سليم - صدوق، وإسحاق بن عيسى - صدوق».

(٨٧) موارد الطهارة، ص ٩٤٥، بإسناد صحيح.

(٨٨) البخاري/ الفتح (١١٧/١٣) - ١١٨/١١٨، ومسلم (٣٣٧٧) - ٢٢٨٥/٤ - ٢٢٨٦/٤ ح ٢٩٨٠.

(٨٩) أحمد: المسند (٢٣١/٤) وأورده ابن كثير البداية (١٣/٥)، وقال: «إسناده حسن ولم يخرجوه».

(٩٠) البخاري/ الفتح (١١٩/١٣) ح ٣٣٧٨، مسلم (٢٢٨٦/٤) ح ٢٩٨١.

(٩١) البخاري/ الفتح (١١٩/١٣) ح ٣٣٧٨ - ٣٣٧٩، مسلم (٤٠/٤) ح ٢٩٨١.

(٩٢) أحمد: المسند (٢٠/٦) بإسناد حسن، وموارد الطهارة، ص ٤١٨.

(٩٣) أحمد: المسند (٣٩٠/٥) - ٣٩١، وإسناد حسن، ويشهد للقصة بالصحة ما رواه مسلم (٢١٤٤/٤) ح ٢٧٧٧٩ من حديث حذيفة عنهم، وروى من طريقين آخرين ضعيفين - انظر البيهقي: دلائل النبوة (٢٥٦/٥ - ٢٥٩).

ثنية الوداع لتلقيه^(٩٤)، ومعهم النساء والولائد يقلن:

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع^(٩٥)

وكان أول ما فعله الرسول ﷺ عند دخوله المدينة أن صلى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس فجاءه المنافقون المتخلفون عن الغزوة فاعتذروا بشتى الأعذار، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم لله^(٩٦)، وجاءه الثلاثة المخلفون، وكان من خبرهم ما سبق ذكره.

وقفة مع بعض الآيات التي نزلت بمناسبة غزوة تبوك:

نزول القرآن حول أحداث موقعة تبوك:

نزلت آيات كثيرة من سورة براءة - التوبة - حول موضوع هذه الغزوة، نزل بعضها قبل الخروج، وبعضها بعد الخروج وهو مسافر، وبعض آخر منها بعد الرجوع إلى المدينة. وقد اشتملت على ذكر ظروف الغزوة، وفضح المنافقين، وفضل المجاهدين المخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين، الخارجين منهم في الغزوة والمتخلفين.

١ - قال تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، عسى الله أن يتوب عليهم، إن الله غفور رحيم﴾^(٩٧)

قال الطبري^(٩٨): «وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية، والسبب الذي من أجله أنزلت فيه. فقال بعضهم: نزلت في عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، منهم أبولبابة،

(٩٤) البخاري/ الفتح (١٦/٢٥٩ ح/ ٤٤٢٦ - ٤٤٢٧).

(٩٥) قاله ابن حجر في شرح الحديثين المذكورين (٤٤٢٦ - ٤٤٢٧): «وقد روينا بسند منقطع في الحلييات قول النسوة لما قدم النبي ﷺ المدينة: طلع البدر علينا... فقبل كان ذلك عند قدومه من الهجرة وقبل عند قدومه من غزوة تبوك». وانظر الكلام على هذه المسألة في مكانها من حديث الهجرة.

(٩٦) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٤٤ - ٢٤٥ ح/ ٤٤١٨)، مسلم (٤/ ٢١٢٣ ح/ ٢٧٦٩).

(٩٧) التوبة: ١٠٢.

(٩٨) التفسير (١٤/ ٤٥٣ - ٤٥٣ / شاك).

فربط سبعة منهم أنفسهم إلى سواري المسجد عند مقدم النبي ﷺ من تبوك، توبة منهم من ذنبهم... وقال آخرون: الذين ربطوا أنفسهم كانوا ثمانية... وقال آخرون: كانوا سبعة... وقال آخرون: بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك. وقال بعضهم: عني بهذه الآية الأعراب... وذكر الطبري المرويات فيمن قال بكل قول من الأقوال المذكورة... وكلها روايات لا تقوم بها الحجة حسب دراسة الدكتور السندي^(٩٩) لها، ولذا قال الطبري^(١٠٠): «وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك، قول من قال: نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله ﷺ، وتركهم الجهاد معه، والخروج لغزو الروم، حين شخص إلى تبوك، وأن الذين نزل فيهم ذلك جماعة، أحدهم أبولبابة... فقد تبين أن هذه الصفة لم تكن إلا لجماعة فعلت ذلك، فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك... منهم أبولبابة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك».

٢ - قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، قُلْ أَبَا اللَّهِ وآيَاتُهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١٠١).

لقد روى الطبري^(١٠٢) عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، منها أثر صحيح عن ابن عمر مضمونه أن رجلاً قال في مجلس في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لا خبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك النبي ﷺ، ونزل القرآن، قال ابن عمر: فأننا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول:

(٩٩) الذهب المسبوك، ص ١١٢ - ١٢٣.

(١٠٠) التفسير (٤٥٣/١٤) شاكر.

(١٠١) التوبة: ٦٥.

(١٠٢) التفسير (٣٣٣/١٤) أثر رقم ١٦٩١٢ بإسناد صحيح.

يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم». واستدل بعضهم بهذه الآية على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء ولا خلاف بين الأئمة في ذلك^(١٠٣).

ويقول الله تعالى تعقبا على ما صدر من هذا الرجل ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾، إن نعت عن طائفة منكم نعتب طائفة بأنهم كانوا مجرمين^(١٠٤).

إن أصبح ما روي في تفسير هذه الآية أن الذي عُفِيَ عنه هو محشي ابن حمير الأشجعي، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع^(١٠٥).

معجزات وقعت للرسول ﷺ في أحداث تبوك:

(١) شكا الصحابة (رضي الله عنهم) إلى النبي ﷺ ما بواحلهم من جهد، فأمر أن يمرؤا بها عليه عند مكان ضيق، فأخذ ينفخها ويقول: «اللهم احمل عليها في سبيلك إنك تحمل على القوي والضعيف وعلى الرطب واليابس في البر والبحر»، فما بلغوا المدينة حتى جعلت تنازعهم أزمتهما، فقال الراوي - فضالة بن عبيد الأنصاري: «هذه دعوة النبي ﷺ على القوي والضعيف، فما بال الرطب واليابس، فلما قدمنا الشام غزونا غزوة قبرص في البحر، فلما رأينا السفن في البحر وما يدخل فيها عرفت دعوة النبي ﷺ»^(١٠٦).

(٢) روى الواقدي عدة آثار عن معجزات وقعت للرسول ﷺ ضمن أحداث غزوة تبوك، ولكن كلها ضعيفة، مثل الحية التي اعترضت سبيل

(١٠٣) انظر - مثلا ابن الجوزي: زاد المسير (٣/٤٦٤ - ٤٦٥).

(١٠٤) التوبة: ٦٦.

(١٠٥) من رواية ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن كعب بن مالك بإسناد حسن كما جاء

عند السيوطي: الدر المنثور (٣/٢٥٤)، وعن بقية التفسيرات انظر السيوطي: الدر المنثور، والطبري:

التفسير (١٤/٣٣٦ - ٣٣٧)، وابن كثير: التفسير (٤/١١٢).

(١٠٦) أحد المسند (٦/٢٠) بإسناد حسن.

المسلمين في غزوة تبوك^(١٠٧)، ومعجزة نبع الماء من أصابعه^(١٠٨)، ومعجزة
تكثير الطعام^(١٠٩).

٣- وكذلك روى السيوطي آثاراً عن معجزات وقعت للرسول ﷺ وكلها
ضعيفة، مثل نزول المطر بدعاء الرسول ﷺ في غزوة تبوك^(١١٠)، ولقاء
إلياس (عليه السلام) بالرسول ﷺ في هذه الغزوة^(١١١).

وكل هذه المعجزات التي وردت عند الواقدي والسيوطي بأسانيد ضعيفة
وقع مثلها بأسانيد صحيحة جاء ذكرها في ثنايا هذا الكتاب، اللهم إلا قصة
إلياس (عليه السلام)، فهي لم ترد من قبل بإسناد صحيح أو سقيم.

الأحكام والفوائد والدروس المستنبطة من أحداث غزوة تبوك:

١- إن في صلاة النبي ﷺ خلف عبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنه)
تكريماً لأحد أصحابه، ودليلاً على جواز إمامه المفضول وصلاة الأفضل
خلفه.

٢- سأل معاذ بن جبل (رضي الله عنه) الرسول ﷺ عن عمل يدخله
الجنة، وهم في طريق العودة من تبوك، فأجابه الرسول ﷺ بأن رأس
هذا الأمر الشهادة وقوامه الصلاة والزكاة وذروة سنامه الجهاد^(١١٢).

٣- كان الرسول ﷺ يجمع بين صلاتي الظهر والعصر، وبين صلاتي المغرب
والعشاء^(١١٣).

٤- سئل النبي ﷺ عن ستره المصلي، فأجاب بأنها مثل مؤخرة الرحل^(١١٤).

٥- أقام ﷺ بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة^(١١٥). وهذا استدلال العلماء

(١٠٧) المغازي (١٠٠٨/٣ - ١٠١٥) بإسناد موضوع.

(١٠٨) المصدر نفسه (١٠٤٠/٣ - ١٠٤٢).

(١٠٩) المصدر نفسه (١٠١٧/٣ - ١٠١٨).

(١١٠) الخصائص الكبرى (١٠٦/٢).

(١١١) المصدر نفسه (١٠٩/٢) بإسناد موضوع ومتن منكر.

(١١٢) أحمد: المسند (٢٤٥/٥ - ٢٤٦) بإسناد حسن.

(١١٣) الزرقاني: شرح موطن مالك (٥٥/٢ - ٥٨).

(١١٤) النسائي: السنن (٦٢/٢) ك. القيلة/ ب. ستره المصلي) بإسناد صحيح.

(١١٥) المهيتمي: موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ص ١٤٥، بإسناد صحيح.

على جواز القصر مادام المرء في حالة سفر ولم ينو الإقامة، وانظر الفقرة ١٧ بعد قليل.

٦- قال ﷺ عن جلد الميتة: «دباغها طهورها» وذلك عندما طلب ماء من بيت بنبوك فأتي له به في قربة من جلد فشرب^(١١٦).

٧- أهدر الرسول ﷺ ثنية رجل عض يد رجل آخر فانتزعها بقوة ومعها الثنية^(١١٧).

٨- جواز الهجر أكثر من ثلاث ليالٍ لسبب شرعي كما في أمر الرسول ﷺ بمقاطعة الذين خلفوا لمدة خمسين ليلة.

٩- إن من يمر بديار المغضوب عليهم والمعدنين، لا ينبغي له أن يدخلها، ولا أن يقيم بها، بل عليه أن يسرع، ويتقنع بثوبه حتى يجاوزها، ولا يدخل عليهم إلا باكياً معتزاً، كما فعل الرسول ﷺ وأمر به عندما مر بديار ثمود بالحجر، وكما فعل في وادي محسر بين منى وعرفة، فإنه المكان الذي أهلك الله فيه الفيل وأصحابه^(١١٨).

١٠- تصريح الإمام للرعية، وإعلامهم بالأمر الذي يضرهم ستره وإخفاؤه ليتأهبوا له، وجواز ستر غيره عنهم والكناية عنه للمصلحة، كما فعل الرسول ﷺ في أمر الإعلام بوجهته حين عزم على غزوة تبوك^(١١٩).

١١- إذا استنفر الإمام الناس للجهاد لزمهم النفي جميعاً، ولا يشترط في وجوب ذلك تعيين كل واحد منهم بعينه، وهو أحد المواضع الثلاثة التي يصبح فيها الجهاد فرض عين، والثاني: إذا حضر العدو البلد، والثالث إذا حضر بين الصفين^(١٢٠).

١٢- وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس، وهذه إحدى روايتي أحمد، قال ابن القيم^(١٢١): «وهو الصواب الذي لا ريب فيه».

(١١٦) أبوداود: السنن (٤/٣٦٨ - ٣٦٩) ك. اللباس/ب. في إهبة الميتة/ح (٤١٢٥) بإسناد حسن.

(١١٧) البخاري/الفتح (١٦/٢٤٠/ح ٤٤١٧)، مسلم (٣/١٣٠١ - ١٣٠٢) ح (١٦٧٤ - ١٦٧٥).

(١١٨) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٦٠).

(١١٩) انظر: المرجع نفسه (٣/٥٥٨).

(١٢٠) انظر: المرجع والمكان نفسيهما.

(١٢١) انظر: المرجع والمكان نفسيهما.

- ١٣ - إن في قول الرسول ﷺ لعثمان (رضي الله عنه) عندما رأى سخاء بذله: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم» منقبة كبرى لعثمان تضاف إلى مناقبه الأخرى الكثيرة والتي أعظمها بشرى له بالجنة.
- ١٤ - إن العاجز عن الجهاد والذي لا حرج عليه إذا تخلف عنه هو الذي يبذل جهده ويتحقق عجزه، كما في حالة الذين جاءوا يسألون الحملان فلم يجد الرسول ﷺ ما يحملهم عليه، فرجعوا ليكون لما فاتهم من شرف وأجر الجهاد.
- ١٥ - مشروعية استخلاف الإمام، إذا سافر، رجلا من الرعية على الضعفاء والنساء والذرية، كما في حالة علي (رضي الله عنه)، ويكون نائبه من المجاهدين وهي خلافة خاصة، أما الاستخلاف العام والخاص بالشؤون الأخرى فكان لمحمد بن مسلمة^(١٢٢).
- ١٦ - لا يجوز شرب ماء آبار ثمود ولا الطبخ منه ولا العجن به، ولا الطهارة به، ويجوز أن يسقى منه البهائم، إلا ما كان من بثر الناقة، فيجوز الاستفادة من مائها في كل شيء^(١٢٣).
- ١٧ - أقام النبي ﷺ عشرين يوما يقصر الصلاة، ولم يقل للأمة: لا يقصر الرجل الصلاة إذا أقام أكثر من ذلك، وهذه الإقامة في حال السفر لا تخرج عن حكم السفر، سواء طالت أم قصرت إذا كان غير مستوطن ولا عازم على الإقامة بذلك الموضع، وكان ذلك عمل بعض أئمة السلف مثل سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأنس بن مالك وعبدالرحمن بن سُمرة، وهو الصواب كما قال ابن القيم^(١٢٤).
- ١٨ - إن من مراتب الجهاد الأربعة: الجهاد بالقلب، كما في حال الذين حبسهم العذر وقال عنهم الرسول ﷺ: «إن بالمدينة أقواما... الحديث» والمرتائب الأخرى: اللسان، والمال، والبدن، كما في الحديث:

(١٢٢) و (١٢٣) المرجع نفسه، ص ٥٦٠. (١٢٤) المرجع نفسه، ص ٥٦١ - ٥٦٣. وانظر فيه اختلاف السلف والخلف في ذلك، ص ص ٥٦١ - ٥٦٢، ٥٦٣ - ٥٦٥.

- «جاهدوا المشركين بألسنتكم وقلوبكم وأموالكم»^(١٢٥).
- ١٩ - جواز إحراق وهدم أمكنة المعصية، كما فعل الرسول ﷺ بمسجد الضرار.
- ٢٠ - جواز إخبار الرجل عن تفريطه وتقصيره في طاعة الله ورسوله، كما في رواية كعب لقصة تخلفه عن غزوة تبوك.
- ٢١ - جواز مدح الإنسان نفسه بما فيه من الخير، إذا لم يكن ذلك على سبيل الفخر والترفع، كما فعل كعب (رضي الله عنه).
- ٢٢ - إن بيعة العقبة الكبرى كانت من أفضل مشاهد الصحابة، حتى إن كعبا كان لا يراها دون مشهد بدر.
- ٢٣ - لا ينبغي للإمام أو المطاع أن يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور، بل يذكره ليراجع الطاعة ويتوب، كما فعل الرسول ﷺ عندما سأل عن كعب بتبوك.
- ٢٤ - إن رسول الله ﷺ كان يقبل علانية من أظهر الإسلام من المنافقين، ويكل سريره إلى الله، ويجري عليه حكم الظاهر، ولا يعاقبه بما لم يعلم من سره، كما فعل الرسول ﷺ مع الذين جاءوه يعتذرون له عن تخلفهم.
- ٢٥ - إن في سجود كعب حين سمع صوت المبشر دليلا ظاهرا على أن تلك كانت عادة الصحابة، وهو سجود الشكر عند حدوث النعم المتجددة، والنقم المندفعة، وقد سجد أبو بكر (رضي الله عنه) لما جاءه خبر مقتل مسيلمة الكذاب^(١٢٦)، وسجد علي عندما وجد ذا الثدية مقتولا في الخوارج^(١٢٧) وهم في هذا يقتنون بالرسول ﷺ. فقد سجد رسول الله ﷺ عدة مرات لأحداث سارة، وقال أبو بكر: «كان رسول

(١٢٥) أخرجه أبوداود: السنن (٣/ك. الجهاد/ح ٢٥٠٤، وأحمد: المسند (٣/١٢٤ و ١٥٣)، والنسائي: السنن (٧/٦/ك. الجهاد/ح ٣٠٩٨)، والدارمي: السنن (٢/٢١٣/ك. الجهاد)، والحاكم: المستدرک (٨١/٢) وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان: موارد الظن (ح ١٦١٨)، ولفظ ابن حبان: «جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم».

(١٢٦) أخرجه البيهقي: السنن الكبرى (٢/٣٧١/ك. الصلاة/ب. سجود (الشكر)).

(١٢٧) أحمد المسند (٢/٨٤٨/شاکر) وصحح شاکر إسناده.

الله ﷺ إذا أثناه أمر يسره خر لله ساجدا» (١٢٨)، ومن أمثلة ذلك سجوده عندما أثناه خبر إسلام همدان على يد علي بن أبي طالب (١٢٩).

٢٦ - استحباب الصدقة عند التوبة بما قدر عليه من المال، كما جاء في موقف كعب وجواره مع الرسول ﷺ عندما أراد التصديق بكل ماله، ولكن الرسول ﷺ استحسب له الثلث، فأمسك فقط سهمه الذي بخير (١٣٠).

٢٧ - مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب، وأنهم يحوزون بذلك دماءهم وأموالهم، فقد رأيت أن الروم اختفوا وتفرقوا عن مواجهة رسول الله ﷺ حينما وصل تبوك، وجاء نصارى العرب فصالحوه على الجزية.

٢٨ - إن موقف كعب من رسالة ملك غسان وتعليقه على طلبه، فيه صورة رائعة لما ينبغي أن يكون عليه إيمان المسلم بربه تعالى، وإن الابتلاء لا بد أن يكشف عن المزيد من الإيمان وشدة الإخلاص.

٢٩ - لقد وطدت هذه الغزوة سلطان الإسلام في شمالي شبه الجزيرة العربية، ومهدت لفتوح الشام التي استعد لها الرسول ﷺ بإعداد جيش أسامة قبل وفاته، فأنفذه أبوبكر (رضي الله عنه)، ثم أتبعه أبوبكر بجيوش الفتح الأخرى التي انساحت في بلاد الشام والعراق، وكانت بداية تحرير شعوب تلك المناطق من عبودية القيصرية والكسروية.

(١٢٨) أبوداود: السنن (٢/٢١٦/٣) ك. الجهاد/ح (٢٧٧٤) وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود، رقم ٢٤٧٩، الترمذي: السنن (٥/٣٠٤/٥) ح (١٥٧٨) الدعاس، وقال: حسن غريب، الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (١/٢٣٣/١) ك. الصلاة/ح (١٣٩٤) وقال: «حسن»، وقال ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٨٤) عن هذه الآثار المذكورة في سجود الشكر: «وهي آثار صحيحة لا مطعن فيها».

(١٢٩) البخاري/ الفتح (١٦/١٨٤/ح ٤٣٤٩) وستأتي قصة علي مع همدان في الفصل السابع والعشرين - البحث الثاني: «بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن».

(١٣٠) أخرجه أبوداود: السنن (٣/٦١٤/ك. الإيمان والنذور/ح ٣٣٢١)، بإسناد صحيح. ولزيد من الفوائد والتفاصيل، انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٥٨ - ٥٩٢)، ابن حجر: الفتح (١٦/٢٥١ - ٢٥٤).

الفصل السادس والعشرون

الوفود:

عندما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت، قدمت إليه وفود العرب من كل وجه^(١)، حتى إن سنة تسع كانت تسمى سنة الوفود^(٢)، وقد سبق القول إن أبرز نتائج فتح مكة أن أخذت قبائل العرب وأفرادها يبادرون بإسلامهم لأنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش^(٣).

ولقد ذكر البخاري وابن إسحاق والواقدي وابن سعد والبيهقي وفودا تقدم تاريخ قدمهم على سنة تسع، بل وعلى فتح مكة^(٤). وهو أمر ستره ظاهرا عند الوقوف على أخبار الوفود في المصادر المختلفة، ومن خلال تناولي لها في هذا الكتاب، على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود لم يستقصوها جميعها، ولذا استدرك عليهم ابن كثير، و ذكر ما أهملوه^(٥)، مستفيدا في هذا من المصادر الأخرى التي ضاع معظمها ولكن وجدت منها روايات مبنوثة في كتب الذين جاؤوا من بعدهم. وقد تكلمنا عن هذا في المباحث الخاصة بمصادر السيرة.

ويبلغ مجموع مذكره هؤلاء الأئمة ما يزيد على الستين وفدا، وقد سردهم الشامى في سيرته، فزادوا على مائة، فلعل هؤلاء الأئمة اقتصروا على ذكر المشهور منهم أو الذين أتوا لترتيب مصالحهم^(٦). وكان ابن سعد صاحب

(١) انظر: ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٢٧٣/٤).

(٢) ابن هشام (٢٧٣/٤) بإسناد منقطع.

(٣) انظر ذلك في مكانه من هذا الكتاب عند الكلام عن أبرز نتائج فتح مكة.

(٤) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٤٦/٥ - ٤٧).

(٥) المرجع نفسه (٤٧/٥).

(٦) انظر: أبو تراب الظاهري: وفود الإسلام، ص ٨.

أكبر إسهام في إيراد أخبار تلك الوفود، ويعاب عليه وعلى شيخه الواقدي وابن إسحاق إهمال الإسناد إلا نادرا، وحتى معظم هذه الأسانيد النادرة لا يخلو معظمها من مطعن من حيث ضعف الرجال أو الإرسال.

وسأشير في كتابي هذا إلى أسماء معظم الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ، دون الدخول في تفاصيل أخبارها، لأن ذلك مما يطول الكلام فيه. وقد أفرد له أبو تراب الظاهري كتابا مفيدا^(٧). وهاتها:

(١) وفد مُزينة: قدموا على رسول الله ﷺ في رجب سنة خمس^(٨) وكان عددهم أربعائة. وعندما أرادوا الانصراف أمر الرسول ﷺ عمر أن يزودهم، فقال عمر: «ما عندي إلا شيء من تمر، ما أظنه يقع من القوم موقعا»، فقال له الرسول ﷺ: «انطلق فزودهم»، فانطلق بهم عمر، فأدخلهم منزله فإذا فيه من التمر مثل الجمل الأورق، فأخذ القوم منه حاجتهم، وخرجوا. قال النعمان بن مقرن - راوي الخبر -: «وكننت في آخر من خرج فالتفت فإذا فيها من التمر مثل الذي كان»^(٩). وفي هذا معجزة من معجزات النبي ﷺ.

(٢) وفد بني تميم: ذكر البخاري قدوم هذا الوفد، كما حكى سورة الحجرات عنهم من تصرفات مجافية لأداب الاستئذان والمخاطبة، حيث آذوا الرسول ﷺ بصياحهم له من وراء حجراته، طالبين منه أن يخرج إليهم ليفاخروه، ولم يستأذنوا عليه^(١٠).

وذكر ابن إسحاق^(١١) تفاصيل خبر قدومهم وأسماء أفراد وفدهم وما دار بينهم وبين الرسول ﷺ وشاعره حسان وخطيبه ثابت بن قيس، وشاعرهم الزبرقان بن بدر وخطيبهم عطار بن حاجب.

(٧) المرجع نفسه، وهو في خمس ومائتي صفحة، وذكر فيه أكثر من ستين وفدا.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى (٢٩١/١) من رواية الواقدي، وفيه كثير بن عبدالله المزني.

(٩) أحمد: المسند (٤٤٥/٥) ورجاله ثقات وسنده حسن، وأخرجه غيره، انظر في هذا البيهقي: دلائل النبوة (٣٦٥/٥ - ٣٦٧) وقارن بين الروايات.

(١٠) البخاري/ الفتح (٢٠٦/١٦) ح (٤٣٦٥).

(١١) ابن هشام (٢٧٤/٤ - ٢٨٣) معلقا، وانظر ابن شبة: تاريخ المدينة (٥٢٣/٢).

وكان قدومهم على الرسول ﷺ في أول السنة التاسعة الهجرية^(١٢).
 (٣) وفد عبد القيس: ذكر البخاري^(١٣) أنهم عندما وفدوا على الرسول ﷺ رحب بهم قائلا: «مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى»، فقالوا: يا رسول الله، إن بيننا وبينك المشركين من مضر وإنا لا نصل إليك إلا في الأشهر الحرم، حدثنا بجمل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة وندعو به من وراءنا. قال: «أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله، هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس، وأنهاكم عن أربع: ما انتبذ في الدباء والنقير والحتم والمزفت».
 والذي يتبين من هذا الحديث - كما نبه إلى ذلك ابن حجر^(١٤) - أنه كان لعبد القيس وفادتان... إحداهما قبل الفتح، ولهذا قالوا للنبي ﷺ: «بيننا وبينك كفار مضر»، وكان ذلك قديما، أما في سنة خمس أو قبلها. وكانت قريتهم بالبحرين، أول قرية أقيمت فيها جمعة بعد المدينة كما ثبت في حديث آخر رواه البخاري^(١٥) في باب (وفد عبد القيس)... وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلا... وفيها سألوا عن الإيمان وعن الأشربة. وكان فيهم الأشج، وقال له النبي ﷺ: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». كما أخرج ذلك مسلم^(١٦) من حديث أبي سعيد. وروى أبوداود^(١٧) من طريق أم أبان بنت الوازع عن جدّها زارع - وكان في وفد عبد القيس - قال: «فجعلنا نتبادر من رواحلتنا - يعني لما قدموا المدينة - فنقبل يد النبي ﷺ، وانتظر الأشج، واسمه

(١٢) انظر الديار بكرى: تاريخ الخميس (١١٨/٢ - ١١٩)، وانظر خبرهم عند الكلام عن سرية هيئة ابن حصن الفزاري إلى بني العنبر.

(١٣) الفتح (١٦/٢٠٨ ح/٤٣٦٨، ٤٣٦٩)، مسلم (٤٦/١ - ٥٠ ح/١٧ - ١٨) وغيرهما. والدباء: وعاء القرع اليابس، والحتم: الجرار الخضر التي يجلب فيها الحمر، والنقير، جذع يتقرون وسطه وينبذون فيه، والمزفت: المطلي بالقار. وانظر تخريج الحديث في غير البخاري ومسلم، البيهقي: دلائل النبوة (٣٢٥/٥) الحاشية.

(١٤) الفتح (١٦/٢٠٧ - ٢٠٨ ح/ب). وفد عبد القيس.

(١٥) الفتح (١٦/٢٠٨ ح/٤٣٧١).

(١٦) مسلم (٤٦/١ - ٤٩ ح/١٧ - ١٨).

(١٧) نقله عنه البيهقي: دلائل النبوة (٣٢٧/٥ - ٣٢٨)، ورواه أحمد: المسند (٢٠٦/٤).

المسند، حتى لبس ثوبيه فأتى النبي ﷺ فقال له: «إن فيك خصلتين... الحديث»، وفي حديث هود بن عبدالله بن سعيد العَصْرِي أنه سمع جده فريدة العصري^(١٨) قال: بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: «سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق»، فقام عمر فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكبا فبشرهم بقول النبي ﷺ، ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ فرموا بأنفسهم عن ركائبهم فأخذوا يده فقبلوها، وتأخر الأشج في الركاب حتى أناخها وجمع متاعهم ثم جاء يمشي، فقال النبي ﷺ: «إن فيك خصلتين... الحديث»^(١٩). والوفادة الثانية كانت في سنة الوفود وكان عددهم حينئذ أربعين رجلا كما في حديث أبي حَيوة الصناحي الذي أخرجه ابن منده، وكان فيهم الجارود العبدى^(٢٠). وقد ذكر ابن إسحاق^(٢١) قصته، وأنه كان نصرانيا فأسلم وحسن إسلامه. ويؤيد التعدد ما أخرجه ابن حبان^(٢٢) من وجه آخر أن النبي ﷺ قال لهم: «مالي أرى ألوانكم تغيرت». ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغير.

٤) وفد بني حنيفة: روى البخاري^(٢٣) من حديث ابن عباس أن مسيلمة الكذاب قدم على النبي ﷺ في بشر كثير من قومه بني حنيفة، فجعل يقول: «إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته»، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مُسَيْلَمَةَ في أصحابه، فقال: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها ولن تعدوا أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني

(١٨) له ترجمة في ابن الأثير: أسد الغابة (٩٦/١) و (٤١٧/٤).

(١٩) رواه البيهقي: دلائل النبوة (٣٢٦/٥ - ٣٢٧)، وأبو يعلى والطبراني بسند جيد كما ذكره حقق دلائل النبوة للبيهقي، ونقله ابن كثير: البداية (٥٥/٥) عن دلائل النبوة للبيهقي، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٠٥ باب: التؤدة في الأمور مطولا من وجه آخر عن رجل من وفد عبد القيس لم يسمه، كما قال ابن حجر: الفتح (٢٠٨/١٦).

(٢٠) ابن حجر: الفتح (٢٠٧/١٦ - ٢٠٨/٢) ب. وقد عبد القيس.

(٢١) ابن هشام (٢٩٣/٤ - ٢٩٤) مرسل عن الحسن ولم يسم ابن إسحاق من حدثه، والطبري: التاريخ (١٦١/٣ - ١٦٢) وقد صرح فيه ابن إسحاق بالسباع وتبقى علة الإرسال عن الحسن البصري.

(٢٢) ذكره ابن حجر: الفتح (٢٠٨/١٦).

(٢٣) الفتح (٢١٣/١٦) ح (٤٣٧٣).

لأراك الذي أريت في ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني»، ثم انصرف عنه.

وقد سأل ابن عباس أبا هريرة عن قوله ﷺ: «إني لأراك الذي أريت في ما أريت»، فأخبره أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحى إليّ في المنام، أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي، أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة^(٢٤)».

ونزل مسيلمة الكذاب في دار بنت الحارث^(٢٥)، وكانت دارها معدة للوفود كما يفهم من رواية البخاري ومن روايات ابن سعد^(٢٦)، بل يفهم من روايات ابن سعد^(٢٧) والواقدي^(٢٨) وابن إسحاق^(٢٩) أنها كانت تستخدم في حبس الأسرى.

أما بقية خبر مسيلمة الكذاب عندما كتب إليه الرسول ﷺ فانظره في رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء من هذا الكتاب، وعند البيهقي^(٣٠) والذهبي^(٣١) وأبي تراب^(٣٢) حيث جمعوا أخباره من مصادرها المختلفة.

٥) وفد نجران: ثبت في الصحيح أن العاقب والسيد صاحبي نجران جاءا إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه - أي يباهلانه^(٣٣)، فقال أحدهما لصاحبه: «لا تفعل، فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبتا

(٢٤) الفتح (١٦/٢١٣) ج ٤٣٧٤، ٤٣٧٥). وانظر القصة كاملة عند ابن شبة في تاريخ المدينة المنورة (٥٧٥/٢) بإسناد ضعيف، ولكن له أصل في الصحيح، كما ترى.

(٢٥) البخاري/ الفتح (١٦/٢١٥) ج ٤٣٧٨.

(٢٦) الطبقات (١/٢٩٩)، ٣٠٠، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٤٦.

(٢٧) الطبقات (٢/١٦١)، (٧/١٠٢).

(٢٨) المغازي (٢/٥١٢) وعنده أن بني قريظة حبسوا في دار بنت الحارث قبل أن يقادوا إلى القتل.

(٢٩) ابن هشام (٣/٣٣٣) معلقا. وعنده أن بني قريظة حبسوا في دارها قبل أن يقتلوا.

(٣٠) دلائل النبوة (٥/٣٣٠ - ٣٣٥).

(٣١) المغازي، ص ص ٦٨٢ - ٦٨٦.

(٣٢) وفود الإسلام، ص ص ٣٤ - ٤٨.

(٣٣) جاء ذكر المباهة، وهي الدعاء باللعنة، في قوله تعالى «فقل تعالوا أنبأنا ندع أبنائنا ونساءكم وأبنائكم ونساءكم وأنفسكم وأنفسكم ثم ننتهز فنجعل لعنة الله على الكاذبين» - آل عمران: ٦١.

من بعدنا». وقال: «إنا نعطيك ما سألنا وأبعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً». فقال: «لأبعثن رجلاً أميناً حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول ﷺ، فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح». فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة»^(٣٤) فخرج معهم أبو عبيدة ليقضي بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه^(٣٥). جاء خبر وفد نصارى نجران عند ابن إسحاق^(٣٦)، وفيه أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ وهو بمكة، وهم حينئذ عشرون رجلاً أو قريب من ذلك. وأعاد ذكرهم في أخبار الوفود بالمدينة وهم ستون ركباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، إلى العاقب - أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدر عن إلا عن رأيهم، واسمه عبد المسيح - وإلى السيد... صاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيم، وإلى أبي حارثة بن علقمة - أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، وسرد بقية أسماء الأربعة عشر. ويفهم من هذا أنهم قدموا مرتين. وروى البيهقي^(٣٧) والذهبي^(٣٨) وابن حجر^(٣٩) هذا الخبر نفسه مسنداً وموصولاً من طريق ابن إسحاق، من حديث كُرُز بن علقمة، وفيه أن أشرافهم كانوا أربعة وعشرين بدلاً من أربعة عشر كما في سيرة ابن هشام.

وقال ابن سعد^(٤٠) إن النبي ﷺ كتب إليهم فخرج إليه وفدهم في أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وتلا عليهم

(٣٤) البخاري/ الفتح ٢١٨/١٦، ٤٣٨٠، ٤٣٨١، مسلم ١٨٢٢/٤، ٢٤٢٠ مختصراً.

(٣٥) ابن إسحاق، من حديث محمد بن جعفر، منقطعاً - ابن هشام ٢٦٦/٢.

(٣٦) ابن هشام ٣٦/٢، ٢٥٤ - معلقاً ومطولاً.

(٣٧) دلائل النبوة ٣٨٢/٥ - ٨٣.

(٣٨) المغازي، ص ٦٩٥ - ٦٩٦، وفي إسناده بريدة بن سفيان، وهو ليس بالقوي، وفيه رفض كما قال ابن حجر في التقریب، ص ١٢١، وابن البلباني (محمد بن عبد الرحمن) وهو ضعيف، وقد اتهمه ابن عدي وابن حبان.

(٣٩) الإصابة ٢٩٢/٣، وفيه أنهم سبعون ركباً منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم.

(٤٠) الطبقات ٣٥٧/١ - ٣٥٨، بإسناد ضعيف، لأن فيه محمد بن علي القرشي، وهو صدوق، وأبا معشر السندي، وهو ضعيف - (التقریب ٤٩٧، ٥٥٩ على التوالي) ولكن يتقوى بالشواهد والمتابعات وثبوت الولادة في الصحيح.

القرآن فامتنعوا، فقال إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم فانصرفوا على ذلك، ولكن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك، وقالوا: «لا نلاعنك ولكن نعطيك ما سألت»، فأسلما.

وفي مرسل الشعبي عند ابن أبي شيبة أن النبي ﷺ قال: «لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تموا على الملاعة»^(٤١). وفي زيادات يونس^(٤٢) ابن بكير في المغازي بإسناد له أنه صالحهم على ألفي حلة: ألف في رجب، وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وساق الكتاب الذي كتبه بينهم مطولا. وفي هذه الرواية أن الرسول ﷺ كتب إلى أهل نجران يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا فالحرب، فذعروا واجتمعوا وتشاوروا وافقوا على إيفاد شُرَحْبِيل بن وَدَاعَةَ الحمداني وعبدالله ابن شرحبيل الأصبحي وصابر بن فيض الحارثي، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ، فجاءوا، وعندما دخلوا المدينة وضعوا ثياب السفر ولبسوا حللا لهم يجرونها وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام، وتكلموا معه طوال النهار، فلم يكلمهم بسبب تلك الحال، فاستشاروا عثمان وابن عوف لمعرفة بهم، فطلبوا رأي علي، فأشار بأن يضعوا حللهم تلك وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه، ففعلوا فرد سلامهم ثم ساءلهم وسألوه، وطلبوا فيه رأيهم في عيسى، فطلب إمهاله إلى الغد، فنزلت الآيات: ٥٩ - ٦١ من سورة آل عمران ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ...﴾ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم... الآية المباهلة فأبوا أن يقرأوا بذلك. وفي الغد جاءهم النبي ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة للملاعة، وعندها خاف شرحبيل من الهلاك ورأى مع صاحبيه أن يحكما

(٤١) ابن حجر: الفتح (٢١٨/١٦)، وانظر ابن شبة: تاريخ المدينة (٥٨٠/٢ - ٥٨٣) مختصرا من مرسل الشعبي بإسناد رجاله ثقات.
(٤٢) البيهقي: دلائل النبوة (٣٨٥/٥ - ٣٩١) مطولا جدا. وإسناده ضعيف لجهالة سلمة بن يسوع فمن قوته، ابن كثير: البداية (٦٠/٥ - ٦٤)، ابن كثير: التفسير (٤٣/٢) ونسبه إلى البيهقي وقال: «وقيه غرابة».

الرسول ﷺ، فرجع رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد أتوه فكتب لهم كتابا فيه حكمه عليهم وهو ألفا حلة: في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة، وذكر تمام الشروط، ثم أخذوا الكتاب وانصرفوا، وعندما دفعوا بالكتاب إلى أسقفهم في نجران، وكان معه أخ له من أمه يدعى بشر بن معاوية، وكنيته أبوعلقمة، فبينما الأسقف يقرأ الكتاب وأبوعلقمة معه، وهما يسيران، إذ كَبَتْ ببشر ناقته، فتعس بشر، غير أنه لا يكتي عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تعست نبيا مرسلا، فقال له بشر: لا جرم، والله لا أحل عنها عقدا حتى آتي رسول الله ﷺ، فصرف وجه ناقته نحو المدينة، وحاول الأسقف إرجاعه مبينا أنه قصد من قوله مخادعة العرب مخافة أن يروا أنهم خضعوا للنبي ﷺ وهم أعز العرب، فلم يقبل منه بشر قولا، فجاء النبي ﷺ وأسلم ومات شهيدا في الجهاد... ثم إنه بعد ذلك أتى الأسقف ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه النبي ﷺ وأقاموا عنده يسمعون القرآن، ثم عادوا وقد كتب للأسقف وأساقفة نجران بعده كتابا فيه أمان لهم ما أصلحوا ونصحوا^(٤٣). وهو ما ذكر مختصراً في الصحيح.

وثبت أيضا أن الرسول ﷺ بعث إليهم المغيرة بن شعبة، وعندما قدم إليهم سألوه قائلين: «إنكم تقرأون: يا أخت هارون وموسى، قبل عيسى بكذا وكذا» فلما قدم على رسول الله ﷺ سألوه عن ذلك، فقال له: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»^(٤٤).

(٦) وفد الأشعرين: ثبت في الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري أنه عندما بلغهم مخرج النبي ﷺ وهم باليمن خرجوا مهاجرين إليه ومعهم أخوان له، هو أصغرهم، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم، وهم في بضعة أو في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومه، فركبوا سفينة،

(٤٣) البيهقي دلائل النبوة (٣٨٥/٥ - ٩١) ونقله عنه ابن كثير: البداية (٦١/٥ - ٦٤) وخبر مجيء الأسقف والسيد والعاقب رواه ابن إسحاق، مرة معلقا، ومرة مرسلا، من حديث محمد بن جعفر. انظر: ابن هشام (٢٦٥/٢ - ٢٦٦).

(٤٤) مسلم (١٦٨٤/٣ ح ٢١٣٥)، الألباني: صحيح الترمذي (٣/٧٤ ح ٣٣٧٧) وحسنه.

فألقتهُم إلى النجاشي بالحِشَّة، ووافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فطلب منهم جعفر أن يقيموا معهم لأن رسول الله ﷺ بعثهم إلى هاهنا وأمرهم بالإقامة، فأقاموا معه، حتى قدموا جميعا، فوافقوا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لهم^(٤٥).

(٧) وفد الحميريين من أهل اليمن: ذكر ابن حجر^(٤٦) أنه وجد في كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق إياس بن عمير الحميري أنه قدم وأفدا على رسول الله ﷺ في نفر من حمير، فقالوا: «أتيناك لنتفقه في الدين، ونسأل عن أول هذا الأمر قال كان الله ليس شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم خلق القلم فقال اكتب ما هو كائن، ثم خلق السموات والأرض وما فيهن واستوى على عرشه».

وهؤلاء الحميريون هم الذين جاء ذكرهم في الصحيح، وذلك عندما جاءت بنو نعيم إلى الرسول ﷺ فقال: «أبشروا يا بني نعيم»، فقالوا: «أما إذا بشرتنا فأعطينا». فتغير وجه رسول الله ﷺ، فجاء ناس من أهل اليمن، فقال النبي ﷺ: «اقبلوا البشري إذ لم يقبلها بنو نعيم»، قالوا: «قد قبلنا يا رسول الله»^(٤٧).

وكان ذلك في العام التاسع، عام الوفود^(٤٨).

(٨) وفد طيء: قدموا على رسول الله ﷺ، وفيهم زيد الخيل، الذي سماه الرسول ﷺ زيد الخير، وهو سيدهم، فأسلموا وحسن إسلامهم، وأقطع الرسول ﷺ زيدا أرضا، وكتب له كتابا بذلك، ومات بالحمى في طريق عودته. ولما مات أحرقت زوجته ما كان معه من كتب لجهلها^(٤٩).

(٩) وفد بني عامر: ثبت في الصحيح أن عامر بن الطفيل أتى النبي ﷺ

(٤٥) البخاري/ الفتح (٢٢٢/١٢ - ٢٣/ ح ٣١٣٦) وانظر ابن حجر: الفتح (٢٢٢/١٦). وقد ضعف قول من قال: إسم قدموا على الرسول ﷺ بمكة قبل الهجرة، مسلم (٤/١٩٤٦ ح ٢٥٠٢)، وغيرهما.

(٤٦) الفتح (٢٢٢/١٦) و (١٣/ ٥ - ٦) حيث روى طرفا منه، ورواه كاملا في الإصاية (٥٤٤/٣) ترجمة نافع بن زيد الحميري، وقال إن فيه عدة مجاميل.

(٤٧) البخاري/ الفتح (٢٢٣/١٦ ح ٤٣٨٦).

(٤٨) انظر ابن حجر: الفتح (٢٢٢/١٦).

(٤٩) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/٢٩٦ - ٢٩٧)، ابن سعد (١/٣٢١).

فقال: أخبرك بين خصال ثلاث: «يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان، بألف أشقر وألف شقراء»، فطعن في بيت امرأة، فقال: «أغدة كغدة البعير، في بيت امرأة من آل بني فلان، اثتوني بفرسي»، فركب، فمات على فرسه^(٥٠).

وروى أحمد^(٥١) وأبو داود^(٥٢) من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه أنه قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى»، قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان».

وروى الطبراني^(٥٣) في الكبير بسنده إلى ابن عباس أن إربد بن قيس ابن جزء وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فاتهاها إليه وهو جالس، فجلسا بين يديه، فقال ابن الطفيل: «يا محمد، ما تجعل لي إن أسلمت؟» فقال رسول الله ﷺ: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم». قال عامر: «أتجعل لي الأمر من بعدك إن أسلمت؟» فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعة الخيل». قال: «أنا الآن في أعة خيل أهل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر. قال رسول الله ﷺ: «لا» فلما قفا من عنده، قال: «أما والله لأملأها عليك خيلا ورجالا»، فقال رسول الله ﷺ: «يمنعك الله»، وتآمر ابن الطفيل وإربد على قتل النبي ﷺ، وكانت خطتهما أن يشغل ابن الطفيل

(٥٠) البخاري/ الفتح (٢٦٨/١٥) ح ٤٠٩١ وقال ابن حجر/ الفتح (٢٦٩/١٥): إن الطبراني قد بين نسب المرأة من حديث سهل بن سهد، فقال: «امرأة من آل سلول...».

(٥١) المسند (٢٥/٤). السنن: (١٥٤/٥) ك. الأدب. ب. كراهية التاجح/ ح ٤٨٠٦. وإسناد أحمد وأبي داود صحيح كما قال محقق زاد المعاد (٦٠٣/٣). وانظر الحديث في: البيهقي: دلائل النبوة (٣١٨/٥) من حديث يزيد بن عبد الله بن العلاء.

(٥٣) ابن كثير: التاريخ (البداية والنهاية) - (٦٨/٥ - ٦٩)، والنسبر (٣٦٦ - ٣٦٧) وفي إسناده عبدالعزيز بن عمرو - وهو متروك. (وكما علمت فإن أصل خبر هلاك ابن الطفيل بالطاعون ثابت في الصحيح). وروى هذه القصة ابن إسحاق معلقا، وذكر ابن هشام (٢٨٦/٤) سبب نزول الآيات المذكورة بنسب إسناد الطبراني ولكنه علقه إذ حذف من هم قبل زيد بن أسلم.

الرسول ﷺ بالحديث فيضربه إربدا فيقتله، فلا تكون إلا الدية، لأن الناس ستكره الحرب، ولكن الله عصمه منها، إذ لم يستطع إربدا أن يفعل شيئا، وأهلك الله عامرا بالغدة وإربدا بالصاعقة، فأنزل الله فيهما: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ - إلى قوله - ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ يعني محمدا، و﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ الآيات (٥٤).

ووفد على رسول الله ﷺ أيضا من بني عامر: عامر بن مالك، المدعو بملاعب الأسنة، فدعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، وقال: يارسول الله، لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم، ... فكانت قصة أهل بئر معونة كما ذكرنا ذلك في مكانه.

وروي أن عامر بن مالك بعث إلى رسول الله ﷺ يلتمس منه دواء، فبعث إليه بعكة من عسل (٥٥). وروي ابن شبة (٥٦) أنه قدم على رسول الله ﷺ مع خمسة وعشرين رجلا من بني جعفر ومن بني أبي بكر، فيهم الضحاك ابن سفيان الكلابي، فاستعمل رسول الله ﷺ الضحاك بن سفيان عليهم، واستعمل عامرا على بني جعفر، وطلب من الضحاك أن يستوصي خيرا بعامر. وهذا يدل على أن عامرا قد وفد أخيراً مسلماً، ويبدو أن ابن حجر (٥٧) قد رجح أن يكون ملاعب الأسنة في الصحابة.

(١٠) وفد جذام: قدم رفاعة بن زيد الجذامي في عشرة من قومه على رسول الله ﷺ في زمن هدنة الحديبية وقبل خير، فأسلم وحسن إسلامه، وأهدى لرسول الله ﷺ غلاما، وكتب له رسول الله ﷺ كتابا

(٥٤) الرعد: ٨ - ١٣.

(٥٥) ابن حجر: الإصابة (٢/٢٥٨) وعزاه إلى ابن العربي في معجمه وابن منته والبغوي، وقال إن البغوي أخرجه بإسناد صحيح.

(٥٦) تاريخ المدينة المنورة (٢/٥٩٧ - ٥٩٨) من حديث ابن إسحاق عن مشيخة بني عامر، وهو منقطع.

(٥٧) الإصابة (٢/٢٥٨) - ترجمة عامر بن مالك. وانظر مناقشة ابن حجر لهذا الأمر.

وبعثه إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا^(٥٨).

(١١) وفد بني سعد بن بكر: بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد، ثم عقله، ثم دخل على رسول الله ﷺ وهو في المسجد بين أصحابه، فأخذ يسأل الرسول ﷺ عن أركان الإسلام التي سمع بها، وينشده الله أن يصدقها عند ذكر كل فريضة، والرسول ﷺ يجيبه، حتى إذا فرغ من ذلك نطق بالشهادتين، وأسلم، ثم عاد إلى بعيره، فانطلق به إلى قومه، فأخبرهم خبر الرسول ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام ونبذ اللات والعزى، فأسلموا جميعاً حتى إن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: «فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة»^(٥٩). وفي هذا السياق ما يدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح لأن العزى خربها خالد أيام الفتح^(٦٠).

وتدل قصة إسلامه على مدى انتشار تعاليم الإسلام في وسط القبائل العربية. حتى جاء ضمام لا ليسأل عنها ولكن جاء ليستوثق منها، معدداً لها الواحدة تلو الأخرى، مما يدل على استيعابه لها قبل مجيئه إلى الرسول ﷺ.

(٥٨) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٣٢٢/٤ - ٣٢٣)، ابن حجر: الإصابة (٤٤١/٣) من حديث ابن إسحاق من رواية عمير بن معبد بن فلان الجذامي عن أبيه، ابن سعد (٣٥٤/١) من حديث الواقدي، ابن حجر: الفتح (٧٢/١٦) من حديث الواقدي، ابن منده، من طريق حميد بن رومان عن زياد بن سعد عن أبيه، وفيه أنه في عشرة من قومه - انظر ابن حجر: الإصابة (٥١٨/١)، الأموي: المغازي والمحافل: الأمالي، كما نقله عنها ابن حجر في الإصابة (٤٤١/٣ - ٤٤٢)، الطبراني: متصلاً ومتقطعاً مختصراً من طريق ابن إسحاق، وفي المتصل جماعة مجهولون، كما ذكر الهيثمي في جمع الزوائد (٣٠٩/٥ - ٣١٠). ومما يقوي هذا الحديث ما ثبت في الصحيحين أن رفاعة بن زيد أهدى لرسول الله ﷺ غلاماً أسوداً اسمه مدهم، وذكرت قصة مقتله في وادي القرى حين منصرف الرسول ﷺ من خيبر، كما في الصحيح.

(٥٩) ابن إسحاق، بإسناد حسن - وهو موقوف على ابن عباس (رضي الله عنه) - ابن هشام (٢٩١/٤ - ٢٩٣)، ورواه عنه: أحمد في المسند، الفتح الرباني: (٢٠٨/٢١ - ٢٠٩)، ورواه من غير طريق ابن إسحاق: ابن كثير: البداية والنهاية (٧٠/٥ - ٧٢)، والحاكم: المستدرک (٥٤/٣ - ٥٥)، وابن شبة: تاريخ المدينة (٥٢١/٢)، وابن الأثير: أسد الغابة (٤٢/٣)، والبيهقي: دلائل النبوة (٣٧٤/٥ - ٣٧٧)، وابن سعد (٢٩٩/١)، وابن ماجه: صحيح ابن ماجه - الألباني (٢٣٥/١ - ٢٣٦/١) ج ١٤٠٢ وصححه وأحال إلى تصحيحه في: صحيح أبي داود (رقم: ٥٠٤٤).

(٦٠) قاله ابن كثير: البداية والنهاية (٧٠/٥).

(١٢) وافد دوس - الطفيل بن عمرو - وقصته: روى ابن إسحاق^(٦١) من حديث الطفيل بن عمرو الدوسي أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، لأنه كان رجلا شريفا شاعرا ليبيًا، وأرادوا أن يصرفوه عن الاستماع إلى الرسول ﷺ وحاولوا إقناعه بشتى الحجج حتى أجمع ألا يسمع من الرسول ﷺ، وحشا أذنيه قطنًا ثم أتى المسجد، وأقام قريبا من الرسول ﷺ وأبى الله إلا أن يسمع منه بعض قوله، فسمع كلاما حسنا ثم قال في نفسه إنه ما دام رجلا ليبيًا شاعرا ما يخفى عليه الحسن من القبيح فلماذا لا يسمع من الرسول ﷺ. فمكث حتى انصرف الرسول ﷺ إلى بيته فجاءه وحكى له ما حدث من قريش وسمع منه فأعجبه ما قال فأسلم، وطلب أن يدعو الرسول ﷺ الله ليجعل له آية تكون عونًا له على دعوة قومه. فكان أن جعل الله له نورا في رأس سوطه. وعندما عاد كان أول من أسلم على يديه والده وأمه، وأبطأت عليه دوس، فعاد إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو الله عليهم، ولكن الرسول ﷺ قال: «اللهم اهد دوسا، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم». فرجع وأخذ يدعو إلى الإسلام إلى ما بعد غزوة الخندق، ثم قدم بمن أسلم من قومه على رسول الله ﷺ وهو بخير، وهم نحو سبعين أو ثمانين بيتًا من دوس، ثم لحقوا برسول الله ﷺ بخير فأسلمهم لهم مع المسلمين^(٦٢)، فلم يزل مع الرسول ﷺ حتى إذا فتح مكة طلب أن يبعثه إلى ذي الكفين، صنم عمرو بن حممة، فأحرقه^(٦٣).
أما حديث الرسول ﷺ: «اللهم اهد دوسا...» فأصله في الصحيح

(٦١) ابن هشام (٢٥/٢ - ٢٩) - معلقا، وقال محققا دلائل النبوة لأبي نعيم (٢٣٨/١): «وصله ابن إسحاق في بعض نسخ المغازي من طريق صالح بن كيسان عن الطفيل بن عمرو، وهو في سائر النسخ بغير إسناد». ولم نقف - حتى الآن - على هذا الإسناد لنحكم عليه.

(٦٢) سبق ذكر ذلك عند الكلام عن تقسيم غنائم غزوة خيبر.

(٦٣) سبق ذكره في خبر السرايا بين غزوة خيبر وتبوك - الفصل ٢٤ المبحث رقم ١.

من رواية البخاري ومسلم^(٦٤). وما يثبت أن الطفيل قد قدم على الرسول ﷺ وهو بمكة ما رواه مسلم^(٦٥) من حديث جابر أن الطفيل أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله! هل لك في حصن حصين ومنعة؟ - حصن كان لدوس في الجاهلية - فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار. فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، هاجر إليه الطفيل وهاجر معه رجل من قومه... الحديث».

(١٣) وفادة فروة بن مسيك المُرادي: روى أهل المغازي والسير في خبر طويل أن فروة بن مسيك المُرادي قدم على رسول الله ﷺ مفارقاً للملوك كندة ومباعداً لهم، فأسلم، فاستعمله النبي ﷺ على مراد وزَيْدٍ وَمَدْحَجٍ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ^(٦٦).

وروى بعض أهل الحديث ما يثبت هذه الوفاة. فقد روى الإمام أحمد^(٦٧) والترمذي^(٦٨) بسنديهما إلى فروة بن مسيك، قال: «أتيت رسول

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٦/٢٢٧/ح ٤٣٩٢) ولفظه: «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: «إن دوساً قد هلك، عصت وأبت، فادع الله عليهم، فقال: «اللهم اهد دوساً وات بهم»، مسلم (٤/١٩٥٧/ح ٢٥٢٤) وفيه: «قدم الطفيل بن عمرو وأصحابه... إن دوساً قد كفرت وأبت... فقيل: هلك دوس...». ورواه أحمد: المسند (١٣/٣٩/ح ٧٣١٣/شاكرو) وصححه، وقال ابن كثير: البداية (٢/١١٠): «إسناده جيد ولم يخرجوه»، وهذا مما يدل على أن لرواية ابن إسحاق أصلاً. ويؤيد ذلك ما ذكرته بأسانيد صحيحة عن قدومهم إلى الرسول ﷺ بخير وإسهامهم لهم فانظره في مكانه من الكتاب.

(٦٥) الصحيح (١٠٨/١ - ١٠٩/ح ١١٦).

(٦٦) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٤/٣٠٣ - ٣٠٤)، ورواه الطبري: التاريخ (٣/١٣٤ - ١٣٦) من طريق ابن إسحاق بإسناد منقطع إذ لم يسم عبد الله من حديثه. ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسحاق، وابن سعد (١/٣٢٧) مختصراً من طريق الواقدي، ويشهد لرواية ابن إسحاق ما ثبت في الروايات الصحيحة عند أهل الحديث عن خبر وفادة فروة.

(٦٧) عزاه إليه ابن كثير: التفسير (٦/٤٩٢). وذكر بعض المحققين أنهم لم يجدوا هذا الحديث في المسند... وقد جرد ابن كثير إسناده، وإن كان فيه أبوجناب الكلبي، وقد تكلموا فيه، ثم قال: «لكن رواه ابن جرير في التفسير (٢٢/٥٣) عن... فذكره».

ولهذا الحديث شاهد من طريق أخرى من حديث ابن أبي حاتم بسنده إلى علي بن رياح فقد أورده ابن كثير في التفسير (٦/٤٩٢) وقال عنه: «فيه غرابة من حيث ذكر أبة» [ولقد كان لسبباً في مسألتهم... والسورة مكية كلها].

(٦٨) الألباني: صحيح الترمذي (٣/٩٥ - ٩٦/ح ٣٤٥٢) وقال الألباني: «حسن صحيح». وانظر الحديث عند: ابن شبة: تاريخ المدينة (٢/٥٤٩ - ٥٥١) من طريقين ضعيفين تنجر الطريق الثانية وتتقوى بحديث أحمد والترمذي.

الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أقاتل بمقبل قومي مدبرهم؟ قال: نعم، فقاتل بمقبل قومك مدبرهم». فلما وليت دعائي فقال: «لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام»... الحديث.

(١٤) وفد كندة: روى ابن إسحاق^(٦٩) أنه قدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كندة في ثمانين راكبا، فدخلوا على رسول الله ﷺ وعليهم ثياب مطرزة بالحرير، فاستنكر ذلك رسول الله ﷺ منهم، لأنهم أسلموا، فشقوه فألقوه، ثم قال له الأشعث: «يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار^(٧٠)، وأنت ابن آكل المرار»، فبسم رسول الله ﷺ، وقال: «ناسوا بهذا النسب: العباس بن عبدالمطلب، وربيعة ابن الحارث» وكانا تاجرين إذا شاعا في العرب فستلا ممن أنتما؟ قال: نحن بنو آكل المرار، يعني يُسبان إلى كندة ليعزا في تلك البلاد، لأن كندة كانوا ملوكا، فاعتقدت كندة أن قريشا منهم، لقول عباس وربيعة... ثم قال رسول الله ﷺ لهم: «لا، نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو^(٧١)» أمنا ولا نتفي من أبينا، فقال لهم الأشعث: «والله يامعشر كندة، لا أسمع رجلا يقوها إلا ضربته ثمانين».

وروى طرفاً من هذا الحديث بإسناد صحيح: الإمام أحمد^(٧٢) وابن ماجه^(٧٣) وابن شبة^(٧٤)، وذلك من قوله ﷺ: «لا، نحن بنو النضر»... إلخ».

(١٥) وفد زبيد: ذكر أهل السير أن عمرو بن معد يكرب قدم على رسول الله ﷺ في أناس من بني زبيد، فأسلم، وله قصة في حروب الردة،

(٦٩) ابن هشام (٣٠٧/٤ - ٣٠٩) من مرسل الزهري.

(٧٠) المرار: نبت إذا أكلته الإبل ارتفعت مشايرها وتقبضت لمرارته.

(٧١) لا نقفو أمنا: أي لا نبعها في نفسها.

(٧٢) المسند (٢١٢/٥)، والفتح الرباني (١٧٧/٢٠) وقال الساعدي: «أخرج ابن ماجه وقال البوصيري

في زوائد ابن ماجه: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات...».

(٧٣) الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (٢/٢) رقم ٢١١٥ - ٢١١٢ وحسنه الألباني وقوى إسناده محقق

زاد المعاد (٦١٨/٣).

(٧٤) تاريخ المدينة (٥٤٧/٢) بإسناد صحيح.

حيث ارتد^(٧٥)، ثم عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه^(٧٦). وقيل إنه لم ير النبي ﷺ استنادا إلى قوله:

إنني بالنبي موقنة نفسي * وإن لم أر النبي عيانا
وقوله:

إن نكن لم نر النبي فإننا * قد تبعنا سبيله إيانا^(٧٧)
وكان وفوده إلى النبي ﷺ سنة تسع^(٧٨)، وقيل سنة عشر فيما ذكره ابن إسحاق والواقدي^(٧٩).

(...) قدوم أعشى بن مازن على النبي ﷺ: - وفادة خاصة: -
قدم على النبي ﷺ رجل يقال له الأعشى، واسمه عبدالله الأعور، من بني مازن، مستجيرا بالرسول ﷺ لرد امرأته الناشز التي عاذت برجل من قومه يدعى مطرف بن نهشل، فنصره الرسول ﷺ بأن كتب إلى مطرف، فدفع مطرف إلى الأعشى زوجته^(٨٠).

وهذه الوفاة تعتبر وفادة في قضية خاصة كما هو واضح من قصتها.
١٦ - ١٧ وفد الأزد، ثم وفد أهل جُرش: قدم صُرْد بن عبدالله الأزدي في وفد من الأزد على رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قبل اليمن، ففعل، فنزل جُرش، وهي يومئذ مدينة حصينة، وبها قبائل من اليمن، وقد انضمت إليهم خُثْعَم،

(٧٥) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٣٠٤/٤ - ٣٠٦)، الطبري: التاريخ (١٣٢/٣ - ١٣٤) من رواية ابن إسحاق عن شيخه عبدالله بن أبي بكر، ولم يصرح فيه بالسجاء، ابن سعد (٣٢٨/١) من رواية الواقدي.

(٧٦) ابن سعد (٣٢٨/١) من طريق الواقدي، وانظر ترجمته في الإصابة (١٨١٣ - ٢١)، والاستيعاب (٥٢٠/٢).

(٧٧) ابن كثير: البداية (٨٢/٥ - ٨٣) وعزاه إلى ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير عنه. (٧٨) و (٧٩) ابن كثير: البداية (٨٢/٥) معلقا.

(٨٠) من رواية عبدالله بن الإمام أحمد، من زيادات المسند، نقلها ابن كثير في البداية (٨٤/٥ - ٨٥) وإسنادها ضعيف. ومن رواية ابن أبي عاصم والبيهقي وابن السكن من نفس طريق عبدالله بن أحمد، نقلها ابن حجر في الإصابة (٥٥٥/٣ - ٥٥٦).

فتحصنوا بها عندما سمعوا بمسير المسلمين، فحاصرهم صرد قريبا من شهر، ثم تركهم، وعندما بلغ جبلا لهم يقال له كُشْرَ ظنوا أنه ولى عنهم منهزما فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه كر عليهم فقتلهم قتلا شديدا.

وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ ينظران أمره، فبينما هما عنده نعى لهما قومهما، فسألاه أن يرفع الله عنهم القتل، وجاءا إلى قومهما فوجدا أن ما قاله لهما الرسول ﷺ قد وقع في الزمان والمكان الذي ذكره لهما الرسول ﷺ فقدم وفد منهم على رسول الله ﷺ فأسلموا^(٨١).

وروى أبو نعيم وأبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبي الحواري عن الداراني عن علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي عن أبيه عن جده سويد بن الحارث، والعسكري والرشاطي وابن عساكر من وجهين آخرين وأبو سعيد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى من وجه آخر، قال: «وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ...» وذكر خصالا أمرهم بها رسل رسول الله ﷺ وخصالا تخلقوا بها في الجاهلية، وزادهم الرسول ﷺ خمسة خصال فكملت عشرين، وهذه الخمسة هي: «فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون» فانصرفوا وقد حفظوا وصيته^(٨٢).

وكان ممن وفد على النبي ﷺ في وفد الأزد خباوة بن مالك الأزدي^(٨٣).

(٨١) من رواية ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٣٠٩/٤ - ٣١١)، ورواه الطبري في التاريخ (١٥٨/٣ - ١٥٩) من طريق ابن إسحاق بإسناد منقطع من حديث شيخه عبدالله بن أبي بكر، وقد صرح بالسبع، وابن سعد (١/٣٣٧ - ٣٣٨) من حديث الواقدي.
(٨٢) أورده بن حجر: الإصابة (٢/٩٨) في ترجمة سويد بن الحارث الأزدي، وسنده ضعيف لأن علقمة ابن يزيد بن سويد لا يعرف، وأثنى بخبر منكر، فلا يحتج به، كما قال الذهبي في الميزان.
(٨٣) ابن الأثير: أسد الغابة (١/٢٩٩ - ٣٠٠).

وعرف هذا الوفد بـ «وفد أزد شنوءة». ولأزدعمان أيضاً وفادة على النبي ﷺ، سنشبر إليها عند ذكر الوفود إجمالاً. وفي هذا انظر: الشامي: سبل الهدى والرشاد (٤٠٢/٦).

(١٨) قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم: قدم على رسول الله ﷺ رسول حمير يحمل كتاباً منهم فيه إعلان إسلامهم، وذلك عند مقدمه من تبوك، وهم: الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان - صاحب ذي رعين ومعاقر وهمدان، وبعث إليه زُرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم، فكتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً فيه ما لهم وما عليهم، وبالأذات أنصبة الزكاة والجزية على من بقي على يهوديته أو نصرانيته، وسمى لهم من أرسله إليهم: معاذ بن جبل وعبدالله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وغيرهم، وأميرهم معاذ، وأوصى بهم برسله خيراً^(٨٤).

وكان ذلك في رمضان سنة تسع من الهجرة^(٨٥).

(١٩) قدوم جرير بن عبدالله البجلي: كان رسول الله ﷺ يخطب في المسجد عندما دخل جرير المدينة، وذكره الرسول ﷺ في خطبته قبل أن يدخل عليهم المسجد، فقال: «يدخل عليكم من هذا الباب - أو من هذا الفج - من خير ذي يمن، إلا أن على وجهه مسحة ملك»^(٨٦). فأسلم على يدي الرسول ﷺ وبايعه^(٨٧). وأكرمه الرسول ﷺ بأن ألبسه حلته، وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»^(٨٨).

(٨٤) ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٣١١/٤ - ٣١٣)، ابن سعد (٢٥٦/١) مختصراً من طريق الواقدي، وعبد الرزاق في المصنف (١٣٦/٤)، والبيهقي: السنن (١٣٠/٤)، كلاهما مختصراً من طريق واحد وبإسناد صحيح.

(٨٥) ابن كثير: البداية والنهاية (٨٦/٥) من رواية الواقدي. (٨٦) أحمد: الفتح الرباني (٢١٦/٢١)، والطبراني، ورجلها فقات. وثبت أيضاً قدوم وفد بجيلة من حديث أبي داود الطيالسي بإسناد صحيح، كما ذكر ابن حجر: الإصابة (٢٢٠/٢) وفيه أن الرسول ﷺ قال: «ابلوا بالأحسين»، ودعا لهم.

(٨٧) البخاري: الفتح (١١/١٤٠ ح/٢٧١٤، ٢٧١٥)، مسلم (٧٥/١ ح/٥٦) وغيرهما - انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٨٩/٥).

(٨٨) البيهقي: الدلائل (٣٤٧/٥) وغيره، وقال ابن كثير في البداية (٨٩/٥): «هذا حديث غريب من هذا الوجه».

والظاهر أن إسلامه كان متأخرا عن الفتح، فإن الإمام أحمد روى عنه قوله: «أسلمت بعدما أنزلت المائدة، وأنا رأيت رسول الله ﷺ يمسح بعدما أسلمت»^(٨٩).

وذكر ابن سعد^(٩٠) أن إسلامه وإسلام من كان معه في الوفد وعددهم مائة وخمسون رجلا^(٩١)، كان في العام العاشر، في رمضان^(٩٢). وهناك روايات أخرى تقول بأن جريرا قدم على النبي ﷺ في مائة رجل من بني بجيلة وبني قُشَيْر^(٩٣)، وقيل وفد في سبعمائة^(٩٤)، وقيل في خمسمائة^(٩٥).

٢٠) وافد حَضْرَمَوْت: وفد على رسول الله ﷺ وائل بن حُجْر، أحد أقبال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم، ويقال إن رسول الله ﷺ بشر أصحابه قبل قدومه به، وقال: «يأتيكم بقية أبناء الملوك»، فلما دخل عليه رحب به وأذناه من نفسه، وقرب مجلسه وبسط له رداءه، وقال: «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده»، واستعمله على الأقبال من حضرموت، وكتب معه ثلاثة كتب، منها: كتاب إلى المهاجر بن أبي أمية وكتاب إلى الأقبال والعياهلة، وأقطعة أرضا، وأرسل معه معاوية ابن أبي سفيان (رضي الله عنه) ليريه إياها، وكان يسير راجلا، وواصل راكبا، فشكا معاوية إليه حر الرمضاء، وطلب أن يردفه معه على الناقة، فزجره قائلا: «اسكت فلست من أرداف الملوك... انتعل ظل الناقة»، وشاء الله أن يفد حجر على معاوية (رضي الله عنه) وهو

(٨٩) ابن كثير: البداية (٩٠/٥) وقال عنه: «تفرد به أحمد وهو إسناد جيد، اللهم إلا أن يكون منقطعا بين مجاهد وبينه».

(٩٠) الطبقات (٣٤٧/١) من طريق الواقدي.

(٩١) وهذا العدد ثابت في: البخاري/ الفتح (١٩١/١٦ - ١٩٢/١٦ ح ٤٣٥٦ - ٤٣٥٧).

(٩٢) ابن شبة: تاريخ المدينة (٣١١/٢ - ٣١٣) من طريق الواقدي.

(٩٣) رواه الحاكم في الإكلیل من حديث البراء بن عازب، كما ذكر ابن حجر: الفتح (١٩١/١٦).

(٩٤) الطبراني، بإسناد ضعيف كما ذكر ابن حجر: الفتح (١٩١/١٦).

(٩٥) ذكره ابن السكن في كتاب الصحابة، كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٩١/١٦) وانظر توجيه ابن حجر هذه الروايات ومحاولة التوفيق بينها.

أمير المؤمنين، فذكره بقصته معه... (٩٦).

وطلب الرسول ﷺ منه أن يصعد إليه على المنبر ففعل، فدعا له، ومسح رأسه، وقال: «اللهم بارك في وائل وولده وولد وولده»، ونودي: الصلاة جامعة، ليجتمع الناس سرورا بقدوم وائل إلى رسول الله ﷺ (٩٧).

(٢١) وفد بني المُنْتَفِق: قدم على رسول الله ﷺ لقيط بن عامر بن المنتفق ومعه صاحب له يدعى نهبك بن عاصم، ودخلا عليه حين انصرف من صلاة الغداة وقام في الناس خطيبا. فعندما فرغ من خطبته تقدم إليه ابن عامر وقال له: يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فأخبره الرسول ﷺ وأخذ يسأله، والرسول ﷺ يجيبه، وذلك كله في حديث طويل (٩٨).

(٢٢) وفد صُداء: روى البيهقي (٩٩) بإسناده إلى زياد بن الحارث الصدائي أنه أتى رسول الله ﷺ فبايعه على الإسلام، وعندما أخبر أن رسول الله ﷺ قد بعث جيشا إلى قومه، طلب من الرسول ﷺ أن يرد الجيش ويأتيه هو بإسلام قومه وطاعتهم، ففعل الرسول ﷺ ما أَرَادَهُ زياد،

(٩٦) ابن عبد البر: الاستيعاب (٦٤٢/٣ - ٦٤٣)، وابن حجر: الإصابة (٦٢٨/٣ - ٦٢٩)، معلقا - أما قصة إقطاع الرسول ﷺ إياه أرضا فقد رواها أبو داود: السنن (٤٤٣/٣ ك. الخراج/ح ٣٠٥٨)، والترمذي: صحيح الترمذي للألباني (٥٢/٢ ك. الطعام/ح ١٤١٢)، وابن شبة: تاريخ المدينة (٥٧٩/٢) من طريق أبي داود. ولم يذكر أبو داود قصة معاوية مع وائل وفي رواية الترمذي أن الرسول ﷺ بعث معاوية مع وائل ليلسمه الأرض المقطوعة له، ولم يرد على ذلك. وفي هذا انظر: مختصر المنذري رقم ٢٩٣٦.

أما تشير الرسول ﷺ به أصحابه قبل مقدمه فقد رواه البيهقي: الدلائل (١٧٥/٥ - ١٧٦) والطبراني كما أشار إليه محقق دلائل النبوة للبيهقي (٣٤٩/٥)، وابن حبان كما أشار إليه ابن حجر، والبرزبار كما أشار إليه محقق دلائل البيهقي (٣٤٩/٥)، والبخاري: التاريخ الكبير (١٧٥/٤) - (١٧٦).

(٩٧) من رواية الطبراني وأبي نعيم، كما ذكر محقق دلائل النبوة للبيهقي (٣٥٠/٥). (٩٨) رواه عبد الله بن الإمام أحمد كما في المسند: (٢١١/٤ - ٢١٢) ونقله عنه ابن كثير: البداية والنهاية (٩١/٥ - ٩٤) وقال عنه ابن كثير: «هذا حديث غريب جدا وألفاظه في بعضها نكارة...».

(٩٩) البيهقي: دلائل النبوة (٣٥٥/٥ - ٣٥٧)، وقال المحقق: «رواه البغوي، وابن عساکر، وحسنه، عن زياد بن الحارث الصدائي، وروى بعضها ابن سعد في الطبقات (٣٦٦/١ - ٣٢٧) وله شواهد ضعيفة في: أبي داود: السنن (٢٨١/٢ ك. الزكاة/ح ١٣٦٠) - وفيه عبد الرحمن الإفريقي. وقد تكلم فيه غير واحد، فهو ضعيف»، الترمذي: السنن (٢٥٣/١ ك. الصلاة/ح ١٩٩/الدعاس)، ابن ماجه: السنن رقم ٧١٧، ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٣١٢، ط. ليدن.

فكتب الصداثي إلى قومه، فجاء وفدهم بإسلامهم فأمره الرسول ﷺ على قومه، وكتب له كتابا بذلك، وأمر له بشيء من صدقاتهم عندما طلب ذلك، وكتب له بذلك كتابا آخر.

وعندما رافق النبي ﷺ في بعض أسفاره سمع منه قوله في أحد العمال حين اشتكت منه رعيته: «لاخير في الإمارة لرجل مؤمن»، وسمع قوله لأحد الناس عندما طلب شيئا من الصدقة: «من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع في الرأس وداء في البطن»، عندما سمع زياد هذا كله رد الكتابين إلى النبي ﷺ، وأمر الرسول ﷺ غيره من أفراد الوفد.

وعندما شاهد زياد معجزة خروج الماء من أصبعي الرسول ﷺ حكى للرسول ﷺ قصة برهم التي يقل ماؤها في الصيف ويكثر في الشتاء، فبرك الرسول ﷺ في سبع حصبات، وطلب أن ترمي واحدة في البئر مع ذكر الله، ففعلوا، فجاشت بالماء صيفا وشتاء، حتى لا يرى قعرها.

وكان مقدم زياد الصداثي على الرسول ﷺ بعد منصرفه من الجعرانة^(١٠٠).
 (٢٣) وفد ثقيف: أرسلت ثقيف وفدا إلى رسول الله ﷺ في رمضان من العام التاسع بعد عودة الرسول ﷺ من تبوك، برئاسة عبدالبيل بن عمرو ومعه ثلاثة من بني مالك واثنان من الأحلاف، فأعلنوا إسلامهم وإسلام قومهم، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا^(١٠١). وطلبوا من

(١٠٠) ابن سعد (٣٢٦/١) من رواية الواقدي، وعنده أن قائد ذلك الجيش كان قيس بن سعد ابن عباد، ومعه أربعائة رجل، وأن وفد صداء الذي قدم كان مكونا من خمسة عشر رجلا.
 انظر قصة خروج زياد مع الرسول ﷺ في سفر وما فيها من الفقه والدروس عند ابن القيم: زاد المعاد (٦٦٤/٣ - ٦٦٩)، وقد اختصرناها كثيرا على الرغم مما بها من الفقه والدروس.
 (١٠١) أورد أبويعيد في الأموال، ص ٢٤٧، وابن زنجويه في الأموال ص ٤٤٢ كتابا طويلا قالا إنه كتاب الرسول ﷺ للثقيف، وهو من مرسل عروة وفي إسناده ضعف بسبب ابن فيعة، وفيه تحريم عضاة وصيد «وج»، وقد أخرج حديث تحريم عضاة وصيد «وج»، وقد أخرج حديث تحريم عضاة وصيد «وج» في المسند (١٦٥/١) وأبو داود في السنن (٤٦٨/١ ك. المناسك) والحميدي في المسند (٣٤/١) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٠/٥). وقام الدكتور فريبي في مرويات غزوة حنين، ص ٧٨٤ - ٧٩٠، بدراسة هذه الأسانيد وكانت خلاصة دراسته أن أحاديث تحريم عضاة وصيد وادي «وج» ضعيفة، لا تقوم بها الحجة على التحريم. والعضاة: شجر له شوك، وهو أنواع، ومفرده: عضه، و «وج»: اسم موضع بالطائف.

الرسول ﷺ تأخير هدم صنمهم اللات لمدة ثلاث سنين، مخافة غضب قومهم، فرفض ذلك الطلب، ولكنه أعفاهم من القيام بذلك، وأوكل أمر ذلك إلى أبي سفيان والمغيرة بن شعبة، وطلبوا إعفاءهم من الصلاة بحجة عدم استساغتهم الركوع والسجود، فأبى عليهم ذلك قائلا: «لا خير في دين لا صلاة فيه»^(١٠٢) واشترطوا إعفاءهم من الزكاة والجهاد، فوافقهم على ذلك، وهو يقول: «ستصدقون ويجهدون إذا أسلموا»^(١٠٣). وسألوه أن يعفيهم من الوضوء بحجة أن بلادهم باردة، وأن يتبنوا في القرع وأن يعيد إليهم أبابكة الثقفي، فأبى عليهم هذا كله^(١٠٤). وأمر عليهم عثان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، لكنه كان أحرصهم على تعلم القرآن والتفقه في الدين^(١٠٥).

وعادوا إلى بلادهم بعد أن مكثوا بالمدينة خمسة عشر يوما. وعاد معهم أبوسفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ليقوما بهدم اللات. وعندما جاءا لتنفيذ المهمة اجتمعت النساء حول اللات يبكين، حتى أتم المغيرة المهمة وأخذ مالللات من الذهب والمال^(١٠٦)، والناس يظنون أن اللات ستأثر لنفسها. وقد سخر المغيرة من هذا الاعتقاد، إذ رمى معوله وركض، فقالوا: تأرت الربة! فضحك، ونصحهم بتوحيد الله، ثم عاد لينجز عمله^(١٠٧).

٢٤) وفادة عبدالرحمن بن أبي عَقِيل مع قومه:
روى البيهقي^(١٠٨) بسنده إلى عبدالرحمن بن أبي عَقِيل قصة وفادته مع

(١٠٢) ابن إسحاق، بإسناد مبطل، ابن هشام (٢٤٩/٤).
(١٠٣) أبو داود: السنن (١٤٦/٢) بإسناد حسن.
(١٠٤) أحمد: المسند (١٦٨/٤)، وقال المهيمن في المجمع (٢٤٥/٤): رجاله ثقات.
(١٠٥) أحمد: المسند (٢١٨/٤)، ابن ماجه: السنن (٣١٦/١)، مسلم (٣٤٢/١ ح ٤٦٨). حيث أشار إلى أمارته.

(١٠٦) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٢٥١/٤).
(١٠٧) من رواية موسى بن عقبة، معلقا، نقلها عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٣٩/٥).
(١٠٨) دلائل النبوة (٣٥٨/٥)، وقال المحقق - الدكتور عبدالمعطي قلعة جي: «رواه ابن منده والطبراني والبرزاري، برجال ثقات...». انظر ترجمة عبدالرحمن هذا في الإصابة (٤١١/٢ - ٤١٢) والاستيعاب (٤١٦/٢ - ٤١٧). نقل ابن كثير في البداية (٩٦/٥ - ٩٧) خبرا فيه غير ماجاه

قومه على رسول الله ﷺ، قال: «انطلقت في وفد إلى رسول الله ﷺ، فأتيناه، فأنخنا بالباب وما في الناس أبغض إلينا من رجل نلج عليه، فلما خرجنا وما في الناس أحب إلينا من رجل دخلنا عليه، فقال قائل منا: يا رسول الله! ألا سألت ربك ملكا كملك سليمان؟ فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: «فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان، لأن الله (عز وجل) لم يبعث نبيا إلا أعطاه دعوة، فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيتها، ومنه من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

ويبدو لي - والله أعلم - أن وفادة عبدالرحمن كانت مع وفد قومه ثقيف كما هو مذكور في مكانه.

(٢٥) وافد بكر: وفد على رسول الله ﷺ الحارث - أو حريث - بن حسان البكري في قضية خاصة، وهي إرادته شكوى العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ لأمر لم تبينه الرواية^(١٠٩). وعند مروره بالريثة، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها، فطلبت منه أن يبلغها الرسول ﷺ فحملها معه إلى المدينة. وعندما أراد الرسول ﷺ أن يجعل الدهناء حاجزا بين تميم وبكر، اعترضت العجوز بحجة أن الدهناء من أرضها، فقال حسان: «إن مثلي ما قال الأول: معزى حلت حتفها. حلت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد...».

وفي قصة وفد شيبان عند ابن سعد^(١١٠) أن حسانا كان قد حمل

==

هنا من رواية البیهقي، ومع ذلك فال محقق دلائل النبوة للبيهقي: «ونقله ابن كثير...» وهو مختلف سنداً ومناً عنه. وأنظر ابن حجر: المطالب العالیة (٣٨٧/٤)، الهیثمی: مجمع الزوائد (٣٧١/١٠) وفد عزاء للطبرانی والیزار وقال الهیثمی: «رجالها ثقات». وزاد البوصیری أيضاً نسبته إلى ابن أبي شبة وقال: «رجالها ثقات...».

(١٠٩) رواها أحمد والترمذی والنسائی وابن ماجه، كما ذكر ابن کثیر في البداية (٩٦/٥ - ٩٧) ونقل رواية الإمام أحمد، وهو خبر صحيح وحسنه الألبانی فی: صحیح الترمذی (١٠٨/٣ - ١٠٩/١) ك. التفسير/ج ٣٥٠٤.

(١١٠) الطبقات (٣١٧/١ - ٣٢١) فی قصة طویلة، بإسناد حسن.

هذه المرأة من ذياره، ديار بني شيبان، وليس من الربذة كما في هذه الرواية. وفي حديثه أن قدومه كان في الوقت الذي أراد فيه الرسول ﷺ أن يبعث عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، في جمادى الثانية من العام الثامن الهجري^(١١١).

(٢٦) وفادة طارق بن عبدالله وقومه: قدم طارق بن عبدالله المحاربي (رضي الله عنه) المدينة، بعيد الهجرة، ومعه جماعة من قومه ليمتاروا من تمرها. وعندما دنوا من حيطان المدينة لقيهم الرسول ﷺ وهم لا يعرفونه، وعرض عليهم بيع جملهم بشيء من تمر، فوافقوا، فأخذه ودخل به المدينة، ثم عاد إليهم بالثمن، بعد أن ندموا على مفارقتها خشية ألا يعود إليهم وهم لا يعرفون عنه شيئاً. وطمأنتهم المرأة التي كانت معهم بحجة أن وجهه ليس وجه كذاب. وعندما دخلوا المسجد وجدوه يخطب في أمر فضل الصدقة، فعرفوه^(١١٢).

ويبدو أن هذه الرواية غير مكتملة، فالذي أرجحه أن هدف طارق وجماعته كان الإسلام والبيع والشراء، وذلك بدليل أنهم كانوا ضمن المسلمين الذين شهدوا خطبة الرسول ﷺ، وأن طارق بن عبدالله من رواة حديث فضل الصدقة الذي سمعه يومذاك^(١١٣).

(٢٧) ولقوم طارق - بني مُحَارِب - وفادة أخرى إلى رسول الله ﷺ في العام العاشر الهجري، عام حجة الوداع. وكان هدفها الأساسي البيعة على الإسلام، وكان عددهم عشرة نفر، فيهم سواد بن الحارث وابنه خزيمه، فأسلموا، وقالوا: «نحن على من وراءنا». وكان في الوفد رجل عرفه الرسول ﷺ لما كان منه ومن قومه من فظاظة أيام كان الرسول ﷺ

(١١١) انظر ابن حجر: الإصابة (٢٧٧/١).

(١١٢) البيهقي: دلائل النبوة (٣٨٠/٥) ويونس بن بكر في زيادات السيرة كما نقله البيهقي: دلائل النبوة (٣٨١/٥)، وقال محقق زاد المعاد (٦٥٠/٣): «وأخرجه الحاكم في المستدرک (٦١١/٢ - ٦١٢)، وسنده قابل للتحصين، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي».

(١١٣) انظره في: النسائي وغيره كما في الإصابة (٢٢٠/٢)، وفي الحديث أنه قدم على النبي ﷺ ثم قصة الحديث في فضل الصدقة واليد العليا... إلخ.

يعرض نفسه على القبائل في المواسم بمكة^(١١٤).

٢٨) وافد فَرَوَة بن عمرو الجَذامي - صاحب بلاد مُعَان: قدم على رسول الله ﷺ مسعود بن سعد وافدا من قبل فروة بن عمرو الجذامي، عامل الروم على معان. وبعث معه فروة هدايا، منها بغلة بيضاء وفرس وحمار، وكتب إليه الرسول ﷺ يبلغه وصول رسوله بخبر إسلامه، وأهدى إليه هدايا. وعندما بلغ ملك الروم خبر إسلام فروة أرسل إليه وأمره بالرجوع عن الإسلام، فرفض فروة، فحبسه ثم صلبه وضرب عنقه^(١١٥).

٢٩) وفادة تميم الداري: كان تميم الداري نصرانيا، وقدم المدينة فأسلم، وذكر للنبي ﷺ قصة الجَسَّاسَة^(١١٦) والدجال، فحدث النبي ﷺ عنه بذلك على المنبر، وعد ذلك من مناقبه^(١١٧)، وقال ابن السككن^(١١٨): أسلم سنة تسع هو وأخوه نعيم. وقال ابن إسحاق^(١١٩): قدم المدينة وغزا مع النبي ﷺ.

٣٠) وفد بني أسد: ذكر ابن سعد^(١٢٠) أنهم قدموا في أول السنة التاسعة، وكانوا عشرة، منهم: ضِرَار بن الأزور ووايصة بن معبد وطلحة ابن خويلد الأسدي، وقال رئيسهم - حَضْرَمِي بن عامر -: «يا رسول الله! أتيناك نتدرك الليل البهيم في سنة شهباء، ولم تبعث إلينا بعثا»، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا، قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا بِمَا نَزَّلْتُكُمْ، بَلِ اللَّهُ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١٢١).

(١١٤) ابن سعد (٢٩٩/١) من رواية الواقدي.

(١١٥) ابن إسحاق، معلقا ابن هشام (٣١٥/٤ - ٣١٦)، ابن سعد (٢٨١/١) بإسناد منقطع، وابن منده وابن شاهين بسند ضعيف، فيها عزاه إليها ابن حجر: الإصابة (٢٠٧/١).

(١١٦) الجساسة: دابة تكون في الجزائر، تحس الأخبار فتأتي بها الدجال.

(١١٧) من رواية مسلم (٢٢٦١/٤ - ٢٢٦٥ ح/٢٢٦٥) مطولا ومختصرا، ورواه غيره.

(١١٨) لورده ابن حجر: الإصابة (١٨٤/١)، معلقا.

(١١٩) انظر المصدر والمكان نفسها.

(١٢٠) الطبقات (٢٩٢/١) من رواية الواقدي.

(١٢١) الحجرات: ١٧.

وروى البزار^(١٢٢) بإسناده إلى ابن عباس، قال: «جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله، أسلمنا وقتلتك العرب ولم نقاتلك». فقال رسول الله ﷺ: «إن فقههم قليل، وإن الشيطان ينطلق على ألسنتهم»، ونزلت هذه الآية: «يؤمنون عليك أن أسلموا... الآية»^(١٢٣).

(٣١) وفد بني قُشَيْرِ بن كعب: قدم وفدهم على رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع وبعد حنين، فأسلموا، وكان فيهم: قُرة بن هُيَيْرَة، وقد أعطاه رسول الله ﷺ شيئاً وكساه برداً، وولاه صدقة قومه، وثُور بن عُروَة، وقد أقطعهم الرسول ﷺ قطيعة وكتب له بها كتاباً، وحَيَّدة بن معاوية ابن قشير^(١٢٤).

وقد روى البيهقي^(١٢٥) بإسناده إلى معاوية بن حيدة القشيري خبراً فيه قدوم معاوية بن حيدة القشيري على رسول الله ﷺ، وسؤاله الرسول ﷺ عن قوله في النساء والعورة^(١٢٦).

وذكر ابن سعد^(١٢٧) أن معاوية بن حيدة بن معاوية القشيري وفد على النبي ﷺ فأسلم وصحبه وسأله عن أشياء، وروى عنه أحاديث، وطلب منه أخوه مالك بن حيدة أن يذهب معه إلى النبي ﷺ ليطلق له جيرانه، وقال إنهم قد أسلموا.

(٣٢) وفد بني الحارث بن كعب: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام - ثلاثاً - قبل أن يقاتلهم،

(١٢٢) ذكره ابن كثير: الضمير (٣٦٩/٧) وإسناده صحيح ورجاله ثقات.
(١٢٣) قال ابن حجر: الإصابة (٣٤١/١): «وروى عمر بن شبة بإسناد صحيح إلى أبي وائل، قال: وفد بنو أسد، فقال لهم النبي ﷺ: «من أنتم؟» قالوا: «نحن بنو الرثبة أحلاس الخيل»، قال: «بل أنتم بنو الرشدة». فقالوا: «لا ندع اسم آبائنا»، فذكر قصة طويلة. قلت: وفي هذا دليل آخر على ثبوت وفادة بني أسد بطريق صحيح.

(١٢٤) ابن سعد (٣٠٣/١) بإسناد منقطع، والمنقطع كما تعلم من أقسام الضعيف.

(١٢٥) دلائل النبوة (٣٧٨/٥ - ٣٨٩) بإسناد ضعيف.
(١٢٦) وحديث العورة رواه أحمد: الفتح الرباني (٨٧/٣) وقال الساعدي: «أخرجه الأربعة وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم».

(١٢٧) الطبقات (٣٥/٧) معلقاً.

ونجح خالد في مهمته، إذ أسلموا بدعوته بلا قتال، ومكث فيهم يعلمهم الإسلام، ثم كتب إليه الرسول ﷺ أن يقدم معه وفدهم، ففعل^(١٢٨).

وعندما جاء وفدهم، ثم عاد إلى بلاده، أرسل الرسول ﷺ إليهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويأخذ منهم الصدقات، وكتب له كتاباً بذلك^(١٢٩).

لقد روى حديث كتاب رسول الله ﷺ لعمر بن حزم، من غير طريق ابن إسحاق: مالك بن أنس (رضي الله عنه)^(١٣٠)، والحاكم^(١٣١)، وابن حبان^(١٣٢)، والبيهقي^(١٣٣) وقال ابن كثير^(١٣٤): «ومن هذا الوجه رواه الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي في سننه مطولاً، وأبو داود في كتاب المراسيل، وقد ذكرت ذلك بأسانيده وألفاظه في السنن...» وقال ابن كثير^(١٣٥): «ورواه أبو داود عن عمرو بن عون الواسطي عن عمارة بن زاذان الصيدلاني عن ثابت البناني عن أنس به...».

قال البيهقي^(١٣٦): «وقد روى سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده [نحو] هذا الحديث موصولاً بزيادات كثيرة، وفي الزكاة والديات وغير ذلك، ونقصان عن بعض ما ذكرناه، وقد ذكرناه في كتاب السنن» - [السنن الكبرى له (٨٩/٤ - ٩٠)، وحسنه].

وقال الذهبي^(١٣٧): «وقد روى سليمان بن داود عن الزهري عن أبي

(١٢٨) و (١٢٩) روى ابن إسحاق قصتهم مطولة بإسناد معلق - ابن هشام (٣١٦/٤ - ٣٢٢)، والطبري: التاريخ (١٦٢/٣ - ١٣٠) من طريق ابن إسحاق موقوفاً على شيخه عبد الله بن أبي بكر ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع.

(١٣٠) الموطأ (١٧٥/٢ - ١٧٦/ك. ذكر العقول/ح ١٦٤٧)، مقتصرًا على بعضه. المستدرک (٣٩٥/١ - ٩٧)، وسكت عنه الحاكم والذهبي.

(١٣٢) موارد الظمان، ص ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(١٣٣) السنن الكبرى (٨٩/٤ - ٩٠).

(١٣٤) البداية والنهاية (٨٨/٥).

(١٣٥) المصدر نفسه (٨٧/٥).

(١٣٦) دلائل النبوة (٤١٣/٥).

(١٣٧) المغازي، ص ٦٩٤.

بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده نحو هذا الحديث موصولا، بزيادات كثيرة في الزكاة، ونقص عما ذكرناه في السنن»، وقال المحقق: «أخرجه البخاري» (١٣٨) مختصرا في كتاب الزكاة ١٣٢/٢ ب. العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري». وقد تكلم الأستاذ محمد عوامة (١٣٩) عن إسناد هذا الحديث بما شفى وكفى، ونص كلامه:

«وأما صحته: فللعلماء كلام طويل فيها، فيميل إلى ضعف إسناده: ابن حزم في «المحل» (٨١/١)، ومواضع أخرى منه، والثوري في «المجموع» (٧٢/٢) والعلاء المارديني في «الجوهر النقي» (٨٦/٤) - ٨٩، والذهبي في «الميزان» (٢٠٢/٢).

«ويرى صحته جبهة من العلماء: الإمام مالك، حيث رواه في «الموطأ» - مرسلا - ... والطحاوي (٤١٩/٢) - اعتمد طريق قيس بن سعد - والحاكم في «المستدرک» (٣٩٥/١)، وابن حبان، حيث رواه في «صحيحه» - انظر: «موارد الظمان»، ص ٢٠٢، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٩٠/٤) وابن العربي في «أحكام القرآن»، (١٧٢٧/٤). «ومن المعاصرين: الشيخ أحمد شاکر في تعليقاته على «المحل» و«الرسالة» للشافعي - المواضع المشار إليها - والشيخ محمد يوسف البنوري في شرحه على الترمذي، «معارف السنن»، قال فيه (١٧٨/٥): «الحديث صحيح، وعلى الأقل حسن لذاته».

«وثمة مسلك آخر لبعض العلماء في قبول هذا الكتاب، وهو كونه مشهورا متلقى بالقبول، نبه إلى هذا ابن حجر في «التلخيص الحبير»، (١٨/٤)، فقال: «وقد صحح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة لا من حيث الإسناد، بل من حيث الشهرة...» وكان الحافظ ابن حجر يميل إلى هذا. وتصحيح الحديث بالشهرة والتلقي له

(١٣٨) الفتح ١١١/٧ - ١١٤/ح ١٤٨٣.

(١٣٩) في تحقيقه لمسد أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز للباغندي، حاشية ص ص ١٧٩ - ١٩٨٠.

بالقبول أمر معروف سائع، انظر تقريره والأدلة عليه في خاتمة «الأجوبة الفاضلة» بتحقيق الشيخ أبي غدة.

«ثم رأيت الحافظ نقل في فتح الباري (٢٤٧/٥) عن جامع سفيان الثوري أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رجع إلى كتاب عمرو ابن حزم وعمل به. وهذا يدل على شهرة كتابه بين الصحابة (رضي الله عنهم) واعتادهم عليه، والله أعلم».

(٣٣) وقد همدان: كان لهمدان وفادتان على النبي ﷺ: الأولى بمكة قبل بيعة العقبة الأولى، وكان وافدهم قيس بن عمرو بن مالك الهمداني الأرحبي، الذي أعلن إسلامه وبايع الرسول ﷺ على قومه وطلب منه الرسول ﷺ نصرة قومه والهجرة إليهم، ولكنهم بعدم استجابتهم لطلب الرسول ﷺ خسروا رتبة عالية في الإسلام، ولقبا عظيمًا يناله قوم، وهو لقب الأنصار، الذي ادخره الله تعالى لأهل المدينة^(١٤٠).

أما المرة الثانية فقد قدم وفد همدان مسلمين على رسول الله ﷺ بالمدينة، منهم: مالك بن نَمَط، وأبو ثور، وهو ذو المشْعَار، ومالك بن أَيْقَع... وكتب رسول الله ﷺ لهمدان كتاباً مع ذي المشعار^(١٤١). وقد ثبت إسلامهم على يد علي بن أبي طالب كما سيأتي.

(٣٤) قدوم الحكم بن حَزْن الكُلْفِي التميمي: قدم على رسول الله ﷺ سابع سبعة أو تاسع تسعة، وعندما أذن لهم في الدخول على الرسول ﷺ، قال: «يا رسول الله! أتيناك لتدعونا بخير»، فدعا لهم بخير، ولبثوا أياماً عند رسول الله ﷺ بالمدينة وشهدوا الجمعة ورأوا الرسول ﷺ يخطب متوكلًا على قوس أو عصا، وسمعوه يقول: «يا أيها الناس إنكم

(١٤٠) روى خبرهم ابن إسحاق بإسناد فيه جهالة - ابن هشام (٣٢٣/٤ - ٣٢٧)، وابن سعد (٣٤١/١) بإسناد منقطع.

(١٤١) انظر القصة كاملة عند ابن سعد (٣٤٠/١ - ٣٤١) من طريق الواقدي، وفيه الكلي وكلامها متروك. وانظر: علي رضوان الأسطل: الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي، ص ١٣٢ - ١٣٦.

- إن تفعلوا، ولن تطيقوا، كل ما أمرتم به ولكن سدّدوا وأبشروا»^(١٤٢).
- (٣٥) وفد عبس: وكانوا تسعة رهط، منهم: ميسرة بن مسروق والحارث ابن الربيع...^(١٤٣)
- (٣٦) وفد بني فزارة: قدم وفدهم في سنة تسع بعد مرجع الرسول ﷺ من تبوك. وكانوا بضعة عشر رجلا، فيهم خَارجَة بن حِصْن والحُر بن قيس ابن حصن^(١٤٤).
- (٣٧) وفد بني مرة: قدموا المدينة حين مرجع الرسول ﷺ من تبوك، وهم ثلاثة عشر رجلا، رأسهم الحارث بن عوف^(١٤٥).
- (٣٨) وفد بني ثعلبة: قدموا عليه حين مرجعه من الجِعْرانة، سنة ثمان، وهم أربعة عشر رجلا^(١٤٦).
- (٣٩) وفد بني كِلَاب: قدموا سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلا، فيهم لَيْبَد ابن ربيعة وَجَّار بن سُلَمَى، وأخبروا الرسول ﷺ بمجهود الضحّاك ابن سفيان في الدعوة بينهم^(١٤٧).
- (٤٠) وفد بني عَقِيل بن كعب: وفيهم: ربيع بن معاوية بن خَفَاجَة ومُطَرِّف ابن عبد الله...، فبايعوا وأسلموا وبايعوه على من وراءهم من قومهم^(١٤٨).
- (٤١) وفد جَعْدَة: جاء عنهم الرُّقَاد بن عمرو، فأعطاه رسول الله ﷺ ضيعة^(١٤٩).
- (٤٢) وفد بني البَكَاء: وفد منهم سنة تسع ثلاثة نفر: معاوية بن ثور وأبنة

(١٤٢) البيهقي: دلائل النبوة (٣٤٥/٥)، أبوداود: السنن (٦٥٨/١ - ٦٥٩/١) ك. الصلاة/ ب. الرجل يخطب على القوس/ ح (١٠٩٦)، أحمد: الفتح الرباني (٩٢/٦ - ٩٣)، وقال الساعاني: «أخرجه أبوداود في سننه وأبويعلى في مسنده والبيهقي في السنن الكبرى، وسنده جيد وصححه ابن خزيمة وابن السكن وحسن إسناده الحافظ ابن حجر»، وانظر أحمد: المسند (٢١٢/٤).

(١٤٣) انظر قصتهم عند ابن سعد (٢٩٥/١ - ٢٩٦) من طريق الكلبي والواقدي.

(١٤٤) ابن سعد (٢٩٧/١ - ٣٠٠) من طريق الواقدي.

(١٤٥) المصدر نفسه.

(١٤٦) المصدر نفسه.

(١٤٧) المصدر نفسه.

(١٤٨) ابن سعد (٣٠١/١ - ٣٠٣) بإسناد ضعيف.

(١٤٩) المصدر نفسه (٣٠٣/١) بإسناد ضعيف.

بشر والفَجَّيْع بن عبدالله، وكتب للفجيج كتابا... (١٥٠)
 (٤٣) وأُفِدَ كِنَانَةُ: هو وإثْلَةُ بن الأَسَقْع اللّيثي، قدم على رسول الله ﷺ مسلما، والرسول ﷺ يتجهز إلى تبوك، ثم عاد إلى قومه فلم يتبعوه، وأقسم والده ألا يكلمه، وأمنت به أخته فجهزته فعاد إلى المدينة ووجد الرسول ﷺ قد صار إلى تبوك، فلاحق به، وبعثه الرسول ﷺ مع خالد ابن الوليد إلى أكيدر دومة (١٥١).

(٤٤) وفد بني عبد بن عدي: كان فيهم الحارث بن أهبان... فأسلموا (١٥٢).

(٤٥) وفد أشجع: قدموا عام الخندق، وهم مائة، رأسهم مسعود بن رُحَيْلَةَ، وقيل قدموا بعد فراغه من بني قريظة، وهم سبعمائة، فوادعهم الرسول ﷺ، ثم أسلموا بعد ذلك (١٥٣).

(٤٦) وافد باهلة: أوفدت باهلة مُطَرِّف بن الكاهن الباهلي إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح، فأسلم وأخذ لقومه أمانا، فكتب له رسول الله ﷺ كتابا في فرائض الصدقات، ثم قدم نهشل بن مالك الوائلي من باهلة، فأسلم، وكتب له الرسول ﷺ ولن أسلم من قومه كتابا فيه شرائع الإسلام (١٥٤).

(٤٧) وفد بني سُلَيْم: قدم منهم قيس بن نُسَيْبَةَ ليسمع من الرسول ﷺ فسمع، فدعاه إلى الإسلام، وعاد إلى قومه ووافى رسول الله ﷺ منهم سبعائة، ويقال ألف، فيهم راشد بن عبدربه، فلقوه بقديد، وهو في طريقه لفتح مكة، فأسلموا وشهدوا معه الفتح وحنينا والطائف، وأعطى رسول الله ﷺ راشد بن عبدربه رهاطا وفيها عين يقال لها عين الرسول، وكان راشد يسدن صنما لبني سليم، فرأى يوما ثعلبين يبولان عليه، فقال:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعلاب (١٥٥)

(١٥٠) إلى (١٥٤) ابن سعد (١/٣٠٣ - ٣١٥) بإسناد ضعيف.
 أما خبر وفاة بني عبد بن عدي فقد رواه أيضا المدائني وابن عساكر عن ابن عباس (رضي الله عنه) وغيره، كما ذكر الشامي في السيرة (٧/٥٥٧).

(٤٨) وفد بني هلال بن عامر: كان فيهم عبدعوف بن أصرم، فسماه النبي ﷺ عبدالله. (١٥٦).

(٤٩) وفد بني بكر بن وائل: انهم لما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن قُس ابن ساعدة، فقال: ليس ذاك منكم، ذاك رجل من إياد تحنف في الجاهلية، فوافي عكاظ والناس مجتمعون، فكلّمهم بكلامه الذي حفظ عنه. وكان فيهم بشير بن الحَصَاصِيَّة وعبدالله بن مَرْتَد وحسان بن حَوط. (١٥٧).

(٥٠) وفد تغلب: وكانوا ستة عشر رجلا، مسلمين ونصارى، فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن يقرهم على دينهم على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم. (١٥٨).

(٥١) وافدة بني العنبر: قدمت عليه قَيْلَة بنت مَحْرَمَة التميمية ثم من بني العنبر في أول الإسلام، في صحبة الحارث - أو حريث - بن حسان الشيباني وافد بني بكر بن وائل إلى رسول الله ﷺ، فأسلمت، وكتب لها رسول الله ﷺ كتابا. وها قصة طويلة عن هجرتها الى الرسول ﷺ مع الحارث بن حسان، ذكرت خلاصتها في وفد بني بكر (١٥٩).

(٥٢) وفد حُجَيْب: قدم وفداهم سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلا، وساقوا معهم صدقات أموالهم فسر رسول الله ﷺ بهم، وأعطاهم أكثر مما كان يجيز به الوفد. (١٦٠).

(٥٣) وفد خولان: وكانوا عشرة، وكان قدومهم في شعبان سنة عشر، فذكروا أنهم مسلمون وأنهم على من وراءهم من قومهم، وسألهم النبي ﷺ عن صنمهم «عم أنس» فقالوا إن الله أبدلهم به ما جاء به الرسول ﷺ.

(١٥٥) و (١٥٦) و (١٥٧) المرجع السابق نفسه، ابن سعد (٣٠٣/١ - ٣١٥) بإسناد ضعيف.
(١٥٨) و (١٥٩) و (١٦٠) من رواية ابن سعد (٣١٦/١ - ٣٥٩) بإسناد ضعيف أو ضعيف جدا.
وثبت وفاة أزد عيان من غير طريق ابن سعد، فقد ذكرها أحمد بإسناد حسن كما قال الشامي في سبل الهدى والرشاد (٤٠٢/٧).

وأَنهم سيهدمونه عندما يرجعون، وفعلوا ذلك^(١٦١).
 من بين الوفود التي قدمت على رسول الله ﷺ غير التي ذكرنا:
 ٥٤) وفد خَوْلَان من بلاد اليمن، قدموا في شعبان سنة عشر من
 الهجرة^(١٦٢).

٥٥) وفد جُفَيفِي^(١٦٣) ٥٦) وفد زُبَيْد^(١٦٤)، ٥٧) وفد الصَّدِف^(١٦٥)،
 ٥٨) وفد خشيين^(١٦٦)، ٥٩) وفد سَعْدٌ هُذَيْم^(١٦٧)، ٦٠) وفد بَلِي^(١٦٨)،
 ٦١) وفد عذرة^(١٦٩)، ٦٢) وفد سَلَامَان^(١٧٠)، ٦٣) وفد بَهْرَاء^(١٧١)،
 ٦٤) وفد جهينة^(١٧٢)، ٦٥) وفد كَلْب^(١٧٣)، ٦٦) وفد جرم^(١٧٤)،
 ٦٧) وفد غسان^(١٧٥)، ٦٨) وفد سعد العشيرة^(١٧٦)، ٦٩) وفد عنس^(١٧٧)،
 ٧٠) وفد الرهاويين من مذحج^(١٧٨)، ٧١) وفد غامد^(١٧٩)،
 ٧٢) وفد النخع^(١٨٠)، ٧٣) وفد أزد عمان^(١٨١)، ٧٤) وفد خثعم^(١٨٢)،
 ٧٥) وفد غافق^(١٨٣)، ٧٦) وفد بارق^(١٨٤)، ٧٧) وفد ثماله والحدان^(١٨٥)،
 ٧٨) وفد أسلم^(١٨٦)، ٧٩) وفد جذام^(١٨٧)، ٨٠) وفد مهرة^(١٨٨)،
 ٨١) وفد جيشان^(١٨٩)، ٨٢) وفد جماع جبل تامة، وكانوا جماعة من العبيد
 من كنانة ومزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم، غصبوا المارة، وكتب اليهم
 الرسول ﷺ كتابا أمنهم فيه، وقال فيه: « فعيدهم حر ومولاهم محمد، ومن
 كان منهم من قبيلة لم يرد إليها... »^(١٩٠) ٨٣) وفد مذحج^(١٩١)، ٨٤) وفد
 بني نهدي من غور تامة^(١٩٢)، ٨٥) وفد بني نمير^(١٩٣)، ٨٦) وفد

(١٦١) الى (١٨٩) من رواية ابن سعد (٣١٦/١ - ٣٥٩) بإسناد ضعيف أو ضعيف جدا.
 (١٩٠) ابن سعد (٢٧٨/١) من طريق الواقدي - أي بإسناد ضعيف.
 (١٩١) عمر بن شبة: تاريخ المدينة المنورة (٥٥٢/٢ - ٥٥٩)، من مراسيل الشامي.
 (١٩٢) المصدر نفسه (٥٥٩/٢) بإسناد فيه عمرو بن واقد وهو متروك وعروة بن رويم، وهو صدوق، يرسل.
 (١٩٣) المصدر نفسه (٥٩٢/٢) بإسناد ضعيف للانقطاع، وقال ابن حجر: الإصابة (٢٣٣/٣) إن البخاري روى في تاريخه بعض حديث وفد نمير هذا، وإسناد البخاري في تاريخه ضعيف، لضعف فضيل بن سليمان، يخطئ كثيرا، وشيخه سكت عليه ابن أبي حاتم.

السباع^(١٩٤)، ٨٧) وقد الجن^(١٩٥)، الذين قدموا عليه بمكة، ٨٨) وقد هوازن، الذي قدم على الرسول ﷺ بالجعمرانة حين منصرفه عن الطائف^(١٩٦)، ٨٩) وقد ثعلبة^(١٩٧)، ٩٠) وفادة أسيد بن أبي أناس، وقد جاء النبي ﷺ تائباً بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه^(١٩٨)، ٩١) وقد بني سحيم^(١٩٩)، ٩٢) وقد بني سدوس^(٢٠٠)، ٩٣) وفادة أبي صفرة^(٢٠١)، ٩٤) وقد عَنَزَة، وفيهم سلمة ابن سعد^(٢٠٢)، وقال عنهم رسول الله ﷺ ذات يوم: «... حي ههنا مبغي عليهم منصورون»^(٢٠٣)، ٩٥) وفود ربيعة ابن رواء العنسي^(٢٠٤)، ٩٦) وفود قيس بن عاصم^(٢٠٥).

أحكام وعبر وفوائد من أخبار الوفود:

١ - إن في أخبار وفود هذه القبائل على الرسول ﷺ لدليلاً واضحاً على مدى

(١٩٤) ابن سعد (٣٥٩/١) من حديث الواقدي، وما يدل على أن معجزة تكليم السباع للإنس قد تكررت، فقد أورد ابن كثير في البداية (١٠٨/٥) حديثاً رواه أحمد والترمذي في خبر اللب الذي ألقى على ذنبه وأخذ يكلم الراعي، وفيه إخباره الراعي بأن عمداً بالمدينة يحكي خبر الأوائل، وقال الترمذي: «حسن غريب صحيح»، وقال ابن كثير: «وهو إسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه».

(١٩٥) انظر خبرهم في ابن كثير: التفسير (٢٧٢/٧ - ٢٨٧)، الآية (٢٩) من سورة الأحقاف: «وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن»، وقد ثبت خبر وفادتهم بطرق صحيحة عند البخاري ومسلم وأحمد وغيرهما، مثلاً: البخاري/ الفتح (١٥/١٥ ح/ ٣٨٦٠)، مسلم (٣٣١/١) - ٣٣٣ ح/ ٤٤٩ - ٤٥٠.

(١٩٦) سبق ذكره عند الكلام على غنائم حنين.

(١٩٧) انظر: ابن سعد الطبقات (٢٩٨/١) من رواية الواقدي.

(١٩٨) انظر ذلك في ترجمته عند ابن الأثير: أسد الغابة (٨٩/١ - ٩٠) وابن حجر: الإصابة (٤٧/١). وقال ابن حجر: «روى قصته ابن شاهين من طريق المدائني عن رجاله من طرق كثيرة إلى ابن عباس وغيره...».

(١٩٩) من رواية المشاطي عن أبي عبيدة (رضي الله عنه) كما قال الشامي في سيرته (٥٢١/٦).

(٢٠٠) من رواية البراء عن عبد الله بن الأسود (رضي الله عنه) كما نقله الشامي في سيرته (٥٢٢/٦).

(٢٠١) من رواية ابن سنده وابن عساكر والديلمي... كما نقله الشامي في سيرته (٥٣٧/٧).

(٢٠٢) ورد خبر وفادتهم في ترجمة سلمة بن سعد في أسد الغابة (٣٣٦/٢)، والإصابة (٦٥/٢).

(٢٠٣) رواه أبو يعلى برجال ثقات والبيزار والطبراني والإمام أحمد، كما قال الشامي في السيرة (٥٩٣/٦).

(٢٠٤) ابن الأثير: أسد الغابة (١٦٨/٢)، ابن حجر: الإصابة (٥٠٨/١) وقال ابن حجر: «ذكره الطبراني وغيره وأخرج من طريق عيسى بن محمد بن عبد العزيز ابن أبي بكر بن محمد عن أبيه عن عبد العزيز عن أبيه»، وانظر ابن سعد (١٠٦/٢).

(٢٠٥) من رواية الطبراني بسند جيد عن قيس بن عاصم، كما ذكر الشامي في السيرة (٦١٣/٦) وانظر ترجمته في: أسد الغابة (٢١٩/٤ - ٢٢١)، والإصابة (٥٢/٣) وابن سعد (٦٠/٢).

انتشار الإسلام في الجزيرة العربية في حياة الرسول ﷺ وتوحيد الجزيرة العربية تحت راية واحدة هي راية الإسلام والدولة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢ - إن في تدفق هذه الوفود على المدينة لدليلاً على وفاء الله بوعده النصر الذي وعده نبيه .

٣ - إن من حسن السياسة وأدب الإسلام وأخلاقه احترام ممثلي الشعوب أو القبائل وإكرامهم، وذلك بدليل ماكان يفعله الرسول ﷺ مع الوفود من الضيافة وحسن الاستقبال وإجزال العطاء .

٤ - جواز إنزال المشرك في المسجد إذا كان يرجى إسلامه وهدايته، فقد علمنا أن النبي ﷺ كان يستقبل وفد ثقيف في مسجده لمحدثهم وتعليمهم، وإذا كان هذا جائزاً للمشرك، فجوازه للكتابي أولى . وقد استقبل النبي ﷺ وفد نصارى نجران بالمسجد . قال الزركشي (٢٠٦):
واعلم أن الرافعي والنووي (رحمهما الله) أطلقا أنه يجوز للكافر أن يدخل المساجد غير الحرم بإذن المسلم، بقيود:

أحدها: أن لا يكون قد شرط عليه في عقد الذمة عدم الدخول .
ثانيها: أن يكون المسلم الذي أذن له مكلفاً، كامل الأهلية .
ثالثها: أن يكون دخوله لسبب القرآن أو علم ورجي إسلامه، أو دخل لإصلاح بنيان ونحوه .

(٢٠٦) إعلام الساجد في أحكام المساجد، ص ص ٣١٩ - ٣٢١، باختصار.

الفصل السابع والعشرون

الأحداث والسرايا والبعوث بين غزوة تبوك والمرض والوفاة:

المبحث الأول: حجة أبي بكر (رضي الله عنه):

أمر الرسول ﷺ أبا بكر على الحج في العام التاسع الهجري، فخرج في ذي الحجة إلى مكة^(١)، ومعه ثلثائة من الصحابة، ومعهم عشرون بدنة، ومع أبي بكر خمس بدنان^(٢).

وعندما فصل ركب الحجاج عن المدينة نزلت سورة براءة، فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب بصدرها ليعلمها على الناس في يوم النحر بمنى، وقال: «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي»^(٣).

وعندما رأى أوبكر عليا قال له: «أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور»، ثم مضيا^(٤). وكان رهط من الصحابة، متهم أبوهريه، يساعد عليا في النداء بآيات براءة المطلوب تبليغها للناس، ويعلنون في الناس أمر الرسول ﷺ: «أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله أو أمده إلى أربعة أشهر، فإذا مضت أربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج البيت بعد العام مشرك»^(٥).

(١) البخاري/ الفتح (٢٠٤/١٦) ح ٤٣٦٣، وجزم به ابن حجر في الفتح (٢٠٤/١٦) مسلم (٩٨٢/٢) ح (١٣٧٤)، ابن إسحاق، معلقاً - ابن هشام (٢٥٣/٤)، ابن سعد (١٦٨/٢) من رواية الواقدي.

(٢) ابن سعد (١٦٨/٢) من رواية الواقدي.

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن لكنه من مرسل محمد بن علي الباقر - ابن هشام (٢٥٦/٤)، وله شاهد يتقوى به وهو حديث الإمام أحمد: الفتح الرباني (٢١٢/٢١) عن أنس، وذكر الساعاتي أن الترمذي رواه أيضاً، وقال: «حسن غريب».

(٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ولكنه مرسل - ابن هشام (٢٥٦/٤).

(٥) البخاري/ الفتح (٢٠٤/١٦) ح ٤٣٦٣، مسلم (٩٨٢/٢) ح ١٣٤٧، وقد اقتصرنا على ذكر عدم الإذن بحج المشركين والعمرى في الطواف، ورواه كاملاً أحمد، الفتح الرباني (٢١١/٢١) بإسناد صحيح، والترمذي: السنن (١١٦/٤) وصححه. وانتظر رأي الطبري في أمر هذه المدة في التفسير (٩٥/١٤ - ١٠٢) ورأي ابن كثير: البداية (٤٤/٥). وكان هذا الإعلان بمثابة نهاية الوثنية في الجزيرة العربية.

وقد ذكر الإمام البغوي^(٦) قول العلماء في سبب بعث النبي ﷺ علياً ليقرأ صدر سورة براءة على الناس في الحج ويعلمهم بأمر الرسول ﷺ في ذلك، هو أن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيدهم أو رجل من رهطه، فبعث علياً دفعاً للعلة ولثلاً يقولوا: هذا خلاف ما نعرفه فينا في إلغاء العهد.

المبحث الثاني: بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن:

بعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، كل منهما على جهة، وأوصاهما قائلاً: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاولا»^(٧)، وقال لمعاذ: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات، في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»^(٨). وعندما خرج معاذ خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ، عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري»، فبكى معاذ جزعاً لفراق رسول الله ﷺ، وفي لفظ، فقال النبي ﷺ: «لا تبك يا معاذ، للبكاء أوان، إن البكاء من الشيطان»، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة، فقال: «إن أولى بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»^(٩)، وبين له أنصبه الزكاة^(١٠).

(٦) التفسير ٤٩/٣/ بهامش تفسير الخازن، ونقله عنه الساعاتي: الفتح الرباني (٢١٢/٢١).

(٧) البخاري/ الفتح ١٧٩/١٦ - ١٨١/١٨١ ح ٤٣٤١ - ٤٣٤٥) واللفظ له، وسلم (١٥٨٧/٣ ح ١٧٣٣).

(٨) البخاري/ الفتح (١١٨٣/١٦ ح ٤٣٤٧)، قال ابن كثير في البداية (١١٣/٥): «وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق متعددة».

(٩) أحمد: الفتح الرباني (٢١٥/٢١) وقال الساعاتي: «وسنده جيد ورجاله ثقات... وانظر أحاديث بعث معاذ وأبي موسى إلى اليمن عند البيهقي: الدلائل (٤٠١/٥ - ٤٠٨).

(١٠) أحمد: المسند (١١٥/٥) والفتح الرباني (٢١٩/٨ - ٢٢٠) وقال الساعاتي في ترجمته: «أخرجه

وقال الرسول ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «كيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟» قال: «أقضي بها في كتاب الله»، قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: «فبسنة رسول الله ﷺ»، قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟» قال: «اجتهد وإني لا آلو»، فضرب رسول الله ﷺ صدره ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ»^(١١).

المبحث الثالث: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن:

بعث الرسول ﷺ خالدا بن الوليد إلى اليمن، ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه. وكان من ضمن مهامه أن يقبض الخمس. وعندما أخبر النبي ﷺ عليا بما يريد قال علي: «يارسول الله، إنك تبعثني إلى قوم هم أسن مني لأقضي بينهم»، فقال النبي ﷺ «أذهب، فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدي قلبك»^(١٢)، ثم أوصاه قائلا: «إذا تقدم إليك خصمان فلا تسمع كلام الأول حتى تسمع كلام الآخر، فسوف ترى كيف تقضي، فقال علي: فإزلت بعد ذلك قاضيا»^(١٣).

ثم قال النبي ﷺ لعلي: «مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب

==

الأربعة وابن حبان والدارقطني والحاكم، وصححه ابن حبان والحاكم... إلخ، وأبو داود: السنن (٢/٢٣٤ - ٢٣٥ / الزكاة/ ح ١٥٧٦) (من حديث أبي معاوية والسائي: السنن (٥/٣ - ٤ / الزكاة/ ب. وجوب الزكاة) وليس فيه ذكر الأنصبة، من حديث محمد بن إسحاق عن الأعمش كذلك، وأهل السنن الأربعة من طرق عن معاذ، انظر مثلا: الترمذي (ح ٦٢٣) وقال: «حسن».

(١١) ممن أخرجه أبو داود: السنن: (١٨ - ١٩ / ك. الأفضية/ ب. اجتهد الرأي في القضاء/ ح ٣٥٩٢)، الترمذي: السنن (٨/٥ / ك. الأحكام/ ب. ما جاء في القاضي كيف يقضي/ ح ١٣٢٧) من حديث شعبة به، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي يستعمل. وقال ابن كثير: البداية (١١٧/٥): «وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه، إلا أنه من طريق محمد بن سعد بن حسان، وهو المصلوب، أحد الكذابين». وقال الدعاس: «بحق سنن الترمذي: وفي المعارضة (٧٢/٦) اختلف الناس في هذا الحديث، فتمهم من قال إنه لا يصح، ومنهم من قال هو صحيح، والذين القول بصحته، فإنه حديث مشهور برويه شعبة بن الحجاج، رواه عن جماعة من الرفقاء والأئمة، منهم يحيى بن سعيد وابن المبارك والطائسي والحارث بن عمرو، والحذلي، وإن لم يعرف إلا بهذا الحديث فكفى برواية شعبة عنه وغاية خطئه من مرتبة أن يكون من الأفراد ولا يقدح ذلك فيه، ولا أحد من أصحاب معاذ مجهولا...».

(١٢) أبو داود: السنن (١١/١٤ - ١٢ / ك. الأفضية/ ب. كيف القضاء/ ح ٣٥٨٢). أحمد: المسند (٢/٧٣٣ / ح ٦٦٦ / شاكراً. وقال شاكراً «إسناده صحيح» و (٢/٥٣٣ / ح ٦٦٦ / شاكراً) بنحوه وإسناده منقطع، وقال في آخره: «فما شككت في قضاء بين اثنين بعده».

(١٣) أحمد: المسند (٢/٨٣٣ / ح ٦٩٠ / شاكراً)، وقال شاكراً: «إسناده صحيح».

معك فليعقب، ومن شاء فليقبل^(١٤)، ومكث علي ومن معه باليمن إلى أن قدم حاجا إلى مكة فوافى النبي ﷺ في حجة الوداع^(١٥).

وقد ضرب علي أروع الأمثلة في أداء الأمانة التي أنيطت به، ومن أمثلة ذلك أن أصحابه عندما طلبوا منه أن يركبوا ويرموا على إبل الصدقة بحجة أن يابلهم خللا وضعفا، أبى عليهم ذلك، وقال: «إننا لكم منها سهم كما للمسلمين». وعندما ذهب إلى الحج سأل أصحابه خليفته ما كان علي منعهم إياه، فوافق على ذلك، فلما جاء علي عرف أن الإبل قد ركبت، فذم خليفته ولامه، وعد بعض أصحاب علي ذلك منه غلظة وتضييقا، فشكاه أبوسعيد الخدري إلى النبي ﷺ، فوافق الرسول ﷺ على هذا المسلك من علي، فندم الخدري على شكواه، وقال: «... والله لا أذكره بسوء أبدا سرا ولا علانية»^(١٦)، وعندما اشتكى الجند عليا بحجة اشتداده في معاملتهم، قال: «أيها الناس، لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يشكى»^(١٧)، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(١٨)، وفي رواية «فمن كنت مولاه فإن عليا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(١٩)، وكان ذلك عندما استرجع عليّ خللا وزعها عليهم نائبه، فاشتكوه، فقام الرسول ﷺ خطيبا في الناس في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بغدير خم حين منصرفه من الحج.

لقد نجح علي (رضي الله عنه) في المهمة التي لم ينجح فيها خالد (رضي

(١٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٨٤ - ١٨٥ ح/ ٤٣٤٩).

(١٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٩٠ - ٤٣٥٣ ح/ ٤٣٥٤)، مسلم (٢/ ٨٨٨ ح/ ١٢١٨).

(١٦) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٩٨ - ٣٩٩) مطولا، أحمد: المسند (٣/ ٨٦)، مختصرا وأورد ابن كثير في البداية (٥/ ١٢٠) رواية البيهقي وقال عنها: «وهذا إسناد جيد على شرط النسائي ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة».

(١٧) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٣٣٣).

(١٨) ابن كثير: البداية (٥/ ٢٣٤) وعزاه لأحمد وقال: «وكذا رواه النسائي... بإسناده نحوه، وهذا إسناد جيد قوي، ورجاله كلهم ثقات».

(١٩) رواه ابن كثير في البداية (٥/ ٢٣٥) من عدة طرق، قال في إحداها: «تفرد به النسائي من هذا الوجه قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح» وقال في أخرى (٥/ ٢٣٨): «من رواية أحمد: «وهذا إسناد جيد ورجاله ثقات على شرط السنن». وانظر: ابن كثير: البداية (٥/ ٢٣٤ - ٢٤٠) عن مناقشة روايات هذا الحديث.

الله عنه). فقد أقام خالد ستة أشهر يدعو الناس إلى الإسلام فلم يجيبوه، وعندما قدم علي اليمن ودعا همدان إلى الإسلام أجابوه جميعا، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه، فقال: «السلام على همدان، السلام على همدان» (٢٠).

المبحث الرابع: سرية جرير بن عبدالله البجلي إلى ذي الخَلَصَة:

كان لختعم وبجيلة بيت في الجاهلية يقال له «ذو الخلصة» و«الكعبة البمانية» و«الكعبة الشامية». فعندما قدم جرير بن عبدالله البجلي في وفد قومه، إلى الرسول ﷺ بالمدينة قال له الرسول: «ألا تريخني من ذي الخلصة؟» فشكا إليه جرير أنه لا يثبت على الخيل، فضرب ﷺ بيده على صدره، وقال «اللهم ثبته، واجعله هاديا مهديا». فنفر جرير في مائة وخمسين راكبا فكسروه وقتلوا من عنده، وأرسل جرير أبا أرطاة حصين بن ربيعة الأحمسي بالخبر إلى النبي ﷺ، فدعا لهم عامة ولأحمس، إخوة بجيلة - رهط جرير - بصفة خاصة (٢١).

فوائد من هذه السرية:

- ١ - إن في خبر هذه السرية ما يدل على مشروعية ازالة ما يفتن الناس من بناء وغيره (٢٢).
- ٢ - ينبغي لاهل الخير أن يدعوا بالثبات لمن لا يثبت على الخيل (٢٣)، أو غيرها من وسائل الجهاد، مثل استخدام الصواريخ وما يشبهها من أدوات الحرب في زماننا هذا وغيره.
- ٣ - وفيه إشارة إلى فضيلة ركوب الخيل والثبات عليها (٢٤). ويمكن أن يقاس

(٢٠) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٩٦/٥ - ٣٩٧)، وقال: «أخرجه البخاري/ مختصرا من وجه آخر عن إبراهيم بن يوسف»، وأصل هذا الحديث في: البخاري/ الفتوح (١٦/١٨٤ ح ٤٣٤٩)، وقال محقق زاد المعاد (٦٢٣/٣): «وسجود الشكر في تمام الحديث صحيح على شرطه».

(٢١) البخاري/ الفتوح (١٦/٢٩٠ - ١٩٣ ح ٤٣٥٥ - ٤٣٥٧)، مسلم (٤/١٩٢٥ ح ٢٤٧٦). وبمانية باعتبار كون ذي الخلصة كانت باليمن وشامية باعتبار جملهم بابها مقابل الشام - انظر ابن حجر: (١٩٠/١٦ - ٩١).

(٢٢) و (٢٣) و (٢٤) انظر فيه ابن حجر: الفتوح (١٦/١٩٤).

على ذلك فضيلة ركوب الدبابة والطائرة وغيرها من وسائل الحرب في زماننا هذا.

٤ - استمالة نفوس القوم بتأثير من هو منهم، وقد فعل الرسول ﷺ ذلك كثيرا، وكذلك الاستمالة بالدعاء والثناء والبيشارة في الفتوح^(٢٥).

المبحث الخامس: حجة الوداع:

ذكروا أن الله تعالى فرض الحج في العام العاشر أو التاسع أو السادس، وقبل الهجرة، وهو غريب^(٢٦). وجزم ابن القيم^(٢٧) بأن فرضه كان في العام العاشر لقوة الأدلة على ذلك، وهو اللائق بهديه في عدم تأخير ماهو فرض، لأن الله يقول ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾^(٢٨). وقد نزلت عام الوفود، أوآخر سنة تسع.

ولم يحج الرسول ﷺ من المدينة غير حجته التي كانت في العام العاشر، وعرفت هذه الحجة بحجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع، لأنه (عليه الصلاة والسلام) ودع الناس فيها ولم يحج بعدها، وحجة البلاغ، لأنه عليه السلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملاً، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عليه وهو واقف بعرفة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت

عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^{(٢٩)(٣٠)}. وعندما أعلن الرسول ﷺ عزمه على الحج في العام العاشر، قدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتبس أن يأتي برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله^(٣١).

وخرج من المدينة خمس بقين من ذي القعدة^(٣٢)، ووقعت له في مسيره

(٢٥) انظر فيه ابن حجر: الفتح (١٦/١٩٤).

(٢٦) ابن كثير: البداية (٥/١٢٣).

(٢٧) زاد المعاد (٣/٥٩٥).

(٢٨) آل عمران: ٩٧.

(٢٩) المائدة: ٣.

(٣٠) البخاري/ الفتح (١٦/٢٣٥ ح/ ٤٤٠٧)، وانظر ابن كثير: البداية (٥/١٢٣).

(٣١) مسلم (٢/١٨٨٧ ح/ ١٢١٨).

(٣٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/٣٣٠) وجود ابن كثير في البداية (٥/١٢٥) هذا الإسناد.

هذا ورجوعه أحداث كثيرة^(٣٣)، مكانها أبواب الحج من كتب فقه العبادات، وقد أفرد لها العلماء قديما وحديثا كتباً خاصة^(٣٤)، تناولوا ماجاء فيها من مناسك الحج وأحكامه، ووصايا الرسول ﷺ للأمة. ومن أشهر خطبه في هذه الحجة تلك الخطبة التي ألقاها في وسط أيام التشريق، وما قاله فيها: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث - (كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل) - وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبدالمطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعد إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك، فقال اللهم اشهد» - ثلاث مرات^(٣٥).

وقال ﷺ في خطبة خلال تلك الحجة: «... ويلكم أو يحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٣٦)، وقال: «... إن

(٣٣) انظر في ذلك مثلا ابن كثير: البداية (٢٢٣/٥ - ٢٢٣ - ٢٢٣).
(٣٤) من القدماء: ابن حزم، ومن المحدثين المعاصرين الشيخ الألباني، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والدكتور فاروق حمادة، تحت عنوان: (الوصية النبوية للأمة الإسلامية)، فقد جمع من المصادر الأدبية والحديثية وكتب أهل السير ثمانية وثلاثين بندا، ثم قام بتحليلها وتخرجها وتوثيق نصوصها بميزان الجرح والتعديل الذي اعتمدته أئمة المسلمين منذ الصدر الأول لأن الأمر دين وشرع كما قال. وقد أجاد وأفاد.

(٣٥) مسلم (٨٨٩/٢ - ٨٩٠/٢) ح/١٢١٨ من حديث جابر الطويل المشهور في حجة الوداع.
(٣٦) البخاري/ الفتح (١٣٣/١٦) ح/٤٤٠٣، مسلم (٨٢/١) ح/٦٥ - ٦٦. وانظر أحكام الحج الواردة في حجة الوداع عند: البخاري/ الفتح (١٦) ك. المغازي/ ب. حجة الوداع. الأبواب المختلفة ومسلم (٨٣٤/٢) ح/١٠١٧/١٠١٧، ك. الحج/ الأبواب المختلفة أحمد: الفتح الرباني (٢١٠/١٢ - ٢١٢)، ابن اسحاق - معلقا - ابن هشام (٣٣٣/٤ - ٣٣٧)، البيهقي: دلائل النبوة (٥/٤٣٢ - ٤٥٢)، ابن القيم: زاد المعاد (١٠١/٢ - ٣١١). وذلك إضافة إلى كتب الأقدمين والمعاصرين التي أشرنا إليها.

الشیطان قد یئس أن یعبد بأرضکم هذه، ولكنه رضي أن یطاع فیها سوى ذلك مما تخاورون من أعمالکم، فاحذروا أيها الناس، إني قد ترکت فیکم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: کتاب الله، وسنة نبیه، إن کل مسلم أخو المسلم، المسلمون إخوة، ولا یحل لامریء من مال أخیه إلا ما أعطاه من طیب نفس...» (٣٧).

المبحث السادس: أحكام ومبادئ وعبر من حجة الوداع:

١ - أراد الرسول ﷺ أن يتعلم الناس منه كيفية أداء الرکن الخامس من أركان الإسلام، الحج، بعد أن حرم التقالید الجاهلیة المتوارثة أيام الحج من تصدیه وصفیر وعري أثناء الطواف، وقضى على الأوثان وطهر البيت الحرام منها.

٢ - وأراد أن يلتقي في هذه الحجة بالمسلمین الذين تقاطروا إليه من کل حذب وصوب، ویلخص لهم تعالیم الإسلام ونظامه في کلمات جامعة مختصرة، ومحملهم أمانة تبليغها إلى من لم تبلغه من البشر في کل أصقاع الدنيا في الحاضر والمستقبل، وإلى ان یرث الله الأرض ومن علیها. ویؤدي فريضة الحج لیبين للناس عملياً هذا الرکن الخامس من أركان الإسلام. ولذا فقد تضمنت خطبه ﷺ في هذه الحجة لكل أحكام الحج، وأوصی الأمة بأهم مبادئ الإسلام وأسس.

وأهم حديث وردت فيه أحكام حجة النبي ﷺ ووصایاه فیها، هو حديث جابر، الذي رواه مسلم، وقال عنه النووي (٣٨): «وهو حديث عظیم ومشمثل على جمل من الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد، وهو من افراد مسلم،

(٣٧) من رواية البيهقي في دلائل النبوة (٤٤٩/٥)، والحاكم في المستدرک (٩٣/١) من حديث ابن عباس وروى الترمذي بعضه كما في السنن (٥٤/٣) ك. التفسير/ ب. ومن سورة التوبة/ح ٣٢٩٥/ اختصار وتصحيح الألباني) من حديث عمرو بن الأحوص، وقال الألباني: «حسن»، وعزاه أيضا لابن ماجه رقم ١٨٥١. وأحد: الفتح الرباني (٢١/٢٨٠). وقال الساعدي في تحريجه: «أورده ابن كثير في تاريخه بطوله وعزاه للإمام أحمد ثم قال: «وروى أبو داود بعضه، ورواه أنسه الحديث في كتبهم مقطعا في أبواب متفرقة من طرق صحيحة، والله أعلم»، والبراز: كشف الاستار، برقم ١٥٢٤.

(٣٨) مسلم/ بشرح النووي (١٧٠/٨).

لم يروه البخاري في صحيحه، ورواه أبو داود كرواية مسلم. قال القاضي (عياض) وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا، وصنف فيه أبو بكر ابن المنذر جزءا كبيرا، وخرج فيه من الفقه مائة وثلاثة وخمسين نوعا، ولو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه...».

وقد لخص الألباني^(٣٩) فقه حجة الوداع في اثنتين وسبعين مسألة، ولأن الكتاب متيسر وحرصا منا على الاختصار فقد رأيت عدم نقلها عنه، وأكتفي بالإحالة إليه لتمام الفائدة والشرح والتعليق الذي زين به الشيخ كتابه المفيد المختصر. وزيادة في تمام الفائدة فقد ألحق الشيخ ذيلًا سرد فيه بدع الناس في الحج وزيارة المدينة المنورة وبيت المقدس، لأن كثيرا من الناس لا يعرفونها فيقعوا فيها^(٤٠)، وعد منها خمسا وسبعين ومائة بدعة.

ومن الكتب الهامة في فقه حجة الوداع، كتاب زاد المعاد^(٤١)، وزاده فائدة تحقيق العالين الجليلين: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرؤوط.

أما أهم وأبرز المبادئ التي أكدها الرسول ﷺ وأوصى أمته بها، فهي:

- ١) الإعلان عن حقوق المسلم، وأنه محرم الدم والمال والعرض^(٤٢).
- ٢) الإعلام عن تحريم الظلم والربا، وكل عادات الجاهلية الضارة^(٤٣).
- ٣) الإعلان عن حقوق النساء، والأمر بالاعتراف بها وأدائها، وكذا حقوق الزوج على زوجته^(٤٤).
- ٤) تحريم الوصية للوارث، وتقرير قانون التوارث كما في القرآن الكريم^(٤٥).

(٣٩) حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه. ص ص ٩٤ - ١٠٠.

(٤٠) المرجع نفسه، ص ص ١٠٥ - ١٤٩.

(٤١) ابن القيم (١٠١/٢ - ٣٢٤).

(٤٢) مسلم (٨٨٩/٢ ح ١٢١٨) من حديث جابر الطويل في حجة الوداع، وغيره.

(٤٣) المصدر والمكان نفسهما.

(٤٤) المصدر والمكان نفسهما، وأبو داود (٨٢٤/٣) ك. البيوع والإجازات/ ب. في تضمين العارية/ ح (٣٥٦٥).

والترمذي (٥٤/٣) ك. التفسير/ ب. ومن سورة التوبة/ ح (٣٢٩٥) اختصار وتصحيح

الألباني، وحسنه الألباني، ابن ماجه (٢/ ك. التجارات/ ح (٢٢٩٥)، عبدالرزاق: المصنف (٤٨/٩ ح ١٦٣٠٨)، أحمد المسند (٢٦٧/٥).

(٤٥) عبدالرزاق: المصنف (٤٨/٩ ح ١٦٣٠٨)، أحمد: المسند (٢٤٨/٥)، أبو داود (٨٢٤/٣) ك.

البيوع/ ح (٣٥٦٥).

- ٥) حرمة التبني والانتساب لغير الأب أو تولى غير الموالى، رغبة عنهم^(٤٦).
- ٦) تقدير أن الولد ينسب إلى من ولد على فراشه، وأن العاهر لاحق له فيه وإنما له الرجم بالحجارة إذا اعترف بالزنى^(٤٧).
- ٧) أخبرهم أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى^(٤٨). وطلب ممن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها^(٤٩).
- ٨) حذر من الكذب عليه، فقال: «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»^(٥٠).
- ٩) وأوصاهم بالاعتصام بالكتاب والسنة، فقال: وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به: كتاب الله، وسنة نبيه^(٥١).
- ١٠) وأوصاهم بأن المؤمنين إخوة وأنه لا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه^(٥٢).
- ١١) أمر بالسمع والطاعة لولاة الأمر مهما كان جنسهم أو لونهم أو وضعهم الاجتماعي ماداموا يقيمون فيهم كتاب الله (عز وجل)^(٥٣).
- ١٢) قرر أن التفاضل بين الناس يكون بالتقوى وليس بأي اعتبار آخر^(٥٤).
- ١٣) الوصية بالأرقاء^(٥٥).

(٤٦) انظر: المصادر والأمكنة نفسها، إضافة إلى أبي داود: (٣٣٩/٥). ك. الأذاب/ ح (٥١١٥). ابن ماجه رقم ٢٧١٢.

(٤٧) انظر: المصادر والأمكنة نفسها.

(٤٨) أخرجه ابن حبان: موارد الظن، رقم ٢٥، بإسناد رجاله ثقات.

(٤٩) أحمد: المسند (٧٣/٥)، البزار: المسند - كشف الاستار (٣٤/٢) وفيه موسى بن عبيد الرندي وهو ضعيف.

(٥٠) ابن ماجه، رقم ٣٠٥٧، وقال في الزوائد: «إسناده صحيح»، وأحمد: المسند (٤١٢/٥).

(٥١) مسلم (٨٩٠/٢) ح (١٢١٨).

(٥٢) الترمذي (٥٤/٣) ك. التفسير/ ب. ومن سورة التوبة/ إختصار وتصحيح الألباني/ ح ٣٢٩٥/

من حديث عمرو بن الأوحص وحسنه الألباني، الحاكم (٩٣/١) وأحمد: المسند (٤٢٣/٣).

(٥٣) مسلم (٩٤٤/٢) ح (١٢٩٨).

(٥٤) انظر الهيثمي: مجمع الزوائد (٣٧٢/٣) وقال: «رواه الطبراني في الكبير بإسناد وهذا ضعيف، وتقدم له إسناده صحيح في الخطبة يوم عرفة»، انظر: جمع الفوائد (٥١٠/١) والتعليق على هذا النص. وسدّيق: «إن أبائكم واحد، وإن دينكم واحد، أبوكم آدم وأدم من تراب» رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح كما في كشف الاستار (٤٣٥/٢).

(٥٥) أحمد: المسند (٣٥/٤)، وقال ابن حجر: الإصابة (٦٥٣/٣) «أخرجه البغوي وابن شاهين وابن السكن وابن منته والأزدي وغيرهم» وإسناده صحيح.

١٤) وأوصاهم بأن ثلاثا لا يغفل عليهن قلب المسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين^(٥٦).

المبحث السابع: سرية أسامة بن زيد إلى الشام:

رجع النبي ﷺ من حجة الوداع في أواخر ذي الحجة من العام العاشر، وفي أواخر صفر من العام الحادي عشر نذب الناس لغزو الروم باللقاء وفلسطين، وفيهم كبار المهاجرين والأنصار^(٥٧)، ودعا ﷺ أسامة بن زيد، فأمره على هذا الجيش. فطعن بعض الناس في إمارته، فقام ﷺ فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وإيم الله إن كان خليقا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليَّ بعده^(٥٨)». وكان سبب طعن بعض الناس في إمارة أسامة لكونه صغير السن، إذ كان ابن ثمان عشرة سنة^(٥٩).

ومرض رسول الله ﷺ بعد البدء بتجهيز هذا الجيش بيومين ولذا لم يتحرك هذا الجيش، وظل معسكرا بالجرف، ورجع إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم أنفذه أبوبكر (رضي الله عنه) عندما استخلف، وكانت عدته ثلاثة آلاف^(٦٠).

(٥٦) أحمد: المسند (٨٠/٤)، الدارمي: السنن رقم ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ابن ماجه: السنن رقم ٣٠٥٦، الطبراني في الكبير (١٣٠/٢)، والحاكم (٨٧/١) وقال: «على شرطهما»، والمنذري في الترغيب والترهيب (١٠٩/١) وحسنه.

وقد جاء هذا المتن من رواية عدد كبير من الصحابة، أوصلهم السيوطي إلى ثلاثين صحابيا، ولهذا عد من المواتر، انظر: الكتاني: نظم المناثر، ص ٢٣، كما ذكر الدكتور فاروق حمادة: الوصية النبوية، ص ١١٠.

(٥٧) ابن حجر: الفتح (٢٨٧/١٦) ك. المغازي/ ب. بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد...، الواقدي (١١١٧/٣ - ١١١٨)، ابن سعد (٢٤٨/٢) من طريق الواقدي ومرسلا، ابن إسحاق، مغلطا - ابن هشام (٣٣٧/٤).

(٥٨) البخاري/ الفتح (٢٨٧/١٦) ح ٤٤٦٩.

(٥٩) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ولكنه مرسل - ابن هشام (٣٩٦/٤)، الواقدي (١١١٨/٣) وذكر السهلي سببا ثانيا وهو لكونه مولى - انظر: الروض الأنف (٢٤٨/٤)، ولم نقف على مصدره في هذا، ويبدو أنه يحتاج خاطيء.

(٦٠) ابن إسحاق، بإسناد حسن ولكنه مرسل - ابن هشام (٣٩٦/٤)، وابن حجر: الفتح (٢٨٧/١٦) (٢٨٨ - الواقدي (١١٢٠/٣ - ١١٢٢). وقد انفرد الواقدي بذكر عدد هذا الجيش.

عظات وعبر:

١ - بيان فضل أسامة بن زيد وأبيه زيد ومكانتهما عند الرسول ﷺ فلا صغر السن ولا الرق القديم الذي وقع على أبيه زيد منع رسول الله ﷺ من أن يجعله أميراً على جيش فيه عامة الصحابة في غزوة كبرى. وهكذا حطمت شريعة الإسلام قيم الجاهلية ومقاييسها التي كانوا يتفاضلون بها.

الفصل الثامن والعشرون

المرض والوفاة:

اشتكى رسول الله ﷺ بعد عودته من حجة الوداع في ليال بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول من العام الحادي عشر الهجري^(١). وطلب يومئذ من مولاه أبي مويبة أن يصحبه في جوف الليل إلى البقيع، لأنه أمر أن يستغفر لأهل البقيع، وعندما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهني لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»، ثم أقبل على أبي مويبة قائلاً: «يا أبا مويبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخبرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة». فقال أبو مويبة: «بأبي أنت وأمي، خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة»، فقال رسول الله ﷺ: لا والله يا أبا مويبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف^(٢) إلى بيت عائشة، وتنام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى اشتد به وجعه في بيت ميمونة^(٣)، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة (رضي الله عنها)^(٤)، واستغرق مرضه عشرة أيام^(٥)، ثم توفاه الله يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع

(١) ابن إسحاق، معلقاً - ابن هشام (٣٨٥/٤)، وانظر اختلاف أهل المغازي والسبر في تاريخ ابتداء شكواه وتاريخ وفاته عند ابن حجر: الفتح (٢٦٠/١٦ - ٢٦١).

(٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٣٨٥/٤ - ٣٨٦).

(٣) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٣٨٦/٤ - ٣٨٧). قال ابن حجر: الفتح (٢٦٠/١٦): «ووقع في السيرة لأبي معشر: في بيت زينب بنت جحش، وفي السيرة لسليمان التيمي: في بيت رجائه والأول المعتمد - أي في بيت ميمونة».

(٤) البخاري/ الفتح (٢٧٣/١٦ - ٢٧٤ ح/ ٤٤٤٢، ٤٤٥٠)، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٣٨٧/٤).

(٥) قال ابن حجر في الفتح (٢٦٠/١٦): «واختلف في مدة مرضه، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً، وقيل بزيادة يوم وقيل بتقصه، وقيل عشرة أيام، وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه، وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح».

الأول^(٧). وقد تم له من العمر ثلاثة وستون عاما^(٨). وكانت عائشة (رضي الله عنها) تقرأ بالمعوذتين والأدعية الكثيرة التي حفظها من رسول الله ﷺ، وتنفث بذلك على نفسه، وتمسحه بيده رجاء البركة^(٩).

ويوم زادت درجة حرارة جسمه، طلب أن يصبوا عليه سبع قرب من ماء حتى يخرج للناس فيعهد إليهم، ففعلوا، حتى طفق يقول: «حسبكم حسبكم»، وعند ذلك أحس بخفة، فعصب رأسه ثم قام فدخل المسجد وجلس على المنبر، وخطب الناس قائلا: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وفي رواية: «قاتل الله اليهود والنصارى...»^(١٠)، وقال: «لا تتخذوا قبوري وثنا يعبد»^(١١). وكانت هذه الوصية الخاصة بعدم اتخاذ القبور مساجد قبل أن يموت بخمس^(١٢).

وعرض نفسه للقصاص قائلا: «من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستد منه»، ثم نزل فصلى الظهر، ثم عاد لمنبره لمواصلة حديثه في الحقوق وغيرها، فقال رجل: «إن لي عندك ثلاثة دراهم»، فقال: «اعطه يا فضل». وقال آخر إنه غل ثلاثة دراهم، فقال «خذها يا فضل»^(١٣).

ثم أوصى الناس بالانصار، قائلا: «أوصيكم بالانصار، فإنهم كَرَّشِي وَعَيتِي، وقد قضاوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم،

(٦) وهو قول الجمهور كما ذكر ابن حجر في الفتح (٢٦١/١٦)، وقد اعتمد ابن حجر: الفتح (٢٦٠/١٦) - (٢٦١) قول أبي غنief إنه مات في الثاني عشر من ربيع الأول، وقال إن الآخرين زادوا «عشر» بعد الثاني واستمر الوهم بذلك ينفع بعضهم بعضا من غير تأمل... قلت: وأبو غنief لوط بن يحيى ضعيف لا يحتج به.

(٧) البخاري/الفتح (٢٨٦/١٦) ح/٤٤٦٦، وروى أحمد: الفتح الربيعي (٢٠٩/٢٠٩) و(٢١٠/٢١٠) بإسناد صحيح انه توفي عن ثلاثة وستين عاما. وانظر مناقشة الساعاتي للروايات التي قالت بغير هذا.

(٨) البخاري/الفتح (٢٦٢/١٦) ح/٢٨٧، ٤٤٢٩، ٤٤٥١، وشرح ابن حجر للحديث الأول، مسلم (١٧٢١/٤) - (١٧٢٤) ح/٢١٩١ - ٢١٩٢.

(٩) البخاري/الفتح (٩٨/٣) ح/٩٩ - ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٧، و(٢٤٤/٦) ح/١٣٣٠، مسلم (٤٧٥٦/١٠) - (٣٧٨) ح/٥٢٩، ٥٣٢، مالك الموطأ، ص ٣٦٠.

(١٠) مالك: الموطأ، ص ٣٦٥.

(١١) البيهقي: دلائل النبوة (١٦٩/٧) - (١٨٠)، ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية، وقال عنه: «في إسناده ومنه غرابة شديدة».

(١٢) البخاري/الفتح (٣٧٣/١٤) ح/٣٧٩٩ - (٣٨٠١)، مسلم (١٩٤٩/٤) ح/٢٥١٠.

وتجاوزًا عن مسيئهم». وقال في رواية أخرى: «إن الناس يكثرُونَ، وتقل الانصار، حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم»^(١٣).

ثم قال في آخر خطبة له: «إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله»، قال الراوي: «فبكى أبوبكر (رضي الله عنه) فمجبوا لبكائه، فكان المخير رسول الله ﷺ وكان أبوبكر أعلمهم بذلك»، فقال النبي ﷺ: «لا تبك يا أبا بكر، إن آمن الناس علي في صحبته وماله أبوبكر، لو كنت متخذًا خليلا غير ربي لا تتخذت أبابكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سدُّ، إلا باب أبي بكر»^(١٤).

وعندما حضرته الوفاة واشتد به الوجع، وذلك يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام، قال للصحابة الذين كانوا حوله بالمنزل، وفيهم عمر: «هلموا أكتب إليكم كتابا لن تضلوا بعده»، فقال عمر: «قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبكم كتاب الله»، فاختلفوا، فممنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، وممنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغط والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: «قوموا عني»^(١٥).

وأوصى في ذلك اليوم بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفود بنحو ما كان يميزهم، ونسي الراوي الوصية الثالثة، ولعلها عامة وصيته حين حضره الموت وهي: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»^(١٦)، وفي لفظ: «الله الله، الصلاة وما ملكت أيمانكم»، كان يتكلم بها وما يكاد يفيض^(١٧).

وقبل الوفاة بثلاث أوصى قائلا: «أحسنوا الظن بالله (عز وجل)»^(١٨).

(١٣) البخاري/ الفتح ١٣٣/٣ ح/ ٤٦٧، مسلم ١٨٥٤/٤ ح/ ٢٣٨٢، وغيرهما.
(١٤) البخاري/ الفتح ١٦ - ٦٧ ح/ ٤٤٣١ - ٤٤٣٢، مسلم ١٢٥٧/٣ - ١٢٥٩ ح/ ١٦٣٧.
(١٥) البخاري/ الفتح ٢٦٦/١٦ ح/ ٤٤٣١.
(١٦) رواه التيمي موصولا إلى أنس (رضي الله عنه) كما ذكره الذهبي في السيرة ص ٥٥٧.
(١٧) رواه الذهبي في السيرة، ص ٥٥٧، وقال: «وهذا أصح» - يعني من حديث التيمي. ورواه ابن ماجه. انظر: الألباني: صحيح ابن ماجه (٢٧١/١ ك. الجنائز ح/ ١٦٢٥)، وقال: «صحيح». وصححه أيضا المشيخي: المجمع (٢٣٧/٤) وفيه عبيد الله أبو الوليد الوصافي، وهو متروك.
(١٨) رواه الذهبي في السيرة، ص ٥٥٧، وقال: «هذا حديث صحيح من العوالي».

ثم اخذ يثقله المرض ويمنعه من الخروج للصلاة بالناس فقال: «مروا بأبأبكر أن يصلي بالناس»، فقالت عائشة: «يارسول الله، إن أبأبكر رجل أسيف - أي رقيق - وإنه متى ما يقيم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر»، فقال: «مروا بأبأبكر أن يصلي»، فقالت عائشة لحفصة: «قولي له إن أبأبكر رجل أسيف وإنه متى... فقال ﷺ: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا بأبأبكر أن يصلي بالناس...» ولما لم يكن أبوبكر موجودا في تلك اللحظات، دعا عبدالله بن زمعة عمر ليصلي بالناس، فعندما سمع الرسول ﷺ صوته، قال: «يأبى الله ذلك والمسلمون - مرتين -» فبعث إلى أبي بكر، فجاء فصلى بالناس^(١٩).

وظل أبوبكر يصلي بالناس تلك الأيام، وفي أحدها وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبوبكر يصلي بالناس، وعندما رآه أراد أن يتأخر، فأومأ إليه أن لا يتأخر، فأجلس بجانبه، فجعل أبوبكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر^(٢٠).

وقبل يوم من وفاته، أعتق غلامه^(٢١)، وتصدق بدنانير - ما بين التسعة والسبعة - كانت عنده^(٢٢)، وقال: «لا نورث ما تركنا صدقة...»^(٢٣) وفي رواية «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»^(٢٤) ولذا لم يترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل

(١٩) أحمد: الفتح الرباني (٢٢٦/٢١ - ٢٢٧) من طريق ابن إسحاق، قال الساعاتي: «وحدث الباب صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي»، أبوداود: السنن (٤٧/٥ - ٤٨) من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن، ويونس بن بكير من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن، كما نقله عنه ابن كثير في البداية (٢٦١/٥).

(٢٠) البخاري (١٧٥/١) ك. الصلاة/ ب. الرجل يأتي بالإمام/ رقم ٦٨ واللفظ للبخاري، مسلم (٣١٣/١ - ٣١٤ ح/ ٤١٨).

(٢١) ابن سعد (٣١٦/٢ - ٣١٧) من عدة طرق تنقو بعضها ببعض ولها شاهد من حديث البخاري أن الرسول ﷺ لم يترك عند موته عبداً ولا أمة.

(٢٢) ابن سعد (٢٣٧/٢ - ٢٣٨٩) من عدة طرق تنقو ببعضها البعض.

(٢٣) البخاري/ الفتح (٢١٢٧/٢٥ - ١٣٠ ح/ ٦٧٢٦ - ٦٧٢٨، ٦٧٣٠).

(٢٤) البخاري/ الفتح (١٢٩/٢٥ ح/ ٦٧٢٩).

واستعارت عائشة (رضي الله عنها) في الليل الزيت للمصباح من جاريتها (٢٦) وكانت درعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من الشعير (٢٧). ولعل باقي هذه الثلاثين صاعا هو ما ذكرته عائشة (رضي الله عنها) في قولها: «لقد توفي النبي ﷺ وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فاكلته ففني» (٢٨). ولم تشر الروايات إلى ما تبقى من الثلاثين صاعا في بيوت زوجاته الأخريات. وكانت الأشياء مثل البغلة والحربة والكسوة والسلاح والسرير وقفا يتجمل به الأئمة المسلمون بعده ويتبركون به كما كان يتجمل به، وكان ذلك في أيدي الأئمة واحدا بعد واحد (٢٩).

وفي اليوم الذي مات فيه، فاجأ الرسول ﷺ المسلمين بكشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم يصلون الصبح، ثم تبسم، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، ظنا منه أن الرسول ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده أن اتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر (٣٠). وعند الضحى دعا إليه ابنته فاطمة فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت، فستلت عن ذلك بعد وفاته ﷺ، فقالت «سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجهه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني

(٢٥) البخاري/ الفتح (٢٨٣/١٦) ح (٤٤٦١) - وفي هذا الحديث دليل على أن من ذكر من رقيق للنبي ﷺ في جميع الأخبار كان إما مات وإما اعتق قبل وفاته، واستدل به على عتق أم الولد بناء على أن مارية أم إبراهيم عاشت بعد النبي ﷺ وأما على قول من قال إنها ماتت في حياة الرسول ﷺ فلا حجة فيه - انظر ابن حجر: الفتح (٩٥/١١). قلت: إنها الحجة في قوله ﷺ عندما ولدت له إبراهيم: «اعتقها ولدها...» رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣٤٦/١٠) ويتقوى بالشواهد والتابعات التي ذكرها المارديني في الجوهر النقي في ذيل السنن الكبرى.

(٢٦) قاله ابن رجب الحنبلي في: «مجالس من سيرة النبي ﷺ»، بتحقيق ياسين السواس ومحمود الأرناؤوط، ص ١٠٤، دون إسناد.

(٢٧) البخاري/ الفتح (٢٨٦/١٦) ح (٤٤٦٧) و (١٣٠/١٠) ح (٢٥٠٩).

(٢٨) البخاري/ الفتح (٦٣/٢٤) ح (٦٤٥١)، ومسلم (٢٢٨٣/٤) ح (٢٩٧٣).

(٢٩) حماد بن إسحاق بن إسحاق: تركه النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها، تحقيق الدكتور أكرم المصري، ص ١١٣.

(٣٠) البخاري/ الفتح (٢٧٧/١٦) ح (٤٤٤٨).

أني أول أهله يتبعه - يلحقه - فضحكت^(٣١)»، وفي رواية أن سبب ضحكها كان لقول الرسول ﷺ لها: «يافاطمة، أما تَرْضَيْنَ أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة...؟»^(٣٢).

والحديث دليل من أدلائل نبوته ﷺ لأن فاطمة (رضي الله عنها) كانت أول الناس لحوقا به (عليه السلام) من أهله.

ولما رأت فاطمة ما بأبيها من الوجع الشديد، قالت: «واكرب أباه»، فقال لها الرسول ﷺ: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»^(٣٣).

وكان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة أو علبه ماء، يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»^(٣٤).

وبعد هذا ثقل عليه المرض فأصبح لا يتكلم، ولذا فعندما دخل عليه أسامة بن زيد (رضي الله عنه) دعا له بالإشارة^(٣٥).

ويبدو أن ذلك كان الوقت الذي لُدَّوه فيه، أي جعلوا في جانب فمه دواء بغير اختياره، وهو يشير إليهم بألا يفعلوا ذلك، وهم يظنون أن ذلك كان منه كراهية المريض للدواء^(٣٦)، ولكنه كان ينفي عنه تهمة الإصابة بمرض ذات الجنب الذي ظنوه^(٣٧) به، وهو نوعان: أحدهما ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن، وهو المنفي عنه هنا، وثانيهما: ريح محتقن بين الأضلاع^(٣٨).

وقد روى أبويعلى بسند فيه ابن هبة من وجه آخر عن عائشة أن النبي ﷺ مات من ذات الجنب. ويمكن الجمع بين الحديثين بأن الجنب المعنية هنا هي الريح المحتضنة بين الأضلاع^(٣٩).

(٣١) البخاري/ الفتح ٢٦٧/١٦ - ٢٦٨ ح/ ٤٤٣٣ - ٤٤٣٤ مسلم (٤/١٩٠٤ ح/ ٢٤٥٠).

(٣٢) البخاري/ الفتح ١٢٤/١٤ ح/ ٣٦٢٣، مسلم (٤/١٩٠٥ ح/ ٢٤٥٠).

(٣٣) البخاري/ الفتح ٢٨٣/١٦ - ٢٨٤ ح/ ٤٤٦٢.

(٣٤) البخاري/ الفتح ٢٧٨/١٦ ح/ ٤٤٤٩.

(٣٥) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/٣٩٨).

(٣٦) البخاري/ الفتح ٢٨١/١٦ - ٢٨٢ ح/ ٤٤٥٨.

(٣٧) رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن أسماء بنت عميس، كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/٢٨٢)،

وابن سعد (٢/٢٣٥) بإسناد فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو صدوق، ويقويه حديث عبد الرزاق

وغيره من الشواهد الأخرى التي ساقها ابن سعد.

(٣٨) ابن حجر: الفتح (١٦/٢٨٣).

(٣٩) قاله ابن حجر: الفتح (١٦/٢٨٢ - ٢٨٣).

ثم بدأت اللحظات الأخيرة من حياته ﷺ. فبينما كان في حجر عائشة، دخل عليه عبدالرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك، فنظر إليه الرسول ﷺ، فعلمت عائشة أنه يريد السواك، فتناولته ولينته له فاستاك به، وعندما فرغ منه رفع يده وأصبعه وشخص ببصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة، وهو يقول: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى»، كررها ثلاثاً^(٤٠) وكان هذا آخر ما تكلم به^(٤١)، ثم مالت يده ولحق بالرفيق الأعلى^(٤٢).

وكان ذلك حين اشتد الضحى^(٤٣) أو في منتصف النهار^(٤٤)، فقالت فاطمة: «يأبنا، أعجاب رباً دعاه، يأبنا، من جنة الفردوس مأواه، يأبنا، إلى جبريل ننعاه»^(٤٥).

ولم يصدق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نبأ وفاة الرسول ﷺ فأخذ يقول: «إن رسول الله ﷺ لم يميت ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى فمكث عن قومه أربعين ليلة. والله إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون - أو قال: يقولون - إن رسول الله ﷺ قد مات»^(٤٦).

وجاء أبو بكر من السُّنح، فكشف عن وجه النبي ﷺ، ثم قبله وبكى وقال: «بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتب عليك فقد متها»، ثم خرج إلى الناس، وهم بين منكر ومصدق، لهول

(٤٠) البخاري/ الفتح (٢٧٨/١٦) ح (٤٤٤٩).

(٤١) البخاري/ الفتح (٢٨٥/١٦) ح (٤٤٦٣)، ومسلم (١٨٩٤/٤) ح (٢٤٤٤) وغيرهما.

(٤٢) البخاري/ الفتح (٢٧٨/١٦) ح (٤٤٤٩).

(٤٣) ابن إسحاق، بإسناد متصل ولكن لم يصرح فيه بالساعة - ابن هشام (٤٠٤/٤).

(٤٤) الطبري: التاريخ (٢٠٠/٣) من رواية في إسنادها الكلبي وأبو مخنف وهما متروكان في الحديث.

(٤٥) البخاري/ الفتح (٢٨٤/١٦) ح (٤٤٦٢).

(٤٦) أحمد الفتح الرباني (٢٤١/٢١ - ٢٤٢)، ابن سعد (٢٦٦/٢)، عبدالرزاق: المصنف (٤٣٣/٥).

- (٤٣٤)، وجميعهم من طريق الزهري عن أنس، وإسنادهم صحيح. ورواه ابن إسحاق بإسناد متصل من طريق الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة، ولم يصرح فيه بالساعة، ويتقوى بالشواهد والمتابعات المذكورة - ابن هشام (٤٠٦/٤).

الأمر، فأرى عمر وهو يكلم الناس منكرا موت الرسول ﷺ، فطلب منه أن يجلس، فأبى، فأقبل الناس إلى أبي بكر وتركوا عمر، فحدثهم أبو بكر قائلا: «أما بعد: من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزي الله الشاكرين﴾^(٤٧). فهذا الناس وكأنهم لم يسمعوا الآية من قبل، وقعد عمر على الأرض لا تحمله رجلاه لما علم بموت الرسول ﷺ^(٤٨).

وفي يوم الثلاثاء، وهو اليوم التالي لوفاته ﷺ، غسلوا رسول الله ﷺ في ثيابه^(٤٩)، غسله العباس وعلي والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولى رسول الله وأسامة وأوس بن خولي^(٥٠).

ثم كفنوه في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة^(٥١).

ثم حفروا له قبرا في حجرة عائشة^(٥٢).

وصلى عليه الناس أرسالا أرسالا، يدخلون من باب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر، لا يؤمهم أحد^(٥٣). وقيل صلى عليه أولا بنو

(٤٧) آل عمران: ١٤٤.

(٤٨) البخاري/ الفتح (٢٧٩/١٦ - ٢٨٠/٢٨٠ ح ٤٤٥٢ - ٤٤٥٤).

(٤٩) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤١٦/٤) ورواه غيره من هذا الطريق.

(٥٠) ابن إسحاق، بإسناد حسن فيه حسين بن عبدالله، وهو ضعيف - ابن هشام (٤١٥/٤).

(٥١) البخاري/ الفتح (١٦٤/١٦ ح ١٢٦٤، مسلم (٦٤٩/٢ - ٩٤١/٦٥٠)، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤١٦/٤) - وسحولية يعني نقية أو منسوبة إلى سحول وهي مدينة باليمن،

تعمل منها هذه الثياب، والكرسف: القطن.

(٥٢) ابن إسحاق بإسناد فيه حسين بن عبدالله - ابن هشام (٤١٦/٤ - ٤١٧)، ابن سعد (٢٩٢/٢)

بأسانيد مختلفة، والتي من طريق أبي الوليد الطيالسي صحيحة. وهو خبر مشهور، ولكن رواه:

ابن ماجه في السنن (٥٢١/١) / ل. الخنازير، قال ابن عبد البر: «... ولكنه صحيح من وجوه

مختلفة وأحاديث شتى جمعها. نقله فؤاد عبد الباقي في حاشية الموطأ (٢٣١/١) فيكون الحديث

صحيحاً من طريق الطيالسي، وتتفرق الطرق الأخرى الضعيفة وتعتضد بعضها ببعض ويشهد

لها حديث الطيالسي.

(٥٣) أحمد الفتح الرباني (٢٥٣/٣٢١ - ٢٥٤)، وقال الساعدي: «... ورواه أبي شيبي وقال: «رواه

أحمد ورجاله رجال الصحيح» ورواه ابن سعد (٢٨٨/٢ - ٢٩٢) من عدة طرق أحدها طريق

أحمد هذا. وقال ابن كثير في البداية (٢٩٩/٥): «وهذا الصنيع - وهو صلاحهم عليه فرادى - أمر

جمع عليه لا خلاف فيه».

هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الناس حتى فرغوا، ثم النساء، ثم الصبيان^(٥٤)، ثم العبيد^(٥٥).

ثم دفنوه في ليلة الأربعاء^(٥٦).

إنا لله وإنا إليه راجعون! إنا لله وإنا إليه راجعون!!

ولا يملك المرء المسلم إلا أن يبكي مع حسان^(٥٧)، وهو ينشد:

فَبِكَيْ رَسُولِ اللَّهِ يَاعَيْنُ عِبْرَةً * ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي * على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي * لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد * ولا مثله حتى القيامة يفقد

عظات وعبر وأحكام ووصايا:

١ - كفى بالموت عظة وعبرة... لقد شاء الله تعالى أن يكون الموت نهاية كل إنسان مهما طال عمره، ومهما كان موقعه من الحياة، وتلك سنة الحياة كما عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد، أفإن مت فهم الخالدون؟ كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة، وإلينا ترجعون﴾^(٥٨)، وفي قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾^(٥٩). فهذا هو محمد بن عبد الله خير البشر، يموت بعد أن عانى من سكرات الموت وآلام المرض... وإذا وعى الناس هذه الحقيقة استشعروا معنى العبودية والتوحيد، وخضعوا لله الواحد القهار، واستعدوا للموت بالإكثار من العمل الصالح وطاعة الله وإخلاص

(٥٤) ابن سعد (٢/٢٩١) من رواية الواقدي.

(٥٥) الطبري التاريخ (٣/٢١٣) من رواية ابن إسحاق، ولم يصرح بالسباع، وفيه حسين بن عبد الله وهو ضعيف

(٥٦) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/٤١٨).

(٥٧) من دالته في رثاء الرسول ﷺ عن أبي زيد الأنصاري وهي قصيدة طويلة من ستة وأربعين بيتا - انظر ابن هشام (٤/٤٢٤).

(٥٨) الأنبياء: ٣٤ - ٣٥.

(٥٩) الزمر: ٣٠.

العبادة له في كل مجال من مجالات الحياة، لا سيما عبادة الله في تحكيم شرعه والجهاد في سبيل ذلك، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، لأن الله تعالى الذي خلق البشر خبير بما يصلحهم في الدنيا والآخره... ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٦٠).

٢ - مشروعية الرقية - التعويذ - ما ثبت في ذلك في الصحيحين. وقد نقل النووي^(٦١) وابن حجر^(٦٢) وغيرهما الاجماع على مشروعية الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وأن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى.

٣ - بيان فضل أبي بكر الصديق عندما أصر الرسول ﷺ على أن يؤم الناس.

٤ - النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

٥ - لقد تضمن ما سقناه من أحاديث في خبر مرض وفاته ﷺ دروساً وعظات وعبراً وأحكاماً يستطيع المرء أن يستنبطها بيسر.

(٦٠) الملك: ١٤.

(٦١) شرح مسلم (١٤/١٦٩).

(٦٢) فتح الباري (١٩/٣٢٠) ك. الطب/ شرح أحاديث باب الرقي بالقرآن والمعوذات.

الفصل التاسع والعشرون

أمهات المؤمنين:

تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة^(١)، دخل بثلاث عشرة منهن، واجتمع عنده منهن إحدى عشرة، وقبض عن تسع^(٢)، فأما اثنتان منهن فأفسدتها النساء فطلقها، وذلك أن النساء قلن لإحدهما: إذا دنا منك فتمنعي، فتمنعت فطلقها، وأما الأخرى فلما مات إبراهيم قالت: لو كان نبيا ما مات ابنه، فطلقها، منهن خمس من قریش: عائشة، وحفصة، وأم سلمة وسودة وأم حبيبة، ومن غير قریش: ميمونة الهلالية، وجويرة الخزاعية، وزينب بنت جحش الأسدية وصفية الخيرية. وهؤلاء التسع هن اللاتي قبض عنهن^(٣). وقد سبق الكلام عن زواجه من خديجة (رضي الله عنها)، وسأتناول هنا بإيجاز قصة زواجه من الثاني الباقيات، ومن تسرى بهن.

٢ - سودة بنت زمعة بن قيس:

كانت من المؤمنات المهاجرات في سبيل الله. فقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها السُّكْرَان بن عمرو، ابن عم أبيها، فأغضب ذلك أهلها. وعندما عادت مع زوجها من هجرتها توفي زوجها السكران، وقيل توفي عنها في

(١) البيهقي: دلائل النبوة (٢٨٨/٧) من مرسل قتادة.

(٢) أبو عبيدة بن المثنى: تسمية أزواج النبي ﷺ، ص ٧٧، ابن حبيب: المحرر، ص ٩٨. وانظر تفاصيل أخبار من تزوج رسول الله ﷺ من النساء فلم يجتمعن ومن فارق منهن وسبب مفارقتها إياهن، وذلك عند ابن سعد (١٤١/٨ - ١٥٠) وانظر تفاصيل من خطب النبي ﷺ من النساء فلم يتم نكاحه ومن وهبت نفسها من النساء لرسول الله ﷺ عند ابن سعد (١٥٠/٨ - ١٦١).

(٣) البيهقي: دلائل النبوة (٢٨٩/٧).

الحبشة^(٤). وتركها من غير عائل، فخشى الرسول ﷺ أن يبطش بها قومها، وكانوا أشداء وأعداء ألداء للإسلام، وأراد أن يجزيها على إسلامها ومصابها خيرا، فلم يجد غير أن يتزوجها في رمضان سنة عشر من النبوة^(٥)، بعد وفاة خديجة (رضي الله عنها) بلا خلاف والراجح زواجه بها في شوال بعد عائشة^(٦). وعندما طعت في السن خشيت أن يطلقها الرسول ﷺ وحرصت على أن تحشر في أزواجه، ولذا وهبت ليلتها لعائشة^(٧) (رضي الله عنها). وروي أن الآية الكريمة ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾^(٨) نزلت في هذا السبب^(٩). وكانت بدينة الجسم ثقيلة الحركة، قالت ذات يوم للرسول ﷺ: «صليت خلفك البارحة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم»، فضحك رسول الله ﷺ من قولها^(١٠). ولثقلها وكبرها أذن لها الرسول ﷺ ولن في حالها أن يدفعا ليلة مزدلفة قبل الناس^(١١).

٣ - عائشة بنت أبي بكر:

كانت لأبي بكر (رضي الله عنه) مكانة عظيمة في قلب النبي ﷺ لما كان له من مواقف في سبيل الله في أدق اللحظات وأخرجها من مسيرة الدعوة، فلعل الرسول ﷺ أراد أن يكرم صاحبه الوفي الأمين، ويوثق عرى المحبة بينه

(٤) وردت روايتان في مكان موت السكران بن عمرو، الأولى أنه مات بالحبشة والثانية أنه مات بعد عودته من الحبشة إلى مكة. وقد حكاهما ابن عبد البر في الاستيعاب (١٢٥/٢) - ترجمة السكران، وعلى القول الأول موسى بن عقبة وأبو معشر، وعلى القول الثاني: ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ٣٥٤ - ابن هشام (٩/٢) والواقدي فيما حكاه عنه ابن سعد (٥٣/٨) قال ابن حجر في الإصابة (٥٩/٢): «وزعم أبو عبيدة في كتابه «تسمية أزواج النبي ﷺ» أنه رجع إلى الحبشة فتنصر بها ومات. وقال البلاذري: «الأول أصح»، يعني موته مسلما بمكة.

(٥) ابن سعد (٥٢/٨ - ٥٣) من طريق الواقدي. (*) كما حققه ابن كثير في البداية (١٤٩/٣).
(٦) البخاري/ الفتح (٢٧٣/١٩) ح/ ٥٢١٢، مسلم (١٠٨٥/٢) ح/ ١٤٦٣، أبوداود (٦٠٢/٢) ك. النكاح/ ح/ ٢١٣٥، أحمد: الفتح الرباني (١٠٨/٢٢) و (٢٣٩/١٦): صحيح ابن ماجه (١٩٧٢/٢٣٤) ح/ ١٩٧٢. وقال: «صحيح».

(٧) النساء: ١٢٨.

(٨) انظر الطبري: التفسير (٢٧٦/٩ - ٢٧٨) بإسناد صحيح، أبوداود (٦٠٢/٢) ك. النكاح/ ح/ ١٢٣٥ الألباني: صحيح الترمذي (٣/٣) ك. التفسير/ ح/ ٢٤٣٤، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني أيضا، وانظر البيهقي: دلائل النبوة (٢٩٧/٣).

(٩) ابن سعد (٥٤/٨) ورجاله رجال الصحيح، ولكنه مرسل. انظر ترجمتها في الإصابة (٣٣٨/٤ - ٣٣٩).

(١٠) البخاري/ الفتح (٣٣٥/٨ - ٣٣٦) ح/ ١٦٨٠ - ١٦٨١.

وبين أخيه في الإسلام أبي بكر، وذلك برباط المصاهرة، فتزوج من ابنته عائشة. وكانت عائشة (رضي الله عنها) صغيرة السن عندما عقد عليها الرسول ﷺ، في شوال من السنة العاشرة للبعثة النبوية، ولم يدخل بها إلا في شوال من السنة الثانية للهجرة^(١١).

قالت عائشة (رضي الله عنها): «تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة، قبل الهجرة وأنا بنت ست، وأدخلت عليه وأنا ابنة تسع سنين...»^(١٢) وفي رواية أنه تزوجها وهي ابنة سبع^(١٣).

ولقد رأى رسول الله ﷺ في المنام - ورؤيا الأنبياء حق - أن رجلاً يحملها إليه في قطعة من جيد الحرير، فيقول: «هذه امرأتك، فيكشف فيراها، فيقول: إن كان هذا من عند الله يمضه»^(١٤).

ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها^(١٥).

ومن يقف على سيرة هذه السيدة العظيمة تأخذ الدهشة لذكاها وفطنتها وغزارة علمها وفقهاها وسمو أخلاقها، وسيعلم حينها، لماذا كانت بتلك المكانة الكبيرة عند رسول الله ﷺ^(١٦).

٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب:

لقد توفي عنها زوجها خُنيس بن حُذافة السَّهمي المهاجري البصري، صاحب الهجرتين - الحبشة والمدينة^(١٧) -، إذ أصابته جراحة يوم أحد، فمات

(١١) ابن سعد (٥٨/٨ - ٥٩) بأسانيد من طريق الواقدي، وزواجه وبنائه بها في شوال ثابت في الصحيح: مسلم (١٠٣٩/٢ ح/١٤٢٣).

(١٢) البخاري/ الفتح (١٩/٢٢٨ ح/٥١٣٣)، مسلم (٢/١٠٣٨ - ١٠٣٩ ح/١٤٢٢)، وغيرهما مسلم (٢/١٠٣٩ ح/١٤٢٢). وأكثر الروايات: ست سنين، ويجمع بينها بأنه كان لها ست وكسر، فمنهم من يمجّره ومنهم من يحدّثه: انظر الساعاني: الفتح الرباني (١٠٩/٢٢).

(١٣) مسلم (٢/١٠٣٩ ح/١٤٢٢) وأكثر الروايات: ست سنين، ويجمع بينها بأنه كان لها ست وكسر، فمنهم من يجر الكسر ومنهم من يحدّثه: انظر: الساعاني: الفتح الرباني (١٠٩/٢٢).

(١٤) البخاري/ الفتح (١٩/١٤٦ ح/٥٠٧٨)، مسلم (٤/١٨٨٩ - ١٨٩٠ ح/٢٤٣٩٨).

(١٥) البخاري/ الفتح (١٩/١٤٥ ح/٥٠٧٧، وحديث ترجمة الباب)، انفرد به البخاري.

(١٦) انظر ترجمتها في الإصابة، وأبواب المتأقب من كتب الحديث وما جمعه الساعاني من أحاديث المسند: الفتح الرباني (١٠٩/٢٢ - ١٢٨)، والأحاديث المنفردة في كتب الأحاديث الأخرى. وهو من أهم مصادر المعرفة بحياة عائشة (رضي الله عنها).

(١٧) البخاري/ الفتح (١٩/٢١١ ح/٥١٢٢) الإصابة (٤٥٦/١ - ٤٥٧).

منها^(١٨). وروى أنه توفي بعد بدر^(١٩).

وتزوجها رسول الله ﷺ للحكمة ذاتها التي تزوج من أجلها عائشة وسودة (رضي الله عنهما)، إضافة إلى حزنها الشديد على زوجها المجاهد، وحزن عمر لحزنها، فعرض زواجها على حبيبه أبي بكر وعثمان، لعل في الاقتران بهما مواساة لها وإخراجها من أحزانها. فاعتذر عثمان بحجة عدم حاجته في النساء، وسكت أبو بكر، ولذا وجد عمر في نفسه عليه أكثر مما وجد على عثمان. وما لبث ليالي حتى خطبها رسول الله ﷺ، ولقيه أبو بكر وأوضح له سبب سكوته، وهو أن الرسول ﷺ كان قد ذكرها، فكره إفشاء سر رسول الله ﷺ وقال: «لو تركها رسول الله ﷺ قبلتها»^(٢٠). وفي هذا دليل على أن الرسول ﷺ كان يشعر بما تعانيه حفصة من تأيم، فأراد أن يواسيها، ويواسي أباهما لمكانته عنده.

وروي أن الرسول ﷺ طلقها ثم راجعها^(٢١). ودخل عليها عمر وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك؟ إن النبي ﷺ طلقك وراجعك من أجلي، والله لئن كان طلقك مرة أخرى لا كلمتك كلمة أبدا»^(٢٢).

وعندما طلقها الرسول ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فقال له: «راجع حفصة، فإنها صوامع قوامه، وإنها زوجتك في الجنة»^(٢٣). وفي هذه الأحاديث ما يكفي للدلالة على حكمة زواج الرسول ﷺ من حفصة.

(١٨) ابن حجر: الإصابة (٤٥٦/١)، ابن عبد البر: الاستيعاب (٤٣٨/١).

(١٩) ابن سعد (٨١/٨ - ٨٢) من طريق الواقدي، وقد جزم بذلك.

(٢٠) البخاري/ الفتح (٢١١/١٩ - ٢١٣/٢) ح (١٥٢٢). أحمد: الفتح الرباني (١٣٠/٢٢)، وإسناده صحيح.

(٢١) أبوداود: السنن (٧/٢) ل. الطلاق/ ب. في المراجعة/ ح (٢٢٨٣) بإسناد صحيح، ابن ماجه:

السنن (٦٥٠/١) ك. الطلاق/ ح (٢٠١٦) والدارمي (١٦١/٢) ك. الطلاق/ ب. في المراجعة،

النسائي: السنن (٢١٣/٦) ك. الطلاق/ ب. الرجعة.

(٢٢) ذكره الساعاتي في الفتح الرباني (١٣٠/٢٢ - ١٣١)، وقال: «قال الهيثمي في المجمع (٣٣٣/٤)

ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» ورواه ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ٢٥٧، بإسناد

حسن، وابن حبان في صحيحه. برقم ١٣٢٥ بإسناد صحيح كما قال الألباني في إرواه الغليل

(١٥٨/٧).

(٢٣) ذكره الساعاتي في الفتح الرباني (١٣١/٢٢) وقال: «قال الهيثمي: ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

٥ - زينب بنت خزيمة الهلالية:

كانت زوجة للطفيّل بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف، فطلقها^(٢٤)، وقيل كانت عند جهم بن عمرو بن الحارث^(٢٥)، فتزوجها بعده عبيدة بن الحارث، فقتل بيدر شهيداً^(٢٦)، وقيل كانت تحت عبدالله بن جحش، وقتل عنها يوم أحد شهيداً^(٢٧)، وكانت تدعى أم المساكين في الجاهلية لرحمتها إياهم ورقتها عليهم^(٢٨). فقد روى الزبير بن بكار^(٢٩) أن الرسول ﷺ عندما تزوجها أوّلَ عليها جزورا، فكثر المساكين، فتركهم الناس والطعام..

وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها) لأمها^(٣٠)، هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة الحميرية^(٣١).

إن امرأة تعاقب عليها هذا العدد من الأزواج منهم شهيدان، وما عرف عنها من الصلاح والرفقة على المساكين، لجديرة بأن تحظى بعطف الرسول ﷺ وتقديره لظروفها، ولم يكن هناك أفضل من تكريمه لها بالزواج منها، فتزوجها الرسول ﷺ في رمضان، على رأس واحد وثلاثين شهرا من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في آخر شهر ربيع الأول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة^(٣٢). ولم يمض من أزواجه في حياته ﷺ غيرها وغير خديجة بنت خويلد.

وقيل إن عمرها كان نحو ثلاثين عاما عندما توفيت^(٣٣)، ويستبعد ذلك،

(٢٤) ابن سعد (١١٥/٨) من طريق الواقدي، وابن بكار، ص ٤٩، بإسناد ضعيف، وذكره ابن حجر: الإصابة (٣١٥/٤) بصيغة التمرّض، قيل... وهي ضعيفة.

(٢٥) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٣٩١/٤). والمعلق من أقسام الضعيف كما تعلم.

(٢٦) ابن سعد (١١٥/٨) من طريق الواقدي.

(٢٧) ابن عبد البر: الاستيعاب (٣١٣/٤) معلقا، ولم يمهز لأحد، ابن حجر: الإصابة (٣١٥/٤) معلقا، وقد جزم به.

(٢٨) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٣٩١/٤)، ابن سعد (١١٥/٨) من طريق الواقدي.

(٢٩) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، ص ٤٨، وإسناده ضعيف.

(٣٠) ابن عبد البر: الاستيعاب (٣١٣/٤)، ابن حجر: الإصابة (٣١٥/٤).

(٣١) ابن حبيب: المحرر، ص ١٠٥ - ١٠٩.

(٣٢) ابن سعد (١١٥/٨) من طريق الواقدي.

(٣٣) ابن سعد (١١٦/٨) من طريق الواقدي.

لأن امرأة كانت تدعى في الجاهلية بأُم المساكين، ثم عاشت في الإسلام خمس عشرة سنة، لا بد أن يكون عمرها عندما ماتت أكثر من ذلك بكثير. وقد ذكر الصواف^(٣٤) أنها بلغت الستين من العمر عندما تزوج بها النبي ﷺ، ولكنه لم يبين لنا مصدره، ولو ثبت ذلك لكان هو الأقرب إلى الصواب، والله أعلم.

ولم تهتم المصادر بسيرتها في بيت الرسول ﷺ لا سيما علاقاتها بزوجاته: سودة وعائشة وحفصة، مما يدل على أنه لم يكن بها ما يدعو لغيرة النساء عليها، فلم يأبه بها أحد، ولم تأبه بأحد، ولعل قصر مدة إقامتها في بيت النبوة كان سببا في ذلك.

٦ - أم سلمة - هند بنت أبي أمية - المخزومية:

لقد حفظ التاريخ لهذه السيدة ذكرا مجيدا، إذ كانت من شهرات المؤمنات، العاملات وراء صفوف المجاهدين في غزوة أحد، كما ذكرنا، وكان لها رأى سديد كما ذكرنا في قصتها مع النبي ﷺ يوم الحديبية. ومن أبرز مجاهداتها أنها هاجرت إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة، عبدالله بن عبدالأسد، ابن عمه النبي ﷺ وأخيه من الرضاعة.

وكان لزوجها بلاء حسن يوم أحد، حتى جرح جرحا كبيرا، اندمل بعد فترة، ثم عاوده واشتد عليه ألمه، وكان سببا في وفاته كما ذكرنا.

لقد مات (رضي الله عنه) وخلف وراءه أربعة من الأولاد، هم: زينب وسلمة وعمر ودره^(٣٥). وقد حرص الرسول ﷺ على مواساتها عمليا بأن يكرمها بضمها إلى نسائه والقيام بأمرها، لأنها من المهاجرات، ولم يكن لها أهل بالمدينة، غير أبنائها.

و روي عنها أنها قالت: «أتاني أبوسلمة يوما من عند رسول الله ﷺ قولا فسررت به، قال: «لا تصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند

(٣٤) زوجات النبي ﷺ الطاهرات، ص ٤٩.

(٣٥) ابن سعد (٨/٨٧، ٨٩).

مصيبته ثم يقول: اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيرا منها إلا فعل ذلك به، قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبوسلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيرا منه، ثم رجعت إلى نفسي، قلت: من أين لي خير من أبي سلمة، فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ... وأذنت له... فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة في، ولكني امرأة في غيرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئا يعذبي الله به، وأنا امرأة دخلت في السن، وأنا ذات عيال، فقال: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله (عز وجل) منك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي، قالت: فقد سلمت لرسول الله ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ، فقالت: فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه رسول الله ﷺ» (٣٦).

وفي رواية انه لما انقضت عدتها من أبي سلمة خطبها أبوبكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث اليها رسول الله ﷺ فقالت: «مرحبا برسول الله ﷺ إني امرأة غيرى، وإني مصيبة وليس أحد من أوليائي حاضرا، فبعث اليها رسول الله ﷺ أما قولك إني مصيبة فإن الله يكفيك صيبانك، وأما قولك إني غيرى فسأدعو الله ان يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني، فقالت: يا عمر: قم فزوج رسول الله ﷺ» (٣٧)...

وكان زواج الرسول ﷺ بها في شوال سنة أربع (٣٨).

(٣٦) مسلم (٦٣٢/٢ - ٦٣٣/٢ ح ٩١٨، ٩١٩)، أحمد: الفتح الرباني (٦٧/٢١)، الألباني: صحيح الترمذي (٢٨٨/١) ك. الخنازير/ح ٩٩٠، الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٥/١) ح (١٤٤٧)، ابن سعد (٨٩/٨) بإسناد صحيح.

(٣٧) أحمد: الفتح الرباني (٦٧/٢١ - ٦٨)، وإسناده صحيح، وذكر الساعدي أن من أخرجه: النسائي والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. قلت: وصح ابن حجر في الإصابة (٤٥٩/٤) إسناد النسائي. وفيه أنها رفضت الزواج من أبي بكر ولم يذكر عمر. ورواه ابن سعد (٨٩/٨) بإسناد صحيح، وعمر المذكور في الخبر هو عمر بن الخطاب وليس عمر بن أبي سلمة لأن عمره إذ ذاك كان ثلاث سنين، ووهم من قال إن المعنى هنا هو ابنها عمر. قاله ابن القيم في زاد المعاد (١٠٧/٣ - ١٠٨)، وقال ابن كثير في البداية (١٠٣/٤) إنه عمر آخر غير ابنها.

(٣٨) ابن سعد (٨٧/٨) من طريق الواقدي.

٧ - جويرية بنت الحارث:

لقد سبق الكلام عن قصة زواجها في غزوة بني المصطلق. أراد الرسول ﷺ إكرام هذا الصنف من النساء الأسيرات، فسوى بينهن وبين الحرائر، وضرب للناس أصدق الأمثال على سباحة الإسلام. فأزال من الأذهان ما كان قد علق بها من احتقار للإماء، واتخاذهن فقط للبيع أو للخدمة، وحرمن من نعمة العتق إلا بالكتابة وشراء أنفسهن من مال الكهن. فتعلم المسلمون من هذه الزيجة كيفية صيانة سيدات الأسر الكريمة بين قومها ورحمة عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر. وقد زخر التاريخ الإسلامي بعد هذا بالسبايا اللاتي تزوجهن أسيادهن من الخلفاء والأمراء والسادة والكبراء، وأنجبن الخلفاء والأمراء والقادة العظماء والعلماء، وتأمل في ذلك تاريخ خلفاء بني العباس^(٣٩).

٨ - زينب بنت جحش:

هي ابنة عمه الرسول ﷺ أُمَيَّة. وقد زوجها الرسول ﷺ لمولاه زيد بن حارثة، الذي أعتقه وتبناه إلى أن أبطل الله عادة التبن. ونزل في قصة زواجها من زيد (رضي الله عنه) ثم الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لَكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ، إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^{(٤٠)(٤١)}.

فقد روى البخاري^(٤٢) أن زيدا جاء يشكو زوجته، فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك»، قالت عائشة: لو كان رسول

(٣٩) ومن أمثلة المراجع في هذا الجانب: زكريا كتابجي: الترك في مؤلفات الجاحظ.

(٤٠) الأحزاب: ٣٧.

(٤١) البخاري/ الفتح ١٣٩/١٨ - ١٤٠/١٤٧٨٧.

(٤٢) البخاري/ الفتح ١٩١/٢٨ - ١٩٢/٧٤٢٠، الألباني: صحيح الترمذي (٩٢/٣) - ٩٣ وصححه.

الله ﷺ كأنما شيئاً لكم هذه، فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ، تقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات. لقد كان زواج الرسول ﷺ منها لهلال ذي القعدة من العام الخامس الهجري، وهي بنت خمس وثلاثين^(٤٣) لحكمة، وهي إبطال عادة التبني كما هو واضح من آية سورة الأحزاب المذكورة.

وخلاصة ما ورد في تفسير هذه الآية أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه^(٤٤)، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني، وليس أبلغ في إبطاله من تزوج امرأة الذي يدعي ابناً، ووقوع ذلك أمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم^(٤٥).

هذا الذي ذكرناه من الصحيح يغنينا عن مناقشة الروايات الكثيرة الساقطة التي تسجت حول قصة زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، لا سيما روايات الواقدي، وكانت مرتعاً خصباً لأهل الأهواء في القديم والحديث، من زنادقة ومستشرقين ومن على شاكلتهم.

٩ - ریحانة بنت زيد بن عمرو بن خُثَافَة:

قيل: ومن أزواجه ریحانة بنت عمرو النضرية^(٤٦)، وقيل: القرظية^(٤٧)، سبيت يوم غزوة بني قريظة، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه فأعتقها وتزوجها^(٤٨)، ثم طلقها تطليقة، ثم راجعها^(٤٩).

(٤٣) ابن سعد (١١٤/٨).

(٤٤) عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: «ما كنا ندهو زيد بن حارثة إلا زيد بن عمد حتى نزل القرآن «ادھومهم لأبائهم»، هو أقسط عند الله». الأحزاب: ٥، انظر الألباني: صحيح الترمذي (٩٢/٣) وصححه.

(٤٥) ابن حجر: الفتح (١٤٠/١٨) ك. التفسير/ ب. قوله «ونخفي في نفسك ما الله مبديه» شرح حديث الباب، من تفسير السدي عند ابن أبي حاتم، وقناة عند عبد الرزاق، والترمذي في سننه، وتفسير ابن كثير (٤٢٠/٦ - ٤٢١).

(٤٦) و (٤٧) لأنها كانت من بني النضير ومتزوجة في قريظة. قاله الواقدي (٥٢٠/٢). وانظر تفصيله في الإصابة (٣٠٩/٤)، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٣١٠/٤): «والأكثر أنها من بني قريظة».

(٤٨) قاله الواقدي في أحد قولي (٥٢١/٢) من مرسل الزهري، وعلق عليه قائلا: «وهذا أثبت الحديثين عندنا»، وابن بكار: منتخب أزواج النبي ﷺ، ص ٥٥ - ٥٦، مرسل من حديث أيوب بن عبد الرحمن بن صمصمة، وهو صدوق، وفيه ابن زبالة، وهو متروك في الحديث.

(٤٩) ابن سعد (١٣٠/٨) من رواية الواقدي.

وقالت طائفة: بل كانت أمته وكان يطؤها بملك اليمين، فهي معدودة عندهم في السراري^(٥٠)، واختلفوا في تاريخ وفاتها، هل كان قبل الرسول ﷺ أم بعده؟ ولم يرجحوا قولاً على آخر^(٥١)، والذي نميل إليه أنها ماتت في حياة الرسول ﷺ لقوة أسانيد القائلين بهذا، وهو ما جزم به ابن عبد البر^(٥٢).

١٠ - أم حبيبة - رَمْلَة بنت أبي سفيان بن حرب:

هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي إلى الحبشة، ولما تنصر زوجها، فارقها.

وعندما علم الرسول ﷺ بارتداد زوجها وثباتها على الإسلام أرسل عمرو ابن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها له، فزوجها إياه بصفته وكيلًا عن النبي ﷺ، فوكلت هي خالد بن سعيد بن العاص ابن عم أبيها. وبعث بها النجاشي إلى المدينة مع شُرْحُبِيل بن حَسَنَة، وكان مهرها وجهازها من عند النجاشي^(٥٣).

وكان ذلك سنة سبع، وكان لها بضع وثلاثون سنة. ولدت لابن جحش ابنته حبيبة، قيل بالحبشة وقيل بمكة^(٥٤).

وحكمة هذا الزواج لا تخفى على أحد يعلم ثبات هذه السيدة على دينها عندما ارتد زوجها بالحبشة، وموقف والدها من الدعوة الإسلامية وقيادته لكل

(٥٠) قاله ابن إسحاق، من حديث أيوب بن عبد الرحمن بن صعصعة، المشار إليه - مرسلًا - انظر: ابن هشام (٣٣٩/٤)، والواقدي (٥٢٠/٢ - ٥٢١)، وابن سعد (١٣١/٨) من طريق الواقدي، وبقي رجاله ممن يمتح بهم، ورواية ابن إسحاق تقوي رواية ابن سعد، وقد اختار هذا ابن القيم في زاد المعاد (١٣/١).

(٥١) الواقدي (٥٢١/٢): أنها ماتت عند الرسول ﷺ، ورجالهم ممن يمتح بهم ماعدا الواقدي، ابن سعد (١٣٠/٨ - ١٣١) روايتان من طريق الواقدي، وفي رواية لابن سعد (١٣١/٨) من طريق الواقدي أنها توفيت بعده.

(٥٢) ابن عبد البر: الاستيعاب (٣١٠/٤). ويقال كانت وفاتها سنة عشر مرجعه من حجة الوداع - قاله ابن سعد (١٣٠/٨) من طريق الواقدي، وابن بكار: منتخب أزواج النبي ﷺ. ص ٥٦ بإسناد ضعيف جدا.

(٥٣) انظر في هذا: الفتح الرباني (١٣٣/٢٢)، وقال الساعاتي: «وسنده جيد وأخرجه أبو داود والنسائي»، وابن هشام (٣٨٩/٤) مختصراً وإسناد حسن لأن فيه زيادا اليكافي وهو صدوق، ثبت في المغازي، ابن سعد (٩٦/٨ - ٩٩) من رواية الواقدي، وفيه من الزيادة على حديث أحد وابن هشام أن الرسول ﷺ أرسل عمرو الضمري إلى النجاشي ليخطبها له.

(٥٤) ابن سعد (٩٦/٨ - ٩٩) من رواية الواقدي.

حروب قريش ضد المسلمين ماعدا غزوة بدر، لأنه كان صاحب القافلة التي جعلها الله سببا في تلك الغزوة. ففي زواجه منها مواساة لها في مصيبتها في زوجها وغربتها، وقطع الطريق أمام شاته الأعداء، وفيه تخفيف من غلواء عداوة قومها بني أمية للإسلام ونبي الإسلام، وقد حرص الرسول ﷺ على ذلك كما هو واضح من موقفه من أبي سفيان يوم فتح مكة وعند تقسيم غنائم حنين، وغيرها من المواقف، إلى أن هداهم الله إلى الإسلام، فأصبحوا قوة وعزة ونصرة للإسلام في مستقبل أيامه.

١١ - صفية بنت حمي بن أخطب النضيرية:

عندما افتتح المسلمون خيبر، سبيت النساء، منهن صفية، فاشتراها الرسول ﷺ من دحية، حيث وقعت في سهمه، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها^(٥٥). ودخل عليها في طريق العودة إلى المدينة، وتطوع لحراسته في تلك الليلة أبوأيوب الأنصاري خوفا منه على الرسول ﷺ أن تغدر به^(٥٦)، ولكن اتضح أنه لم يكن في قلبها يومذاك أي حقد على الرسول ﷺ، لأنها آمنت بالرسول ﷺ من أول وهلة، يوم اصطفاه له أصحابه يوم خيبر، أو يوم اشتراها من دحية. ومن أدلة ذلك أن الرسول ﷺ عندما أراد أن يدخل عليها وهم على بعد ستة أميال من خيبر، أبت عليه، وعندما وصل إلى الصُّهباء، على بعد بريد من خيبر، وافقت، فسألها عن سبب الامتناع في المرة الأولى، فقالت: خشيت عليك من قرب اليهود، فزادها ذلك عنده محبة^(٥٧). وقال لها الرسول ﷺ: «لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوة حتى قتله الله»، فقالت: «يارسول الله، إن الله يقول في كتابه العزيز ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾»، فقال لها رسول الله ﷺ: «اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعثقك فتلحقني بقومك»، فقالت: «يارسول الله، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن

(٥٥) مسلم (١٠٤٥/٢ - ١٠٤٦/١ ح ١٣٦٥) وعند البخاري أنه اصطفاه لنفسه. انظر: الفتح (١٥/٥٩ - ٦٠/١ ح ٤٢١١).

(٥٦) ابن سعد (١٢١/٨) من رواية الواقدي بأسناده.

(٥٧) ابن سعد (١٢٣/٨) من طريق الواقدي.

تدعوني حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب ومالي فيها والد
ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن
أرجع إلى قومي». فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه.

كانت أمها إحدى نساء بني قينقاع، فتزوجها سَلَامٌ بنِ مُشْكَم النضيري،
ثم فارقتها فتزوجها كِنانة بن أبي الحقيق، فقتل يوم خيبر. ولم يسمع النبي ﷺ
ذاكرا أباهما بحرف مما تكروه.

لقد كان في زواج الرسول ﷺ منها ذات الحكمة من زواجه من جويرية.
فهي ابنة زعيم من زعماء اليهود، مات هو وزوجها وأخوها في صراعهم ضد
الرسول ﷺ، فكان لابد من إكرامها لمكانها عند اليهود.

ودل هذا الزواج على أن تهمة العنصرية ضد اليهود لم تكن واردة في
قاموس الرسول ﷺ السياسي والاجتماعي، وليفهم اليهود أن قضيتهم مع
الرسول ﷺ والمسلمين ليست قضية عنصرية كما أشاعوا.

عاشت صفية (رضي الله عنها) في بيت النبوة معزة مكرمة. وكان
الرسول ﷺ يلقيها الحجج عندما يقع بينها وبين بعض بقية نسائه ما يقع
بين الضرائر. فقد أخرج الترمذي^(٥٨) من طريق أنس، قال: «بلغ صفية
أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكى، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي،
فقال: «ما يبكيك؟» قالت: قالت لي حفصة إني ابنة يهودي، فقال
النبي ﷺ: وإنك لابنة نبي، وإن عملك لنبي، وإنك لتحت نبي، فقيم
تفخر عليك»، ثم قال: «اتقي الله يا حفصة».

وهجر الرسول ﷺ زينب بنت جحش ثلاثة شهور لأنها عبرت صفية

(٥٨) الألباني: صحيح الترمذي (٣/٢٤٤ - ٤٤٥/ك. المناقب/ب. في فضل أزواج النبي ﷺ/ح ٤١٦٦)، وقال: «صحيح». وقوله: «ابنة نبي» يريد إسحاق (عليه السلام). وعملك نبي» - يريد
إسمايل (عليه السلام). رواه أحمد: المسند (٣/١٦٣) بإسناد صحيح. وفي رواية عند الترمذي:
السنن (٩/٣٩٨/ك. في المناقب/باب أزواج النبي ﷺ/ح ٣٨٩١) أن عائشة (رضي الله عنها)
اشتركت مع حفصة في هذه المقولة، والرواية ضعيفة لضعف هاشم بن سعد الكوفي.
ورواه الترمذي: (٩/٣٩٨/ك. المناقب/ب. في فضل أزواج النبي ﷺ/ح ٣٨٩١) وفي سنده هاشم
ابن سعيد الكوفي، وهو ضعيف، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث
هاشم الكوفي وليس إسناده بذلك» كذا في جامع الأصول (٩/١٤٤).

باليهودية. ولما رفع الرسول ﷺ عنها الهجران أهدته جارية لها فرحا بهذا العفو وندما على تلك الزلة^(٩٩). وكان ذلك في حجة الوداع كما يفهم من سياق القصة في هذا الحديث الصحيح وفي غيره من الأحاديث.

١٢ - ميمونة بنت الحارث الهلالية:

تكلمنا عن قصة زواجها عند الحديث عن عمرة القضاء. وما يمكن إضافته هنا هو أن مما رغب الرسول ﷺ في الزواج منها ما عرفه عنها من الصلاح والتقوى، فقد قالت عائشة عنها «...». أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم^(١٠٠). وقال رسول الله ﷺ عنها وعن أخواتها: «الأخوات مؤمنات ميمونة وأم الفضل وأسما»^(١٠١).

وكان عمه العباس حريصا على أن يقتن الرسول ﷺ بها، فقد قال له: «يا رسول الله، تأيمت ميمونة بنت الحارث.. هل لك في أن تتزوجها؟»^(١٠٢) ولا شك أن العباس (رضي الله عنه) كان من أعرف الناس بها، لأنها أخت زوجه أم الفضل.

وامرأة هذا شأنها لجديرة بأن يضمها الرسول ﷺ إلى بيت النبوة مواساة لها في فقدما زوجها واعترافا منه بفضلها وتحببها لقومها في الإسلام.

١٣ - السراري:

لم يتسر رسول الله ﷺ بغير مارية القبطية^(١٠٣)، أم ولده إبراهيم، وجارية أخرى أصابها في بعض السبي^(١٠٤)، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش^(١٠٥)،

(٥٩) أحمد: الفتح الرباني (١٤٤/٢٢)، وقال الساعاتي: «لم أقف عليه لغير أحمد وسنده جيد». ورواه أحمد من طريق ثان، وإسناده حسن لأن فيه سميعة وهي مقبولة، ورواه ابن سعد (١٢٦/٨) - ١٢٧ بمثل هذا الطريق الثاني بإسناد جيد ورجاله ثقات كما قال الساعاتي.

(٦٠) ابن سعد (١٣٩/٨) وصحح ابن حجر إسناده في الإصابة (٤١٣/٤).
(٦١) ذكره ابن حجر في الإصابة (٤١٢/٤) وعزاه إلى ابن سعد، وصحح إسناده.
(٦٢) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب (٤٠٧/٤) من حديث شرحبيل بن سعد، مرسل.
(٦٣) انظر خبرها في فصل رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء - المقوقس.
(٦٤) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٣٤٤/٥)، أحمد: الفتح الرباني (١٤٨/٢٢)، ابن القيم: زاد المعاد (١١٤/١) ولم يذكر مصادرهم.

(٦٥) ذكرنا ذلك في قصة صفية وتعمير زينب لها باليهودية، من حديث أحمد بإسناد جيد.

وربحانة بنت زيد التي اختلف في أمرها، والراجح أنه كان يطؤها بملك
اليمين، وروي أن الرسول ﷺ قال عن مارية عندما ولدت له إبراهيم:
«أعتقها ولدها»^(٦٦).

ولو أراد الرسول ﷺ أن تكون له آلاف الجواري والسراري لما انتقص
من حقه في مجتمع كان لا يرى بأسا من التعدد في الزوجات واتخاذ السراري
مضى ما تيسر له ذلك ماديا وجسديا، وما سمعنا أن اليهود والنصارى قد
جعلوا من كثرة زوجات وسراري سليمان عليه السلام^(٦٧) قضية كما فعلوا مع
تعدد الزوجات عند الرسول ﷺ. . ولا شك أن الغرض الباطل هو المحرك
لهذه القضية في زماننا هذا. . .

حكمة هذا التعدد

وخلاصة القول: إن أمهات المؤمنين اللاتي توفي عنهن رسول الله ﷺ

(٦٦) نقله ابن كثير في البداية والنهاية (٣٤١/٥) عن الدارقطني بإسناده إلى ابن عباس وقال ابن كثير:
«رواه ابن ماجه (ك) ١٩/٢٠ من حديث حسين بن عبدالله. . . بمثله. وروياه من وجه
آخر. . .». وقال البيهقي في السنن الكبرى (٣٤٦/١٠) عن سند هذا الحديث «وفي الحديث
أبو بكر بن أبي سبرة ضعيف لا يحتاج به إلا أنه قد روى عن غيره عن حسين بن عبدالله بن
عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس بهذا اللفظ، وحسين ضعفه أكثر أصحاب
الحديث. . . كذا رواه أبو أويس مرسلًا (وقيل) عن أبي أويس موصولا بذكر ابن عباس فيه. . .
ورواه سعيد بن كليب وعبد الله بن سلمة بن أسلم عن حسين بن عبدالله، كما رواه ابن أبي
سبرة، ثم رواه البيهقي من حديث علي بن عمر الحافظ، من طريق زياد بن أيوب موصولا إلى
ابن عباس وقال: «علي تفرد بحديث ابن أبي حسين زياد بن أيوب وزيد ثقة. . .» وقال ابن
التركساني في الجوهر النقي بذيل السنن الكبرى للبيهقي (ص ٣٤٧): «وقد أخرج الحاكم في
المستدرک الرواية المرفوعة وقال: صحيح الإسناد، ثم ذكر لها مناعة، وأخرجه ابن حبان من حديث
أبي عاصم عن أبي بكر النخعي عن حسين، والنخعي أخرج له مسلم وثقة جماعة. وقد جاء
للحديث متابعة من وجه آخر بسند جيد. وقال ابن حزم: رويانا من طريق قاسم بن أصبغ. . .
ثم قال ابن حزم: هذا خبر جيد السند، كل روايته ثقات وقال في كتاب البيوع: صحيح
السند. . .» و خلاصة القول إن الحديث يتقوى بالتابعات.

وننظر الحكم الفقهي في أمهات الأولاد عند ابن قدامة: المغني (٥٢٧/٩) وما بعدها) وعند
البيهقي: السنن الكبرى (٣٤٦/١٠ - ٣٤٩)، كتاب: «دعوى أمهات الأولاد».
(٦٧) وردت روايات عند البخاري ومسلم وأحمد أنه كان لسليمان (عليه السلام) عدة زوجات عددهن
في بعض الروايات يصل إلى المائة، وأقل عدد ذكرته إحدى الروايات أنهن كن ستين. انظر في
هذا - مثلا: البخاري/ الفتح (٢١٥/١٣) ح ٣٤٢٤ وابن حجر: الفتح (٢١٧/١٣) - ٢١٨/
شرح الحديث (٣٤٢٤)، وما قاله ابن حجر هنا: «وقد حكى وهب بن منبه في المبتدأ أنه كان
لسليمان ألف وثلاثمائة مهيرة وسبعائة سريّة، ونحوها مما أخرج في المستدرک من طريق أبي معشر
عن محمد بن كعب، قال: بلغنا إنه كان لسليمان ألف بيت من قوارير على الخشب منها ثلاثمائة
سريّة وسبعائة سريّة قلت: وروايتا ابن وهب وأبي معشر ضعيفتان.

قريش، بل تعداها إلى غيرها من قبائل العرب، فاقترضت الحكمة أن يحمّد الرسول ﷺ بعض أطراف هذا العداء وذلك بالإصهار إلى قبائل شتى، لأن أعراف العرب كانت تقضي بأن يحمي أهل المرأة زوج امراتهم كما تفيد ذلك لغتهم، اذ يسمون أنفسهم بالأحماء - من الحماية - .

ولما كانت هذه المصلحة يمكن أن تستغل استغلالاً سيئاً، نظراً لأن الأمور الجنسية تتبعها النفوس اللاهثة، فقد جعل الله تعالى ذلك التعدد بتلك الكيفية خاصاً برسول الله ﷺ، وحدد عدد الزوجات لغيره بأربع زوجات كحد أقصى^(٧١).

(٧١) انظر الدكتور محمد روايس قلعة جي: قراءة جديدة للسيرة النبوية، ط ٢، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٤م، ص ص ٣٤ - ٣٥.

الفصل الثلاثون

بعض شمائل الرسول ﷺ

لقد تميز الرسول ﷺ بصفات خلقية وأخلاقية كثيرة وأريد هنا أن أقف عند بعض صفاته الأخلاقية لحاجة الناس الماسة في كل زمان ومكان لمعرفة هذه الصفات والافتداء بها. ولما كانت صفات الرسول ﷺ الأخلاقية انعكاسا لما في قلب الرسول ﷺ من قيم ومبادئ، كان لابد لكل مسلم أن يلم بها، ويتحلّى بمحاسنها. ومن أبرز هذه الصفات أو الشمائل:

١ - التقشف في الطعام:

قال أنس (رضي الله عنه): «إن النبي ﷺ لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف^(١)»، وفي رواية عن مالك بن دينار، قال: «ما شبع رسول الله ﷺ من خبز قط ولا لحم إلا على ضفف^(٢)»، وقالت عائشة (رضي الله عنها): «ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ»^(٣). وفي رواية أخرى عنها: «ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة، من طعام بر، ثلاث ليال تباعا حتى قبض»^(٤) وهناك روايات أخرى عند مسلم^(٥) وأبي الشيخ^(٦) والترمذي^(٧) بهذا المعنى.

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني في مختصر الشمائل المحمدية، ص ٨٤، «إسناده صحيح على شرط الشيخين...» وأخرجه ابن حبان في المواد برقم ٢٥٣٣، وأحد في المسند (٢٧٠/٣) وابن سعد (٤٠٤/١) وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ، ص ٢٧٨. ومعنى على ضفف، أي عندما ينزل عليه الضيوف، فيشبع حينئذ لضرورة الإنشاس والمجاملة.

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني في المختصر، ص ٧٦: «إسناده مرسل صحيح».

(٣) مسلم (٢٢٨٢/٤) ح ٢٩٧٠، الترمذي في الشمائل وصححه الألباني والدعاس في المختصر، ص ٨٦، وانظر الألباني: صحيح الترمذي (٢٧٦/٢) ك. الزهد/ ٢٤٧٦ وصححه أبو الشيخ/ أخلاق النبي ﷺ، ص ٢٧٦.

(٤) البخاري/ الفتح (٢٤٩/٢٠) ح ٥٤١٦، مسلم (٢٢٨١/٤) ح ٢٩٧٠ وغيرهما.

(٥) مسلم (٢٢٨١/٤) ح ٢٢٨٢ - ٢٩٧٠ - ٢٩٧١.

(٦) أخلاق النبي ﷺ، ص ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٧) الألباني: صحيح الترمذي (٢٧٦/٢) ك. الزهد/ ح ٢٤٧٨ و ح/ ٢٤٧٩.

وقال ابن عباس (رضي الله عنه): «كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا هو وأهله، لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير»^(٨).
وذكرت عائشة أنه كان يأتيها فيقول: «أعندك غداء؟» فتقول «لا»، فيقول: «إني صائم...»^(٩).

٢ - التشف في الفراش:

قالت عائشة (رضي الله عنها): «إنما كان فراش الرسول ﷺ الذي ينام عليه، أدما حشوه ليف»^(١٠).

٣ - تواضعه:

قال رسول الله ﷺ: «لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»^(١١).

وعن أنس (رضي الله عنه) أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: «يا رسول الله إن لي إليك حاجة» فقال: «يا أم فلان، انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك»، فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها^(١٢).

وكانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتطق به حيث شاءت^(١٣).

وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السخنة - الدهن الجامد المتغير الرائحة من طوال المكث - فيجيب^(١٤). وقال: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت»^(١٥).

(٨) الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي، ص ٨٧، وصححه المحققان، ابن سعد (٤٠٠/١) الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٢١١١٩.

(٩) مسلم (٨٠٨/٢ - ٨٠٩/٢)، الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي ص ١٠٢ وحسنه.

(١٠) البخاري/ الفتح ٢٤/٧٧/٤٦٥٦، مسلم (١٦٥٠/٣ ح ٢٠٨٢) واللفظ لمسلم.

(١١) البخاري/ الفتح ١٣/١٥٠ - ١٥١/١ ح ٣٤٤٥.

(١٢) مسلم (١٨١٣/٤ ح ٢٣٢٦)، الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي، ص ١٧٦.

(١٣) البخاري/ الفتح ٢٢/٢٨٥ ح ٦٠٧٢.

(١٤) البخاري/ الفتح ١٠/٢٢٩ ح ٢٥٠٨، الألباني والدعاس: مختصر الشمائل للترمذي ص ١٧٧.

(١٥) البخاري/ الفتح ١١/٦ ح ٢٥٦٨، الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي، ص ١٧٩، بإسناد صحيح.

وعلى الرغم من أنه لم يكن شخص أحب إلى الصحابة (رضي الله عنهم) من رسول الله ﷺ، إلا أنهم كانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك^(١٦). وقال ﷺ في الشأن على التواضع وذم الاستكبار: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جِوَّازٍ مستكبر^(١٧). وقال: «... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»^(١٨)، والكبرياء من صفات الله (عز وجل)، ولذا حرم الله ذلك على المؤمنين، وفي ذلك قال الرسول ﷺ: «... العز إزاره، والكبرياء رداؤه - أي الله (عز وجل) - فمن ينازعني عذتي»^(١٩). وكان ﷺ لا يستكبر عن خدمة أهله^(٢٠).

٤ - خلقه:

كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على أشرف القوم. يتألفهم بذلك^(٢١). خدمه أنس (رضي الله عنه) عشر سنين، فما قال له أف فط، وما قال له لشيء صنعه: لم صنعه، ولا لشيء تركه لم تركته^(٢٢). وما كان فاحشا ولا متفحشا، ولا صحابا في الأسواق، ولا يجزيء بالسيئة، ولكن يَغْفُو ويصْفَح^(٢٣)، ويقول: «خياركم أحسنكم أخلاقا»^(٢٤).

(١٦) الألباني والدعاس: مختصر شئائل الترمذي، ص ١٧٨، بإسناد صحيح، البخاري: الأدب المفرد، ص ٩٤٦، أبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ، ص ٦٣.

(١٧) البخاري/ الفتح (٢٢/٢٨٥) ح/٦٠٧١.

(١٨) مسلم (٤/٢٠٠١) ح/٢٥٨٨. وظاهر الحديث يعني الرفعة في الدنيا والآخرة.

(١٩) مسلم (٤/٢٠٢٣) ح/٢٦٢٠.

(٢٠) في معنى حديث رواه: البخاري/ الفتح (٢٢/٢٤٩) ح/٦٠٣٩ وله أحاديث أخرى بهذا المعنى.

(٢١) طرف من حديث رواه الترمذي بإسناد حسن كما في: الألباني والدعاس: مختصر الشئائل، ص ١٨١.

(٢٢) البخاري/ الفتح (٢٢/٢٤٧) ح/٦٠٣٨، مسلم (٤/١٨٠٤) ح/٢٣٠٩ وهو طرف من حديث رواه الترمذي بإسناد صحيح، انظر الألباني والدعاس: مختصر الشئائل ص ١٨١، ...

(٢٣) أخرجه الترمذي: السنن (٦/٢٢٢) ك. البر/ ب. ما جاء في خلق النبي ﷺ ح/٢٠١٧ وقال: «حدث حسن صحيح»، وصححه إسناده الألباني والدعاس في مختصر الشئائل للترمذي، ص ص ١٨٢ - ١٨٣، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي (٢/١٩٦) ك. البر/ ب. خلق النبي ﷺ ح/٢١٠٢، وللشطر الأول منه شواهد عند البخاري/ الفتح (٢٢/٢٤٥) ح/٦٠٣٥ وأبي الشيخ: أخلاق النبي ﷺ، ص ٣٧.

(٢٤) البخاري/ الفتح (٢٢/٢٤٥) ح/٦٠٣٥ وهو الشطر الثاني من الحديث المذكور في الحاشية التي قبل هذه، رقم ٢٣.

وقال لعائشة (رضي الله عنها): «إن شر الناس من تركه الناس - أو ودعه الناس - إتقاء فحشه»^(٢٥).

ونهى عن اللعن، فقال: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا»^(٢٦). وقال: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»^(٢٧). وعندما قيل له: ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة»^(٢٨).

أما من لعنه الرسول ﷺ أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، كان ذلك له زكاة وأجر ورحمة، لأن الرسول ﷺ شرط ربه على ذلك كما في الحديث: «... اللهم إنما أنا بشر، فأني المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجر»^(٢٩).

وما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يَأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، وما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمة الله فينتقم لله^(٣٠).

وما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله^(٣١).

وما سئل رسول الله ﷺ قط فقال: «لا»^(٣٢).

قال أنس (رضي الله عنه): «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له عمير، وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟

(٢٥) البخاري/ الفتح ٢٢/٢٦٢، ح/٦٠٥٤، مسلم ٤/٢٠٠٢، ح/٢٥٩١.

(٢٦) مسلم ٤/٢٠٠٥، ح/٢٥٩٧.

(٢٧) مسلم ٤/٢٠٠٧، ح/٢٥٩٨.

(٢٨) مسلم ٤/٢٠٠٧، ح/٢٥٩٩. وفي باب النهي عن اللعن أحاديث أخرى انتقينا منها ما ذكرناه،

فانظرها إذا أردت الاستقصاء.

(٢٩) روى مسلم عشرة أحاديث في هذا الباب، فانظرها فيه ٤/٢٠٠٧ - ١٠١٠/٤، ح/٢٦٠٠ - ٢٦٠٤،

وما ذكرته هنا هو أول حديث منها.

(٣٠) البخاري/ الفتح ٢٢/٢٢٣، ح/٦٧٨٦، مسلم ٤/١٨١٣، ح/٢٣٢٨، الألباني والذهبي:

مختصر الشئائل، ص ١٨٣، وإسناده صحيح، وأبو داود في كتاب الأدب رقم ٤٧٨٥.

(٣١) طرف من حديث رواه مسلم ٤/١٨١٤، ح/٢٣٢٨، الألباني: مختصر الشئائل، ص ١٨٧، بإسناد

صحيح، وغيرهما.

(٣٢) مسلم ٤/١٨٠٥، ح/٢٣١١ وغيره.

نغر كان يلعب به^(٣٣)، فمات، فدخل عليه النبي ﷺ يوما فوجده حزينا لموته، فقال ما قال^(٣٤).

٥ - شجاعته:

قال أنس بن مالك (رضي الله عنه): «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا»، وقال عن الفرس: «وجدناه بحرا، أو: إنه لبحر»، قال الراوي: وكان فرسا يبطأ^(٣٥). وقال علي (رضي الله عنه): «لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله ﷺ وكان من أشد الناس ما كان، أو لم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه»، وعنه من طريق ثان، قال: «رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس بأسا»^(٣٦). وقد رأيت موقفه يوم بدر وأحد وحينئذ حين امتحن الله المسلمين.

٦ - حياؤه:

قال أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه): «كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه»^(٣٧). وقال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(٣٨). وروى ابن عمر أن النبي ﷺ مر على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: «إنك لتستحي حتى كأنه يقول قد أضرب بك»، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان»^(٣٩)، وقال ﷺ: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(٤٠).

(٣٣) البخاري/ الفتح (٣٩٥/٢٢ - ٣٩٦/٢٢) ح/٦٢٠٣. والنغير طائر معروف يشبه العصفور، وقيل هو فرخ المصافير، وقيل نوع من الحمر، والراجع أنه طائر أحمر المقار.

(٣٤) البيهقي: السنن الكبرى (٢٤٨/١٠) والأدب ص ١٣٥.

(٣٥) مسلم (١٨٠٢/٤) البخاري/ الفتح (٢٣٠٧/٢٢) ح/٢٢/١٢، ٢٨٦٦، ٢٨٦٧ مختصرا.

(٣٦) أحمد: الفتح الرباني (٣٦/٢١) والمسند (٦٥٣/٢) ح/٦٥٤/ شاكراً وصحح الساعدي وشاكراً إسناده.

(٣٧) البخاري/ الفتح (٣١٤/٢٢) ح/٦١٠٢ وغيره.

(٣٨) البخاري/ الفتح (٣٢٢/٢٢) ح/٦١١٧.

(٣٩) البخاري/ الفتح (٣٢٣/٢٢) ح/٦١١٨.

(٤٠) البخاري/ الفتح (٣٢٥/٢٢) ح/٦١٢٠.

أما الحق فلم يكن الرسول ﷺ يستحي منه، لأن ذلك من التفقه في الدين. فقد روت أم سلمة أن أم سليم جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟»، فقال: «نعم، إذا رأت الماء»^(٤١).

٧ - التيسير والرفق:

قال رسول الله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا»^(٤٢). وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن أعرابيا بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوه، وأهرقوا على بوله ذنوبا من ماء، أو سجلا من ماء، فإننا بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»^(٤٣). وقال في الرفق: «من يحرم الرفق يحرم الخير»^(٤٤)، «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»^(٤٥)، «وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٤٦).

٨ - الحذر من الغضب:

إن من أوصاف المؤمنين وسجاياهم الصفح والعتو عن الناس وعدم الانتقام عند الغضب، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿... وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾^(٤٧) ويقول الرسول ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنها الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٤٨). وعندما قال رجل للنبي ﷺ: «أوصني، قال: «لا تغضب»، وردها مرارا»^(٤٩).

(٤١) البخاري/ الفتح ٣٢٥/٢٢ ح/٦١٢١.

(٤٢) البخاري/ الفتح ٣٢٦/٢٢ ح/٦١٢٥.

(٤٣) البخاري/ الفتح ٣٢٨/٢٢ ح/٦١٢٨.

(٤٤) مسلم ٢٥٩٢ ح/٢٠٠٣/٤.

(٤٥) مسلم ٢٠٠٣/٤ - ٢٠٠٤ ح/٢٥٩٣.

(٤٦) مسلم ٢٥٩٤ ح/٢٠٠٤/٤.

(٤٧) الشورى: ٣٧، وانظر تفسيرها عند ابن كثير في التفسير (١٩٧/٧).

(٤٨) البخاري/ الفتح ٣١٩/٢٢ - ٣٢٠ ح/٦١١٤، مسلم ٢٠١٤/٤ ح/٢٦٠٩.

(٤٩) البخاري/ الفتح ٣٢٢/٢٢ ح/٦١١٦.

٩ - الحلم والأناة:

كان مما يحبه ﷺ هاتان الصفتان وقد قال لأشج عبد القيس إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: «الحلم والأناة»^(٥٠).

١٠ - الوصية بالجار:

قال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(٥١). وقال لأبي ذر (رضي الله عنه): «يا أبا ذر، إذا طبخت مرققة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»^(٥٢)، وفي رواية: «... ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف»^(٥٣). وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»^(٥٤)... «، وفي رواية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»^(٥٥)...».

١١ - رحمته بالأطفال:

عن أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ أخذ ولده إبراهيم فقبله وشمه^(٥٦).

وجعل الرسول ﷺ الجنة لمن يموت وله ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، بفضل رحمته إياهم^(٥٧).

وكانت تفيض عيناه لموتهم، وقد سأله مرة سعد بن عباد: «يا رسول الله: ما هذا؟»، فقال ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»^(٥٨). وعندما ذرفت عيناه لوفاة ابنه إبراهيم، قال له

(٥٠) جزء من حديث أخرجه مسلم (٤٨/١) ح ١٧ - ١٨. وسبق الإشارة إلى هذا في فصل الوفود - المبحث الخاص بوفد عبد القيس.

(٥١) البخاري/ الفتح (٢٢ - ٢٦) ح ٦٠١٤، مسلم (٤/٢٠٢٥) ح ٢٦٢٤ - ٢٦٢٥.

(٥٢) مسلم (٤/٢٠٥) ح ٢٦٢٥.

(٥٣) مسلم (٤/٢٠٢٥) ح ٢٦٢٥.

(٥٤) البخاري/ الفتح (٢٢) ح ٦٠١٨.

(٥٥) الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (٢/٢٩٦) ح ٣٦٧٢.

(٥٦) البخاري/ الفتح (٦/٢١١) ح ١٣٠٣.

(٥٧) البخاري/ الفتح (٦/٢٩٨) ح ١٣٨١.

(٥٨) البخاري/ الفتح (٦/١٨٩ - ١٩٠) ح ١٢٨٤.

ابن عوف: «وأنت يارسول الله؟» فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة لمن اتبعها بأخرى»، وقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»^(٥٩).

وخرج على الصحابة (رضي الله عنهم) وأمامة بنت ابن الربيع، ابنة زينب، على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها^(٦٠).

وقبل الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: «إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا»، فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم»^(٦١).

وجاء أعرابي فقال: «تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم»، فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»^(٦٢).

١٢ - بكاءه عند المريض:

عندما اشتكى سعد بن عباد ذات مرة، عاده فوجده في غشاية أهله، فقال: «قد قضى؟» قالوا: «لا يارسول الله»، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم»^(٦٣).

١٣ - النهي عن تعذيب الناس بغير حق:

ويقول الرسول ﷺ في هذا: «إن الله يعذب الذين يضرِبون الناس في الدنيا»^(٦٤).

١٤ - رحمته ﷺ بالإناث:

شبه الرسول ﷺ النساء بالقوارير، إشارة إلى ما فيهن من الصفاء والنعومة

(٥٩) البخاري/ الفتح (٢١٢/٦) ح (١٣٠٣).

(٦٠) البخاري/ الفتح (٢١٠ - ٢١١) ح (٥٩٩٦).

(٦١) البخاري/ الفتح (٢٢١/٢٢) ح (٥٩٩٧).

(٦٢) البخاري/ الفتح (٢١٢/٢٢) ح (٥٩٩٨).

(٦٣) البخاري/ الفتح (٢١٤/٦) ح (١٣٠٤).

(٦٤) مسلم (٢٠١٧/٤ - ٢٠١٨) ح (٢٦١٣).

والرقة، وإلى ضعفهن وقلة تحملهن، ولذا فإنهن يحتجن إلى الرفق. وله توجيهات كثيرة ومواقف عملية في هذا المجال. ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

(١) كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وكانت معه نساء منهن أم سليم، و غلام أسود يقال له أنجشة يحدو، فقال له النبي ﷺ: «يأنجشة رويدك، سوقاً بالقوارير»^(٦٥).

(٢) وقد عثرت ناقته - ذات مرة، ومعه عليها زوجته صفية، فطرحا على الأرض، فلحق بهما أبوطلحة (رضي الله عنه)، فقال له النبي ﷺ: «عليك بالمرأة»^(٦٦).

(٣) روى أنس أن النبي ﷺ قال: «من عال جارتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو»، وضم أصابعه^(٦٧).

(٤) وقال ﷺ: «من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار»^(٦٨).

(٥) وقال ﷺ: «أفضل الصدقة إعالتك ابنتك الفقيرة التي رفضها زوجها، وليس لها غيرك»^(٦٩).

(٦) وكان عليه السلام يحب بناته حباً جما. فقد روي أن ابنته فاطمة كانت عندما تأتيه يقوم لها، ويأخذ بيدها ويقبلها ويجلسها في مكانه الذي كان يجلس فيه^(٧٠).

(٧) وقال ﷺ: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فاتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»^(٧١).

١٥ - النبي ﷺ الزوج المثالي:

كان ﷺ: كثيراً ما يوصي بالزوجات خيراً، ويقول: «خيركم خيركم

(٦٥) البخاري/ الفتح (٢٢/٣٤٩ - ٥٠/٦١٤٩) و (٢٢/٦١٦١، ٦٢٠٢، ٦٢٠٩، ٦٢١١).

(٦٦) البخاري/ الفتح (٢٢/٣٧٩ - ٣٨٠/٦١٨٥).

(٦٧) مسلم (٤/٢٠٢٧ ح/٢٦٢٩).

(٦٨) البخاري/ الفتح (٢٢/٢٠٩ ح/٥٩٩٥)؛ مسلم (٤/٢٠٢٨ ح/٢٦٣١).

(٦٩) البخاري/ الفتح (٧٥/٧٥)؛ الأدب/ ب (١٨)؛ ابن ماجه (٢/٣٠٩)؛ ك. الأدب/ ح (٣٦١١).

(٧٠) أبوداود (٥/٣٩١)؛ ك. الأدب/ ب (١٥٥) ح/٥٢١٧.

(٧١) البخاري/ الفتح (٤/٩٧ ح/٧٠٧)؛ مسلم (١/٣٤٢ - ٤٣/٤٧٠).

لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم»^(٧٢). وأوصى بهن خيراً في حجة الوداع كما ذكرنا ذلك في مكانه. وقال: «حبب إلي من الدنيا الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة»^(٧٣) ومن دلائل شدة احترامه وحببه لزوجته خديجة (رضي الله عنها)، إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلاتها [صديقاتها] وذلك بعد عمامتها. وقد أقرت عائشة (رضي الله عنها) بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه^(٧٤).

وقد روي أنه وضع ركبته لتضع عليها زوجته صفية (رضي الله عنها) رجلها حتى تركب على بعيرها^(٧٥).

وأوصى ﷺ بالمرأة الزوجة، فقال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته، لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»^(٧٦). وقال: ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنها هن عوان عندكم...»^(٧٧). وقال: «بم يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل ثم لعله يعانقها»، وفي رواية: «... جلد العبد...»^(٧٨).

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً؛ وخياركم خياركم لنسائهم»^(٧٩)، وفي رواية: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»^(٨٠).

(٧٢) رواه ابن عسكرك عن علي، والترمذي عن عائشة، وابن ماجه، عن ابن عباس (٦٣٦/١ ح ١٩٧٨) وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده على شرط الشيخين».

(٧٣) أخرجه أبو الشيخ في: «أخلاق النبي» (رقم ٢٤٧) والنسائي في كتاب عشرة النساء (٦١/٧) وأحمد: المسند (١٢٨/٣)، ١٩٩، (٢٨٥) وابن سعد (٣٩٨/١). وهو حديث صحيح كما ذكر الدكتور الصباغ في مختصر المقاصد الحسنة، ص ٩٥ - حرف الحاء المهملة.

(٧٤) البخاري/ الفتح (٢٩٠/١٤) - ٢٩١ ح/ (٣٨٢١).

(٧٥) البخاري/ الفتح (٦٠/١٦) ح/ (٤٢١١).

(٧٦) البخاري/ الفتح (٣٠٣/١٩) ح/ (٥١٨٦)، مسلم (١٠٩٠/٢) ح/ (١٤٦٨).

(٧٧) طرف من حديث رواه الترمذي (١٤٣/٤ - ١٤٤ ح/ (١١٦٣)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه، (رقم ١٨٥١)، وله شاهد عند الإمام أحمد: المسند (٧٢/٥)، (٧٣).

(٧٨) البخاري/ الفتح (٢٥٢/٢٢) - ٥٣ ح/ (٦٠٤٢).

(٧٩) أخرجه أحمد (٢٥٠/٢)، (٤٧٢) بإسناد حسن؛ والترمذي (١٣٥/٤) ح/ (١١٦٢) وقال: حديث حسن صحيح.

(٨٠) أحمد (٤٧/٦)، والترمذي (٢٧٧/٧) ح/ (٢٦١٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

وقال: «إن من أعظم الأمور أجراً النفقة على الأهل»^(٨١).

١٦ - رحمته بالضعفاء عموماً:

لقد بعث الرسول ﷺ رحمة^(٨٢) للعالمين: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»^(٨٣) ويقول ﷺ عن هذه الرحمة الإلهية: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»^(٨٤).

وشملت رحمته ﷺ الضعفاء حتى وهو في الصلاة. فقد أوصى الأئمة قائلًا: إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم السقيم والضعيف والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»، وفي رواية: «إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة»^(٨٥).

وشملت رحمته الخدم والأرقاء. وفي ذلك قال:

(١) على المسلم أن يعامل خادمه أو موله كأخ له. فقد روى أبوذر أن الرسول ﷺ قال: «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فاطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم. فإن كلفتموهم فأعينوهم»^(٨٦).

(٢) روى أبوهريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ثم جاء به، وقد ولى حره ودخانه، فليقعد معه، فليأكل، فإن كان الطعام قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين» أي لقمة أو لقمتين^(٨٧).

(٨١) مسلم ٦٩٢/٢ ح ٩٩٥، ٩٩٤.

(٨٢) طرف من حديث من رواية أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال قيل يا رسول الله: ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة». أخرجه مسلم ٢٠٠٧/٤ ح ٢٥٩٩، والبخاري في الأدب المفرد، باب لعن الكافر، حديث رقم (٣٢١).

(٨٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٨٤) البخاري/ الفتح ١٠/٣ ح ٣١٩٤.

(٨٥) البخاري/ الفتح ٢٠٠/٢ ح ٧٠٤ / المطبعة السلفية تبويب محمد فؤاد عبدالباقى؛ مسلم ٣٤٠/١ - ٤١/٤ ح ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨.

(٨٦) مسلم ١٢٨٤/٣ ح ١٦٦٣.

(٨٧) مسلم ١٢٨٤/٣ ح ١٦٦٣.

٣) وكان الرسول ﷺ يوصي - وهو في فراش الموت - بحسن معاملة الأرقاء^(٨٨).

٤) وروى أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أن الرسول ﷺ قال: «من أساء معاملة من هم تحت يديه فلن يدخل الجنة»^(٨٩).

٥) وقال ﷺ: من كانت له أمة فأدبها ثم أعنتها وتزوجها، فله أجران^(٩٠).

٦) وأمر ﷺ بأن يعامل المالك مثل معاملة الأبناء^(٩١).

٧) وقال ﷺ: من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه^(٩٢).

٨) وقال لأبي مسعود، عندما رآه يضرب مملوكاً له: اعلم أبا مسعود!! أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام. فانتهى عن ضربه، وأعتقه حتى لا يمسه الله بعذاب نتيجة هذا الفعل^(٩٣).

وحدث على كفالة الأيتام لضعفهم وحاجتهم للرعاية، فقال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بأصبعه السبابة والوسطى^(٩٤).

وحدث على إعالة الأزامل والمساكين، فقال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أوكالذي يصوم النهار ويقوم الليل»^(٩٥) وقال: «اللهم إني أحرص^(٩٦) حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»^(٩٧). وقال: «ابغوني الضعفاء، فإننا تنصرون وترزقون بضعفائكم»^(٩٨).

وشملت رحمته حتى البهائم، قال: «ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه

(٨٨) انظر: أحمد (١١٧/٣)؛ ابن ماجه (٢٧١/١) ك. الجنائز/ح (١٦٢٥)؛ أبوداود (٣٥٩/٥) ك. الأدب/ح (٣١٥٦).

(٨٩) الترمذي (١٨٣/٦) - ٨٤ ك. البر/ح (١٩٤٧)؛ ابن ماجه (٣١٣/٢) ك. الأدب/ح (٣٧٣٥).

(٩٠) البخاري (١٢٠/٦) - ٢١ ك. النكاح/ب (٢١)؛ مسلم (٤٥/٢) - ١/ح (١٤٢٩).

(٩١) انظر: ابن ماجه (٣١٤/٢) ك. الأدب/ح (٣٧٣٥).

(٩٢) مسلم (١٢٧٨/٣) ح (١٦٥٧).

(٩٣) مسلم (١٢٨٠/٣) ح (١٦٥٩).

(٩٤) البخاري/الفتح (٢١٩/٢٢) - ٢٠/ح (٦٠٠٥).

(٩٥) البخاري/الفتح (٢٢١/٢٢) ح (٦٠٠٦).

(٩٦) أي الحق الخرج، وهو الإثم، بمن ضيع حقها، وأحذر من ذلك وأزجر عنه بشدة.

(٩٧) أحمد (٤٣٩/٢) من حديث أبي هريرة - وإسناده حسن.

(٩٨) أبوداود (٧٣/٣) ح (٢٥٩٤)؛ أحمد (١٩٨/٥)، وإسناده صحيح.

وأخرج البخاري نحوه في كتاب الجهاد/باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ورقم الباب (٧٦).

إنسان أو دابة إلا كان صدقة»^(٩٩). وقال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً، فنزل فيها فشرّب، ثم خرج فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فعلاً فملاً خفه، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له. قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»^(١٠٠).

١٧ - رحمته بالأعداء في الحرب والسلام:

كان الرسول ﷺ يصلي الفجر مع المسلمين في الحديبية، فنزل سبعون أو ثمانون رجلاً من التنعيم يريدون الفتك بالمسلمين، فأخذوا، فأعتقهم رسول الله ﷺ دون عوض عقاب^(١٠١).

وقد قبل الفداء من أسرى بدر، وعفا عن قريش وأهل مكة، يوم فتح مكة، وأطلق سراح أسرى حنين^(١٠٢).

وعفا عن غورث بن الحارث على الرغم من محاولته قتل الرسول ﷺ، فجاء غورث إلى قومه بعد هذا فقال لهم: جئكم من عند خير الناس^(١٠٣).

روى البخاري^(١٠٤) أنه مر عليه بجنزة، فقام لها، فقالوا يا رسول الله ﷺ إنها جنازة يهودي!! فقال: «أليست نفساً منقوسة؟» ونهى ﷺ عن قتل النساء والصبيان والأجير، ماداموا غير مشاركين في قتال المسلمين^(١٠٥) فكان إذا بعث بعثاً أو جيشاً أوصاهم قائلاً: «لاتغفلوا، ولا تغدروا، ولا تملأوا، ولا تقتلوا وليداً»^(١٠٦).

وكان له خادم يهودي، فكان إذا مرض عاده، فعاده مرة، فعرض عليه

(٩٩) البخاري/ الفتح ٢٢/٢٢٣ ح/ ٦٠١٢.

(١٠٠) البخاري/ الفتح ٢٢/٢٢٢ ح/ ٦٠٠٩.

(١٠١) انظره في مكانه من غزوة الحديبية، وهو من رواية البخاري كما ذكر.

(١٠٢) سبق ذكر ذلك. انظره في مكانه عند الكلام عن هذه الأحداث.

(١٠٣) انظره في مكانه من هذا الكتاب، وهو من رواية البخاري.

(١٠٤) الفتح ٢١٩ - ٢٢٠ ح/ ١٣١٢.

(١٠٥) انظره في مكانه من الكتاب.

(١٠٦) مسلم ١٣٥٧/٣ ح/ ١٧٣١.

الإسلام وأبوه حاضر، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فقال الرسول ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»^(١٠٧).

١٨ - عدله ﷺ:

ذكرنا من قبل بمناسبة الكلام عن غزوة الفتح^(١٠٨) أن الرسول ﷺ رفض شفاعة أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) في المرأة المخزومية التي سرقت، وأهم أمرها قريش، وقال: والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

١٩ - حثه ﷺ على صلة الأرحام:

لقد أخبر الرسول ﷺ أصحابه بأن من أحب الأعمال إلى الله تعالى بر الوالدين^(١٠٩).

قال له رجل من الصحابة، يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابي؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك^(١١٠).

وقال رجل للنبي ﷺ: أجاهد؟ قال: ألك أبوان؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد^(١١١).

وجعل عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، قال لأصحابه: ألا أنيثكم بأكبر الكبائر؟ قالها ثلاثاً، فقال الصحابة: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...^(١١٢). وقال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات...»^(١١٣) وحث على صلة الوالدين المشركين والأقارب المشركين^(١١٤).

(١٠٧) البخاري/ الفتح ٢٦٩/٦ ح (١٣٥٦).

(١٠٨) انظر الفقرة رقم (١٣) من دروس وعبر وأحكام غزوة الفتح.

(١٠٩) البخاري/ الفتح ١٧٧/٢٢ ح (٥٩٧٠).

(١١٠) البخاري/ الفتح ١٧٨/٢٢ ح (٥٩٧١)؛ مسلم (٤/١٩٧٤ ح ٢٥٤٨).

(١١١) البخاري/ الفتح ١٨٠/٢٢ ح (٥٩٧١)؛ مسلم (٤/١٩٧٤ ح ٢٥٤٨).

(١١٢) البخاري/ الفتح ١٨٦/٢٢ ح (٥٩٧٦).

(١١٣) البخاري/ الفتح ١٨٣/٢٢ ح (٥٩٧٥).

(١١٤) البخاري/ الفتح ١٩٢/٢٢ - ١٩٣ ح (٥٩٧٨، ٥٩٧٩، ٥٩٨١).

وجعل صلة الرحم من أسباب دخول الجنة^(١١٥)، والبسط في الرزق^(١١٦)، وقطعها من أسباب دخول النار. قال: «لا يدخل الجنة، قاطع»^(١١٧) أي قاطع رحم.

وقال رجل للنبي ﷺ: يارسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: لئن كنت كما قلت، فلإننا تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»^(١١٨).

٢٠ - إعراضه ﷺ عما يكرهه:

روي عن أنس أنه ﷺ كان عنده رجل به أثر صفرة. وكان ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه. فلما قام الرجل، قال النبي ﷺ للقوم: «لو قلتم له يدع هذه الصفرة»^(١١٩) لأن الصفرة من أثر طيب النساء، ويكره للرجل أن يتطيب بها له لون، بل يتطيب بها له رائحة فقط.

وروي عن عائشة (رضي الله عنها) أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فقال: «ائذنوا له، فبش رجل العشير، أو بش رجل العشيرة، فلما دخل ألان له القول. قالت عائشة: يارسول الله، قلت له الذي قلت، فلما دخل ألنت له القول؟ قال: «يا عائشة إن شر الناس منزلة يوم القيامة، من ودَّعه أو تركه الناس إتقاء فحشه»^(١٢٠).

وقالت عائشة (رضي الله عنها): كان النبي ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل له قلت كذا وكذا، قال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»^(١٢١).

(١١٥) البخاري/ الفتح ١٩٣/٢٢ - ١٩٤/١٩٤ ح/٥٩٨٢؛ أحمد (٤٢٩/٣)، عبد الرزاق (١٧٦/٥).

(١١٦) البخاري/ الفتح ١٩٤/٢٢ - ١٩٥/١٩٥ ح/٥٩٨٥، ٥٩٨٦؛ مسلم (١٩٨٢/٤) ح/٢٥٥٧.

(١١٧) البخاري/ الفتح ١٩٤/٢٢ ح/٥٩٨٤.

(١١٨) مسلم (١٩٨٢/٤) ح/٢٥٥٨ - والمثل هو الرماد الحار.

(١١٩) عن أخرجه: أبوداود (١٤٣/٥ - ١٤٤/١٤٤) ح/٤٧٨٩؛ الترمذي: الشائل (رقم ٣٣٩)؛ أحمد

(١٦٠، ١٥٤/٣)، وإسناده صحيح.

(١٢٠) البخاري/ الفتح ٢٤٠/٢٢ - ٢٤٢/٢٤٢ ح/٦٠٣٢؛ مسلم (٢٠٠٢/٤) ح/٢٥٩١.

(١٢١) أبوداود (١٤٣/٥) ح/٤٧٨٨، قال المتذري: «وأخرجه النسائي بمعناه. وهو صحيح».

٢١ - عدم ذكره عيب الطعام واستجابته مدحه

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»^(١٢٢).

وعن جابر (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ سأل أهله إداماً، فقالوا: ما عندنا إلا خل، فدعا به، فجعل يأكل ويقول: «نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل»^(١٢٣).

٢٢ - من جامع صفاته وإرشاداته ﷺ:

روي عن عبدالله بن عمرو وعبدالله بن سلام (رضي الله عنهم) أنهما قالا: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً»^(١٢٤) للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وتفتح به أعين عمي وأذان صم وقلوب غلف»^(١٢٥).

وكان ﷺ لا يحب من مدحه ما ينقص من غيره من الأنبياء، ويقول: لا تخيروا بين الأنبياء»^(١٢٥).

وكان يحث على الصبر والشكر، وفي ذلك يقول: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه»^(١٢٦). وجعل مقياس القوة تملك النفس عند الغضب»^(١٢٧).

وكان ينهى عن سيء الخلق، وفي ذلك يقول: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»^(١٢٨).

(١٢٢) البخاري/ الفتح (٢٠/٢٤٥ - ٢٤٦/٥٤٠٩).

(١٢٣) مسلم (١٦٢٢/٣) ح/ (٢٠٥٢).

(١٢٤) البخاري/ الفتح (٩/١٩٩ - ٢٠٠/٢١٢٥).

(١٢٥) البخاري/ الفتح (٢٦/٩٢ ح/ ٦٩١٧)، مسلم (٤/١٨٤٤ ح/ ٢٣٧٣).

(١٢٦) البخاري/ الفتح (٢٤/١١٤ ح/ ٦٤٩٠).

(١٢٧) البخاري/ الفتح (٢٢/٣١٩ - ٣٢٠/٦١١٤).

(١٢٨) البخاري/ الفتح (٢٥/١٢٦ ح/ ٦٧٢٤).

وفي وصف جوامع خلقه وخلقه نورد الحديث الذي رواه الترمذي في الشبائل^(١٢٩). عن الحسن بن علي (رضي الله عنه) قال: سألت خالي هند ابن أبي هالة^(١٣٠)، وكان وصافاً، عن حلية النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به، فقال: «كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألاً وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرت عقيقته^(١٣١)، فرّقها، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج^(١٣٢) الحواجب سوانج في غير قرن^(١٣٣)، بينهما عرق يُدرُّه الغضب^(١٣٤)، أفنى العرّنين^(١٣٥)، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم^(١٣٦)، مفلج الأسنان^(١٣٧)، دقيق المسربة^(١٣٨)، كأن عنقه جيد دمية، في صفاء الفضة^(١٣٩)، معتدل الخلق، بادن متناسك^(١٤٠). سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس^(١٤١)، أنور المتجرد^(١٤٢)، موصول ما بين اللبة^(١٤٣) والسرة بشعر يجري كالخط، عاري

(١٢٩) ص ص ١٨ - ٢٦، وقال المحقق - الشيخ الألباني: «نفرد به المؤلف، ورواه الطبراني [في الكبير] والبيهقي [في الشعب] إسناده ضعيف، وله علتان بيتهما في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٠٥٣)، وقد أخرجت فيه شاهداً لطرفه الأول، وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق أخرى، ولكن فيه على بن جعفر بن محمد، سكنت عنه في «الكاشف»، وقال في «الميزان»: «مارأيت أحداً ليته، نعم ولا وثقة: وساق له حديثاً في فضل أهل البيت استنكره جداً، وكذلك خرجته في «الضعيفة» (٢١٢٢). قلت: رواه أبو نعيم في الدلائل مطوياً (٢٢٧) وابن سعد (٤٢٢/١) والبقوي في شرح السنة تماماً برقم (٣٧٠٥).

(١٣٠) هند هو أخو فاطمة أم الحسن والحسين من أمها خديجة، كما مر بك. قتل مع علي يوم الجمل.

(١٣١) العقيقة: شعر رأسه الذي على ناصيته، أي جعلها فرقتين.

أزج: أي مقوس الحاجبين.

(١٣٢) أي كاملات، والقرن: اقتران الحاجبين بحيث يلتقي طرفاهما.

(١٣٣) يدره الغضب: أي يصبره الغضب ممثلاً دماً.

(١٣٤) أفنى العرّنين: أي طويل الأنف مع دقة أرنبتيه، والعرّنين: ما صلب من الأنف وقيل الأنف كله.

(١٣٥) ضليع الفم: أي واسع الفم، وهذا عند العرب يدل على الفصاحة.

(١٣٦) الفلج: انفراج ما بين الأسنان.

(١٣٧) دقيق المسربة: أي دقيق الشعر الذي من الصدر إلى السرة.

(١٣٨) الجيد: العنق، والدمية: الصورة المتخذة من عاج أو غيره.

(١٣٩) البادن: المعتدل السمرة، ومتناسك: أي قوي ومعتدل الجسم.

(١٤٠) الكراديس: رؤوس الأعضاء كالكتف والركبة والمرفق.

(١٤١) أي نير العضو المتجرد عن الشعر أو عن الثوب.

(١٤٢) اللبة: موضع الثرة فوق الصدر.

الثدين والبطن ما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلي الصدر، طويل الزندين، رجب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، أو قال: سائل الأطراف^(١٤٤) مُحصان الأُخصين^(١٤٥)، مسيح^(١٤٦) القدمين ينبو عنها الماء، إذا زال زال قلعاً يخطو تكفياً^(١٤٧) ويمشي هونا، ذريع^(١٤٨) المشية، إذا مشى كأنها ينحط من صيب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه^(١٤٩)، ويبدو^(١٥٠) من لقي بالسلام».

قال: فقلت: صف لي منطق رسول الله ﷺ، قال: «كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى^(١٥١)، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير.

ليس بالخافي ولا المهيّن، يعظم النعمة، وإن دقت، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً^(١٥٢) ولا يمدحه.

ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تُعدي الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها. إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها^(١٥٣)، وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى.

وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه. جل ضحكه التبسم، يَفْتَر عن مثل حب الغمام^(١٥٤).

(١٤٤) شك من الرواي. والسائل: الطويل، والسائل: كذلك الطويل.

(١٤٥) الأخص من القدم هو الموضع الذي لا يلبص بالأرض منها عند التواء، والخصان البالغ منه، والمراد أن ذلك الموضع من أسفل قدميه شديد التجافي عن الأرض.

(١٤٦) مسيح: أي ملساوان، ليس فيها تكسر ولا شقاق: أي يتشقق.

(١٤٧) تكفياً أو تكفوفاً كما في رواية، أي يشي تخلصاً يخطو تكفوفاً: مثلاً قليلاً إلى الأمام.

(١٤٨) ذريع: واسع الخطأ، والصبب: الأرض المنحدرة.

(١٤٩) أي يمشون أمامه ويمشي هو خلفهم.

(١٥٠) يبدو: أي يسبق.

(١٥١) في رواية الطبراني: ويختمه بأشداقه، أي يتكلم بملء فمه، وهو من الرجولة.

(١٥٢) الذواق: المأكول والمشروب. وجوامع الكلم: ما قل لفظه وكثر معناه وحسن سبكه.

(١٥٣) أي بكفه، بمعنى أن حديثه يقارن تحريكها وبين ذلك بقوله: «وضرب...».

(١٥٤) الغمام: السحاب، وحب الغمام: البرد شبه به أسنانه البيض.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زماناً، ثم حدثته، فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه وشكله، فلم يدع منه شيئاً. قال الحسين: فسألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: «كان إذا أوى إلى منزله جِزاً دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله، وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه، ثم جزء جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة» (١٥٥) ولا يدخر عنهم شيئاً.

وكان من سيرته في جزء الأمة إثارة أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاكل بهم، ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مساءلتهم عنه، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة» (١٥٦).

لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون رواداً (١٥٧)، ولا يفترون إلا عن ذواق (١٥٨)، ويخرجون أدلة (١٥٩)، يعني على الخير.

قال: فسألت عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: «كان رسول الله ﷺ يخزن (١٦٠) لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم» (١٦١)، ويكرم كريم كل قوم ويوليهم عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه.

(١٥٥) المراد بالخاصة: الصحابة الذين يكثر الدخول عليه كالحلفاء الأربعة. والمراد بالعامة الذين لم يعتادوا الدخول عليه. فالخواص يأخضون عنه وهم يبلغونها بقية الناس.

(١٥٦) قال الشيخ العلامة الألباني - محقق شياطين الترمذي، ص ٢٢ - الحاشية: «من قوله: أبلغوني...» إلى هنا له طريق أخرى عن علي، لكن إسناده ضعيف جداً، وكذلك أوردته في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» برقم (١٥٩٤).

(١٥٧) جمع رائد، وهو في الأصل من يقدم القوم لينظرهم الكلاً وساقط الماء. والمراد هنا كبار الصحابة.

(١٥٨) الذواق: المأكول والمشروب. وضرب الذواق مثلاً لما يتألون عنده من الخير، أي لا يفترون إلا عن علم وأدب يتعلمونه يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسامهم (النهاية) وهذا حل للفظ على المجاز، وهناك من حمله على الحقيقة، والله أعلم.

(١٥٩) أدلة: أي يدلون على الخير، هداة للناس.

(١٦٠) أي يجيس، أو يتكلم.

(١٦١) وفي معنى هذا يقول الله تعالى في وصفه: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك...﴾ (ال عمران: ١٥٩).

ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه،
ويقبح القبيح ويوهيه.

معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يفضلوا أو يميلوا، لكل حال
عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه.

[الذين] يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة،
وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه. فقال: «كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس
إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر
بذلك. يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه
منه، من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه،
ومن سألته حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس
بسطه وخلقه، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء.

مجلسه مجلس علم وحلم وحياء وأمانة وصبر، لا ترفع فيه الأصوات، ولا
تؤين^(١٦٢) فيه الحرم، ولا تشي فلتاته^(١٦٣)، متعادلين، بل كانوا يتفاضلون
فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون
ذا الحاجة، ومحفظون الغريب.

قال الحسين: سألت أبي عن سيرة النبي ﷺ في جلسائه، فقال: «كان
رسول الله ﷺ دائم البشر^(١٦٤)، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا
غليظ ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مشاح^(١٦٥). يتغافل عما
لا يتشهى، ولا يؤيس^(١٦٦) منه راجيه، ولا ينجب فيه.

(١٦٢) أي لا تعاب، من (الأبن)، وهو: العيب. والمراد لا يقدح فيه بعثرة أحد.

(١٦٣) أي لا تشاع ولا تداع، كما في (النهاية).

(١٦٤) أي طلاقة الوجه وبشاشته مع الناس.

(١٦٥) من الشح، وهو البخل.

(١٦٦) أي لا يجعله أيساً من يره.

قد ترك نفسه من ثلاث: المراء^(١٦٧)، والإكثار^(١٦٨)، وما لا يعنيه^(١٦٩).
وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً، ولا يعيبه، ولا يطلب
عورته^(١٧٠)، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.
وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير^(١٧١)، فإذا سكت
تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ،
حديثهم عنده حديث أولهم.
يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب
على الجفوة^(١٧٢) في منطقته ومسألته، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم^(١٧٣)،
ويقول: «إذا رأيتم طالب حاجة، يطلبها فأرفدوه»^(١٧٤). ولا يقبل الثناء إلا
من مكافئ^(١٧٥)، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز^(١٧٦)، فيقطعه بنبي
أو قيام^(١٧٧).

المراء: الجدل. وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «من ترك المراء، وهو محق، بنى الله له بيتاً في
رض الجنة»، أي في أول الجنة. انظر: أبوداود (٥/١٥٠) ك. الأدب/ ب. في حسن الخلق/ ح
(٤٨٠٠) وفي رواية الترمذي (٦/٢٠٨ ح/ ١٩٩٤): (... ومن ترك المراء وهو محق بنى له في
وسطها...) يعني الجنة، وقال: حديث حسن...
(١٦٨) أي الإكثار من الكلام أو المال. وفي نسخة: الإكبار، أي استعظام نفسه في المشي والجلوس وغيره.
(١٦٩) والله تعالى يقول: «والذين هم عن اللغو معرضون». المؤمنون: ٣. ويقول الرسول ﷺ: «من
حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». وعن رواه: الإمام أحمد: المسند (٣/١٧٧ ح/ ١٧٣٧) شاكر
وصحح شاكر إسناده.
(١٧٠) أي لا يكتشف عورة أحد أو لا يظهر ما يريد الشخص ستره وتخفيه عن الناس.
(١٧١) أي كانوا لإجلالهم إياه لا يتحركون، فكان صفته من على رأسه طائر يريد أن يصيده،
فهو يخاف أن يتحرك.
(١٧٢) أي على الجفاء والغلظة مما كان يصدر من بعض الجفأة.
(١٧٣) أي يتنمون أن يحجي الغرباء إلى مجلسه (عليه السلام)، ليستفيدوا بسبب أسئلهم ما لا يستفيدون
في غيبتهم، لأنهم كانوا يتهيون أن يسألوه.
(١٧٤) أي أعينوه على طلبته.
(١٧٥) أي متقصدي في الملح غير متجاوز للائق به.
(١٧٦) أي يجاوز الحق ويتعداه.
(١٧٧) أي يترك ذلك المجلس.
قال الشيخ الألباني - محقق شئال الترمذي: «واعلم أن الحديث كان في الأصل مرفقاً في عدة أبواب
بسند واحد، فجمعت هنا في سياق واحد، باجتهاد مني، ثم رأيت مطابقاً لرواية يعقوب ابن سفيان
القسوي الحافظ، فإنه ساقها مجموعة في سياق واحد، فيها نقله ابن كثير في «البدایة». ثم قال:
وقد روى هذا الحديث بطول الحافظ أبو عيسى الترمذي - رحمه الله - في «كتاب الشئال» عن سفيان
بن وكيل... ودون أن يشير إلى أنه رواه فيه مرفقاً. ثم رأيت عند أبي نعيم أيضاً في سياق واحد.
وقد أفرد البيهقي في الدلائل (١/٣٠٨ - ٣٣٢) باباً خاصاً ذكر منه أخباراً رويت في شئاله وأخلاقه
على طريق الاختصار تشهد لما رواه في حديث هند بن أبي هالة بالصحة قلت. ومعظم هذه الأخبار
من روايات البخاري ومسلم فلتراجع في مكانها من الدلائل.

ومن الأحاديث الجامعة في وصفه ﷺ حديث أم معبد الخزاعية، الذي سبقت الإشارة إليه في أخبار الهجرة إلى المدينة المنورة. فعندما طلب أبو معبد من أم معبد أن تصف له الرسول ﷺ، قالت: «رأيت رجلاً ظاهراً الرضاعة أبلج» (١٧٨) الوجه لم تبعه ثُجَلَةٌ (١٧٩). ولم تُزَرَّ به صُقْلَةٌ (١٨٠). وسيم قسيم (١٨١). في عينيه دمع (١٨٢) وفي أشفاره (١٨٣) وطف (١٨٤). وفي صوته صَهْل (١٨٥). وفي عنقه سَطْع (١٨٦). وفي لحيته كثائة. أَزَجٌ أقرن (١٨٧) إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء. أجمل الناس وأبهاء من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب. حلو المنطق، فصل (١٨٨) لا تُزَرَّ، ولا هَذَر (١٨٩)، كان منطقته خرزات نظم يَتَحَدَّرُنْ (١٩٠). ربعة (١٩١)، لا بَأْسَ (١٩٢) من طول، ولا تقتحمه عين من قصر. غصن بين غصنين. فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا. له رفاقا يَحْفُونُ به، إن قال أنصتوا، وإن أمر تبادروا لأمره. محشود (١٩٣) محفود (١٩٤). لا عابس، ولا مُقَنَّد. (١٩٥) (١٩٦).

- (١٧٨) ابلج الوجه: يعني مشرق الوجه، يقال بلج الصبح إذا أشرق.
 (١٧٩) لم تبعه ثُجَلَةٌ: الثُجَلَةُ هي ضخامة البطن (النهاية).
 (١٨٠) لم تزُر به صقله: أي لم يقصر والصقل والصقْلَة: دقة ونحول (النهاية) والصقْلَة أيضا جلدة الخاصرة. تريد أنه ناعم الجسم ضامر الخاصرة. وهو اسم للأوصاف الحسنة.
 (١٨١) وسيم: أي جسيم والوسامة: الحسن.
 (١٨٢) الدمع: شدة سواد العين.
 (١٨٣) و (١٨٤) الوطف: طول شعر أشفار العين.
 (١٨٥) وفي رواية صحل: يُريدُ أنه ليس بحاد الصوت.
 (١٨٦) سطع: أي إشراف وطول.
 (١٨٧) الكثائة: دقة نبات شعر اللحية، مع استدارة فيها، وقولها: أزج أقرن: الزج، دقة شعر الحاجبين مع طولها والقرون أن يتصل ما بينهما بالشعر.
 (١٨٨) و (١٨٩) فصل لا نذر ولا هذر: الفصل هو الكلام البين والنزر الكلام القليل. والهذر الكلام الكثير.
 (١٩٠) يتحدرن: يتساقطن من فمه.
 (١٩١) ربعة: أي الوسط وإلى الطول أقرب.
 (١٩٢) لا بأس: لا يؤس من طوله، لأنه كان إلى الطول أقرب.
 (١٩٣) غشود: أي محفوف به.
 (١٩٤) محفود: أي مخدوم، والحفدة: الخدمة، ويقال حفدت الرجل إذا خدمته.
 (١٩٥) في رواية البيهقي: مفند. وفي رواية ابن إسحاق: معتد: أي غير ظالم.
 (١٩٦) هذا الخبر أخرجه البيهقي في شرح السنة، الحديث رقم (٣٧٠٤) وفي: الأنوار في شئائل النبي المختار - بتحقيق إبراهيم البيهقي، الجزء الأول، ص ٣٤٠، حديث رقم (٤٥٦)، وابن سعد في الطبقات (٢٣٠/١ - ٣١)، والحاكم في المستدرک (٩١٣ - ١٠)، وأقره الذهبي. وأخرج بعضه ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق (١٤٦/٢ - ١٤٨) بإسناد حسن لذاته. وله شواهد، والقصة مشهورة.

وخلاصة القول: إن النبي ﷺ قد اتصف بصفات الكمال، ولا غرو فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه وخاطبه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ (١٩٧). وقالت عائشة (رضي الله عنها): «كان خلقه القرآن» (١٩٨).

وهذه الشئائل التي ذكرناها هي نقطة من بحر، لأنه ما من خصلة حميدة ذكرت في القرآن أو الحديث إلا وكان الرسول ﷺ يتصف بها، وهو أول العاملين بها، وهي خصال يصعب جمعها في فصل من كتاب كهذا، وقد حاول الترمذي (١٩٩) والبيهقي (٢٠٠) وأبو الشيخ (٢٠١) وابن المقري (٢٠٢) والفيروزبادي (٢٠٣) والمستغفري (٢٠٤) وجعفر بن حيان الأصبهاني (٢٠٥) والبغوي (٢٠٦) وغيرهم أن يفرد كل منهم كتاباً جمع فيه جانباً كبيراً من هذه الشئائل. وحاول ابن القيم (٢٠٧) أن يستقصى كل ما ينبغي معرفته عن النبي ﷺ وأحواله فاستوعب ذلك أكثر من كثير من غيره من المؤلفين.

ومن أجل وأنفس ما ألف في الشئائل كتاب «الأنوار في شئائل النبي المختار» من تأليف الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ). وقد حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي، وقد صدر في جزأين، وفي نحو ثمانمائة صفحة. وجمع فيه مؤلفه سبعة وخمسين ومائتين وألفاً من الأحاديث والآثار التي تتعلق بالشئائل، بينها جمع الترمذي - مثلاً - في

(١٩٧) القلم: ٤.

(١٩٨) ذكره ابن كثير في الشئائل ونسبه للبيهقي، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٦١٣/٢) وأقره الذهبي، وأحمد في المسند (٥٤/٦)، وأبو الشيخ ص ٢٨. وانظر: البغوي: الشئائل (١/ ١٦٤ - ٦٥).

وحاشيته رقم ١٩٧.

(١٩٩) انظر كتابه الشئائل. وقد كتب كبار العلماء زيادات عليه أهمها وأطولها ما كتبه القاضي عياض في كتابه الشفا في حقوق المصطفى، وقد شرحه الشهاب الخفاجي وسماه نسيم الرياض.

(٢٠٠) انظر كتابه: الأدب. وقد اعتنى به وعلق عليه أبو عبد الله السعيد المددوة - وهو في ثلثائة وخمسين صفحة.

(٢٠١) انظر كتابه: أخلاق النبي ﷺ وآدابه، وقد حقق وهو في ثلثائة صفحة.

(٢٠٢) انظر كتابه: النور الساطع. وقد توفي سنة (٥٥٢ هـ).

(٢٠٣) انظر كتابه: سفر السعادة. وقد توفي سنة (٨١٢ هـ).

(٢٠٤) انظر كتابه: شئائل النبي ﷺ. وقد توفي سنة (٤٣٢ هـ).

(٢٠٥) انظر كتابه: أخلاق النبي، وقد توفي سنة (٣٦٩ هـ) وقد قام بتحقيقه الدكتور السيد الجميلي، وهو في نحو أربعين ومائتي صفحة.

(٢٠٦) سنخسه بالذكر بعد قليل.

(٢٠٧) زاد المعاد: في هدي خير العباد.

الشمائل أربعمائة من الأحاديث والآثار.
وكتاب الأنوار هو المرجع الأهم والأول في التعرف على كيفية أخذ تلك
الشمائل من مظانها ومن مواطنها كما يذكر محققه^(٢٠٨)، وهو كما ذكر.
أما الشامي في «السبل» فقد جمع مادة غزيرة بهذا الشأن، ولكنها مازالت
مخطوطة - أي في الأجزاء التي لم تحقق^(٢٠٩).

(٢٠٨) انظر مقدمة: محقق الكتاب، ص ص ٤٠ - ٤١.
(٢٠٩) انظر فهرس موضوعات الكتاب في الجزء الأول المطبوع.

ثبت المصادر والمراجع

أ - : المصادر القديمة

القرآن الكريم.

ابن الأثير : علي بن محمد بن محمد الجزري (ت ٥٦٣٠ هـ).
(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.

(٢) الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ هـ - / ١٩٦٦ م.

ابن الأثير : أبوالسعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٥٦٠٦ هـ).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر.
تحقيق طاهر أحمد الزاوي، وعمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر د. ت.

الأزرقى : ابوالوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى (ت ٢٥٠).
(٤) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، بيروت ومكة المكرمة، ط ٣ / ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار المظلي (ت ١٥١ هـ).
(٥) السير والمغازي، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ).
(٦) التاريخ الكبير، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن،
الهند، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، ودار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

(٧) الجامع الصحيح.
المكتب الإسلامي، استانبول، تركيا، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٨) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع.
تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،
ط ١، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).
(٩) أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، د. ت.

البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ).
(١٠) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق الدكتور
عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(١١) السنن الكبرى، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند،
ط ١، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م.

الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ).
(١٢) سنن الترمذي، أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد الدعاس،
دار مكتبة دار الدعوة، حمص، سورية، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
(١٣) مختصر الشرائع المحمدية، إختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني،
المكتبة الإسلامية بالأردن ومكتبة المعارف بالرياض، ط ٢، ١٤٠٦هـ /
١٩٨٦م.

ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي
(ت ٥٩٧هـ).

(١٤) تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير، تحقيق ونشر مكتبة
الآداب، مصر، د.ت.

(١٥) زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١،
١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

(١٦) الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب
العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

ابن أبي حاتم : أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ).م.
(١٧) الجرح والتعديل، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط ١،
١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م، ودائرة الكتب العلمية، بيروت.

الحاكم : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري (ت ٤٠٥هـ).
(١٨) المستدرک علی الصحیحین، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د.ت.

ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت ٣٥٤هـ).
(١٩) الثقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، ط ١، ١٤٠١هـ /
١٩٨١م.

(٢٠) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تصحيح وتعليق الحافظ السيد عزيز
بك وجماعة من العلماء، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١
١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٢١) صحيح ابن حبان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ١، ١٣٩٠هـ /
١٩٧٠م.

ابن حجر : أحمد بن علي بن محمد الكتاني (ت ٨٥٢هـ).

(٢٢) الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م.

(٢٣) تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العربي، مصر، د. ت. وتحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، سورية، ط ١، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

(٢٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢٥) لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعد (ت ٤٥٦ هـ).

(٢٦) جوامع السيرة، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد، ومراجعة أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د. ت.

(٢٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل، المطبعة الأدبية، القاهرة، ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م.

الحموي : ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ).

(٢٨) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.

الحميدي : أبوبكر عبدالله بن الزبير (ت ٢١٩ هـ).

(٢٩) مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، من سلسلة منشورات المجلس العلمي، كراتشي، باكستان، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

ابن حنبل : أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ).

(٣٠) المسند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٣٠) المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، لم يذكر الناشر، مصر، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م.

(٣١) فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، جافعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ابن خياط : خليفة بن خياط العصفري (ت ٤٦٣هـ).
(٣٢) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط ٢ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

الدارمي : أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥هـ).
(٣٣) سنن الدارمي، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، القاهرة، د. ت.

أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ).
(٣٤) سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد ابن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، إعداد وتعليق عبيد السدعاس، نشر وتوزيع محمد علي السيد، سورية، ط ١ ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

(٣٥) المراسيل، تحقيق عبدالعزيز السيرواني، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

أبو داود : سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ).
(٣٦) مسند الطيالسي، ترتيب أحمد بن عبدالرحمن البنا الساعاتي، المنيرة بالأزهر، مصر، ط ١، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م.

الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ).
(٣٧) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت، د. ت، والمطبعة الوهبية، مصر، رجب ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م.

الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ).
(٣٨) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - مجلد قسم السيرة ومجلد قسم المغازي، تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
(٣٩) تذكرة الحفاظ، إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
(٤٠) ميزان الاعتدال، تحقيق على محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.

ابن زبالة : محمد بن الحسن بن زبالة (ت ١٩٩هـ).
(٤١) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، رواية الزبير بن بكار، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، إحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

الزرقاني : محمد بن عبد الباقي بن يوسف أبو عبدالله (ت ١١٢٢هـ).
(٤٢) شرح المواهب اللدنية للقسطاني - أحمد بن محمد بن أبي بكر، شهاب الدين، أبو العباس (ت ٩٣٢هـ)، دار الطباعة الأميرية، مصر، ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م.
(٤٣) شرح موطأ الإمام مالك بن أنس، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٤م.

الزركشي : محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤هـ).
(٤٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

الزهري : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ).
(٤٥) المغازي النبوية، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ).
(٤٦) الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

السمهودي : علي بن عبدالله بن أحمد الحسيني (ت ٩١١هـ).
(٤٧) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر،
١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.

السهيلي : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن
الختعمي (٥٨١هـ).
(٤٨) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار المعرفة،
بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

ابن سيد الناس : محمد بن محمد أبو الفتح اليعمري المصري (ت ٧٣٤هـ)
(٤٩) عيون الأثر في فنون المغازي والشهائل والسير، دار المعرفة، بيروت د. ت.

السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).
(٥٠) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، المعروف بـ «الخصائص
الكبرى»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٨٩٦م.

ابن شبة : أبوزيد عمر بن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ).
(٥١) تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهد محمد شلتوت، نشر السيد حبيب
عمود أحمد، دار الأصفهاني، جدة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

أبو الشيخ : عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ).
(٥٢) أخلاق النبي ﷺ وآدابه، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي،
بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

الصالحى : محمد بن يوسف الصالحى (ت ٥٩٤٢هـ).
(٥٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق الدكتور مصطفى
عبدالواحد وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء
التراث الإسلامى، القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م - ١٤٠٦هـ /
١٩٨٦م.

الطبراني : أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ).
(٥٤) المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفى، وزارة الأوقاف
العراقية، إحياء التراث الإسلامى، العراق، ط ١، ١٣٩٧هـ /
١٩٧٧م.

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد (٣١٠هـ).
(٥٥) تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، ط ٤، د. ت
(٥٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين،
مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، د. ت

طرهونى : الشيخ محمد بن رزق بن طرهونى.
(٥٧) صحيح السيرة النبوية - المسماة: السيرة الذهبية، دار ابن تيمية
للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٤١٠هـ .

ابن طولون : محمد بن طولون الدمشقى (ت ٩٥٣هـ).
(٥٨) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، تحقيق محمود الأرنؤوط،
مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري (ت ٤٦٣هـ).
(٥٩) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بهامش الإصابة لابن حجر.

(٦٠) الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، القاهرة، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦.

ابن عبدالحكم : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين القرشي المصري (ت ٢٥٧هـ).

(٦١) فتوح مصر، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م.

عبدالرزاق : بن همام بن نافع أبو بكر الصنعاني (ت ٢١١هـ).

(٦٢) المصنف، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

أبو عبيد : القاسم بن سلام البغدادي اللغوي (ت ٢٢٤هـ).

(٦٣) الأموال، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ودار الفكر، القاهرة - بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

عروة : بن الزبير بن العوام (ت ٩٣هـ).

(٦٤) المغازي، برواية أبي الأسود عنه، جمع وتحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

العجلي : أحمد بن عبدالله بن صالح أبو الحسن العجلي (ت ٢٦١هـ).

(٦٥) تاريخ الثقات، تحقيق الدكتور عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي (ت ٥٧١هـ).

(٦٦) تاريخ مدينة دمشق، قسم السيرة النبوية، تحقيق نشاط غزاوي،

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار الفكر، دمشق،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

أبو عوانة : يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (ت ٣١٦هـ).
(٦٧) المسند، دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد الدكن، الهند، ط ١،
١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

الفاكهي : أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس (ت ٢٨٠هـ).
(٦٨) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن عبدالله ابن
دهيش، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١،
١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري (ت ٢٧٦هـ).
(٦٩) المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط ٢،
١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

ابن قيم الجوزية : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥٢هـ).
(٧٠) زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق، شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر
الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٣، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ).
(٧١) البداية والنهاية، تحقيق محمد عبدالعزيز النجار، مطبعة الفجالة
الجديدة، القاهرة، ويطلب من مكتبة الفلاح بالرياض، د. ت.
(٧٢) تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد إبراهيم البنا وزميليه، كتاب
الشعب، القاهرة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.

ابن ماجه : أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ).

(٧٣) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).
(٧٤) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ / ١٨٩٨٠م.

النسائي : أبو عبدالرحمن بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).
(٧٥) سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م.

النووي : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ).
(٧٦) شرح صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، د. ت.

أبو نعيم : أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ).
(٧٧) دلائل النبوة، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

ابن هشام : أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨هـ).
(٧٨) السيرة النبوية، تحقيق الدكتور همام عبدالرحيم سعيد ومحمد عبدالله أبوصعيليك، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

الهيثمي : أبو بكر نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧هـ).
(٧٩) كشف الأستار عن زوائد البزار، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٨٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.

(٨١) موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، تحقيق محمد بن عبدالرزاق حمزة، دار مكتبة الهلال، بيروت، د. ت.

الواحدى : أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ).

(٨٢) أسباب النزول، مطبعة هندية، مصر، ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ هـ.

الواقدي : محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ).

(٨٣) كتاب المغازي، تحقيق الدكتور مارسدن جونز، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت ٧٤٩ هـ).

(٨٤) تاريخ ابن الوردي، جمعية المعارف، القاهرة، ١٢٨٥ هـ / ١٩٦٨ م.

اليقوبى : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٢ هـ).

(٨٥) تاريخ اليقوبى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م.

ب . : المراجع الحديثة

آرثر كريستنسن :

(٨٦) إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د. د. ت.

الألباني : محمد ناصر الدين الألباني.

(٨٧) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

(٨٨) تخريج أحاديث فقه السيرة للغزالي، بحاشية فقه السيرة للغزالي.

(٨٩) حجة النبي ﷺ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٧، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

(٩٠) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة والرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه «فقه السيرة»، مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.

(٩١) سلسلة الأحاديث الصحيحة،

(٩٢) صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

(٩٣) صحيح سنن ابن ماجه، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.

الألوسي : محمود شكري.

(٩٤) بلوغ الأرب في أحوال العرب، تحقيق بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢ ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م.

الباكري : حسين أحمد الباكري .
(٩٥) مرويات غزوة أحد، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

باوزير : أحمد محمد العليمي باوزير .
(٩٦) مرويات غزوة بدر، رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، مكتبة طيبة، ط ١،
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

أبو بكر الجزائري :
(٩٧) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ، يحب، مكتبة لينة، دمنهور،
مصر، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

البلادي : عاتق بن غيث .
(٩٨) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، مكة المكرمة،
ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

البوطي : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .
(٩٩) فقه السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، ط ٧، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

بوكاي : مورييس .
(١٠٠) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف،
القاهرة، ط ٤، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

حامد عبدالقادر .
(١٠١) زرادشت الحكيم، نبي قدامي الإيرانيين - حياته وفلسفته، مكتبة

نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

حسن شحاته سلطان.

(١٠٢) كونفوشيوس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

الحكمي : حافظ بن محمد عبد الله الحكمي.

(١٠٣) مرويّات غزوة الحديبية، رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

الحيدرابادي : محمد حميد الله الحيدرابادي.

(١٠٤) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

الدوم : محسن أحمد الدوم.

(١٠٥) مرويّات غزوة فتح مكة، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٨م.

رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي.

(١٠٦) إظهار الحق، إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

أبو زهرة : الشيخ محمد أبو زهرة.

(١٠٧) الديانات القديمة، دار الفكر العربي، مصر، ١٣٨٥هـ / ١٩٥٦م.

زهير سالم.

(١٠٨) عثرات وسقطات في كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية، دار عمار، الأردن، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

الساعاتي : أحمد بن عبدالرحمن البنا.

(١٠٩) الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني مع بلوغ الأمان في أسرار الفتح الرباني، دار الشهاب، القاهرة، د. ت.

السامرائي : عبدالله سلوم.

(١١٠) الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، رسالة ماجستير منشورة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

السعود : سليمان بن علي السعود.

(١١١) أحاديث الهجرة، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

السندي : أكرم حسين علي السندي.

(١١٢) مرويات تاريخ يهود المدينة في عهد النبوة، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

السندي : عبدالقادر حبيب الله السندي.

(١١٣) الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

الشامي : صالح أحمد الشامي.
(١١٤) من معين السيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ /
١٩٨٤ م.

أبو شهبه : محمد محمد.
(١١٥) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق،
١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.

الشهري : عوض أحمد سلطان الشهري.
(١١٦) مرويات غزوة خيبر، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

الصوري : الكاهن السامري أبوالحسن إسحاق (مترجم).
(١١٧) التوراة السامرية، نشر وتعريف الدكتور حجازي السقا، دار
الأنصار، القاهرة، ط ١، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

عرجون : محمد الصادق إبراهيم عرجون.
(١١٨) محمد رسول الله ﷺ - منهج رسالة - دار القلم، دمشق، ط ١،
١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

العمرى : الدكتور أكرم ضياء العمري.
(١١٩) المجتمع المدني في عهد النبوة - الجهاد ضد المشركين - لم يذكر الناشر
ومكان النشر، ط ١، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
(١٢٠) المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى، المجلس
العلمي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إحياء التراث الإسلامي،
المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

العودة : الدكتور سليمان حمد العودة.

(١٢١) السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق - دراسة مقارنة في العهد المكي - رسالة غير منشورة، قدمت لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض للحصول على درجة الدكتوراه، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

الغزالي : محمد.

(١٢٢) فقه السيرة، عالم المعرفة، ط ٧، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م.

الغضبان : منير محمد.

(١٢٣) المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة النار، الأردن، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

عمير : إبراهيم بن محمد عمير.

(١٢٤) مرويات غزوة الخندق، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

عون : الدكتور عون الشريف قاسم.

(١٢٥) دبلوماسية محمد ﷺ، رسالة دكتوراه منشورة، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، د. ت.

فاروق : الدكتور فاروق حمادة.

(١٢٦) مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

قريبي : الدكتور إبراهيم بن إبراهيم قريبي.

(١٢٧) مرويّات غزوة حنين، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الدكتوراه، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
(١٢٨) مرويّات غزوة بني المصطلق، رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، د. ت.

المباركفوري : الشيخ صفّي الرحمن المباركفوري.
(١٢٩) الرّحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

محمد جمال الدين سرور - الدكتور.
(١٣٠) قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

محمد رواس قلعه جي - الأستاذ الدكتور.
(١٣١) دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

النسودي : أبو الحسن عليّ الحسني.
(١٣٢) السيرة النبوية، دار الشروق، جدة، ط ١، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مطابع علي بن علي، الدوحة، ط ١٠، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

هارون رشيد محمد إسحاق.
(١٣٣) صحيفة المدينة - دراسة حديثة وتحقيق - رسالة غير منشورة، قدمت لجامعة الملك سعود بالرياض للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ملاحظة : المصادر والمراجع التي ورد ذكرها أقل من ثلاث مرات، أو كانت الاستفادة منها قليلة جداً لم نذكرها هنا، واكتفينا بذكرها في حواشي الكتاب.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
(كانوا يكفرون بآيات الله ..)	٦١	البقرة	٨٩
(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ..)	٧٥	،،	٨٨
(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ..)	٧٩	،،	١٢٣، ٨٨، ٨٦
(أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى ..)	٨٧	،،	٨٩
(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما ..)	٨٩	،،	١٤٣، ١٢٣
(فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ..)	٩١	،،	٨٩
(ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم ..)	٩٢ - ٩٣	،،	٨٨
(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ..)	١٢٥	،،	٥٦
(ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ..)	١٢٧	،،	٤٩
(ربنا ابعث فيهم رسولا منهم ..)	١٢٩	،،	٥٠
(قد نرى تقلب وجهك في السماء ..)	١٤٤	،،	٣٣٦
(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ..)	١٩٠	،،	٣٢٦
(فمن كان منكم مريضاً أو به أذى ..)	١٩٦	،،	٤٩٤
(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ..)	١٩٩	،،	١٢٧
(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة ..)	٢٠٤	،،	٤١٣
(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء ..)	٢٠٧	،،	٤١٣، ٢٦١

١٩٢	البقرة	٢١٤	(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ ..)
٣٣٤	،،	٢١٧ - ٢١٨	(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ..)
٧٩	،،	٢٢٩	(الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ..)
٣٢٩	،،	٢٧٨ - ٢٧٩	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ..)
٣٧٠	آل عمران	١٢ - ١٣	(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ ..)
٣٧٢	،،	٢٨	(لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ..)
١٤	،،	٣١	(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ..)
٦٤٥	،،	٥٩	(إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ ..)
٥١٧	،،	٦٤	(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ..)
٧٢	،،	٦٧	(مَكَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ..)
٩٠ - ٨٩	،،	٧٥	(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ ..)
٨٦	،،	٧٨	(وإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ ..)
٧٢	،،	٩٥	(قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ..)
٦٨٠	،،	٩٧	(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ..)
٤٠٤	،،	١٢١	(وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ..)
٣٨٣	،،	١٢٢	(إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ ..)
٤٠٦، ٣٥١	،،	١٢٣	(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ..)
٣٩٤	،،	١٢٤ - ١٢٥	(إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ ..)

٣٩٠	آل عمران	١٢٨	(ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم ..)
٣٢٩	،،	١٣٠	(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا ..)
٤٠١	،،	١٣٩	(ولا تمهتوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ..)
٤٠١	،،	١٤٠	(إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح ..)
٤٠٦	،،	١٤٠ - ١٤١	(وليعلم الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ..)
٤٠١، ١٩٢	،،	١٤٢	(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ..)
٤٠١	،،	١٤٣	(ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن ..)
٦٩٤، ٤٠٢	،،	١٤٤	(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله ..)
٤٠٢	،،	١٤٥	(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ..)
٤٠٢	،،	١٤٩	(يا أيها الذين آمنوا إن ططيعوا الذين ..)
٤٠٥، ٣٨٦	،،	١٥٢	(ولقد صدقكم الله وعده ..)
٣٨٨	،،	١٥٣	(إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ..)
٣٩٥	،،	١٥٤	(ثم أنزل عليكم من بعد الغم ... وطائفة قد ..)
٣٨٨	،،	١٥٥	(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ..)
٣٦٣	،،	١٥٩	(وشاورهم في الأمر ..)
٣٨٣	،،	١٦٦ - ١٦٧	(وما أصابكم يوم التقى الجمعان ..)
٤٠٠	،،	١٦٩	(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ..)
٤٠٧	،،	١٧٢	(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ..)
٤٠٨	،،	١٧٢ - ١٧٤	

٤٠٥، ٤٠٢	آل عمران	١٧٩	(ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أنتم . .)
٧٩	النساء	٢٣	(وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف . .)
٦٠١	، ،	٢٤	(والمحصنات من النساء إلا ما ملكت . .)
٥٥٢	، ،	٢٩	(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً . .)
٤٤٥، ٤٤٤، ٣٧٤	، ،	٥١	(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب . .)
٦٤	، ،	٥٧	(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى . .)
٦٠٩	، ،	٥٩	(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله . .)
٧٩	، ،	٢٢	(ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء . .)
٣٨٢	، ،	٨٨	(فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم . .)
٥٥٤	، ،	٩٤	(يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله . .)
٢٨٩	، ،	٩٧ - ٩٨	(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . .)
٤٦٩	، ،	١٠٢	(وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة . .)
٤٠٢	، ،	١٠٤	(إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون . .)
٦٩٨	، ،	١٢٨	(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً . .)
٨٨	، ،	١٥٣	(أرأنا الله جهرة . .)
١٥٣	، ،	١٦٤	(وكلم الله موسى تكليماً)
٦٨٠	المائدة	٣	(اليوم أكملت لكم دينكم . .)
٤٢٧، ٤٢٦، ٣٧٦	، ،	١١	(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله . .)

٤٧٨	المائدة	٣٣	(إنها جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ..)
٣٧١	،،	٥٢ - ٥١	(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود ..)
٨٨	،،	٦٤	(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ..)
٤٢٢، ٣٢٣	،،	٦٧	(والله يعصمك من الناس ..)
٩٢	،،	٧٢	(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ..)
٩٢	،،	٧٣	(إن الله ثالث ثلاثة ..)
٧٨	،،	٩٠	(إنها الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ..)
٩٢	،،	١١٦	(أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي ..)
١٧٢ - ١٧١	الأنعام	١٠	(ولقد استهزئ برسل من قبلك ..)
١٦٨	،،	٢٦	(وهم يهون عنه وينأون عنه ..)
١٧١	،،	٥٢	(ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة ..)
١٧٠	،،	٥٣	(وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا ..)
٧٢	،،	٧٩	(إني وجهت وجهي للذي فطر السموات ..)
١٧٧	،،	١٠٨	(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ..)
١٧٤	،،	١١١ - ١٠٩	(وأقسموا بالله جهد أيمانهم ..)
٦٧	،،	١٣٦	(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث ..)
٧٨	،،	١٥١	(ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ..)
٢٩٨	،،	١٥٢	(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي ..)

٧٠٧	الأنعام	١٦٤	(ولا تزر وازرة وزر أخرى ..)
٥٨٥، ٨٨	الأعراف	١٣٨	(اجعل لنا إلهاً كما هم آلهة ..)
٥١٣	،،	١٥٨	(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم ..)
٧٦	،،	١٧٥	(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ..)
٣٦٥، ٣٥٧	الأنفال	١	(يسألونك عن الأنفال ..)
٣٤١	،،	٦ - ٥	(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ..)
٣٥١، ٣٤٧	،،	٩	(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ..)
٣٤٤	،،	١١	(إذ يغشيكم النعاس ... وينزل عليكم ..)
٣٥١	،،	١٢	(إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم ..)
٣٥١	،،	١٧	(ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ..)
٢٦٥، ٢٦٤	،،	٣٠	(وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ..)
١٧٠	،،	٣٢ - ٣٤	(وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق ..)
٣٣٩	،،	٤٧	(... بطراً ورتاء الناس ويصدون عن ..)
٣١٣	،،	٥٦	(الذين عاهدت منهم ثم ينقضون ..)
٣٧١	،،	٥٨	(وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم ..)
٤٥٦، ٣٦٥	،،	٦٠	(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ..)
٣٦٥	،،	٦٧	(ماكان لنبي أن يكون له أسرى ..)
٣٥٨	،،	٦٧ - ٦٩	
٢٨٩	،،	٧٢	(والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ...)

٣٠٤	الأنفال	٧٥	(وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض . .)
٥٨٤، ٤٠٦	التوبة	٢٥	(ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم . .)
٥٨٩	، ،	٢٦	(ثم أنزل الله سكينته على رسوله . .)
٣١٦	، ،	٢٩	(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله . .)
٨٨	، ،	٣٠	(وقالت اليهود عزيز ابن الله . .)
٨٨	، ،	٣١	(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً . .)
٣٢٦	، ،	٣٦	(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)
٦٢٠	، ،	٣٨	(يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل . .)
٢٩١، ٢٧٤	، ،	٤٠	(إلا تنصروه فقد نصره الله . .)
٦٢١	، ،	٤٢	(لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً . .)
٦١٩	، ،	٤٣	(عفا الله عنك لم أذنت لهم . .)
٦١٩	، ،	٤٩	(ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني . .)
٦٣٢	، ،	٦٥	(ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض . .)
٦٣٣	، ،	٦٦	(لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم . .)
٦١٧، ٦١٦	، ،	٧٩	(الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين . .)
٦١٨	، ،	٨١ - ٨٢	(وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم . .)
٦٢٠	، ،	٨٤	(ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً . .)
٦١٨	، ،	٩١ - ٩٢	(ليس على الضعفاء ولا على المرضى . .)

٦٣١	التوبة	١٠٢	(وآخرون اعترفوا بذنوبهم ..)
٦٢٠	،،	١٠٧ - ١٠٨	(والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً ..)
٢٢٣	،،	١١٣	(ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا ..)
٦٢٦، ٦١٤	،،	١١٧	(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين ..)
٦٢٦	،،	١١٨	(وعلى الثلاثة الذين خلفوا ..)
٦١٥	،،	١٢٣	(ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم ..)
٤٥٦	،،	١٢٨	(لقد جاءكم رسول من أنفسكم ..)
١٧٣	يونس	١٥	(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ..)
١٥٠	،،	٩٤	(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ..)
٦٤٩	الرعد	٨ - ١٣	(الله يعلم ما تحمل كل أنثى ..)
١٧٤	،،	٣١	(ولو أن قرآناً سيرت به الجبال ..)
٣٥٥	إبراهيم	٢٨ - ٢٩	(ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً ..)
٤٨	،،	٣٧	(ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي ..)
١٦٨	الحجر	٦	(وقالوا ياأيها الذي نزل عليه الذكر ..)
٢٠٣	،،	٤٢	(إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ..)
١٦٥	،،	٩٤	(فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)
١٧٢	،،	٩٥	(إنّا كفيناك المستهزئين)
٧٨	النحل	٥٨ - ٥٩	(وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه ..)

٢٠٣	النحل	٩٩	(إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا .)
١٧٠ - ١٦٩	،،	١٠٣	(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر .)
١٨٧، ١٨٥	،،	١٠٦	(من كفر بالله من بعد إيمانه .)
٦٨	،،	١١٦	(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) .)
٥٦٩، ٣٩٨	،،	١٢٦	(وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به .)
٢٣٩، ٢٣٣	الإسراء	١	(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً .)
٧٠٧	،،	١٥	(ولا تزر وزرارة وزر أخرى)
٧٨	،،	٣١	(ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق .)
٢٩٨	،،	٣٤	(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي .)
١٧٥، ١٧٤	،،	٥٩	(وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن .)
٦١٤	،،	٧٦	(وإن كادوا ليستفزونك من الأرض .)
٢٦٩	،،	٨٠	(وقل ربّ أدخلني مدخل صدق .)
٥٧٠	،،	٨١	(جاء الحق وزهق الباطل .)
١٧٣	،،	٩٠ - ٩٤	(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر .)
٢٤١	،،	٩٣	(قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً .)
١٧٧، ١٧٦	،،	١١٠	(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها .)
١٩٦	الكهف	١٦	(وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله .)
٥٠	مريم	٥٤	(واذكر في الكتاب إسماعيل .)

٥٤٤	مريم	٧١	(وإن منكم إلا واردها كان على ربك ..)
١٠٩	،،	٧٧ - ٧٨	(أفرأيت الذي كفر بآياتنا ..)
٨٨	طه	٩١	(لن نبرح عليه عاكفين ..)
٦٩٥	الأنبياء	٣٤ - ٣٥	(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ..)
٧٢٣، ٥١٣	،،	١٠٧	(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ..)
٣٥١ - ٣٥٠	الحج	١٩	(هذان خصمان اختصموا في ربهم ..)
٥٢	،،	٢٦	(.. مكان البيت ..)
٥٠	،،	٢٧	(وأذن في الناس بالحج ..)
٣٢٥، ٢٥٩، ٢٥٥	،،	٣٩	(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ..)
٢٠٥	،،	٥٢	(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا ..)
٤٣٧	النور	١١	(إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ..)
٤٣٨	،،	١٢	(ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون ..)
٤٣٨	،،	١٦	(ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ..)
٤٣٨	،،	٢٢	(ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ..)
٤٣٨	،،	٤١	(ألا تحبون أن يغفر الله لكم ..)
١٦٩	الفرقان	٤	(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك ..)
١٦٩	،،	٥	(وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ..)
١٧٣	،،	٧ - ٨	(.. ما هذا الرسول ياكل الطعام ..)

١٦٨	الفرقان	٨	(وقال الظالمون إن تبعمون إلا رجلاً . .)
١٦٥، ١٦٤، ١٦٣	الشعراء	٢١٤	(وأنذر عشيرتک الأقربين)
٧١ - ٧٠	النمل	٢٣ - ٢٤	(إني وجدت امرأة غلکهم . .)
٢٢٣	القصص	٥٦	(إنک لا تهدي من أحببت . .)
١٩٢	المنکبوت	١ - ٣	(الم . أحسب الناس أن یترکوا أن یقولوا . .)
١٥١	،،	٤٨	(وما کنت تتلو من قبله من کتاب . .)
٨١	،،	٦١	(ولئن سألتهم من خلق السموات . .)
٨١	،،	٦٣	(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء . .)
٣٢٩	الروم	٣٩	(وما آتیتم من رباً لیربو فی أموال الناس . .)
١٥٨	الأحزاب	٥	(ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله . .)
٣٠٤	،،	٦	(وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض . .)
٤٥٤	،،	٩	(یا أيها الذین آمنوا اذكروا نعمة الله . .)
٤٥١	،،	١٠ - ١١	(إذ جاؤوكم من فوقکم . .)
٤٤٩	،،	١٢	(وإذ یقول المنافقون . .)
١٤	،،	٢١	(لقد کان لکم فی رسول الله . .)
٤٤٩	،،	٢٢	(هذا ما وعدنا الله ورسوله . .)
٣٨٨ - ٣٨٧، ٨٠	،،	٢٣	(من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله . .)
٤٥٥	،،	٢٥	(وردّ الله الذین کفروا بغیظهم . .)

٧١١	الأحزاب	٢٨	(يا أيها النبي قل لأزواجك . .)
٧٠٤	،،	٣٧	(وإذ تقول للذي أنعم الله عليه . .)
٧٢٨، ٢٤٣، ١٢٣	،،	٤٥	(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً . .)
٢١٦	،،	٦٨ - ٦٦	(يوم تقلب وجوههم في النار . .)
٥١٣	سبا	٢٨	(وما أرسلناك إلا كافة للناس . .)
٥٧٠	،،	٤٩	(قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد . .)
٧٠٧	فاطر	١٨	(ولا تزر وازرة وزر أخرى . .)
٢٧٠	يس	١	(يس والقرآن الحكيم . .)
٢٧٠	،،	٩	(فأغشيناهم فهم لا يبصرون . .)
٤٩	الصفات	١٠٢	(يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك . .)
٥٠	،،	١٠٥ - ١٠٤	(. . أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا . .)
٥٠	،،	١٠٧	(وفديناه بذبح عظيم . .)
١٦٩، ١٦٨	ص	٤	(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال . .)
٦٨	،،	٥	(أجعل الآلهة إلهاً واحداً)
٢٠٣	،،	٨٣ - ٨٢	(قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا . .)
٧٠٧	الزمر	٧	(ولا تزر وازرة وزر أخرى . .)
١٩٦	،،	١٠	(للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة . .)
٦٩٥	،،	٣٠	(إنك ميت وإنهم ميتون)

٢٦٢	الزمر	٥٥ - ٥٣	(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ..)
١٧٩	فصلت	١٣	(فإن أعرضوا فقل أأنذرتكم صاعقة ..)
١٧٣	، ،	٢٦	(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا ..)
٧١٨	الشورى	٣٧	(.. وإذا ما غضبوا هم يغفرون)
٣٦٣	، ،	٣٨	(الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ..)
٧٨	الزخرف	١٧	(وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ..)
٢٢٨	الأحقاف	٣١ - ٢٩	(وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ..)
٣٥٩	محمد	٤	(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ..)
٤٩٣	الفتح	١	(إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)
٤٨١	، ،	١٢ - ١١	(سيقول لك المخلفون من الأعراب ..)
٥٠٧	، ،	١٥	(سيقول المخلفون إذا انطلقتم ..)
٤٨٧	، ،	١٨	(لقد رضي الله عن المؤمنين ..)
٥٠٠ - ٤٩٩	، ،	٢٠ - ١٨	
٤٩٢	، ،	٢٤	(وهو الذي كف أيديهم عنكم ..)
٦٠٦	الحجرات	٤	(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ..)
٦٦٤، ٦٦٣	، ،	١٧	(يؤمنون عليك أن أسلموا ..)
١٩٢	الذاريات	٥٦	(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ..)
٢٣٨	النجم	١٧	(ما زاغ البصر وما طغى ..)
٢٣٣	، ،	١٤ - ١٣	(ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة ..)

١٩٩، ٦٩	النجم	٢٠ - ١٩	(أفرأيتم اللات والعزى ..)
٥٧٢، ٢٠٤	،،	٢٢ - ١٩	
٢٠٤	،،	٢٣	(إن هي إلا أسماء سميتنوها أنتم ..)
٢٠٥	،،	٦١ - ٥٣	(والمؤتفكة أهوى فغشاهها ماغشى ..)
٣٤٧	القمر	٤٥	(سيهزم الجمع ويولون الدبر ..)
٣٦٦	المجادلة	٢٢	(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ..)
٣٠١، ٣٠٠	الحشر	٩	(والذين تبؤوا الدار والإيمان ..)
٤١٩	،،	١٢ - ١١	(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم ..)
٥٦٠	المتحنة	١	(ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي ..)
٣١٦	،،	٨	(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ..)
٤٩٤، ٤٩٣	،،	١٠	(إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ..)
٥٧٣	،،	١٢	(ولا يشركن بالله شيئاً ..)
٤٣٤	المنافقون	١	(إذا جاءك المنافقون ..)
٢٨٥	التحريم	٤	(فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح ..)
٦٩٦	الملك	١٤	(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)
١٦٨	القلم	٢	(وما أنت بنعمة ربك بمجنون)
٧٣٥	،،	٤	(وإنك لعلی خلق عظیم)
١٧٥	،،	٩	(ودوا لو تدهن فيدهنون)
١٦٨	،،	٥١	(ويقولون إنه لمجنون)

٦٧	نوح	٢٤ - ٢٣	(وقالوا لا تذرنا آلهتكم . .)
٢٢٨	الجن	٢ - ١	(قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن . .)
١٥١	المدرثر	٥ - ١	(يا أيها المدرثر . .)
١٥٥ - ١٥٦	، ،	٧ - ١	
١٦٩	، ،	١١	(ذرني ومن خلقت وحيداً)
٧٨	التكوير	٩ - ٨	(وإذا الموءودة سئلت . .)
١٧١	المطففين	٣١ - ٢٩	(إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا . .)
١٧٠	، ،	٣٢	(وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون)
٥٩ - ٦٠	البروج	٥ - ٤	(قتل أصحاب الأخدود . .)
١٩١	الليل	٢١ - ٥	(فأما من أعطى واتقى . .)
١٧٠	الضحى	٢ - ١	(والضحى . والليل إذا سجى)
١٠٩	، ،	٦	(ألم يجدك يتيماً فآوى)
١٤٨	العلق	٥ - ١	(اقرأ باسم ربك الذي خلق . . ما لم يعلم)
١٨٠	، ،	١٩ - ٦	(كلا إن الإنسان ليطغى . .)
١٧٥	الكافرون	٦ - ١	(قل يا أيها الكافرون . .)
٥٧٣	النصر	٣ - ١	(إذا جاء نصر الله والفتح . .)
١٦٣	المسد	١	(تبت يدا أبي لهب وتب)

فهرس اقوال الرسول ﷺ

- ٦٤١ «أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع..»
- ٤٥٦ «الآن نغزوهم ولا يغزوننا..»
- ٦٣٣ «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟..»
- ٢٥٠ «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم..»
- ٤٦٦ «ابسط رجلك..»
- ٣٥٢ «أبشر أبا بكر أنك نصر الله..»
- ٦٢٦ «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك..»
- ١٨٦ «أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة»
- ٦٤٧ «أبشروا يا بني تميم..»
- ٧٢٤ «ابغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم..»
- ٥١٦ «أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه كسرى..»
- ٢٩٥ «ابن سمية: للناس أجر ولك أجران..»
- ١٣٤ «أبوك رجل كثير المال وهو لا يفعل»
- ٤٢٨ «أتبيع جملك..»
- ٥١٥ «أتركوه ما ترككم»
- ١٦٧ «أترون هذه الشمس..؟»
- ٦٢٨ «أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد..»
- ٧٠٤ «اتق الله وأمسك عليك زوجك»
- ٧٠٨ «اتق الله يا حفصة..»
- ٢٣٤ «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض..»
- ٦٨٩ «أحسنوا الظن بالله عز وجل..»

- ٧٠٧ «اختاري، فإن اخترت الإسلام...»
- ٣٩٦ «أخرج آثار القوم فانظر ماذا يصنعون...»
- ٢٦٧ «أخرج من عندك...»
- ٣٢٩ «أخرج ياسعد حتى تبلغ الخرار...»
- ٢٥١ «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً...»
- ٥٠٦ «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب...»
- ٧٠٩ «الأخوات مؤمنات ميمونة وأم الفضل...»
- ٦٢٩ «ادفعه إلى عمر...»
- ٦٥٦ «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه...»
- ٣٤٩، ٣٤٨ «إذا أكثوكم فارموهم واستبقوا نبلكم...»
- ٦٧٧ «إذا تقدم إليك خصمان فلا تسمع كلام الأول حتى...»
- ٧٣٣ «إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه»
- ٧٢٣ «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف...»
- ٧٢٣ «إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ثم جاء به...»
- ٧١٧ «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»
- ٧٢٨ «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال...»
- ٢٧٧ «اذهب إلى صدر الغار فاشرب...»
- ٤٥٤ «اذهب فأتني بخبر القوم ولا تدعهم علي»
- ٦٧٧ «اذهب فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدي قلبك»
- ٥٦٩ «اذهبوا فأنتم الطلقاء»
- ١٦٣ «أرايتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج...»
- ٦٥١ «ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم...»
- ٣٤٢ «ارجع فلن أستمع بمشرك...»

- ٥١٦ «ارجعنا عني يومكما هذا..»
- ٤٩٠ «أرني مكانها»
- ٣٤٨ «استو ياسواد..»
- ٧٢٢ «استوصوا بالنساء خيراً..»
- ٥٣٣ «أشبهت خلقي وخلقي..»
- ٣٩٠ «اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا بنبه..»
- ٣٩٠ «اشتد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ..»
- ٣٤١ «أشيروا علي أيها الناس..»
- ٤٢٨ «أصبت إن شاء الله..»
- ٧٧ «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد..»
- ٥٤٨ «اصنعوا لآل جعفر طعاماً..»
- ٧١٠ «أعتقها ولدها»
- ٦٠٧ «أعتقها فإنها من ولد إسماعيل..»
- ٦٨٨ «اعطه يا فضل..»
- ٥٩٩ «أعطوني ردائي فلو كان عدد هذه العضاة..»
- ٧٢٤ «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك..»
- ٣٥٨ «أعلى الله وعلى رسوله..»
- ٧١٤ «أعندك غداء؟..»
- ٧٢١ «أفضل الصدقة إعالتك ابنتك الفقيرة..»
- ٤٢٨ «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك..»
- ٤٠٩ «أفلح الوجه..»
- ٤٦٦ «أفلحت الوجوه..»
- ٦٤٧ «اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم..»

- ٥٢٨ «أقنته بعدما قال لا إله إلا الله؟..»
- ٧٢٢ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً..»
- ٣٦٧ «ألا آخذ لي من ابنة مروان؟»
- ٧١٥ «ألا أخبركم بأهل الجنة..»
- ٧٢٦ «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟..»
- ٥٧٣ «ألا إنه لا حلف في الإسلام..»
- ٥٩٨ «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والابل..»
- ٦٧٩ «ألا تريخني من ذي الخلصة؟..»
- ٤٥٤ «ألا رجل يأتييني بخبر القوم..»
- ٥٢٩ «ألا شققت قلبه فتعلم صادق هو أم كاذب؟»
- ٧٢٢ «ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنها هن عوان عندكم..»
- ٧٢٦ «ألك أبوان؟..»
- ٧٢٥ «أليست نفساً منقوسة؟»
- ٤٢٩، ٤٢٨ «.. أما أنا لو قد جئنا صراراً..»
- ٥٦٠ «أما إنه قد صدقكم»
- ٥٩٧ «أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا..»
- ٦٢١ «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟..»
- ٧٠٣ «أما قولك إني مصيبة فإن الله يكفيك صبيانك..»
- ٥٨٠ «أما كان فيكم رجل رحيم»
- ٣٠١ «أما لا فاصبروا حتى تلقوني..»
- ٧٠٣ «أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله..»
- ٦٢٥ «أما هذا فقد صدق..»
- ٥٢٣ «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل..»

- «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء...» ٢٤٣
- «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب...» ١٥٧
- «أمرت بقرية تأكل القرى...» ٣٢٠
- «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك...» ٦٢٦
- «امضوا على اسم الله...» ٤٨٣
- «أمسك...» ٧٢٦
- «إن أحمأ لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه» ٢١١
- «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد...» ٣٠١
- «إن أقل الناس المتحصرون يومئذ...» ٤٠٩
- «إن أنكرتم ما أقول فهلهم أباهلكم؟...» ٦٤٥
- «إن أولى بي المتقون من كانوا وحيث كانوا» ٦٧٦
- «إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده...» ١٩٧
- «إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً...» ٦٣٦، ٦١٨
- «إن تصدق الله يصدقك...» ٥٠٥
- «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه...» ٦٨٥
- «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم...» ٦٨١
- «إن رأيتمونا تحطفتنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا...» ٣٨٤
- «إن رحمتي غلبت غضبي» ٧٢٣
- «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه...» ٧١٨
- «إن روح القدس نفث في روعي...» ١٥٢
- «إن شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه...» ٧١٦
- «إن شئت فأقم عندي...» ١٥٧
- «إن الشيطان قد يش أن يعبد بأرضكم هذه...» ٦٨٢، ٦٨١

- «إن صاحبكم لتغسله الملائكة» ٣٩١
- «إن عادوا فعد» ١٩٣
- «إن عبداً خيرهُ الله بين الدنيا وبين ما عند الله. .» ٦٨٩
- «إن العين تدمع والقلب يحزن. .» ٧٢٠
- «إن فقههم قليل وإن الشيطان يتنلق. .» ٦٦٤
- «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» ٧١٩، ٦٤٢، ٦٤١
- «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر. .» ٥٤٣
- «إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية. .» ٥٩٨
- «إن كان هذا من عند الله يمضه» ٦٩٩
- «إن للموت سكرات» ٦٩٢
- «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل. .» ١٠٦، ١٠٥
- «إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة. .» ٢٧٧
- «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت. .» ١٥٨
- «إن الله تعالى سمى المدينة طابة. .» ٣١٩
- «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات. .» ٧٢٦
- «إن الله رفيق يحب الرفق. .» ٧١٨
- «إن الله عز وجل يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم. .» ١٠٦
- «إن الله قد صدقك يا زيد. .» ٤٣٤
- «إن الله لا يعذب بدمع العين. .» ٧٢٠
- «إن الله نظر إلى سكان العالم فمقتهم. .» ٥٧
- «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم. .» ٥٦٦
- «إن الله يعذب الذين يضرّبون الناس في الدنيا. .» ٧٢٠
- «إن لي أسماء: أنا محمد. .» ١٠٧

- «إن معه الآن زوجته من الحور العين» ٥٠٥
- «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح...» ٧١٧
- «إن من أعظم الأمور أجراً النفقة...» ٧٢٣
- «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً...» ٧٢٢
- «إن منكم منفرين فأياكم ما صلى...» ٧٢٣
- «إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين» ٤٠٨
- «إن الناس يكثرون وتقل الأنصار...» ٦٨٩
- «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم» ٤٢٦
- «إن هذا ليريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريد...» ٤٧٩
- «إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى...» ٤٨٨
- «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب...» ٥٥٧
- «إن هؤلاء نزلوا على حكمك» ٤٦٠
- «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر...» ٣٤٥
- «أنا أقول ذلك أنت أحدهم...» ٢٧٠
- «أنا دعوة أبي إبراهيم...» ١١٤، ١١٢
- «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» ٤٠٣، ٣٩٩
- «إنا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن...» ٦٠٠
- «إنا لم نقض الكتاب بعد» ٤٨٩
- «أنا النبي لا كذب...» ٥٨٩
- «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا...» ٧٢٤
- «أنت أخونا ومولانا» ٥٣٣
- «أنت مني وأنا منك» ٥٣٣
- «أنت يا أبابكر الصديق» ٢٣٧

٤٨٦	«أنتم خير أهل الأرض»
٢٥٢	«أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء..»
٣٨٩	«انثرها لأبي طلحة..»
٦٤٠	«انطلق فزودهم»
٥٥٩	«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ...»
٦٧٦	«إنك ستأتي قوماً أهل كتاب...»
٧٠٨	«إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي...»
٥٠٠	«إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم...»
٤٢٠، ٤١٩	«إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد...»
٦٩٠	«إنكن لأنتن صواحب يوسف...»
٤٥٣	«إنما أنت رجل واحد فينا ولكن خذل عنا...»
٥٧٦	«إنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق...»
٥٦٠	«إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع...»
٣٩٣	«إنه لمن أهل النار...»
٣٨١، ٣٨٠	«إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها...»
٣١٩	«إنها طيبة وإنها تنفي الخبث...»
٥٨٩	«انهزموا ورب الكعبة...»
٥٨٩	«انهزموا ورب محمد»
٦٤٦	«إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم...»
١٩٨	«إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم...»
٤١٤	«إني أخاف عليهم أهل نجد»
٣٣٧	«إني أخبرت عن غير أبي سفيان...»
١٤٦	«إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً...»

- «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله..» ٥٥١
- «إني أعطي قوماً أخاف ظلمهم وجزعهم» ٥٩٨
- «إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل..» ٢٥٩
- «إني رسول الله ولست أعصيه..» ٤٩٠
- «إني صائم..» ٧١٤
- «إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا..» ٦٨٤، ٦٨٢
- «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها..» ٧٢
- «إني لأراك الذي أريت في ما أريت..» ٦٤٣
- «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي..» ١٤٦
- «إني لأعطي رجالاً حديث عهدهم بكفر» ٥٩٨
- «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه..» ٥٩٨
- «إني لم أبعث لعائلاً..» ٧١٦
- «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة» ٧٢٠
- «أوجدتم يامعشر الأنصار في أنفسكم لعاعة..» ٥٩٨
- «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعييتي..» ٦٨٨
- «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث..» ٧٢٨
- «اثذنوا له فبش رجل العشير..» ٧٢٧
- «أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟..» ٣٥٦
- «أيكما قتله..» ٣٥٣
- «أين الناس؟ هلموا إلي أنا رسول الله..» ٥٨٧
- «أيها الناس، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله..» ٦٢٧
- «أيها الناس لا تشكوا علياً..» ٦٧٨
- «أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟..» ٣٩٩

- ٥٧٢ «بايعهن واستغفر لهن رسول الله ﷺ»
- ٤٧٣ «بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله»
- ٣٩٥ «بل أنا أقتلك إن شاء الله»
- ٤٣٦ «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»
- ٣٤٥ «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»
- ٧٢٢ «بم يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل»
- ٦٤٣ «بيننا أنا نائم رأيت في يدي سوارين»
- ١٥١ «بيننا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً»
- ٧٢٥ «بيننا رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش»
- ٥٧٢ «تبايعني على أن لا تشركن بالله شيئاً»
- ٤٠٠ «تبكيه أو لا تبكيه مازالت الملائكة تظله»
- ٥١٤ «تعال إلى كلمة سواء بيننا وبينك»
- ٢٤٦ «تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً»
- ٥٨٥، ٥٨٢ «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله»
- ٥٤٨ «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله»
- ٢٣٦ «ثم انصرف بي فمررنا بغير لقريش»
- ٢٣٦ «... ثم انطلق بن حتى انتهى بي إلى سدره المنتهى»
- ٢٣٦-٢٣٥، ١٥٣ «... ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه»
- ٢٦٩ «جاء الحق وزهق الباطل»
- ١٤٩ «جاءني جبريل وأنا نائم»
- ٧٢٢ «حبيب إلي من الدنيا الطيب والنساء»
- ٧٢٦ «الحمد لله الذي أنقذه من النار»
- ٦٧٧ «الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ»

- ٧١٧ «الحياء لا يأتي إلا بخير..»
- ٥٣٣ «الخالة بمنزلة الأم..»
- ٦٨٨ «خذها يا فضل..»
- ٢٨٦ «خلوها سبيلها فإنها مأمورة..»
- ٢١٦ «.. خيار الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»
- ٧١٥ «خياركم أحسنكم أخلاقاً..»
- ٧٢٢، ٧٢١ «خيركم خيركم لأهله..»
- ٦٣٥ «دباغها طهورها..»
- ٧٤ «دخلت الجنة قرأت لزيد بن عمرو دوحتين»
- ٧١٧ «دعه فإن الحياء من الإيمان..»
- ٤٣٥ «دعه لا يتحدث الناس أن عمداً يقتل أصحابه..»
- ٢٩٥ «.. دعوا الخنفي والطين فإنه أضبطكم للطين..»
- ٧١٨ «دعوه وأهرقوا على بوله ذنوباً من ماء..»
- ٤٣٥ «دعوها فإنها متنتة..»
- ٣٨٠ «رأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة»
- ٦٨ «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار»
- ٣٨٠ «رأيت في رؤياي أني هزرت سيفاً..»
- ٣٩٠ «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون..»
- ٢٥٩ «ريح صهيب..»
- ٦٢٢ «رحم الله أباذر يمشي وحده ويموت وحده..»
- ٧٢٤ «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد..»
- ٥٨٥ «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى..»
- ٦١٣ «ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك..»

٢٨٧	«السفل أرفق»
٦٧٩	«السلام على همدان..»
٦٨٧	«السلام عليكم يا أهل المقابر..»
١٠٨	«سميت أحمد»
٦٦٠	«سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا..»
٦٤٨	«السيد الله تبارك وتعالى..»
٣٤٢	«سيروا وأبشروا..»
٦٤٢	«سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق..»
٥٨٩	«شاهدت الوجوه»
٥١٠	«شراك أو شراكان من نار»
١٣٠، ١٢٩	«شهدت حلف المطيين مع عمومي..»
٥٠٥	«صدق الله فصدقه»
٣٥١	«.. صدقت. ذلك من مدد السماء الثالثة»
٦٨٩	«الصلاة وماملكت أيانكم»
٥٢٠	«ضنَّ الخبيث بملكه ولا بقاء للملكه»
٦٧١	«عبدهم حر ومولا هم محمد..»
٧١٥	«العز إزاره والكبرياء رداؤه..»
٤٨٩	«على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به»
٣١٩	«على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون..»
٢٥٢	«.. على السمع والطاعة في النشاط والكسل..»
٧٢١	«عليك بالمرأة..»
٢٤٨	«عمل قليلاً وأجر كثيراً»
٥١٢، ٥١١، ٥٠٧	«العهد قريب والمال أكثر من ذلك»

- ٥٤٨ «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم ..»
- ٣٤٩ «غمسه يده في العدو حاسراً..»
- ٤٥١ «فذاك أبي وأمي إن لكل نبي حوارياً..»
- ١٨٢ «فعل بي هؤلاء وفعلوا..»
- ٦٨٨ «قاتل الله اليهود والنصارى..»
- ٥٠٢ «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..»
- ٥٧٠ «قاتلهم الله ماكان إبراهيم يستقسم بالأزلام..»
- ٤٨٨ «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل..»
- ٢١١ «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش..»
- ١٥٩ «قد رأيته فرأيت عليه ثياب بيض..»
- ٢٣٥ «قد سألت ربي حتى استحيت ..»
- ٦١٧ «قد قبلت صدقتك..»
- ٧٢٠ «قد قضى..»
- ٢٥٦ «قد كنت على قبله لو صبرت عليها..»
- ٢٩٥، ٢٩٤ «قربوا اليامي من الطين..»
- ٥٠٥ «قسم قسمته لك»
- ٤٦٠ «قضيت بحكم الله تعالى..»
- ٢٢٣ «قل لا إله إلا الله أشهد لكم بها يوم القيامة»
- ٦٤٤ «قم ياأبايعيدة بن الجراح»
- ٤٥٥ «قم يانومان..»
- ٦٤٨ «قولوا بقولكم أو بعض قولكم..»
- ٣٨٢ «قولوا لهم فليرجعوا فإننا لا نستعين بالمشركين..»
- ٣٤٩ «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»

- «قوموا إلى سيدكم...» ٤٦٠، ٤٦٣
- «قوموا عني» ٦٨٩
- «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» ٧٦
- «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض...» ١٩٠
- «كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار...» ٥٥٥
- «كان الله ليس شيء غيره...» ٦٤٧
- «كان هذا فرعون هذه الأمة» ٣٥٤
- «كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر...» ١١٦، ١١٥
- «كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم فيه الله الكعبة...» ٥٦٤
- «كذب عدو الله وهو على دين النصرانية» ٥١٩
- «كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بداراً والحديبية» ٣٦٢
- «كلا إن ملائكة تسترنا بأجنحتهم...» ٢٧٥
- «كلا إني رأيته في النار في بردة غلّها...» ٥١٠
- «كلا. أنا عبداً لله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم...» ٥٦٦
- «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها...» ٥١٠
- «كلوا رزقاً أخرج به الله، أطمعونا...» ٤٨٠
- «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة» ٤٢٤
- «كن أبا خيثمة» ٦٢٢
- «كن أبا ذر» ٦٢٢
- «كنت أنبل على أعمامي» ١٢٩
- «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» ١٤٤
- «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى» ٢٨٠
- «كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته...» ٤٣٦

- ٦٧٧..... «كيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟...»
- ٣٩٠..... «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الإسلام»
- ٦٩٢..... «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»
- ١٧٤..... «لا بل أستاذي بهم»
- ٥٤٨..... «لا بل أنتم العكارون أنا فينتكم...»
- ٦٨٩..... «لا تبك يا أبا بكر إن آمن الناس علي...»
- ٦٧٦..... «لا تبك يامعاذ للبكاء أو أن...»
- ٢٢٥..... «لا تبكي يابنية فإن الله مانع أباك...»
- ٥٤١..... «لا تبيعوهم إلا جميعاً»
- ٦٨٨..... «لا تتخذوا قبري وثناً يعبد»
- ٥٦٩..... «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم»
- ٦٥٥..... «لا تجمعوا ما لا تأكلون...»
- ٣٩٦..... «لا تحبوه...»
- ٢٧٩..... «لا تحزن إن الله معنا...»
- ٧٢٨..... «لا تخيروا بين الأنبياء»
- ٦٣٠..... «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم...»
- ٣٢٠..... «لا تدعونها يثرب فإنها طيبة...»
- ١٢٧..... «لا تسألني باللات والعزى شيئاً...»
- ٥٧٩..... «لا تسبوا أحداً من أصحابي...»
- ١٥٩..... «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين...»
- ٧٠٣، ٧٠٢..... «لا تصيب أحداً من المسلمين مصيبة...»
- ٧١٤..... «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم...»
- ٧١٨..... «لا تغضب»

- ٧٢٥ « لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا... »
- ٦٥٣ « لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام... »
- ٣٨٤ « لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب... »
- ٦٥٠ « لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق... »
- ٦٥٩ « لا خير في الإمارة لرجل مؤمن »
- ٦٦٠ « لا خير في دين لا صلاة فيه »
- ٧٩ « لا دعوة في الإسلام... »
- ٦٥٣ « لا، نحن بنو النضر بن كنانة... »
- ٦٩٠ « لا نورث، ما تركنا صدقة... »
- ٥٧٤ « لا هجرة بعد الفتح... »
- ٢٨٧ « لا ولكني أكرهه »
- ٣٤٦ « لا يتقدم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه »
- ٤٠٧ « لا يخرج معنا إلا من شهد القتال »
- ٦٧٥ « لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يطوف بالبيت عريان... »
- ٧٢٧ « لا يدخل الجنة قاطع »
- ٤٨٦ « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد... »
- ٦٠١ « لا يدخلن هؤلاء عليكن... »
- ٤٦٣، ٤٥٩ « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة »
- ٦٩٠ « لا يقتسم ورثتي ديناراً... »
- ٣١٤ « لا يقتل مسلم بكافر »
- ٧١٦ « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء... »
- ٧١٦ « لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً »
- ٣٦٧ « لا ينتطح فيها عنزان »

- ٦٧٥ «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي»
- ٦٤٤ «لأبعثن رجلاً أميناً حق أمين»
- ٢٣٢ «لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم»
- ٦١١ «الذي فرّ من الله ورسوله»
- ٣٨٩ «لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فته»
- ٦٦١ «لعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان..»
- ٣٦٢ «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم..»
- ٣٥٦ «لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء»
- ٦٨٨ «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»
- ٦٤٥ «لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران»
- ٤٩٣ «لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي..»
- ٣٢٣ «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ..»
- ٤٩٥، ٤٨٨ «لقد سهل لكم أمركم»
- ١٣١، ١٣٠ «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً..»
- ٧٥ «لقد شهدته يوماً بعكاظ على جبل أحر..»
- ٧٦ «لقد كاد أن يسلم في شعره..»
- ٢٢٨ «لقيت من قومك مالقيت..»
- ٦٤٨ «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم»
- ٤٠١ «لكن حمزة لا بواكي له..»
- ٤٠٠ «لم تبكي فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها..»
- ٧١٧ «لم تراعوا لم تراعوا..»
- ٢٥٥، ٢٥٣ «.. لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم»
- ٧٠٧ «لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوة..»

- ٧٢٣ «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه..»
- ٢٨٢ «لمن هذه الإبل؟»
- ٤٤٨ «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام..»
- ٤٤٨ «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس..»
- ٤٤٩، ٤٤٨ «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن..»
- ٥٠١ «الله أكبر خربت خير..»
- ٦٨٩ «الله الله، الصلاة وما ملكت أيمانكم»
- ٥٩١ «اللهم اجبر مصيبتهم»
- ٧٠٣ «اللهم أجرني في مصيبي..»
- ٦٣٣ «اللهم احمل عليها في سبيلك..»
- ٥٩٠ «اللهم اذهب عنه الشيطان»
- ٢١٦، ٢١٤ «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك..»
- ٦٩٣ «اللهم اغفر لي وارحمني وألحقي بالرفيق الأعلى..»
- ٢٢٧ «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي..»
- ٢٦٣، ٢٦٢، ١٦١ «اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام..»
- ٣٤٧ «اللهم أنجز لي ما وعدتني..»
- ٧١٦ «اللهم إنا أنا بشر، فأني المسلمين لعنته..»
- ٤٤٨ «اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة..»
- ٧٢٤ «اللهم إني أخرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»
- ٣٤٧ «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك..»
- ٥٩٦ «اللهم اهد نقيفاً»
- ٦٥١ «اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك..»
- ٥٩٠ «اللهم اهد شبيبة»

- ٦٥٨، ٦٥٧ «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده»
- ٦٧٩ «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً»
- ٣٢١ «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة ..»
- ٥٥٩ «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش ..»
- ٦٩٣ «اللهم الرفيق الأعلى»
- ١٨١ «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»
- ٤٥٦ «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب ..»
- ٣٤٨ «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ..»
- ٥٦ «لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى»
- ٢٧٦ «لو جاؤونا من ههنا لذهبنا من ههنا»
- ٦٠٩ «لو دخلوها ماخرجوا منها، إنا الطاعة في المعروف»
- ٧١٤ «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ..»
- ١٨٠ «لو دنا مني لاخطفته الملائكة عضواً عضواً ..»
- ٢٧٧ «لو رأنا لم يستقبلنا بعورته ..»
- ٦٤٣، ٦٤٢ «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ..»
- ٥٩٧ «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً ..»
- ٧٢٧ «لو قلت له يدع هذه الصفرة»
- ٣٦٠، ٢٣٠ «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني ..»
- ٣٩٧ «لولا أن تحزن صفية ويكون سنة من بعدي ..»
- ١٧٧ «لولا حداثة عهد قومك بالكفر لتقضت الكعبة ..»
- ٤٨ «لو لم تغرف من زمزم لكانت زمزم عيناً معيناً ..»
- ٧٣١ «ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني ..»
- ٦٧٠ «ليس ذاك منكم، ذاك رجل من إباد ..»

- ٧١٨ «ليس الشديد بالصرعة..»
- ٦٩٢ «ليس على أبيك كرب بعد اليوم..»
- ٤٠٠ «لئن كنت أجدت الضرب سيفك..»
- ٧٢٧ «لئن كنت كما قلت فإنها تسفهم المل..»
- ٥٠٨ «ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خير..»
- ٢٤٣ «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق..»
- ٢٧١ «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي..»
- ١٤٨ «.. ما أنا بقارئ..»
- ٣٣٨ «ما أنتم بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما..»
- ٣٨٨ «ما أنصفنا أصحابنا..»
- ٧٢٧ «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»
- ٤٣٥ «ما بال دعوى الجاهلية؟»
- ٥٦٩ «ما تظنون أني فاعل بكم؟..»
- ٥٢٣ «ما تقولان أنتم..»
- ٧١٥ «.. ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله..»
- ١٣٣ «ما حلفت بها قط، وإني لأمر..»
- ٤٨٤ «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق..»
- ٦٢٤ «ما خلقت؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟»
- ١٥٨ «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة..»
- ٧١٩ «ما زال جبريل يوصيني بالجار..»
- ١٣٠ «ما شهدت حلفاً لقريش إلا حلف المطيين..»
- ٦١٦ «ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم..»
- ٦٣٦ «ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم..»

- « ما عندك؟... » ٤٦٧
- « ما كانت هذه تقاتل... » ٥٩٢، ٥٧٦
- « مالي أرى ألوأنكم تغيرت... » ٦٤٢
- « ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته... » ٥٣٧
- « ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان... » ٧٢٥، ٧٢٤
- « ما من نبي إلا وقد رعى الغنم... » ١٢٤
- « ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبوطالب... » ٢٢٥
- « ما يبكيك؟... » ٧٠٨
- « ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ... » ٣٤٩
- « ما يسرني... أنهم عندنا » ٥٤٧
- « مخيريق خير يهود... » ٣٩٢
- « مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك... » ٦٧٨، ٦٧٧
- « المرء مع رحله » ٢٨٧
- « مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى » ٦٤١
- « مروا بأب بكر أن يصلي... » ٦٩٠
- « مع الذين أنعمت عليهم من النبيين... » ٦٩٣
- « معاذ الله أن يتحدث أني أقتل أصحابي... » ٥٩٩
- « من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن... » ٧٢١
- « من أحب أن يتمثل له الناس قياماً... » ٤٦٤
- « من أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل... » ٦٠٠
- « من أساء معاملة من هم تحت يده فلن يدخل الجنة » ٧٢٤
- « من بلغ سهم فله درجة في الجنة » ٥٩٥
- «... من جهز جيش العسرة فله الجنة » ٦١٥

- «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن...» ٥٦٤، ٥٦٣
- «من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع في الرأس...» ٦٥٩
- «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل...» ٣٢٠
- «من عال جاريتين حتى تبلغا...» ٧٢١
- «من الغد يوم النحر نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة...» ٢٢٠
- «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره...» ٧١٩
- «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره...» ٧١٩
- «من كانت له أمة فأدبها ثم أعتقها...» ٧٢٤
- «من الكبائر شتم الرجل والديه...» ١٧٧
- «من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه...» ٦٨٨
- «من كنت مولاه فإن علياً مولاه...» ٦٧٨
- «من كنت مولاه فعلي مولاه...» ٦٧٨
- «من لا يرحم لا يُرحم...» ٧٢٠
- «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» ٧
- «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه...» ٧٢٤
- «من لي بهذا الخبيث؟» ٣٦٩
- «من مات على ما مات عليه عبدالمطلب دخل النار...» ٢٢٤
- «من محمد رسول الله إلى أهل عمان...» ٥٢٢
- «من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس...» ٥١٧
- «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب...» ٥٢٣
- «من محمد رسول الله إلى النجاشي...» ٥١٥
- «من محمد ﷺ بين المؤمنين والمسلمين...» ٣١٠، ٣٠٩
- «من محمد عبدالله إلى هزقل عظيم الروم...» ٥١٧

- «من يأخذ مني هذا...» ٣٨٥
- «من يحرم الرفق يحرم الخير...» ٧١٨
- «من يردهم عنا وله الجنة...» ٣٨٨
- «من يصعد الثانية ثنية المارر...» ٤٨٤، ٤٨٣
- «من يضمن عني ديني ومواعيدي...» ١٦٣
- «من يمنعك مني اليوم؟» ٣٧٦
- «من ينظر ما صنع أبوجهل؟...» ٣٥٤
- «من ينفق نفقة متقبلة...» ٦١٥
- «من يهاجر معي...» ٢٦٣
- «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة...» ٢٢٠
- «المؤمن الذي يخاط الناس ويصبر على أذاهم...» ١٤٧
- «المؤمن يألف ويؤلف...» ١٤٧
- «المؤمنون متكافأ دماؤهم...» ٣١٤
- «ناسبوا بهذا النسب: العباس بن عبدالمطلب...» ٦٥٣
- «نحن من ماء...» ٣٤٣
- «نصب لي المعراج...» ٢٣٦
- «نصبر ولا نعاقب...» ٥٦٩
- «نصرت يا عمرو بن سالم...» ٥٥٧
- «نعم الأدم الخلل...» ٧٢٨
- «نعم إذا رأت الماء...» ٧١٨
- «نعم إنه من ذهب إليهم فأبعده الله...» ٤٩٠
- «نعم فقاتل بمقبل قومك مدبرهم...» ٦٥٣
- «نعم كلمة واحدة يعطونها يملكون بها العرب...» ١٧٥

- ٥٥١ «نعم المال الصالح للفرء الصالح»
- ٥٧٠ «هذا إبراهيم مصور فما له يستقسم»
- ٦٤٤ «هذا أمين هذه الأمة..»
- ٢٩٣ «هذا إن شاء الله المنزل»
- ٦١ «هذا أول يوم انتصف العرب فيه من المعجم»
- ٣٥٢ «هذا جبريل أخذ برأس فرسه..»
- ٥٨٩ «هذا حين حيي الوطيس»
- ٦٠٧ «هذا سبي بني العنبر يقدم الآن..»
- ٤٣٥ «هذا الذي أوفى الله بأذنه»
- ٤٨٨ «هذا مركز وهو رجل فاجر..»
- ٧١٩ «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده..»
- ٣٢٠ «هذه طابة»
- ٣٣٧ «هذه غير قريش فيها أمواهم..»
- ٣٤٤، ٣٤٣ «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»
- ٤٨٧، ٤٨٦ «هذه يد عثمان»
- ٢٨٠ «هل بها من لبن»
- ٢٢١ «هل ترك لنا عقيل منلاً»
- ٢٤٤ «هل لكم خير مما جئتم له..»
- ٢٤٢ «هل من رجل يحملني إلى قومه..»
- ٥٧٧ «هلا تركت الشيخ في بيته..»
- ٦٨٩ «هلموا أكتب إليكم كتاباً لن تضلوا بعده..»
- ٧٢٣ «هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم..»
- ٣٧١ «.. هم لك»

- «وفت أذنك يا غلام» ٤٣٥
- «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل...» ٣٤٩
- «والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ...» ٦٢٨
- «والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت...» ٧٢٦
- «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» ٣٥٦
- «والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم...» ٥٨٥
- «والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه...» ٥٥٤
- «والله إنك لخير أرض الله...» ٢٧١
- «والله لا تذرون منه درهماً...» ٣٦٠
- «والله لا تمسح عارضيك بمكة...» ٤٠٨
- «والله لأن يهدي الله بك رجلاً...» ٥٠٢
- «ويحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً...» ٦٨١
- «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد» ٤٩٦
- «ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟...» ٥٩٩
- «... ويلكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً...» ٦٨١
- «يا أبا بكر أي واد هذا؟» ٥٤
- «يا أبا بكر: سل القوم فممن هم؟» ٢٨٢
- «يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن تكون لك دوني» ٢٧٣
- «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» ٢٧٤
- «يا أبا جندل اصبر واحتسب...» ٤٩١
- «يا أبا حفص أضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟» ٣٥٠، ٣٤٩
- «يا أباذر إذا طبخت مرقه...» ٧١٩
- «يا أبا عمير ما فعل النغير؟...» ٧١٦

- ٦٨٧ «يا أبا موهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا..»
- ٢٦١ «يا أبا يحيى ربح البيع..»
- ٧٢٠ «يا ابن عوف إنها رحمة..»
- ٥٨٨ «يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن»
- ٧١٤ «يا أم فلان انظري أي السكك شئت..»
- ٧٢١ «يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير..»
- ٣٢٣ «يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله..»
- ٦٦٨، ٦٦٧ «يا أيها الناس إنكم إن تفعلوا ولن تطيقوا..»
- ١٦٣ «يا بني عبدالمطلب إني والله ما أعلم شاباً..»
- ٢٤٢ «يا بني فلان إني رسول الله إليكم..»
- ١٦٤ «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم..»
- ٢٩٣ «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا»
- ٦١٨ «يا جد هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟»
- ٥٦٠ «يا حاطب ما هذا؟»
- ٥٩٩ «ياحكيم إن هذا المال خضر حلو..»
- ٢٢٩ «يازيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً..»
- ٣٨٩ «يا سعد ارم فذاك أبي وأمي»
- ٥٩٠ «يا شيبه إنه لا يراها إلا كافر»
- ١٦٣ «يا صباحاه..»
- ٧٢٧ «يا عائشة إن شر الناس منزلة يوم القيامة..»
- ٥٥، ٥٣ «يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية..»
- ٢٢٣، ٢٢٢ «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة..»
- ١٦٦ «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني..»

- «يا عمرو: نعم المال الصالح للمرء الصالح» ٥٥١
- «يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين...» ٦٩٢
- «يا فلان بن بن فلان ويا فلان...» ٣٥٦
- «يا معاذ عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا...» ٦٧٦
- «يامعشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح...» ١٧١
- «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم...» ٣٦٩
- «يا ويح قريش أكلتهم الحرب...» ٤٨٥، ٤٨٤
- «يأبى الله ذلك والمسلمون...» ٦٩٠
- «يأتاكم بقية أبناء الملوك...» ٦٥٧
- «... يبعث يوم القيامة أمة وحده» ١٥٩
- «يحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى بن مريم...» ٧٤
- «يدخل عليكم من هذا الباب من خير ذي يمن...» ٦٥٦
- «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» ٤٨
- «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطوعا» ٦٧٦
- «يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا...» ٧١٨
- «... يكفونكم المؤونة ويشركونكم في الثمر» ٣٠١
- «يوم وفاء وبر» ٢٧٩

فهرس الأعلام

« أ »

الأجري، محمد بن الحسين أبوبكر ٤٣٩

آدم (عليه السلام) ١٠٥٠٠٨٥٠٠٨٤٠٠٥٢٠٠٥١

٢٣٥٠١٤٤

آشاه ٠٩٥

آمنة بنت وهب ١١٠٠١٠٨٠١٠٥

أبان بن سعيد بن العاص ٤٩٧٠٤٨٦

أبان بن عثمان بن عفان ٠٣٦٠٠٢٤٠٠٢١٠٠٢٠

أم أبان بنت الوازع ٦٤١

إبراهيم (عليه السلام) ٠٥١٠٠٥٠٠٠٤٩٠٠٤٨٠٠٤٧

٠٠٥٦٠٠٥٥٠٠٥٤٠٠٥٣٠٠٥٢

٠٠٧٣٠٠٧٢٠٠٦٨٠٠٦٧٠٠٦٦

٠١١٤٠١١٢٠٠٨٧٠٠٨٥٠٠٧٤

٠٢٣٥٠١٩٨٠١٧٨٠١٤٥٠١٣٨

٦٢٧٠٥٧٠٠٣٣٦ ٠٢٩٠

إبراهيم بن سعد ٠٢٢٠٠٠٢٥

إبراهيم بن محمد عليه السلام ٠٧٠٩٠٦٩٧٠٥٢٠٠١٣٦٠١٠٨

٧٢٠٠٧١٩٠٧١٠

الأبرشي = سلمة بن الفضل

أبرهة ٠٦٠

أبرويز بن هرمز ٥١٧٠٥١٦

إبليس (الشيطان) ١١٩، ١١٧، ١٢٧، ١٤١، ١٤٦،

١٧٠، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٣٢،

٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٥، ٣٣٩، ٣٤٤،

٣٥٣، ٣٨٨، ٥٩٠، ٦٤٨، ٦٦٤،

٦٨٢، ٦٧٦

أبي بن خلف ١٧٣، ٣٩٥

أبي بن كعب ٣٢٣، ٤٣٩

ابن الأثير المحدث، المبارك بن محمد

الجزري ١٢١، ١٢٢

ابن الأثير المؤرخ، علي بن محمد الجزري ١٩، ٢٨٢

أحمد، حبيب محمود ٣٢، ٤١٠

أحمد بن حنبل ١٣، ١٨، ٢٣، ٢٦، ٢٧،

٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٧،

٥٤، ١١٤، ١١٨، ١٢٩، ١٣٠،

١٣٩، ١٤٤، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٤،

١٨٢، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٦،

٢٠٧، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٥،

٢٧٤، ٢٨٨، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٤،

٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٨،

٣٤٤، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥،

٣٥٩، ٣٩٦، ٤٢٣، ٤٧٦، ٥٣٥،

٥٤٨، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٩٦، ٦٠٩،

٦١١، ٦٣٥، ٦٤٨، ٦٥٢، ٦٥٣،

٦٥٧

أحمد بن عبده الضبي = الضبي ..

أحمد بن محمد الوراق = الوراق

- أحمد (من فرسان خراة) ٥٦٩
- الأخنس بن شريق ٣٤٠، ٢٢٩، ١٧٣
- إدريس (عليه السلام) ٢٣٥
- الإراشي ١٧١، ١٧٠
- أرباب بن رثاب ٠٧٧
- إربد بن قيس بن جزء ٦٤٨، ٦٤٧
- إردشير الفارسي ٠٦١
- أبوأرطاة = حصين بن ربيعة
- الأرقم بن أبي الأرقم ١٩٥، ١٥٨
- الأرناؤوط، شعيب ٦٨٣، ١٢٠
- الأرناؤوط، عبد القادر ٦٨٣، ٢١١، ١٢٠
- أرنب ٥٦٨
- أرها بن الأصحم ٥١٥
- أرباط (ملك الحبشة) ٠٦٠
- الأزرقى، محمد بن عبدالله أبوالوليد ٠٥٥، ٠٥٣، ٠٥١، ٠٤١، ٠٣٠
- أسامة بن زيد ٤٦٢، ٣٨٣، ٣٥٨، ٣٢٢، ٢٢١
٦٣٨، ٥٧٦، ٥٣٩، ٥٢٩، ٥٢٨
٧٢٦، ٦٩٢، ٦٨٦، ٦٨٥
- إسحاق (عليه السلام) ٥٧٠
- إسحاق بن بشر = أبوحذيفة، إسحاق بن بشر
- إسحاق بن راهويه ٤٢٣، ٠٥٢، ٠٣٠

أبو إسحاق السبيعي = السبيعي، عمرو بن عبد الله

أبو إسحاق الفزاري = الفزاري...

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المظلي

٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥،

٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠،

٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٢،

٤٣، ٤٤، ٥١، ٥٩، ٦٨، ٧٣،

٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١١٧،

١٢٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٥،

١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٨،

١٥٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧،

١٧٠، ١٧٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٧،

٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧،

٢١٩، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٣٩،

٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥١،

٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩،

٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥،

٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٠٣،

٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١،

٣١٢، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٨،

٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٠،

٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٣، ٣٩٦،

٣٩٨، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٤،

٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٨،

٤٢٩، ٤٣٣، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٣،

٤٤٥، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٦١،

٤٦٢، ٤٦٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٥٠٠،

٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٩، ٥١٤، ٥٢٨،

٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٩،

٥٤٥، ٥٤٨، ٥٥٧، ٥٦٦، ٥٦٩،

٠٦٠٣،٠٥٩٧،٠٥٩٦،٠٥٩٠،٠٥٧٩

٠٦٢٦،٠٦٢٣،٠٦١٠،٠٦٠٧،٠٦٠٦

٠٦٤٢،٠٦٤٠،٠٦٣٩،٠٦٣٨،٠٦٢٧

٠٦٦٢،٠٦٥٣،٠٦٥١،٠٦٥٠،٠٦٤٣

٦٦٥

١٤٢ أسد بن عبيد

٢٤٠ إسرائيل

٠٢٥ إسرائيل بن أبي إسحاق

٢٩٣،٢٨٧،٢٥١،٢٥٠،٢٤٧ أسعد بن زرار

٠٧٧ أسعد أبوكرب الحميري

٠٩٦،٠٦٠ الإسكندر المقدوني

٧٠٩،٢٧٢،٢٦٨،٢٦٧،٠٧٣ أسماء بنت أبي بكر

٢٤٩ أسماء بنت عمرو بن عدي، أم منيع

٠٠٥١،٠٠٥٠،٠٠٤٩،٠٠٤٧،٠٠٣٨ إسماعيل (عليه السلام)

٠٠٦٨،٠٠٦٢،٠٠٥٥،٠٠٥٣،٠٠٥٢

٥٧٣،٥٧٠،٢٤٠،١٠٦،١٠٥

٠٢٨ إسماعيل بن توبة القزويني

٠٣٣ إسماعيل بن جميع

٣٥٠ الأسود بن عبد الأسد المخزومي

١٧٢ الأسود بن عبد المطلب بن أسد

١٧٢ الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري

٦٤٣ الأسود العنسي، عهلة بن كعب

أبو الأسود المدني = يتيم عروة

٦٧٢ أسيد بن أبي أناس

٤٧٩، ٣٨١، ٢٥١، ٢٤٧ أسيد بن حضير

١٤٢ أسيد بن سعية

٣٨٣ أسيد بن ظهير

٧١٩، ٦٤٢، ٦٤١ الأشج بن عبد القيس

٦٥٣ الأشعث بن قيس

٥٦٩، ٥٦٨ ابن الأشوع الهذلي

الأصبغي = عبدالله بن شرحبيل

٤٧٣ الأصبغ بن عمرو الكلبي

الأصفهاني، جعفر = جعفر بن حيان

الأصفهاني، علي بن الحسين = أبو الفرج الأصفهاني

٦٠٨ الأصيد بن سلمة بن قرظ

أصيرم بني عبد الأشهل = عمرو بن أقيش

٦٥٤ الأعشى بن مازن، عبدالله بن الأعور

٢٠٢، ٢٠٠، ٠٣٤، ٠٢٦، ٠٢١ الأعظمي، محمد مصطفى

٠٢٥، ٠٢٤ الأعمش

٤٤٥ أبو الأعور بن سفيان بن عبد شمس

١٩١ أفلح، أبو فكيهة

٠٦٠، ٠٦٠، ٠٥٩٨، ٠٥٩٧، ٠٧١ الأقرع بن حابس

٧٢٠

- أكنم بن صيفي بن رباح ١٦٥،٠٧٧
- أكيدر دومة الجندل ٦٦٩،٦٢٩،٦٢٨
- الألباني، محمد ناصر الدين ١٢٦،١٢١،١٢٠،١١٣،٠١٩
- ٦٨٣،٢٠١،٢٠٠،١٥١
- إلياس (عليه السلام) ٦٣٤
- أمامة بنت ابن الربيع ٧٢٠
- الأموي، داود بن الحصين ٠٢٦
- الأموي، سعيد بن يحيى ٠٣٢،٠٢٩،٠٢٣،٠٢٢،٠٢١
- الأموي، يحيى بن سعيد ٣٥٢،١٢٢،٠٢٩
- أميمة بنت عبدالمطلب ٧٠٤
- أمين، أحمد ٠٣٤
- أمية بن خلف ٣٢٤،٢٥٧،١٨٨،١٨٧،١٧٢
- ٣٦٤،٣٥٥،٣٥٤،٣٥٣،٣٣١
- ٤١٢
- أمية بن أبي الصلت ٠٧٦،٠٧٢
- أمية بن عبد شمس ٠٦٣
- ابن الأنباري، محمد بن القاسم أبوبكر ٦٠٤،٠٤٤
- أنجشة ٧٢١
- أنس بن رافع، أبوالخير ٢٤٤
- أنس بن مالك ٢٣٤،١٨٢،١٨١،١١٧،٠٣٦
- ٣٤٤،٣٠٢،٣٠١،٢٩٧،٢٣٥
- ٧١٢،٧٠٨،٦٦٥،٦٣٦،٥٦٢
- ٧١٧،٧١٦،٧١٥،٧١٤،٧١٣

٧٢٦، ٧١٩

أنس بن أبي مرثد الغنوي ٥٨٥

أنس بن النضر ٤٠٣، ٣٨٧

أم أنمار الخزاعية ١٨٩

الأوزاعي ٤٢٣، ٣١١، ٢٢١، ٢٢٠

أوس بن عبدالرحمن الأسلمي ٣٨٣، ٣٨٢

إياس بن عمير الحميري ٦٤٧

إياس بن معاذ ٢٤٤

الأيلي، يونس بن يزيد ٢٠٠، ٢٧، ٢١

أم أيمن ١١٠

أيمن بن عبيد ٥٩٣

الأيهم (صاحب نجران) = السيد، الأيهم

أبواب الأتصاري ٢٩١، ٢٨٨، ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٩٥

٤٤٠، ٤٣٩، ٤٣٨، ٣٣٧، ٣٢٠

٧٠٧، ٥٠٤

أم أيوب الأنصارية ٤٣٩، ٤٣٨، ٢٩١، ٢٨٨، ٢٨٧

٤٤٠

« ب »

بادية بنت غيلان الثقفي ٦٠١

باذان ٥١٦، ٥٦٠

الباقر، محمد بن علي أبوجعفر ٣٠٩، ١٠٨

٣٨١	الباكري
٠٩١	باكستر، جيمس هوستن
٠٨٧	باندار
٥١٦	بتلر
٦٠٤، ٦٠٣	بجير بن زهير بن أبي سلمى
٣١٨	بحري بن عمرو
١٢٧، ١٢١، ١٢٠، ١١٩	بحيرى الراهب
٠٣٠، ٠١٩، ٠١٨، ٠١٧، ٠١٣	البخاري، محمد بن إسماعيل
٣٩، ٠٣٧، ٠٣٦، ٠٣٤، ٠٣٢	
٠٧٣، ٠٦٨، ٠٥٣، ٠٤٤، ٠٤٣	
١٢٣، ١١٨، ١٠٥، ٠٧٩، ٠٧٤	
١٧٠، ١٦٤، ١٦٣، ١٤٩، ١٢٤	
٢٠٥، ١٩٠، ١٨١، ١٨٠، ١٧٦	
٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٥، ٢١١	
٢٥٢، ٢٤٦، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٢٨	
٢٧٣، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٦٠، ٢٥٩	
٣٠١، ٢٩٣، ٢٨٤، ٢٧٩، ٢٧٨	
٣١٩، ٣١٦، ٣١٤، ٣١٢، ٣٠٢	
٣٥٢، ٣٤٧، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢٠	
٣٦١، ٣٥٧، ٣٥٥، ٣٥٤، ٣٥٣	
٤١٥، ٤١٤، ٤١٠، ٣٩٩، ٣٩٠	
٤٢٦، ٤٢٥، ٤٢٤، ٤٢٢، ٤٢١	
٤٦٠، ٤٥٩، ٤٣٨، ٤٣٣، ٤٢٨	
٥١٨، ٥١٦، ٥١٤، ٥٠٤، ٤٨٢	
٥٧٣، ٥٥٥، ٥٥٤، ٥٤٠، ٥٢٨	
٦٠٩، ٦٠٨، ٦٠٧، ٥٩٧، ٥٩١	
٦٣٩، ٦٢٩، ٦٢٤، ٦١٥، ٦١٣	

٦٥٢، ٦٤٣، ٦٤٢، ٦٤١، ٦٤٠

٧٢٥، ٧٠٤، ٦٨٣، ٦٦٦

٣٤٩، ٢١٨

أبوالبخري بن هشام بن الحارث

٥٦٤، ٥٦٣، ٤٨٧، ٤٨٥، ٣٣٢

بدليل بن ورقاء

٣٨٣

البراء بن عازب

٢٥٦، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٨

البراء بن معرور

٢٣٦، ٢٣٤

البراق

١٠٢

براهما

٦٤٦

أبوبرة الأشعري

٥٣٨، ٥٣٧

ابن البرصاء الليثي، الحارث بن مالك

٦٠٥، ٤٣٢، ٢٨٣، ٢٨٢، ١٠٨

بريدة بن الحصيب الأسلمي

٥٢٠

بريرة

٣٤٥، ٢٨٢، ٢٧٥، ١٨١، ١٣٣

البزار

٦٦٤، ٥٥٥، ٤٥٥

٣٤٢

بسبس بن الجهنى

٥٢٢

بستجان

٦٠٦، ٤٨٣، ٤٨٢

بسر بن سفيان الخزاعي الكعبي

٥١٢، ٥٠٥

بشر بن البراء بن معرور

٦٦٩، ٦٤٦

بشر بن معاوية، أبو علقمة

٣٦٢

بشير بن أيرق أبوطعمة

٦٧٠

بشير بن الخصاصة

بشير بن سعد ٥٣٩، ٥٢٩، ٥٢٨، ٥٢٧

أبوصير ٤٩٦

ابن بطيت، محمد بن عبدالله ٠٤٦

البعوي ٧٣٥، ٦٧٦، ٠١٩

البكائي = زياد البكائي

أبوبكر الأجرى = الأجرى، محمد

بكر بن سليمان ٠٤٢

أبوبكر الصديق ١٥٨، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠، ٠٥٤

، ١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٨٠، ١٦٠

، ٢٣٧، ٢٣٠، ١٩١، ١٨٨، ١٨٥

، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٦٣، ٢٥٧، ٢٥٥

، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٨

، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥، ٢٧٤

، ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٧٩

، ٣٠٣، ٢٩٦، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٨

، ٣٤٦، ٣٤٣، ٣٤١، ٣٢٥، ٣٢١

، ٣٩٦، ٣٦٤، ٣٥٨، ٣٥٢، ٣٤٧

، ٤٨٧، ٤٨٣، ٤٧٦، ٤٣٨، ٤٣٧

، ٥٣٧، ٥٢٧، ٥٢٣، ٥٠١، ٤٩٠

، ٥٧٧، ٥٧٦، ٥٥٨، ٥٥٣، ٥٥٢

، ٦٨٥، ٦٧٥، ٦٣٨، ٦٣٧، ٥٩٣

، ٦٩٤، ٦٩٣، ٦٩١، ٦٩٠، ٦٨٩

، ٧٠٣، ٧٠٠، ٦٩٩، ٦٩٨، ٦٩٦

٧٢٤

أبوبكر بن المنذر = ابن المنذر .

أبوبكرة الثقفي ٦٦٠، ٦٣٧

ابن بكير، عبدالله بن يونس ٠٢٩

البلاذري ٠٣٠، ٠٢٧، ٠٢٦، ٠٢٤، ٠٢٣

٣٩٣، ١٨٨، ٠٤٣

بلال بن رباح ٠١٦٠، ٠١٥٩، ٠١٢٢، ٠١٢١، ٠١٢٠

٠١٨٨، ٠١٨٧، ٠١٨٦، ٠١٨٥، ٠١٧١

٠٣٥٤، ٠٣٢١، ٠٢٩٦، ٠٢٥٧، ٠١٩٣

٠٥٧١، ٠٥٣٢، ٠٤٩٥، ٠٤٢٨، ٠٣٦٤

٦١٧، ٦٠٦

البناء، أحمد بن عبدالرحمن ٦٠٤، ٣١٣، ٠١٨، ٠١٣

البنوري، محمد يوسف ٦٦٥

بهرام جوين ٠٩٨

بهرام بن هرمز بن شابور ٠٩٧

بوذا ١٠٢

البوطي، محمد سعيد رمضان ٠٤٢٦، ٠٤٢٥، ٠٤٢٤، ٠١٦٢، ٠١٥١

٤٦٤

بيحرة بن فراس ٢٤٣

بيكر (المستشرق) ٠٢١

البهقي، أحمد بن الحسين ٠٠٧٦، ٠٠٥٢، ٠٠٥١، ٠٠١٩، ٠٠١٧

٠١٣٤، ٠١٣٠، ٠١٢٨، ٠١٢٧، ٠١٠٨

٠٢٥٢، ٠١٩٩، ٠١٧٩، ٠١٥١، ٠١٣٨

٠٣١٢، ٠٣١٠، ٠٢٩٥، ٠٢٧٣، ٠٢٧٢

٠٤٢٢، ٠٤٢١، ٠٤١٨، ٠٣١٥، ٠٣١٣

٠٦٠٣، ٠٥٣١، ٠٥٠٣، ٠٤٧٦، ٠٤٤٤

٠٦٦٠، ٠٦٥٨، ٠٦٤٤، ٠٦٤٣، ٠٦٣٩

٧٣٥، ٦٦٦، ٦٦٥، ٦٦٤

« ت »

- تبع ٥٥
- تدمري، عمر عبدالسلام ٤١
- الترمذي ١١٨، ١٠٧، ٢٨، ١٩، ١٧
١٤٤، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠، ١١٩
٥٥٥، ٤٠٣، ٣١٢، ٢٣٦، ١٧٦
٧٠٨، ٦٦٦، ٦٥٢، ٦١٥، ٦١١
٧٣٥، ٧٢٩، ٧١٣
- ابن تغري بردي ٤٠
- تماضر بنت الأصبغ ٤٧٣
- تميم الداري ٦٦٢
- ابن توبة = إسماعيل بن توبة
- التمي، سليمان بن طرخان = سليمان بن طرخان
- التمي، معتمر بن سليمان = معتمر بن سليمان
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم ٢٠١، ٢٠٠

« ث »

- ثابت بن أرقم ٥٤٦
- ثابت البناني ٦٦٥
- ثابت بن قيس بن الشماس ٦٤٢، ٦٤٠، ٦٠٦، ٤٦١، ٤٣٩
٦٤٣
- ثابت بن الوقش ٤٠٤، ٢٩١

٠٢٥	ثعلب
٠٢٨	ثعلبة
١٤٢	ثعلبة بن سعية
٠٦٢	ثعلبة بن عمرو بن عامر
٠٣٠	الثعلبي، الهيثم بن عدي
٠٣٣	الثقفي، إبراهيم بن محمد بن سعيد
٠٦٥	ثقيف بن منه بن بكر بن هوازن
٤٦٨، ٤٦٧، ٢٩٨	ثمامة بن أنال
٦١٥	ثمامة بن حزن
٤٢٣	أبو ثور
٦٦٤	ثور بن عروة
	الثوري، سعيد = سعيد بن مسروق

« ج »

	جابر الجعفي = الجعفي، جابر
٢٥٨، ٢٥٢، ١٧٩، ١٣٣، ١٢٤	جابر بن عبد الله
٤٢٥، ٤٢٤، ٤٠٧، ٤٠٠، ٣١٩	
٤٣٤، ٤٢٩، ٤٢٨، ٤٢٧، ٤٢٦	
٤٩٣، ٤٥٧، ٤٥٦، ٤٤٨، ٤٣٥	
٦٥٢، ٥٠٨، ٥٠٧، ٥٠٣، ٤٩٦	
٧٢٨، ٦٨٢	
٠٤٤	الجاحظ

٦٤٢ الجارود العبدي

٤٧٥،٤٧٤ جارية بنت مالك

٦٦٨ جبار بن سلمى

١٣٨،١١٧،١٠٨،٠٩٢،٠٤٨ جبريل (عليه السلام)

١٧٢،١٥٢،١٥١،١٥٠،١٤٩

٢٣٥،٢٣٤،٢٢٨،٢٢٧،١٨٢

٣٥٢،٢٨٥،٢٦٦،٢٦٣،٢٤٠

٧٠٠،٦٩٣،٤٦٩،٣٩٤،٣٧٦

٧١٩

٣١٨ جبل بن أبي قشير

٥٢٣،٠٦١ جبلة بن الأيهم

٥٩٠،٣٩٨،٢٥٤،١٢٦ جبير بن مطعم

٦١٨،٤٨٦ الجلد بن قيس

٠٦١ جذيمة الوضاح

٣٦٦،٣٦٥ الجراح (والد أبي عبيدة)

الجرمي = صالح الجرمي

٠٥٢ جرهم

٣٠٩،٠٣٧ ابن جريج

٥٢٠ جريج بن مينا

٠٢٦،٠٢٥،٠٢٤،٠٢٣،٠١٦ ابن جرير الطبري

٠٣٢،٠٣٠،٠٢٩،٠٢٨،٠٢٧

٠٥٢،٠٥٠،٠٤٢،٠٣٤،٠٣٣

٢٦٦،٢٦١،٢٠٠،١٩٩،٠٦٤

٤٦٦، ٣٨١، ٣٣٦، ٣٢٥، ٣١٥

٥١٧، ٥١٤، ٥١٣، ٤٧٦، ٤٧٥

٦٣٢، ٦٣١، ٦١٧، ٦٠٩، ٥٥٣

٦٧٩، ٦٥٧، ٦٥٦، ٥٢٤

جرير بن عبدالله البجلي

أبوجعفر الباقر = الباقر

٧٣٥

جعفر بن حيان الأصفهاني

٣٠٥، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧

٥٤٥، ٥٤٤، ٥٤٣، ٥٣٣، ٥٠٨

٦٤٧، ٦١٤، ٥٧٠، ٥٤٨، ٥٤٧

جعفر بن أبي طالب

٠٣٣

أبوجعفر الطوسي، محمد بن الحسن

٣٠٩

الجعفي، جابر بن يزيد

٣٦٢

جلال بن سويد

٠٣١

الجمحي، الفضل بن الحباب

ابن جميع = إسماعيل بن جميع

٠١٣

جميل بن معمر الجمحي

٥٣٨، ٥٣٧

جندب بن مكيث الجهني

٤٩٦، ٤٩١، ٤٨٩

أبوجندل بن سهيل بن عمرو

١٧٦، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦١

٢١٢، ١٨٦، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩

٢٢٣، ٢٢٢، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤

٢٧٠، ٢٦٣، ٢٤٥، ٢٣٧، ٢٢٤

٣٢٧، ٣٢٤، ٣٢٣، ٢٨٠، ٢٧٢

٣٥٣، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٠، ٣٣٩

٤٩٢، ٣٥٤

أبو جهل

- جهم بن أبي جهم ١١٣
- جهم بن عمرو بن الحارث ٧٠١
- ابن الجوزي ٢٠٢، ١٩٣، ٤٥٠، ٣٤٠، ١٦٦
٦١٠، ٣٨٨
- جونز، مارسدن ٣٤٠، ٣٠٠، ٢٢
- الجوهري ٢٨
- جويرية بنت الحارث بن ضرار ٧٠٨، ٧٠٤، ٦٧٠، ٤٣٩، ٤٣٣
- جيفر بن الجلندي ٥٢٢

« ج »

- ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد الرازي ٢٠٢، ٥٢، ٤٠، ٣٩، ٠٣٣
٣٤٧، ٣١١، ٢٧٣
- حاجي خليفة ٢٩
- الحارث (من حمير) ٥٢٤
- الحارث بن أهبان ٦٦٩
- الحارث بن بشر ٣٧٤
- الحارث بن الحارث ٥٩٧
- الحارث بن حرب ٢٥٤
- الحارث الذهلي، الحارث بن حسان البكري ٦٧٠، ٦٦١
- الحارث بن الربيع ٦٦٨
- الحارث بن سويد ٣٦٨، ٣٦٢
- الحارث بن أبي شمر الغساني ٥١٩

الحارث بن صيرة = أبووداعة

الحارث بن الصمة ٣٩٥، ٤٠٠

الحارث بن أبي ضرار ٤٤٠، ٤٣٢

الحارث بن الطلائلة الخزاعي ٥٦٨، ١٧٢

الحارث بن عامر ٤١١

الحارث بن عبد كلال ٦٥٦

الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة = القباع

الحارث بن عمير الأزدي ٥٢٣

الحارث بن عوف المري ٦٦٨، ٥٣٠، ٤٤٥

الحارث الغطفاني ٤٥٠

الحارث بن مالك = ابن البرصاء الليثي

ابنة الحارث التجارية ٦٤٢، ٤٦٢

الحارث بن هشام ٥٩٧

حارثة بن سراقه ٣٦١

حارثة بن علقمة ٦٤٤

حاطب، أو، أبوحاطب ١٩٨

حاطب بن أمية بن رافع ٣٦٢

حاطب بن أبي بلتعة ٥٧٧، ٥٦٠، ٥٥٩، ٥٢٠، ٣٦٢

الحافظ الأموي، الوليد بن مسلم ٢٩٠، ٢٣٠، ٢٢٠، ٢١٠

الحاكم النيسابوري ١٢٠، ١١٨، ١١٤، ٣٤٠، ١٧

..... ٣١٢، ٢٨٤، ٢٦٣، ١٢٦، ١٢١

٠٥٥٥،٤٥٥،٤٣٨،٤٢١،٣٥٢

٦٦٦،٦٦٥،٦٢٣

٠٨٦،٠٨٥ حام بن نوح

٥٠٣،٣٨١،٣٤٥ الحباب بن المنذر

٠٥١٨،١١٣،٠٢٩،٠٢٧،٠٢٥ ابن حبان

٦٦٦،٦٦٥،٦٤٢

٤٥٢ حبان بن العرقه

٠٤٤ ابن حبيب البغدادي

١٩٣ حبيب بن زيد الأنصاري

٢٦٦ حبيب بن عمرو بن عمير

٢٨٨ حبيب بن يساف

٧٠٦،٦٩٧،٥٥٨ أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان

٧٠٦ حبيبة بنت عبيدالله بن جحش

٣٠٥ الحنات التميمي

٠٢٣،٠٢٠ ابن أبي حثمة، سهل بن أبي حثمة المدني

٣٠٩ حجاج

٣١١ الحجاج بن أرطاة

٣٦١ الحجاج بن الحارث بن قيس

٥٦٢،٥١٢،٥٠٩ الحجاج بن علاط السلمي

٠٥٣ الحجاج بن يوسف الثقفي

٠٢٦،٠٢٤،٠٢٣،٠١٨،٠١٣ ابن حجر العسقلاني

٠٠٣١٠٠٣٠٠٢٩٠٠٢٨٠٠٢٧
 ٠٠٥٧٠٠٤٣٠٠٤٠٠٠٣٩٠٠٣٣
 ٠١٢٢٠١٢١٠١٢٠٠١١٨٠١١٣
 ٠٢٠١٠٢٠٠٠١٨١٠١٦١٠١٢٤
 ٠٢٦٤٠٢٦٠٠٢٣٨٠٢٢٩٠٢٢١
 ٠٣١٩٠٣٠٣٠٢٩٥٠٢٩٣٠٢٨٠
 ٠٤١٨٠٣٧٠٠٣٦٩٠٣٣١٠٣٢٠
 ٠٤٣٨٠٤٢٥٠٤٢٤٠٤٢٢٠٤٢١
 ٠٤٨٤٠٤٨٠٠٤٦٨٠٤٦٠٠٤٤٤
 ٠٦١٠٠٥٦٢٠٥٥٨٠٥١٤٠٥٠٠
 ٠٦٤٩٠٦٤٧٠٦٤٤٠٦٤١٠٦٢٣
 ٦٩٦٠٦٦٧٠٦٦٦

٥٨٢٠٥٨٠٠٥٧٩٠٥٥٣ ابن أبي حدرد، عبدالله

٦١٠٠٦٠٨٠٦٠٧٠٥١٦٠١٩٣ ابن حذافة، عبدالله بن حذافة السهمي

٠٢٩ أبوحذيفة، إسحاق بن بشر

٣٥٦٠٣٥٠٠٣٤٩ أبوحذيفة بن عتبة بن ربيعة

٤٥٤٠٣٨٧ حذيفة بن البيان

٦٦٨ الحر بن قيس بن حصن

٤١٥ حرام بن ملحان

٠٣١ الحراني، عبدالله بن محمد بن علي بن نفيل

٠٣٩٠٠٣٣ الحربي، إبراهيم بن إسحاق

حريث بن حسان = الحارث بن حسان .. ابن حزم

٠٣١٥٠٣١١٠٠٩٤٠٠٩٣٠٠٩٢ (الظاهري)

٦٦٦٠٤٤٣

٦٦٦٠٦٦٥ ابن حزم، أبوبكر بن محمد

- ابن حزم، عبدالله بن أبي بكر ٢٦٠، ٢٢٢، ٢١
- ابن حزم، عبدالملك بن محمد ٢٨
- حزن بن أبي وهب ٤٧٥
- حسان البكري ٦٦١
- حسان بن ثابت ٤٣٧، ٤١٢، ٣٩٣، ٣٩٢، ٢٢٩
٦٩٥، ٦٤٠، ٥٥٩، ٥٢٠، ٤٣٩
- حسان بن حوط ٦٧٠
- الحسن البصري ٢٩٧، ٢٧٤، ٢٣٨
- الحسن بن علي بن أبي طالب ٧٣١، ٧٢٩، ٧٢٠، ٦٤٥
- الحسين بن علي بن أبي طالب ٧٣٢، ٧٣١، ٦٤٥
- حصين بن ربيعة الأحسي، أبوأرطاة ٦٧٩
- الحضرمي = أبوالعلاء بن الحضرمي
- حضرمي بن عامر ٦٦٣
- حفص ٣٠٩
- حفصة بنت عمر بن الخطاب ٧٠٢، ٧٠٠، ٦٩٩، ٦٩٧
- أبوالحكم = أبوجهل
- الحكم بن حزن الكلبي التميمي ٦٦٧
- الحكم بن أبي العاص ١٨٣
- الحكم بن كيسان ٣٣٣
- الحكم بن مقسم ٣١١
- الحكمي، حافظ بن محمد ٤٢٥

٥٩٩، ٥٨٦، ٥٦٤، ٥٦٣	حكيم بن حزام
٤٨٨	الحليس بن علقمة الكناي
٤٧١	حليمة (من بني مزينة)
٥٩٢، ١١٧، ١١٥، ١١٤، ١١٣	حليمة السعدية
٣٧	حماد بن زيد بن درهم
٢٠٠، ٣٧	حماد بن سلمة بن دينار
٣٠٩	حماد بن عبيد
٣٤٠، ٢٢	حمادة، فاروق
١٩٠، ١٨٧	حمامة (أم بلال)
٣٠٣، ٢١٧، ٢١٢، ١٧٥، ١٣٥ ٣٩٨، ٣٩٧، ٣٨٦، ٣٨٠، ٣٥٠، ٣٢٧ ٥٧٢، ٥٦٨، ٤٠١	حمة بن عبدالمطلب
٤٣٩، ٤٣٨، ٤٣٧، ٣٩٤	حنة بنت جعثن الأسدية
٤٧٥	ابن حميد
٣٢٠	أبو حميد
	حميد بن زنجويه = ابن زنجويه
١٣٠	الحميدي، عبدالله بن الزبير
	ابن حنبل = أحمد بن حنبل
٣٩١، ٦٥	حنظلة بن أبي عامر (الفسيل)
٥٣٣، ٤٢٣، ٢٠٢	أبو حنيفة
٢٧	الحنفي، عبدالرحمن بن عبدالعزيز

٠٨٤	حواء
٦٥٥	ابن أبي الحواري، أحمد بن عبدالله
٥٦٨	الحويرث بن نقيذ
٥٩٧، ٥٨٣، ٥٣٣، ٢٦٣	حويطب بن عبدالعزيز
٠٢٧، ٠٢٢	الحيدر آبادي، محمد حميدالله
٦٦٤	حيدة بن معاوية بن قشير
٣٥١	حيزوم
	أبوالحيسر = أنس بن رافع
٦٤٢	أبوحيوة الصناحي
٤٥٩، ٤٥٠، ٤٤٤، ٤٢٠، ١٤٥	حيي بن أخطب
٥١١، ٥٠٧، ٤٩٩	

« خ »

٣٠٣، ٢٨٨	خارجة بن زيد
٦٦٨	خارجة بن حصن
٧٠٦، ٦٥٢، ٥٩٥، ٥٨٠	خالد بن سعيد بن العاص
٤٠٩	خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي
٠٧٧، ٠٧٢	خالد بن سنان بن غيث العبسي
٣٦١	خالد بن هشام
٤٨٣، ٤٦٩، ٣٨٦، ٣٨٠، ٠٣٦	خالد بن الوليد
٥٤٩، ٥٤٧، ٥٤٦، ٥٣٦، ٥٣٥	
٥٨٦، ٥٧٩، ٥٧٨، ٥٧١، ٥٦٥	

٦٢٩، ٦٢٨، ٦٠٩، ٥٩٣، ٥٩٢

٦٧٧، ٦٦٩، ٦٦٥، ٦٦٤، ٦٥٠

٦٧٩، ٦٧٨

٢٥٩، ٢١٤، ١٩٠، ١٨٩، ١٧١

خياب بن الأرت

خبيب بن يساف = حبيب بن يساف

٠٣٩

الحتلي، مجاهد بن موسى

١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٢١، ٠٧٤

خديجة بنت خويلد

١٤٨، ١٤٦، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥

٢٢٤، ٢٢٢، ١٥٧، ١٥٠، ١٤٩

٧٠١، ٦٩٩، ٦٩٨، ٦٩٧، ٢٢٥

٧٢٢

٠٣٢

الحرّاز، أحمد بن الحرّاز

٥٦٩، ٤٨٥

خراش بن أمية الخزاعي

٣١٢، ٠٣٢، ٠٢٥

ابن خزيمة

٦٦٢

خزيمة بن سواد بن الحرّاز

١٩٦

الحضر (عليه السلام)

٣١٥، ٣١٤، ٢٨٩

الخطابي

٢٧٣، ٠٤٠، ٠٣٧، ٠٣٣، ٠٣١

الخطيب البغدادي

٢٣٨

الخفاجي

٤٦٢

خلاد بن سويد

أبوخليفة الجمحي = الجمحي، الفضل

٠٤٣، ٠٤٢، ٠٢٦

خليفة العصفري، خليفة بن خياط

خليل بن أيبك = صلاح الدين الصفدي

أبوخليل، شوقي ٠٤٥

خنيس بن حذافة السهمي ٦٩٩

خوات بن جبير ٤٥١

خويلد (والد خديجة) ١٣٥

ابن أبي خيثمة، أحمد بن زهير ٣١٢، ٣٠٨، ٠٤٤، ٠٣٣

أبوخيثة الأنصاري ٦٢٢، ٦٢١، ٦١٧

ابن أبي خيثمة البغدادي، أبوبكر أحمد ٠٣٤

ابن خير الإشبيلي ٠٢٩، ٠٢٨، ٠٢٦

« د »

دارا الأول ٠٦٠

الداراني ٦٥٥

الدارقطني ٠٤٦، ٠٣٩، ٠٣٣، ٠٢٩

داود (عليه السلام) ٠٩٣، ٠٨٧

أبوداود، سليمان بن الأشعث ٠٧٩، ٠٣٢، ٠٣١، ٠٣٠، ٠١٧

٣١٥، ٣١٤، ٣١٣، ٣١٢، ٢٤٧

٦٤١، ٥٠٤، ٣٩٩، ٣٧٥، ٣٦٩

٦٨٣، ٦٦٥، ٦٤٨

ابن الدثنة = زيد بن الدثنة

الدجال ٦٦٣، ٣١٩

أبودجانة ٥٠٩، ٤٢١، ٤٠٠، ٣٨٩، ٣٨٥

دحية بن خليفة الكلبي ٠٥١٨، ٠٥١٧، ٠٥٠٤، ٤٧٣، ٤٧٢

٧٠٧، ٦٣٠، ٥١٩

الدراوردي ٠٣٩، ٠٢٧

أبوالدرداء ٣٠٥، ٣٠٣

درة بنت أبي سلمة ٧٠٢

دروزة، محمد عزت ٠١٦

دريد بن الصمة ٥٩١، ٥٩٠، ٥٨٢

الدعاس، عزت عبيد ٠١٩

دعشور المحاربي ٣٧٦

ابن الدغنة ٢٣١، ٢٣٠

ابن دهيش، عبدالملك ٠٤١

الدويش، عبدالله ٠٣٢

الديار بكري ٣١٥

ابن ديسان ٠٩٨

الديلي = عبدالرحمن بن أرقد

ابن دينار، عبدالكريم ٠٢٥

ابن دينار، محمد بن صالح = محمد بن صالح ..

دينة (ابنة يعقوب عليه السلام) ٠٨٧

الدينوري، أحمد بن داود ٠٤٤

« د »

أبوذر الغفاري ٧٢٣، ٧١٩، ٦٢٢، ٢٣٥، ١٨٥

ذكوان بن عبد القيس ٣٨٣

الذهبي ٠٤٧، ٠٤٠، ٠٣٧، ٠٣٣، ٠١٧

٠١٢١، ١٢٠، ١١٨، ١١٣، ١٠٩

٠٤٧٤، ٢٧٣، ٢٦٩، ١٩٨، ١٢٦

٦٦٦، ٦٦٥، ٦٤٤، ٦٤٣

الذهلي ٠٣١

ذو الندية ٦٣٧

ذو عمرو ٥٢٤

ذو القرنين ١٩٦، ١٧٨

ذو الكلاع بن ناكور ٥٢٤

ذو المشعار، أبو ثور ٦٦٧

ذو نواس (الملك الحميري) ٠٧١، ٠٥٩

« ر »

الرازي، ابن أبي حاتم = ابن أبي حاتم

الراسبي = عبدالرحمن بن إبراهيم .

راشد بن عبد ربه ٦٦٩

أبورافع (مولى الرسول ﷺ) ٥٦٢، ٥٠٣، ٥٠٢

رافع بن حارثة ٣١٨

٣٦٢، ٣١٨	رافع بن حريمة
٣٨٣	رافع بن خديج
٢٥١	رافع بن مالك
٦٠٥، ٥٥١	رافع بن مكيث الجهني
٦٧٣	الرافعي
٥١٢، ٥٠٧	ربيع بن أبي الحقيق
٦٦٨	ربيع بن معاوية بن خفاجة
٣٨٧	الربيع بنت النضر
٦٥٣	ربيعة بن الحارث
٠٦٢	ربيعة بن حارثة بن عمرو
٥٩١	ربيعة بن رقيع
٦٨١	ابن ربيعة بن هذيل
١٢٢	رزين
٦٥٥	الرشاطي
٥٢٢	رعية السحيمي
٣٦٢	رفاعة بن زيد بن التابوت
٦٤٩	رفاعة بن زيد الجذامي
٥٥٣	رفاعة بن قيس
٤٥٣، ٢٩٨	رفيدة الأسلمية
٦٦٨	الرقاد بن عمرو

الرقاش، عبد الملك بن محمد أبو قلابة ٤٧٨، ٠٣٢

رقية بنت محمد ﷺ ٣٥٧، ١٩٨، ١٣٦

رملة بنت الحارث ٦٠٦

أبورهم = كلثوم بن حصين الغفاري

أبورهم الأشعري ٦٤٦

أبورهم بن عبد العزى ٥٣٣

أبوروح = يزيد بن رومان

روح القدس = جبريل

ريحانة بنت زيد بن عمرو ٧١٠، ٧٠٥، ٤٦٣

ريطة بنت الحارث ٢٠٧

« ز »

ابن زبالة، محمد بن الحسن ٠٤١

الزبرقان بن بدر ٦٤٠، ٦٠٦، ٦٠٥

الزبير بن باطا القرظي ٤٦١

الزبير بن بكار ٧٠١، ٥٢، ٠٤١، ٠٣٢

الزبير بن عبد المطلب ١٣٢، ١٣١

الزبير بن العوام ٣٠٣، ٢٨٢، ١٨٤، ١٥٨، ١٢٢

٤٥١، ٤٠٨، ٣٩٩، ٣٥٢، ٣٤٣

٥٣٨، ٥٠٩، ٥٠٧، ٤٥٩، ٤٥٢

٥٩١، ٥٦٥، ٥٦٤، ٥٥٩، ٥٣٩

الزبيري، مصعب بن عبد الله ٠٣٩

٠٩٦، ٠٩٥	زرادشت
٦٥٦	زرعة ذو يزن
٦٢٣، ٢٧٣، ٠٣٧	أبوزرعة الرازي، عبيد الله بن عبد الكريم
٠٣٣	أبوزرعة، عبد الرحمن بن عمرو النصري
٤٣٣، ٢٣٩، ١١٧، ٠٢٦	الزرقاني
٦٧٣، ٣٠٠	الزركشي
٠٢٧، ٠٢٢، ٠٢١	زكار، سهيل
٢١٨	زمنة بن الأسود
٥٧٥	زمنة بن زمنة
٣١٠	ابن زنجويه، حميد بن مخلد
١٩١، ١٩٠	زنيرة
٠٢٧، ٠٢٥، ٠٢٤، ٠٢٣، ٠٢٢	الزهري، محمد بن مسلم
٠١٠٧، ٠٨٠، ٠٣٦، ٠٣٥، ٠٢٨	
٠٢٦٧، ٢٣٣، ٢٢٠، ١٥١، ١٤٩	
٠٣١٥، ٣١٢، ٣١١، ٣١٠، ٣٠٨	
٠٤٣٩، ٤٢٢، ٤٢١، ٣٦٩، ٣٢٢	
٠٥١٦، ٥٠٠، ٤٩٦، ٤٩٥، ٤٤٣	
٦٦٥، ٥٦٤	
٢١٨	زهير بن أبي أمية
٦٠٣، ٧٧، ٧٢	زهير بن أبي سلمى
٣٦٢	زوى بن الحارث
٣٨، ٢٨، ٢٧	زياد البكائي، زياد بن عبدالله

زياد بن الحارث الصدائي ٦٥٩، ٦٥٨

زياد بن ليد ٦٠٥

زيد بن أرقم ٥٤٦، ٤٣٥، ٤٣٤، ٣٨٣

زيد بن ثابت ٦٢٣، ٣٨٧، ٣٨٣

زيد بن حارثة ٣٧٧، ٣٥٨، ٣٠٣، ١٥٧، ١٢٧

، ٤٧٥، ٤٧٤، ٤٧٢، ٤٧١، ٤٥١

، ٥٤٧، ٥٤٤، ٥٤٣، ٥٤١، ٥٣٣

٧٠٤، ٦٨٦

زيد بن الخطاب ٣٨٤

زيد الخير ٦٤٧

زيد بن الدثنة ٤١٦، ٤١٢، ٤١١

زيد بن سعة ١٤٣

زيد بن عمرو بن نفيل ١٤٣، ١٤٢، ٠٧٤، ٠٧٣، ٠٧٢

زيد بن اللصيت ٣٦٢

زيد بن نفيل ١٦٥

الزيلي ٥١٥

زينب بنت جحش الأسدية ٧٠٩، ٧٠٨، ٧٠٥، ٧٠٤، ٦٩٧

زينب بنت خزيمة الهلالية (أم المساكين) ٧٠٢، ٧٠١

زينب بنت أبي سلمة عبدالله بن عبدالأسد ٧٠٢

زينب بنت محمد ﷺ ٥٦٨، ٤٧٢، ٤٧١، ٣٦٠، ١٣٦

٧٢٠

« س »

٨٧،٤٧	سارة (زوجة إبراهيم عليه السلام)
٥٦٨،٥٦٧	سارة (مولاة عمرو بن هشام)
	الساعاتي، أحمد بن عبدالرحمن = البنا، أحمد..
٣٦٩،٣٦٨	سالم بن عمير
٨٦،٨٥	سام بن نوح
٦٩	السائب بن عبدالله
٥٩	سبا
٣٨٥	سباع بن عبدالعزيز
١٩٨	أبوسبرة
٢٥،٢٤	السيبي، عمرو بن عبدالله أبوإسحاق
٢٥	السيبي، يونس بن عمرو بن أبي إسحاق
٢٦،٢٢	سखाو، ادوارد
٥٣٣	سخبرة بن رهم
٣٨١	السدي
٥٩٣	سراقة بن الحارث
٣٥٣،٣٣٩،٢٨٠،٢٧٩،٢٧٨	سراقة بن مالك
٣٣٢	سروات بن عمرو الخزاعي
١٣٤،١٢٩	سزكين، فؤاد
٥٦٨	ابن سعد

أم سعد ٥٦٨

سعد بن حنيف ٣٦٢

سعد بن خيثمة ٢٥١

سعد بن الربيع ٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠٣، ٢٥١

سعد بن زيد ٥٧١، ٤٦٢، ٣٨٤

سعد بن عبادة ٤٣٤، ٣٢٢، ٢٦٠، ٢٥٤، ٢٥١

..... ٤٦٣، ٤٥٩، ٤٥١، ٤٥٠، ٤٣٧

..... ٧٢٠، ٧١٩، ٤٦٤

ابن سعد، محمد بن سعد ٠٢٥، ٠٢٤، ٠٢٣، ٠٢٢، ٠١٨

..... ٠٣٥، ٠٣١، ٠٢٨، ٠٢٧، ٠٢٦

..... ١١٤، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ٠٤٠

..... ١٩٩، ١٩٧، ١٨٤، ١٣٤، ١١٧

..... ٢٤٦، ٢٢٩، ٢١٧، ٢١٢، ٢٠٧

..... ٣٣٠، ٣٢٨، ٣١٥، ٣٠٢، ٢٧٥

..... ٣٧٦، ٣٧٥، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٣١

..... ٤٢٤، ٤٢٢، ٤١٤، ٣٨٠، ٣٧٧

..... ٤٦٦، ٤٥٢، ٤٤٧، ٤٤٣، ٤٢٩

..... ٥١٤، ٥١٣، ٥٠٠، ٤٨٠، ٤٧٤

..... ٥٤٥، ٥٤٣، ٥٣١، ٥٢٩، ٥٢٤

..... ٦٠٨، ٦٠٦، ٥٧٨، ٥٦٦، ٥٥١

..... ٦٣٩، ٦٢٧، ٦٢٤، ٦١٤، ٦١٠

..... ٦٦٣، ٦٦١، ٦٥٧، ٦٤٤، ٦٤٣

..... ٦٦٤

سعد بن معاذ ٣٤١، ٣٢٤، ٣٢٣، ٢٥٨، ٢٤٧

..... ٤٥٠، ٤٣٩، ٤٣٧، ٣٤٦، ٣٤٢

..... ٦٢٨، ٤٦٠، ٤٥٩، ٤٥٢، ٤٥١

- سعد بن النعمان بن أكال ٣٥٩
- سعد بن أبي وقاص ٣٢٨، ٣٢٣، ٢١٩، ١٥٨، ٠٧٩
٣٤٣، ٣٣٤، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٢٩
٦٣٦، ٥٧٥، ٣٨٩
- أبوسعد بن وهب ٤٢٠
- أبوسعد بن يونس = ابن يونس، أبوسعد
- السعود، سليمان بن علي ٢٧٣
- سعيد بن جبير ٤٣٩، ٢٠٠، ١٨٥
- أبوسعيد الخدري ٧١٧، ٦٧٨، ٦٤١، ٣٨٣
- سعيد بن زيد ٢١٣، ١٦٠
- سعيد بن سعد بن عبادة ٠٢٠
- سعيد بن العاص ٥٧١
- سعيد بن أبي مریم = ابن أبي مریم ..
- سعيد بن مسروق الثوري ٠٢٤
- سعيد بن المسيب ٢٢٢، ٣٩، ٣٦، ٢٤، ٠٢٠
٥١٦
- سعيد بن المغيرة = المصيصي
- أبوسعيد النيسابوري ٦٥٥
- سعية (عم حيي بن أخطب) ٥٠٧
- سفيان الثوري ٦٦٧، ٦٦٦، ٤٢٣، ٠٣٧، ٠٢٥
- أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ٥٦١

أبوسفیان صخر بن حرب ٢٦٣، ١٦١، ١٤٤، ١٠٦، ٠٨٠
 ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٠
 ٣٧٤، ٣٧٢، ٣٥٩، ٣٤٣، ٣٤٢
 ٤٠٧، ٤٠٥، ٣٩٦، ٣٧٩، ٣٧٧
 ٤٤٥، ٤٢٣، ٤١٨، ٤١٣، ٤١٢
 ٥١٨، ٤٧٩، ٤٧٨، ٤٥٥، ٤٥٤
 ٥٦٦، ٥٦٤، ٥٦٣، ٥٦١، ٥٥٨
 ٥٨٨، ٥٨٧، ٥٨٦، ٥٧٢، ٥٦٨
 ٧٠٧، ٦٦٠

سفیان بن عبد شمس ٤٤٥

سفیان بن عینة ٢٩٩، ٤٣، ٣٧، ٢٥

السكران بن عمرو ٦٩٧، ٢٦٦

ابن السكن ٦٦٣

سلام بن أبي الحقيق ٤٧٦، ٤٦٦، ٤٦٥، ٤٤٤، ٤٢٠
 ٥١٢، ٥٠٧، ٤٩٩

ابن سلام، القاسم بن سلام ٣١٢، ٣٠٨، ٠٤٣، ٠٣٩

سلام بن مشكم ٧٠٨، ٣١٨

سلسلة بن يرهام ٣٦٢

سلمان الفارسي ٤٤٦، ٣٠٥، ٣٠٣، ١٤٢، ١٢٣
 ٤٠٩

سلمة الأسدي ٤٩٥

سلمة بن أسلم ٤٧٩، ٤٥١

سلمة بن الأكوع، سلمة بن عمرو بن سنان ٤٩٧، ٤٩٣، ٤٩٢، ٤٧٦، ٤٧٥
 ٥٢٧، ٥١١

٦٧٢	سلمة بن سعد
٤٠٩، ٢٦٠، ١٩٨، ١٥٨	أبوسلمة بن عبد الأسد
٤٧٣، ٠٣٦	أبوسلمة بن عبد الرحمن بن عوف
٧٠٢، ٢٦٠	سلمة بن عبدالله بن عبد الأسد
٧٠٣، ٧٠٢، ٢٦٠	أبوسلمة، عبدالله بن عبد الأسد
٠٢٩	سلمة بن الفضل الأبرشي
٦٠٨	سلمة بن قرط
٢٦٢، ١٦١، ١٦٠	سلمة به هشام
٤٩١، ٢٦٠، ٢٠٧، ١٩٨، ١٩٧، ٧٠٢، ٦٩٧، ٦٠١، ٥٦١، ٤٩٤	أم سلمة، هند بنت أبي أمية المخزومية
٧١٨، ٧٠٨، ٧٠٣	
٦١٥	السلمي، محمد بن الحسين أبوعبد الرحمن
٠٤٥	سلوم، داود
٠٦١	سليح بن حلوان
٣٩٤	أم سليط
٥٢٠	سليط بن عمرو العامري
٤١٤	سليم بن ملحان
٧٢١، ٧١٨، ٥٨٨، ٣٩٤	أم سليم بنت ملحان
٧١٠، ٦٦١، ٠٥٧	سليمان (عليه السلام)
٦٦٥	سليمان بن داود (الراوي)
٠٢٦، ٠٢٣، ٠٢٢، ٠٢١	سليمان بن طرخان التيمي

٦١١	سباك بن حرب
٣٨٣	سمرة بن جندب
٦٣٦	ابن سمرة، عبدالرحمن
٠٤٠	السمعاني
٠٤١	السمهودي، علي بن عبدالله
٣٩٩	السميراء بنت فيس
٢٩٥، ١٨٦، ١٨٥، ١٦٠، ١٥٩	سمية بنت خياط (أو خياط)
٤٢٢	السندي، أكرم حسين
٦٣٢	السندي، عبدالقادر حبيب الله
٤٢٤، ٠٢٨، ٠٢١	السندي، نجيج بن عبدالرحمن أبومعشر
٤٣٩	سنيد
٢٩٣	سهل (من بني النجار)
	سهل بن أبي حثمة = ابن أبي حثمة
٤٩١، ٤٢١، ٤٠٠	سهل بن حنيف
٠٢٨	سهل بن عثمان
٢٩٣	سهيل (من بني النجار)
٥٥٨	سهيل بن عثمان
٤٨٩، ٤٨٨، ٣٦١، ٣٥٨، ٢٢٩	سهيل بن عمرو
٥٦٥، ٤٩٥، ٤٩١، ٤٩٠	
٣١٩	أبوسهل بن مالك
١٣٥، ١٢٩، ٠٥٥، ٠٥٢، ٠٢٧	السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله
٢١٩، ١٤٩	

٦٦٢	سواد بن الحارث
٣٦٤، ٣٤٨	سواد بن غزيرة
١٤١	سواد بن قارب الكاهن
٦٩٧، ٣٥٨، ٢٩٥، ٢٢٦، ٢٢٥	سودة بنت زمعة
٧٠٢، ٧٠٠	
٦٥٥، ٣٦٢	سويد بن الحارث
٢٤٣	سويد بن الصامت
٠٧٧	سويد بن عامر المصطلق
٦١٩	سويلم اليهودي
٦٤٦، ٦٤٥، ٦٤٤، ٦٤٣	السيد، الأيهم (صاحب نجران)
٠٣٩، ٠٣٧، ٠٣٠، ٠٢٦، ٠٢٤	ابن سيد الناس
٣٨٣، ٣٠٨، ١٩٨، ١٣٥، ١٢١	
٥٢١	
٥٢٠	سيرين (أخت مارية القبطية)
٠٧٧	سيف بن ذي يزن
١٠٢	سيفا
١٠٢	سيو ويشنو
١٢١، ٠٠٥٧، ٠٣٠، ٠٢٠، ٠١٦	السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر
٦٣٦، ٣٢٠، ٢٠١	

« ش »

٣١٨	شاش بن عدي
-----	------------

٣١٨	شاش بن قيس
٦٦٦،٥٣٣،٤٢٣،٢٠٢،٢٠١	الشافعي، محمد بن إدريس
٦٦٦،٣١٣	شاكِر، أحمد
٧٣٦،٦٦٦،٣٩٨،١٣٥،٠٥٢	الشامي
٦٣٩،٢٠٥	الشامي، صالح أحمد
٦٤٧	ابن شاهين
٦٤٩،٣٢٠،٠٤١،٠٣٢،٠٢١	ابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة
٦٥٣	
٦٠٨،٥٤٠،٥٢٠،٥١٩	شجاع بن وهب
٥٢٢	أبوشداد (من أهل دما)
٢٣٦	شداد بن أوس
٧٠٦	شرحبيل بن حسنة
٠٢٥،٠٢١،٠٢٠	شرحبيل بن سعيد
٥٤٣،٥٢٣	شرحبيل بن عمرو الفساني
٦٤٥	شرحبيل بن وداعة الهمداني
٠٢٨	شريح بن النعمان
	أم شريك = غزية بنت جابر
٠٣٧،٠٣٦،٠٢٥	شعبة بن الحجاج
٦٤٥،٥٥٢،٣٠٩،٠٢٤	الشعبي، عامر بن شراحيل
٢٢٠	شعيب
٦٩٤	شقران (مولى الرسول ﷺ)

٠٤١	شلتوت، فهيم
٣١٨	شمويل
٢٠٠	ابن شهاب
	ابن شهاب الزهري = الزهري، محمد بن مسلم
٢٠٤، ٢٠١، ٠٥٧، ٠٥٤	أبوشهبة، محمد محمد
٣٥٠، ٢٦٣، ٢٥٧، ٢٢٧، ٢٢٦	شبية بن ربيعة
٠٥٢، ٠٣١، ٠٢٩، ٠٢٣، ٠٢٢	ابن أبي شبية، عبدالله بن محمد
٦٤٥، ١٨٨، ١٧٩	
٥٩٠، ٥٨٩، ٥٥٨	شبية بن عثمان
٠٣١	ابن شبية، يعقوب بن شبية بن الصلت
٠٥٢	شيث بن آدم
٧٣٥، ٧١٣، ٠١٩	أبو الشيخ، عبدالله بن محمد
٥١٦	شيوخه (ابن كسرى)
	الشیطان = إبليس
٥٩٢، ١١٥	الشیاء بنت الحارث

« ص »

٦٤٥	صابر بن فیض الحارثي
٠٢٦	ابن الصاعد (صاحب الأمالي)
٠٣٣	ابن صاعد، يحيى
٦٣٠	صالح (عليه السلام)

صالح الجرهمي، صالح بن إسحاق ٠٣١

صالح بن عبدالله بن صالح ٣١٠

صرد بن عبدالله الأزدي ٦٥٥، ٦٥٤

صرة بن أبي أنس البخاري أبوقيس ٠٧٧، ٠٧٢

الصعب بن معاذ ٥٠٣، ٥٠١

أبوصعيليك ٢١٤

الصفدي = صلاح الدين الصفدي

صفوان بن أمية ٥٣٧، ٤٧١، ٤١٣، ٤١٢، ٣٦٨

..... ٥٨٥، ٥٨٣، ٥٧٥، ٥٦٥، ٥٥٨

..... ٦٠٢، ٥٩٩، ٥٨٦

صفوان بن المعطل السلمي ٤٣٧

صفية بنت حيي بن أخطب ٧٠٧، ٦٩٧، ٥١٢، ٥٠٤، ٤٢٠

..... ٧٢٢، ٧٢١

صفية بنت عبدالمطلب ٥٣٣، ٣٩٩، ٣٩٧، ٣٩٣

ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن ٢٠١، ٠٤٠

صلاح الدين الصفدي، خليل بن أبيك ٠٣٣

الصناحي = أبوحوية الصناحي

الصنعاني، عبدالرزاق بن همام ٠٣٩، ٠٣٢، ٠٣٠، ٠٢٢، ٠٢١

..... ٤٢١، ٣١٥، ٣١٤، ٢٢١، ١٤٠

..... ٤٥٣، ٤٢٢

صهيب بن سنان الرومي ٢١٥، ١٨٥، ١٧١، ١٦٠، ١٥٩

..... ٢٦١، ٢٦٠

الصواف، محمد محمود ٧٠٢

١٣٤ صيفي بن أمية بن عابد

٣٦٠ صيفي بن أبي رفاعة

« ض »

٠٢٨ الضبي، أحمد بن عبده

٠٦١ ضجعم بن سليح

٦٦٨، ٦٤٩، ٦٠٨، ٦٠٥ الضحاك بن سفيان الكلابي

٦٦٣ ضرار بن الأزور

٤٥٢ ضرار بن الخطاب بن ضرار

٥١٨ ضفاطر (الأسقف)

٦٥٠ ضمام بن ثعلبة

٥٥٨ ضمرة

٣٣٩، ٣٣٨ ضمضم بن عمرو الغفاري

٥٤١ ضميرة (مولى علي بن أبي طالب)

« ط »

٦٦٢ طارق بن عبدالله المحاربي

٣٤٠ طالب بن أبي طالب

١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١١١، ٠٥٦ أبوطالب، عبد مناف بن عبدالمطلب

١٧٥، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٢٧

٢٢٣، ٢٢٢، ٢١٨، ٢١٠، ١٨٢

٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤

الطاهر بن محمد ﷺ ١٣٦

ابن طاهر المقدسي = ابن القيسراني

الطبراني ٣٩٢، ٢٧٥، ١٣٣، ١١٣، ١٠١٩

٦٤٧، ٤٥٠، ٤٣٨، ٣٩٣

الطبري = ابن جرير الطبري

الطحاوي ٦٦٦

ابن طرخان = سليمان بن طرخان

ابن طرخان معتمر، معتمر بن سليمان . .

أبوطعمة = بشير بن أبيرق

طعيمة بن عدي ٣٨٦

أم الطفيل (زوجة أبي بن كعب) ٤٣٩

الطفيل بن الحارث بن عبدالمطلب ٧٠١

طفيل بن عمرو الدوسي ٦٥٢، ٦٥١، ٦٠٣، ٥٩٥، ١٦٩

أبوطلحة، زيد بن سهل ٧١٧، ٣٩٥، ٣٨٩، ٣٤٤، ٣٠٣

٧٢١

طلحة الجود، طلحة بن عبيدالله ٣٨٩، ٣٨٨، ١٥٨

طلحة بن أبي طلحة ٢١٨

طلحة بن عثمان ٣٨٥

طلق بن علي الياامي ٢٩٥، ٢٩٤

طليحة بن خويلد الأسدي ٦٦٣، ٤٤٥، ٤٠٩

الطوسي = أبو جعفر الطوسي

٥٢٢، ٥١٧ ابن طولون، محمد بن طولون الدمشقي

٣١٩ الطيالسي

١٣٦ الطيب بن محمد

« ظ »

٦٤٣، ٦٤٠ الظاهري، أبوتراب

٥٢٤ أبوظبيان الأسدي

« ع »

٣٣٩ عائكة بنت عبدالمطلب

٤٧٢، ٤٧١، ٣٦٠ أبوالعاص بن الربيع

٣٥٣ العاص بن المغيرة

٣٥٥، ٣٣٩ العاص بن هشام بن المغيرة

٢١٤، ١٩٠، ١٨٣، ١٧٢، ١٣١ العاص بن وائل السهمي

٢٣١

٥٢٨ ابن أبي عاصم

٤١٢، ٤١٠، ٤٠٨، ٤٠٠، ٣٦٠ عاصم بن ثابت

٤١٦

٠٣٧، ٠٢٥، ٠٢٢ عاصم بن عمر بن قتادة

٦٤٦، ٦٤٥، ٦٤٤، ٦٤٣ العاقب، عبدالمسيح (صاحب نجران)

٦١٩، ٣٨٤ أبو عامر (الفاسق)

٥٤٧ عامر الأشعري

عامر بن الأضبط الأشجعي ٥٥٤

عامر بن الأكوع ٥٠٢

عامر الجارود ٥٥٢

عامر بن ربيعة العدوي ٢١٣، ١٤٣

عامر بن شراحيل = الشعبي، عامر

أبو عامر صيفي بن النعمان ٠٦٥

عامر بن الطفيل ٦٤٩، ٦٤٨، ٦٤٧، ٤١٥، ٤١٤

عامر بن الظرب العدواني ٠٧٧، ٠٦٥

أبو عامر، عبد عمرو = عبد عمرو بن صيفي

عامر بن فهيرة ٢٧٩، ٢٧٧، ٢٦٩، ٢٦٨، ١٩٠

٤١٥، ٣٢١

عامر بن مالك = ملاعب الأسنة

ابن عائذ القرشي، محمد بن عائذ ١٢١، ٠٣١، ٠٢٣، ٠٢٢، ٠٢١

٣٣١

عائشة (أم المؤمنين) ١٤٨، ١٤٥، ٨٠، ٠٧٩، ٠٥٣

٢٣٨، ٢٢٨، ١٧٧، ١٥٢، ١٤٩

٢٦٧، ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٤٥

٤٣٦، ٤٣٤، ٣٩٤، ٣٢١، ٢٩٥

٤٧٥، ٤٤١، ٤٣٩، ٤٣٨، ٤٣٧

٦٩١، ٦٩٠، ٦٨٨، ٦٨٧، ٦٠٧

٦٩٨، ٦٩٧، ٦٩٤، ٦٩٣، ٦٩٢

٧٠٩، ٧٠٤، ٧٠٢، ٧٠٠، ٦٩٩

٧٢٧، ٧٢٢، ٧١٦، ٧١٤، ٧١٣

٧٣٥

عباد بن بشر الأشهلي ٦٠٥، ٤٢٨، ٤٢٧، ٣٧٤

عبادة بن الصامت ٢٥٢، ٢٥١، ٢٤٧، ٢٤٦، ٠٧٥
٤٣٣، ٣٧١، ٣٥٦

عبادة بن مالك الأنصاري ٥٤٤

عبادة بن الوليد ٣٦٩

العباس بن أمية ٥٩٧

العباس بن عبادة بن نضلة ٢٥٥، ٢٥٣، ٢٥٠

ابن عباس، عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ٠٧٥، ٠٦٨، ٠٥٤، ٠٢٣، ٠٢٠

٠١٥١، ٠١٤١، ٠١٠٨، ٠٠٨٠، ٠٠٧٨

٠٢٠٥، ٠١٨٥، ٠١٧٦، ٠١٧٤، ٠١٦٣

٠٢٦٥، ٠٢٥٩، ٠٢٣٦، ٠٢٢٠، ٠٢١٥

٠٣٢٥، ٠٣٢٠، ٠٣١١، ٠٣٠٤، ٠٣٠٢

٠٥٢١، ٠٥١٦، ٠٣٦٩، ٠٣٥٩، ٠٣٣١

٠٦٦٤، ٠٦٥٠، ٠٦٤٨، ٠٦٤٢، ٠٥٥٥

٧١٤

العباس بن عبدالمطلب ٣٣٩، ٢٦٣، ٢٤٩، ١٨٥، ٠٦٤

٣٦٠، ٣٥٩، ٣٥٦، ٣٥٢، ٣٤٩

٠٥٦٣، ٠٥٦٢، ٠٥٦١، ٠٥٣٢، ٣٦١

٧٠٩، ٦٨١، ٦٩٤، ٦٥٣، ٥٨٨

العباس بن مرداس ٥٩٧

العباس بن الوليد بن مزيد ٣١١

عبد بن جحش، أبوأحد ٢٦٣

عبد بن الجئلندي ٥٢٢

عبد بن حميد ١٧٩

عبد بن زمعة ٥٧٥، ٣٦١، ٠٧٩

ابن عبد البر القرطبي ٢٨٠، ٢٦٢، ١٣٥، ٠٨٠، ٠١٨
٧٠٦، ٥٦٣، ٥٦٢، ٣٩٣

عبد الحميد، محمد محيي الدين ٠٤١

عبد الدار بن قصي بن كلاب ٠٦٣

ابن عبد ربه الأندلسي ٠٤٥

عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي ٢٧٣

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ٦٩٣

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ٥٢٠، ٣٩٣

عبد الرحمن بن الزبير ٤٦١

عبد الرحمن بن زمعة ٠٧٩

أبو عبد الرحمن السلمي = السلمي، محمد بن الحسين

عبد الرحمن بن سمرة = ابن سمرة، عبد الرحمن

عبد الرحمن بن عبدالعزيز = الحنفي ..

عبد الرحمن بن أبي عقيل ٦٦١، ٦٦٠

عبد الرحمن بن عوف ٣٥٣، ٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠٣، ١٥٨

٥٧٩، ٤٧٣، ٤٦٣، ٣٦٤، ٣٥٤

٦٣٤، ٦٢٩، ٦١٧، ٦١٦، ٥٨١

٧٢٠، ٦٤٥

عبد الرحمن بن عينة بن حصن الفزاري ٤٩٧

عبد الرحمن بن كعب بن مالك ٢٤٧

عبد الرزاق الصنعاني = الصنعاني

عبد شمس ٠٦٣

- ٠٧٧ عبد الطانجة بن ثعلب بن وبرة
- ٣٨٤ عبد عمرو بن صيفي، أبو عامر
- عبد عوف بن أصرم = عبدالله بن أصرم
- ٠٢٥ عبدالغفار بن القاسم
- عبدالكريم بن دينار = ابن دينار ..
- ٣٦١ عبدالله بن أبي بن خلف
- ٢٧٧، ٢٦٧ عبدالله بن أرقط الديلي
- ٦٧٠ عبدالله بن أصرم
- عبدالله بن الأعور = الأعشى بن مازن
- ٥٦١، ٢٢٣، ٢٢٢ عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة
- ٤٧٧، ٤٧٦، ٤٠٩ عبدالله بن أنيس
- ٠٣٨ عبدالله بن بريدة الأسلمي
- ٢٦٨ عبدالله بن أبي بكر
- عبدالله بن أبي بكر بن حزم = ابن حزم، عبدالله ..
- ٣٨٦، ٣٨٤ عبدالله بن جبير
- ٤٠٣، ٣٩١، ٣٣٥، ٣٣٣، ٢٦٣ عبدالله بن جحش
- ٧٠١
- ٢١٢، ١٣١، ١٣٠ عبدالله بن جدعان
- عبدالله بن جعفر المخرمي = المخرمي، عبدالله
- عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي = ابن أبي حدرد
- عبدالله بن حذافة السهمي = ابن حذافة ..

- عبدالله بن حرام ٢٥١
- عبدالله بن خطل ٥٦٨، ٥٦٧
- عبدالله بن أبي ربيعة ٢٠٩، ٢٠٨
- عبدالله بن رواحة ٤٥٩، ٤٥١، ٣٥٨، ٣٥٠، ٢٥١
٥٤٥، ٥٤٤، ٥٤٣، ٥٣١، ٤٧٦
٥٤٧، ٥٤٦
- عبدالله بن الزبير ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣
- عبدالله بن زمعة ٦٩٠
- عبدالله بن زيد ٦٥٦، ٢٩٦
- عبدالله بن السائب ٣٦١
- عبدالله بن أبي سرح ٥٧٨، ٥٦٧
- عبدالله بن سلام ٧٢٨، ٣٨٢، ١٤٤
- عبدالله بن أبي بن سلول ٣٧٠، ٣٦٢، ٣٢٣، ٣٢٢، ٠٦٥
٤١٩، ٣٩٥، ٣٨٢، ٣٨١، ٣٧١
٤٣٩، ٤٣٧، ٤٣٦، ٤٣٥، ٤٣٤
٦٢٧، ٦٢٠، ٤٤٠
- عبدالله بن سهل ٥٠٦
- عبدالله بن شرحبيل الأصبحي ٦٤٥
- عبدالله بن صالح ٣١٠، ٣٠٨
- عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ٤٣٦
- عبدالله بن عبدالمطلب ١١١
- عبدالله بن عتيك ٤٩٩، ٤٦٦، ٤٦٥

عبدالله بن عمر بن الخطاب ٨٠، ٧٣

..... ٤٤٤ ٤٤٣، ٤٠٣، ٣٨٣، ٢٨٩

..... ٦٣٢، ٥٧٨، ٥٤٨، ٥٤٠، ٥٠٦

..... ٧١٧، ٦٣٦

عبدالله بن عمرو بن حرام ٣٨٣

عبدالله بن عمرو بن العاص ٧٢٨، ١٨٠، ١٢٣

عبدالله بن عرفة ٢٠٧

عبدالله القضاعي ٠٧٧

عبدالله بن قنيع ٥٩١

عبدالله بن قيس ٥٩١

عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري ٠٢٤، ٠٢٠

عبدالله بن محمد رضي الله عنه ١٣٦

عبدالله بن مرثد ٦٧٩

عبدالله بن مسعدة ٤٧٥، ٤٧٤

عبدالله بن مسعود ١٨٥، ١٨٣، ١٨١، ١٦٠، ٠٨٠

..... ٣٥٤، ٣٠٣، ٢١٥، ٢٠٦، ١٩٨

..... ٦٢٢، ٤٠١

عبدالله بن أم مكتوم ٣٣٨، ٢٦٠

عبدالله بن وهب الأسدي ٤٨٦

عبدالله بن ياسر ١٨٧

عبدالله بن يونس بن بكير = ابن بكير

عبدالمسيح (صاحب نجران) = العاقب

عبدالمطلب بن هاشم ١٠٨٠، ١٠٧٠، ١٠٦٠، ٧٧٠، ٦٤٠
٤٣٢٠، ٤٣١٠، ٢٢٤٠، ١١٢٠، ١١٠

عبدالمالك بن محمد الرقاشي = الرقاشي ..

عبدالمالك بن محمد بن عمر = ابن حزم، عبدالمالك

عبدالمالك بن مروان ٤٠٧٠، ٢٩٦٠، ٥٣٠

عبد مناف ٠٦٣

ابن عبدالميل بن عبدكلال ٢٢٨

عبدالميل بن عمرو بن عمير ٦٥٩٠، ٢٢٦٠

عبد، محمد ٢٠٤

أبو عيسى بن جبر ٣٧٤

عبد، نبيهة ٠٢٧

عبد بن الأبرص الأسدي ٠٧٧

عبد بن رفاعة ٢٥٢

عبد بن سليم بن حضار الأسلمي، أبو عامر ٥٩٣٠، ٥٩١٠، ٥٩٠

عبدالله بن جحش الأسدي ٧٠٥

عبد بن الحارث ٧٠١٠، ٣٥٠٠، ٣٣١٠، ٣٣٠

أبو عبيدة عامر بن الجراح ٤٧١٠، ٣٦٦٠، ٣٦٥٠، ٣٠٣٠، ١٥٨٠

٦٤٤٠، ٥٦٥٠، ٥٥٢٠، ٥٥١٠، ٤٧٩

أم عيسى ١٩٠

عتاب بن أسيد بن أبي العيص ٥٨٣

عتبان بن مالك ٣٠٣

عتبة بين ربيعة
٢٢٦، ١٨٣، ١٨٢، ١٧٩، ١٧٨
٣٤٥، ٣٤٤، ٢٦٣، ٢٥٧، ٢٢٧
٣٥٦، ٣٥٠

عتبة بن عبدالله ١١٤

عتبة بن غزوان بن جابر المازني ٣٣٤، ٣٣٠

عتبة بن أبي هلب ١٨١

عتيق بن عائذ المخزومي ١٣٤

عثمان بن أوفى بن عمرو ٣٦٢

عثمان بن الحويرث ٠٧٧

عثمان بن طلحة ٥٧١، ٥٣٧، ٣٨٦، ٢٦٠، ٠٦٤

عثمان بن أبي العاص ٦٦٠

عثمان بن عبدالله بن المغيرة ٣٣٣

عثمان بن عفان ١٩٨، ١٨٣، ١٥٨، ٠٧٧، ٠٥٥

٤٦٣، ٣٦٤، ٣٥٧، ٣٠٠، ٢٩٦

٦١٦، ٦١٥، ٥٩٣، ٤٨٧، ٤٨٦

٧٠٠، ٦٤٥، ٦٣٦، ٦٢٢

عثمان بن محمد ٣١٠

عثمان بن مظعون ١٩٨، ١٨٤، ١٨٣، ١٥٨، ٠٧٧

٢٠٧

المعجلي، عبدالله بن صالح ٠٢٨

عدّاس ٢٣٢، ٢٢٧

عدنان ١٠٥، ٠٥١

عدي بن حاتم الطائي ٦١١، ٦١٠، ٦٠٥، ٠٧٢

٣٤٢	عدي بن أبي الزغباء الجهني
١٧٧	عدي بن زيد العبادي
٠٣٧، ٠٣١	ابن عدي، عبدالله بن عدي
٣٨٣	عرابة بن أوس
٢٣٩، ٢٣٨، ١٢٠	عرجون، محمد الصادق
٢٠٢	العراقي، عبدالرحيم بن الحسين
١٤٤	العرباض بن سارية
٦٦٦	ابن العربي
١٨٠، ٠٢٤، ٠٢٣، ٠٢١، ٠٢٠ ٣٣١، ٢٣٣، ٢١٩، ٢١٧، ١٩٨ ٥٩٦، ٤٨٤، ٤٣٩، ٤٢١	عروة بن الزبير
٦٠٠، ٥٩٣، ٤٨٧	عروة بن مسعود الثقفي
١٦٢	العز بن عبدالسلام
٤٠٨، ٤٠٧، ٣٦٠	أبوعزة، عمرو بن عبدالله الجمحي
٠٨٨	عزير (عليه السلام)
٣٦٦، ٣٦١	أبوعزيز بن عمير
٦١٤، ١٩٣، ١١٨، ١٠٨، ٠٤٣ ٦٥٥	ابن عساكر، علي بن الحسن
٦٥٥	العسكري
	العصفري = خليفة العصفري
٣٦٧	عصماء بنت مروان

٤٣٩	عطاء الخراساني
٦٠٦، ١٢٣	عطاء بن يسار
١١٠، ٠٦٨	العطاردى، محمد بن عبد الجبار
٣٦٨	أبوعفك بن عمرو بن عوف
٤١٢	عقبة بن الحارث
٣٦١، ٣٦٠، ٢٢٤، ١٨٠، ١٧٨	عقبة بن أبي معيط
٦٥٦	عقبة بن نمر
٤٢٢	عقيل
٦١٦	أبوعقيل
ابن ابي عقيل = عبدالرحمن بن ابي عقيل	
٥٧٠، ٥٦٢، ٣٦١، ٣٥٩، ١٦٧	عقيل بن أبي طالب
٣٧٣	عقيلة بنت أبي الحقيق
٦١١، ٤٧٠، ٣٥٢	عكاشة بن محصن
١٨٤	أبوالعكر
٥٢١، ٣٤٧	عكرمة
٥٣٧، ٤٥٢، ٣٨٠، ٣٥٤، ٣٣٠	عكرمة بن أبي جهل
٥٧٥، ٥٦٨، ٥٦٧، ٥٦٦، ٥٦٥	
٥٩٧	العلاء بن جارية
٦٦١، ٦٠٥، ٥٢١	أبوالعلاء بن الحضرمي
٦٦٦	العلاء الماردني
٠٧٧	علاف بن شهاب التميمي

علبة بن زيد الحارثي ٦١٧، ٥٣٩، ٥٢٨

علي بن أبين طالب ١٦٢، ١٥٧، ١٢٢، ١٠٨، ٠٥٢

٢٧٢، ٢٧١، ٢٦٩، ٢٦٨، ١٦٣

٣٠٣، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩١، ٢٩٠

٣٥١، ٣٥٠، ٣٤٦، ٣٤٣، ٣٣٨

٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨١، ٣٦٠، ٣٥٧

٤٤٨، ٤٠٠، ٣٩٦، ٣٩٠، ٣٨٩

٥٠٢، ٤٩٠، ٤٨٨، ٤٧٣، ٤٥٢

٥٣٣، ٥٣٢، ٥١١، ٥٠٩، ٥٠٣

٥٧٠، ٥٦٨، ٥٥٩، ٥٥٨، ٥٤١

٦٢١، ٦١٠، ٦٠٥، ٥٩٣، ٥٧٧

٦٤٥، ٦٣٨، ٦٣٧، ٦٣٦، ٦٢٩

٦٧٩، ٦٧٨، ٦٧٧، ٦٧٥، ٦٦٧

٧١٧، ٦٩٤

علي بن مجاهد = الكابلي

علي بن محمد المدائني = المدائني

أبوعلقة، بشر = بشر بن علقة

علقة بن علالة ٥٩٧

علقة بن مجز ٦١٠

علقة بن يزيد بن سويد الأزدي ٦٥٥

ابن علي، إسماعيل بن إبراهيم الأسدي ٠٤٣

أبوعمار (من بني وائل) ٤٤٤

عمار بن ياسر ١٩٣، ١٨٧، ١٨٥، ١٦٠، ١٥٩

٦٠٩، ٤٤٨، ٤٢٧، ٢٩٥

عمارة بنت حمزة ٥٣٣

٦٦٥ عمارة بن زاذان الصيدلاني

٣٩٤، ٣٨٩، ٢٤٩ أم عمارة، نسيبة بنت كعب

١٧٥ عمارة بن الوليد بن المغيرة

٠٠٩٠، ٠٠٧٠، ٠٠٦١، ٠٠٥٦، ٠٠٥٥ عمر بن الخطاب

٠١٨٣، ٠١٧٥، ٠١٦٠، ٠١٥٨، ٠١٤١

٠٢١٤، ٠٢١٣، ٠٢١٢، ٠١٩٠، ٠١٨٩

٠٢٦٢، ٠٢٣٣، ٠٢١٧، ٠٢١٦، ٠٢١٥

٠٢٩٩، ٠٢٩٧، ٠٢٩٦، ٠٢٨٠، ٠٢٧٣

٠٣٤٩، ٠٣٤٧، ٠٣٤١، ٠٣١٠، ٠٣٠٣

٠٣٦٢، ٠٣٥٨، ٠٣٥٦، ٠٣٥٥، ٠٣٥٠

٠٣٨٤، ٠٣٧٢، ٠٣٦٨، ٠٣٦٤، ٠٣٦٣

٠٤٨٦، ٠٤٣٦، ٠٤٣٥، ٠٤٣٤، ٠٣٩٦

٠٥٠٦، ٠٤٩٣، ٠٤٩٢، ٠٤٩١، ٠٤٩٠

٠٥٥٨، ٠٥٥٣، ٠٥٢٧، ٠٥١٢، ٠٥٠٩

٠٥٧٢، ٠٥٦٧، ٠٥٦٣، ٠٥٦٢، ٠٥٦٠

٠٦٤٠، ٠٦٢٩، ٠٦١٦، ٠٥٩٩، ٠٥٩٣

٠٦٩٣، ٠٦٩٠، ٠٦٨٩، ٠٦٦٧، ٠٦٤٣

٧٠٣، ٧٠٠، ٦٩٤

٠٨٠، ٠٠٥٣ عمرو بن أبي ربيعة

٧٠٢ عمرو بن أبي سلمة عبدالله بن عبدالأسد

١٣٥ عمرو بن أسد

٣٩٢ عمرو بن أقيش (أصيرم بني عبد الأشهل)

٠٤٧٩، ٠٤٢٢، ٠٤١٧، ٠٤١٥، ٠٤١٣ عمرو بن أمية الضمري

٧٠٦، ٥٣٥، ٥٢٣، ٥١٥

٥٩٨ عمرو بن تغلب

٢٤٨، ٢٤٧ عمرو بن ثابت بن وقش

٤١٨	عمرو بن جحاش
٤٠٤، ٣٩١	عمرو بن الجموح
٦٦٧، ٦٦٥	عمرو بن حزم
٣٣٣	عمرو بن الحضرمي
٦٠٣، ٠٦٧	عمرو بن حمدة الدوسي
١٣٥	عمرو بن خويلد
٠٢٨	عمرو بن زرارة
٥٥٧	عمرو بن سالم الخزاعي
٣٥٩	عمرو بن أبي سفيان
٥٧٤، ٥٧٣	عمرو بن سلمة الجرمي
٠٥٢٢، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ١٨٩	عمرو بن العاص
٠٥٥٢، ٥٥١، ٥٣٧، ٥٣٦، ٥٣٥	
٦٦٢، ٦٠٥، ٥٧٢، ٥٥٣	
٥٥١	أم عمرو بن العاص
	عمرو بن عامر الخزاعي = عمرو بن لحي
٤٥٢	عمرو بن عبد ود
١٥٦، ٠٧٧	عمرو بن عبسة السلمي
٦٦٥	عمرو بن عون الواسطي
٤٣١، ٠٦٨، ٠٦٦	عمرو بن لحي الخزاعي
٣٢٨	عمرو بن معبد الجهني
٦٥٣	عمرو بن معد يكرب

٤٢٢، ٤١٨، ٣١٢، ٠٣٤٠، ٠٢٦	العمري، أكرم ضياء
٤٢٥	
٥٠٩	عمير (مولى أبي اللحم)
٠٧٧	عمير بن جندب الجهني
٣٤٩	عمير بن الحزام الأنصاري
٣٦٧	عمير بن عدي الخطمي
٧١٥	عمير بن مالك
٣٦٨	عمير بن وهب
	العنسي = الأسود العنسي
٦٦٦	عوامة، محمد
٠٢٣	أبوعوانة
٥٣٥	ابن أبي العوجاء
٣٢٩	عوسجة بن حرملة الجهني
٣٥٠، ٣٤٩	عوف بن الحارث
٥٤٧	عوف بن مالك
٣٢٥	العوفي
٥٢٤، ٢٦٢، ١٦١، ١٦٠	عياش بن أبي ربيعة
٠٩٣، ٠٩٢، ٠٩١، ٠٨٧، ٠٥٠	عيسى (عليه السلام)
٢٠٨، ١٤٥، ١١٢، ٠٩٨، ٠٩٤	
٢٦٤، ٢٥٢، ٢٤٠، ٢٣٥، ٢٠٩	
٧١٤، ٦٤٦، ٦٤٥، ٥١٥	
٥٩٨، ٥٩٧، ٥٣٠، ٥٢٩، ٤٤٥	عيننة بن حصن الفزاري
٦٠٦، ٦٠٥، ٦٠٠	

« غ »

- غالب بن عبدالله الليثي ٥٣٩، ٥٣٨، ٥٣٧، ٥٢٩، ٥٢٨
- أبوغدة، عبدالفتاح ٦٦٧
- غزية بنت جابر بن حكيم، أم شريك ١٨٤
- أبوغسان النهدي = النهدي، أبوغسان
- غندر ٠٤٣
- غورث بن الحارث ٧٢٥، ٤٢٧، ٤٢٦
- أبوالغيث، محمد ٠٩١
- أبوالغيظة ٢٢٤
- غيلان بن سلمة ٥٩٣

« ف »

- الفاسي، محمد بن أحمد ٠٤١
- فاطمة بنت ربيعة بن بدر ٤٧٦، ٤٧٥، ٤٧٤
- فاطمة الزهراء ٣٩٠، ١٨٢، ١٨١، ١٦٤، ١٣٦
- ٥٧٦، ٥٦٨، ٥٥٨، ٥٣٣، ٤٠٠
- ٧٢٦، ٧٢١، ٦٩٣، ٦٩١، ٦٤٥
- فاطمة بنت عبدالله بن عمرو ٤٠٠
- فاطمة بنت المنذر بن الزبير ٠٣٦
- الفاكه بن المغيرة ٥٧٩
- الفاكهي، محمد بن إسحاق ٠٥٣، ٠٤١

٦٦٩	الفجيع بن عبدالله
٣٧٧	فرات بن حيان
٢٧٣	فرات بن السائب
٥٦٧	فرتقي (قينة ابن خطل)
٠٤٥،٠٤٤	أبوالفرج الأصفهاني، علي بن الحسين
٢٦٣	الفرعة بنت سفيان بن حرب
٠٨٧	فرعون
٦٦٣	فروة بن عمرو الجذامي
٦٥٢	فروة بن مسيك المرادي
٥٣٠	فروة بن هبيرة القشيري
٦٤٢	فريدة العصري
٠٢٨،٠٢٣،٠٢٢،٠٢١	الفزاري، إبراهيم بن محمد أبوإسحاق
٣١٢،٠٤٤	الفسوي، يعقوب بن سفيان
	أبوفضالة = عبدالله بن كعب الأنصاري
٦٨٨	فضل = الفضل بن العباس بن عبدالمطلب
	الفضل بن الحباب = الجمحي، الفضل
٧٠٩،٥٣٢	أم الفضل العامرية
٦٩٤،٦٨٨	الفضل بن العباس بن عبدالمطلب
٦٣٣	فضيلة بن عبيد الأنصاري
	أبوفكيهة = أفلح، أبوفكيهة
١٠٩	الفلكي، محمود باشا

فليح (سيد كندة) = مليح ..

٠٢٧ فليح بن سليمان

٠٨٩ فوكاس

٧٣٥ الفيروزابادي

« ق »

١٣٦،١٠٨ القاسم بن محمد ﷺ

٠٣٦،٠٢٤،٠٢١ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

٦٨٣،٢٣٧،١٩٩ القاضي عياض

٠٩٧ قباذ (ملك إيران)

٠٥٣ القباذ، الحارث بن عبدالله

٠٧٤ ابن القبطية

٤٧٨،٤٢٦،٠٢٥،٠٢٤ قتادة بن دعامة البصري

٥٥٤،٥٥٣،٥٤١،٥٤٠،٤٨٢ أبوقتادة بن ربيعي الأنصاري

ابن قتادة، عاصم = عاصم بن عمر

٣٨٩ قتادة بن النعمان الأنصاري

٠٧١،٠٤٤،٠٣٠،٠٢٥ ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم

٦٩٤،٥٦٢ قثم بن العباس بن عبدالمطلب

٥٧٧،٥٧٦،١٩١ أبوقحافة

٣٦٥ قدامة بن مظهر

أم قرفة الفزارية = فاطمة بنت ربيعة بن بدر

٦٦٤ قررة بن هبيرة

٤٠٣،٣٩٣،٣٦٢ قرمان

٦٧٠،١٤٣،٠٧٦،٠٧٥،٠٧٢ قس بن ساعدة الايادي

قسب بن منبه = ثقيف بن منبه

١٧٤،٠٦٣،٠٦٢،٠٥٢ قصي بن كلاب

القطان = يحيى القطان

٦٠٧ قطبة بن عامر

٥٤٤ قطبة بن قتادة العذري

٠٢٧ القعني

٠٣٠ القفطي

أبوقلابة = الرقاشي، عبد الملك

٢٠٠،٠٢٠ قلعه جي، عبد المعطي

١٢٤ قلعه جي، محمد رواس

قوروش الكبير = كوروش الأخميني

٠٥١ قيذار بن إسماعيل عليه السلام

أبوقيس = صرة بن أبي أنس

٢٤٨ أبوقيس بن الأسلت

٥٥٣ قيس بن رفاعة

٣٦١ قيس بن السائب

٦٦٥،٥٦٤ قيس بن سعد بن عبادة

قيس بن عاصم ٦٠٦، ٦٠٥

قيس بن عمرو بن مالك الهمداني الأرحبي ٦٦٧

قيس بن مخزومة بن المطلب ٠٣٦

قيس بن المسحر اليعمري ٤٧٥، ٤٧٤

قيس بن نسيئة ٦٦٩

قيس بن النعمان بن مسعدة ٤٧٥

ابن القيسري، محمد بن طاهر المقدسي ٠٤٣، ٠٢٥

قيصر ٥١٨، ٥١٧، ٤٨٧، ٠٩٢، ٠٧٧

٥١٩

قيلة بنت مخزومة التميمية ٦٧٠

ابن قيم الجوزية ١٥٣، ١٥٢، ١٢٠، ٠٥٧، ٠٢٦

٠٥٧٥، ٥٣٣، ٤٠٤، ٤٠٢، ٢٠٧

٧٣٥، ٦٨٠، ٦٣٧، ٦٣٥

« ل »

الكابلي، علي بن مجاهد ٠٢٨

أبو كبشة ٠٧٠

٠٤٥، ٠٤٤، ٠٢٦، ٠٢٤، ٠١٦

٠٧٦، ٠٦٨، ٠٥٤، ٠٥٢، ٠٥١

١٢٢، ١٢١، ١١٦، ١١٤، ١٠٩

١٨٢، ١٦٧، ١٤٩، ١٣٥، ١٢٦

٢٦١، ٢٣٦، ١٩٩، ١٩٣، ١٨٥

٦٠٩، ٥٤٨، ٣٤٦، ٢٩٥، ٢٧٣

٦٦٥، ٦٣٩، ٦١٥

كثير بن عبدالله ٣١٢، ٣١١، ٣٠٩، ٣٠٨

٣١٨	كروم بن كعب
٤٧٧، ٣٣١	كرز بن جابر الفهري
٦٤٤	كرز بن علقمة
٠٢٦	كريم، فون
٠٢٥	الكسائي
٤٨٧، ٢٨٠، ٢٤٣، ١١٢، ٠٦٠	كسرى
٥٢٢، ٥١٧، ٥١٦، ٥١٤	
٣١٩	كعب الأحبار
٤٥٠، ٠٦٥	كعب بن أسد القرظي
٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣١٤، ٣١٣	كعب بن الأشرف
٤٦٥، ٤١٨	
٦٠٥، ٦٠٤، ٦٠٣، ٥٦٨	كعب بن زهير
٤١٥	كعب بن زيد بن النجار
٤٩٤	كعب بن عجرة
٠٧٧، ٠٧٢	كعب بن لؤي بن غالب
٦٠٥، ٣٨٨، ٢٥٦، ٢٥٣، ٢٤٩	كعب بن مالك
٦٢٦، ٦٢٥، ٦٢٤، ٦٢٣، ٦٢٠	
٦٣٨، ٦٣٧، ٦٢٧	
١٠٥	كلاب بن مرة
٣٩٣، ٣٩٢	الكلبي
٦٢٧، ٥٦١	كلثوم بن حصين الغفاري
١٩٨	أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو

٤٩٣	أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط
٥٦٨، ١٣٦	أم كلثوم بنت محمد ﷺ
٢٨٦	كلثوم بن الهدم
٥٨٥	كلدة بن الحنبل
٥٠٧	كنانة
٥١١، ٤٩٩، ٤٤٥، ٤٤٤، ٤٢٠	كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق
٧٠٨، ٥١٢	
٣٦٢	كنانة بن سوريا
٠٨٦، ٠٨٥	كنعان بن حام
٠٦٠	كورش الأخيني
١٠١، ١٠٠	كونفوشيوس

« ل »

١٠٠	لاتسو
	لاوتي = لاتسو
٦٣٢، ٦٣١، ٤٦٠، ٣٣٨	أبولابة بن عبد المنذر
٦٦٨، ١٨٤، ١٨٣، ٠٧٧، ٠٧٦	لبيد بن ربيعة العامري
٦٠٥	ابن اللتبية الأزدي
٦٥٨	لقيط بن عامر بن المتفق
٢٢٤، ٢١٩، ٢١٨، ١٦٧، ١٦٣	أبولهب
٣٣٩، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤٢	
٦٩٢	ابن لهيعة

لوبون، غوستاف ٠٩٤

لوتس = لاتسو

لوط ١٩٨،٠٨٦

الليث ٤٢٣،٣٠٩

ليلي (زوجة عامر بن ربيعة) ٢١٣

« م »

مأبور ٥٢٠

ابن ماجه ٣١٤،٠٣٩،٠٣٢،٠١٩،٠١٧

٦٥٣،٦٠٩

المارديني = العلاء المارديني

مارية القبطية ٧١٠،٧٠٩،٥٢٠،١٣٦

مالك بن أنس ٠٣٧،٠٣٦،٠٢٦،٠٢٥،٠٢٤

٠٤٤٣،٤٢٣،٢٣٨،٢٠١،٥٣

٦٦٦،٦٦٥،٥٩٨،٥٣٣،٥٠٠

مالك بن أيفع ٦٦٧

مالك بن حذيفة بن بدر ٤٧٤

مالك بن حيدة القشيري ٦٦٤

مالك بن دينار ٧١٣

مالك بن رافلة ٥٤٤

مالك بن الصيف ٣١٨

مالك بن عبادة ٦٥٦

٦٠٠،٥٩٧،٥٩٣،٥٨٢،٥٨١	مالك بن عوف النصري
٦٥٦	مالك بن مرة الرهاوي
٦٦٧	مالك بن نمط
٦٠٥	مالك بن نويرة
٠٩٦	ماني
٠٥٢	الماوردي
٠٤٥	مبارك، زكي
١٩٥	المباركفوري، صفي الرحمن
٠٤٤	المبرد، محمد بن يزيد
٢٤٣	المثنى بن حارثة
٠٢٤	مجالد بن سعيد
٤٨٢، ١٨٨	مجاهد
	مجاهد بن موسى = الختلي
٣٤٠، ٣٢٧	مجلي بن عمرو الجهني
٢٤٣	محارب بن حصيفة
٦٣٣	مخشي بن حير الأشجعي
٣٣٠	مخشي بن عمرو الضمري
٥٥٤	معلم بن جثامة بن قيس
٠٢٧	محمد بن سلمة
٠٢٧	محمد بن صالح بن دينار
١٣٤	محمد بن صيفي بن أمية

محمد بن عبدالله بن بطيت = ابن بطيت

محمد بن علي الباقر = الباقر

محمد بن مسلمة ٤٧٠، ٤٦٧، ٤٣٠، ٣٧٤، ٣٧١

٣٦٦، ٥٠٧

محمد بن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ٢٥٠

محمود بن دحية ٣٠٨

محمود بن مسلمة الأنصاري ٥٠٧، ٥٠١

محمية بن جزء ٥٤١

المخرمي، أحمد بن ملاعب ٣١٠

المخرمي، عبدالله بن جعفر ١١٣، ٢٨

مخريق ٣٩٢

المدائني، علي بن محمد ٣١٠

مدعم (مولى رسول الله ﷺ) ٥١٠

المدني، عبدالملك = ابن حزم، عبدالملك بن محمد

ابن المديني، علي بن عبدالله ٣٠٠، ٢٩٠

المديني، محمد بن عمر أبو موسى ٦٥٥، ٥١٥

مذكور (من بني عذرة) ٤٣٠

مراة بن الربيع العمري ٦٢٥، ٦٢٤

مربع بن قيظي ٤٠٣، ٣٨٤، ٣٦٢

مرثد بن أبي مرثد ٣٣٨

مرحب (اليهودي) ٥٠٢، ٥٠١

٥٣٩، ٥٢٩، ٥٢٨	مرداس بن نبيك
٣١٥	ابن مردويه
٠٩٧	مريقيون
٥٢٠	مري (حاجب الحارث الفسائي)
٥٧٠، ٥١٥، ٠٩٢	مريم (عليها السلام)
٠٢٧	ابن أبي مريم، سعيد بن الحكم
٠٢٥	ابن أبي مريم، نوح بن يزيد
٠٩٧	مزدك
٧٣٥	المستغفري
٤٢٧	مسدد
٥٢٤	مسروح
٤٧٤	مسعدة بن حكمة بن مالك
٤٤٥	مسعر بن رخيلة
٤٣٩، ٤٣٨، ٤٣٧	مسطح بن أثانة
٢٨٣، ٢٨٢	مسعود (الراعي)
٧٢٤	أبومسعود (الضحاوي)
٦٦٩	مسعود بن رخيلة
٦٦٣	مسعود بن سعد
٢٢٦	مسعود بن عمرو بن عمير
٠٤٣، ٠٣٠، ٠٢٥	المسعودي، علي بن الحسين

مسلم بن الحجاج القشيري

٠٣١٠٠١٩٠٠١٨٠٠١٧٠٠١٣
٠٠٥٣٠٠٤٤٠٠٣٦٠٠٣٤٠٠٣٢
٠١١٨٠١١٦٠١٠٧٠٠٧٩٠٠٦٨
٠١٧٦٠١٦٤٠١٦٣٠١٤٩٠١٢٤
٠٢١١٠٢٠١٠١٩٠٠١٨١٠١٨٠
٠٢٣٤٠٢٢٨٠٢٢٣٠٢٢٢٠٢٢١
٠٣١٩٠٣١٣٠٢٨٨٠٢٥٢٠٢٤٦
٠٣٤٩٠٣٤٧٠٣٤٦٠٣٢٢٠٣٢٠
٠٤٠٠٠٣٩٤٠٣٥٥٠٣٥٣٠٣٥١
٠٤٥٤٠٤٣٣٠٤٢٨٠٤٢٦٠٤١٤
٠٥٠٤٠٤٨٠٠٤٧٦٠٤٦٠٠٤٥٩
٠٥٦١٠٥٤٧٠٥٤٠٠٥٢٨٠٥١٨
٠٦٠٩٠٦٠٨٠٥٩٧٠٥٩٦٠٥٧٩
٠٦٨٢٠٦٥٢٠٦٤١٠٦٢٤٠٦١٣
٧١٣٠٦٨٣

المسيح = عيسى (عليه السلام)

مسيلمة الكذاب

٠٦٤٢٠٦٣٧٠٥٢٣٠٥٢٢٠١٩٣
٦٤٣

مصطفى، شاكِر

٠٣٤٠٠٣٣٠٠٣٢

مصعب الزبيري = الزبيري، مصعب

٠٣٦١٠٢٦٠٠٢٤٨٠٢٤٧٠١٩٨
٣٨٦٠٣٨١٠٣٦٦

مصعب بن عمير

أم مصعب بن عمير

١٨٣

المصيبي، سعيد بن المغيرة

٠٣٠٠٠٢٢٠٠٢١

مطرّف (ابن الكاهن الباهلي)

٦٦٩

مطرّف بن عبد الله

٦٦٨٠٦٤٨

مطرّف بن نهشل

٦٥٤

٣٦٠،٢٣٠،٢٢٩،٢١٨،٢١٠	المطعم بن عدي
٠٦٤،٠٦٣	المطلب (عم المطلب بن هاشم)
٣٦١،٣٦٠	المطلب بن حنطب المخزومي
٠٦٥٦،٦٣٤،٦٢٢،٦١٣،٣٠٥	معاذ بن جبل
٦٧٧،٦٧٦	
٣٥٣	معاذ بن الحارث
	معاذ بن عفراء = معاذ بن الحارث
٣٥٤،٣٥٣	معاذ بن عمرو بن الجموح
٦٦٨	معاوية بن ثور
٦٦٤	معاوية بن حيدة القشيري
٠٢٩٥،٢٣٩،٢٣٨،٠٢٣،٠٢٠	معاوية بن أبي سفيان
٦٥٧،٦٠٥،٥٩٧،٣٠٥	
٤٠٧	معاوية بن المغيرة
٧٣٤،٢٨٠	أبومعبد
٧٣٤،٢٨٠	أم معبد الخزاعية
٤٠٧	معبد بن أبي معبد الخزاعي
٢٠٠،٠٢٦	معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي
٥٢٤	معديكرب بن أبرهة
٠٦٠	معديكرب بن سيف بن ذي يزن
	أبومعشر السندي = السندي...
٦٢٣	معقل

٤٢١	معمر
٠٢٧، ٠٢٢، ٠٢١	معمر بن راشد البصري
٠٤٣	معمر بن المثنى، أبو عبيدة
٣٥٤، ٣٥٠	معوذ بن الحارث
٤٠، ٣٦، ٠٣٠، ٠٢٩، ٠٢٨	ابن معين، يحيى
٦٦٠، ٦٤٦، ٤٨٧	المغيرة بن شعبة
٢٤٣	مفروق بن عمرو
٣٤١، ٣٣١، ٣٣٠، ١٨٥، ١٦٠	المقداد بن الأسود، المقداد بن عمرو الكندي
٥٧٧، ٥٥٩، ٥٥٥، ٥٣٩	
	المقداد بن عمرو = المقداد بن الأسود
	المقدسي، محمد بن طاهر = ابن القيسراني
٧٣٥	ابن المقرئ
٣٩٨، ٣١٥	المقرئزي
٥٢٠، ١٤٥	المقوقس
٥٦٧، ٤٣٣	مقيس بن صبابه
٠٤٥	مكتبي، نذير محمد
٤٨٩، ٤٨٨	مكرز بن حفص
٦٤٩، ٤١٥، ٤١٤	ملاعب الأسنه، عامر بن مالك
٠٧٧	الملتس بن أمية الكتاني
٠٤١	ملحس، رشدي الصالح
٢٢٨	ملك الجبال
٢٤٢	مليح (سيد كتندة)

ابن المنتفق = لقيط بن عامر

ابن منده ٦٤٢، ٥١٥

المنذر بن ساوى العبدي ٥٢٢، ٥٢١

المنذر بن عقبة بن عامر ٤١٥

المنذر بن عمرو ٢٥٤، ٢٥١

ابن المنذر، محمد بن إبراهيم ٦٨٣

منصور، زياد ٠٤٠

المنصور العباسي، عبدالله بن محمد ٣١١

منصور بن عكرمة ٢١٨

أم منيع = أسماء بنت عمرو

المهاجر بن أبي أمية ٦٥٧، ٦٠٥

مؤاب ٠٨٦

موسى (عليه السلام) ١٤٨، ١٤٦، ١٤٥، ٠٨٨، ٠٧٤

..... ٣١٩، ٢٤١، ٢٣٥، ١٩٦، ١٥٣

..... ٦٩٣، ٦٤٦، ٦٢١، ٥٨٥، ٣٤١

أبوموسى الأشعري ٤٢٤، ٢٠٧، ١٢٢، ١٢١، ١١٩

..... ٦١٣، ٦٠٢، ٥٩١، ٥٩٠، ٤٢٥

..... ٦٧٦، ٦٤٦، ٦١٧

موسى بن عقبة ١٤٩، ٠٢٦، ٠٢٣، ٠٢٢، ٠٢١

..... ٢٣٣، ٢٢٧، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٧

..... ٤٤٣، ٤١٨، ٣٩٨، ٢٦٧، ٢٦٠

..... ٥٦٦، ٥٦٤، ٥٥٨، ٤٥٣، ٤٤٦

..... ٦٠٤، ٥٩٦

موسى بن هارون ٠٣٣

المؤملي، عمر بن أبي بكر	١٣٥
أبوموهبة (مولى رسول الله ﷺ)	٦٨٧
مبثرا	٠٩٦، ٠٩٥
ميسرة (غلام خديجة)	١٣٣، ١٣٢
ميسرة بن مسروق	٦٦٨
ميكائيل	٣٩٤
ميمونة بنت الحارث الهلالية	٠٧٠١، ٦٩٧، ٦٨٧، ٥٣٣، ٥٣٢
	٧٠٩

« ن »

نابت بن إسماعيل عليه السلام	٠٥١
النابغة الذبياني	٠٧٢
ناجية بن جندب	٤٩٢
نافع	٤٢٣، ٠٣٦
أبونائلة = يلكان بن سلامة	
نبتل بن الحارث	٣٦٢
ابن النجار، محمد بن محمود	٠٤١
النجاشي	٠٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ١٩٤، ١٤٤ ٠٥١٤، ٤٨٧، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠ ٠٥٣٦، ٥٣٥، ٥١٩، ٥١٦، ٥١٥ ٧٠٦، ٦٤٧
النجاشي (الشاعر)	٣٩٣
النحام بن زيد	٣١٨

ابن النديم ٠٣٤٠٠٣٣٠٠٢٩

النسائي ٠٣٢٠٠٣١٠٠٣٠٠٠٢٨٠٠١٧

٦٦٥٠٣١٤٠٢٤٦٠٠٥٧٠٠٣٩

نسطاس (مولى أمية بن خلف) ٤١٣٠٣٦١

نسطور الراهب ١٣٧٠١٣٣٠١٣٢

نسيبة بنت كعب = أم عمارة

النضر بن الحارث ٣٦٠٠٢١٨٠١٧٨٠١٧٣

النضر بن كنانة ٦٥٣

النعمان (صاحب ذي رعين) ٦٥٦

نعمان احنا ٣١٨

نعمان بن أوفى ٣٦٢٠٣١٨

النعمان بن بشير ٣٨٣

النعمان بن شريك ٢٤٣

النعمان بن مقرن ٦٤٠

النعمان بن المنذر ٠٦١

أبونعيم الأصفهاني ١١٧٠١١٦٠١١٤٠١٠٨٠٠١٩

٦٥٥٠١٧٢٠١٤٤

نعيم الداري ٦٦٣

نعيم بن عبد كلال ٦٥٦٠٥٢٤

نعيم بن عبدالله النحام العدوي ٦٠٥

نعيم بن مسعود ٤٥٣٠٣٣٣

نفثة بن فروة الدثلي ٥٢٤

١٣٣ نفيسة بنت منية

٥٩٥ نفيح بن مسروح الثقفي، أبوبكرة

ابن نفيل، عبدالله بن محمد = الحراني..

٤٣٤ نميلة بن عبدالله

٠٢٨ النهدي، أبوغسان

١٩٠ النهدي

١٩٠ ابنة النهدي

٦٦٩ نهشل بن مالك الوائلي

٦٥٨ نهيك بن عاصم

٥٣٩، ٥٢٨ نهيك بن مرداس

١٤٥، ٠٨٦، ٠٨٥، ٠٥٤ نوح (عليه السلام)

نوح بن أبي مريم = ابن أبي مريم، نوح

٥٨٣، ٣٦١ نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب

٣٣٣ نوفل بن عبدالله بن المغيرة

٠٣٧٢، ٣٠٤، ٢٣٦، ٢٠١، ٠١٣ النووي، يحيى بن شرف

٠٦٨٢، ٥٧٥، ٤٦٤، ٤٦٣، ٤٤٧

٦٩٦

النيسابوري، أبوسعيد = أبوسعيد النيسابوري

« ه »

٠٤٩، ٠٤٨، ٠٤٧ هاجر (أم إسماعيل عليه السلام)

٦٤٦، ٦٢١، ٢٣٥ هارون (عليه السلام)

٥٣٠٠٤٥ هارون الرشيد

٣١٦٠٣١٥ هارون، رشيد محمد إسحاق

٠٦٣ هاشم بن عبد مناف

أبوهالة = هند بن النباش

٥٧٥ أم هانيء

٢٤٣ هانيء بن قبيصة

٥٦٨ هبار بن الأسود

٤٥٢ هبيرة بن أبي وهب

١٦١٠١٤٥٠١٤٤٠٠٨٩٠٠٨٠ هرقل

٥١٩٠٥١٨٠٥١٧٠٤٧٣٠٤٠٥

٦٣٠٠٦١٤٠٥٤٤٠٥٣٦

١٨٤٠١٨٠٠١٦٤٠١٢٤٠٠٨٠ أبوهريرة، عبدالرحمن بن صخر الدوسي

٣٦٣٠٣٢٠٠٣١٩٠٢٢٣٠٢٢٠

٦٤٣٠٦١٣٠٦٠٧٠٥٠٨٠٤٢٤

٧٢٨٠٧٢٣٠٧١٨٠٦٧٥

٤٣٣ هشام بن صبابه

٥٨٠٠٢٦٢٠١٦٠ هشام بن العاص بن وائل السهمي

٠٣٥٠٠٣٠٠٠٢٨٠٠٢٧٠٠٢٢ ابن هشام، عبدالملك

١٥٩٠١٢٩٠١١٣٠٠٤٤٠٠٣٨

٣٩٣٠٣٦٦٠٣١٢٠٢١٨٠١٩٨

٥٤٥٠٥١٤٠٤٩٦٠٤٧٤٠٤٢٢

٦٤٤٠٥٩٧٠٥٩٦٠٥٦١

٠٣٢٠٠٢٣٠٠٢٢٠٠٢١ هشام بن عمار

٢١٨ هشام بن عمرو بن الحارث

٠٣٦	هشام بن عروة بن الزبير
٣٣٣	هشام بن المغيرة
١٦٠	هشام بن الوليد
٦٢٥، ٦٢٤	هلال بن أمية الواقفي
٢١٤	همام
٥٧٦، ٥٧٢، ٥٦٨، ٣٩٨	هند بنت عتبة
١٣٤	هند بنت عتيق المخزومي
٧٠١	هند بنت عوف الحميرية
٧٢٩، ١٣٤	هند بن النباش التميمي، أبوهالة
١٣٤	هند بن هند بن النباش التميمي
٠٥٤	هود (عليه السلام)
٦٤٢	هود بن عبدالله بن سعيد المصري
٥٢٠	هودة بن علي الحنفي
٤٤٤	هودة بن قيس
٠٣٤	هورفتش (المستشرق)
١٤٢	ابن الهيان
٢٥١، ٢٥٠	أبواهثيم بن التيهان
	الهثيم بن عدي = الثعلبي
٢٦٣، ١٣٥، ١١٣	الهثيمي، علي بن أبي بكر

« و »

- وابصة بن معبد ٦٦٣
- وائلة بن الأسقع الليثي ٦٦٩
- الواحدى، علي بن أحد ٤٣٩، ٤٣٨
- الوازع بن زارع ٦٤١
- واقد بن عبدالله التميمي ٣٣٣
- الواقدي، محمد بن عمر ٠٢٥، ٠٢٤، ٠٢٣، ٠٢٢، ٠٢١
 ٠٣٥، ٠٣٠، ٠٢٨، ٠٢٧، ٠٢٦
 ٠١٠٨، ٠٤٣، ٠٤٠، ٠٣٩، ٠٣٨
 ٣٦٩، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٠٢، ١٣٥
 ٣٩٢، ٣٧٧، ٣٧٦، ٣٧٥، ٣٧٠
 ٤٢٩، ٤٢٤، ٤٢٢، ٣٩٨، ٣٩٣
 ٤٥٣، ٤٤٧، ٤٤٣، ٤٣٩، ٤٣٣
 ٤٨٢، ٤٨٠، ٤٧٥، ٤٦٦، ٤٦٣
 ٥١٥، ٥١٣، ٥٠٤، ٥٠٠، ٤٨٤
 ٥٢٩، ٥٢٨، ٥٢١، ٥١٩، ٥١٧
 ٥٥٥، ٥٤٥، ٥٤٣، ٥٣٩، ٥٣٦
 ٦٠٧، ٦٠٦، ٥٦٨، ٥٦٦، ٥٦٤
 ٦٢٤، ٦٢٣، ٦١٤، ٦١٠، ٦٠٨
 ٦٤٠، ٦٣٩، ٦٣٤، ٦٣٣، ٦٢٧
 ٧٠٥، ٦٥٤، ٦٤٣
- وائل بن حجر ٦٥٨، ٦٥٧
- وج بن عبدالحى ٠٦٥
- وحشي بن حرب ٥٦٧، ٣٩٨، ٣٨٦
- أبووداعة، الحارث بن صبرة ٣٦١، ٣٥٩

الوراق، أحمد بن محمد ٠٣١، ٠٢٢، ٠٢١

ورقة بن نوفل ٠١٤٨، ٠١٤٦، ٠١٤٢، ٠١٣٣، ٠٠٧٤

٠١٦٥، ٠١٥٩، ٠١٥٠، ٠١٤٩

وستفيلد ٠٤١

وصي الله ٢١٤

وكيع بن حسان ٠٧١

وكيع بن سلمة بن زهير الإيادي ٠٧٧

الوكيل، عبدالرحمن ١٢١

الوليد بن عتبة ٣٥٠

الوليد بن مسلم الأموي = الحافظ الأموي

الوليد بن المغيرة ٠١٨٣، ٠١٧٩، ٠١٧٢، ٠١٦٩، ٠١٦٨

٢٠٦، ٠١٨٤

الوليد بن الوليد ٥٣٦، ٢٦٢، ٠١٦١، ٠١٦٠

وهب بن جرير الأزدي ٠٤٢، ٠٢٩

ابن بنت وهب، عبدالمنعم ٠٢١

وهب بن عمير بن وهب ٣٦٨، ٣٦١

وهب بن منبه ٠٥٢، ٠٢٨، ٠٢٤، ٠٢١

« ي »

ياسر (والدعمار) ١٨٧

يافث بن نوح ٠٨٥

٢٠٤	ياقوت الحموي
٤٢٠	يامين بن عمر بن كعب
٣٣١، ٠٢٦، ٠٢١	يتيم عروة، محمد بن عبدالرحمن الأسدي، أبو الأسود
٥٢٤	يحنة بن روبة
٢٣٥	يحيى (عليه السلام)
٣١٢، ٠٣٧، ٠٢٥	يحيى بن سعيد الأنصاري
٢٧٣	يحيى بن أبي طالب
٣٠٩	يحيى بن عبدالله
١٠٠، ٠٩٨	يزدجرد
٠٢٥، ٠٢١	يزيد بن رومان الأسدي، أبوروح
٠٤٣	يزيد بن زريع
٥٩٣	يزيد بن زمعة بن الأسود
٠٣٩	يزيد بن هارون
٥٢٩، ٣٧٣	يسار
٠٣٦	يسار المظلي
٣٦٦	أبو اليسر
٦٠٥	يسر بن سفيان الكعبي
٣٣٢	يسر بن عمرو الخزاعي
٤٧٧، ٤٧٦	اليسير بن رزام
٠٨٧، ٠٨٥، ٠٥٦	يعقوب (عليه السلام)

٠٢٥	يعقوب بن عتبة بن المغيرة
٧٣٤	اليعقوبي، إبراهيم
٦١٤، ٣٩٣، ٠٤٣، ٠٢٤	اليعقوبي، أحمد بن جعفر
٦٢٨، ١٨١، ١١٣، ٠٥٤، ٠٣١	أبو يعلى
٦٩٢	
١٥٩	اليعمري
٣٧٤	يلكان بن سلامة بن وقش، أبونائلة
٤٠٤، ٣٩١، ٣٨٧	اليان (والد حذيفة)
٦٩٠، ٢٣٥، ١٦١، ٠٩٣	يوسف (عليه السلام)
٠٢٨	يوسف بن حماد
٢١٩	يونس
	يونس بن أبي إسحاق = السبيعي، يونس
٦٤٥، ٣١٠، ٠٢٩، ٠٢٧	يونس بن بكير
٠٣٠	ابن يونس، أبوسعد
	يونس بن يزيد = الأيلي
٠٩٥	يوبا

فهرس الأماكن

٦٠٣	أبرق العراف
٥٦١،٤٣١،٣٣١،٣٣٠	الأبواء
١٣٨	أجباد
	الأخشبان = جبال مكة
٣٧١	أذرعاع
٢٧٠	الأردن
٥٠٦	أريحاء
٥٢٠	الإسكندرية
٠٢٧	إسلامبول (إستانبول)
٥٥٥،٥٥٤	إضم
٠٤٦٩	أمج
٠٦١،٠٣٦	الأنبار
٠٨٩	أنطاكية
٦٠١،٥٩٣،٥٩١،٥٩٠	أوطاس
٠٩٩،٠٩٨،٠٩٧،٠٩٦،٠٩٥	إيران
٦٢٩،٥٢٤	أيلة
	إيلياء = القدس
٠٨٤	بابل
١١٨،١١٦،١١٤،١١٣	بادية بني سعد

بحران ٣٧٦

بحرة الوبرة ٣٤٢

البحرين ٠٥٢١٠٥١٦٠٣٠١٠٠٧١٠٠٧٠

٦٤١٠٦٠٥

بحيرة ساوة ١١٣

بلد ٣٤٢٠٣٤٠٠٣٣٩٠٣٣٢٠١٨١

٣٥٧٠٣٤٥٠٣٤٣

برك الغماد ٣٤١٠٢٣٠

برلين ٠٣٢٠٠٢٦

بصرى ٥٤٣٠٥٢٣٠١٣٢٠١١٢

بغداد ٠٣٨

البقيع ٦٨٧ ٠٠٨٠

بلاد العرب = الجزيرة العربية

بلاد فارس ٥١٧٠٤٤٩

بلدح ٤٨٤

البلقاء ٦٨٥٠٥٤٤٠٠٦٦

بواط ٣٣١

البيت الحرام ٠٠٥٢٠٠٥١٠٠٥٠٠٠٤٩٠٠٤٧

٠٠٦٠٠٠٥٦٠٠٥٥٠٠٥٤٠٠٥٣

٠٠٦٩٠٠٦٨٠٠٦٦٠٠٦٤٠٠٦٢

٠١٣٨٠١٣١٠١٢٥٠١١١٠٠٧٣

٠١٧١٠١٤٥٠١٤١٠١٤٠٠١٣٩

٠٢١٣٠١٩٠٠١٨١٠١٨٠٠١٧٧

٢٥٦، ٢٤٠، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٥

٣٣٦، ٣٢٤، ٢٧٢، ٢٧١، ٢٦٩

٤٨٦، ٤٨٥، ٤٨٣، ٤٨١، ٤١٤

٥٦٤، ٥٣٢، ٤٩٠، ٤٨٩، ٤٨٨

٥٧١، ٥٧٠، ٥٦٩، ٥٦٧، ٥٦٦

٦٨٢، ٦٧٥، ٥٨٩، ٥٧٣

٠٦٩ بيت رضاء

٠٦٩ بيت رقام

بيت المقدس = القدس

بئر زمزم = زمزم

٦٤٩، ٤١٥، ٤١٤ بئر معونة

٠٤١ بيروت

٦٠٧ بيشة

٦٠٧، ٠٦٩ تبالة

٠٦٢٣، ٦٢١، ٦٢٠، ٦١٤، ٦١٣ تبوك

٠٦٣٥، ٦٣٤، ٦٣٢، ٦٣٠، ٦٢٧

٦٦٩، ٦٦٨، ٦٣٩، ٦٣٨، ٦٣٧

٦٠٧، ٥٢٧ تربة

٣٨٤ تل عينين

٢٦٢ التناضب

٤١٢ التنعيم

٦٧١، ٤٨٥، ٤٤٥ تهامة

٥٠٩، ٥٠٦، ٤٩٥، ٠٧١ تيباء

٤٨٤	ثمد
٤٨٣	ثنية المزار
٦٣١	ثنية الوداع
٢٥٣	الجباب
٥٢٩	جبار
٣٣١	جبال جهينة
٢٤٨٠٠٢٢٨٠٢٢٧٠١٧٤	جبال مكة
١٣١٠٠٥٠	جبل أبي قيس
٠٦٩	جبل أجا
٥٧٩٠٣٨٤	جبل أحد
٦٧١	جبل تهامة
٢٧٤	جبل ثور
٦٢٧	جبل ذباب
٦٢٦٠٤٤٩	جبل سلع
٠٦٩	جبل سلمى
٣٢١	جبل شامة
	جبل الصفا = الصفا
٣٢١	جبل طفيل
٠٦٩	جبل طيء
٤٤٦	جبل عبيد

٤٠٩	جبل قطن
٥٣٢	جبل قيقعان
٦٥٥	جبل كشر
	جبل المروة = المروة
٥٦١،٣٤٠،٣٢١،٢٨٣،٢٨٢	الجحفنة
٦١٠،١٤٠	جدة
٦٥٥،٦٥٤،٥٩٣،٠٦٧	جرش
٦٨٥،٦٢١،٤٤٩،٤٤٦	الجرف
٠٠٦٦،٠٥٩،٠٤٧،٠٤٦،٠١٦	الجزيرة العربية
٠٩٠،٠٨٣،٠٧٨،٠٧٢،٠٧١	
٠٥١٣،٥٠٦،٣٦٢،٣٢٩،١٠٤	
٦٨٩،٦٧٣،٦٣٨	
٠٦١	الجزيرة الفراتية
٦٠١،٦٠٠،٥٩٦،٥٩٢،١١٤	الجعرانة
٦٧٢،٦٦٨،٦٥٩	
٤٧١	الجموم
٦١١،٥٢٩	الجناب
١٩٦،١٩٤،١٨٣،١٨٢،٠٦٠	الحبشة
٠٢٠٧،٢٠٦،١٩٩،١٩٨،١٩٧	
٠٢٤١،٢٣٠،٢٢٦،٢١٣،٢١٠	
٠٣٢٥،٣٠٥،٢٥٩،٢٥٧،٢٥٥	
٠٦١٠،٥٧٨،٥١٥،٥٠٨،٤٢٤	
٠٧٠٢،٦٩٩،٦٩٨،٦٩٧،٦٤٧	
٧٠٦	

٤٦٥٠٠٣٣٠٠٠٦٦٠٠٦٢٠٠٥١	الحجاز
٥٣٥٠٥١٦٠٥١٠٠٤٦٨	
٦٣٥٠٦٣٠	الحِجْر
١٨٢٠١٧١٠٠٥١٠٠٥٠	حجر إسماعيل
٥٧١٠١٤١٠١٤٠٠١٣٩٠١٣٨	الحجر الأسود
٥٧٠	الحجون
٢٨٣	حدوات
٠٥٣٦٠٤٩٣٠٤٩٢٠٤٨٤٠٤٨٣	الحديبية
٧٢٥	
٠٧٠	حران
٠٤٩٢٠٤١٢٠٤١١٠٣٣٣٠٠٥١	الحرم
٦٧٣٠٥٥٧٠٥٣١	
٠٤١٠٠٤٠	الحرمان الشريفان
٤٧٨٠٢٨٥٠٢٨٤٠٢٥٩	الحرّة
٤١٤	حرّة بني سليم
٣٧٢	حرّة واقم
٤٧٢	حسمى
٥٠١	حصن ابن أبي الحقيق
٥٠٣	حصن أبيّ
٤٦٥	حصن أبي رافع
٤٤٦	حصن ذباب
٤٤٦	حصن راتج

٥٠٣,٥٠١	حصن السلام
٥٠٣,٥٠١	حصن الصعب
٤٤٩,٣٩٣,٣٩٢	حصن فارع
٥٠٣	حصن قلعة الزبير
٥٠٣,٥٠١	حصن القموص
٥٠٣,٥٠١	حصن ناعم
٥٠٣	حصن نزار
٥٠٣,٥٠١	حصن الوطيح
٦٥٧,٦٠٥,١٩٠	حضر موت
٤٠٧	حمراء الأسد
٥٩٣,٥٨٦,٥٨٥,٥٨١	حنين
٠٧١,٠٦١,٠٦٠	الحيرة
٣٢٩	الخرار
٥٤٠	خضرة
٥٦٥	الخندمة
٥٢٤	خولان
٤٢٠,٣٠٠,٢٩٤,١٢٢,٠٧١	خير
٤٧٤,٤٦٥,٤٤٥,٤٤٤,٤٢٤	
٥٠٠,٤٩٩,٤٩٥,٤٧٧,٤٧٦	
٥٠٩,٥٠٨,٥٠٦,٥٠٤,٥٠١	
٦٣٨,٥٣٠,٥٢٩,٥١٢,٥١٠	
٧٠٧,٦٥١,٦٤٧	

٢٢٠	خيف بني كنانة
٢٩٥، ٢٨٨، ٢٨٧، ٢٨٦	دار أبي أيوب الأنصاري
٢١٧، ٢١٢، ١٩٥	دار الأرقم
٠٣٠٢	دار أنس بن مالك
٢٣٤	دار الرسول ﷺ بمكة
١١٠	دار النابغة
٢٦٥، ٢٦٤، ٠٦٤، ٠٦٣	دار الندوة
٥٢٢	دَمَا
٠٢٧	دمشق
٦٦١	الدهناء
٦٢٨، ٤٧٣، ٤٣٠، ٠٦٦	دومة الجندل
٠٩٤	الدولة الرومانية الشرقية
٦٦٢	ديار بني شيبان
٦٤٠، ٦٣٥	ديار ثمود
٠٧١	دير حارة مريم
٠٧١	دير اللج
٠٧١	دير هند الأقدم
٥٣٩	ذات أطلاق
٥٨٥	ذات أنواط
٦٦٢	ذات السلاسل

٣٧٦،٠٣٧٥	ذو أمر
٤٨٢	ذو الحليفة
٦٧٩	ذو الخلفة
٤٨٣	ذو طوى
٤٩٧	ذو قرد
٠٦٩	ذو الكعبات
٣٣٠	رايح
٠٢٧	الرباط
٦٦٢،٦٦١،٦٢٢	الربذة
٤١٥	الرجيع
٣٣١	رضوى
٥٤٠	ركبة
٠٦٦	رهاط
٤٨٢،٤٠٧،٣٣٨	الروحاء
٥٥٩	روضه خاخ
٤٤٩،٤٤٦	رومة
٠١١	الرياض
٦٠٨	زج ولاء
١٨١	الزرقاء
٤٤٦	زغابة

٠٦٧، ٠٦٢، ٠٤٩، ٠٤٨، ٠٤٧	زمرم
٠٦٩	سنداد
٠٩٥، ٠٦٤	سورية
٣٧٠، ٣٠٤	سوق بني قينقاع
٦٧٠	سوق عكاظ
٥٤٠	السي
٠٦٦، ٠٦٥، ٠٦٢، ٠٦١، ٠٤٧ ٠١١٩، ٠١١٦، ٠١١٢، ٠٨٩، ٠٧٣ ٠١٨١، ٠١٤٥، ٠١٤٢، ٠١٣٢، ٠١٢١ ٠٢٣٧، ٠٢٨١، ٠٢٥٦، ٠٢٥٤، ٠٢٣٧ ٠٣٢٧، ٠٣٢٤، ٠٢٨١، ٠٢٥٦، ٠٢٥٤ ٠٣٧٩، ٠٣٧٧، ٠٣٧٦، ٠٣٣٧، ٠٣٣٢ ٠٤٧١، ٠٤٦٩، ٠٤٦٣، ٠٤٤٨، ٠٤٢٠ ٠٥٤٤، ٠٥٣٩، ٠٥١٠، ٠٥٠٩، ٠٤٧٥ ٠٦٣٨، ٠٦٣٣، ٠٦٢٥، ٠٦١٤، ٠٦١١	الشام
٦٨٥	
٠١١	السعودية
٣٣٢	سفوان
٥٦١	السقيا
٥٢٩	سلاح
٥٥١	السلسل
٥٢٤	الساوة
٢٨٨	السنح

٠٧٠	سبأ
٠٦٤،٠٥٩	سد مأرب
٥٣٢،٣٩٦	سرف
٢٢٢،٢٢١،٢١٨	شعب بني هاشم
١٩٧	الشعبية
٠٢٧	شيكاغو
١٩٥،١٧٤،١٦٣،٠٥٠،٠٤٨	الصفاء
٥٦٥،٥٣٢	
٣٦٠،٣٥٨،٣٤٢	الصفراء
٦٠٥،٤٤٩،١٩٠،٠٦٠	صنعاء
٧٠٧	الصهباء
٠٨٩	صور
١٠١،١٠٠	الصين
٣٢٠،٣١٠	طابة
١١٤،٠٦٩،٠٦٦،٠٦٥،٠٦٢	الطائف
٢٢٩،٢٢٧،٢٢٦،٢١٠،١٧٢	
٢٥٧،٢٤١،٢٣٣،٢٣٢،٢٣١	
٥٩٢،٥٦٨،٥٦١،٣٦٠،٣٣٣	
٦٠١،٦٠٠،٥٩٦،٥٩٤،٥٩٣	
٦٧٢،٦١٥،٦٠٣،٦٠٢	
٤٧٢	الطرف

طيبة = المدينة المنورة

٠٧١	ظفار
٠٧١،٠٥٩	عدن
٣٧٧،٣٤٣،٠٦١،٠٦٠،٠٤٧ ٦٣٨،٦٢٢	العراق
٥٦١	العرج
٦٨٠،٦٣٥،٤٠٩،١٢٦،٠٦٨	عرفات (عرفة)
	عرق الظبية
٥٨٠،٤٠٩	عرنة
٣٧٢	العريض
٤٣١،٤٢٤،٤١٠،٠٥٤ ٥٣٦،٤٨٣،٤٦٩	عسفان
٣٣٢	العشيرة
٢٤٩،٢٤٨،٢٤٦،٢٤٤ ٢٥٨،٢٥٦،٢٥٥،٢٥٤،٢٥٢ ٢٦٤	العقبة
٦١١	عقرب
٥٢٢	عُمان
٤٩٦	العيص
٠٣٦	عين التمر
٦٦٩	عين الرسول
٢٧٣،٢٧٢،٢٧١،٢٦٨،٢٦٧ ٢٩١،٢٧٧،٢٧٦،٢٧٥،٢٧٤	غار ثور

١٤٩، ١٤٨، ١٤٦، ١٤٥، ١٢١	غار حراء
١٥١	
٥٢٤	غامد
٦٧٨	غدير خم
٤٦٩	گران
٤٧٠	الغمر
٥٠٩، ٥٠٤، ٤٩٥، ٤٧٣، ٠٧١	فدك
٥٣٩، ٥٢٨، ٥٢٧	
٣٧٦	الفرع
٦٨٥	فلسطين
٢٨٦، ٢٨٣، ٢٦١	قباء
٦٣٣	قبرص
٢٤٠، ٢٣٦، ٢٣٤، ٢٣٣، ١١٨	القدس
٦٨٣، ٥١٩، ٥١٨، ٣٣٦	
٥٧٢، ٥٣٨، ٥٣٧، ٤٣١، ٠٦٩	قديد
٦٦٩	
٥٧٢	القديدية
٣٧٧	القردة
٤٧٧	قرقرة ثبار
٣٧٣	قرقرة الكدر
٢٢٨، ٢٢٧	قرن الثعالب
٢٢٧	قرن المنازل

٠٩٤	القسطنطينية
٥٠٣	قلعة الزبير
٥٦٥	كداء
٣٧٣، ٣٦٨	القدر
٥٧٤، ٥٦٠، ٥٣٩، ٥٣٧	الكديد
٤٨٣، ٤٦٩	كراع الغميم
	الكعبة = البيت الحرام
٦٧٩، ٠٦٩	الكعبة الشامية
٦٧٩، ٠٦٩	الكعبة البليانية
٠٢٦	كلكتا
٠٢٢	لندن
٥٥٧	ماء الوتير
٥٤٤	مآب
٤٢٣، ٣٢١	محنة
٥٧٠، ٢٢٠	المحصب
٥٤١	مدين
٠٤٠، ٠٣٩، ٠٣٦، ٠٣٢، ٠٢٢	المدينة المنورة
٠١٤٢، ٠١١٠، ٠٠٧١، ٠٠٦٥، ٠٠٤١	
٠٢٠٥، ٠١٩٤، ٠١٧٨، ٠١٦١، ٠١٦٠	
٠٢٤٥، ٠٢٤٣، ٠٢٣٣، ٠٢٣١، ٠٢١٠	
٠٢٥٥، ٠٢٥٤، ٠٢٤٨، ٠٢٤٧، ٠٢٤٦	
٠٢٦٢، ٠٢٦٠، ٠٢٥٩، ٠٢٥٧، ٠٢٥٦	

[illegible]

٧١٧، ٧١٤، ٧١٣، ٧١١، ٧٠٧

٧٣٤

٤٤٦

المذاذ

٠٦٧

مذحج

٥٦٣، ٤٤٦، ٤٤٥، ٤٣١، ٤٢٣

مر الظهران

٥٦٥

٥٣٢، ٠٤٨

المروة

٤٣٣

المريسيج

٦٩٧، ٥٦٨، ١٢٦، ٠٦٨

مزدلفة

٢٣٩، ٢٣٧، ٢٣٣، ٠٥٧، ٠٥٦

المسجد الأقصى

٤٧٩

مسجد بني عبد الأشهل

٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٣، ١٨٢، ٠٥٥

المسجد الحرام

٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٢٣، ٢٧٦

٥٧٠، ٥٦٤

٦٣٧، ٦٢٠، ٦١٩

مسجد الضرار

٥٩٤

مسجد عبدالله بن عباس

٢٨٦

مسجد قباء

٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩٣، ٢٨٦

المسجد النبوي

٤٦٠، ٣٠٢، ٢٩٩، ٢٩٨، ٢٩٧

٦٣٢، ٦٣١، ٦٠٦، ٦٠٤، ٤٦٧

٦٧٣، ٦٦٢، ٦٥٦، ٦٥١، ٦٥٠

٧١٨، ٦٨٩، ٦٨٨، ٦٧٦

٥٤٤

مشارف

المثلل ٥٧١،٤٣١،٠٦٩

مصر ٠٩٤،٠٤٧

معان ٦٦٣،٥٤٤

المغرب ٠٢٢

مقام إبراهيم ٠٥٦

مكة المكرمة ٠٠٤٩،٠٤٧،٠٤١،٠٤٠،٠٣٠

٠٠٦٦،٠٦٥،٠٦٤،٠٦٣،٠٦٢

٠١٢٤،١١٠،١٠٩،٠٧١،٠٧٠

٠١٥٥،١٤٦،١٤٢،١٣٣،١٣١

٠١٧٤،١٦١،١٦٠،١٥٨،١٥٦

٠١٨٥،١٨٤،١٨٣،١٨٢،١٧٦

٠١٩٠،١٨٩،١٨٨،١٨٧،١٨٦

٠١٩٩،١٩٨،١٩٧،١٩٦،١٩٤

٠٢٢٠،٢١٥،٢١٠،٢٠٧،٢٠٥

٠٢٣٠،٢٢٩،٢٢٨،٢٢٧،٢٢١

٠٢٤٨،٢٤٤،٢٣٦،٢٣٤،٢٣٣

٠٢٥٩،٢٥٧،٢٥٦،٢٥٥،٢٥٤

٠٢٦٨،٢٦٧،٢٦٤،٢٦٣،٢٦٢

٠٢٧٨،٢٧٣،٢٧٢،٢٧١،٢٦٩

٠٢٩٠،٢٨٩،٢٨٨،٢٨٤،٢٨١

٠٣٢٢،٣٢١،٣١٤،٣٠٢،٣٠٠

٠٣٣٤،٣٣٣،٣٢٦،٣٢٥،٣٢٣

٠٣٦١،٣٤٣،٣٤٠،٣٣٨،٣٣٥

٠٣٧٧،٣٧٦،٣٧٣،٣٦٨،٣٦٢

٠٣٩٨،٣٩٦،٣٩٥،٣٨٤،٣٨٠

٠٤٣١،٤٢٣،٤١١،٤٠٨،٤٠٧

٠٤٦٧،٤٤٤،٤٣٤،٤٣٣،٤٣٢

٠٤٨٥،٤٨٤،٤٧٩،٤٧١،٤٦٨

٤٩٦٠٤٩٢٠٤٩١٠٤٨٩٠٤٨٦
 ٥٣١٠٥٢٧٠٥٢٤٠٥١٢٠٥٠٩
 ٥٥٩٠٥٥٨٠٥٥٧٠٥٥٥٠٥٣٣
 ٥٦٤٠٥٦٣٠٥٦٢٠٥٦١٠٥٦٠
 ٥٦٩٠٥٦٨٠٥٦٧٠٥٦٦٠٥٦٥
 ٥٧٨٠٥٧٧٠٥٧٤٠٥٧٣٠٥٧١
 ٥٨٦٠٥٨٤٠٥٨٣٠٥٨١٠٥٨٠
 ٦٣٩٠٦٢٩٠٦٠٤٠٦٠١٠٦٠٠
 ٦٦٧٠٦٦٣٠٦٥٢٠٦٥١٠٦٤٤
 ٧٠٦٠٦٧٨٠٦٧٥٠٦٧٢٠٦٦٨
 ٧٢٥

٢٥٥٠٢٥٣٠٢٢١٠٢٢٠٠٠٥٠
 ٦٧٥٠٦٣٥

منى

٠٦٦

مؤاب

٥٤٦٠٥٤٤٠٥٤٣٠٥٢٣

مؤنة

٥٢٩٠٥٢٨

الميفعة

٤١٣٠٤٠٩٠٣٧٧٠٣٧٥٠٢٦٥

نجد

٥٤٠٠٥٢٧٠٤٩٧٠٤٦٢٠٤١٤

٦٤٩٠٦٤٨

٦٤٤٤٠٦٤٣٠٦٠٥٠٥٢٤٠٠٧١

نجران

٦٧٣٠٦٦٤٠٦٤٦٠٦٤٥

٤٧١٠٤٢٦

نخل

٣٣٤٠٣٣٣٠٣٣١٠٢٢٨٠٠٦٩

نخلة

٥٩٣٠٥٧١٠٤٠٩

٤٤٩٠٤٤٦

نقمي

١٠٣	نهر الكنج
٠٧١	هجر
٢٨٣	هرشي
١٠٢	الهند
٠٢٥٠٠٢١	هيدلبرج
٤٧٥٠٤٧٤٠٤٧٣٠٠٧١٠٠٦٥ ٥٣٩٠٥٢٩٠٥١٠٠٥٠٩	وادي القرى
٦٣٥	وادي محسر
٤٥٠	وادي مهزور
٦٠٢٠٠٦٦٠٠٦٥	وج
٥٣٧٠٥٣١	يأجج
٠٠٩٠٠٠٧١٠٠٦٥٠٠٦٤٠٠٦٢ ٠٣١٩٠٣٠٩٠٣٠٧٠٣٠٦٠٢٥١ ٥٣٠٠٤١٠٠٣٢٣٠٣٢١٠٣٢٠	يثرب
٥٨٠	يلملم
٥٢٢٠٥٢٠	اليمامة
٥٢٩	يُمن
٠٧٠٠٠٦٤٠٠٦٢٠٠٦٠٠٠٥٩ ٠٥٤٧٠٥١٦٠٤٤٩٠١٢٢٠٠٧١ ٠٦٧٧٠٦٧١٠٦٥٤٠٦٤٧٠٦٤٦ ٦٧٩٠٠٦٧٨	اليمن
٣٣٢	ينبع

فهرس الغزوات والسرايا والحروب

٥٨٠	بعث خالد بن سعيد بن العاص قبل عرنة
٥٨٠	بعث هشام بن العاص إلى جهة يلملم
٥٧٨	بعثة خالد بن الوليد إلى بني جذيمة
٢٤٥، ٢٤٣، ٠٦٥	حرب بعث
١٣٥، ١٣١، ١٢٩، ١٢٨	حرب الفجار
٦٥٣	حروب الردة
٤٩٧	سرية أبان بن سعيد بن العاص
٥٣٥	سرية ابن أبي العوجاء السلمي
٥٢٧	سرية أبي بكر الصديق إلى نجد
٥٥٣	سرية أبي حذرد إلى الغابة
٤٠٩	سرية أبي سلمة
٥٥٥، ٥٥٤	سرية أبي قتادة إلى بطن إضم
٥٤٠	سرية أبي قتادة إلى خضرة
٦٨٥	سرية أسامة بن زيد إلى الشام
٥٣٠، ٥٢٩	سرية بشير بن سعد إلى الجناح
٥٢٧	سرية بشير بن سعد إلى ناحية فذك
٤٢٢، ٤١٦، ٤١٥، ٤١٣	سرية بثر معونة
٦٧٩	سرية جرير بن عبدالله البجلي
٥٣٩	سرية الحرقه

٤٨٠، ٤٧٩، ٣٢٧	سرية الخطب
٥٥١	سرية ذات السلاسل
٤١٦، ٤١٥، ٤١٣، ٤١٠	سرية الرجيع
٤٧١	سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم
٤٧٥، ٤٧٤	سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة
٤٧٢	سرية زيد بن حارثة إلى جذام
٤٧٢	سرية زيد بن حارثة إلى الطرف
٤٧١	سرية زيد بن حارثة إلى العيص
٥٤١	سرية زيد بن حارثة إلى مدين
٤٧٣	سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى
٣٦٨	سرية سالم لقتل أبي عفك
٣٣١، ٣٢٩	سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار
	سرية سيف البحر = سرية الخطب
٦٠٨، ٥٤٠	سرية شجاع بن وهب إلى السبي
٦٠٨	سرية الضحاك الكلابي إلى القرطاء
٦٠٣	سرية الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين
٤٧٣	سرية عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل
٤١٠، ٤٠٩	سرية عبدالله بن أنيس
٦٠٨	سرية عبدالله بن حذافة السهمي
٤٧٦	سرية عبدالله بن رواحة إلى البسير اليهودي

٤٩٩، ٤٦٥	سرية عبدالله بن عتيك
٣٣٠	سرية عبدة بن الحارث إلى رابغ
٦١١	سرية عكاشة بن محصن إلى الجنب
٤٧٠	سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر
٤٧٣	سرية علي بن أبي طالب إلى فذك
٦١٠	سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس
٥٢٧	سرية عمر بن الخطاب إلى تربة
٤٧٨	سرية عمرو بن أمية الضمري
٦٠٥	سرية عيينة بن حصن إلى بني العنبر
٥٣٨	سرية غالب بن عبدالله الليثي . . إلى فذك
٥٣٩، ٥٣٨، ٥٣٧	سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى الكديد
٥٣٩، ٥٢٨	سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى الميفعة
٣٦٧	سرية قتل عصماء
٣٧٣	سرية قتل كعب بن الأشرف
٣٧٧	سرية القردة
٣٧٣	سرية قرقرة الكدر
٦٠٨، ٦٠٧	سرية قطبة بن عامر إلى ناحية تبالة
٤٧٧	سرية كرز بن جابر إلى العرنين
٥٤٠، ٥٣٩	سرية كعب بن عمير إلى قضاة
٤٧٠	سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة

سرية نجد ٥٤٠

سرية نخلة ٣٣٥، ٣٣٤، ٠٣٣

سرية مؤنة ٥٤٧، ٥٤٣، ٥٤١، ٥٣٦، ٥٣٥

٥٥١، ٥٤٩، ٥٤٨

غزوة الأبواء (وهي غزوة ودان) ٣٣١، ٣٣٠

غزوة أحد ٣٠٤، ٢٤٨، ٢٢٨، ٢١٧، ٠٢٥

٣٧٩، ٣٧٧، ٣٦٧، ٣٦٣، ٣٠٥

٣٩٢، ٣٨٧، ٣٨٥، ٣٨٢، ٣٨٠

٤٠٢، ٤٠٠، ٣٩٩، ٣٩٥، ٣٩٣

٤٠٩، ٤٠٧، ٤٠٥، ٤٠٤، ٤٠٣

٤٢٩، ٤٢٥، ٤٢٣، ٤٢٢، ٤٢١

٤٤٦، ٤٤٤، ٤٤٣، ٤٣٣، ٤٣٢

٧١٧، ٧٠٢، ٧٠١، ٦٩٩، ٥٧٢

غزوة الأحزاب ٣٦٣، ٣٠٥، ٢٩٨، ٢٦٢، ٢٤٨

٤٢٥، ٤٢٤، ٤٢١، ٤١٥، ٣٩٣

٤٥٦، ٤٥٣، ٤٥٢، ٤٤٤، ٤٤٣

٤٩٩، ٤٩٣، ٤٦٦، ٤٥٩، ٤٥٧

٦٦٦، ٦٥١

غزوة بخران ٣٧٦

غزوة بدر الأولى - الصغرى = غزوة سفوان

غزوة بدر الكبرى ٢١٠، ١٨٢، ١٨١، ٠٧٦، ٠٦٥

٣٢٥، ٣٢٤، ٣١٣، ٣٠٤، ٢٣٠

٣٤٤، ٣٣٧، ٣٣٢، ٣٢٨، ٣٢٦

٣٥٥، ٣٥٣، ٣٥٢، ٣٤٧، ٣٤٦

٣٦٣، ٣٦٢، ٣٦١، ٣٥٩، ٣٥٧

٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٧، ٣٦٥، ٣٦٤

٣٨١، ٣٧٩، ٣٧٧، ٣٧٥، ٣٧٣
 ٤٠٤، ٣٩٦، ٣٩٥، ٣٨٧، ٣٨٦
 ٤١٢، ٤١١، ٤٠٨، ٤٠٦، ٤٠٥
 ٤٤٣، ٤٢٣، ٤٢٢، ٤٢١، ٤١٧
 ٥٨٩، ٥٧٢، ٥٦٢، ٥٦٠، ٤٩٢
 ٧٠٧، ٧٠١، ٧٠٠، ٦٣٧، ٦٢٥
 ٧٢٥، ٧١٧

٤٢٣ غزوة بدر الموعد

٣٦٨ غزوة بني سليم

٤٦٦، ٤٦٣، ٤٥٩، ٤٥٣، ٤٢٤ غزوة بني قريظة
 ٧٠٥، ٦٦٩

٣٦٩ غزوة بني قينقاع

٤٦٨ غزوة بني لحيان

غزوة بني المصطلق = غزوة المريسيع

٥٠٧، ٤٢٤، ٤٢٢، ٤١٧، ٤١٥... غزوة بني النضير

٣٣١ غزوة بواط

٦٠١، ٥٢٢، ٥١٤، ٤٣٥، ٣٢٠... غزوة تبوك

٦١٨، ٦١٥، ٦١٤، ٦١٣، ٦٠٣
 ٦٢٤، ٦٢٣، ٦٢١، ٦٢٠، ٦١٩
 ٦٣٣، ٦٣٢، ٦٢٩، ٦٢٧، ٦٢٦
 ٦٣٩، ٦٣٨، ٦٣٧، ٦٣٥، ٦٣٤
 ٦٧٥، ٦٦٩، ٦٦٨، ٦٥٩، ٦٥٦

٤٩٥، ٤٩٤، ٤٨٢، ٤٨١، ٤٦٥ غزوة الخديبية

٥١٣، ٥٠٨، ٥٠٧، ٤٩٧، ٤٩٦
 ٥٣١، ٥٢١، ٥٢٠، ٥١٩، ٥١٤
 ٥٣٦

غزوة حمراء الأسد ٤٠٨،٤٠٧

غزوة حنين ٢٢١،٢٢٠،٢١٧،١١٥،١١٤

٥٥٤،٥٣٠،٥٠٥،٤٠٦،٢٧٩

٥٩٠،٥٨٤،٥٨٣،٥٨١،٥٦١

٦٦٩،٦٦٤،٦٠١،٥٩٦،٥٩١

٧٢٥،٧١٧،٧٠٧

غزوة الخندق = غزوة الأحزاب

غزوة خيبر ٤٩٧،٤٢٥،٤٢٤،٢١٠،١٢١

٥٠٥،٥٠٤،٥٠٣،٥٠٠،٤٩٩

٥٢٧،٥١٠،٥٠٩،٥٠٨،٥٠٧

٧٠٨،٧٠٧،٦٤٩،٥٧٥،٥٦٢

غزوة دومة الجندل ٤٢٩

غزوة ذات الرقاع ٤٥٢،٤٢٨،٤٢٧،٤٢٥،٤٢٤

غزوة ذات السلاسل ٥٣٦

غزوة ذي أمر ٣٧٦،٣٧٥

غزوة ذي قرد ٦١٠،٤٩٧

غزوة سفوان ٣٣١

غزوة السويق ٤١٨،٣٧٣،٣٧٢

غزوة الطائف ٦٠١،٥٩٣،٥٨٣،٥٨١،٢٧٩

٦٧٢،٦٦٩،٦٠٣

غزوة العسرة = غزوة تبوك

غزوة العشيرة ٣٣٢

غزوة فتح مكة ٤٣٤،٣٦١،٣٠٥،٢٢٨،٢٢١

٤٤٤، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٦، ٥٢٠،
 ٥٣٦، ٥٥١، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٦٢،
 ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥،
 ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٨٣، ٥٨٤، ٦٣٩،
 ٦٤١، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٧، ٦٦٩،
 ٧٠٧، ٧٢٥، ٧٢٦

غزوة الفرع = غزوة بحران

غزوة المريسيع ٧٠٥، ٤٤٠، ٤٣١، ٤٠٧

غزوة ودان = غزوة فتح مكة

فتح مكة = غزوة فتح مكة

فتوح الشام ٦٣٨

معركة صفين ٤٩١، ٤٤٨

معركة ذي قار ٠٦١

معركة اليرموك ٠٦١

معركة اليمامة ٣٥٢، ٣٥٠

فهرس القوافي

رقم الصفحة

القوافي

٢٦٣	يوماً سيدركها النكباء والحبوب	وكل دار وإن طالت سلامتها
٦٦٩	لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالب	أربُّ يسول الثعلبان برأسه
٢٧٥	وفي سبيل الله مالقيت	هل أنت إلا أصبع دميت
٥٤٦	هذا حُمام الموت قد صليت	يانفس إلّا تقتلي تموتي
٢٨١	فإنكم إن تسألوا الشاء تشهد	سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
٢٩٤	يدأب فيها قائماً وقاعدا	لا يستوي من يعمر المساجدا
٤٤٧	على الإسلام ما بقينا أبدا	نحن الذين بايعوا محمدا
٥٤٤	وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا	لكنني أسأل الرحمن مغفرة
٦٩٥	ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد	فبكّي رسول الله ياعين عبرة
٨٠	غداة غد أم رائح فمهجّر	أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
١٣١	بطن مكة نائي الدار والنفر	يا آل فهر لمظلوم بضاعته
٢٩٤	هذا أبر ربنا وأطهر	هذا الحمال لا حال خبير
٢٩٤	فانصر الأنصار والمهاجرة	اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة

٢٩٤	فارحم الأنصار والمهاجرة	اللهم إن الأجر أجر الآخرة
٧٠	ع قديم بها ومن إعواز	أكلت رها حنيفة من خو
٧٠	زمن التقحم والمجاعة	أكلت حنيفة رها
٦٣١، ٢٨٥	من ثنيات الوداع	طلع البدر علينا
٤١١	على أي شق كان في الله مصرعي	ما إن أبالي حين أقتل مسلماً
٦٠٤	على أي شيء غير ذلك دلکا	ألا أبلغنا عني بجيراً رسالة
٥٦	على قدميه حافياً غير ناعل	وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة
١٨٤، ١٨٣، ٧٧	وكل نعيم لا محالة زائل	ألا كل شيء ما خلا الله باطل
٢٩٤	لذاك منا العمل المضلل	لئن قعدنا والرسول يعمل
٣٢١	بواد وحولي إذخر وجيل	ألا ليت شعري هل أبين ليلة
٣٢١	والموت أدنى من شرك نعله	كل امرئ مصبح في أهله
٥٣١	اليوم نضربكم على تنزيله	خلوا بني الكفار عن سبيله
٦٠٤	متيم عندها لم يفد مكبول	بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول
٢٣٠	عبيدك مالبى مهلاً وأحرماً	وأجرت رسول الله منهم فأصبحوا
٤٤٧	ولا تصدقنا ولا صلينا	اللهم لولا أنت ما اهتدينا
٥٤٦	لتنزلن أو لتكرهنه	أقسمت يانفس لتنزلنه
٦٥٤	وإن لم أر النبي عياناً	إنني بالنبي موقنة نفسي
٥٤٥	طية وبارداً شاربها	ياحبذا الجنة واقترابها

فهرس أنصاف الأبيات

أحمد مكتوب على اللسان ١٠٨

فهرس الحكم والأمثال

مابل بحر صوفة ١٣١

معزى حملت حتفها ٦٦١

يامعشر الناس اجتمعوا؛ فكل من مات فات ٠٧٥

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
شكر وتقدير	٧
تقديم	٩
مقدمة	١١
منهج البحث	١٢
أهداف دراسة السيرة النبوية	١٤
مصادر السيرة النبوية	١٥
القرآن الكريم	١٥
الحديث النبوي الشريف	١٧
كتب السائل	١٩
كتب دلائل النبوة - المعجزات	١٩
كتب المغازي والسير	٢٠
المؤلفات في تاريخ الحرمين الشريفين	٤٠
كتب التاريخ العام	٤١
كتب الأدب	٤٤
كلمة أخيرة عن المصادر	٤٦
الجزيرة العربية قبل الإسلام	٤٧
نشأة مكة	٤٧
تعدد بناء الكعبة	٥١
حالة العالم حين بعث محمد ﷺ	٥٧
١ - في الجزيرة العربية	٥٩
أ - الحالة السياسية: الملك باليمن	٥٩
الملك بالحيرة	٦٠
الملك بالشام	٦١
الحجاز	٦٢
يشرب	٦٤

٦٥	الطوائف
٦٦	ب - الحالة الدينية عند العرب
٧٣	أشهر الخلفاء: زيد بن عمرو بن نفيل
٧٤	ورقة بن نوفل
٧٥	قس بن ساعدة اليايبي
٧٦	أمية بن أبي الصلت
٧٦	لبيد بن ربيعة العامري
٧٨	ج - الحياة الاجتماعية عند العرب
٨٣	٢ - في خارج الجزيرة العربية
٨٣	أ - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل اليهودية
٨٣	أولاً: جوانب من الحياة الدينية
٨٩	ثانياً: جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات اليهودية
٩٠	ب - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المسيحية
٩٠	أولاً: الحياة الدينية
٩٤	ثانياً: الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات النصرانية
٩٥	ج - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المجوسية
٩٥	أولاً: الحياة الدينية
٩٨	ثانياً: الحياة السياسية والاجتماعية في ظل المجوسية
١٠٠	د - جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الصينية
١٠٠	أولاً: الحياة الدينية
١٠١	ثانياً: الحياة الاجتماعية
١٠٢	هـ - جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الهندية
١٠٥	الفصل الأول: من المولد إلى المبعث
١٠٥	المبحث الأول: نسب الرسول ﷺ
١٠٦	حكم وفوائد من هذا الاصطفاء
١٠٧	المبحث الثاني: الختان والتسمية
١٠٩	المبحث الثالث: اليتيم ورعاية الجدة ثم العم
١١٢	المبحث الرابع: من إرهاصات النبوة عند ميلاده

- المبحث الخامس : رضاعة الرسول ﷺ ١١٣
- المبحث السادس : حادثة شق الصد ١١٦
- المبحث السابع : رحلته إلى الشام ١١٩
- الحكمة من أقوال أهل الكتاب في صفة محمد (ﷺ) ١٢٢
- المبحث الثامن : أ - رعيه الغنم في صباه، والحكم والعبر من ذلك ١٢٤
- المبحث التاسع : عناية الله له وحفظه من بعض أمور الجاهلية،
والحكم والعبر من ذلك ١٢٥
- المبحث العاشر : حرب الفجار ١٢٨
- المبحث الحادي عشر : شهوده حلف الفضول والحكم والعبر من ذلك ١٢٩
- المبحث الثاني عشر :
أ - زواجه من خديجة ١٣٢
- ب - حكم وفوائد من هذا المقطع ١٣٧
- المبحث الثالث عشر :
أ - مشاركته في بناء الكعبة ووضعه الحجر الأسود في مكانه ١٣٨
- ب - حكم وعبر من هذا المقطع ١٤٠
- المبحث الرابع عشر :
أ - من إرهابات النبوة عن أهل الكتاب وكهان العرب
عندما قارب زمن بعثة الرسول (ﷺ) ١٤١
- ب - حكم وعبر من هذا المبحث ١٤٤
- المبحث الخامس عشر : التحنث في غار حراء ١٤٥
- المبحث السادس عشر :
أ - من إرهابات النبوة قبيل البعثة ١٤٥
- ب - العبر والعظات ١٤٧
- المبحث السابع عشر :
أ - نزول الوحي ١٤٧
- ب - العبر والعظات والدلائل ١٤٩
- المبحث الثامن عشر :
أ - فترة انقطاع الوحي ثم تتابعه ١٥١

الموضوع	الصفحة
ب - الحكمة من هذا الانقطاع	١٥٢
المبحث التاسع عشر : مراتب الوحي	١٥٢
المبحث العشرون : مراتب الدعوة ومراحلها	١٥٣
أ - مراتب الدعوة	١٥٣
ب - مراحل الدعوة خلال حياة الرسول ﷺ	١٥٤
وقفة عند فقه هذه المراحل	١٥٤
المبحث الحادي والعشرون :	
أ - المرحلة الأولى : الدعوة السرية	١٥٥
ب - العبر والعظات في هذا المقطع	١٦١
المبحث الثاني والعشرون	
أ - الجهر بالدعوة	١٦٢
ب - دروس وعبر من هذا المقطع	١٦٤
المبحث الثالث والعشرون :	
أ - أساليب المشركين في محاربة الدعوة الإسلامية	١٦٥
الأسلوب الأول : محاولة التأثير على عمه	١٦٦
الأسلوب الثاني : التهديد بمنازلة الرسول ﷺ وعمه أبي طالب	١٦٦
أبرز الحكم والعظات في هذين الأسلوبين	
الأسلوب الثالث : الاتهامات الباطلة لصعد الناس عنه	١٦٧
الأسلوب الرابع : السخرية والاستهزاء والضحك والغمز واللمز	
والتعالي على المؤمنين	١٧٠
الأسلوب الخامس : التشويش	١٧٣
الأسلوب السادس : طلبهم أن تكون للرسول ﷺ معجزات أو مزايا	
ليست عند البشر العاديين	١٧٣
الأسلوب السابع : المساومات	١٧٥
الأسلوب الثامن : سب القرآن ومزله ومن جاء به	١٧٦
الأسلوب التاسع : الاتصال باليهود للاتيان	
منهم بأسئلة تعجيزية للرسول ﷺ	١٧٨
الأسلوب العاشر : الترغيب	١٧٨

الموضوع	الصفحة
الأسلوب الحادي عشر : الترهيب	١٧٩
الأسلوب الثاني عشر : الاعتداء الجسدي	١٨٠
تعذيب الموالي	١٨٥
آل ياسر	١٨٦
بلال	١٨٧
خبيب بن الأرت	١٨٩
عامه الموالي المستضعفين	١٩٠
ب - العبر والعظاات	١٩١
الأسلوب الثالث عشر : ملاحقة المسلمين خارج مكة	
والتحريض عليهم	١٩٤
الأسلوب الرابع عشر : المقاطعة العامة	١٩٤
الأسلوب الخامس عشر : محاولة قتل الرسول ﷺ ،	
ثم شن الحرب عليه	١٩٤
المبحث الرابع والعشرون : مكان لقاء الرسول ﷺ بالمسلمين	١٩٥
المبحث الخامس والعشرون :	
أ - الهجرة الأولى إلى الحبشة	١٩٦
قصة الغرانيق وبطلانها	١٩٩
١ - بطلان القصة من جهة النقل (السند)	١٩٩
٢ - بطلان القصة من حيث المتن (أو العقل)	٢٠٢
أ - مخالفة القصة للقرآن الكريم	٢٠٢
ب - اضطراب روايات القصة	٢٠٣
ج - اللغة العربية تنكر القصة	٢٠٤
د - بطلان القصة من حيث الزمان	٢٠٥
هـ - سبب سجود المشركين	٢٠٥
ب - الهجرة الثانية إلى الحبشة	٢٠٦
ج - قریش تسعى لإعادة المهاجرين	٢٠٧
د - حكم وعظاات وعبر من هذا المقطع	٢١٠
المبحث السادس والعشرون : إسلام النجاشي	٢١١

الموضوع	الصفحة
المبحث السابع والشعرون : إسلام حمزة وعمر	٢١٢
أ - إسلام حمزة بن عبدالمطلب	٢١٢
ب - إسلام عمر بن الخطاب	٢١٢
ج - عظمات وعبر وحكم من هذا المقطع	٢١٦
المبحث الثامن والعشرون :	
أ - المقاطعة العامة	٢١٧
ب - عظمات وعبر من هذا المقطع	٢٢١
المبحث التاسع والعشرون :	
أ - وفاة أبي طالب	٢٢٢
ب - الحكمة من وفاة أبي طالب قبل قيام الدولة الإسلامية	٢٢٣
المبحث الثلاثون : وفاة خديجة	٢٢٤
المبحث الحادي والثلاثون : زواجه من سودة	٢٢٥
المبحث الثاني والثلاثون :	
أ - هجرته إلى الطائف	٢٢٦
ب - عظمات وعبر	٢٣١
المبحث الثالث والثلاثون :	
أ - الإسراء والمعراج	٢٣٣
ب - دلالات وعظمات وعبر	٢٣٩
المبحث الرابع والثلاثون :	
أ - عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل	٢٤١
ب - عظمات وعبر	٢٤٥
المبحث الخامس والثلاثون : بيعة العقبة الأولى	٢٤٦
المبحث السادس والثلاثون	
أ - بيعة العقبة الثانية	٢٤٨
ب - نتائج وعبر من بيعة الثانية	٢٥٤
الفصل الثاني : الهجرة إلى المدينة	٢٥٧
المبحث الأول : أسبابها	٢٥٧
أولاً : الابتلاء والاضطهاد	٢٥٧

٢٥٨.....	ثانيا : وجود حماية للدعوة تمكنها من السير في طريقها
٢٥٨.....	ثالثا : تكذيب كبار زعماء قريش الرسول
٢٥٨.....	رابعا : مخافة الفتنة في الدين
٢٥٩.....	خامسا : الإذن للمسلمين بالقتال
	المبحث الثاني :
٢٦٠.....	أ - الإذن للمسلمين بالهجرة إلى المدينة
٢٦٠.....	أول المهاجرين
٢٦٠.....	ما وقع للمسلمين في سبيل الهجرة
٢٦٢.....	هجرة عمر بن الخطاب
٢٦٤.....	المبحث الثالث : هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة
٢٦٤.....	أولا : تأمر قريش
٢٦٦.....	ثانيا : الإذن بالهجرة والتخطيط لها ثم الشروع فيها
٢٧٢.....	- في الطريق إلى الغار
٢٧٣.....	- في الغار
٢٧٧.....	- التوجه إلى المدينة
٢٨٤.....	- الوصول إلى المدينة المنورة
	الأحكام والدروس المستفادة من أحداث الهجرة إلى المدينة
٢٨٨.....	ومقامة ﷺ في دار أبي أيوب الأنصاري
٢٩٣.....	الفصل الثالث : أسس بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية بالمدينة المنورة
٢٩٣.....	المبحث الأول : بناء المسجد
٢٩٨.....	أحكام وحكم في قصة بناء المسجد النبوي الشريف
	المبحث الثاني :
٣٠٠.....	أ - المؤاخاة
٣٠٥.....	ب - حكم وعبر من المؤاخاة
٣٠٦.....	المبحث الثالث : صحيفة المدينة
٣٠٦.....	أولا : مضمون الصحيفة
٣٠٦.....	أ - بنود الصحيفة المتعلقة بالمسلمين المؤمنين
٣٠٦.....	ب - بنود الصحيفة المتعلقة بالمشركون

ج - بنود الصحيفة المتعلقة باليهود	٣٠٧
د - البنود المتعلقة بالقواعد العامة	٣٠٧
ثانيا: مصادر الصحيفة	٣٠٧
ثالثا: تاريخ كتابة الصحيفة	٣١٣
رابعا: الشواهد على فقرات الصحيفة من كتب السنة والتاريخ	٣١٣
خامسا: دلالات وأحكام وعبر من صحيفة المدينة	٣١٦
الفصل الرابع : القسم الأول: متفرقات	٣١٩
المبحث الأول : تسمية يثرب بطيبة وطابة والمدينة	٣١٩
المبحث الثاني : بعض المتاعب الصحية تواجه بعض المهاجرين	٣٢١
المبحث الثالث : قريش تهدد المهاجرين والأنصار	٣٢٢
الفصل الرابع : القسم الثاني: النشاط العسكري والسياسي	
قبل غزوة بدر الكبرى	٣٢٥
المبحث الأول : الإذن بالقتال	٣٢٥
المبحث الثاني : الغزوات والسرايا والأحلاف والأحداث الهامة	
قبل غزوة بدر الكبرى	٣٢٦
أولا: أهداف الغزوات والسرايا	٣٢٦
ثانيا: الغزوات والسرايا والأحلاف والأحداث الهامة	٣٢٧
(١) سرية سيف البحر بقيادة حمزة	٣٢٧
(٢) سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخُرَّار	٣٢٩
(٣) غزوة الأبواء (وَدَّان)	٣٣٠
(٤) سرية عبيدة بن الحارث إلى رَابِغ	٣٣٠
(٥) غزوة بُؤَاط من ناحية رَضْوَى	٣٣١
(٦) غزوة سَعْوَانَ (بدر الأولى - بدر الصغرى)	٣٣١
(٧) غزوة ذِي الْعُشَيْرَةِ	٣٣٢
(٨) سرية نَخْلَةَ	٣٣٣
أحكام وعبر في قصة سرية نخلة	٣٣٤
(٩) تحويل القبلة	٣٣٥
(١٠) فريضة صيام شهر رمضان	٣٣٦

٣٣٧	الفصل الخامس : غزوة بدر الكبرى
٣٥١	الملائكة تشهد بدرا
	مصرع الطغاة يوم بدر
٣٥٣	أ - أبو جهل
٣٥٤	ب - أمية بن خلف
٣٥٥	ج - العاص بن هشام بن المغيرة
٣٥٥	دفن قتل المشركين في القليب
٣٥٦	الغنائم
٣٥٨	الأسرى
٣٦٣	أحكام وحكم من غزوة بدر
٣٦٧	الفصل السادس : النشاط العسكري والأحداث ما بين بدر وأحد
٣٦٧	المبحث الأول : سرية قتل عصماء بنت مروان
٣٦٨	المبحث الثاني : غزوة بني سليم بالكُدُر
٣٦٨	المبحث الثالث : مؤامرة لاغتيال الرسول ﷺ
٣٦٨	المبحث الرابع : سرية سالم بن عُمير لقتل أبي عَفْك
٣٦٩	المبحث الخامس : غزوة بني قَيْنُقَاع
٣٧٢	المبحث السادس : غزوة السُّويق
٣٧٣	المبحث السابع : غزوة قَرْقَرَة الكُدُر
٣٧٣	المبحث الثامن : سرية قتل كعب بن الأشرف اليهودي
٣٧٥	المبحث التاسع : غزوة ذي أَمَر
٣٧٦	المبحث العاشر : غزوة بُحْرَان - أو القُرْع من بحران
٣٧٧	المبحث الحادي عشر : سرية القَرْدَة
٣٧٩	الفصل السابع : غزوة أحد
٤٠٢	أحكام وحكم وعظات وعبر من غزوة أحد
٤٠٧	الفصل الثامن : الغزوات والأحداث الأخرى بين غزوتي أحد والمريسيع
٤٠٧	المبحث الأول : أ - غزوة حمراء الأسد
٤٠٩	المبحث الثاني : سرية أبي سَلَمَة
٤٠٩	المبحث الثالث : سرية عبدالله بن أنيس

٤١٠	المبحث الرابع : سرية الرَّجِيع
٤١٣	المبحث الخامس : سرية بئر مَعُونَة
	المبحث السادس : حكم وأحكام وعبر ودروس من سريتي
٤١٦	الرجيع وبئر مَعُونَة
٤١٧	المبحث السابع : غزوة بني النضير
٤٢٣	المبحث الثامن : غزوة بدر الموعِد
٤٢٤	المبحث التاسع : غزوة ذات الرِّقَاع
٤٢٩	المبحث العاشر : غزوة دُومَة الجَنْدَل
٤٣١	الفصل التاسع : غزوة المُرَيْسِع (بني المُصْطَلِق)
٤٤٣	الفصل العاشر : غزوة الخندق (الأحزاب)
٤٥٩	الفصل الحادي عشر : غزوة بني قُرَيْظَة
	الفصل الثاني عشر : الغزوات والسرايا والبعوث والأحداث التي
٤٦٥	وقعت بين غزوتي بني قريظة والحديبية
٤٦٥	المبحث الأول : سرية عبدالله بن عَتِيك لقتل سَلَام بن أبي الحَقِيق
٤٦٧	المبحث الثاني : سرية محمد بن مَسْلَمَة إلى القُرْطَاء
٤٦٨	المبحث الثالث : غزوة بني حَنِيَّان وما فيها من فوائد
٤٧٠	المبحث الرابع : سرية عُكَّاشَة بن مَحْضَن إلى العَمْر
٤٧٠	المبحث الخامس : سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القُضَة
٤٧١	المبحث السادس : سرية زيد بن حارثة إلى بني سُلَيم بالجَمُوم
٤٧١	المبحث السابع : سرية زيد بن حارثة إلى العيص وما فيها من حكم
٤٧٢	المبحث الثامن : سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرَف
٤٧٢	المبحث التاسع : سرية زيد بن حارثة إلى جُدَام من أرض حِمْيَر
٤٧٣	المبحث العاشر : سرية زيد إلى وادي القُرَى
٤٧٣	المبحث الحادي عشر : سرية ابن عوف إلى دُومَة الجَنْدَل
٤٧٣	المبحث الثاني عشر : سرية علي إلى بني عبدالله بن سعد بن بكر بَقْدَك
٤٧٤	المبحث الثالث عشر : سرية زيد إلى بني قُرَازَة
٤٧٦	المبحث الرابع عشر : سرية عبدالله بن رواحة إلى اليَسِير رِزَام اليهودي
٤٧٧	المبحث الخامس عشر : سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العُرَيْنين

المبحث السادس عشر : سرية الضمري لقتل أبي سفيان	٤٧٨
المبحث السابع عشر: سرية الحَبَط (سَيْف البحر)	٤٧٩
الفصل الثالث عشر : صلح الحديبية	٤٨١
المبحث الأول : أحداث الحديبية	٤٨١
المبحث الثاني : فقه وحكم ودروس من صلح الحديبية	٤٩٤
الفصل الرابع عشر : غزوة وسرية بين الحديبية وخيبر	٤٩٧
المبحث الأول : غزوة ذي قرد	٤٩٧
المبحث الثاني : سرية أبان بن سعيد بن العاص	٤٩٧
الفصل الخامس عشر : غزوة خيبر	٤٩٩
بعض فقه وحكم وعبر ودروس غزوة خيبر	٥١٠
الفصل السادس عشر : رسائل النبي ﷺ إلى الزعماء	٥١٣
المبحث الأول : كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي	٥١٤
المبحث الثاني : كتاب النبي ﷺ إلى كسرى	٥١٦
المبحث الثالث : كتاب النبي ﷺ إلى قيصر	٥١٧
المبحث الرابع : كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني	٥١٩
المبحث الخامس : كتاب النبي ﷺ إلى هُوَذَة بن علي الحنفي	٥٢٠
المبحث السادس : كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس	٥٢٠
المبحث السابع : كتاب النبي ﷺ إلى المنذر بن سَاوَى العَبْدِي	٥٢١
المبحث الثامن : كتاب النبي ﷺ إلى جَيْفَر وعبد ابني الجُلَنْدِي	٥٢٢
المبحث التاسع : رسائل أخرى متفرقة	٥٢٢
المبحث العاشر : فوائد وحكم وعبر في هذا المقطع	٥٢٥
الفصل السابع عشر : السرايا بين غزوة خيبر وعمرة القضاء	٥٢٧
المبحث الأول : سرية عمر بن الخطاب الى تُرْبَة	٥٢٧
المبحث الثاني : سرية أبي بكر الصديق إلى نجد	٥٢٧
المبحث الثالث : سرية بشير بن سعد إلى ناحية فَذَك	٥٢٧
المبحث الرابع : سرية غالب بن عبدالله إلى الميفعة	٥٢٨
المبحث الخامس : سرية بشير بن سعد إلى الجَنَاب	٥٢٩
الفصل الثامن عشر : عمرة القضاء	٥٣١

الموضوع	الصفحة
الفصل التاسع عشر : السرايا والأحداث بين عمرة القضاء وسرية مؤتة	٥٣٥
المبحث الأول : سرية أبي العوجاء السلمي	٥٣٥
المبحث الثاني : إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد	٥٣٥
المبحث الثالث : سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد	٥٣٧
المبحث الرابع : دروس وعبر من أحداث هذه السرية	٥٣٨
المبحث الخامس : سرية غالب إلى مصاب أصحاب بشير	٥٣٨
المبحث السادس : سرية كعب بن عمير إلى قضاة	٥٣٩
المبحث السابع : دروس وعبر	٥٤٠
المبحث الثامن : سرية شجاع بن وهب إلى السبي	٥٤٠
المبحث التاسع : سرية زيد بن حارثة إلى مدين	٥٤١
الفصل العشرون : سرية مؤتة	٥٤٣
الفصل الحادي والعشرون : السرايا بين سرية مؤتة وغزوة فتح مكة	٥٥١
المبحث الأول : سرية ذات السلاسل	٥٥١
المبحث الثاني : سرية أبي حذرد إلى الغابة	٥٥٣
المبحث الثالث : سرية أبي قتادة إلى بطن اضم	٥٥٤
الفصل الثاني والعشرون : غزوة فتح مكة	٥٥٧
الأحكام والدروس والعظات والعبر المستفادة من أحداث غزوة الفتح	٥٧٤
سرايا وبعوث الرسول ﷺ أيام فتح مكة	٥٧٨
(١) بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة	٥٧٨
(٢) بعث هشام بن العاص إلى جهة يلملم	٥٨٠
(٣) بعث خالد بن سعيد بن العاص قبل عرنة	٥٨٠
الفصل الثالث والعشرون : غزوتنا حنين والطائف	٥٨١
المبحث الأول : غزوة حنين	٥٨١
المبحث الثاني : غزوة الطائف	٥٩٣
المبحث الثالث : أهم الأحكام المستنبطة من غزوتي حنين والطائف	٦٠١
الفصل الرابع والعشرون : السرايا والأحداث بين غزوتي الطائف وتبوك	٦٠٣
المبحث الأول : سرية الطفيل بن عمرو إلى ذي الكففين	٦٠٣
المبحث الثاني : إسلام كعب بن زهير	٦٠٣

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث : المصدقون	٦٠٥
المبحث الرابع : سرية عيينة بن حصن إلى بني العنبر	٦٠٥
المبحث الخامس : سرية قطبة بن عامر إلى تبالة	٦٠٧
المبحث السادس : سرية الضحاك الكلابي إلى القرطاء	٦٠٨
المبحث السابع : سرية عبدالله بن حذافة السهمي	٦٠٨
المبحث الثامن : من فوائد هذا المقطع	٦١٠
المبحث التاسع : سرية علي إلى الفلس	٦١٠
المبحث العاشر : سرية عكاشة إلى الجنباب	٦١١
الفصل الخامس والعشرون : غزوة تبوك	٦١٣
الفصل السادس والعشرون : الوفود	٦٣٩
الفصل السابع والعشرون : الأحداث والسرايا والبعوث	
بين غزوة تبوك والمرض والوفاة	٦٧٥
المبحث الأول : حجة أبي بكر الصديق	٦٧٥
المبحث الثاني : بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن	٦٧٦
المبحث الثالث : بعث علي وخالد إلى اليمن	٦٧٧
المبحث الرابع : سرية جرير البجلي إلى ذي الخليفة	٦٧٩
المبحث الخامس : حجة الوداع	٦٨٠
المبحث السادس : أحكام ومبادئ وعبر من حجة الوداع	٦٨٢
المبحث السابع : سرية أسامة بن زيد إلى الشام	٦٨٥
الفصل الثامن والعشرون : المرض والوفاة	٦٨٧
الفصل التاسع والعشرون : أمهات المؤمنين	٦٩٧
الفصل الثلاثون : بعض شمائل الرسول ﷺ	٧١٣
ثبت المصادر والمراجع	٧٣٧
فهرس الآيات القرآنية	٧٥٧
فهرس أقوال الرسول ﷺ	٧٧٣
فهرس الأعلام	٨٠١
فهرس الأماكن	٨٨٣

الموضوع	الصفحة
فهرس الغزوات والسرايا والحروب	٩٠٣
فهرس القوافس	٩١١
فهرس أنصاف الأبيات	٩١٣
فهرس الحكم والأمثال	٩١٣
فهرس الموضوعات	٩١٥